العَلاَقَاتُ الإِسْلاَمِيَّةُ المَسِيحِيَّةُ

فِي القَرْنِ الأَوَّلِ الهِجْرِيّ/ السَّابِعِ المِيلادِيّ

بحثٌ في جذورِ الفكرِ الإسلاميِّ والممارسةِ التاريخيّة

الأستاذ الدكتور

صادق شاكر محمود المخزومي

1436هـ - 2015م

جامعة القدّيس يوسف - بيروت

كليّة العلوم الدّينيّة

أطروحة دكتوراه فِي العلوم الدِّينِيَّة

إشراف

أ.د. أنطوان مسرّة

نشر مؤسسة اديان للثقافة والحوار

النجف الاشرف

2015

آيات

{وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ} (سورة العنكبوت: ٤٦)

{ وإذا قمتُم للصلاةِ، وَكَانَ لكم شيءٌ عَلَى أحدٍ فاغفِروا لَهُ، حَتَّى يغفِرَ لكمْ أبوكم الَّذِي فِي السّمَاواتِ زلاتِكم }

(إنجيل مرقس 11:25)

إهداء

ثَمَّةَ قَطْرَةٌ مِنْ ضَوْءٍ

انْسَابَتْ فِي ضَمِيرِي

بَيْنَ الحُلْمِ والحَقِيقَةِ

أَزْهَرَ أَمَلٌ فِي حَيَاتِي مَعَ الآخَرِ

تَسَابَقَتْ قَدَمِي وَقَلَمِي الى قدّيس بيروت

وَانْكَسَرَ الخَوْفُ

وَتَنَفَّسَ، مِنْ رِئَةِ الصُبْحِ، الوِجْدَانُ

فتصافحَ الانجيلُ والقرانُ

وَكَانَ اللهُ

رموز و مختصرات

المختصر	معناه
ت	توفي
تح	تحقيق
ج	جزء
ص	صفحة
ص ص	من صفحة الى
ط	طبعة
ق. م.	قبل الميلاد
ق. ه.	قبل الهجرة
لا. ت	لا تاريخ نشر
لا. ط	لا طبعة
لا. م	لا مكان نشر
لا. ن	لا ناشر
م	سنة ميلادية
م. س	المصدر السلبق
م. ن	المصدر نفسه
ه	سنة هجرية

مقدمة

ثمّةَ سُؤالٌ شاغَلَني في خِضَمّ الحَيَاةِ الدّينيَّةِ السّالفَةِ، كَيْفَ كَانَتْ "خريطةُ الأَدْيَان فِي العالم"؟، حَيْثُ الحَضَارَات الدّينيَّة تَتَرَى فِيهِ، تَتَداخلُ، أَوْ تَتَفاعلُ، أَوْ تتشارَك، ولاسِيّمَا فِي الشّرق إِبّانَ القَرْنِ السّابِعِ للمِيلاد. كشَفَتْ دراسَةٌ حديثةٌ لأبحاث الأَدْيَان والحياةِ العَامّة، بأنَّ 84 فِي المائةِ مِن سكَّانِ العالم يعتنقون الأَدْيَان السّمَاوِيَّة، أَوْ ينتسبون إِلَى جماعاتٍ دِينِيَّة ابتكرَها البشرُ، وَهُوَ مَا يشكل 5.8 مليار شخصٍ من أصل 6.9 مليار نسمةٍ، تسكن مُختَلَفَ دولِ العالم. وصنَّفَتْ العالمَ ثمانِي حَضَارَات دِينِيَّة، واحتلّتْ الْمَسِيحِيّة المجموعةَ الدّينِيَّةَ الأُولَى، بِمَا يُمثّل 31.5 بالمائة من سكانِ العالمِ المُنْتسبِينَ إِلَيْهَا، واحتلّت الدِّيَانَة الإِسْلَاميّةُ المرتبةَ الثّانيةَ، يعتنقُها 23.2 بالمائة من سكانِ العالم. بالمقابل يُعدّ اليهودُ أقلَّ المجموعاتِ الدّينِيَّة، بنسبة لا تَتَعَدَّى 0.2 بالمائة، فيما لا يَتَجَاوَزُ عَدَدُهُم 14 مليونَ شخص[1].

هَذِهِ الدّراسةُ من نتاجِ عصْرِ حوارِ الحَضَارَات الدّينِيَّةِ فِي القَرْنِ 15هـ/ 21م، ليتَ لَنَا مِثْلَها فِي القَرْنِ 1هـ/ 7م، إِذْ اسْتَشْرَى الصّراعُ بَيْنَ الحَضَارَات، وحروبُ الْفُتُوحِ عَلَى قَدَمٍ وسَاق، فَقَدْ واجهتْ الدَّوْلَة العَرَبِيَّة الدّولتينِ الكُبْرَيَيْنِ، اكتسَحَتْ الدولة الفارسيَّةَ، واستولت على أراض مهمّة من الدولة البِيْزَنْطيَّةَ ، فِي بِضْعَ عشرةَ سنةً، واستحوذَتْ عَلَى الأضواءِ السِّيَاسِيَّة والدّينِيَّة، لَوَقَفْنا- عَنْ كثَبٍ- عَلَى الخَارِطَةِ الدّينِيَّة آنَذَاكَ، وتعرّفنا الى تَطَوّرِ الحَرَاكِ الإِسْلَامِيّ الْمَسِيحِيّ، وحَقِيْقَةِ العَلاقَاتِ الدّينِيَّةِ والاِجْتِمَاعِيَّة، فِي ظِلّ النّظامِ السِيَاسِيّ الإِسْلَامِيّ.

1 - ياسر المختوم: "وقفات مَعَ دراسة "بيو" الأمريكية حول "خريطة الأديان فِي العالم" (مركز نماء للبحوث والدراسات، الرّياض) 2013/3/25.

إنَّ بقاءَ الْمَسيحيَّةِ والإِسْلَام يحتلَّان المساحةَ الكُبْرَى عَلَى خَارِطَةِ الأَدْيَان مِنْذُ قرون، كَانَ مدْعَاةً لانْبِثَاقِ المَوْضُوعِ، وَكَادَتْ طبيعةُ التّعامُلِ بَيْنَهُمَا تُعطيهُما ديمومةَ التَّفوُّقِ فِي البقاء، ومِنْ هُنَا احتاجتْ إلَى بيانٍ وتفسير، لِذَا رَشُحَ عُنْوان " العَلاقَاتُ الإِسْلَاميّةُ الْمَسيحيَّة فِي القَرْنِ الأَوَّلِ الهِجْرِيّ/ السّابع المِيلادِيّ: بحَثَ فِي جذورِ الفكْرِ الإِسْلَاميّ والمُمَارَسَةِ التّاريخيّة"، أو الإسلام والمسيحيّة: سيسيولوجيّة العصور التأسيسيّة.

أخذَ البحثُ يُعْنَى بانواعِ العَلاقَاتِ الَّتِي يتَجَلَّى من خِلَالِها طبيعةَ التّعامُلِ الْمَسيحِيّ الإِسْلَاميّ، وتَعَايُش أصحاب الدّينيّن، ويرسِمُ حدُودَ الْحَرَاك الْمَسيحِيّ، فِي بِيئَة صدْرِ الإِسْلَام فِي مُخْتَلف العَلاقَات.

العَلاقَات السّيَاسِيَّة، أي علاقةُ الْمَسيحِيّينَ بالدَّولَة العَرَبِيَّة فِي المائة الأُولَى، أي فِي عصر الرّسالة، وعصر الخِلَافَة الرّاشدة، وعصر الدّولة الأُمَوِيّة، ويعرِّج عَلَى مفهوم العلاقة السِّيَاسِيَّة بَيْنَ الْمَسيحِيّينَ مَعَ الدّول السّابقة، لاسيَّما دولة فَارِس وبِيْزَنْطة، ويوازن بَيْنَهَا.

والعَلاقَات الدّينِيَّة، أي علاقة الْمَسيحِيَّة فِي الإِسْلَام، مِنْ حَيْثُ المفهوم، ورأي مصادر التّشريع الإِسْلَاميّ، القُرآن والسّنَّة النَّبَوِيّة فِي الدّيَانَة الْمَسيحِيَّة. والْحَرَاك الدّينِيّ للمَسيحِيّينَ المُتَمَثِّل فِي تنظيماتهم الْكَنَسِيّة، ومَدى انتشَارِهَا، وتأْدِيَة طُقوسِهم.

والعَلاقَات الْحُقُوقِيَّة تمثَّلَتْ فِي الْحُقُوق الدّينِيَّة والسِّيَاسِيَّة والاجْتِمَاعِيَّة لغيرِ الْمُسْلِمِينَ بعَامّة، والْمَسيحِيّينَ بِخَاصَّة، هِيَ المتصدّرَة فِي مصادِرِ التّشْرِيع، والنُظُمِ الإِسْلَاميّة، فأقدَمُ مواردِها القُرآن، والعُهودُ والمواثيقُ الَّتِي كتبَها الرّسول مُحَمَّد والخلفاءُ الرّاشِدُون، فَقَدْ أقرَّتْ بِهَا الدّولَةُ الرّاشِدَةُ والأُمَوِيّةُ، الا بعْضُ الخُلَفاءِ والحُكَّامِ اجتهدوا وغيروا.

والعَلاقَات الاجْتِمَاعِيَّة المعنيَّةُ بالعيشِ المُشْتَرَك - بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيِّينَ- فِي ظِلّ الدَّوْلَة العَرَبِيَّة، أضحَتْ ضرُورةً تاريخيَّةً واِجْتِمَاعِيَّة، لتوافُرِ روابِطَ متعدِّدَة بَيْنَ أفرادِ المُجْتَمَع، إِذْ يَحْيَوْن عَلَى أرضٍ واحدة، ويتكلمون لُغَةً واحدة، وتجمعهم همومٌ وطموحاتٌ مُشْتَرَكَةٌ، وأهمُّ من ذَلِكَ، تجمعهم وحدانيَّةُ العُبُودِيَّة لله تعالى، والَّتِي هِيَ دعوة جميع الرّسل والأنْبياء. وبفضل هَذَا الإيمان وَهَذِهِ الرّوابط والمُمَارَسَات الايجابية فِي ظِلّ الدَّولَة العَرَبِيَّة، تبلورت شَخْصِيَّة حَضَارِيَّة قامت عَلَى المشاركة فِي الاحتفالات والمناسبات الدّينِيَّة، والاِجْتِمَاعِيَّة، والاقتصاديّة، والفِكرِيَّة، والإِدَارِيَّة.

كلّ ذَلِكَ مَرَدُّه إلَى تِلْكَ الْحُقُوق المُتنامِيَّة فِي المُواطنِيّة، الَّتِي أُعطِيَت للنَصَارَى، بحيث شعروا أنّهم جزءًا فاعلا فِي المُجْتَمَع، وَلَمْ يشعروا بحالةِ اغتراب مَعَ السّلطة آنَذَاكَ. وَلَمْ تقمْ العلاقةُ عَلَى عُقودِ الأمَان والحِمايةِ فحسْب، وإنَّمَا لَمْ يَحْظَ الإِسْلَامُ أيّ عملٍ يدوِيّ أَوْ فِكْرِيّ عَلَى الْمَسِيحِيّينَ. فَضْلًا عَنْ أَنَّ هَذِهِ الدّرَاسَةَ استوعبتْ أفنانَ العلاقةِ بَيْنَ الْمَسِيحِيّينَ والمُسْلِمِينَ، مِنْ تَزَاوُج وتزاوُر، وتعارف، وتبادلِ مَعَارِفَ ومَصَالِحَ وحُقُوق، جميعُها تُعَدُّ تَرْجَمَةً لتَعَايُشٍ واضِحِ المَعَالِمِ، نَرْدِفُهُ بنَمَاذِجَ تَارِيخِيَّةٍ وأَدَبِيَّةٍ وتَعْلِيمِيَّةٍ أُخْرَى.

ترصَّدَ البحثُ النّشاطاتِ الْمَسِيحِيَّة الإِسْلَامِيّة، الَّتِي تُنَمِّي عَلاقَاتِ التّقارُبِ والتّعَايُشِ، واسْتَقْصَى الحَرَاكَ الْمَسِيحِيَّ فِي بِيئَةِ الدَّوْلَة العَرَبِيَّة، وَهُوَ يَتَّجِهُ إِلَى التّأثِيرِ والتأثر بينَ مُجْتَمَعَاتِ البَحْثِ. ومن أجل ذَلِكَ، فالبحث لَيْسَ معنيًّا بالأنشطةِ الْمَسِيحِيّة، الَّتِي تمارس داخل المحيط الكاثوليكيّ أَوْ الأرثودوكسيّ فِي الحاضرةِ الرّومانية أَوْ البِيزَنْطِيَّة، وإنَّمَا يُعْنَى بالتّوجهات الدّينِيَّة: اللاهوتية والعقدية، والتّنظيمات الْكَنَسِيّة للمَسِيحِيّة فِي المحيط الإِسْلَامِيّ، والمُتَمَثّلة بالنَّسْطُورِيّةَ واليَعْقُوبِيّةَ والقبطِيَّة والمَلَكِيّة. ويعتمد مَوْضُوعِيًّا، تسليط الضَّوء عَلَى الْمَسِيحِيّة فِي الفكر الإِسْلَامِيّ، فِي مصادره الأُولَى القُرْآن والسّنَّة النّبَوِيّة، وتاليًا سِيَر الخلفاء،

ودراسة حالات عَمَلِيَّة من المُمَارَسَة التّاريخيّة لجماعات، أَوْ أفراد فِي خِضَمِّ العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة.

نظراً لاتساع رقعة البحث، وقصداً لتقديم رؤية مَوْضُوعيَّة ناضجة، فَقَدْ عُنِيَ البحث -فِي **حد المكان**- بالحَرَاك الْمَسِيحِيّ فِي: الشّام، والعِرَاق، ومَصْر، واليمن، ونَجْرَان، ومَكّة، وعُمَان، وَحَتَّى الحَبَشَة، وما تكتنزه من صلات التّأثير والتّأثر فِي الْمَسِيحِيّة الْعَرَبِيّة، وَلَمْ يتعرض للمَسِيحِيّة فِي بلاد فَارِس والهند، أَوْ فِي روما و القُسْطَنْطِينِيَّة.

اشْتَمَلَ **حد الزمان** عَلَى المائة الأُولَى للهجرة، الَّتِي وُضعتْ فِيهَا لَبِنَات العلاقة الْمَسِيحِيّة الإِسْلَاميّة، فِي عُصور الدَّولَة العَرَبِيَّة الأُولى: عَصْر الرّسالة، عصر الخِلَافَة الرّاشدة، وعصر الدّولة الأُمَوِيّة، وَقَدْ يُوَظِّفُ مَا يستبقها أَوْ يتأخر عَنْهَا بقدر من الزمان، ذي العلاقة المَوْضُوعيَّة فِي البحث.

لماذا استغرقت البحث الفترةُ فِي بداية الإِسْلَام ؟ لِأَنَّهُ سعى إِلَى ابراز الأصالة فِي العلاقة الْمَسِيحِيّة الإِسْلَاميّة فِي طورها الأَوَّل، من خِلَال استكناه الحَقِيقَة فِي المُمَارَسَة التّاريخيّة، وقراءة الفكر الإِسْلَاميّ، الَّذِي عُنِيَ بحقوق غير الْمُسْلِمِينَ.

تكمُن **الإشكالية** فِي مَاهِيَّة الظّاهرة الْمَسِيحِيّة، ومدى تفاعلها، واندماجها فِي البِيئَة الإِسْلَاميّة، وحجم العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة فِي ضَوْءَ المُتَغَيِّرَات الدَّوْلِيّة، فِي الأبعاد التّاريخيّة والاِجْتِمَاعِيَّة والثّقافِيّة فِي القَرْن الأَوَّل الهِجْرِيّ/ السّابع الميلادِيّ. وترمز الى المتغيرات التاريخية والفكرية في إِنَّ الإِسْلَام التّاريخيّ، هلْ هُوَ نَفْسُهُ الإِسْلَام النّبَوِيّ أَوْ القرآنِيَّ؟ أو أنَّه أتخَذَ نَمَطِيَّةَ قائمة عَلَى مصالح الذّاتِ التاريخية؟، أو أخذ دَوْرًا مُغَايِرًا للإِسْلَام النّبَوِيّ؟.

مَا **فرضيات** البحث؟ إنَّ توالي الدِّيَانَات الكِتَابِيَّة زَمَنِيًّا، لَهُ أَهَمِّيَّةٌ كبيرةٌ فِي فَهْمِ العلاقة بَيْنَ تِلْكَ الدِّيَانَات. وانَّ المذاهب الْمَسِيحِيَّة التي خرجت عن ربقة مذهب الدولة البيزنطية، وقطنت فِي بلاد الْعَرَب كَانَتْ تعاني من أنظمة الحكم قَبْلَ الإِسْلَام، وان وافقتها فِي الدِّيَانَة، إِلَّا أَنَّها خالفَتْها فِي المَذْهَبِيّة، ما حقَّق لديْها قبُولًا للفتوح الإِسْلَاميّة والدَّولة الْعَرَبِيّة. وأَنَّ العَلاقَات الإِسْلَاميّةَ الْمَسِيحِيَّة فِي المائة الأُولَى قَدْ مُنِيتْ بمقدماتٍ تاريخيّة ودِينِيَّة، وفّرَتْ المناخَ النّفسيَّ لتأسيس لَبِنَاتها.

إنّ نشأة الإِسْلَام فِي البلاد الْعَرَبِيّة لَمْ يَكُنْ اعتباطا، بَلْ جاء لملء الفراغِ الدّينِيّ، الَّذِي سَبَّبَهُ تَوَسُّعُ الشَّتَاتِ فِي الأفكارِ والمذاهب الدّينِيَّة، من جانب، وانتشار الوَثَنِيّة فِي البلاد الْعَرَبِيّة، من جانبٍ آخر. وإنَّ القُرآنَ أَوَّلُ كتابٍ سماويّ يشرحُ عَنْ الدِّيَانَات، ويُقَدّسُ كُتُبَها، ويَعُدُّ الإقرارَ بِهَا شَرْطًا للإيمانِ فِي الإِسْلَام، ويُزِيدُ عَنْ الْمَسِيحِيَّة ورموزِها الدّينِيَّة، ويخُصُّهُمْ بالمَوَدَّة. وإنّ الرّسولَ مُحَمَّدًا كَانَ لَهُ علاقةٌ طَيِّبَةٌ بالموحدينَ والْمَسِيحِيِّينَ قَبْلَ الإِسْلَام، ووَثَّقَها بالحُسْنَى فِي الإِسْلَام، فدَعَاهُم إِلَى التّقارُبِ والإلتِّقَاءِ فِي بَوْصَلَةِ الحِوَارِ على المشتركات، ومَنَحَهُمْ عُهُودًا، مَلاكُها: أَنَّهُمْ فِي ذمةِ اللهِ ورسولِه، ودماؤهم وأموالُهم حرامٌ.

إنّ فكرةَ الجهاد في الإسلام، وما سايرها عمليًّا من فتوح، كان لها دورٌ في توسيع نفوذ الدَّوْلَة العَرَبِيَّة، ونشرِ الإسلام على حساب المسيحيَّة والديانات الأخرى، وفي ضوئها أُسِّسَ لعلاقات جديدةٍ مع غير المسلمين، وتعايشهم في المجتمع الإسلامي. وإنَّ حقوقَ غيرِ الْمُسْلِمِينَ ولاسِيَّمَا الْمَسِيحِيِّينَ، حَفظَتْهَا الشّريعةُ المُتَمَثِّلةُ بالكتابِ والسُّنَّةِ النّبَوِيّة الصّحيحة، وكَانَتْ مدوَّنةً ومعلومةً، غير أنّ بعضَ الخلفاءِ والحكامِ كَانُوا يجتهدونَ عَلَى صاحبِ الشّريعة، ويعملونَ برأيِهِمْ، مِمّا سَجَّلوا خَرْقًا فِي صميمِ العلاقةِ الإِسْلَاميّةِ الْمَسِيحِيّة. وإنَّ تَوَافُرَ أسبابِ التّعَايُشِ الْمَسِيحِيّ فِي الْمُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيّ، وتَوَفُّرِ آلِيَّاتِه فِي ميادينِ الحياةِ، منحَهُم وجودًا متميزًا فِي الحضارَةِ والتّراثِ الفِكْرِيّ والعلمِيّ الإسلاميين. لَعَلّ عدم وجود الفراغ الْمَسِيحِيّ،

وانغماس الْمَسِيحِيِّينَ فِي المهامّ الحياتيَّة والأعمالِ والعلوم والفنون المُخْتَلفة، عَزّزَ وجودَهم الاِجْتِمَاعِيّ والحضاريّ في الدولة العربيّة.

ومن أهم **الأسئلة** الَّتِي صيغت حول الفرضيات: كَيْفَ كَانَ الْمَسِيحِيّون عَلَى اختلاف مذاهبهم فِي ظِلّ الدّولتين الفارسيَّة والبِيْزَنْطيَّة؟ و كَيْفَ أضحوا فِي ظِلّ الدَّولَة العَرَبِيَّة؟. وكَيْفَ كَانَتْ طبيعةُ التّكيُّف الْمَسِيحِيّ فِي ظِلّ الدَّوْلَة العَرَبِيَّة حَتَّى نهاية القَرْن الأوَّل الهِجْرِيّ؟. مَا آلَتْ إلَيْه الْمَسِيحِيَّة من ضُمورٍ فِي وجه تيارِ الدّين والدّولة الإِسْلَامِيّين؟. وكَيْفَ نشأ الإِسْلَام فِي جَزِيْرَة الْعَرَب، وأسَّس دولةً تُضاهي الدّول الكُبْرَى؟

مَاهِيَّة الجهاد في الإسلام؟. ما ملاك الْفُتُوح الإِسْلَاميّة، وما أسبابُها ونتائجها؟. كَيْفَ أضحتْ تنظيماتُ الْمَسِيحِيّينَ الدّينِيَّة فِي عصور الدَّوْلَة العَرَبِيَّة: الرّسالة- الرّاشِدِين- الأُمَوِيّين؟. كَيْفَ أصبحت العَلاقَات الْمَسِيحِيَّة الْمَسِيحِيَّة فِي عصور الإِسْلَام الثّلاثة، بعد أنْ كَانَتْ قَبْلَ الإِسْلَام إقصائية؟. هل كَانَتْ ثَمَّةَ فُسْحَةٌ من الْحُرِّيَّة فِي نشر الْمَسِيحِيَّة وتمددها أمام أنظار الدَّولَة العَرَبِيَّة؟. هلْ كَانَتْ عنايَةُ النّصوصِ القرآنيَّة التّاريخيّة بأهل الكتاب عَامّة، والْمَسِيحِيّينَ والْمَسِيحِيَّة خَاصَّة ورموزها الدّينِيَّة، تتناسبُ ووجودَهم الدّينِيّ والاِجْتِمَاعِيّ عَلَى خَارِطَةِ الدَّولَة العَرَبِيَّة.

إنّ تعاملَ الرّسول مُحَمَّد مَعَ أهل الكتاب، وَبِخَاصَّة الْمَسِيحِيّينَ، سُنَّةٌ وشَرِيعَةٌ، اقْتَضَى أنْ يتّبِعَهَا خُلَفَاءُ الدّولَتَيْنِ الرّاشِدَة والأُمَوِيّة وولاتهما، فهَلْ كَانُوا كَذَلِكَ؟ مَا نِظَامُ الذِّمَّة القائمُ عَلَى ضَرِيبَة الْجِزْيَة؟، مَاهِيَّتُهُ؟، وَكَيْفَ أذْعَنَ لَهُ أهْلُ الكِتَابِ؟، وَكَيْفَ قرأه الْمُسْلِمون؟. كَيْفَ تَعَايُش الْمَسِيحِيّون فِي الْمُجْتَمَع الإِسْلَاميّ، تعبيرًا عَنْ وجودهم الزاهر فِي ارتقاء حضارة القرون الإِسْلَاميّة الأولى؟.

مَا **الفائدة** الَّتِي يُقَدّمها المَوْضُوع؟ هلْ تنبثق الفائدة من أهَمّيّته، الَّتِي تَجَلَّت فِي رسم أبعاد العَلاقَات بَيْنَ الْمَسِيحِيَّة والإِسْلَام فِي المائة الأولى، من نشأة

الإِسْلَام فِي تأسيسِ بُنَى التّعَايُش الاِجْتِمَاعِيّ لأجيالٍ تَلَتْهَا، وحسْبُها أَهَمِّيّة أَنَّها حِقْبَةُ تأسيسٍ وتشريعٍ للعلاقاتِ الإِسْلَاميّةِ الْمَسِيحِيّة.

لامندوحَةَ من دراسةِ الماضِي للماضِي، بَيْدَ أَنَّ البحثَ يصْبُو إِلَى الإِفادَةِ مِنْ تَفَحُّصِ صُورَةِ العَلاقَات بَيْنَ الحَضَارَتَيْنِ الأَكْثَر شُيوعًا فِي العالمِ الدّينِيّ، وفَهْمِ كُنْهِهَا، لِمَا فِيهَا مِنْ أَصَالَة. وأَنْ نَسْتَلّ مِنْهَا حُزَمًا مُضِيئَةً فِي عَصْرِنَا المَوْسُومِ بِمُصْطَلَحِ "**حِوَارِ الأَدْيَانِ**" بِعَامَّة، ومَشْرُوعِ "**الحِوار الْمَسِيحِيّ الإِسْلَامِيّ**" بِخَاصَّة، مِنْ أَجْلِ الإِفادَةِ مِنْ التّجْرِبَةِ التّاريخِيّة، والكَشْفِ عَنْ مواطِنِ القُوّة فِيهَا لتعْزِيزِهَا، وتعْمِيقِ الإِيجَابِيّ مِنْهَا، وتبْيَانِ مَنَاطِقَ الضَّعْفِ لتوجِيهِها، وتَشْخِيصِ السّلْبِيّ بِهَدَفِ أَنْ لَا يَكُون لَهُ حُضُورٌ، كَرَّةً أُخْرَى. بُغْيَةَ أَنْ تكونَ نُقْطَةَ انْطِلاقٍ فِي بِناءٍ تأريخيّ سَلِيمٍ لِمُسْتَقْبَلِ العَلاقَاتِ بَيْنَ الدّينيّن الشّقيقيْنِ. أَيْ استِيعابِ تجْرِبَةٍ من أَهَمّ تَجَارِبِ التّعَايُشِ الإِسْلَامِيّ الْمَسِيحِيّ، لتكونَ مِشْكَاةً عَلَى خَارِطَةِ طَرِيقِ الحِوارِ والتّعَايُشِ بَيْنَ الأَدْيَانِ الكُبْرَى.

إِنَّ دِراسَةَ العَلاقَاتِ الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة -عِبْرَ عصورِ الدّولة الْعَرَبِيّة- نَوَاةٌ لها أَهَمِّيّة كَبيرة فِي اسْتثمارِها، وتهذيبِها، والارتِقاء بِهَا عَلَى خَارِطَةِ العَلاقَاتِ المُسْتقبليَّة بَيْنَ أَبْناءِ الدّيانتيْنِ الكبْرَيَيْن فِي العالم. فَضْلًا عَنْ أَنَّ لَها أَهَمِّيّةً ثَقافِيّةً وتربويَّةً، فِي قراءة جديدة للتاريخ الإِسْلَامِيّ، فِي كتب الأدب والاِجْتِمَاعِ والتّراث لَدَى جناحي البحث، الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ.

مَا يُقَدِّمُهُ البحثُ منْ جديدٍ؟ تنْصَبُّ الحالَةُ البَحْثِيَّةُ عَلَى عرْضٍ وتحليلِ أَهمّ الدّراسات السّابقة حول المَوْضُوع، ويشتملُ البحثُ عَلَى جوانبَ عِدّة: تاريخيّة، وحقوقيّة، واِجْتِمَاعِيَّة، وحَضَارِيّة، فأَمَّا من كتب عَنْ تاريخ الْمَسِيحِيّة فهم قلّة من الباحثين الْمَسِيحِيّينَ أمثال: الأب عزيز سوريال، والأب ألبير أبونا، عَنْ تاريخ الكَنِيسَة الشَّرْقِيَّة ابتداء من القَرْن الأَوَّل للميلاد حَتَّى القَرْن التّاسع عشر، ومن المؤكَّدِ أَنَّ أَيَّة دراسةٍ لأطلس الْمَسِيحِيّة عبْرَ هَذِهِ القرون، ستمرُّ سريعا

عَلَى أَيَّةِ حِقْبَةٍ، وَبِخَاصَّةٍ القَرْن 1هـ/7م عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَهَمِّيَّتِه فِي التَّغيّرات الدَّوْلِيَّة فِي الفكرِ السِيَاسِيّ والدِّينِيّ. ومن الباحثين من خصَّ دراستَه عَنْ الْمَسِيحِيَّة فِي بلد وعصرٍ معيَّنين، نحو: "أحوال نَصَارَى العِرَاق فِي خِلَافَة بني أمية" للأب سهيل قاشا، و"تاريخ نَصَارَى العِرَاق" و"أحوال نَصَارَى بغداد" لروفائيل بابو إسحاق، و" احوال النَّصَارَى فِي خِلَافَة بني العباس" لجان موريس فييه. فانها كَانَتْ- بالضَّرورة – خصْبَةً مَوْضُوعيًّا فِي حدود زمكانيَّة البحثِ، وَقَدْ يقترب من مَوْضُوع هَذَا البحث فِي قسم مِنْهُ.

أَمَّا مَا كتبَ عَنْ الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة، فأغلبُها بحوثٌ سريعةٌ فِي مناولةِ الخبر، نُشِرَتْ فِي المجلات، نحو: كتابات البِطْرِيرَك مار أغناطيوس زكا عيواص، وكتابات سيار الجميل؛ ومن المؤلفات كتاب "الْعَرَب النَّصَارَى" لحسين العودات، فَهُوَ دراسة تاريخيّة وصلت بالْمَسِيحِيَّة إلَى القَرْن العشرين، وَهَذَا مَا ألزمه الاختصار فِي الْمَسِيحِيَّة فِي صدر الإِسْلَام.

لَعَلَّ الدّراسة المُهِمَّة حقًّا فِي هَذَا المَوْضُوع هِيَ "الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة وتَطَوّراتها من نشأتِها حَتَّى القَرْن الرّابع الهِجْرِيّ-العاشر الميلادِيّ"، للباحثة التّونسية "سلوى بالحاج صالح". يقع الكتاب فِي ثلاثة أقسام رئيسة، يدرس القسم الأول الْمَسِيحِيَّة عِنْدَ الْعَرَب فِي الشّام والعِرَاق والجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة قَبْلَ الإِسْلَام. ويدرس القسم الثّاني الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة فِي فترة الخِلَافَة الرّاشدة. أَمَّا القسم الثّالثّ فيدرس أحوال الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة فِي دار الإِسْلَام المشرقية فِي العصرين الأُمَوِيّ والعباسي الأول؛ إِذْ يتناول الظّاهرة الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة فِي دار الإِسْلَام، وعلاقتَها بالكَنِيسَة فِي تِلْكَ العصور، وموقعَ الدّولة والمجتمع والفقه الإِسْلَاميّ من الْمَسِيحِيِّينَ الْعَرَب، ودورهم فِي الدّولة والمجتمع، واختَصَّ الفصلُ الأخير من هَذَا القسم لمعالجة زوال الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة فِي القَرْن الرّابع الهِجْرِيّ.

خاضت الكاتبة مَوْضُوعًا صعبًا ومتشعّبا، طالتّ مدَّتُه سبعة قرون. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّها استطاعت أَنْ تؤلّف من هَذَا الشّتات أطروحةً، ترقى إلَى التّكامل

فِي الجانب التّاريخيّ، إِلَّا أَنَّ طول مدة البحث تمثل عائقا فِي توسيع دائرته فِي الجانب المنهجي.

ومن الجانب المَوْضُوعي خلُصَتْ إِلَى أَنَّ الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة بَعْدَ مرور أربعة قرون فِي ظِلّ الإِسْلَام، ستزول بشكل تلقائي، بسبب الموت الطّبيعي والأسلمة التّلقائية وانفتاح الْمَسِيحِيّينَ الْعَرَب عَلَى الْمُسْلِمِينَ ومصادقتهم ومصاهرتهم. وَهَذَا مَا ناقشتُه فِي غضون البحث.

يرصد البحث حالات عَمَلِيَّة من المُمَارَسَة التّاريخيّة، مَعَ تبيان تفاصيلها، واستنطاق الأحداث، مِمَّا يعمّقُ فَهْمَ مفرداتِ المَوْضُوع، والتزود بالمعرفة الصحيحة عن تاريخ العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيَّة من مصادر الطّرفين، وإعادة قراءتها عَلَى نحو محايد، أَوْ معاينة المشكل مِنْهَا بعين التّقريب، يساعدُ عَلَى رسم خَارِطَة العَلاقَات بَيْنَ الأَدْيَان، من خلال بيان الفارق بين الإسلام القرآني والنبوي (عصر التشريع)، وبين الإسلام التاريخي (عصر التأويل). بيد أنّ تبيانَ حجمِ الوجودِ الحضاريّ للمَسِيحِيّينَ فِي المُجْتَمَع الإِسْلَاميّ، ودورِهم فِي إرساء النّظم الإِنْسَانِيَّة، يكشف عَنْ مدَى مشاركتِهم فِي وضع البُنَى الحياتيَّة وقيميّتها وترسيخها.

ارتكز البحث عَلَى المنهج التّاريخيّ في سرد واقع الأحداث والدول لتبيان العلاقات السياسية، واعتمد المنهج الوصفيّ التّحليليّ، وَهُوَ المنهج الَّذِي يسعى إِلَى وصفِ الظّاهرة الْمَسِيحِيَّة وعلاقاتِها فِي المُجْتَمَع الإِسْلَاميّ، ومحاولةِ البحث فِي جوانبها للوقوف عَلَى أسباب نموِّها أَوْ ضمورِها، ونتائجِها، وأثرِها الحضاريّ، والإفادة مِنْهَا كتجربة سيسيوانثربولوجية. وَلَمَّا كَانَ المَوْضُوعُ شائكًا محفوفًا بالمتغيراتِ الدّينِيَّة والتّاريخيّة، فانّي التّزمتُ المنهجية التّاريخيّة فِي اتباع الحَقِيْقَة، والمَوْضُوعيَّة فِي البحث، للخروج عَنْ الإيديولوجيَّة، والسّجالات، والتّحريف، الَّتِي غلَّفت الحوادث التّاريخيّة.

فَضْلًا عَنْ أَنَّ البحثَ أفَادَ من قراءةِ المُمَارَسَة التّاريخيّة، ومعالمِ الفكر الإِسْلَاميّ، لِتبْيَانِ إِدَارَة التَّنَوُّع الدّينِيّ والمَذْهَبِيّ فِي بداية الإِسْلَام، وأهَمِّيَتِهَا فِي نَشْأة وتَطَوّر العَلاقَات الْمَسِيحِيّة الإِسْلَاميّة.

حريّ بي فِي هَذَا البحثِ أنْ التزم بمبانيَ البحث العلميّ، في أنْ أُأَسِّس لمنهجي في الكتابة، على الموضوعيّة العلميّة في استكناه مسائل التراث الفكريّ، وأوزنَ مسائله بـ"الميزان الإنسانيّ"، في معزل عن قيود التقديس الموروث، وأنْ أناقشَ الأفكارَ، وما تمخَّض عنها، وأعرضَ الإيجابيّ من دون مبالغة، وأكشفَ عن السلبيّ من غير تشويه.

على أنّي اعتمدت المَنْهَجِيَّة عَلَى تشخيصِ ودراسةِ حالَاتٍ عَمَلِيَّة، فِي المُمَارَسَة التّاريخيّة فِي مفردات الدّراسة، مِنْهَا فِي التّعامل الإيجابيّ مع الْمَسِيحِيّينَ، أدرجتُ مثلا، عمرو بن العاص فِي مِصْرَ. أَمّا فِي مجال التّعامل السّلبي فناقشت مَا أحدثه الوليد بن عبد الملك من اعمال، مِنْهَا: الاستيلاء عَلَى الكَنِيسَة. وكذا الولاة الأُمَوِيّين فِي العِرَاق، أمثال: مُحَمَّد بن عبد الملك، والحجاج. تهجير مسيحيّ نَجْرَان إلَى نَجْرَانيَّة الكوفة، وتبيان حقوقهم، وعدم قبول الإمام عليّ إرجاعَهم. مشاركة الْمَسِيحِيّينَ الْعَرَب مَعَ الْمُسْلِمِينَ الْعَرَبِ فِي الْفُتُوح، أفرادًا وقَبَائِلَ فِي العِرَاق والشّام. هجرةُ قسمٍ من تَغْلِب، وأَنَفَة القبيلة من نظام الْجِزْيَة، وتحويلها إلَى الصّدقة المضاعفة. كما وعرضت الممارسة التاريخيّة على مصادر متنوعة بحسب قراءتها الدينية أو المذهبية، وقارنت بينَها على معياريَّة الإنسانيَّة.

عرض البحث أمثلة عَن التّعَايُش الْمَسِيحِيّ فِي الْمُجْتَمَع الإِسْلَاميّ، نحو اندماج الشّعراء فِي الْمُجْتَمَع، مثل أبي زبيد، وزواج الفرزدق. ودَوْر أمكنة التّعليم والدّارات فِي التّفاعل الاِجْتِمَاعِيّ.

أَمّا **أهم مصادر البحث**، فللمصادر الْمَسِيحِيّة أَهَمِّيَّة كبيرة، فِي تدوين تأريخ انتشار الْمَسِيحِيّة فِي بلاد الْعَرَب وتاريخ القَبَائِل الْعَرَبِيّة، وعلاقات الْعَرَب

بجيرانهم الرّومان والفرس، ولها قيمة تاريخيّة متميزة؛ لأنَّها عِنْدَ عرضها للحوادث، تربطها بتأريخ ثابت معيَّن، مثل المجامع الْكَنَسِيّة، أَوْ تواريخ القديسين، والحروب وأوقاتها فِي الغالب مضبوطةٌ مثبَّتة.

كَمَا حَوَتْ المصادرُ السّرْيانيّة معلوماتٍ مهمَّة، فِيمَا يخُصُّ المجامع الْكَنَسِيّة، الَّتِي حضرَها أَسَاقِفَة من الْعَرَب، وما آلَتْ إلَيْه من قرارات، فَضْلًا عَنْ تبيانِ الأسباب، وَكَذَلِكَ التّعريف بالآراءِ والمذاهب الْمَسِيحِيّة، الَّتِي ظهرت بَيْنَ نَصَارَى الْعَرَب، وتتيحُ إلَى معرفة الأبرشيّات الْعَرَبِيّة التّابعة للكَنِيسَة النَّسْطُورِيّةَ أَوْ اليَعْقُوبِيّةَ، وأسماء عديد من أساقفتها. وتقدِّم الدّليل عَلَى الرّقِيّ الثّقافِيّ مجموعة كبيرة من المصادر المتعلقة بالأنشطة العظيمة للمدارس العليا، مثل: أكاديميَّة الرّها، ونصيبين، وجنديسابور، الَّتِي ارتبطت بأسماء عدد من العلماء، أسهموا فِي الحَرَاك الحضاري.

من أقدمها "تاريخ هرقل" لـ"سبيوس Sebios" المؤرِّخ الأرمنيّ الذي عاصر الفتوحات الإسلاميّة، وكتب عنها بتفصيلٍ كشاهد عيان، إذْ رسم لوحةً واضحة المعالم لأحداثِ عصره بوجهٍ عام، وتاريخ بلاده السياسيّ بوجهٍ خاص، ودقَّق في نقل المعاهدات، وأنفرد بقسمٍ منها، كمعاهدة العرب مع الأرمن إبَّان الفتح، كما وتحدَّث باسهاب عن الشقاق بين مذهبيّ الدولة والأرمن المنوفزيتي[1]. هذا ما يمنحه قيمةً علميَّة، زدْ على ذلك، أنَّه يُعَبِّر عن رأي المَسِيحِيِّينَ الأرمن فيما قبل الفتوح، وما آلت إليه بعدها. في غضون هذه المُعطيات المهمَّة، التي توافر عليها، أفدتُ منه في البحث.

ومن أهم المصادر السريانية اهتماما بالتاريخ الإسلامي "تاريخ مِيخَائِيل الكبير" بِطْرِيك الكَنِيسَة السّرْيانِيّة الأرْثُوذَكْسِيَّة (561- 595هـ/ 1166-

1 - انظر: فـايز نجيب اسكندر: **المسلمون و البيزنطيون و الأرمن في ضوء كتـابـات المؤرخ الأرمني سبيوس**، (دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1993) ص10- 75.

1199م)، إذْ نقَلَ احداثًا سياسيَّة، وحوادثَ طبيعيَّة أَلَمَّتْ بالمنطقة، ومعلومات مفصَّلة عن علاقة الحكام المسلمين بمشاهير المَسِيحِيِّينَ، وعُمَّال الأَمْصَار ورؤساء القبائل العربيَّة وعامة الناس[1]. وقد وضع ميخائيل السرياني نصب عينيه الإقتباس من الكتّاب الكنسيِّين، فهو يكتب لإخوانه المؤمنين للموعظة الحسنة، وللأخوة المجتهدين للتنوير، لأجل أنْ يحظى بالثواب وتخليف أثر بإسمه في الوعي التاريخي السرياني[2]. هذا ما وفَّر له مكانة علمية ومساحة في الإفادة منه في بؤرة بحث العلاقات الإسلامية المسيحيّة. وهو لا يقل في مساحة الفائدة التي حمَّلتها من "أخبار فطاركة كرسي المشرق" من كتاب (المجدل للاستبصار والجدل) الَّذِي ضمنه تاريخ وعلوم النَّسَاطِرَة ماري بن سليمان (ق6هـ/ 12م).

اشتهر ابن العِبْري (ت685هـ/ 1286م) المؤرخ السرياني، بإسهامه فِي الدّراسات التّاريخيّة وحقّقَ رغبتَه فِي إتمام تاريخ عـالمي فِي ثلاثة تواريخ: تاريخ السّريان، والتّاريخ الْكَنَسِيّ ألفّه باللغة السّرْيانيّة، وما يسمّى بتاريخ الْعَرَب، ولقد جمعها كلّها فِي نهاية حياته فِي أسلوب عربيّ مؤثّر تَحْتَ عنوان " **مختصر تاريخ الدّول** " ولَا شَكّ فِي أَنَّهُ أخذ معلوماته من تواريخ سريانيَّة وعربيَّة وفارسيَّة، وأفاد من وفرة المصادر الَّتِي تركها سلفُه مار مِيخَائِيل الكبير، والّتِي أضاف إلَيْهَا مكتسبات كثيرة.

غطّى ابن العِبْري تاريخ الإنسان كلّه مِنْذُ الخليقة، أَمّا بالنّسبة إلَى الكتابات المبكّرة، فَقَدْ أوجز تاريخ مِيخَائِيل الكبير. إذ إنّ التّـاريخ المدنيّ مِنْذُ الخليفة وَحَتَّى عهده عامّ فِي أسلوبه، أَمّا التّاريخ الْكَنَسِيّ من هارون إلَى مَا بَعْدَ العهد الرّسولي فَهُوَ موجز، ثُمّ يصبح بعدها تاريخ بَطَارِكَةِ أَنْطَاكِيةِ حَتَّى سويريوس، لينحصر

---

[1] - انظر: جاسم صكبان علي: "التاريخ العربي والاسلامي من خلال المصادر السريانية العِرَاقية"، *مجلة عالم الفكر*، الكويت، اكتوبر 1984، ص687- 700.

[2] - أنظر: الأب ج. م. فييه: "الفكر التاريخي عند السريان"، *مجلة الفكر العربي*، كانون الأول، 1989م، عدد 85، ص39- 47، معهد الإنماء العربي، بيروت.

بالمونوفيزيين أَوْ اليَعَاقِبَة حَتَّى العام 1285. ويختتم تاريخه بتعداد مفريانات ومفارنة تكريت وبملاحظات دقيقة عَلَى بَطَارِكَةِ النَّسَاطِرَة. ولقد أغنى ابن العِبْري عمله "تاريخ مختصر الدّول" بمعطيات إضافية عَنْ السّلالات الإِسْلَاميّة. يركّزُ ابن العِبْري في مؤلفاته السريانية على إثارة اهتمام السريان بتاريخهم ولغتهم وأدبهم، ومعاونتهم على صيانة مكانتِهم، كقوةٍ فاعلة في غرب آسيا، من خلال التعريف بما كان لليونان، أو ما كان للعرب في معارفَ حضاريةٍ. بهذا التوصيف كانت كتابات ابن العِبْري تمتخض القيمة التاريخية والدينية، والتي ما انفك البحث منتهلا منها.

للمصادر القبطيَّة أثرٌ في دراسة زمن البحث، منها من واكب أصحابها أحداث الفتوح وعايشوها وكتبوا عنها، نحو: يوحنا النيقوسي (ق1هـ/7م) في كتابه "تاريخ مصر" ليقدم رؤية معاصرة للمَسِيحِيِّينَ تجاه العلاقات المسيحيَّة المسيحيَّة، والعلاقات المسيحيَّة الإسلاميَّة، تكاد تكون تفصيليَّة. وكتاب "تاريخ البَطَارِكَة" لساويرس ابن المقفع (302-377هـ/ 915-987م) المَصْرِيِّ، الَّذِي ينفردُ بذكر مَا يخصُّ الكَنِيسَةَ والأَقْبَاطَ، وموقفَهم من السّلطة إِبَّانَ الحكم الأُمَوِيّ، ويعلّلُ تناقُصَ الْمَسِيحِيِّينَ بسببِ الظّروف الاقتصاديّة، المُتَمَثّلةِ فِي الْجِزْيَةِ والخراج والتّعسُّف فِي جبايتها، وَقَدْ تكلَّم عَنْ أرقام ضريبية كبيرة. بهذه الملامح تجسدت قيمته المعرفية، ومقدار ما اتكأ عليه البحث من فائدة.

وللمصادر الإِسْلَاميّة أهَمِّيّة - أَيْضًا- فِي تواريخ الخلفاء وتوصيف الْفُتُوح وتحركات الجيوش ومشاركة القَبَائِل، وذكر الحوادث الَّتِي لها علاقة بالنَّصَارَى ومنازلهم وكَنَائِسهم، وشذرات عَنْ تعامل الحاكمين مَعَهُمْ. من أهمها فِي تاريخ الفتوح: "المغازي" و"فتوح الشّام" لـ "الواقدي (207هـ/ 823م)، الذي يعد بين أوائل المؤرخين، بل وأقربهم الى القرن الأول الهجري، زمن البحث، وكانت كتاباته مصدرًا لكل الجامعين اللاحقين، أو كادت. ومن هنا اكتسبت أهمية فائقة في مرجعية البحث إليها، والتحقق من تاريخ الفتوح ومفاصل مجرياتها. ولا

يقل عنها في معرض الإفادة "فتوح البُلْدَانِ لـ "البلاذري (ت279هـ/893م)؛ الذي بدأ بغزوات الرسول محمَّد، ورسم توصيفا للعمليات العسكرية، وكان أكثر تشخيصًا من الواقدي للفتوح في العِرَاق وبلدان المشرق الإسلامي حتى أرمينيا.

ومن أقدم المصادر وأهمها فِي التّاريخ العام: "تاريخ خليفة بن خياط" العصفري (ت240هـ/ 855م)، الذي أحاطت غماره بزمن البحث، وفيض الإفادة، إذْ بدأ حولياته بعام الهجرة، وأفسح مجالا رحبا لدولة الأمويين، بيد أنه كان يروي أحداث العِرَاق وبلدان المشرق الإسلامي باقتضاب. ويتلوه "تاريخ الطّبري" (310هـ/ 923م)، لأنَّه وأقربها مدة إلَى المائة الأولى للهجرة، وكثيرًا مَا تستعمل السّند فِي الوصول إلَى رِوَايَة أخبارها، وأكثرها شموليَّة فِي تغطية بِيئَة البحث.

ومن كتب **السّير**، التي أطلت على السيرة النبوية عن قرب، "سيرة ابن إسحاق" (84-151هـ/ 704- 768م)، ويعد في معيار القِدَمِ من أهمِّ أركان المرحلة المبكرة في التاريخ الإسلامي، فضلا عن أنَّه انتهج الكتابة في المبتدأ والمبعث والمغازي، الذي لم تبصر النور منه إلا المعالجة المختصرة في "سيرة ابن هشام" (ت218هـ/ 833م)، الكتاب القيم الذي توالت على حفظه الأجيال.

ومن مصادر **الطّبقات** وما تقدمه من اطلالة عَلَى حياة الماضين ودورهم في صناعة النُّظُم الحياتيَّة، نستفيد مِنْهُ مَا ظَلّ يتشدّقُ بِهِ التّاريخ، من إيجابٍ أَوْ سَلْبٍ، عَلَى اختلاف معياريّةِ النّاسِ، ونسبيَّتِها الزمانيَّة، والمكانيَّةِ، والفِكرِيَّةِ. فأفَادَنِي مِنْهَا "طبقات ابن سعد" (ت230هـ/ 845م)؛ وَذَلِكَ لقدمه، فهو كاتب الواقدي، ولمنهجته على أساس المدن، ولشموليته لمتغيرات القَرْن الأوَّل الهِجْرِيّ.

- ومن كتب **الأدب وتراثه الْعَرَبِيّ والسّرْيانِيّ**، نجد مادة غنيَّة واسعة أفادت البحث، لعلها أوسع وأنفع من المواد المدونة المجموعة فِي كتب التّأريخ. وإنْ كَانَ المروي عَنْ أخبار القَبَائِل والأنساب وحوادث الشّعراء والخطباء، هُوَ أقرب إلَى الطّابع الأدبي، لَكِنّهُ يخص حياة النّاس والتّعبير عَنْ حَرَاكهم وعلاقاتهم

الحياتية، نحو "طبقات الشّعراء لـ" ابن سلام (ت231هـ/ 845م)، كتاب "الأغاني لـ" ابي الفرج الاصبهاني (ت356هـ/ 967م)، من القدماء، ويتلوهم كتاب "الإرب فِي فنون الأدب لـ "النويري (ت733هـ/ 1333م)، وكتاب "صبح الاعشى فِي كتابة الانشا" لـ "القلقشندي (ت821/ 1418م) و"شعراء النّصْرَانِيَّة"، و"النّصْرَانِيَّة وآدابها" للويس شيخو (ت1346هـ/ 1928م).

لَعَلّ فِي كتب **البُلْدَانِ والامكنة** يتوخَّى الباحث في معرض الأهمية، وما أسدته له من فائدة، حيث تسهل الوقوف عَلَى البُلْدَانِ الَّتِي اشتهرت بِهَا الْمَسِيحِيَّة، ويشخَّص خلالَها أمكنة عبادتهم، وبعضا من طرائقها، مثل: كتب الدّيارات لـ "الشابشتي (ت 388هـ/ 998م) وابي الفرج الأصبهاني، ومعجم مَا استعجم لـ" البكري (ت487هـ/ 1094م)، ومعجم البُلْدَانِ لياقوت (ت626هـ/ 1229م).

كانت المصادر الإسلاميَّة سخيَّة بالتفاصيل في الفتوحات، لإبراز قيمةِ النصر العربيّ، مثلًا، قول البلاذري: "أنَّ زُهَاءَ مائة ألف من الروم شاركوا في معركة أجنادين". بيد أنَّ إمكانيَّة الإفادة من مثل هذه النصوص في تبيان حجم مقاومة البيزنطيّين، التي ينبغي أنْ تُعْطَى حقَّها من التقدير. في حين أنَّ المصادر المسيحيَّة تحاول أنْ تظهر أنَّ الدفاعاتِ متينةٌ، وأنَّ الشعبَ مستعدٌّ للمقاومة، وأحيانًا تنسِبُ الهزيمةَ الى خيانةِ أصحاب المصالح السياسية، أو من أصحاب المذاهب المخالفةِ، أو من دِين آخر كاليهود. ومهمَا يكنْ فإنَّ ثمَّةَ قدرًا من عدم التناسق بين وصف المصادر المسيحيَّة والإسلاميّة للمعركة، فقد حاول المسيحيُّون أنْ يقلّلوا شأنَ المعركةِ على أنَّها نصرٌ حربيٌّ عظيمٌ للمسلمين، بل إنَّ النصر فيها كان بسببِ التسلُّلِ والخديعةِ، لا بسببِ نجاحٍ حربيّ صادقٍ. والمسلمون أكدُّوا أنَّها

معركةٌ حاسمةٌ، أُسْتِعْمِلَ فيها الذكاءُ، وكانت شجاعةُ المسلمينَ وخُلُقُهم القويمُ عاملينِ حاسمينِ فيها[1].

على أنَّ فكرة التاريخ لدَى المؤرخين السريان والمسلمين كانت تُبْنَى -في الغالب- على إلهيَّة المُرْتَكَز، فالله يتدخَّل في التاريخ، يثيبُ بالنصر، ويعاقب بالهزيمة. على أنّ هذا المنحَى يقوَى عندَ المؤرخين السريان؛ لأنَّه تعبيرٌ عن رعويَّة المحكومين، في حين أنَّه يقلُّ لدَى المؤرخين المسلمين، لاسيَّما مع اشتداد ساعد الدَّولَة العَرَبيَّة بعد الفتوح، فإنَّهم عبَّروا عن لغة الحاكميَّة، إلا ما بقيَ من شعور في تدخُّل المُقَدَّس (إلهيَّة التاريخ) يتساوق مع فكرة الدولة الإلهيَّة.

يجدر بالكشف عَنْ مصادر المعلومات، أنَّ مادة العلاقة بين الديانات كَانَتْ شحيحةً ومتشتتة فِي مصادر التاريخ الإِسْلَاميّ، إِذْ لَمْ تُعِرْ اهتمامًا لأحوال غير الْمُسْلِمِينَ، ولاسِيَّمَا الْمَسِيحِيِّينَ الا عَلَى نحو عابر. ومِنْ ثَمَّ عدم دقّة المصادر وغموضِها، فِيمَا خَلا أحكامهم الْحُقُوقيَّة جاءت وافية، وتتميَّز بالدّقة. فعندما تتحدَّث هَذِهِ المصادر عَنْ شَخْصِيَّة مَسِيحِيَّة مثلا، فإنها لا تعرَف به كَذَلِكَ، بَلْ عَلَى الباحث أنْ يستنتج ذَلِكَ من سياق الخبر سواء كَانَ حدثًا أَوْ راوية أَوْ شعرًا أَوْ خطبة، عَلَى نحو يلزم الباحث فِي أنْ يطَّلِعَ عَلَى المصدر من أوَّله إِلَى آخره. غير أنَّ المُعَوَّل عليه أكثر، لاستكمال الفائدة، كان في الاقتباس من الكتابات التي عُنِيَتْ بالنشاطات الاجتماعيَّة والثقافيَّة كالأغاني وصنعة الكتابة، فضلًا عن مصادر التاريخ والتراث المسيحي.

ثمَّة إشكال يحوم حول المصادر الإسلاميّة التي تؤرخ للقرن الأول الهجريّ، هي أنَّها ليست دائما جديرةً بالثقة؛ لأنَّها كُتِبَتْ في مرحلة متأخّرة، وتبيّن أجواء عصر التدوين ومنظوماته الفكريَّة أكثر من تأريخها لزمن بدايات الإسلام، مثل سيرة ابن هشام. ولمناقشة هذه الدعوى يبدو إنَّ ظهورَ كتاباتٍ

[1] - انظر: ولتر كيغي: **بيزنطة والفتوحات الإسلامية**، (قدمس للنشر، دمشق، 2003) ص193.

تناولت أهم الحوادث والسِّيَر في القرن الأول الهجريّ، كانت في القرن الثاني "سيرة ابن إسحاق" (ت151هـ/ 768م)، الذي عاصر أواخر الصحابة وكبار التابعين من الذين رووا السيرة، أمثال: عروة بن الزبير (ت94هـ/ 712م)، أبان بن عثمان (ت105هـ/ 723م)، شُرحبيل بن سعد (ت123هـ/ 741م)، ومحمد بن مسلم الزهري (ت124هـ/ 742م)[1]. كادت سيرة ابن إسحاق تقع نهب البلى، لولا أن وصلنا اليسير منها، على أنَّ ابن هشام الذي هذَّب روايات ابن إسحاق، منحها ذيوعا وأهميَّة. تلتها مغازي الواقدي (ت207هـ/ 822م)، واستكملت المعارف التاريخية بطبقات ابن سعد وتاريخ الطبري. وليس من شكٍّ انَّ استعمالهم للسند في الرواية، يوصلهم الى زمن الحدث، غير انَّ هذا لا يعني انَّ كلَّ ما نقلوه اكتسب مرحلة الوثاقة، فإنَّ كثيرًا منها كان يتناغم مع توجُّهات أنظمة الحكم على اختلافها، أو مع الإنتماءات العَقَدِيَّة أو القوميّة أو الإقليميّة، أو الأسريّة السائدة في عصر التدوين.

لَمَّا كانَ الْمَسيحِيّونَ، آنَذاكَ - في الغالب- يَعاقِبَة أَوْ نَساطِرَة أَوْ أَقْباطا، فإنَّ تاريخَهم مُضَمَّنٌ في المصادر الْكَنَسِيّة اليَعْقُوبِيَّةَ والنَّسْطُورِيّةَ المكتوبة بالسّرْيانِيّة، أَوْ القبطِيَّة، والّتي لَمْ يُتْرَجَمْ مِنْهَا إلا القليل إلَى الْعَرَبِيّة، إذْ اقتَضَى الأمرُ أنْ أنتقلَ إلَى المكتبات المُخْتَصَّة في المَوْصِل ودهوك وكَنَائِسها، وكركوك وأديرتها، في وقت يُعَدُّ الطّريق إلَيْهَا يحفُّ بالمخاطر؛ لأنَّها ضِمْنَ دائرة العنفِ والتّشدّد الدّينِيّ، ولاسِيّمَا الاقليَّات الدّينِيَّة؛ ومِنْ ثَمَّ استوجب الأمر المرابطة في مكتبات الكَنَائِس اللبنانية، ولاسِيّمَا الشَّرْقِيَّة اليسوعيَّة في بيروت.

اقتضتْ طبيعة العنوان أنْ تتوافرَ هيكلةُ البحث عَلَى بابينِ، عُنِي **الباب الأول** بالمنحى التاريخيّ، في التعريف بمقدمات العَلاقَات الإِسْلَامِيّة الْمَسِيحِيّة وتاريخها على عصورها، فجاء عَلَى أربعة فصول. درس الفصل الأول انتشار

[1] - يوسف هورفتش: **المغازي الأولى ومؤلفوها**، (البابي الحلبي، القاهرة 1949) ص9- 69.

الْمَسِيحِيَّة فِي البلاد الْعَرَبِيّة قَبْلَ الإِسْلَام، وتناول الفصل الثّاني العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيَّة فِي عصر الرّسالة، وتَجَلَّى الفصل الثّالثّ العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيَّة فِي عصر الخِلَافَة الرّاشدة، واستعرض الفصل الرّابع العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيَّة فِي عصر الدّولة الأُمَوِيّة.

وعُني **الباب الثّاني** بموارد الفكر الإسلامي التي تستخلص منها النّواحي الْحُقُوقيَّة للمَسِيحِيّينَ فِي التّشريعات الإِسْلَاميّة، والدّور الحضاري البارز لَهُمْ فِي الْمُجْتَمَع الإِسْلَاميّ، فاستوعب الفصل الأول الْمَسِيحِيَّة والعَلاقَات الدّينِيَّة فِي القُرآن الكريم، وبحث الفصل الثّاني: الآخر الديني والجهاد والفتوح في المفاهيم الإسلاميَّة، ودرس الفصل الثّالث: حقوق الْمَسِيحِيّينَ فِي تشريعات الدَّولَة العَرَبِيَّة، وتبين الفصل الرابع: التّعَايُش الْمَسِيحِيّ فِي الْمُجْتَمَع الإِسْلَاميّ وأثره السيسيولوجي.

في هذا المشروع الصعب، لمرحلة من أهمِّ المراحل التاريخية، مرحلة تأسيسيَّة في كل مناحيها، للهويَّة الإسلاميَّة، في المباني الفكريّة، والممارسات التاريخيَّة، التي تمازج فيها الدينيّ والسياسيّ، والعقليّ والعاطفيّ، وتأصيل العلاقات مع أصحاب الديانات الموجودة على الساحة الحضاريَّة العربيَّة، وأغلب ظنِّي أنَّ المسيحيَّة حظتْ بديمومةِ العلاقات وسَعة حجمها، أكثرَ مِن غيرِها مِن الدياناتِ، في غضون الدولة العربية المُتَّشحَة بالدين الإسلاميّ. وكان لزامًا عليَّ أنْ أتعايشَ مع هذه المرحلةِ الغنيَّةِ بالأُسسِ الحضاريَّة المتمازجة، والمكتنزة بالعلاقاتِ الخصْبَةِ في المجالينِ التاريخيِّ والدينيِّ، وأنْ أخوضَ في غمارها مستقرِئًا الحقيقةَ فيما أظنُّ وأعرف.

بعد هَذِهِ الرّحلة البحثيَّة الشّاقَّة، الَّتِي بذلتُ فِيهَا مَا آليتُ عَلَى نفسِي من جهْدٍ مضنيّ، وما وسَعْتُ من استطاعة، أَصْبُو إِلَى أَنَّها قَدْ تتكلَّل برِضا أهلِ العلمِ والبحثِ، ولا أدَّعِي لها الكمالَ، وإِنَّمَا هِيَ خُطوةٌ عَلَى طريقِ التّكامُلِ المعرفِيّ،

راجياً ممن يمعن النّظرَ فِيهَا ان يبيّنَ هِناتِها، لأُزَيّن سماءَها بلواقِحِ المعرفةِ والبحث العلمي.

كَمَا أَنّ مخاضَ هَذِهِ التّجربةِ امتدَّتْ لَهُ يَدُ أهلِ العِلْمِ، وأخذتْ بِهِ إلَى شاطِئ السّلامَة، وَهِيَ تستحقُّ من الشّكر جزيلَة ومن الدّعاءِ كثيرَه، واخصُّ أستاذي الدّكتور أنطوان نصري مسرّة الَّذِي فاضَ عَلَيَّ بفنونِ معرفتِه وسموِّ أخلاقِه، والأستاذ الدكتور الأب عزيز حلاق على ما أضفاه من قيمٍ موضوعيَّة ومنهجيَّة إبَّان متابعة الأطروحة وتقويمها، وأعطف بالشكر للأساتيذَ الدكتور فكتور الكك، والدكتور أحمد حطيط، اللَّذِينَ تجشَّما عناءَ قراءةِ البحث، وتوجيهِه نحو جادةِ الصّواب. ولا يسعني إلَّا أن أتقدم بالإمتنان الى منسقة الدكتوراه في الكلية الدينيَّة على ما قدّمته لي من فيْضِ عونها، وأسأل الله التّوفيق لكل من مدَّ لي يدًا بيضاء ساعدت في أنْ يظهرَ هذا الجهد بحُلَّته الأخيرة. أخيرا يجدر العلم انّ ما ورد في الأطروحة من مقاربات وآراء هي من بنات أفكار الباحث، ولا تمتّ بأيّة صلة للنسق الثقافي في الكلية الدينيّة - الجامعة اليسوعيّة.

الباب الأول

العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة

مقدمات و تاريخ

الفصل الأول

إنْتِشَارُ الْمَسِيحِيّة فِي البِلاد الْعَرَبِيّة قَبْلَ الإِسْلَام

مرّت بلادُ الشرق الأدنى بموجات من الهجرة، آخرها هجرة العرب من اليمن نحو الشمال والشرق، إبَّان (القرن2م- القرن7م)، وأسسوا دولتي الغساسنة والمناذرة. وقبلها في الشمال ظهرتْ دولة اللحيانيين (500- 300 ق.م)، ثم دولة الأنباط (الق2 ق.م- الق3م). وفي الجنوب نشأت دول اليمن: المعينّية، والقتبانيَّة، والسبأيّة، والحميريّة، منذُ (القرن13ق.م- القرن6م)، قبلَ حضارة مكّة[1].

في ظلِّ تعاقب الدول هذه، بينها وبين دولة فارس ودولة اليونان- بيزنطة، تمخضت نشاطات وتغيرات سياسيَّة وتجاريَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة ولغويَّة ودينيَّة. شارفت الناحية الدينية تنوعا في العبادة بين الوثنية من جهةٍ، والأديان السماويّة من جهة أخرى، وفي الوثنية ذاتها نجدُ مختلف المراحل، فهناك أثر التوحيد

[1] - Ira M. Lapidus,A History of Islamic Societies, Cambridge University Press ^ p.14

السامي الأول، والى جانبه عبادة الأجرام السماويَّة التي قد تعود الى البابليين، وتقديس الآباء الأولين الى العبادة، والطوطمية وما تمثل من الإعتقاد بدخول الأرواح المقدسة في الأشجار أو الجماد كمجاري المياه، والإعتقاد بالجن والشياطين وعبادة أوثان لا شكل لها، وعبادة أصنام مختلفة[1].

نتيجة لاندماج الشعوب في ظل الظروف السياسيّة والإقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة، حصل تسرب بعض الشعائر والآراء الى بلاد العرب من اليهوديّة والزرادشتيّة والمسيحيّة، وشهدت الوثنيَّة تطوراً من إنفراد كل قبيلة بإلهها الى شيوع تقديس بعض الآلهة، ويتلو ذلك تدرّج عند بعض القبائل الى الشعور بوجود إله أعلى من الأوثان والاصنام المتعددة، أطلقوا عليه اسم الله، وتقديس بيته المشرف، وهو الكعبة، فصارت لها الطقوس والشعائر الخاصة التي وصلت ذروتها في الحج، وجعلوا الأصنام وسيلة بينهم وبين الله وشافعة، وهكذا حصل تطور في العقائد والمستوى الديني في تجاه التوحيد، المتمثلة في الحنيفية الإِبْرَاهِيمِيَّة[2].

الْمَسِيحِيَّة دين يسوع الْمَسِيح، وُلِدَ فِي أحضان اليَهُودِيَّة وَفِي حياض الوَثَنِيّة الرّومانية، وَقَدْ يطلق عَلَى أتباعه النَّصَارَى، نسبة إِلَى يسوع النّاصري الَّذِي موطنه النّاصرة[3] فِي الجليل[4]، لَمْ يَخُصّ الْمَسِيحِيَّة شَعْبًا بعينه مِثْلَ اليَهُودِيَّة، بَلْ وَسَعَ النّاس جميعا، فلذا كَانَ التّبشيرُ دَيْدَنَهُ ومَنْهَجَهُ، مِمَّا أَسْهَمَ فِي انْتِشَارِهِ عَلَى مَسَاحَةٍ أَكْبَرَ مِنْ الحَارِطَةِ البَشَرِيَّةِ، فَضْلًا عَنْ عواملَ دِينِيَّةٍ وسِيَاسِيَّةٍ واقتصاديَّةٍ

[1] - الدوري: **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، (مطبعة المعارف، بغداد، 1960) ص39.

[2] - الدوري: م.ن، ص40.

[3] - وردت الإشارة الى الناصرة، في مرقس 9/1؛ يوحنا 45/1-46، 42/7.

4 - **دائرة المعارف الكتابية** (النّاصري).

وإجْتِمَاعِيَّةٍ كَانَ لها دَوْرٌ مُهِمٌّ فِي انتشارِه، ولاسِيَّمَا عَلَى أطراف جَزِيْرَة الْعَرَب، وعلى الطَّرِيق السَّاحلي حَتَّى الْعَرَبِيَّةِ الجنوبيَّةِ ونَجْرَان ومَكَّةَ.

تَمَثَّلَ العَامِلُ الدِّينِيّ فِي اضْطِهَادِ اليَهُودِ المَسِيحِ وَصَلْبِه، وتَشْرِيدِ تَلَامِيذِه فِي الآفَاقِ، بِمُشَارَكَةٍ مِنَ الدَّوْلَةِ الرُّومَانِيَّة، وتَشَتَّتْ المَسِيحِيَّة عَنْ طَرِيقِ الحَوَارِيِّينَ إلَى الأَطْرَافِ، وكَوَّنَتْ وُجُودًا مُتَنَوِّعًا، وحَقَّقَتْ انْتِشَارًا عَنْ عَوامِلَ عِدَّةٍ، مِنْهَا: إنَّ طَبِيعَةَ اللَاهُوتِيَّة المَسِيحِيَّة تَعْتَمِدُ الكَرَازَةَ لِخَلَاصِ جَمِيعِ النَّاسِ دُونَمَا خَصَّها بِشَعْبٍ، وأَنَّ بِيزَنْطَةَ[1] اتَّخَذَتْ المَسِيحِيَّة الدِّينَ الرَّسمِيَّ للدَوْلَةِ الرُّومانيَّة، في سنة 324 م أعلن القيصر قسطنطينوس(Constantine I)[2]، وتزايد عدد المَسِيحِيِّينَ حتى أصبحوا، في أوائل القرن السادس الميلادي، أغلبية السكان، وصاحب هذه الأغلبية انفراط في تَنَوُّع المذاهب، حتى صارت الطوائف المسيحية تربو على خمسين طائفة[3]. وإثر عهد قسطنطين (305-337م) الذي اشتمل على تنصير الدولة، وبعد أنْ كانت المسيحيَّة ديانة أقليَّة، أصبحت شيئا فشيئا الدين الرسمي للإمبراطور ورعيته، فتمتعت الكنيسة بامتيازات ماليَّة

---

[1] - بيزنطه، بوزنطيا، بوزنطة، من الأصل اليوناني Byzantion: مدينة إغريقية قديمة كانت تقع علي مضيق البوسفور بتركيا. ويطلق على امبراطورية الروم الشرقية، التي تأسّست بين 330 إلَى 395م، في شرقي الامبراطورية الرومية الكبرى، ودامت حتى عام 1461م. الموسوعة الحرة، ويكيبيديا (بيزنطة).

2 - بقرارات متتالية صادرة عَنْ الامبراطور قسطنطين الأكبر(306-337م)، وَهِيَ الاعتراف بالمسيحية دينا مشروعا ومعترفا بِهِ عام 311، ثُمَّ اعتناق الامبراطور لَهُ، وجعل القدس عاصمة مقدسة للمسيحية، ثُمَّ فِي 383 صدر قرار امبراطوري وقعه الأباطرة، جعلت المسيحية بموجبه دينا للامبراطورية. (The World`s Religions, Christianity in the First Five Centuries, p,152) نقلها عَنْهُ: عرفان عبد الحميد: **النّصرانية- نشأتها التاريخيّة وأصول عقائدها** (دار عمار، عمّان، 2000م) ص 60.

3 - ريفكا شيفك ليسك: "اليهود لم يستسلموا ولم يعتنقوا الديانة المسيحية"، *مركز أورشليم*، القدس للشؤون العامة، 2008/11/21، www.infoelarab.org

وسياسيَّة ودينيَّة[1]، اقتضى بموجبها إبعاد المعارضين من المذاهب المَنُوفيزِيتيّة "MONOPHYSITES"، القائلين بالطبيعة الواحدة، وأتباع "آريوس" "ARIAUS" (ت336م) الذين أنكروا أُلوهيَّة المسيح، ونعتهم بالهرطقة والإلحاد[2].

جعلت النَّصْرَانِيَّة ديانتها ديانة عَالَمِيَّة جاءت لجميع البشر. بينما قيدت اليَهُودِيَّة أبناءها بقيود تكاد تضبط حركاتهم وسكناتهم، وفرضت عَلَيْهِمْ فروضا ثقيلة. من هنا نجد أنَّ النَّصْرَانِيَّة أكثر تساهلا وتسامحا، فَلَمْ تُقَيِّدْ أبناءَها بقيودٍ شدِيدةٍ، وَلَمْ تفرضْ عَلَيْهِمْ أحكاما اشترطت عَلَيْهِمْ وجوب تنفيذها. وَقَدْ قام رجال الدّين النَّصَارَى مِنْذُ أول نشأتها بالتّبشير بِهَا، وبنشرها بَيْنَ الشّعوب، وبذلك تميزت عَنْ اليَهُودِيَّة، الَّتِي جمدت، واقتصرت عَلَى بني إِسْرَائِيلَ.

ولفظة "النَّصْرَانِيَّة"،"نَصَارَى"، الَّتِي تُطْلَقُ فِي الْعَرَبِيّة عَلَى أتباع الْمَسِيح، من الألفاظ المعرَّبة، يرى بعض المستشرقين أنها من أصل سُرْيانِيّ هُوَ: "نصرويو" Nosroyo، "نصرايا" Nasraya1، ويرى بعض آخر أنها من Nazereneds التّسمية العبرانية، الَّتِي أطلقها اليهود عَلَى من اتّبَعَ الْمَسِيح، وبهذا المعنى وردت فِي القُرآن الكريم، ومِنْ هُنَا صارت النَّصْرَانِيَّة عَلَمًا لديانة الْمَسِيح عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ[3]،

---

1 - كلود لوبليه Claude Lepelley: " إهتداء قسطنطين"، في *تاريخ الكنيسة المُفَصَّل*، ترجمة: أنطوان الغزال، صبحي حمودي اليسوعي (ط2، دار المشرق، بيروت2009) 148/1؛ وقارن: ويل ديورانت: **قصة الحضارة**، ترجمة: مُحَمَّد بدران (دار الجيل للطباعة، بيروت) 390/11.

2 - أطلق عليه: " الإلحاد الأريوسي "، إذ يقول أريوس: إن المسيح لم يكن هو والخالق شيئاً واحداً، بل كان هو الكلمة أول الكائنات التي خلقها الله وأسماها. ويل ديورانت: م. س.391/11-396؛ قارن: كلود لوبليه: "الأزمة الآريوسية"، في تاريخ الكنيسة المُفَصَّل (دار المشرق، بيروت 2009) 171/1- 176.

3 - علي، جواد: **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب قبل الإسلام**، (ط4، دار السّاقي، بيروت 2001م) 12/ 159.

بَيْدَ أَنَّها وردت- قبلا- فِي شعر الجاهلِيّين، كَمَا فِي قول أمية بن أبي الصّلت[1]: [البسيط]

والنّاس راثَ عَلَيْهِمْ أمرُ ساعتهم فكلُهم قائلٌ للدين إيانا

أيام يلقى نصاراهُم مسيحهمُ والكائنين لَهُ ودًّا وقربانا

1 - المقدسي، المطهر بن طاهر (ت 355هـ): **البدء والتاريخ**، 6ج (مكتبة الثّقافة الدينية، بور سعيد) 145/2.

الْمَسِيحِيَّة والبلاد الْعَرَبِيّة:

أدّت فتوحات الاسكندر المقدونيّ الى انتشار الحضارة اليونانيّة في غرب آسيا ومصر، مما أكسب هذه المنطقة طابعًا خاصًا، جعل المؤرخين يطلقون اسم "العصر الهلنستي" على الفترة الممتدّة من وفاة الاسكندر الأكبر في (323 ق.م) حتى الفتح العربيّ الاسلاميّ في القرن السابع للميلاد. في ذلك العصر وجدت في تلك المنطقة مراكز للحضارة اليونانيّة أو الهيلينية، شهدت حضورا واسعا للسريانيّة، إذ اضطلع السريان في ترجمة معارف اليونان وعلومهم الى اللغة السريانيّة، وساعدهم على ذلك أنّكثيرا من علماء اليونان تركوا بلادهم تحت تأثير الاضطهادات الدينيّة والمذهبية، واتجهوا شرقا، حيث استقروا في مدينة الرها بجزيرة العراق الشماليّ، ومن أشهر الممارسات التعسفية أنْ أغلق "زينون"، امبراطور القسطنطينية، مدرسة الرها سنة 489م، وتحول علماؤها الى نصيبين وأسسوا مدرسة اشتهرت بالفلسفة والطب اليونانيين، ومن ثم أغلق "جستنيان" مدرسة أثينا الوثنيّة، سنة 528م، فهجرها علماؤها، واتجهوا شرقا الى العراق وجنديسابور فارس.

لا شك بأنّ أشكال الاحتكاك بين الشعوب في المنطقة، أسس ثَمَّةَ عَلاقَات وطيدة للأمة الْعَرَبِيّة مع غيرها من الأمم المجاورة، لها مِنْذُ أقدم الأزمنة، وقد فصّل فِي التلاقحات الناتجة عنها "أوليرى"، وكشف عَنْ الرّوابط السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة، الَّتِي كَانَتْ قائمة بَيْنَ الْعَرَب، وَبَيْنَ

دول مَا بَيْنَ النّهرين، والمَصْريين، والأحباش، والهنود، والفرس، واليونان، والرّومان[1].

لم يكن العرب في جزيرتهم معزولين عن العالم المتحضّر، فقد كانت تقع على أطرافها الثقافة الفارسيّة والبيزنطيّة، وكانت التجارة واسطة لإلتقاء هذه الثقافات، وكانت اليهوديَّةُ والنّصْرَانِيَّة منتشرةً في أجزاءِ الجزيرةِ العربيَّة، وكان لها شأنٌ في الفكرِ الدينيّ عندَ أهلِ الحضرِ.

أُسْتُثْمِرَت النّصْرَانِيَّة سِيَاسِيّا كجاذِبَةٍ دِينِيَّة فِي البلاد الْعَرَبِيّة المتنازع عَلَيْهَا من لَدُن الدّولتين الكبريين، فَقَدْ عمل المعسكران بكل جد وحزم عَلَى نشر وسائل الدّعاية واكتساب معركة الدّعاية والفكر، ومن ذَلِكَ التّأثير عَلَى العقول. فسعى الرّوم لنشر النّصْرَانِيَّة فِي الجَزِيْرَة، فأرسلوا المُبَشّرِينَ وساعدوهم، وحرضوا الحَبَشَة عَلَى نصرها ونشرها، وسعى الفرس لنشر المذاهب النّصْرَانِيَّة المعارضة لمذهب الرّوم والحَبَشَة ولتأييد اليَهُودِيَّة -أَيْضًا، وَهِيَ معارضة لسياسة الرّوم -أَيْضًا-[2].

لَيْسَتْ الْمَسيحيّةُ الْعَرَبِيّةُ شَأْنًا عَقَدِيًّا أَوْ طَائِفِيًّا أَوْ مِلِّيًّا، فَحَسْبُ، بَلْ هِيَ قَدَرٌ تاريخيٌّ وثَرْوَةٌ رُوحِيَّةٌ، لِمَنْ انْتَمَى للفضاء الحضاري الَّذِي تعالجه مُقَارَبَات البحث فِي مسارها التّاريخيّ الدّينِيّ؛ إِذْ وجدت أجواء البلاد الْعَرَبِيّة نسمات الْحُرِّيَّة المفعمة فِي سيكيولوجية الْعَرَبِيّ، الَّذِي يعبر عَنْ إرادته بطلاقة، ويشبع حاجاته الشَّخْصِيَّة، ولاسِيَّمَا الحاجة إِلَى الدّين؛ لِذَا يُلْحَظ أَنَّ التَّنَوُّع فِي الملل والنّحل والعبادات كانَ من سمات الأقوام الجزريَّة. ومِنْ هُنَا حققت الْمَسِيحِيّة الْعَرَبِيّة انموذجَها فِي التّعبير الدّينِيّ عَنْ شخصيَّتها المنسجمة مَعَ طبيعة الحياة فِي البلاد الْعَرَبِيّة، بعيدا عَنْ مَسِيحِيّة روما وقُسْطَنْطِينِيَّة.

---

1 - علي، جواد: م. س.12/ 158.

2 - O'leary, Delacy D.D., Arabia Lefore Muhammad, London, 1927؛ ناصر الدين الأسد، **مصادر الشّعر الجاهلي**، (دار المعارف، القاهرة، 1988)، ص 12.

عرفت بلاد الْعَرَب خواطف العلاقة مَعَ عِدَّة أنماط من النّصْرَانِيَّة، تطبّعت فِيهَا بطبيعة البادية، حَتَّى عُرِفَ دُعَاتُهَا بِاسْمِ: أَسَاقِفَةِ الخِيَامِ، وأَسَاقِفَةِ المَضَارِبِ؛ لمرافقتهم الأعرابَ، وعيشهم بَيْنَ ظَهْرَانِيهِم، ومن ثم يقيمون الرتب الدينية تحت الخيام. وَقَدْ اشْتَرَكَ بعضُهم بالمجَامِعِ الْكَنَسِيّة، ووقّعُوا عَلَى أعمالها بألقابٍ: "أُسْقُف أهلِ الوبرِ" و"أُسْقُف القَبَائِلِ الشَّرْقِيَّةِ المتحالفة" و "أُسْقُف عَرَبِ البَادِيَةِ". وذكر المُؤَرّخ اليُونانيّ "سوزومنوس Sozomenos " منْذُ القَرْن الرّابع": أنَّ فِي بعضِ قُرَى الْعَرَب ودَسَاكِرِهِمْ أَسَاقِفَةً"[1]. كَمَا عُرِفَتْ فِي هَذِهِ الأثناءِ مَسِيحِيَّةٌ مَدَنِيَّةٌ، بمَكَّةَ، والطّائف، ونَجْرَان، ويَثْرِبَ، والحِيرَةِ، كَانَتْ تَنْحُو نَحْوَ الخلْوَةِ والنّسكِ والتَّبَتُّلِ.

إنَّ انتشار الْمَسِيحِيَّة فِي المحيط الْعَرَبِيّ عَلَى المذاهب ذات الطّبيعة الواحدة، نحو اليَعَاقِبَة Jakobiten، أَوْ ذات الطّبيعتين كالنَّسَاطِرَة، جعلها تتسق مَعَ الفضاء الْعَرَبِيّ إِلَى حد عرفت فِيهِ أنها الممثلة الأصليَّة للمَسِيحِيَّة، ولاسيّمَا فِي نظر الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ من نتاج هَذِهِ البِيئَة، وأضحت اللُغَة الْعَرَبِيّة عِنْدَ النَّسَاطِرَة واليَعَاقِبَة اللُغَة الثّقافِيّة إِلَى جانب السّرْيَانِيّة، تسهم فِي توسيع دائرة الانسجام الثّقافِيّ فِي المحيط الْعَرَبِيّ، فتمخض عَنْهَا أدب مسيحي عَرَبِيّ[2]، ويبدو هَذَا المنظار فِي المحيط الْعَرَبِيّ قبيل الإِسْلَام وبعده أكثر تَجَلِّيا، بحَسَبِ سعة التّأثر والتّأثير الْمَسِيحِيّ الْعَرَبِيّ، ينسجم مَعَ النّص القرآني: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ

1 - جورج قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبِيّة**، (المُؤَسَّسَة الْعَرَبِيّة للدراسات والنّشر، بيروت، لا. ت). ص58.

2 -انظر: لويس غرديه، ج.قنواتي: **فلسفة الفكر الديني بَيْنَ الاسلام والمسيحية**، 2/28-30.

إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً } (النّساء171) [1].

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ صعوبة تحديد زمن دخول النَّصْرَانِيَّة إِلَى جَزِيْرَة الْعَرَب، تحاول المصنفات الْكَنَسِيّة[2] حصرها فِي أواخر القَرْن الأَوَّل وأوائل القَرْن الثّاني الميلادِيّين، و أَنَّ بعضها[3] ذكر أن لَيْسَ ثَمَّةَ براهينُ قاطعةٌ تؤكّد، أَوْ تنفي دخول الْمَسِيحِيَّة إِلَى مَا بَيْنَ النّهرين، مِنْذُ عهد الرّسل أَوْ تلاميذهم فِي القَرْن الأَوَّل. فِي حِينَ يَرَى غيرهم[4]: مُنْتَصَف القَرْنِ الثّالثّ ظهرتْ جماعاتٌ مَسِيحِيَّة فِي العِرَاق. ولعلَّه يعودُ الى تهجيرِ بضْعِ مئاتِ الألوفِ الذينَ كانَ مُعْظمُهم من المَسِيحِيّينَ، من سكانِ سوريا وقيليقيا وقبدوقيا[5]، ذواتِ السِّمَة الرومانيَّة، على يَدِ شابور الأول (241- 272م)، وقدْ تمَّ توطينُهم فِي العِرَاق وفارس وفرتيا[6]. ثم أَنَّ غيرهم[7] يذهب إِلَى أَنَّ الْمَسِيحِيَّة لَمْ تَدْخُلْ بِلادَ الْعَرَبِ قَبْلَ القَرْن الرّابع.

يبقى الأمر مستغرباً، كَيْفَ للمَسِيحِيَّة أَنْ تهمل فضاءَها الحضاريَّ وإطارَ عقليَّتها العَقَدِيَّة، وتترك مدارَ قطبها القريب، حَتَّى يتأخّر ولوجها إِلَى القَرْن

---

1 - انظر: التوبة31، المائدة17، 73، 116.

2 - لويس شيخو، **النّصرانية وآدابها** (بيروت،1912)؛ الأب سهيل قاشا: **أحوال النّصارى فِي خلافة بني أمية** (بيروت، 2005)، وقارن: حسين العودات: **العرب النّصارى** (الأهالي، دمشق1992) ص31 وبعدها.

3 - ألبير أبونا: **تاريخ الكنيسة الشّرقية**، (ط2، بغداد، 1985) 4/1.

4 - (J),Labourt, Le christianisme dans mpire perse sous (224- 236) نقلا عَنْ سلوى بلحاج: المسيحيّة العَرَبِيّة وتطورها، (بيروت، 1998)، ص50.

5 - قيليقيا: من ثغور الشام، كان اسماً ذائع التداول للمنطقة الساحلية الجنوبية من شبه جزيرة الأناضول، تُعرَف الآن باسم چوكورُڤا Çukurova . موسوعة المعرفة (قليقيا) http://www.marefa.org/index.php.

6 - يُزِف فيزهوفر: **فارس القديمة** (550 ق. م- 650م) (، دمشق، 2009) ص238.

7 - سلوى بلحاج: **المسيحيّة العَرَبِيّة وتطورها**، ص86.

الرّابع؟[1]، فِي حِين أنّها حطَّت فِي مدارات أبْعَدَ، وَهِيَ متشبثة بمراكز السّلطة الرّومانية، وَكَانَتْ قَدْ أُضطهدتْ الْمَسِيحِيّةُ فِي عقر دارها الشّامي مرارا، فمن باب أولى أنْ تَغُذَّ الاندفاعَ، وتنفُذَ إلَى الدّائرة الأقرب، محيطها الْعَرَبِيّ، وَهُوَ الأمر الطّبيعي الَّذِي حدث مَعَ الدِّيَانَة السّالفة -اليَهُودِيَّة، ومع الدِّيَانَة اللاحقة - الإِسْلَام، فِي مراحل حَرَاكها وانتشارها.

ثَمَّةَ سُبُلٌ لاعْتِنَاقِ الْعَرَبِ النّصْرَانِيَّة، مُتَمَثِّلَةً فِي اتصالهم بالتّجار النَّصَارَى وبمجالسّتهم لَهُمْ[2]، واتصال التّجار الْعَرَب بالرّهبان واستضافتهم فِي الدّيارات، وتجارة الرّقيق. وبفضل مَا كَانَ لكثير من الْمُبَشّرِينَ من علم، ومن وقوف عَلَى الطّب، والمنطق، ووسائل الإقناع، وكيفية التّاثير فِي النّفوس، تمكنوا من اكتساب بعض سادات القَبَائِل، فأدخلوهم فِي دينهم، أَوْ حصلوا مِنْهُمْ عَلَى مساعدتهم وحمايتهم[3].

لا شك فِي أنَّ الْمَسِيحِيّة سرعان مَا تغلغلت فِي بلاد الْعَرَب، فذكر الجاحظ أَنَّهُ" كَانَتْ النّصْرَانِيَّة غلبت عَلَى ملوك الْعَرَب وقَبَائِلها، ووجدت سبيلها بَيْنَ تَغْلِب، وشيبان، وعبد القيس، وقضاعة، وسليح، والعباد، وتنوخ، ولخم، وعاملة، وجذام، وكثير بن بلحارث بن كعب"[4]. ونقل اليَعْقُوبِيّ[5] اخبار من تنصر من أحياء الْعَرَب: قوم من قُرَيْش من بني أسد بن عَبْد العُزّى، مِنْهُمْ عثمان بن الحويرث بن أسد بن عَبْد العُزّى، وورَقَة بنِ نَوْفَل بن أسد، ومن بني

---

[1] - عز الدين عناية: "المسيحيّة العَرَبِيّة: تشظّي الهويّة ومستخلصات الوعي التاريخيّ"، *مجلة التّسامح العمانية*.

2 - الطبري: **جامع البيان فِي تأويل القُرْآن**، (مُؤَسَّسَة الرّسالة، 2000 م)، 15/3.

3 - علي، جواد: م. س. 591/6.

4 - الجاحظ: "الرّد عَلَى النّصارى"، ضِمْنَ *رسائل الجاحظ*، 313/3، **الحيوان**، (بيروت، 1424هـ) 129/7.

5 - أحمد بن أبي واضح: **تاريخ اليعقوبي** (دار صادر، بيروت) 257/1.

تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة، ومن ربيعة بنو تَغْلِب، ومن اليمن طيء ومذحج وبهراء وسليح وتنوخ وغَسّان ولخم". ومن أهم المدن الَّتِي كثرت فِيهَا الْمَسِيحِيَّة: اليمن، ونَجْرَان، ومَكّة، ودومة الجندل، وتَيْمَاء، وتبوك، واليمامة، ونجد، والعِرَاق؛ غَيْرَ أَنَّها كَانَتْ تقِلُّ فِي يَثْرِب.

أشار الجاحظُ إِلَى تفَشِّي النَّصْرَانِيَّة بَيْنَ القَبَائِل بقُوَّة، وأنّ لها الحظّ الأوفرَ فِي انتشارها بَيْنَ الْعَرَب، حَتَّى غلبت عَلَيْهِمْ وعُرفوا بِهَا: " أن الْعَرَب كَانَتْ النَّصْرَانِيَّة فيها فاشية، وعليها غالبة، إلا مضر، فَلَمْ تَغْلِبْ عَلَيْهَا يَهُودِيَّة ولا مَجُوسِيَّة، وَلَمْ تَفْشَ فِيهَا النَّصْرَانِيَّة، إِلَّا مَا كَانَ من قومٍ مِنْهُمْ نزلوا الحِيرَة، يُسَمَّوْنَ: العُبَّادُ[1]، فإنّهم كَانُوا نَصَارَى، وَهُمْ مغمورونَ مَعَ نَبْذٍ يَسِيرٍ فِي بعضِ القَبَائِلِ. وَلَمْ تعرفْ مُضَرُ إِلَّا دِينَ الْعَرَب، ثُمَّ الإِسْلَام"[2].

كَانَ الْمَسِيحِيّون فِي مَكّة ينتمون إِلَى أصولٍ عديدةٍ: أحباشٍ، وأقْباطٍ، وتجارٍ من نَجْرَان، ورعايا من الحِيرَة، و الغساسنة، وأنْبَاط من سوريا، مَعَ بعضِ الرّهبان ومرسَلينَ، بالأضافة إِلَى نَفَرٍ من عُلْيَةِ القومِ الَّذِينَ اعتنقوا الْمَسِيحِيَّة، أمثال: عثمان بن الحويرث بن أسد، وورَقَة بنِ نَوْفَل بن أَسَد بن عَبْد العُزَّى. وكانت "سودة بنت زهرة" كاهنة نصرانيَّة، وهي عمَّة "وهب بن عبد مناف"، والد "آمنة بنت وهب"، أم محمد الرسول. إذ كانت كاهنة قريش، فقالت يوما لبني زهرة: فيكم نذيرة، أو تلد نذيرا، فاختارت آمنة بنت وهب زوجة لـ"عبد الله بن عبد المطلب"[3].

---

[1] - العبَاد: قوم من أفناء الْعَرَب، نزلُوا بالحِيرة وَكَانُوا نَصَارَى، مِنْهُم عَدِيّ بن زيد العِبَادِيّ. وَقد سَمَّت الْعَرَب عَبَّاداً وعُبَادة وعُبَاداً وعَبِيداً وعَبيدة وعَبَدَة ومَعْبَداً وعُبَيْداً وعابداً وعَبْدان وعُبَيْدان. الأزهري: **تهذيب اللغة** 2/ 142.

[2] - الجاحظ: "الرد على النصارى" الرّسائل، 3/ 313.

3 - الحلبي: **السيرة الحلبية** 68/1.

وعَلَى الرَّغْمِ مِنْ وجود النَّصْرَانِيَّة فِي الحجاز، موطن النبيّ محمَّد الحميم، إِلَّا أَنَّها لَمْ تتمَكَّنْ من تثبيتِ قدمِها هُنَاكَ، مَعَ أَنَّ المصادرَ العربيّة تَزْعُمُ أَنَّ الحواري "بارثونموسBarthoinomus"[1] قام بالحج إِلَى مكّة، ويبدو - بحَسَبِ بوسِه- أَنَّه لَمْ يَحْدُثْ عَلَى الإِطْلَاقِ عَمَلٌ تنْصِيرِيٌّ مُنَظَّم[2].

كَمَا وُجِد النَّصَارَى فِي يَثْرِب بمقدار أقل مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ فِي مَكّة، وأغلبهم جاء عَنْ طريق التّجارة والعمالة والموالاة. وَفِي تقويم قديم للكَنِيسَة النَّسْطُورِيّة، أنها اقامت مطرانا فِي يَثْرِب، إِذْ كَانَ لَهُمْ ثلاث كَنَائِس عَلَى اسم: إِبْرَاهِيم الخليل، وموسى الكليم، وأيوب الصّديق[3].

وَلَمْ يَعْبَأْ المبشرونَ بالمصاعبِ والمشقّاتِ الَّتِي كَانُوا يتعرضون لها، فدخلوا مواضعَ نائِيَة فِي جَزِيْرَة الْعَرَب، ومنهم من رافقوا الأعرابَ، وعاشوا عيشتَهم، وجارُوهم فِي طرازِ حياتِهم، فسكنوا مَعَهُمْ الخيامَ، حَتَّى عُرِفُوا بـ "أَسَاقِفَة الخِيام" وبـ "أَسَاقِفَة أهل الوَبَر"، وبـ "أَسَاقِفَة القَبَائِل الشَّرْقِيَّة المتحالفة" وبـ "أَسَاقِفَة الْعَرَب البادية". وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ مطرانَ "بصرى" كَانَ يُشْرِف عَلَى نحْوِ عشرين أُسْقُفاً، انتشروا بَيْنَ عرب حوران وعرب غَسَّان، وَقَدْ نُعِتُوا بالنّعوت المذكورة، لأَنَّهُمْ كَانُوا يعيشون فِي البادية مَعَ القَبَائِل عيشة أهل الوبر[4].

ويرى ديورانت: إِنَّ الإِمْبِرَاطُوريتين البِيْزَنْطِيَّة و الفارسيَّة قَدْ أنهكتهما الحروب، فَكَانَ ضعفهما مغريا للعرب عَلَى غزو بلادهما، ولقد كَانَتْ الضَّرائب فِي ولايات الدّولتين تزداد زيادة مضطردة،... وَقَدْ كَانَ فِي الشّام والعِرَاق قَبَائِل

1 - اسمه"زُرَيْبُ بْنُ بَرْثَمَلَا" وَصِيُّ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ. أَبُو نعيم: **دلائل النبوة**، (الرّياض، لا. ت) 102/1.

2 - هيربرت بوسه: **أسس الحوار فِي القرآن**، (القاهرة 2005) ص43.

3 - قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبِيّة**، ص59.

4 - **النّصرانية وآدابها**، 37/1.

عَرَبِيّة لَمْ تَجِدْ صُعُوبَةً فِي قَبُولِها حُكْمَ الْعَرَبِ الغزاة أَوَّلًا، ثُمَّ اعتناق دينهم بَعْدَئِذٍ، يضافُ إِلَى هَذَا عوامل دِينِيَّة، مِنْهَا: أَنَّ اضطهادَ بِيزَنْطَةَ لليَعَاقِبَة والنَّسَاطِرَة وغيرها من الشِّيَع الْمَسِيحِيَّة، قَدْ أَحْفَظَ عَلَيْهَا قلوبَ أَقَلِّيَّةٍ كبيرةٍ من السّوريّين والمِصْريّين[1].

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ النَّصْرَانِيَّة أخذتْ تَسْرِي فِي جَسَدِ الوَثَنِيّة، الدِّيَانَة الشّائعة، إِلَّا أَنَّ الإقبال عَلَيْهَا ظلّ بطيئا فِي القَرْن الرّابع، وإذا مَا عُدَّتْ مشاركةُ أَسَاقِفَةِ المدُنِ فِي المجامع المسكونية معيارا لحجم الانتشار الْمَسِيحِيّ، فَلَمْ يؤُمْ المجمعَ المسكوني الثّاني فِي القُسْطَنْطِينِيَّة سنة 381م، سِوَى خمْسَةٍ من الأَسَاقِفَة، أَسَاقِفَة بُصْرَى ودَرْعَة والسّويدا وبراق وشيخ مسكين أَوْ خان النّيلة، ثُمّ يرتفع عددُهم فِي المجمع المسكوني الرّابع سنة 451م فِي خلقيدونيَّة إِلَى سبعة عشر أُسْقُفا عَنْ الشّام الْعَرَبِيّة[2].

1 - ول ديورانت (1885-1981): **قصة الحضارة**، م. س. 72/13

2 - أساقفة: درعا، وعينه، وقنوات، وبراق اللجا، والسّويدا، وصنمين، وحسبان، وافتيمية، وجرش، ومادبا، والسّقا، وشيخ مسكين أَوْ خان النّيلة،، ونوى، وعمّان، والشّهبا، وأذرع. أسد رستم: **كَنِيسَة مدينة الله أَنْطَاكِيَة العظمى**، 391/1.

الْمَسِيحِيَّة فِي الشّام ونشأة الكنيسة اليعقوبية:

تدالتْ على الشام الأممُ المختلفةُ من فينيقيّين وأموريّين وكنعانيّين، وغزاه آشوريّون وبابليّون، وفراعنةُ مصر، واليونانُ، وأخيرا الرومانُ، فكان إقليما رومانيا، يتثقف بثقافتهم، ويتدين بالنصرانية دينُهم[1].

وترعرعتْ في بلادُ الشّامِ اليهوديةُ بعد موسى، ومن ثم أضحت منبعَ النّصْرَانِيَّة، وموطنَ الْمَسِيح وموطئَ أقدامِه، والْعَرَبِيّة -فِي الْعُرْف الْكَنَسِيّ- هِيَ الولاية الرّومانية الْعَرَبِيّة، الَّتِي أُنْشِأَتْ فِي مطلع القَرْن الثّانِي للميلاد، حولَ مدينةِ بُصْرَى، فشملتْ كلَّ مَا وقعَ بَيْنَ وادِي الحَسَا فِي الجنوبِ واللجا فِي الشّمال، وَبَيْنَ البحر الأحمر والأردن من الغرب حَتَّى أطراف البادية فِي الشّرق[2].

واجه الإمبراطور جستنيان (527- 565م) صعوبة بالغة في تحقيق طموحه بتوحيد مذهبي الإمبراطورية؛ لتتحقق له سلطة الإمبراطورية والبابوية معاً. فأخذ يتخبط، فتارة ضرب على يد البابا "فجليوس" الذي رفض آراءه، ليعقد مجمع القسطنطينية الثاني (553م) الَّذِي حاول أنْ يفرضَ إرادتَه علَى الأُسْقُفيات الغربية بتقرير مذهب الطبيعة الواحدة، وَتَارَةً أُخْرَى اتّبع سياسة قمع المونوفيزيين "monophysites" وسحقهم ونفي قادتهم ومنهم، عَلَى سبيل المثال، "ثيودوسيوس" بِطْرِيك الإسكندريَّة الَّذِي سُجن مَعَ ثلاثمائة من رجال الدّين، إِلَّا أَنَّ جهود يعقوب البرادعي المتواصلة ومجازفاته المستمرّة كَانَتْ مثمرة فِي سبيل الكَنِيسَة، فِي اعلان استقلال المنوفيزيين فِي كَنِيسَتي أَنْطَاكِيَةَ والإسكندريَّة. أَمَّا

1 - أحمد أمين: **فجر الإسلام**، (بيروت 1969م) ص89.

2 - رستم، أسد: **كنيسة مدينة الله**،390/1.

الموعد الحاسم في إحياء الأرْثُوذَكْسِيَّة السّرْيانِيّة فَكَانَ فِي العام 542، حِينَ لجأ البِطْرِيرك القبطِيّ، بمبادرة من الإمْبِرَاطُورة "تيودورا"، وبطلب مِنْ قِبَلْ الملك الْعَرَبِيّ الحارث بن جبلة، إلَى رَسَامة مطرانيْنِ عَلَى مناطق آسيا: يعقوب البرادعي الَّذِي أصبح مطراناً عَلَى الرّها، و"ثيودور" الَّذِي أصبح مطراناً عَلَى بصرى[1].

ومن نتائج هذا الصّراع استقلالُ أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة، إقامُة كنيسة منفصلة لهم، تعرف بالكنيسة اليَعْقُوبِيّة، برئاسة مؤسسها يعقوب البرادعي (ت578م)، ويعتقد أتباع المذهب اليعقوبيّ، الَّذِي أخذت بِهِ الكَنَائِس الشَّرْقِيَّة، أن طبيعة الْمَسِيح واحدة مِنْذُ ولادته، فللسيد الْمَسِيح - فِي نظرهم- اقنوم إلهيٌّ واحد، اتّحد بالطّبيعة الإنْسَانِيَّة اتحادًا تاما بلا اختلاط ولا امتزاج ولا استحالة[2].

يبدو أنّ نشوء مملكة الغساسنة فِي الشّام كدولة حزام أمني لإمْبِرَاطُوريّة الرّوم، ومنح الحارث بن جبلة (529- 569م) لقب "بِطْرِيق" "patricius"، واعتناق أمراء الغساسنة المذهب اليَعْقُوبِيّ وتعصبهم لَهُ، ساعد عَلَى تثبيت المذهب وشيوعه بَيْنَ عرب بلاد الشّام[3]. ويقال إنّ الحارث سعى لَدَى الإمْبِرَاطُورة "ثيودورة" فِي تعيين "يعقوب البرادعي" ورفيقه "ثيودورس"، أُسْقُفين للمقاطعات السّورية الْعَرَبِيّة. فنجح فِي مسعاه هَذَا فِي سنة "542-543م"، وبذلك وطد هَذَا المذهب فِي بلاده[4].

نسب المُؤَرّخ السّرْيانِيّ "مِيخَائِيلُ الكبير" إلَى الحارث بن جبلة محاورة، جرت بَيْنَهُ وَبَيْنَ البِطْرِيك "إفرام" (526-545م) فِي السّرْيانِيّة أَوْ اليُونانِيّة فِي

1 - عزيز سوريال عطية: **تاريخ الكنيسة الشّرقية**، (القاهرة، 2005) ص 222.

2 - علي، جواد: م. س. 6/ 98.

3 - علي: م.ن. 168/12.

4 - علي: م. ن. 99/6.

طبيعة الْمَسِيح، وَفِي مذهبه القائل بوجود طبيعة واحدة فِيهِ[1]. وَكَانَ إفرام، وَهُوَ عَلَى مذهب "الملكيين"، قَدْ قصده لإقناعه بترك المذهب "اليَعْقُوبِيّ" والدّخول فِي مذهبه، وزُعِم أن "الحارث " تغلَّب فِي المناظرة عَلَى "البِطْرِيرك" وأفحمه فِي الجواب[2].

بعد تفكّك مملكة الغساسنة، قام الملكانيون بمحاولات لإدخال الْعَرَب اليعقابة فِي عقيدتهم. وَكَانَ غريغوريوس الأول (ت593م)، بِطْرِيك أَنْطَاكِيَةَ الملكاني، عنصرا نشيطا فِي هَذَا المجال. ويؤكّد التّاريخ الْكَنَسِيّ أَنَّهُ قام بحملة تنصير كبيرة فِي قلب صحراء الشّام ونجح فِي إدخال قَبَائِل عَرَبِيّة يَعْقُوبِيّة فِي الْمَسِيحِيَّة الملكانية[3].

مِهْمَا يَكُنْ إنّ "آل جفنة" الغساسنة كلهم كَانُوا عَلَى النّصْرَانِيَّة عِنْدَ ظهور الإِسْلَام، وَكَانُوا أصحاب دين وعقيدة، يدافعون عَنْ مذهبهم. وَكَانَتْ لَهُمْ بيع وَكَنَائِس بنوها لَهُمْ ولرعيتهم[4]، وَكَانَ فِي "بيعة غَسَّان" شماسًا عرف بـ "أرطبان المرني"[5]، أَمّا المنافزة فظلوا يؤلفون أغلبية الشّعب فِي سُورِيَةَ،[6] واليَعْقُوبِيّةَ هِيَ الَّتِي شاعَتْ بَيْنَ عرب بلاد الشّام، وَلَوْلَا أمراء غَسَّان، ولاسِيَّمَا الحارث، لحبط مسعاها[7].

---

1 -اسحق أرملة: "الملكيون: بطريكيتهم الانطاكية، ولغتهم الوطنية والطقسية"، *مجلة المشرق*، المجلد 34 ""ص61 .

2 - علي: م. س. 168/12.

3 - بلحاج: م. س. ص40؛ عز الدين عناية: "المسيحيّة العَرَبِيّة: تشظّي الهويّة ومستخلصات الوعي التاريخيّ"، *مجلة التّسامح العمانية*، العدد العاشر.

4 - علي، جواد: م. س. 6/ 129.

5- ابن حجر(852هـ): **الإصابة في تمييز الصحابة**، (بيروت 1415هـ) 1/ 102.

6 - عطية: **تاريخ الكنيسة الشّرقية**، ص 234.

7 - هنري لامنس اليسوعي، الأب: "أقدم أثر لبني غَسَّان- أَوْ أَخْرِبَة المُشَتَّى"، *مجلة المشرق*. السّنة

امتدَّ اليعاقبَةُ شرقًا إلَى شمال بلاد النهرين، فكانت تكريت مركز كنيستهم، حَيْثُ أقام الكاهن الأعلى، المختص باليعاقبة الخاضعين للحكم الفارسي[1]. ولذا كَانَ المجال الْعَرَبِيّ اليَعْقُوبِيّ واسِعا، ولعلَّه أوسع من المجال النَّسْطُورِيّ، إلَّا أَنَّ الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة النَّسْطُورِيّةَ عمّرتْ أكثر، وَكَانَ للنَسَاطِرَة الْعَرَب دورٌ أهمُّ من اليَعَاقِبَة داخل كَنِيسَتهم. وتتيح المصادر السّرْيانِيّة لَنَا معرفة الأبرشيّات[2] الْعَرَبِيّة التّابعة للكَنِيسَة اليَعْقُوبِيّةَ وأسماء العديد من أساقفتها، نحو:

1- أَبْرَشِيَّة التّغالبة. كَانَ لَهُمْ أَسَاقِفَةٌ حَتَّى القَرْن الرّابع الهِجْرِيّ. وَكَانُوا يقيمون لَمَّا جاء الإِسْلَام فِي المثلث القائم بَيْنَ الحِيرَة ومَنْبِجَ وجَزِيْرَة ابن عمر. وَفِي سنة (70هـ/ 689م) إنْحَصَرَتْ إقامتُهم بَيْنَ الخابور ودجلة والفرات.

2- أَبْرَشِيَّة نَجْرَان الكوفة. جاء إلَيْهَا النّازحون من نَجْرَان عام(20هـ/641م)، التّحق قسم مِنْهُمْ بالكَنِيسَة النَّسْطُورِيّةَ، وبقي لَهُمْ أَبْرَشِيَّة تابعة لليَعَاقِبَة، ودمجت فترة مَعَ أَبْرَشِيَّة التّغالبة.

3- أَبْرَشِيَّة الْعَرَب أَوْ القَبَائِل. لا يعرف موقعها؛ لأنها تطبّعت بطبيعة البادية، حَتَّى عُرِف دعاتها باسم "أَسَاقِفَة الخيام" و "أَسَاقِفَة المضارب"، لمرافقتهم الأعراب وعيشهم بَيْنَ ظهرانيهم. من أشهر أساقِفَتِها جرجس أُسْقُف الْعَرَب (ت107هـ/725م)، وَهُوَ تلميذ البِطْرِيك اثناسيوس الثّاني، الَّذِي سقّفَهُ عَلَى نَصَارَى الْعَرَب سنة 68هـ/ 688م، وَكَانَ كرسيه فِي عاقولاء (الكوفة)، وَهُوَ

الأولى، الجزء 11، حزيران 1898، "ص486".

1 - هيربرت بوسة: **أسس الحوار في القرآن**، ص43.

2 - جمع أَبْرَشِيَّة Parish، وهي: رَعِيَّة، او مِنْطقة من البلاد تخضع لسلطة أَسْقُفْ . **المعجم الوسيط** (أبرشية).

فيلسوف عالم لَهُ تصانيف[1]. عَلَى أَنَّهُ بَعْدَ مطلع القَرْن العاشر تصمت المصادر عَنْ ذكر أَبْرَشِيَّة الْعَرَب[2].

امتدت المسيحيَّة الى شرق أسيا الصغرى وبحر قزوين، حيث الأرمن الذي انتشرت بينهم المنوفزتية. وقال عنهم المسعودي[3]: أنَّ الأرمن يعاقبة. تحدث المؤرخ الأرمني "سبيوس" بإسهاب عن الشقاق المذهبي الضاري بين الإمبراطورية البيزنطية والأرمن، بخاصة فيما يتعلق بمحاولة الإمبراطور البيزنطي فرض مقررات مجمع خلقيدونية سنة 451م عليهم بالقوَّة، وتمسك الأرمن بالمذهب المنوفيزي[4]. ولعل هذه النظرة تجاه بيزنطة هي التي جعلت الأرمن يقبلون –على كراهة- رعويَّة الدَّوْلَة العَرَبِيَّة.

نشأة النَّسْطُورِيّةَ

الدِّيَانَة الْمَسِيحِيَّة مثل باقي الدِّيَانَات، تعَدّدت فِيهَا المذاهب والطّوائف قديمًا، وَكَانَ منشأ الخلاف والتّعَدّد هُوَ تحديد طبيعة الْمَسِيح، وَكَانَ نسطوريوس Nestorius قَدْ نُصِّبَ فِي 428م بِطْرِيكا عَلَى القُسْطَنْطِينِيَّة، وَفِي مجمع إيفيسوس[5] (431م)، أعلن البِطْرِيَرك نسطوريوس (380- 451م): أن فِي الْمَسِيح طبيعتين أَوْ أقنومين: احدهما إلهيٌّ والآخر إنْسَانِيٌّ، فِي غيرِ اختلاطٍ أَوْ تمازجٍ، فالْمَسِيح عِنْدَما وُلِدَ كَانَ إنسانًا مَحْضًا، ثُمّ سَكَنَتْ فِيهِ الإلوهيةُ، ولازمتْهُ إلَى حِينِ صَلْبِهِ،

---

1 - اسحق رملة: "فِي البطريكية الانطاكية"، *مجلة المشرق* (عدد21) [سنة1923] ص503.

2 - الأرشمندريت اغناطيوس ديك: "القبائل العَرَبِيّة المسيحيّة فِي بلاد الشّام فِي عهد صدر الإسلام"، بحث فِي *النّدوة الدّوْلِيّة "بلاد الشّام فِي عصر الرّسول والخلفاء الرّاشدين"* كلية الآداب، جامعة حلب، 2-2006/5/4. موقع كنيسة القديسة تيريزيا بحلب.

3 - **مروج الذهب**، (دار الهجرة، قم، ايران، 1984) 259/1 .

4 - فائز اسكندر: "المسلمون والبيزنطينيون والأرمن في كتابات سبيوس"، ص45.

5 - إيفيسس: مدينة يونانية قديمة تقع عَلَى بعد حوالى 56 كم جنوب أزمير التركية. *منتدى العلم والثّقافة والمعلومات العامة*. http://forum.arabia4serv.com/t62438.html

حِينَئِذٍ فارَقَتْهُ فَلَمْ يَكُنْ عَلَى الصَّلِيب سِوَى إنسانٍ متألِّمٍ، ولذلك كَانَ أتْبَاعُ هَذَا المذهبِ يُسَمُّونَ العذراءَ مَرْيَمَ "والدّةَ الْمَسِيح" وليْسَ "والدّة الله". بخلافِ مَا كَانَ معتمَدًا عِنْدَ الْمَسِيحِيّينَ مِنْ أَنَّ الْمَسِيحَ شَخْصٌ واحدٌ بطبيعتينِ، هُمَا: الإلهيَّةُ والبَشَرِيّةُ. وهَاتَانِ الطّبيعتانِ مُسْتَقِلّتَانِ غَيْرُ منفصلتينِ[1]. غَيْرَ أنَّ قرارًا صدَرَ عَنْ مَجْمَعِ "ايفسوس" بطرْدِ نسطوريوس وحرمانه، كَمَا أنَّ أتباعَه رَفَضُوا القرارَ، وانْفَصَلوا عَنْ الكَنِيسَةِ الأرثوذوكسيّةِ، وعُرِفُوا بالنَّسَاطِرَة[2].

أُدين نسطوريوس وأتباعه في مجمع خلقيدونية 451م، واعتبروا خارجين عَلَى تعاليم الكَنِيسَة، لَكِنَّ الدّولةَ الفارسيَّةَ وَجَدَتْ فِي أتباعِ نسطوريوس خَيْرَ أداةٍ لمحاربةِ الدّولةِ الرّوميَّةِ البِيْزَنْطيَّةِ، فأعْلَنَ الإمْبِرَاطُورُ الفارسيُّ النَّسْطُورِيّةَ ديناً لجميعِ مسيحيّي بلادِ فَارِسَ[3]. وقطع المسيحيون الساسانيون بقبولهم الملزم للعقيدة النسطوريَّة في المؤتمر الكنائسي الذي انْعَقَدَ في "بيت لاباث" في نيسان عام 484م[4]. وانتخبَ الأَسَاقِفَةُ النَّسَاطِرَةُ "بابوي" (457-484م)، وأقامُوه جاثليقًا في المدائن[5]، ومنذ ذَلِكَ الحِين سُمِّيَتْ الكَنِيسَةُ النَّسْطُورِيّةَ بكَنِيسَةِ الشَّرْقِ، وتَسَمَّى بِطْرِيكها بِطْرِيكا للكَنِيسَة الشَّرْقِيَّة، وانتشرتْ وتوسعتْ فِي بلادِ فَارِسَ وعُمَانَ والعِرَاق والهند وَحَتَّى الصّين، وازْدَهَرَ مَذْهَبُهَا، فَهِيَ الفِرْقَةُ الْمَسِيحِيَّةُ الوَحِيدَةُ، الَّتِي كَانَ مسموحا لها التّبشيرُ بأفكارِها فِي هَذِهِ المنطقة[6].

---

1 - عزيز سوريال: **تاريخ الكنيسة الشّرقية**، ص 303

2 - قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبِيّة**، م. س. ص78.

3 - مراد كامل، مُحَمَّد حمدي البكري، زكية مُحَمَّد رشدي: **تاريخ الأدب السّرْيانِيّ** (دار الثّقافة والنّشر، القاهرة، 1987) ص 128.

4 - يُزف فيزهوفر: **فارس القديمة**، م.س. ص241.

5 - أبونا: **الكنيسة السّريانية الشّرقية**، م. س. ص102.

6 - **الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلاميّ**، نقلا عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، 15/ 7.

كان مجمع خلقيدونية فاتحة الإنشقاق العميق، بين الكنيسة الرسميَّة والكنيسة السريانية، وكان منطلقًا حافلًا بالإضطهادات من جانب الدولة البيزنطية وكنيستها. وبحسب إدمون رباط[1]: قدَّم المؤرخون -على اختلافهم من شرقيين وغربيين- وصفًا للأشكال الفظيعة، التي اتخذتها من تقتيل وتشريد وتعذيب لمخالفيهم في المشرق.

أَمَرَ الإِمْبِرَاطُورُ زينون Zeno (474-491م)، بإغلاقِ مدرسةِ الرّها، وطرد النَّسَاطِرَة إِلَى خارج مملكة روما، وصادقَ المجمع المسكوني الخامس فِي القُسْطَنْطِينِيَّة (553م) عَلَى اقصاء النَّسَاطِرَة من ربقة الْمَسِيحِيَّة، حِينَئِذٍ تعرض أنصار التَّعاليم النَّسْطُورِيّة[2] فِي مدرسة الرّها لأشكال مُخْتَلفة من الاضطهاد بسبب الخلاف المَذْهَبِيّ، فهاجر إِلَى نصيبين معلمو مدرسة الرّها[3]، وَقَدْ وجد هَؤُلَاءِ المهاجرون فِي مدينة نصيبين ملجأ ومستقراً لَهُمْ، تَحْتَ حماية الدّولة الفارسيَّة[4]، واصطبغ جنوب بلاد النهرين بالنّصْرَانِيَّة النَّسْطُورِيّة، وَكَانَ مقرها الرئيس (Seleukia Ktesiphon) المدائن عاصمة الساسانيّين[5]، حينها اتيحت للنسطوريَّة أنْ تنفرد بشخصيتها الدّينيَّة فِي المشرق، وتعقد مجامعها الْكَنَسِيّة الخَاصَّة، وتتوسع عَلَى حساب اليَعَاقِبَة المَنُوفَزِيّين فِيهَا[6].

مِنْذُ مجمع مار اسحق، الَّذِي عقد في ساليق بمساعدة "ماروثا الميافرقيني" سنة 410، برزت الملامح الخَاصَّة بكَنِيسَة المشرق، وأخذت حياتها الدّينِيَّة تتَطَوّر حَسْبَ الخطةِ الَّتِي ترسمُها لها المجامع الَّتِي صارت تعقد كل سنتين أَوْ أربع

1 - المسيحيون في الشرق قبل الإسلام، *المسيحيون العرب*، ص20.

2 قنواتي، م. س. ص 78– 79؛ سوريال عطية: **تاريخ الكنيسة الشّرقية**، ص306

3 غريغوريوس يوحنا إِبْرَاهِيم: **المراكز الثّقافيّة السّريانية**، (حلب 1997م)ص 20 – 21.

4 - ف. بارتولد، **تاريخ الحضارة الإسلاميّة**، (القاهرة 1983م)، ص 48.

5 - هيربرت بوسة: م. س. ص43.

6 - سوريال عطية: م. س. ص306.

سنوات. والمجامع قَبْلَ الإِسْلَام هِيَ: 1- مجمع اسحق 410. 2- مجمع يهبالاها الأول 420. 3- مجمع داديشوع 424. 4- مجمع آقاق 486. 5- مجمع باباي 497. 6- مجمع مار آبا الكبير 544. 7- مجمع يوسف554. 8-مجمع ايشوعياب الأول 585. 9- مجمع سبريشوع 596. 10- مجمع غريغور 605[1].

كَانَتْ الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة من السّاحات المبكرة، الَّتِي مارس فِيهَا النَّسَاطِرَة نشاطهم، إِذْ ظهر هُنَاكَ فِي القَرْن الخامس ستة أَسَاقِفَة، مِنْ بَيْنِهِمْ أُسْقُفُ الحِيرَة، فِي سنة 525م ظهرت أُسْقُفية فِي "بيت قطرايا" (قطر)، وجزر البحرين، واتسع نشاطهم حَتَّى قيل: ان غالبية النَّصَارَى الْعَرَب كَانُوا عَلَى مذهب النَّسَاطِرَة [2].

حقق النَّسَاطِرَة انتصارات عَلَى مناوئيهم وأثبتوا وجودهم عَلَى مساحات أكبر مستغلين الواقع السِيَاسِيّ، كَمَا فِي العِرَاق، فَقَدْ اتّصَلَ النّعمانُ بنِ المنذرِ بآباءِ الكَنِيسَة: شمعون بن جابر أُسْقُف الحِيرَة، و "سبريشوع" أُسْقُف "لاشوم"، و"ايشو عزخا" "ايشوع زخا" الرّاهب فانتفع بِهِمْ، فغير دينه، فتنصر واعتمد وحسُن إيمانه، وطرَد اليَعَاقِبَة من سائر أعماله، وتقوَّتْ بِذَلِكَ النَّسْطُورِيّة[3].

حين ننظر في نتائج الإنشقاقين اليعقوبيّ والنسطوريّ، نبدأ في فهم السبب الذي من أجله تُرْجِمَ كثيرٌ من الفلسفة اليونانيَّة الى السريانيَّة، على حين كانت الحركة النسطوريَّة سببًا قويا لصيرورة السريانية وسطا، تتحول عن طريقة الثقافة الهيلينية الى اجزاء من آسيا، تقع وراء حدود الإمبراطورية، خلال القرون التي سبقت انتشار الإسلام مباشرة[4]. وقد دخلت المسيحيّة الصين على يد النساطرة،

---

1 أدور هرمز ججو النّوفلي: " تركيبة كنيسة المشرق ومُخْتَلف الأنشطة فِيهَا" *منتديات باقوفا*، سبتمبر 2007/.

2 - سوريال عطية: م. س. ص316.

3 - علي: **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب**، 5/ 284.

4 - ريلاسى أوليري: **الفكر العربي ومكانه في التاريخ**، (القاهرة 2007م.)، ص48.

وكان ذلك حوالى عام 636م. وأظهر الإمبراطور "ناي دزونج" شيئاً من العطف عليها، وحمى الداعين لها من الاضطهاد[1].

الْمَسِيحِيَّة فِي العِرَاق

أدّت الحروب الدّائرة بَيْنَ الإمْبِرَاطُوريتين السّاسانية والرّومانيَّة دورا فِي نشر الْمَسِيحيّة فِي البلاد الْعَرَبِيّة، ولاسِيَّمَا فِي العِرَاق، إبّانَ القَرْن الثّالثّ الميلادِيّ، خِلَالَ الحملات الَّتِي شنها شابور الأول (241- 272م) بَيْنَ 256- 260م، والّتي تمكن فِيهَا من جلب أسرى من الْمَسِيحِيّينَ كَانَ بَيْنَهُمْ أَسَاقِفَةٌ وبَطَارِكَة من أنْطَاكِيَةَ، وأسكنهم فِي بابل ومدن بناها لَهُمْ، نحو: "سد شابور[2]، وَهِيَ "دير محراق" فِي منطقة ميسان، ومدينة "مرو حابور"، وَهِيَ "عكبرا" [3] الواقعة عَلَى نهر دجلة بالقرب من بغداد"[4]. واستطاع هولاء الاسرى من القيام بدور هام فِي نشر الْمَسِيحِيّية فِي العِرَاقِ و فَارِسَ، وَفِي بناء الأَدْيِرَة والكَنَائِس.

---

1 - ديورانت: **قصة الحضارة**، 4/ 264.

2 - لم أقف عَلَيْهَا فِي كتب البلدان.

3 - لم أقف عَلَى (مرو حابور)، قَالَ حمزة الاصفهاني: (بزرج سابور) معرب عَنْ وزرك شافور، وَهِيَ المسماة بالسّريانية عكبرا، وَهُوَ اسم بليدة من نواحي دجيل، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ. ياقوت: معجم البلدان 142/4.

4 - سلوى بلحاج: م. س. ص50. نقلا عَنْ pour une histoire de I,Eglise in iraq, p.55- J.M.Fiey, Jalons 57.

ثمة من يرى أنّ المسيحيّينَ كانوا يعيشون في العراق منذ القرن الاول للميلاد، وأنَّهم يشكلون إحدى أقدم الجماعات المسيحية في العالم[1]. وتعدّ مدينة أربيل أوّل مركز مسيحيّ، فقد تنصّر أحد ملوكها سنة 36 للميلاد، فآزر انتشار الإنجيل بين رعاياه، ومنهم يهود كثير[2]. غير أنّ هذا الرأي لمْ تعضدْه المصادر القديمة.

في حين يشير بعض الباحثين[3]-بحسب مصادر سريانية- الى أنّ المسيحيّة بدأت في العراق قبل الساسانيين، أي في عصر الفرثيين (140ق.م- 226م) وعاصمتهم طيسفون (المدائن)؛ إذ أنّ توما الرسول[4] أوّل من بشر الفرثيين بالإنجيل، تلاه تلميذ له اسمه "ماري آدي" أو "عدّاي"، وتولّى بعده نبيل فارسيّ الجماعات المسيحيّة النامية آنذاك، ثم تابعه سبعة أساقفة على التبشير في بلاد فارس. وفي المقابل زادت الوثنية الرومانية من بطشها بالمسيحيين مما دفع بهم الى اللجوء الى حاضنة الفرثيين، التي سمحت لهم بارساء قواعد تبشيرية في شمال بلاد الرافدين، وبحلول عام 225م تأسست عشرون أَبْرَشِيَّة في بلاد فارس، واجمالا تنامت الكنائس حتى بلغت زهاء 360 كنيسة في القرن الثالث. وهناك من يستدل على صحة هذا الرأي، في ضوء المكتشفات الحديثة لـ"ستين" قبرا مسيحيًّا،

---

1 - آرا بدليان الأرمني: "المسيحيون : انحسار الوجود وتحديات الهجرة"، في سعد سلوم: **الأقليات في العراق**، (مسارات، بيروت، 2013) ص76.

2 - أبو زيد: **م. س**، ص33.

3 - سركيس أبو زيد: **المسيحية في إيران** (بيروت، 2008) ص33، 37.

4 - توما (بالإنكليزية Thomas) ويُدعى أيضا "يهوذا توما ديديموس" ومعنى اسمه توما باللغة الآرامية "ܬܐܘܡܐ " هو التوأم، هو واحد من رسل المسيح الإثني عشر، وقد ورد ذكره في قائمة أسماء الرسل في الأناجيل (متى 10 : 3، مرقس 3 : 18، لوقا 6 : 15، أعمال الرسل 1 : 13) وتحدث عنه إنجيل يوحنا: فكان لتوما الكلمة الفصل بين التلاميذ عندما قال لهم {لِنَذْهَبْ نَحْنُ أَيْضاً لِكَيْ نَمُوتَ مَعَهُ} 11: 16، وقد كان توما أيضا من بين التلاميذ الذين حاوروا يسوع أثناء العشاء الأخير، وهذا يؤشر الى أنه لم يعاصر الفرثيين.انظر: موسوعة ويكيبيديا (توما).

في جزيرة "خرج الصغيرة"[1]، يعود تاريخها الى العام 250م[2]، الى جانب العمارة المسيحيّة[3].

في رحاب ازدياد المسيحيِّين المُضْطَرَد في بلاد فارس، حقَّقوا حياةً مستقرةً نسبيًّا، لكنَّها -بين الحين والآخر- كانت تفتح عليهم ألسنة غضب كهنة الزرادشت (الموباذ)، الطبقة القريبة من مركز القرار الحاكم، في الدعوة للقضاء عليهم، بخاصة بعد أنْ صارت المسيحيّة الدين الرسميَّ لدولة بيزنطا، فقد كانوا في معرض الشبهة والتهمة، بأنَّهم عيونٌ للروم، مما عرَّضهم للإضطهاد غيرَ مرّة، ولاسيما بين العامين 340- 379م من حكم الملك شابور الثاني، وتجدد الاضطهاد على المسيحيّين بيد المجوس في زمن "بهرام الخامس" (420- 438م)، وكان أشدَّه في عهد "يزدجرد الثاني" (438-457م) إذ إقصاهم من وظائفهم، ونظم حملة وجهها الى "كرخ سلوخ" (كركوك)، يدعوهم فيها الى التخلِّي عن دينهم، والسجود للشمس والنار، وأعدم المطرافوليط يوحنا، على عدد من الأساقفة، عام 446م، وفي العام 562م أصدر الملك خسرو الأول مرسومًا يقضي بمعاقبة من يحاول التبشير المسيحي بالموت[4].

تعدّ **الحيرة** من أقدم المراكز المسيحيّة في العراق، والحِيرَة: "تحريف لكلمة حرتا فِي السّرْيانِيّة ومعناها المخيم أَوْ المعسكر"[5]، مدينة قديمة عَلَى ثلاثة أميال من الكوفة، وَكَانَتْ منازل النّعمان بن المنذر (580-602م)، وبها تنصر المنذر بن

1 - موقع جزيرة "خرج الصغيرة" في الخليج، قبالة ساحل إيران الحالية.

2 - أبو زيد: **المسيحية في إيران**، 38.

3 - فالنتينا ميرابللا : "احتلالات بريطانيا لجزيرة خرج" مكتبة *قطر الوطنية*، على النت
http://www.qnl.qa/articles-from-our-experts?themes[0]=631

4 - أبو زيد: **م. س**، 37، 62.

5 - شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العَرَبِيّ العصر الجاهلي**، (المعارف، القاهرة) ص 44.

امرئ القيس[1]، وبنى الكَنَائِس العظيمة عَلَى موضع يقال لَهُ النّجف[2]. وتنصرت زوجته هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي، وبنَتْ الدّيارَ والبِيَع، مِنْهَا "دير هند الاقدم"[3] فِي عصر خسرو انشروان (531-579م)، وَفِي زمن أفرايم الأُسْقُف[4]، ويرى الطّبري[5]: أن امرأ القيس بن عمرو (295 -328م) كَانَ أَوَّل من تنصر من ملوك الحِيرَة. ويقوّي هَذَا الرّأي مناسبة إقصاء الْمَسِيحِيّينَ من فَارِسَ فِي القَرْن الثّالثّ إلَى الحِيرَة، وأثرهم الدّينِيّ فِي مجتمعها، إِذْ اهتدى إلَى الْمَسِيحِيّة قسم من أهلها والقَبَائِل المحيطة، وتعبدوا لله، وسموا "العباد"[6] وظلوا يشكلون جزءً مُهِمًّا من مجتمع الحِيرَة.

من هذه المدينة انطلقت إرساليّات مسيحيّة على الطرق التجارية، نحو البحرين وعمان، وغيرهما من البلدان الواقعة على الخليج، وفيها عقدت مجامع لكنيسة المشرق، مثلا: مجمع "داد يشوع"، سنة 424م. وقد دفن فيها عدد من جثالقة المشرق. وعلى إثر الجدالات التي دارت في القرن الخامس، تبنّت الحيرة

---

1 - الملقب بـ(ابن ماء السّماء) أحد ملوك الحيرة، حكم فِي الفترتين الأولى (514-524) والثّانية (528-554)، أمه هِيَ مارية بنت عوف من النّمر ابن قاسط، وَقَدْ سميت بماء السّماء لجمالها وحسنها، حكم المنذر مملكة واسعة اشتملت بالإضافة لقاعدة ملكه فِي العِرَاق عَلَى البحرين وعمان، (لطبري: **تاريخ** 89/2، 104)؛ يبدو أن حياة المنذر العسكرية بدأت مَعَ غارة لَهُ عَلَى فلسطين سنة (509) أسر من خلالها عدد كبير من الرّومان، واستمرت هجماته الَّتِي قادها بنفسه حَتَّى شملت كل المنطقة ما بَيْنَ الفرات وحتى مصر شمالا. John Binns ^ Ascetics and ambassadors of Christ: the monasteries of Palestine , 314-631. p.1131 , (الزاهدون وسفراء المسيح وأَدْيِرَة فلسطين).

2 - أَبُو الفداء (ت732هـ) **تقويم البلدان**، (دار صادر، بيروت) ص299.

3 -"دير هِند الكُبرى" أَبُو الفرج: **الديارات**، (لندن، 1411هـ) ص168؛ ياقوت: **الخزل والدأل بَيْنَ الدور والدارات والديرة**، (دمشق، 1998م) 2/2.

4 - البكري،: **معجم ما استعجم**، (بيروت، 1983) 606/2.

5 - **تاريخ الرّسل والملوك**، (دار التّراث، بيروت،) 53/2.

6 -"جورج قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبِيّة**، ص54.

المذهب النسطوري، أسوة بكنيسة فارس كلها، الا أنّ المنوفيزيين -أيضا- حاولوا الإنتشار فيها[1].

كَانَتْ الحِيرَة فِي عهد "المناذرة اللخميين" من المراكز الحَضَارِيّة المُهِمَّة فِي مُخْتَلف الميادين، لَعَلّ موقعها بَيْنَ العِرَاق والشّام وبلاد الْعَرَب أسهم فِي احتكاك أهلها بغيرهم من الشّعوب، فتأثروا بالثّقَافَات العَالَمِيّة آنَذَاكَ الفارِسِيَّة واليُونانِيّة والسّرْيانِيّة، وَكَانَ لمعرفة أهلها باللغة الفارسِيَّة أثر كبير فِي نقل آداب الفرس إلَيْهِمْ، وَقَدْ ساهم بعض أسرى الرّوم، الَّذِينَ وقعوا فِي قبضتهم، فِي نقل علوم اليونان وآدابهم إلَيْهِمْ، وَكَانَ ملوك الحِيرَة يُشَجّعُونَ الشّعراءَ، ويُغْدِقُونَ الهِبَاتِ والعَطايا عَلَيْهِمْ، وغَدَا بلاطُهم مقصَدَ مشاهيرِ شعراءِ الجاهلِيّة، نحو: "المُرَقّش الأصْغَر، المُتَلَمّس، طَرْفَةَ بن العبد، المرقش الأكبر، حسّان بن ثابت، عمرو بن كُلْثُوم، وغيرهم"[2].

كَانَتْ الحِيرَة تزْخُرُ بمعاهدِ العلمِ ومدارسه، فَقَدْ تلَقّى "إيليا الحِيرِي"، مؤسّس "دير مار إيليا" فِي الموصلِ، دراستَهُ الدّينِيَّةَ فِي مدرسة بالحِيرَة، كَمَا تَلَقّى "مار عبد الكبير" دراستَهُ فِي إحدَى المدارسِ فِيهَا[3]. والمعروفُ أنّ الحِيرَةَ قُبَيْلَ الإِسْلَامِ كَانَتْ نصرانيَّة، وَكَانَتْ تزخر بالثّقافة السّرْيانِيّة، كَمَا كَانَتْ تكتب بالخط السّرْيانِيّ، قلَمِ الْمَسِيحِيّينَ فِي هَذِهِ الأنحاء[4].

أخرجت مدينة الحِيرَة عددًا من رجال الدّين، مثل "مار إيليا"، وأصْلُه من الحِيرَة، والقديس "حنانيشوع"، وَهُوَ من عرب الحِيرَة ومن عشيرة الملك

1 - سركيس أبو زيد: **المسيحية في إيران**، ص116.

2 - أَبُو زيد القرشي: **جمهرة اشعار العرب**، (دار الأرقم، بيروت)، ص60؛ البغدادي، عبد القادر: **خزانة الادب ولب لباب لسان العرب**(بيروت، 1998م)، 316/1، 375/2، 308/3.

3 - - مُحَمَّد إِبْرَاهِيم الفيومي: **تاريخ الفكر الديني الجاهلي** (ط4، دار الفكر العَرَبِيّ، بيروت 1994)، ص 125.

4 - شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العَرَبِيّ العصر الجاهلي**، م. س. ص 34

النّعمان[1]، والقديس مار يوحنا[2]، و"هوشاع" الَّذِي حضر مجمع إسحاق الجاثليق عام 410م، و"شمعون" الَّذِي أمضى أعمال مجمع "يهبالا"، الَّذِي انعقد سنة 486م، و"شمعون" الَّذِي حضر مجمع "أقاق"، و"إيليا"، المنعقد سنة 486م، وأمضى فِي سنة 497م مجمع "اباي"، و"افرام" و"يوسف"، وَقَدْ حضر مجمع "أيشوعياب الأرزني" الَّذِي انعقد سنة 585م، و"شمعون بن جابر" الَّذِي نصّرَ الملك النّعمان الرّابع فِي سنة 594 عَلَى مَا يذكره مُؤَرِّخو الكَنِيسَة[3].

وَقَدْ كَانَ "مار يشوعياب الأرزوني" Jesujab I Arzunita (ت596م) من أصل عَرَبِيّ. درس الدِّيَانَة فِي "نصيبين" Nisibis ثُمّ تقدم فصار أُسْقُفا عَلَى "أرزون" Arzun، ثُمّ ترقَّى حَتَّى صار "بِطْرِيكا" عَلَى النَّسَاطِرَة سنة 580م. وَقَدْ زار الملك "النّعمان". وتوسَّط عِنْدَ الرّوم لمساعدة "خسرو ابرويز" Chosroes Abruizus ضدَّ "بهرام" Beheram Varames . وَقَدْ توفي فِي خيم "بني معد" "المَعْدِيّين" Maadenes، ونقل إلَى الحِيرَة، فدفن فِي دير "هند ابنة النّعمان"[4].

أَمّا الأَدْيِرَة والكَنَائِس فَقَدْ كَانَتْ كثيرة -أَيْضًا- فِي الحِيرَة والمنطقة المجاورة لها، وَكَانَ لتنصُّر المناذرة أثرٌ كبير فِي دفعهم لبناء عديد مِنْهَا. وتحفظُ لَنَا كتبُ الدّيارات وتقاويمُ البُلْدَانِ[5] أسماءَ عدد كبير مِنْهَا، ويعتبر دير "هند الكُبْرَى" من أشهر الأبنية التّابعة لهذه الزمرة، وَقَدْ بَنَتْ هَذَا الدّير "هندُ" أمُّ عمرِ بن هند. وَهُنَاكَ دير "هند الصّغرى" الَّذِي بنته "هند" ابنة النّعمان بن المنذر، وأقامت فِيهِ

---

[1] - ايشو عدناح البصري (ق3ه/ 9م): **الدّيورة فِي مملكتي الفرس والْعَرَب**، (الموصل، 1939) ص "32 وما بعدها".

[2] - ايشو عدناح: م. ن. ص47.

[3] - ادي شير: **تاريخ كلد وآثور**، (مكتب سركيس أغا جان،2007م) 2/ 208.

[4] - علي: **المُفَصَّل**، 12/ 173.

5 - البكري: **معجم ما استعجم**، 604/2، 606؛ ياقوت: **معجم البلدان**، 495/2-543.

حَتَّى ماتت ودُفِنَتْ فِيهِ. وَقَدْ ذكره عِدَّةٌ من الشّعراء، مِنْهُمْ معن بن زائدة الشّيبانى، وَكَانَ هُنَاكَ منزله. وفيه يَقُولُ[1]:

أَلَا ليتَ شِعري، هلْ أبيتَنَّ ليلةً لَدَى دير هند، والحبيبُ قريب؟

فتقضى لبانات، وتلقى أحبّة، ويورق غصن للسرور رطيب

ويسَجِّلُ الهمداني[2] كَنِيسَة "الباغوتة" بالحِيرَة ضِمْنَ أَشْهَرِ سَبْعِ مَوَاضِعَ للعبادة فِي جَزِيْرَة الْعَرَب.

وصفت الحِيرَة عِنْدَ الإِخْبَارِيّين بالبياض فقالوا عَنْهَا: "الحِيرَة البيضاء"[3] تعبيرا عَنْ حسن عمارتها وطغيان هَذَا اللون عَلَى سائر أبنيتها، وَكَانَ أهل الحِيرَة مِلَلًا ونِحَلًا دِينِيَّة كثيرة، فَقَدْ كَانَ بَيْنَهُمْ الوَثَنِيّون الَّذِينَ يعبدون الأصنام، والصّابئة الَّذِينَ يعبدون الكواكب، والمجوس[4] الَّذِينَ يقدسون النّار، فَضْلًا عَنْ أتباع النّصْرَانِيَّة واليَهُودِيَّة، وَكَانَ معظم نَصَارَى الحِيرَة نَسَاطِرَة.

غير أَنَّ العُبّاد، هُمْ الَّذِينَ سكنوا رُقْعَة الحِيرَة فابْتَنُوا بِهَا، وَبِحَسَبِ معظم الإِخْبَارِيّين أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى دين الْمَسِيح. وعلى رأي: أَنَّهُمْ قَبَائِل شتَّى من بُطون الْعَرَب، اجتمعوا عَلَى النّصْرَانِيَّة، والنِّسْبَة إِلَيْهِمْ عبَّادِيّ[5]. وبالمُحَصِّلة إِنَّ كلمة

1 - البكري: **م. ن.** 2/ 605.

2 - الهمداني، (ت334هـ): **صفة جزيرة العرب**، (صنعاء، 1990) ص240.

3 - ابن الفقيه (ت 365): **البلدان**، (بيروت، 1996م) ص216.

4- من أصول"ميدية" فارسية، على دين زرادشت، يعبدون الإله (اهورا مزدا) ، لديهم كتاب مقدس "الزند أفستا". شاي، بلوش: **دليل حضارات الشرق الأدنى**، 36، 236.

5 - ابن دريد، (ت 321هـ): **جمهرة اللُغَة**، (بيروت 1987)1/ 7.

"العبَّاد" أطلقت فِي الأصل عَلَى من تنصَّر من أهل الحِيرَة؛ ليميِّزوهم عَنْ غيرهم من سكان المدينة من الوَثَنِيِّين[1].

ظَلَّتْ الحِيرَةُ من المراكز المُهِمَّة فِي الدِّيَانَة الْمَسِيحِيَّة، وعَلَى الرَّغْمِ مِنْ وطئة الحروب بَيْنَ اللخميين والبِيْزَنْطيين فِي القَرْن الخامس، فإن مطارنة الحِيرَة أسهموا فِي المجامع، الَّتِي رأسها المطران الأعظم "كاتريكوس فِي السّنوات: (434، 486، 497م)، وَقَدْ ربطت هَذِهِ المجامع مصير الكَنِيسَة عِنْدَ اللخميين بالنَّسَاطِرَة[2].

عنيت الحِيرَة بحركة التّبشير بَيْنَ الْعَرَب، ومنها ذهب قسم من المُبَشِّرِينَ إِلَى اليمن والأجزاء الأُخْرَى من جَزِيْرَة الْعَرَب، لنَشْرِ النَّسْطُورِيّة والمذاهبِ النَّصْرَانِيَّةِ الأُخْرَى هُنَاكَ، وَفِيهَا انعقد مجمع "دار يشوع" فِي سنة 424م[3]، وَفِي هَذِهِ المدينة توفي الجاثليق "دار يشوع"، ودُفِنَ فِيهَا عَلَى بعض الرّوايات[4].

لَمْ تَقِفْ الحِيرَةُ عِنْدَ الارتقاء الدّينِيّ فحسب، بَلْ هِيَ تسمو فِي موارد الحضارة جميعا، يرى فيليب حتّي: أنّ الحِيرَة، الَّتِي تحكّم فِي شؤونها الفرسُ، قَدْ انتقلت مِنْهَا مؤثّرات الثّقافة الآرامية النَّسْطُورِيّةَ إِلَى الجَزِيْرَة فِي العصور السّابقة للنبي، وأصبح النَّسَاطِرَةُ- بَعْدَئِذٍ- حلقةَ الاتصالِ بَيْنَ الثّقافةِ الهيلينِيَّة وَبَيْنَ الثّقافةِ الإِسْلَاميّة الفتيَّة. ويؤكّد " ر. بلاشير Régis Blachère" هَذَا الدّورَ بإيضاحٍ مُكَثَّفٍ: " وَكَانَتْ العناصرُ المُوَلِّدَةُ للتَثَاقُفِ فِي بدايَةِ الأَمْرِ، هِيَ مِن سكّانِ المدنِ فِي بلادِ الشّامِ والعِرَاق ومِصْرَ، وكُلِ الحَضَرِيّينَ والرّيفيّينَ الَّذِينَ يدورونَ فِي

1- علي، جواد: م. س. 5/ 169- 71.

2 -" قنواتي: م. س. ص54.

3 - ايشو عدناح: **الديورة فِي مملكتي الفرس والعرب**، ص 10.

4 - علي، جواد: م. س. 172/5، نقلا عن: أوجين نسران، "خلاصة تاريخيّة للكنيسة السّريانية"، "تعريب القس سليمان الصّائغ"، والموصل 1939 "ص 26 وما بعدها.

فلكِهِمْ. وتظهرُ هَذِهِ العناصرُ بإكليروسِها، واستعدادِها التّقليديّ للنقاشِ اللاهُوتِيّ، وتقاليدِها الكَتَابِيَّة، ومزاولتِها الأعمالَ والإِدَارَةَ بمظهرِ المتمدّنين، فظلَّتْ التّقاليدُ الرّومَانِيّةُ والهِيلِينِيَّةُ، والتّراثُ الفارسِيُّ- من خِلَالِها- عَلَى قيدِ الحياةِ"[1].

الْمَسِيحِيَّة فِي مِصْرَ ونشأة الكَنِيسَة القبطِيَّة

اختلف الْمَسِيحِيّون الأوائل حول مفهوم طبيعة المسيح، وانقسموا فِي بلاد الْعَرَب إِلَى ثلاث فرق أساسية، هِيَ: الملكانية والنَّسْطُورِيّةَ واليَعَاقِبَة. فالملكانية مذهب الدّولة الرّومَانِيّة الأَرْثُوذَكْسِيَّة الشَّرْقِيَّة وحزب الملك والبلاد، وعقيدة الملكانية هِيَ ازدواج طبيعة الْمَسِيح. أَمَّا النَّسْطُورِيّون وَهُمْ أتباع نسطور، فَقَدْ قالوا بأَنَّ للمسيح طبيعتين إحدهما إلهية والثّانية بَشَرِيّة، فَهُوَ بالأولى ابن الله وبالثّانية ابن مَرْيَم. أَمَّا التيار الثّالثّ وَهُوَ حزب اليَعَاقِبَة، فيعتقدون أن الْمَسِيح هُوَ الله نزل إِلَى الأرض. ولقد انقسمت الكَنِيسَة إِلَى فرعين: الكَنِيسَة الغربيّة فِي روما، والكَنِيسَة الشَّرْقِيَّة فِي القُسْطَنْطِينِيَّة[2]، مَعَ وجود الكَنِيسَة القبطِيَّة فِي مِصْرَ وتوابعها والتي لا علاقة لمسيحِيّي الشّرق بِهَا، وَلَمْ تَكُنْ للكَنِيسَة الشَّرْقِيَّة أَيَّةُ علاقة لها بالغربيّة، ثُمَّ أخذ الخلاف يتّسع ويتشعّب، وأخذتْ الفِرق تتوالد، فتنشأ مِنْهَا

1 - حسين قاسم العزيز: "دور المراكز الثّقافِيّة السّريانية فِي تفاعل العرب والمسلمين الحضاري"، *دراسات سريانية*.

2 -نسبة إِلَى مؤسّسِها قسطنطين الاول (311-337) اعتنق المسيحيّة سنة 313، وحولها عاصمة للامبراطورية سنة 330. مانع السّعدون: **المسيحيّة- العقيدة والمذاهب والتاريخ** (دمشق 2010) ص109

فرقٌ جديدة وأحزابٌ جديدة، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ الجهود العديدة، الَّتِي بذلت لتوحيد الكَنِيسَة[1].

بَيْدَ أَنَّ مجمع خلقيدونية Chalcedon كَانَ فاتحة الانشقاق العميق بَيْنَ الكَنِيسَة الرّسمية والكَنِيسَة السّرْيانيّة فِي سوريا، والكَنِيسَة القبطِيَّة فِي مِصْرَ، كَمَا كَانَ هَذَا المجمع منطلقًا حافلاً بالاضطهادات من جانب الدّولة البِيْزَنْطيَّة وكَنِيسَتها الرّسمية، كَمَا أَنَّهُ قَدْ أثار فِي سوريا ومِصْر موجةً من السّخط ضدّهما[2].

ولا غرو أَنَّهُ كَانَ من أثر هَذِهِ الاضطهادات، لَيْسَ فقط إنشاء كَنِيسَة وطنية فِي سوريا، وَهِيَ الكَنِيسَة السّرْيانيّة، وكَنِيسَة وطنية فِي مِصْرَ، هِيَ الكَنِيسَة القبطِيَّة، وَذَلِكَ بجانب الكَنِيسَة الرّومية، الرّسمية، بَلْ وعلى الأخص انبثاق شعور عميق من العداء والكراهية للسلطة البِيْزَنْطيَّة، هَذَا الشّعور الَّذِي سيمهّد الدّروب للفتح الْعَرَبِيّ فِي القَرْن السّابع[3].

إن احتدام الجدل، والنّزاع الدّينِيّ بَيْنَ كَنِيسَتي الإسكندريَّة والقُسْطَنْطِينِيَّة، قَدْ بلغ أقصاه فِي منتصف القَرْن الخامس الميلادِيّ حينما اختلفت الكَنِيسَتان حول طبيعة الْمَسِيح، فاعتقدت الكَنِيسَة المَصْرية بأَنَّ للمسيح طبيعة إلهية واحدة ويدعون بـ "المونوفيزيت Monophysite". وتبنت كَنِيسَة القُسْطَنْطِينِيَّة القول بثنائية الطّبيعة المحددة فِي مجمع خلقدونية، ورأَتْ أَنَّ فِي الْمَسِيح طبيعة بَشَرِيّة وطبيعة إلهية، وَهُوَ المذهب الرّسمي للإمْبِرَاطُور البِيْزَنْطي، وَقَدْ عقد الإمْبِرَاطُور "مرقيان أَوْ مرسيان Marcian" (450-457م) مجمعًا دِينِيًّا فِي خلقدونية فِي عام 451م من أجل وضع حدّ لهذا النّزاع، تقرر فِيهِ تحديد العقيدة الدّينِيَّة المتعلقة بطبيعتَي الْمَسِيح، وأنكر المُجْتَمَعون نِحْلَةَ المونوفيزيين،

1 - سيّار الجميل: "المسيحيّون العِرَاقيون: حفريات عَنْ جذور تاريخيّة" (5/1)، *مجلة ألفا*، نوفمبر2010.

2 - إدمون ربّاط: "المسيحيّون فِي الشّرق قبل الإسلام"، م. س.

3 -. ربّاط: م. ن.

وكفرُّوا من قَالَ بأنَّ للمسيح طبيعة واحدة، وعدوهم خارجين عَلَى الدّين الصّحيح، كَمَا تقرر حرمان "ديسقوروس" بِطْرِيك الإسكندريَّة من الكَنِيسَة[1].

أُتّهِمَت الكَنِيسَة القبطِيَّة فِي مجمع خلقيدونية 451م، بَلْ وُصِمَ المشرقُ من قِبَلْ الغرب، بِأَنّهُ يدين بمذهب الطّبيعة الواحدة، لِذَا لَمْ تؤمِنْ الكَنِيسَة القبطِيَّة أَبَدًا بِذَلِكَ، ورفضَتْ الصّورَةَ الَّتِي وُصِفَت فِي مَجْمَع خلقيدونية. أَمَّا الكَنِيسَة المَصْرية فتؤمن أنَّ السَّيِّد الْمَسِيح كامِلٌ فِي لاهوته، وكامِلٌ فِي ناسوته، وهذان الطّبيعتان مُتّحِدَتان فِي طبيعةٍ واحدةٍ هِيَ "طبيعةُ تَجَسُّد الكلمة"، والتي أوضحها البابا "كيرلس السّكندري".

الأَقْبَاطُ- إذًا- يؤمنون بطبيعتين: "لَاهُوتِيَّة" و"ناسوتِيَّة"، وهما مُتّحِدَتان بغير اختلاط ولا امتزاج، ولا تغيير". وهاتان الطّبيعتان "لَمْ يَفْتَرِقا لحظة واحدة ولا طَرْفَةَ عَيْن"[2]. وتسمي الكَنِيسَة المَصْرية نفسها المرقسيَّة، نسبة إلَى الرّسول مرقس صاحب الإِنْجِيل، لأنَّ بطاركتَها يعتبرون أنفسَهم خلفاءَ لهذا الرّسول[3].

مِهْمَا يَكُنْ من تَطَوّر للخلاف الْكَنَسِيّ بَيْنَ الغرب والشّرق، فانَّ الكَنَائِس الشَّرْقِيَّة، وَبِخَاصَّةٍ كَنِيسَة الإسكندريَّة، كَانَ لها موقعُ الصّدارة فِي المجامع المسْكونِيّة الثّلاثة (نيقيا 325- قُسْطَنْطِينِيَّة381- أفسس431)[4]، إِلَّا أَنّ نتائج المجمع الرّابع خلقيدونية عبرت لَدَى الكَنِيسَة الشَّرْقِيَّة: أنّ الغربَ يقضي برفع

---

1 - العريني: **الدولة البيزنطية** ص52، 53؛ مُحَمَّد طقوش: **تاريخ الخلفاء الرّاشدين الفتوحات والإنجازات**، ص294.

2 - سوريال: تاريخ الكنيسة الشّرقية، ص78.

3 - علي عبد الواحد وافي: **الأسفار المقدسة فِي الأَدْيَان السّابقة للإِسْلَام** (القاهرة 1964م)، ص108.

4 - للتزود بمقررات المجامع، انظر: أدلبيرت-ج. همان: **دليل إلَى قراءة آباء الكنيسة**، ترجمه: الاب صبحي حمودي اليسوعي (دار المشرق، 2002) ص82 وبعدها، أبونا: **تاريخ الكنيسة الشّرقية** 59/1 وبعدها.

كَنِيسَة القُسْطَنْطِينِيَّة، وينتقص من الْحُقُوق التّاريخيّة لكَنِيسَتي الإسكندريَّة وأنْطَاكِيَة، ويرمي إلَى إضعاف تنظيماتهما، فَضْلًا عَنْ ابعادهما عَنْ رِبْقَة دولَة بِيْزَنْطا؛ إِذْ وصلَ الحدُّ إلَى عَزْل ونفْي بِطْرِيَك الإسكندريَّة ديوسقورس، وتعيين بدله بِطْرِيكا تابعا للقُسْطَنْطِينِيَّة هُوَ بروتريوس (452-457م) تَحْتَ ضغط السّلطة، وقِبال هَذَا الموقف المُتَعنّت، اختارَ القساوِسَةُ المَصْريون بِطْرِيكا لَهُمْ هُوَ تيموثاوس الوروس، وَهَكَذَا انقسمت أسقُفيّة الإسكندريَّة إلَى معسكرين وبِطْرِيكين، الأوَّل كَنِيسَة الملكاني، أي التّابع للملك البِيْزَنْطي والبابا، والثّاني هُوَ القبطِيَّ. ومِنْ ثَمّ أغتيل البِطْرِيق الملكاني عَلَى يد الاسكندرانيين، مِمّا أحدث عداء طويل الأمد مَعَ الكَنِيسَة القسطنينية وحاضنتها الدّولة[1].

وَفِي عصر "جستنيان" الَّذِي أراد ان يقبض عَلَى السّلطتين الدّينيَّة والدّنيوية، حاوَلَ إيجادَ الحلول للفُرْقَة المَسيحيّة، لَكِنَّهُ ظَلَّ مُنْحَازًا إلَى الخلقيدونيَّة، ومِنْ ثَمّ أَبْدَى تَشَدُّدًا عَلَى الفِرَق الأُخْرَى، ونتيجةً لتَعَنُّت "جستنيان" عَلَى السّريانِ المونوفيزيينَ (الأرثوذكس)، فَقَدْ تركّزتْ المقاومةُ الأرْثُوذَكْسِيَّة فِي مراكِز الرّهبانيات فِي باديةِ الإسقيط[2] فِي مِصْرَ، وعلى حافّة شُبْه الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة، الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ سيطرة الأمراءِ الغساسنة، وأمْكِنَةٍ أُخْرَى متعَدّدة فِي شمال سُورِيَة، وبلاد مَا بَيْنَ النّهرين. ونظراً إلَى استخدام الأرثوذكس اللُغَة القبطِيَّة فِي مِصْرَ والسّرْيانيّة فِي آسيا تعذّرت عَلَى المسؤولين اليُونانيّين ملاحقة المعارضين لعدم معرفتهم بتِلْكَ اللغات[3].

---

1 - سوريال عطية: م.س. ص88.

2 - برّية الإسقيط: بالجانب الغربيّ من أرض مصر، فيما بين مربوط والفيوم، ويقال له- أيضا: وادي هبيب، وادي الملوك، ووادي النطرون، وبرّية شهاب، وميزان القلوب، وكان به مائة دير للنصارى، وبقي به سبعة ديورة. المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، (بيروت 1418هـ)1/ 344.

3 - سوريال: م. س. ص90 وبعدها

واصلت الرّوم الحرب، قَبْلَ فتح مِصْرَ سنة 21هـ/ 642م، عَلَى مذهب اليَعَاقِبَة الَّذِي كَانَ يعتنقه المَصْريون، وفرضوا عَلَيْهِمْ المذهب الملكاني، الَّذِي كَانَتْ تعتنقه، كَمَا عيّنوا بِطْرِيكا ملكانيا، وعزلوا اليَعْقُوبِيّ المَصْريّ، وَهُوَ الأنبا بنيامين، فتوارى اتقاء لبطشهم. وَلَمَّا فُتِحَتْ مِصْرَ عَلَى يد عمرو بن العاص منح لَهُ الأَمَان فظهر، وأعاد إلَيْهِ سلطانه الرّوحي، كَمَا صرّح لَهُ بفتح الكَنَائِس الَّتِي أغلقها الرّوم، وأداء العبادة وإقامة الشّعائر فِيهَا[1].

استمرت الكَنِيسَة الملكانية فِي الإسكندريَّة حَتَّى الحكم الإِسْلَاميّ الَّذِي تعاطف مَعَ الكَنِيسَة القبطِيَّة، ومنحها التّمثيل الرّسمي للمَسِيحِيّة فِي مِصْرَ. بيد أن عمرو بن العاص- في نظر ديورانت[2]:" لم يكن في وسعهِ أن يدرك أسباب الخلافات الدينية بين المذاهب المسيحية المختلفة، ولذلك منع أعوانه اليعاقبة أن ينتقموا من خصومهم الملكانيين، وخالف ما جرت عليه عادة الفاتحين من أقدم الأزمنة فأعلن حرية العبادة لجميع أهل المدينة". أَمَّا الكنيسة الملكانية فِي بلاد الشّام، فإنّها ظَلَّتْ تَحْتَ الرّعاية الإِسْلَاميّة، الَّتِي أمعنتْ النظَرَ بعين المساواةِ فِي التّعاملِ مَعَ الفِرَقِ المَسِيحِيّةِ كَافَّةً، إلّا فِي بعضِ الأحْيَانِ، ساعدتْ على تغليبِ النَّسْطُورِيّةَ عَلَى غيرِها فِي العِرَاق.

لَعَلَّ دخولَ دولةِ العرب إلَى سُدّةِ إِدَارَةِ المنطقةِ، أطْفَأَ مِن وَهَجِ الصِّرَاعِ المَسِيحِيّ المَسِيحِيّ، ويَرَى بعضُ الباحثينَ[3]: فما كَانَ فِي ظِلِّ التّهديدِ البِيْزَنْطِيّ المُسْتَمِرّ، دُونَ حضورِ الإِسْلَامِ، أنْ تستمرَّ هويَّةٌ للموارِنَةِ، ولأقْبَاطِ مِصْرَ، ولليَعَاقِبَةِ، والنَّسَاطِرَةِ، فِي الشّامِ والعِرَاق، أَوْ أنْ يحافظوا عَلَى كياناتِهم وخصوصياتِهم الدّينِيَّةِ المستقلّةِ.

---

1 - عز الدين عناية: "المسيحيّة العَرَبِيّة: تشظّي الهويّة ومستخلصات الوعي التاريخيّ"، م. س.

2 - **قصة الحضارة**، 13/ 262.

3 - عناية:" المسيحيّة العَرَبِيّة: تشظّي الهويّة ومستخلصات الوعي التاريخيّ". م. س.

الْمَسِيحِيَّة فِي اليمن والحجاز:

كَانَ الموقع الجُغْرَافِيُّ لليمن، كنقطة اتصال بَيْنَ البحار وَبَيْنَ القارات، وكمركز ستراتيجي عَلَى طريق التّجارة مَعَ الهند والصّين، عَلَى نحو استقطب اهتمام الدّولتيين فَارِس وبِيزَنْطة، وزاد فِي مَعْمَعَة الصّراع بَيْنَهُمَا، فَضْلًا عَنْ عوامل أخرى، تمثلت في مراحل الاضطهاد الديني والدّولي للمَسِيحِيِّينَ، وسنّة التّبشير الدّينِيّ الْمَسِيحِيّ، وتنامي التّجارة، جميعها أسهمت فِي تمدُّد الْمَسِيحِيَّة، باتجاه جنوب جَزِيرَة الْعَرَب اليمن ونَجْرَان.

وجدت النّصْرَانِيَّة سبيلها إلَى اليمن من البحر والبَرّ، وسَعَتْ كاليَهُودِيَّة لتثبيت أقدامها هُنَاكَ، وَفِي سائر أنحاء جَزِيرَة الْعَرَب، ووجدت من سمع دعوتها هُنَا وَهُنَاكَ، فتنصرت قَبَائِل، وشايعتها بعض المقاطعات والمدن، وتعرضت الوَثَنِيّة للنقد من رجال الدّيانتين، واقتبس من دخل فِي اليَهُودِيَّة الثّقافة اليَهُودِيَّة، ومن دخل فِي النّصْرَانِيَّة الثّقافة النّصْرَانِيَّة، وأعرض عَنْ ثقافته القديمة[1].

تشير نصوص المسند (الخط اليمني)، الَّتِي يرجع عهدها إلَى سنة "378م" أَوْ "384م"، إلَى ان الْمَسِيحِيّة تغلغلت إلَى اليمن فِي القَرْن الرّابع، فِي عهد الملك "ثارن يهنعم"، وَكَانَ القيصر "قسطنطين الثّاني" "350-361م" الَّذِي كَانَ يناصر الآريوسية[2] القائلة بالتّوحيد، قَدْ أرسل إلَى اليمن "فيلوستورجيوس" Philostorgios الرّاهب الهندي، ليدعو إلَى النّصْرَانِيَّة بَيْنَ أهلها. ويُحْتَمَل لذلك

1 - علي، جواد: **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب**، 1/ 121.

2 - نسبة إلَى آريوس الاسكندراني (256- 336م) القائل:" ان الله واحد غير مولود، لا يشاركه شيء فِي ذاته تعالى" . قنواتي: **المسيحيّة والحضارة**، ص 26.

أن يكون هُوَ الملك الحميري الَّذِي بدَّل دِينَه الوَثَنِيّ، ودخل فِي ديانة التّوحيد، وَهُوَ الَّذِي أمر ببناء كَنَائِس فِي ظِفَار وَفِي عدن[1].

يحدثنا كتاب الحميريين[2] عَنْ دخول الْمَسِيحِيَّة إِلَى اليمن ونَجْرَان فِي القَرْن الثّاني، وَفِي القَرْن الرّابع شارك "يوحنا" الأُسْقُف عَلَى اليمن شارك فِي مجمع نيقية 325م[3]، وَفِي القَرْن الخامس كَانَ هُنَالِكَ، عَلَى مَا يُعتقد، ستة مطارنة فِي الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة، والعديد من الكَنَائِس فِي اليمن فِي صنعاء وعَدن وظفار.

تغلغلت المسيحيَّة في القبائل، ومنها قَبيلَة بَهْراءُ، وهي حَيّ من الْيمن، وفيها أنْشد ثَعْلَب:

وَقد عَلِمَتْ بَهْرَاءُ أنَّ سُيوفَنا سُيوُف النَّصارَى لَا يَلِيقُ بهَا الدَّمُ[4]

يكاد الموقع الجغرافي يكون له أثرٌ في الحياة الدينيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، فكانت "**نَجْرَان**" تُعَدّ من أهم المواضع المهمَّة الحسَّاسة في شبكة المواصلاتِ البريَّة قبل الإسلام، ففيها تلتقي طرق المواصلات الممتدة في الجنوب، وفيها يتصل الطريق البرّيّ التجاريّ المهم الممتد إلى بلاد الشام، فيلتقي بطريق العَرَبيّة الجنوبية، ومنها يسير الطريق المارّ إلى "الدواسر" فالأفلاج فاليمامة، أو ساحل الخليج، ومنه إلى العِرَاق[5].

---

1 - شيخو: **النّصرانية وآدابها**، ص56؛ علي، جواد: م. س. 4/ 219.

2 - اغناطيوس يعقوب الثّالث: **الشّهداء الحميريون العرب في الوثائق السّريانية**،(المجلة البطريكية، دمشق، 1966) ص23 وبعدها.

3 - شيخو: م. س. ص57.

4 - ابن سيدة: **المحكم والمحيط الأعظم** 4/ 313.

5- علي: م. س. 1/ 221

ارتبط الوضع الديني فِي جنوب بلاد اليمن بالإضطرابات السِّيَاسِيَّة والاقتصادية، الَّتِي حدثت فِي القرون الأخيرة قَبْلَ ظهور الإِسْلَام، ففي بداية القرن الرابع وصل نفوذ الإثيوبيّين إلَى جنوب بلاد العرب، وساعد عَلَى انتشار النّصْرَانِيَّة، وشكلوا فِي نَجْرَان جماعة نصرانيَّة مشهورة، ملاكها من اليونانيين والسريان والإثيوبيين والنَّسْطُورِيّين[1]. في حين ذُكِر أنَّه في عهد البطريق "سيلاس SiIas" (423-505)، هرب لاجئون من اليعاقبة Jakobiten إلى الحيرة، غير أنَّ النساطرة أجلوهم عنها، فذهب قسم منهم إلى نَجْرَان، فنشروا مذهبهم بين السكان[2].

من قبل، تمدّدت اليهودية الى العربيَّة الجنوبية، لأسباب سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة ودينيّة، يعزوها الوعي التاريخي الى عصر سليمان (970 - 930 ق.م) وعلاقته بملكة سبأ[3]، ومنذ الغزو الآشوري لمملكة يهوذا، وسبي "سنحاريب Sennacherib"[4] لليهود عام 697 ق.م. ، والسبي البابلي على يد "نبوخذ نصر Nebuchadnezzar II" في 597ق.م، وفي 586 ق. م، وفي عهد الرومان هدم الامبراطور "تيتوس Titus" عام 70م القدس، وقضى الأمبراطور "هادريان Hadrian " على ثورة اليهود في 135م، وأعدم الأسرى، أو بيعوا كرقيق. وبعد انتشار المسيحيّة تأثَّر اليهود من إعتراف بيزنطا الرسميّ لمنافسيهم المَسِيحِيِّينَ[5].

---

1 - هيربرت بوسة: **أسس الحوار فِي القرآن الكريم**، ص41.

2 - علي، جواد: م. س. 12/ 190، نقلا عن: Chronik von Seert, II, 144.

3 - انظر: **الكتاب المقدس**، سفر الملوك، 10: 1 – 10 ، 13؛ القرآن الكريم، سورة النمل 23- 35.

4 - ابن سرجون الثاني، ملك آشور (705-681 ق.م). شاي، بلوش: **دليل حضارات الشرق الأدنى القديم**، ص162.

5 - نجدت خماش: **الشام في صدر الإسلام**، (دار طلاس، دمشق، 1987) ص72.

كَانَتْ اليَهُودِيَّة منافسا قويًّا للنصرانيّة فِي جنوب بلاد العرب، وَكَانَتْ اليَهُودِيَّة تُؤْثِر الفُرْس عَنْ التحالف مَعَ الإثيوبيين، وانعكس ذَلِكَ عَلَى الصراع بَيْنَ الفُرْس والبِيْزَنْطيين[1]. وتفصح عَنْ روح العداء المجازرُ الفظيعة، الَّتِي تعرض لها الْعَرَب الْمَسِيحِيّون من نَجْرَان وحِمْيَر، عَلَى يد الملك الْعَرَبِيّ اليهوديّ مسروق (ذو نواس) عام 523، مَا حملهم عَلَى طلب النّجدة من الحَبَشَة. فيهب الاحباش الْمَسِيحِيّون لنجدتهم عام 525 ويُهزم مسروق. وَكَانَ الملك الْمَسِيحِيّ أبرهة الأشرم فِي النّصف الثّاني من القَرْن السّادس قَدْ بنى كاتدرائية فِي صنعاء وعمل عَلَى دعم الْمَسِيحِيَّة وتنشيطها كثيرًا[2].

في ضوء الصراع السياسي بين الدول للسيطرة على جزيرة العرب، يمكن اصطباغه بالصبغة الدينيَّة، في الصراع بين اليهوديَّة، تؤيدها دولة الفرس، وبين المسيحيَّة، تؤيِّدها دولة الروم من الشمال، مستعينة بالحبشة من الجنوب. هذا الصراع الذي يروي التاريخ ظواهره في اليمن، كان قد انتقل قبيل الإسلام إلى الحجاز نفسه[3].

عرفت نَجْرَان بكونها مركزا قديما للمَسِيحِيَّة، ظل يحافظ عَلَى مسيحيته، مَعَ قربه من عاصمة الدَّولَة، سواء كانت في العربيَّة الجنوبيَّة قبل الإسلام، أو في مبتدأ تاريخ الإسلام، عَلَى خلاف مواطن مَسِيحِيَّة أُخْرَى فِي أَطراف جَزِيْرَة الْعَرَب، فَكَانَ ثَمَّةَ بيتُ عبادةٍ عُرِفَ بـ"كعبة نَجْرَان". وَهُوَ بناءٌ بُني عَلَى هيأةِ

1 - هيربرت بوسة: م. س. ص41.

2 - صوما أسعد الدكتور:" لمحات من تاريخ الكنيسة السّريانية الشّرقية" (ج 3)، *منتديات عين كاوة*، 2009.

3 - يوسف درة الحداد: **القرآن دعوة نصرانية**، (بيروت 1986) ص227.

الكعبة. وأُضْفِيَ عَلَيْهِ من معاني القُدْسِيّة فِي رِوَايَة ابن الكَلْبي[1]: كَانَ إِذَا جاءها الخائفُ أمِنَ، أَوْ طالبُ حاجةٍ قُضِيَتْ، أَوْ مُسْتَرْفِدًا رُفِد.

يستخلص -من الأخبار الواردة عَنْ هَذِهِ الكعبة، ومن أسماء أصحابها، ومن كونهم أَسَاقِفَة- أنَّها كَانَتْ بيعة أسسها النَّصَارَى فِي مركز النَّصْرَانِيَّة فِي اليمن، وَهُوَ موضع نَجْرَان، وَأَنَّهُ لا علاقة لَهُ بالوَثَنِيّة. ويذكر الإخْبَارِيّون أن بني عبد المدان بن الدّيان الحارثي أقاموها هُنَاكَ، مضاهاة للكعبة فِي مَكّة[2]. وَكَانَ بنو الحارث بن كعب هُمْ رؤساء نَصَارَى نَجْرَان، وَفِي كعبتهم هَذِهِ قَالَ أعشى قيس[3]:

وكعبةُ نَجْرَان حَتْمٌ علي كِ حَتَّى تُناخي بأبوابها
نزورُ يزيدَ وعبدَ الْمَسِيح وقيساً وَهُمْ خيرُ أربابها
إِذَا الحَبراتُ تلوَتْ بِهِمْ وجرُّوا أسافل هُدّابها
وشاهدُنا الجُلّ والياسم ين والمسمعاتُ بُقصّابِها

1 - أَبُو الفرج: **الأغاني**، ج 24 (دار الفكر، بيروت) 12/ 11؛ ياقوت: **معجم البلدان** 268/5، **الخزل والدأل بَيْنَ الدور والدارات والديرة**، ص 56.

2 - الطبري: **تاريخ الرسل**، 3/ 132؛ البكري: **معجم ما استعجم** 2/ 603؛ القلقشندي: **صبح الأعشى فِي صناعة الإنشاء**، 5/ 39 وما بعدها"؛ ابن خلدون: **ديوان المبتدأ والخبر فِي تاريخ الْعَرَب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر** (تاريخ ابن خلدون) (بيروت 1988) 2/ 307.

3 - أبو الفرج: **الديارات**، ص 27.

الْمَسِيحِيَّة فِي الحَبَشَة:

حظت الحَبَشَة بأَهَمِّيَّة كبيرة فِي موقعها الجُغْرَافِيّ فِي قربها من اليمن والحجاز، وموقعها عَلَى الخَارِطَة الدّينِيَّة، يكمن فِي كونها اعتنقت الْمَسِيحِيَّة، وأَنَّها كَانَتْ توظف فِي الصّراع الدّولي لصالح بِيزَنْطَةَ الْمَسِيحِيَّة، وحاولت تصدير الْمَسِيحِيَّة إِلَى اليمن وأعمالها من خِلَالِ غزوها اليمن سنة525، وحاولت الوصول إِلَى مَكّة، فَضْلًا عَنْ اساليب الاتصال الأُخْرَى كالتّجارة والتّبشير الْمَسِيحِيّ.

لا غرو من متابعة صلات الْعَرَب بالحَبَشَة لأَهَمِّيَّتها التّاريخيّة، فانها صلات قديمة معروفة ترجع إِلَى مَا قَبْلَ الميلاد. فبين السّواحل الإفريقية المقابلة لجَزِيْرَة الْعَرَب وَبَيْنَ السّواحل الْعَرَبِيّة اتصال وثيق قديم، وتبادل بَيْنَ السّكان. إِذْ هاجر الْعَرَب الجنوبيون إِلَى السّواحل الإفريقيَّةِ وكَوَّنُوا لَهُمْ مستوطنات هُنَاكَ، وهاجر الأفارقة إِلَى الْعَرَبِيّة الجنوبية، وحكموها مرارًا، وَقَدْ كَانَ آخر حكم لَهُمْ عَلَيْهَا قَبْلَ الإِسْلَام بأمد قصير[1].

كَانَ ملوك أكسوم وَثَنِيّين. بقوا عَلَى وَثَنِيّتهم إِلَى القَرْن الرّابع للميلاد، بعدها دخلت الْمَسِيحِيَّة إِلَى الحَبَشَة، وَكَانَ أول من تنصر من ملوك الحَبَشَة هُوَ "إلاعاميدة" "علاعاميدة" ela amida، المعاصر للقيصر قسطنطين[2]، تشير المصادر الى أنّ دخول المسيحية الى الحبشة، تمَّ على يد "فرومنطيوس الصوري"، وهو أحد التجار الذين أوفدهم " قسطنطين"، لتوثيق العلاقات التجارية مع دولة أكسوم، واستطاع أنّ يهدي ملكها "عيزانا" EZANA الى المسيحية سنة

1 - علي: **المُفَصَّل**، 6/ 139.

2 - م. ن. 6/ 161.

340م[1]. ويظن أن "عيزانا" هُوَ ابن الملك "الأعميدا" ELA - AMIDA، هُوَ أول ملك تنصر من ملوك هَذه المملكة، وَذَلكَ لعثور الباحثين عَلَى آثار تعود إلَى عهده، ترينا القديمة مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ وَثَنِيّا، وتُرِينَا الحديثةُ مِنْهَا أَنَّهُ كَانَ نصرانيًّا[2].

تغلغلت الْمَسِيحِيَّة عَلَى المذهب المونوفيزي فِي الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة، عَنْ طريق مِصْرَ والحَبَشَة، كَمَا تغلغل المذهب الشّرقي عَنْ طريق التّجارة والغزوات، الَّتِي قام بِهَا الفرس للمنطقة. وَهَكَذَا نَرَى أَنّ الْمَسِيحِيّينَ المشارقة، قبيل ظهور الإِسْلَام، منتشرون فِي أماكن كثيرة من الحجاز واليمن، وقطر والبحرين، وَبِخَاصَّةٍ فِي نَجْرَان، ويقومون بدور كبير فِي نشر الثّقافة بَيْنَ القَبَائِل الْعَرَبِيّة[3]. ونهجت الكَنِيسَة فِي الحَبَشَة منهج الكَنِيسَة الأرْثُوذَكْسِيَّة فِي مِصْرَ، وَهِيَ خاضعة لها كنسيا[4].

مِهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فإنّ إنتشارَ الْمَسِيحِيَّة فِي البلاد الْعَرَبِيّة من أطرافها كلها، ليظلَّ الاوسع انتشارا عَلَى الخَارِطَة الدّينِيَّة لبضعة قرون، حَتَّى مجيء الإِسْلَام، الَّذِي أخذ يسحب البساط الحضاري الدّينِيّ من تحتِها بأساليبَ عِدَّةٍ، نذكرها فِي غضون الدّراسة.

تكمن خلاصة الانتشار الْمَسِيحِيّ قبيل الإِسْلَام فِي مقالة المُؤَرِّخ بول فيني[5]: فِي ظل هيمنة الإمْبِرَاطُورِيَّة الرّومَانِيّة ظهرت الْمَسِيحِيَّة، وانتشرت بدءًا من 312م عَلَى مدار البحر المتوسط كلِّه، ثُمَّ تغلغلت عميقا، وأصبحت هِيَ

1 - **موسوعة ديانات العالم، المسيحية**، 10ج، (دار كريس انترناشينال) 63/2 .

2 - م. ن. 141/6

3 - أدور هرمز جحو النّوفلي: " تركيبة كنيسة المشرق ومُخْتَلف الأنشطة فِيهَا " م.س.

4 - علي عبد الواحد وافي: **الاسفار المقدسة فِي الاديان السّابقة للإسلام**، ص108.

5 - فِي كتابه "عندما أصبح عالمنا مسيحيا". Poul Veyne, Quand notre monde est devenu chrétien, Albin Michel, Paris 2007. نقلا عَنْ آركون: **نحو تاريخ مقارن للأديان النّوحيدية**، ص261.

العقيدة المهيمنة عَلَى افريقيا الشّمالية والشّرق الأوسط وتركيا وأوربا. وَلَكِنَّ بَيْنَ عامي 632 و 732م ظهر منافس غير متوقع عَلَى الإطلاق، هُوَ الإِسْلَام، وفرض نسخة أُخْرَى من النّبوة، أَوْ دين التّوحيد، وَهِيَ نسخة أكثر انخراطا فِي المجال السِيَاسِيّ من الْمَسِيحِيَّة، وأكثر هجومية أَوْ مماحكة جدالية مِنْهَا فِي المجال الدّيِنِيّ العقائدي. لَكِنَّهُ كَانَ يشاطر الْمَسِيحِيَّة رغبتها فِي استئصال الوَثَنِيَّة، أَوْ مَا يدعوه القُرآن بالشّرك والمشركين استئصالا كاملا.

الفصل الثّاني

العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة فِي عصر الرّسالة (13ق.هـ- 11هـ/ 610- 632م)

جَزِيْرَة الْعَرَب عِنْدَ ظهور الإِسْلَام:

كانت الحياة العربية، بحسب الواقع الجُغْرَافِيّ، تتقاسمها البداوة والمدينة، فكانت البداوة هي المُهيمنة في المجال الأنثربولوجيّ، إذ أن الجمهور الأعظم من العرب لا يزال خاضعا للوجود البدويّ، الرعويّ، القبليّ، الحربيّ. في حين كانت المدينة هي السائدة في المجال التاريخيّ، فقد أفرزت حواضر، وتمايزت في شبه الجزيرة بنشاطاتها الحضاريَّة، نحو: الحِيرة، وبصرى، وظفار، وصنعاء، ونَجْرَان، ومكّة، والطائف.

لم تكن مكّة، في نهاية القرن السادس وعشية ظهور الإسلام، أكثرَ أهميَّة من المدن التي تأسست فيها الدول، او كانت العاصمةَ لدولتها، مثل: الحيرة وصنعاء وبصرى، بل أنّ أهمية مكّة تنبع من كونها كانت مدعوَّة لتنظيم وتدبير القوى الجديدة للعروبة البدوية، ولإجراء عمليّة وصل بين العالَمَين الداخلي والخارجي، عالم القبيلة والمدينة[1]، مستثمرةً الهاجس الدينيّ والعباديّ لوثنيّة القبائل، وجمع آلهتهم المتنوعة في بيت الحرام، لتتماهى في قدسيتها، ولتكون مكَّةُ، وما عُزِيَ الى قريش، أنَّها تتميز بعقليّةٍ خاصّة، ناظمةٍ للحياة الإقتصاديَّة والاجتماعيَّة والدينيَّة للعرب، في الأشهر الحرم، ورحلة الشتاء والصيف، ومشاعرِ الحجّ الى البيت العتيق. وكاد هذا التنظيمُ أنْ يجِدَ -للبدو على قبائلهم، والحضر على تنوعهم الدينيّ والديمغرافيّ- المشتركاتِ في اللغة والقيم والمواقف.

زخر القَرْن السّادس للميلاد بالحَرَاك الدّينيّ فِي جَزِيْرَة الْعَرَب وأطرافها، فالْمَسِيحِيَّة ضربت أجرانَها وانتشرت فِي الشّام ونواحيها عَلَى مذهب اليَعَاقِبَة، وَفِي العِرَاق وحياضِها عَلَى مذهب النَّسَاطِرَة، حَتَّى نَجْرَان وتُهَامَة والحجاز واليمن واليمامة والبحرين، وثَمَّةَ قَبَائِل عَرَبِيَّةٌ فِي البادية قَدْ تنصّرتْ. وَكَانَتْ اليَهُودِيَّة- قبلًا- قَدْ أرستْ قواعدَها فِي اليمن ويثرب. وَكَانَ يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ أهلَ الكتاب، أي التّوراة والإِنْجِيل.

ويقابلها عَلَى أديم بلاد الْعَرَب الوثنيَّة، ويطلق عَلَيْهَا دين القَبَائِل، وَهُمْ الأميُّون، الذين لا كتابَ لديهم، غير أنهم يشكلون الأغلبية. زد على ذلك انّ وجودا لافتا لمعتقدات أخرى، بيد أنَّها لا تعدو الأقليات الدينية، نحو: الحنفيَّة دين إِبْرَاهِيم، واالمَجُوسِيَّة المتدفقة من بلاد فارس، والصّابئة لها وجود -أَيْضًا- في حرَّان والعراق، ولعل أكثرهم حضورا المندائيّون، أتباع طائفة المعمدان،

[1] - هشام جعيط: **الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر**، (بيروت، 2000) ص13.

المستوطنة في جنوب بلاد الرافدين[1].

أضفَت لغةُ عرب الشمال، التي تعدّ لغة أطول موسم تجاريٍّ مع العِرَاق والشام، فضلا عن تعايشها مع شقيقتها اللغة السريانيَّة، أضفت شيوعًا في المجتمع الجزريّ، وقبولًا لأنْ تصطفيها مكَّة لغةً لها. مكّة القطب الدينيّ، والمركز التجاريّ، والملتقى الأدبيّ، وما يُحيق بها من قبائل كبرى في الحجاز ونجْد. ويأتي تفضيل لغة الشمال، والإكتتاب بحرفها، على حساب لغة العربيّة الجنوبيّة، وحَرْفِها المُسْنَد، على الرغم من قربها الجغرافيّ والديموغرافيّ من اليمن. هذا القبول والشيوع اللغويّ كان مدعاة لتسرب المسيحيَّة الى تُهَامَة والحجاز من العِرَاق والشام، ومنحها قدم ثبات ووجود، عبر خيوط التواصل، وأهمّها اللغة والتجارة.

بُعيد انتشار الْمَسِيحِيَّة في فلسطين، بوتيرة سريعة، تَغَلْغَلَتْ فِي بلاد الْعَرَب، وبين القبائل بسرعة، إذ لم يزاحمها دين آخر، في التبشير وسبله، فكانت المنافس الأقوى للوثنيّة. ذكر الجاحظ[2] أَنَّهُ:" كَانَتْ النَّصْرَانِيَّة قَدْ وجدت سبيلَها بَيْنَ تَغْلِب، وشَيْبان، وعبد القيْس، وقُضاعة، وسُليح، والعُباد، وتَنُوخ، ولَخْم، وعامِلة، وجَذام، وكُثَيْر بن بَلْحَارِث بن كَعْب". ونقل اليَعْقُوبِيّ[3] اخبار من تنصَّر من أحياء الْعَرَب: قوم من قُرَيْش من بني أَسَد بن عَبْد العُزَّى، مِنْهُمْ عثمان بن الحويرث بن أسد بن عَبْد العُزّى، وورَقَة بنِ نَوْفَل بن أسد، ومن بني تميم بنو امرئ القيس بن زيد مناة، ومن ربيعة بنو تَغْلِب، ومن اليمن: طَيْء، ومَذْحِج، وبَهْرَاء، وسُلَيْح، وتَنُوخ، وغَسّان، ولَخْم". وبفضل مَا كَانَ لكثير من المُبَشِّرِينَ من علم ومن وقوف عَلَى الطّب والمنطق ووسائل الإقناع، وكيفية التّاثير في النّفوس، تمكنوا من اكتساب بعض سادات القَبَائِل، فأدخلوهم فِي دينهم، أَوْ

1 - هيربرت بوسه: **أسس الحوار في القرآن**، ص64.

2 - **رسائل الجاحظ**، (القاهرة،1989) 45/3.

3 - **تاريخ اليعقوبي**، 257/1.

حصلوا مِنْهُمْ عَلَى مساعدتهم وحمايتهم[1]. ومن أهم المدن الَّتِي كثرت فِيهَا الْمَسِيحِيَّة: اليمن، ونَجْرَان، ومَكَّة، ودَوْمَة الجَنْدَل، وتَيْمَاء، وتَبُوك، واليَمَامَة، ونَجْد، غَيْرَ أَنَّها كَانَتْ تقِلُّ فِي يَثْرِب.

يُرَجِّح بعض المستشرقين[2]، أنَّ سِماتِ المسيحيَّة وقدرَها في الجزيرة العربيَّة، كان له الجزءُ الأعظم من التأثيرات العقيديَّة والأخلاقيَّة والروحانيَّة -بصورة عامة- على العقيدة الجديدة، إذ انتشرت- منذ القرون الأولى- البعثات النسطوريَّة والمنوفستيَّة وعدد من النساك والزهاد anchorilies في غضون المراكز الحضريَّة من قبيل: الغساسنة، واللخميِّين، وعديد من قبائل العرب.

عِنْدَ ظهور الإِسْلَام، كَانَ سكان الشّام والعِرَاق معظمُهم من بقايا الآراميين[3] الأصليِّين فِي الشّمال والشّرق، واليهود والسّامريّين فِي الجنوب، وبقايا الأنباط فِي الجنوب الشّرقيّ، يليهم الْعَرَب الغساسنة والمناذرة، ثُمّ قَبَائِل إيَاد ونمر وربيعة بَيْنَ النّهرين[4]، ويتخلل هَذَا المجموع شتات من أمم أُخْرَى، كالجراجمة فِي جبل اللكام[5]، والجرامقة فِي الموصل[1]، وأخلاط من مُوَلَّدِي اليونان والرّومان والأحباش عَلَى شَواطئ جزيرة العرب، ومولّدي الفرس والأكراد فِي الشّمال[2].

---

1 - علي، جواد: م. س. 591/6.

2 - كبريلي، فرانشيسكو Francesco Gabrieli : **محمد والفتوحات الإسلامية**، (بيروت 2011) ص112.

3 - من غرب الجزيرة العربية، استوطنوا أعالي الفرات وأواسطه في بلاد الرافدين، ورد ذكرهم في النصوص الآشورية ابان القرن 13ق.م. جان دي شاي، ريموند بلو: **دليل حضارات الشرق الأدنى القديم**، (بغداد 2013م) ص23.

4 - سميت الجزيرة، لأَنَّها بَيْنَ نهري الفرات ودجلة، وَهِيَ تَشْتَمِلُ عَلَى ثلاثة أسقاع: ديار ربيعة، و ديار مضر، وديار بكر. ابن شداد: **الأعلاق الخطيرة فِي ذكر أمراء الشّام والجَزِيْرَة**، (دمشق، 1991م) ص 112.

5 - الجراجمة من مدينة عَلَى جبل اللكام عِنْدَ معدن الزاج فِيمَا بَيْنَ بياس وبوقا، وأن أمرهم كَانَ فِي

اتَّخَذتْ التّحركات السِّيَاسِيَّة الاقتصاديّة لدول المنطقة، سبيلا للسيطرة عَلَى الجنوبية الْعَرَبِيّة والحجاز، يطبعه طابعا دِينِيّا، وأحيانا يأخذ جانبا دوليًّا مسلحا، فبِيزَنْطا الَّتِي اتخذت الْمَسِيحِيَّة دينًا رسميًّا للدولة، مِنْذُ مطلع القَرْن الرّابع، ظَلَّتْ تضْطَلِعُ بنشره وحمايته، وَكَانَتْ فِي رعايتها الكَنِيسَةُ المَصْرِيَّةُ فالحَبَشِيّةُ، وإنْ اختلفتْ مذاهبُهم، بقيت الْمَسِيحِيَّة غايَتَهم السّامية المُشْتَرَكة.

لا يستبعد "أوليري"[3] أن يكون، من بَيْنَ تجار الرّوم فِي مَكّة، من كَانَ عينًا للبِيزَنْطيين عَلَى الْعَرَب، يتجسس لَهُمْ، ويتسقط أخبارهم، ويكتب لَهُمْ عَنْ صلاتهم بالفرس، وعن أنباء الفرس فِي جَزِيْرَة الْعَرَب، واتصالهم بالقَبَائِل، لشدَّة حاجة الرّوم إلَى تِلْكَ الأخبار، لإفساد خطط الفرس، وإبعادهم عَنْ بلاد الْعَرَب وعن البحار، والعالم -يومئذ- معسكران متخاصمان: معسكر للروم، ومعسكر للفرس.

نتجت-عَنْ تفاقم المشروع الدّينِيّ والاقتصادي لبِيزَنْطة، فِي ظل الصّراع السِيَاسِيّ الدّولي- مصادماتٌ عَسْكَرِيّة، فإثْر ضرب الدّولة الحميريَّة، ذات الدِّيَانَة اليَهُودِيَّة، نَجْرَان الْمَسِيحِيّة بقُوّة، وقتل أهلها، وتحريقهم فِي الإخدود، الذي خَدَّه الملك ذو نُواس الحميري عام (523م)[4]، وَتعاطف معهم القُرآن، ووصفهم

أيام الرّوم إلَى بطريق انطاكية. البلاذري: **فتوح البلدان**، (بيروت، 1988 م). ص 159.

1 - الجرامقة وهم قوم بالموصل أصلهم من العجم. الجوهري: **الصّحاح تاج اللُغَة وصحاح العَرَبِيّة**، (بيروت 1987م)؛ ابن العبري: **تاريخ مختصر الدول** 1/ 77.

2 - الأب نقولا الخوري:" أصل المسيحيّين فِي سوريا وفلسطين مِنْذُ فجر التاريخ حَتَّى الفتح العَرَبِيّ"، *دراسات سريانية*.

3 - Oleary, **Arabia Befor Muhammad**, .1 .p. 184

4 - نشوان الحميري: **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** 3/ 1669؛ النّويري: **نهاية الأرب فِي فنون الأدب**(القاهرة، 1423ه) 5/ 235.

"بالمؤمنين"[1]. انتدبت بِيْزَنْطا الحبشة المسيحيَّة لحرب العربيَّة الجنوبيَّة، عَلَى إثرها خرج اليهود بقَبَائِلهم وأحبارهم إلَى يَثْرِب، وانتشرت الْمَسِيحِيَّة فِي اليمن، وبنى إبرهة كَنِيسَة كبرى فِي صنعاء، أسماها "الْقُلَّيْس"[2]، ودعا الْعَرَب للحج إلَيْهَا[3]؛ ولعل هدفه من ذلك صرف العرب عن حج مكة، وتحويل أنظارهم الى المسيحيَّة، فتوجَّه إلَى مَكَّة عام (540م)[4]، فِي محاولة منه لهدم بيت الْعَرَب، وما فِيهِ من معالِمَ دِينِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ، تَنْشُدُ اللَّهَ فِي النِّهَايَة. ومن ثمَّ كان الغزو الفارسي لليمن في عام (570م)، وجعلها مقاطعة فارسيّة، مهّدَ بذلك للتغلغل النسطوري الذي رافقها، ضمن الحملات التبشيرية المسيحيّة، التي كانت الكنيسة النسطوريّة تنظمها من وادي الرافدين، وترسلها الى المناطق الغربية والشرقية[5].

فِي الثّلث الأخير من القَرْن السّادس لميلاد الْمَسِيح، جاءت ولادة الرّسول مُحَمَّد، الَّتِي بشرت بظهور حدث خطير للبَشَرِيّة، قَدْ يُغيِّر فِي الخَارِطَة الدّينِيَّة فِي العالم. نشأ هَذَا الوليد فِي مَكّة، وترَعْرَعَ فِي ميادينها الاجْتِمَاعِيَّة والاقتصاديّة والدّينِيَّة، حَيْثُ التَّنَوُّع الدّينِيّ، وَكَانَ مظهرُ الحَرَاك الدّينِيّ يتَطَوّر عَلَى نحوٍ، يُنْبِئُ بتغيراتٍ جديدة تجاهَ الدِّيَانَات السّمَاوِيَّة، ثُمّةَ نَفَرٌ من قُرَيْش، كَانُوا يبحثون عَنْ الدِّينِ القيّمِ، وَهُمْ: زيد بن عَمْرو بن نُفَيل، وَرَقَة بنِ نَوْفَل، عُبَيد الله بن

---

1 - {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النّار ذات الوقود، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قعود، وهم عَلَى ما يفعلون بالمؤمنين شهود، وما نقموا مِنْهُمْ إلا أ ن يؤمنوا بالله العزيز الحميد} البروج4-7.

2 - الأزرقي: **أخبار مَكّة وما جاء فِيهَا من الأثار**، (دار الأندلس، بيروت) 1/ 137؛ ابن هشام، عبد الملك الحميري (ت213هـ/ 828م): **السّيرة النّبَوِيّة** (القاهرة 1955م).1/ 43.

3 - أَبُو نعيم، (ت535هـ) **دلائل النّبوة**، (الرّياض، لا. ت)، ص 151.

4 -ربط كثير من مؤرخي العرب ميلاد الرسول (570م) بعام الفيل، ليتخذوا من ذلك دليلا اعجازيا علي نبوته، وما أثبتناه تدعمه التحقيقات التاريخية، من الاستدلال بالتواريخ الرومانية، وأن شدة الأزمة السياسية والعسكرية بين القيصر جستنيان (527- 565م) وبين كسرى انوشروان (531- 579م)، كانت قبل منتصف القرن السادس.

5 - ابو زيد: **المسيحية في إيران**، ص114.

جَحَش، عُثْمان بن الحُوَيْرث، اتفقوا فِي الرَّأي والعقيدة، وتعاهدوا عَلَى نَبْذ عبادة قومِهم، وما كَانُوا عَلَيْهِ من مخالفة لدين إِبْرَاهِيم، وتصادقوا، وكوّنوا عُصْبَةً خرجتْ عَلَى عبادة قُرَيْش، ودأبوا يطلبون الدِّين، ويلْتَمِسُونَ أَهْلَ الكتاب من: اليَهُود، والنَّصَارَى، والحَنِيفِيَّة[1].

الحَنِيفِيَّة[2]: دِيَانَةٌ توحّد الله، اصْطَلَعَ بِهَا إِبْرَاهِيم أَبُو الأَنْبِياء، فَهِيَ أُمُّ الدِّيَانَات الَّتِي وُصِفَتْ بالإِبْرَاهِيمِيَّة: اليَهُودِيَّة، الْمَسِيحِيَّة، والإِسْلَام، وَهِيَ الأُرُومَةُ الإِبْرَاهِيمِيَّة المُشْتَرَكة للديانات التّوحيديَّة.

جدير بالعلم، أَنَّ إِبْرَاهِيم حَظِي بمكانة عالية فِي الدِّيَانَات الثّلاث، فاليَهُودِيَّة تُؤَكِّدُ حَقِيْقَةً، أَنَّ إِبْرَاهِيم كَانَ الأَبَّ، الَّذِي مِنْهُ جاء الشّعبُ المُختار (إشعيا 2/51، حزقيال 24/33)، وما أعظمَ أَهَمِّيَّة تِلْكَ الحَقِيْقَة، أَنَّ الله اختار إِبْرَاهِيم (نحميا 7/9)، وفداه (إشعيا 22/29)، وباركه بركةً خَاصَّة (ميخا 22/7). فِي الْمَسِيحِيَّة إِبْرَاهِيم بطلٌ من أبطال الإيمان، كَمَا أَنَّ يسوُع جاء من نَسْلِ إِبْرَاهِيم (متى 1/1)، لَكِنَّ يَسُوعُ أَكَّد أَنَّهُ أعظمُ مِنْهُ (متّى 2/1، 17، 9/3؛ مرقس 26/12). فِي الإِسْلَام جعله الله للناس إمامًا (البقرة124)، واتّخذه خليلًا (النّساء125)، و إِنَّ إِبْرَاهِيم يتسامى بأخلاقه، أَنَّهُ {لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ} (هود75)، وباتصاله بالله، أَنَّهُ {كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلّهِ حَنِيفاً} (النّحل120)، وأَنَّ مُحَمَّدا ودينه جاءا عَلَى هَدْي إِبْرَاهِيم وملّته الحَنِيفِيَّة {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى

1 - ابن إسحاق: **سيرة ابن إسحاق (كتاب السّير والمغازي)**، (بيروت 1978) ص95، ابن هشام: **السّيرة**، 51/2؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، (بيروت، 1995م) 336/38؛ الذّهبي: **تاريخ الإِسْلَام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، (بيروت، 2003م) 90/1.

2 - حنف عَنْ الشّيء وتحنف: مال، والحنيف: المُسْلِم الَّذِي يتحنف عَنْ الأديان أي يميل إِلَى الحق، وقيل: هُوَ الَّذِي يستقبل قبلة البيت عَلَى ملة إِبْرَاهِيم. ابن سيدة: **المحكم والمحيط الأعظم** 382/3.

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً} (الأنعام161). وكثرَ ذكرُ إِبْرَاهِيم فِي كتبها المقدسة[1].

ذهب "ولهوزن" إلَى أن الحنفاء هُمْ من النَّصَارَى، وأنَّ حركتَهم حركةٌ نصرانيَّة، وَأَنَّهُمْ كَانُوا القنطرةَ الَّتِي توصِل بَيْنَ النّصْرَانِيَّة والإِسْلَام[2]. ويرى" كبريلي Gabrieli"[3]: أنَّ الحنيف كلمة سريانية "هنبا Hanpa"، وفي الأصل "الهرطقة الوثنية" ومن ثم" المنشق دينيا"، وهو اسم قد سمَّى به العرب أولئك الأفراد المتدينين الذين كانت عقيدتهم التوحيد، ولم تتطابق مع اليهوديَّة ولا مع المسيحيَّة، والذين صاروا- فيما بعد- أما يشايعون الإسلام، أو تلاشوا عند ظهور الإسلام المنتصر... وأنَّهم كانوا مواظبين على تحقيق طريق وسط للحلول المنوفستيَّة، في مسائل اللانهائي أو الخلود... وفوق ذلك، فإنَّ هؤلاء الأحناف كان لهم- بالتأكيد- نصيبٌ ومشاركة في حمل العقيدة الجديدة.

ثَمَّةَ دالَّةٌ عَلَى مَدَى التَّأْثِيرِ الدّينيّ التّوحيدي فِي فضَاءِ مَكّة الدّينيّ، وَهِيَ مَا رُسِمَ عَلَى جدران الكعبة من صُوَرِ الأَنْبِياءِ والملائكَة، الَّذِينَ يذكر مُؤَرّخو مَكّة قصصهم، بِخَاصَّة صورة عيسى بن مَرْيَم وأمه، فَجَعَلُوا فِي دَعَائِمِهَا صُوَرَ الْأَنْبِيَاءِ، وَصُوَرَ الشّجَرِ، وَصُوَرَ الْمَلَائِكَةِ، فَكَانَ فِيهَا صُورَةُ إِبْرَاهِيم خَلِيلِ الرّحْمَنِ، شَيْخٍ

1 - ورد ذكر إِبْرَاهِيم فِي سفر التكوين (11 /26 - 25 /18) وفي باقي أسفار العهد القديم أكثر من أربعين مرة، ومرات الإشارة إِلَيْهِ فِي العهد الجديد تزيد عَنْ السّبعين. (**دائرة المعارف الكتابية** "إِبْرَاهِيم"). وفي القرآن ثلاث وستين مرة فِي سور البقرة وآل عمران ووهود ويوسف ومريم وغيرها.

2 - علي، جواد: **المُفَصَّل** 12/ 36، نقلا عَنْ Wellhausen, Reste, S. 239. f 4.

3 - فرانشيسكو Francesco: **محمد والفتوحات الإسلامية**، ص113.

يَسْتَقْسِمُ بِالْأَزْلَامِ، وَصُورَةُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأُمِّهِ، وَصُورَةُ الْمَلَائِكَةِ- عَلَيْهِمْ السَّلَامُ- أَجْمَعِينَ[1].

رسمت مُقَارَبَة الشّهرستاني[2] المشهد الدّينيّ في مَكّة، بأنّ الفرقتين المتقابلتين قَبْلَ المبعث هُما: أهل الكتاب والأميُّون[3]؛ والأميُّ من لا يعرف الكتابة. وَكَانَتْ اليهود والنَّصَارَى بالمدينة؛ والأميون بمَكّة. وأهل الكتاب كَانُوا ينْصُرُون دينَ الأسباط[4]، ويذهبون مذهب بني إِسْرَائِيلَ وإسحاق؛ والأميُّون كَانُوا ينصرون دين القَبَائِل، ويذهبون مذهب بني إسماعيل، الدّوحة الثّانية لديانة إِبْرَاهِيم.

إن ظهور الإِسْلَام في الفَضاء الدّينِيّ الكِتَابِيّ في بلاد الْعَرَب، حقَّق المتواليَة الزمنيَّة للديانات الثّلاثة، اليَهُودِيَّة والْمَسِيحِيَّة والإِسْلَام في الصراع مع الوثنيّة. وفي حيثيّة الوجود تمكن هَذَا التّوالي أنْ يوفّر فرصة نوعيّة في فَهْمِ العَلاقَات بَيْنَ تِلْكَ الدّيَانَات. وتتَجَلَّى العلاقةُ في فهْمِ مَاهِيَّة الدّيَانَات الكِتَابِيَّة، في عدم اعتراف الدّين السّابق بالدّين اللاحِقِ أَوَّلًا، ونَسْخ الدّين اللاحق للدين السّابق ثانيا، ومِنْ هُنَا يتضح معنى التّوقيت كمعيار للقيمة العَلاقَاتية، فَقَدْ تتفق الدّيانتان الأُخريان (الْمَسِيحِيَّة والإِسْلَام) عَلَى إلغاء لدين اليَهُودِيَّة[5]، وَهَذَا قَدْ ينتج مُشْتَرَكا يقرب العَلاقَات ويعززها بَيْنَهُمَا، ويُوصل طبيعة العلاقة القُرآن الكريم: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالذِّينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى} (المائدة82).

---

1 - الأزرقي: **أخبار مكة**، 1/ 165.

2 - **الملل والنّحل**، (الحلبي، القاهرة) 13/2.

3 - قيل نسبة إلَى أم القرى مكة، أَوْ نسبة إلَى الأمة، أَوْ لأَنَّهُمْ ليسوا أصحاب كتاب، وَهُوَ الأرجح.

4 - الأسباط: جمع سبط، وهم خَاصَّة الْأَوْلَاد، وهم فِي أَوْلَاد اسحق بِمَنْزِلَة الْقَبَائِل فِي أَوْلَاد اسماعيل. الجياني (ت 672هـ): **إكمال الإعلام بتثليث الكلام**، (مكة، 1984) 2/ 292.

5 - السّيد مُحَمَّد الشّاهد: "حوار المسيحيّة والإسلام"، في *كتاب المسيحيّة وديانات العالم* لـ: هانس كونج، وجوزيف فان إس (بيروت، 1994) ص22.

فِي ظل المُشْتَرَك العَقَدِيّ بَيْنَ الدِّيَانَات الكِتَابِيَّة الثّلاث (اليَهُودِيَّة والمَسِيحِيَّة والإِسْلَام) المُتَمَثِّل فِي إيمانها بالله وبما أوحي إِلَى إِبْرَاهِيم، تَتَجَلَّى فكرة ان الإِسْلَام يمكنه أن يكون طريقا للخلاص أَوَّلًا، وأن مُحَمَّدا النّبيّ جاء متمما للسلسلة الإِبْرَاهِيمِيَّة فِي مُعْتَقَداتِها ثانيًا. وفَضْلًا عَنْ أَنَّ مُحَمَّدا استطاعَ أَنْ يُبَشِّرَ الْعَرَب بدِينٍ غيرِ دينِهم، ويجعلَ فيهِ مِن المُشْتَرَكات مَعَ الدِّيَانَات الكِتَابِيَّة السّابقة كَدَالّة عَلَى الإِسْتِمْرَارِيَّة والجِدّة، فَإِنَّهُ يكشِفُ عَنْ أَنَّ النّبيَّ شَخْصِيَّةً تاريخيّةً عظيمةً أَثّرَتْ فِي مُجْرَيَاتِ الأُمورِ فِي العالمِ تأثيرًا جذريًّا، بحَسَبِ "هانس كونج Hans Kung"، الَّذِي يرى أن لا مَنَاصَ لِمَنْ يَتَقَصَّى الحَقِيْقَة، أَنْ يُسَلِّم بِصِحَّةِ الأَدِلَّةِ الآتية:

- مثلُ أنبياءِ إِسْرَائِيلَ لَمْ يَسْتَمِدْ مُحَمَّدٌ قوّتَهُ من جماعةٍ أَوْ سلطةٍ حكوميّةٍ، بل استمدّها عَنْ طريقِ عَلَاقَة شَخْصِيَّةٍ بِالله.
- مثلُ أنبياءِ إِسْرَائِيلَ كَانَ مُحَمَّدٌ ذا إرادةٍ قويَّةٍ، رَأى فِي نفسِه رسولًا مختارًا مكلَّفًا برسالةٍ مِن اللهِ يُبَلِّغُهَا الى الناسِ.
- مثلُ أنبياءِ إِسْرَائِيلَ جاءَ مُحَمَّدٌ برسالتِه أثناءَ مِحْنَةٍ (فَوْضَى) دِينِيَّةٍ واِجْتِمَاعِيَّةٍ، وَكَانَ يَقِفُ وَحْدَهُ، بِكُلِّ قُوَّةٍ وإصلاحٍ وإصرارٍ، عَلَى تبليغِ رسالتِه، ضِدّ قُوَّةٍ معارِضَةٍ مُسَيْطِرَةٍ، لها تقاليدُ تَتَمَسَّكُ بِهَا، ولا تُرِيدُ تَرْكَها.
- مِثْلُ أنبياءِ إِسْرَائِيلَ بلَّغَ مُحَمَّد، وبإِصْرَارٍ لَا يَهِين، التّوحيدَ، الإيمانَ بإلهٍ واحد، لا شريكَ لَهُ، وَهُوَ الخالقُ الرّحمانُ، والمحاسِبُ العَظيم.
- مثلُ أنبياءِ إِسْرَائِيلَ أمرَ مُحَمَّدٌ بطاعةِ اللهِ المُطْلَقَةِ، والعُبُودِيَّةِ للهِ (الإِسْلَام)، بِمَا يَحْتَوِيهِ هَذَا مِن شُكْرٍ للهِ، ورحمةٍ بالعالمينَ (البشر).
- مثلُ أنبياءِ إِسْرَائِيلَ يَرْبِطُ مُحَمَّدٌ التّوحيدَ الخالِصَّ بالإِنْسَانِيَّةِ (حُبَّ الإِنْسَانِ للإِنْسَانِ- Humanismus)، ويربط الإيمان بوحدانية الله وعدله، بالمطالبة بالعدالة الاِجْتِمَاعِيَّة، يبشّر بالعدل والخلاص، يُنْذِر الظّالمين

بالنّار، ويبشر المنصفين بالجنة[1].

الرّسول محمد والْمَسِيحِيَّة فِي مَكّة:

لَمْ تَكُنْ مكَّةُ قِبْلَةَ العربِ، يشدُّونَ إِلَيْهَا الرِحَالَ حَجِيجًا فِي أَشْهُرِ الحُرُمِ، وَحْدُهُمْ، بَلْ إِنَّ نفحاتٍ من قدسيَّتِها بَلَغَتْ قُلُوبَ أَبْناءِ الشّجرةِ الإِبْرَاهِيمِيَّة، فثمَّةَ صُوَرٌ لإِبْرَاهِيمَ واسماعيلَ ومرْيَم والمسيح وُجِدَتْ عَلَى جدرانها. وحدَّث أهلُ الأخبارِ عَنْ كتاباتٍ قديمة، مِنْهَا "أن قُرَيْشاً وَجَدَتْ فِي الرُكْنِ، أَوْ فِي بَعْضِ المَقامِ، كتاباً بالسِّرْيَانِيَّة، قرَأَهُ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ من يَهُودَ: أَنَا اللهُ ذُو بَكَّةَ خَلَقْتُهَا"[2]. إِذَا كَانَ من الصّعْبِ تقْرِيرِ أَخْبَارِ عِبَادِيَّةٍ لأَهْلِ الكِتَابِ فِي الكَعْبَةِ، فإِنَّ مَا يَجْدُرُ قَبُولُهُ، أَنَّ الكعبةَ مَكانٌ مُقَدَّسٌ عالَمِيٌّ، فَقَدْ انْتَقَلَتْ إِلَيْهِ طُقُوسٌ عُنِيَ بِهَا فِي أَمْكِنَةٍ أُخْرَى[3]. وأولتْ الصابئة القديمة االكعبة عناية دينية مخصوصة، وكانت قد قدست الكواكب، وجعلت لكل سبعة منها معبدا، قيل: إن الكعبة هي معبد كوكب زحل[4].

1 - السّيد مُحَمَّد الشّاهد: "حوار المسيحيّة والإسلام"، ص31.

2 - ابن اسحاق: **السير والمغازي**، ص 106؛ ابن هشام: **السيرة النبوية**، 196/1.

3 - هيربرت بوسه: **أسس الحوار فِي القرآن**، ص52.

4 - توفيقي، حسين: **دروس في تاريخ الأديان**، (قم، 1430هـ)، ص 110.

اتخذت الْمَسيحيّة من نَجْرَان[1] مركزا دِينيّا، ومرفأً لتجمع العمال القادمين من الحَبَشَة، ومِنْ ثَمّ نقلهم إلَى مَكّة، فتكاثروا، ونظمُوا أمرَهم مَعَ بعض القَبَائِل فِي "حِلْفِ الأحابيش"[2]، وكوّنوا موقعا اِجْتِمَاعِيًّا مرموقا فِي مَكّة، وحققوا زعَامَةً ذان مكانة في قُرَيْش، تحضُر دار النّدوة، مركز القرار فِي مَكّة، وتحالف مَعَ قُرَيْش، ضمانًا لسلامة قوافل مَكّة، ودفاعا عَنْ حياضها، فكانوا يشكلون فرقًا فِي جيش القرشيّين[3]. وَكَانَ إِذَا عُدَّت قَبَائِل مَكّة وزعماؤها، قالوا: عَلَى الأحابيش الحليس بن يزيد[4]، الَّذِي لَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللَّهِ قبيل الحديبيّة، قَالَ: "إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ"[5]، أَيْ: مِنْ تَنَسّكٍ وَتَعْظِيمٍ لِلّهِ[6]، وَهُنَا يشيرُ الرّسولُ بِذَلِكَ إلَى أَنَّهُمْ كَانُوا نَصَارَى، أخَذوا نَصرَانِيَّتَهُمْ من الحَبَش[7].

والراجح أنَّ الحُلَيْسَ أدّى دَوْرًا مُهِمًّا فِي تنظِيمِ أَوَّلِ مُمَارَسَةٍ تاريخيّةٍ للحوارِ بَيْنَ الوَثَنِيّةِ والإِسْلَامِ، ونَبْذِ العَدَاءِ، وإِسْكَاتِ مَعْمَعَةِ الحروب بَيْنَ الطّرفينِ، ونشرِ السّلامِ فِي منطقةِ نزاعٍ دِينِيّ، كَادَ يستمرُّ، لَوْلَا مبادرةُ الرّسولِ مُحَمَّدٍ إلَى الصّلْحِ. وَأَنَّهُ لدالّةٌ بَيِّنَةٌ عَلَى مَكَانَةِ الحُلَيْسِ فِي دارِ النّدوةِ، إِذْ اُنْتُدِبَ لِرَسْمِ بُنُودِ معاهدةِ

---

1 - نجران- فِي عدة مواضع - مِنْهَا: نجران فِي مخاليف اليمن من ناحية مكة؛ وثمة روايات فِي تنصر أهلها نقلها ابن اسحاق عَنْ كعب الأحبار ووهب بن منبه. ياقوت: **معجم البلدان**، 266/5 .

2 - فِي تكوين الاحابيش آراء لـ: لامانس فِي مستشرقين آخرين، ومنها: هُمْ عرب وحبش ومرتزقة، وأن أولئك الأحابيش هُمْ من ساحل تهامة فِي الغالب من كنانة. علي، جواد: **المُفَصَّل**، 33/7.

3 - لامنس اليسوعي Henri Lammens: "الأحابيش والنّظام العسكري فِي مكة"، *مجلة المشرق*، عدد34، ص19.

4 - من بني الحارث بن عبد مناة. ابن حبيب: **المحبر**، (دار الآفاق، بيروت) ص170، **المنمق فِي أخبار قُرَيْش**، بيروت، 1985م) ص 172.

5 - ابن هشام: **السّيرة النّبوية**، 2/ 312.

6 - السّهيلي، (ت581هـ): **الرّوض الأنف فِي شرح السّيرة النّبوية** (بيروت، 1412هـ) 6/ 480.

7 - علي، جواد: **المُفَصَّل** 7/ 35.

السَّلام بَيْنَ أهلِ مَكّة والْمُسْلِمِينَ بحيادِيَّةٍ، وأشّرتْ مهنيّةُ الحُلْيْسِ الناظِمةُ للسلامِ بين طرفي النزاعِ، على مكانةِ الْمَسِيحِيّةِ فِي الإِدَارَةِ الدّينِيَّةِ والسِّياسيَّةِ فِي مَكّةَ.

جدير بالعلم، إنّ هَذِهِ الجَالِيَةَ الكَبِيرَةَ لَمْ تَقِفْ عِنْدَ تَحْقِيقِ مَكَانَةٍ اِجْتِمَاعِيَّةٍ فَحَسْب، بَلْ تَرَكَتْ أثرًا فِي لُغَةِ أَهْلِ مَكَّةَ، يَظْهَرُ فِي وُجُودِ عَدَدٍ مِنْ الكَلِمَاتِ الحَبَشِيَّةِ فِيهَا، مِثْلُ المُصْطَلَحَاتِ الدّينِيَّةِ، والأَدَواتِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي الصِّنَاعَاتِ، وَفِي الأعمال اليدوية، الَّتِي يقوم بأدائها العبيد. وَقَدْ أشار العلماء إِلَى عدد من هَذِهِ الكَلِمَات، ذكروا أَنَّها تعَرَّبَتْ، فصارت من الكَلَام الْعَرَبِيّ[1].

وَبِحَسَبِ "خريسُوسْتُوموس"[2]: كَانَ مُحَمَّدٌ مُرْتَبِطًا مَعَ مَسِيحِيّ حِمْيَرَ، وعَلَى الأَخَصّ مَعَ أَهْلِ مَدِينَةِ نَجْرَان، الَّتِي كَانَتْ فِيهَا الْمَسِيحِيّةُ مُزْدَهِرَةً، إِذْ مَنَحَهُمْ- فِيمَا بَعْدُ- إِمْتِيَازَاتٍ كَثِيرةً، تُؤَمِّنُ حُرِّيَةَ مُمَارَسَةِ دِيَانَتِهِم وَعِبَادَتِهِمْ، وتضمِنُ سلامة الأَسَاقِفَةَ والكَهَنَةَ وَأَمْوَالَهُمْ.

عاصر الرّسولُ مُحَمَّد قسمًا مِمَن تنصَّر من أحياء الْعَرَب، ولاسيّمَا قومًا من قُرَيْش، من بني أسد بن عَبْد العُزّى، مِنْهُمْ عثمان بن الحُوَيرث بن أسد، وورَقَة بنِ نَوْفَل ابن أسد[3].

فَأَمّا عُثْمَانُ بْنُ الْحُوَيْرِث- بحَسَبِ ابْنُ إِسْحَاقَ- فَقَدْ قَدِمَ عَلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرّوم، فتنصّر وحسنت مَنْزِلَتُهُ عِنْدَهُ[4]، فَقَالَ لَهُ: إِنّي أَجْعَلُ لَك خَرْجًا عَلَى قُرَيْش، إِنْ جَاءُوا الشّامَ لِتِجَارَتِهِمْ، وَإِلّا مَنَعْتهمْ[5]. وَفِي رِوَايَةِ الزبير: إِنَّ قيصر كَانَ قَدْ تَوّجَ عُثْمَانَ، ومنحه لقب الْبِطْرِيق، وَوَلّاهُ أَمْرَ مَكّة، فَلَمّا جَاءَهُمْ بِذَلِكَ أَنِفُوا مِنْ أَنْ

1 - علي: م.ن. 12/ 182.

2 - بابادوبولس: **تاريخ كنيسة انطاكية**، ترجمة: استفانوس حداد، ص528.

3 - اليعقوبي: **تاريخ**، 257/1.

4 - ابن هشام: **السّيرة**، 1/ 224.

5 - السّهيلي: **الرّوض الأنف** 2/ 231

يَدِينُوا لِمَلِكٍ، وَصَاحَ بعضهم:" أَلَا إنّ مكّة حَيّ لَقَاحٌ، لَا تَدِينُ لِمَلِكٍ"؛ فَلَمْ يَتِمْ لَهُ مُرَادُهُ[1].

وأَمَّا وَرَقَةَ بنِ نَوْفَل فتنصَّر، فاسْتَحْكَمَ فِي النّصْرَانِيَّة، واتَّبَع الكتب من أهلها، حَتَّى علم علمًا كثيرًا من أهل الكتاب[2]، وَكَانَ يَقْرَأُ الْإِنْجِيلَ بِالْعَرَبِيّة[3]، وَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيّة مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ[4]، وَهُوَ أَوَّلُ من بشَّر ببعثة مُحَمَّد، إِذْ قَالَ لابنة عمه خويلد: يا خديجة، إِنَّهُ لنبيُّ هَذِهِ الأمة، وإِنَّهُ ليأتيه النّاموس الأكبر، الَّذِي كَانَ يأتي موسى[5].

وَكَانَ أمية بن أبى الصّلت الثّقفي[6] قَدْ قرأ الكتب، ورَغِبَ عَنْ عبادة الأَوْثَانِ، وَكَانَ يُخْبِر بأَنَّ نبيّا يُبْعَثُ، قَدْ أظلَّ زمانَه، فَلَمَّا سمع بخروج النّبيّ مُحَمَّد وقصّته، كفرَ حسدًا لَهُ. بحَسَبِ ابن قتيبة[7]. وَقَالَ ابنُ عساكر: "شاعرٌ جاهِلِيّ... قيلَ: أَنَّهُ كَانَ نبيًّا، وَأَنَّهُ كَانَ أَوَّل أمره عَلَى الإيمان، ثُمّ زاغَ عَنْهُ"[8].

وحياة مُحَمَّد فِي مَكّة- بحَسَبِ أهل الأخبار- كَانَتْ مثار علاقة مَسِيحِيّة وتنبؤات لرهبان ومتنسكين، تشيع بأَنْ سيولد فِي هَذَا الحي من يرشُح لنبوَّةِ الْعَرَب،

---

1 - م. ن. 2/ 359.

2 - ابن اسحاق: **السّيرة** ص 116؛ ابن كثير: **السّيرة النّبوية** 1/ 357

3 - البيهقي: **دلائل النّبوة** 2/ 139؛ ابن الأثير: أسد الغابة 88/5.

4 - مسلم النّيسابوري: **الصّحيح** 1/ 97.

5 - ابن اسحاق: **السّيرة** ص122؛ ابن هشام: **السّيرة** 238/1؛ البيهقي: **دلائل النّبوة** 22/1.

6- هُوَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصّلْتِ، عَبْد الله بن أَبِي ربيعَة بن عَوْف ابْن عقدَة بن عزة بْنِ عَوْفِ بْنِ ثَقِيفِ بْنِ مُنَبِّهِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ، أَبُو عُثْمَانَ، وَيُقَالَ أَبُو الْحَكَمِ الثّقَفِيُّ. ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 9/ 255؛ ابن كثير: **السّيرة النبويَّة** 122/1.

7 - **المعارف** 60.

8 - **تاريخ دمشق** 9/ 255.

وَأَنَّهُ ذُكِرَ فِي كُتُبِ الأَوَّلِين[1]، بَلْ أَنّ النّبِيّ الَّذِي بشّر بِهِ الْمَسِيح وأسمه أحمد[2]، وتتضح بوادرها فِي قصة أخت وَرَقَة بنِ نَوْفَل وعرضها لعبد الله بن عبد المطلب للزواج منْهُ[3]، وَفِي طفولته ضجَّت حليمة السّعدية من تأكيد بعضِ المُتَنَسِّكَةِ بأَنَّ " هَذَا غُلَامٌ كَائِنٌ لَهُ شَأْنٌ نَحْنُ نَعْرِفُ أَمْرَهُ"[4]. وكانت "سودة بنت زهرة" نصرانيَّة، وكانت كاهنة قريش، فقالت يوما لبني زهرة: فيكم نذيرة، أو تلد نذيرا، فاعرضوا عليّ بناتكنّ فعرضن عليها، فاختارت آمنة بنت وهب زوجة لـ"عبد الله بن عبد المطلب" والد الرسول محمَّد[5].

ويُذكر أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ كَانَ جَالِسًا فِي الْحِجْرِ، وَعِنْدَهُ أُسْقُفُّ نَجْرَان، وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ وَهُوَ يُحَادِثُهُ، وَيَقُولُ: إِنَّا نَجِدُ صِفَةَ نَبِيٍّ بَقِيَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، هَذَا الْبَلَدُ مَوْلِدُهُ، مِنْ صِفَتِهِ كَذَا وَكَذَا، فَأَتَى مُحَمَّد عَلَى بَقِيَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْأُسْقُفُّ، وَإِلَى عَيْنَيْهِ، وَإِلَى ظَهْرِهِ، وَإِلَى قَدَمَيْهِ، فَقَالَ: هُوَ هَذَا، مَا هَذَا مِنْكَ؟[6].

يردفها خبرُ خروجه، وعمرُه ثلاثَ عشرةَ سنة[7]، مَعَ عمّه أبي طالب، ونزول الرّكب بُصْرَى من أرض الشّام، وبها راهب يقال لَهُ "بَحِيرَا" فِي صومعة لَهُ (دير بحيرا)[8]، وَكَانَ أعلم أهل النّصْرَانِيَّة، فعرف فِيهِ علامات النّبوَّة، وحذَّر

---

1 - [وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ] (الشّعراء: 196).

2- {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ } (الصّف6).

3 - ابن اسحاق: **السّيرة** 43؛ ابن هشام: **السّيرة** 156/1؛ ابن سعد: **الطبقات** 1/ 95- 96؛ ابن الجوزي: **المنتظم** 201/2؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 3/ 406.

4 - أخرج قصة بحيرا: ابن إسحاق: م. س. 73؛ ابن هشام: م. س. 1/ 180، والبيهقي: **الدلائل** 2/ 26- 29، الطبري: **تاريخ الرسل** 2/ 277، وابن الجوزي: **المنتظم** 2/ 292.

5 - الحلبي: **السيرة الحلبية** 68/1.

6 - أَبُو نعيم: **دلائل النّبوة** ص 165؛ المقريزي: **امتاع الاسماع** 97/4.

7 -المسعودي: **التنبيه والإشراف** (دار الصّاوي، القاهرة) ص197.

8 - **البداية والنّهاية** 289/2.

عمَّه من كيد اليهود لَهُ، ودعاه أنْ يُسْرِعَ بِهِ إلَى بلاده، ونقل ابن اسحاق شعرا لأبي طالب فِي قصة بَحِيرا[1]. ونقل الواقدي[2] قول بحيرا: " هَذَا- واللهِ- الَّذِي بشَّر بِهِ الْمَسِيح، فطوبى لِمَنْ تبعَهُ، وآمَنَ بِهِ، وصَدَّقَهُ".

تفصح المُمَارَسَات التّاريخيّة لصاحب الشّريعة فِي سيرته جلّها، عَنْ علاقة طَيّبَة بالموحدين والنَّصَارَى؛ لأنّهُمْ أقربُ إلَى نفسه، وَهُمْ أهلُ كتاب، فَقَدْ يجلس إلَى خَلواتِهم، ويصاحبُ بعضَهم. ففي مكّة أشارت السّير[3]: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ كَثِيرًا مَا يَجْلِسُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ إلَى مَبِيعَةِ غُلَامٍ نَصْرَانِيٍّ، يُقَالُ لَهُ: جَبْرٌ (ابن قِمْطَةَ)[4]، عَبْدٌ لِبَنِي الْحَضْرَمِيِّ"، حَتَّى بلغ بِهِ الأمر، أنَّ جماعة من قُرَيْش "كَانُوا يَقُولُونَ: وَاَللَّهِ، مَا يُعَلِّمُ مُحَمَّدا كَثِيرًا مِمَّا يَأْتِي بِهِ إلَّا جَبْرٌ النَّصْرَانِيُّ، غُلَامُ بَنِي الْحَضْرَمِيِّ"[5].

يكثُر فِي مكّة -بحَسَبِ طبيعتها التّجارية والدّينيَّة- الرّقيقُ الأبيض ذكورًا وإناثًا، وَهُمْ من جنسيات شتّى، مِنْهُمْ من كَانَ من أصل رومِيٍّ، ومنهم من كَانَ من عنصر أوروبيٍّ آخر، ومنهم من كَانَ من الفرس، أَوْ من أهل العِرَاق مثل نينوى وعين التّمر، ومنهم من كَانَ من بلاد الشّام، أَوْ من أَقْبَاطِ مِصْرَ، وَهُمْ عَلَى النَّصْرَانِيَّة فِي الغالب، من أمثال: "صهيب الرّومي"، و"نسطاس"، و"ميناس"، و"يوحنا"، فِي آخرين[6]، وَقَدْ ذكر المفسرون أنَّ هَؤلَاءِ "كَانُوا كِتَابِيِّينَ، يقرأون التّوراة، ثُمّ أسلموا، وَكَانَ رسول الله يتعهَّدهم[7].

---

1 - **السّيرة**، ص73.

2 - **فتوح الشّام** 2/ 30.

3 ابن هشام: **السّيرة** 1/ 393

4 - الواقدي: **المغازي** 1/ 74.

5 - ابن هشام: م. س. 1/ 393

6 - علي، جواد: **المُفَصَّل** 12/ 181.

7 - الطبري: **تفسير** 18/ 137؛ الطبرسي: **مجمع البيان** 7/ 161؛ الآلوسي: **روح المعاني** 18/ 234 .

كَانَ الرّسول مُحَمَّد يُحِب أنْ يستمعَ إلَى شعر أمية بن أبي الصّلت، وَهُوَ من أبرز شعراء النّصْرَانِيَّة، ففي رِوَايَة ابْن الشّرِيد، قَالَ: أَنْشَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ شِعْرِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصّلْتِ، مائَةَ بَيْتٍ، يَقُولُ فِي كُلِّ قَافِيَةٍ: "هيه". وَقَالَ: "إِنْ كَادَ لَيُسْلِمُ"[1]. حَتَّى نُقل عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ[2]: إِنَّ أَصْدَقَ كَلِمَةٍ قَالَتْهَا الْعَرَبُ قَوْلُ "لَبِيدٍ": أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ، وَإِنْ كَادَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصّلْتِ لَيُسْلِمُ.

كَانَ "قُسُّ بن ساعدة الإيادي" (ت23ق.هـ/ 600م)[3]، (أُسْقُف نَجْرَان)[4]، من أعلام الْمَسِيحِيَّة عِنْدَ الْعَرَب وَفِي مَكّة، لَهُ الحكم الفصل فِي مجالسِها، ويخطب فِي أسواقها، حَتَّى ضرب بِهِ المثل: "أَفْصَحُ من قِسّ"، وقيل: "أنطق من قسّ"، و "أبين من قسّ"، و "أبلغ من قسّ"؛ وَقَدْ ذكره الأعشى بقوله:

وأبْلَغَ مِنْ قُسٍّ، وأجْرَأُ منَ الَّذِي بذي الغِيلِ من خَفّانَ أصبحَ خادرًا[5].

وقيل: إنَّ أوَّل من أظهر التّوحيد بمَكّة قُسُّ بن ساعدة الإيادي[1]. ويذكر أن الرّسول قَالَ: "يرحم الله قسًّا، إنِّي لأرجو يوم القيامة أنْ يُبْعَثَ أمَّةً وحده"[2]،

---

1 - الحميدي: **المسند** 2/ 54؛ ابن أبي شيبة: **المسند** 2/ 391؛ ابن سعد: **الطبقات الكبرى** 6/ 51؛.أحمد بن حنبل: **المسند** 206/32؛ البخاري: **الأدب المفرد** ص 428، **صحيح البخاري** 5/ 43.

2 - إسحاق بن راهويه: **المسند** 1/ 62؛ ابن أبي شيبة: **المصنف** 5/ 272؛ أحمد بن حنبل: **المسند** 15/ 40

3 - **البداية والنّهاية** 214/2؛ **بلوغ الأرب** 244/2.

4 - الجاحظ: **الحيوان** 7/ 438؛ نور الدين الملا الهروي القاري: **شرح الشّفا** (بيروت 1421هـ) 741/1.

5 - الزمخشري: **المستقصى** 32/1، 393؛ أَبُو هلال العسكري، **جمهرة الامثال** "1/ 249"، "رقم 336". والشطر الأول عند السيوطي: وأحلم من قُسٍ وأمضى من الذي. **الزاهر في معاني كلمات الناس**، 351/2.

وَأَنَّهُ روى عَنْ قس خطبته[3] يوم قدوم وفد بكر بن وائل عَلَيْهِ فِي عام الوفود (9هـ/631م) فقال: "رَحِمَ اللَّهُ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ، مَا أَنْسَاهُ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ بِسُوقِ عُكَاظٍ[4] فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَوْرَقَ أَحْمَرَ، وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ، وَيَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ عَلَيْهِ حَلَاوَةٌ، وَهُوَ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ اجْتَمِعُوا وَاسْتَمِعُوا وَاحْفَظُوا وَعُوا..."[5]

أَمَّا سلمان الفارسي، فمن بَعْدِ أَنْ رغِبَ فِي النَّصْرَانِيَّة، قَدِمَ إِلَى الشَّامِ مَعَ تُجَّارٌ مِنَ النَّصَارَى، وصلّى، وأخذ من تعاليم الكَنِيسَة فِي الشّام والموصل ونصيبين وعمورية، وَفِي سفره إِلَى بلاد الْعَرَب استُرِقّ، وبيع إِلَى يهودي فِي يَثْرِب[6]، وَهُنَاكَ اتصل بالنّبيّ مُحَمَّد الَّذِي دفع إِلَيْهِ قيمة عَتْقه من إعانات الْمُسْلِمِينَ[7]، وَكَانَ دخل فِي الإِسْلَام، وأضحى وَلَاؤُهُ لِرَسُولِ اللَّهِ بيّنًا، وَقَدْ أعجب بِهِ النّبيّ، وَقَالَ فِيهِ: "سلمانُ منَّا أهل البيت"[8]. ومن مفرزات علمه فكرة الخندق حول المدينة فِي المعركة الثّالثّة بَيْنَ الرّسول وقُرَيْش سنة 5هـ/ 626م.

---

1 - **صبح الأعشى** 1/ 435.

2 - **بلوغ الأرب** 3/ 155، **نزهة الجليس** 1/ 429.

3 - الجاحظ: **البيان والتبيين** 2/ 184.

4 - مكث الرّسول مُحَمَّد عَشْرَ سِنِينَ يُوَافِي الْمَوْسِمَ يَتْبَعُ الْحَاجَّ فِي مَنَازِلِهِمْ بِعُكَاظٍ وَمِجَنَّةَ وَذِي الْمَجَازِ يَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ حَتَّى يُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ. أَبُو نعيم: **دلائل النّبوة** 2/ 292، المقريزي: **إمتاع الأسماع** 310/8.

5 أَبُو نعيم: **دلائل النّبوة** 2/ 104، قارن:البخاري: **التاريخ الكبير**1/ 64، الجاحظ: **البيان والتبيين** 1/ 253، البزار: **مسند**3/ 286، ابن عدي: **الكامل** 6/ 2155، البيهقي: **الدلائل** 2/ 104، ابن عبد ربه: **العقد الفريد** 4/ 214.

6 - ابن هشام: **السّيرة** 218/1.

7 - أَبُو نعيم: **دلائل النّبوة**، ص264.

8 - الحاكم: **المستدرك عَلَى الصّحيحين** 3/ 691.

حِينَ خرج الرّسول مُحَمَّد بدعوته- لأوَّل مَرَّةٍ- خارج مَكّة إلَى الطّائف، يدعوهم إلَى الإِسْلَام يطلبُ نُصْرَتَهُم ومُسَانَدَتِهم، وَلَمْ يَحْصَلْ عَلَى بُغيته، يذكر مُؤَرِّخو السّير[1]: أَنَّهُ التّقى بـ " عَدَّاسٍ النّصْرَانِيّ" لقاءً وِدِّيًّا يكشفُ عَنْ عُمْق العلاقة بَيْنَ الْمَسِيحيّة والإِسْلَام، وأن النّبيّ مُحَمَّد ينعت النّبيّ" يُونُسُ بْنُ مَتَّى" بصفة الأُخُوَّة النّبَوِيّة[2].

كَانَ فِي يَثْرِب نفَرٌ من النَّصَارَى زمن النّبيّ مُحَمَّد، كَمَا كَانَ بِهَا قوم من يهود. وذكر أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا يسكنون فِي يَثْرِب فِي موضع يقال لَهُ: "سوق النّبط"[3]، والنبط والإنباط هم نَصَارَى الشَّام، الَّذين عمروها وَأهل سَواد الْعرَاق[4]، قدموا يثرب للتجارة وغيرها، وَيفهم وجودُهم هَذَا من بيت للشاعر حسان بن ثابت، فِي قصيدة رثى بِهَا النّبيّ، وَهُوَ يَقُولُ[5]:

فرِحتْ نَصَارَى يَثْرِب ويهودُها لَمَّا تَوَارَى فِي الضَّرِيح المُلحَدِ

1 - ابن هشام: **السّيرة** 1/ 421؛ ابن حبان: **السّيرة النّبوية وأخبار الخلفاء** 1/ 91؛ أَبُو نعيم: **دلائل النّبوة**، ص 296؛ البيهقي: **دلائل النّبوة** 143/2، 416/2.

2 - قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: وَمِنْ أَهْلِ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ يَا عَدَّاسُ، وَمَا دِينُكَ؟ قَالَ: نَصْرَانِيٌّ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نِينَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَالَ لَهُ عَدَّاسٌ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ، فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ. ابن هشام: **السّيرة** 1/ 421.

3 - علي: **المُفَصَّل** 12/ 178.

4- قيل : يحْتَمل أَن تسميتهم بذلك لاستنباطهم الْمِيَاه واستخراجها، وَاسم المَاء النبط . وَقيل بل سمي بذلك من أَجلهم، واسمهم لفعلهم ذَلِك، وعمارتهم الأَرْض. عياض اليحصبي: **مشارق الأنوار على صحاح الآثار** 2/ 3.

5 - **الديوان**، ص59.

من قبْلُ ظهر فِي جَزِيْرَة الْعَرَب- بعيدا عَنْ آفاق تسلط السّياسة- الدّينُ القيّمُ عَلَى يد إِبْرَاهِيم وإسماعيل الَّذِي بارك الله لَهُمَا[1]، وَفِي أمَّة نُسِلَتْ من إسماعيل- بحَسَبِ التّوراة: { وَأَمَّا إسماعيل فَقَدْ سمعت لك فِيهِ، ها انا أباركه وأثمره أكثره كثيرا جدا، اثني عشر أميرا يلدُ، وأجعله أمَّةً كبيرة} (التّكوين 17/ 20).

فِي نهاية العقد الأول من القَرْن السّابع، سطع ثانيةً الدّين الجديد، وطفقت تباشير دين الإِسْلَام تلوح فِي فضاء مَكّة، عَلَى يد صاحب البعثة، الرّسول مُحَمَّد، من العائلة الإِبْرَاهِيمِيَّة، من نسل إسماعيل، حفيد قصي بن كلاب مجمع قُرَيْش، وابن دوحتها هاشم بن عبد مناف مبدع رحلة الشّتاء والصّيف، وابن بجدتها الدّينيَّة وزعامتها عبد المطلب بن هاشم. إِذْ أخذَ ينشرُ تعاليمَ دينِه الإِبْرَاهِيمِيّ بَيْنَ أهلِه وعشيرتِه الأقربينَ، والقاطنين فِي البطحاء[2] والظّواهر[3]، ومجتمع مَكّة عَلَى طبقاتِه وشرائحِه، ويعرضُ الدّينَ عَلَى أبناءِ القَبَائِلِ الوافدينَ لحجِ البيتِ فِي الأشْهُرِ الحُرُم.

غير أنَّ مبادئ الرّسالة لَمْ تلقَ رواجا أَوْ قبولا من لَدُنِ المُجْتَمَع المَكّيّ، ومرجع ذَلِكَ إِلَى تماسك الفضاءات الاجْتِمَاعِيَّة والدّينيَّة والاقتصاديّة والسِّيَاسِيَّة فِي مَكّة، فكانوا كَمَا يتحمسون لدين قُرَيْش والقَبَائِل، يخشون عَلَى تجارتهم ورقيّها، ويخافون انْ تَتَلَاقَفَهُم بِيزَنْطَةُ، أو فارِسُ، أو القَبَائِلُ الكبيرةُ فِي باديةِ الْعَرَبِ.

---

1 - قيس الكلبي: **حقيقة مُحَمَّد فِي التوراة والإِنْجِيل** (كاليفورنيا، 2011) ص205.

2 - قريش البطاح: قبائل كعب بن لؤىّ، وهم بنو عبد مناف. وبنو عبد العزّى وبنو عبد الدار، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو مخزوم، وبنو جمح، وبنو سهم ابنى عمرو بن هصيص بن كعب، وبنو عدىّ بن كعب؛ وليس فِيهَا من غير ولد كعب إِلّا بعض بنى عامر بن لؤىّ. البكري: **معجم ما استعجم** 1/ 257.

3 - ظواهر مكّة لسائر قريش؛ مِنْهُمْ بنو محارب، وبنو الحارث بن فهر، وبنو الأدرم، وعامّة بنى عامر بن لؤىّ. وغيرهم. البكري: م. ن. 1/ 257.

نلحظ هذا جليًّا في جدال "الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف"، أنّه قال للنبي: أنّا لنعلم إنّ الذي تقول حقّ، ولكن يمنعنا إتباعك أنّ العرب تتخطّفنا من أرضنا، لإجماعهم على خلافنا، ولا طاقة لنا بهم[1]. فأنزلت الآية {وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقاً مِن لَّدُنَّا} (القصص57). ومن هنا كان مرتكز همّ قريش أنْ تُحافِظ عَلَى قِيَمِ القبيلةِ، وسيادةِ مكّةَ. وعليه لَمْ تتمخَّضْ دَعْوَى التّبشير -خِلَالَ اثني عشرَ عامًا- فِي مَكّةَ إلّا عَنْ نيّفٍ ومائةِ رجلٍ وامرأةٍ دخلوا فِي الإِسْلَام، وَكَانَ جلّهم من الفقراء والعبيد، وبعضٍ من أهلِ بيتِه وأتْرَابِه.

لَمْ تَفْتَأْ قُرَيْشٌ مِنْ أنْ تُشَدِّدَ قَبْضَتَهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي مَكّة، وتُزِيدَ مِنْ اضْطِهَادِهِمْ، فِي مُحَاوَلَةِ افْتِتَانِهِمْ فِي دِينِهِمْ، بِشَتَّى الوَسَائِلِ مِنَ القَهْرِ النَّفْسِيِّ، والتَّعْذِيبِ الجَسَدِيِّ، والمُقَاطَعَةِ الجَمَاعِيَّةِ، مِمَّا أُضْطِرَّ الرّسُولُ مُحَمَّدٌ إلَى تَرْتِيبِ الهِجْرَةِ الثانية لِقِسْمٍ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عام (8 ق.هـ/ 615م)، فأَمَرَهُمْ أنْ يخرجوا إلَى أرض الحبشة، والدين فِيهَا النّصْرَانِيَّة، وَكَانَ بِهَا ملِكٌ صالِحٌ، يُقَالُ لَهُ النّجاشِيُّ، لا يُظلَمَ أحدٌ بأرضِه، وَكَانَ يُثْنَى عَلَيْه، وفيه صلاحٌ، لعلَّهم يجدون فِيهَا رِفاغًا من الرّزق، وأمْنًا ومتجرًا حَسَنًا، وَكَانَتْ أرْضُ الحَبَشَةِ مُتَّجَرًا لقُرَيْش[2]. ووَصَفَتْ العلاقةَ -عبْرَ الرّحلة- أمُّ سَلَمَة: " قَالَتْ: لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَة، جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا، وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى، لَا نُؤْذَى، وَلَا نَسْمَعُ شَيْئًا نَكْرَهُهُ"[3].

1 - الثعلبي (ت427هـ): **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** 256/7؛ العيني (ت855هـ): **عمدة القاري** 223/9.

2 - الواقدي: **المغازي** 21؛ الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**2/ 328؛ مونتجمري: **مُحَمَّد فِي مكة**، ص 194.

3 - أحمد بن حنبل: **المسند** 6/ 81؛ ابن هشام: **السّيرة النّبوية** 1/ 374.

تُعَدُّ هَذِهِ الهِجْرَةُ أَوَّلَ مُمَارَسَة تاريخيّة، جَسَّدَتْ اللقاء الجمعي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيِّينَ، في ذات الزمان والمكان، وبذرت أُسُسَ التّعَايُشِ بَيْنَهُمَا، فِيهَا وُضِعَتْ لَبِنَةُ العَلاقةِ الطّيبة بَيْنَ الدّينيّن، إِذْ تلاقَتْ فِيها الأفكارُ، من خِلَالِ الحوارات الَّتِي أُقيمتْ بَيْنَ النّجاشي وأَسَاقِفَتِه، وَبَيْنَ جعفر بن ابي طالب والمهاجرين، ويُذْكَر أَنّ النّجَاشِيُّ قَالَ:" إِنَّ هَذَا، وَالذّي جَاءَ بِهِ عِيسَى، لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ"[1].

إِنَّ هذه الإستضافةَ النادرة، لنخبة من المسلمين في المجتمع المسيحيّ، تعبيرٌ عن ثقافةٍ مبكرةٍ في قبول الآخر الدينيّ، وترجمةٌ جَلِيَّةٌ لوعيٍ دينيّ عالٍ في الإنتصار للديانة السماوية، أو للإبراهيمية على وجه الخصوص، إذ كانت أَوَّلَ نصرةٍ من المَسِيحِيّينَ للدين الإسلامي في مهْدِهِ الأَوَّل، أعطت الإسلام دافعيَّة في الوجود والثبات. فالمسيحيونَ همْ مَن حَمَى النبيَّ محمَّدًا، والمسلمينَ الأوائِلَ في هجرتِهم الأولى إلى الحبشةِ، هربًا من بطشِ قريش، فحماهُم النجاشيّ، ملكُ الحبشة، ونصرَهم، ولبثوا عنده بضعَ عشرةَ سنةً[2].

كَانَ أَهْلُ الكِتَابِ أقربَ إِلَى نَفْسِ الرسولِ محمَّدٍ ومبادئِه، لأَنَّهُمْ شركاؤه فِي الواحديَّة والإنتماءِ الإِبْرَاهِيمِيّ. ففي أثناء الجدل مَعَ الوَثَنِيّين- بحَسَبِ بوسه[3]- كَانَ يسعى إِلَى قبول وتأييد اليهودِ والنَّصَارَى، وَقَدْ تَوَقَّعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَهُوَ فِي مكَّة، لأَنَّ الدعوة إِلَى الإِسْلَام كَانَتْ لا تزال فِي مرحلة التطور... وأن النبيَّ نفسه كَانَ يرى أَنَّ: معرفة الإِسْلَام لا تختلف جوهريًّا عَنْ عقيدة أتباع الوحي القديمة. وَفِي

1 - ابن هشام: **م.ن.** 1/ 337.

2 -أذن النبيّ لأصحابه في الهجرة الى الحبشة في رجب سنة خمس من النبوّة = 615م، وكان آخرهم عودة الى المدينة جعفر بن أبي طالب مع آخرين- بعد فتح خيبر في 7هـ/628م. انظر: ابن إسحاق: **السيرة** 322/1؛ ابن هشام: **م.ن.** 323/1؛ ابن سعد: **الطبقات** 204/1؛ البلاذري: **أنساب الأشراف** 198/1؛ الطبري: **م.س.** 329/2.

3 - هيربرت بوسه: **أسس الحوار في القرآن**، ص70.

هَذَا الوضع نقرا: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ* وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} (القصص52، 53).

كَانَ للقرآن، ولاسيَّمَا فِي عهده المَكّيّ، أثرٌ فِي تأسيس العلاقة مَعَ الْمَسِيحِيَّة، وتأصيل التّواد بَيْنَ الدّينيّن، ففي "سورة مَرْيَم" تعريف بمعجزة حمل وميلاد عيسى، وبراءة قاطعة لأمّه مَرْيَم البتول، وشهادة بطهرها؛ استلهم معرفتَها الْمُسْلِمون، بادئ ذي بدء، كتجربة دِينيَّة مشحونة بالإعجاز، وَهِيَ أخرُ حلقة نبويّةٍ إِبْرَاهِيميَّة، تمدُّ خيوطَ الصِّلة بدين مُحَمَّد، لا مَنَاصَ من الإيمان بِهَا.

من تسامي العَلاقَات بَيْنَ الْمَسِيحِيَّة والإِسْلَام فِي مَكّة، إنّها عبّرَتْ عَنْ إحساس مسيحيّ من سادات قُرَيْش، وتفاعله مَعَ عذابات عبد مسلم، ومحاولته الذّبَّ عَنْهُ، ففي رِوَايَة الزبير[1] قَالَ: " كَانَ وَرَقَة بن نَوْفَل يَمُرُّ بِبِلَالٍ، وَهُوَ يُعَذَّبُ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، فَيَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ، اللهَ يَا بِلَالُ، ثُمَّ يَقُولُ وَرَقَة بن نَوْفَل عَلَى أُمَيَّةَ بْنِ خَلَف، وَهُوَ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِبِلَالٍ، فَيَقُولُ: أَحْلِفُ بِاللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذَا لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا" [2]. أي لأتخذنَّ قبرَه منْسَكًا ومُسْترحَمًا.

جديرٌ بالعلمِ أنَّ أهل مَكّة هُمْ أصحابُ تجارةٍ واتصال بالعالم الخارجي، بحكم اتّجارهم مَعَهُ، وذهابهم إِلَيْهِ، لا بُدَّ أنْ يكونَ لَهُمْ اهتمامٌ بِمَا كَانَ يجري ويقعُ فِي السّياسة الدّوْلِيَّة. وَكَانَ لَهُمْ علمٌ بِمَا يحدث بَيْنَ الفرس والرّوم، وَبَيْنَ الحَبَش وأهلِ اليَمَن؛ لأنّ لِما يحدث علاقة كبيرة بتجارتهم، وبالأسواق الَّتِي كَانُوا يخرجون إِلَيْهَا للبيع والشّراء[3].

ومن أهمّ العَلاقَات الَّتِي ترسَخُ فِي الوعي التّاريخيّ، أنَّه إثرَ ورودِ الآيةِ المَكِّيَّة: {غُلِبَتِ الرّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ

1 - ابن اسحاق: **السيرة**، ص 190؛ ابن هشام: **السّيرة** 318/1؛ أَبُو نعيم: **حلية الأولياء** 148/1.

2 - السّهيلي: **الرّوض** 2/ 78- 79.

3 - علي: **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب** 7/ 116.

سِنِينَ} (الرّوم2-4)، انقسم أهلُ مَكّةَ، فطفقَ مَيْلُ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ قِلّةٌ، إِلَى نُصْرَةِ بِيزَنْطَةَ الْمَسِيحِيّةِ، ورهانهم عَلَيْهِ قِبَالَ قُرَيْشٍ الوَثَنِيّة الّتِي راهنتْ عَلَى نُصْرَةِ الفرسِ المَجُوسِيّة، فساءَ النّبيَّ وأصحابَه ظَفَرُ الفرسِ بالرّوم (5ق.هـ/618م)؛ لأنّهُمْ أهلُ كتاب، وفرحَ المشركون بِذَلِكَ؛ لأنَّ المجوسَ إخوانُهم فِي الشّركِ باللّه، وبعد تسعِ سنينَ جاءَ الخبرُ إِلَى رسول اللّه، بظَفَرِ الرّومِ بفارسَ يومَ الحديبيّة[1]، ففرِحَ المؤمنون بنَصْرِ الله[2].

لا غِرْوَ، أنّ المحيطَ المَكّيّ، الّذِي خرج مِنْهُ الرّسول، منْفَتحٌ عَلَى الخارجِ بالتّجارة، والحجّ، والعَمْرَة، أيْ بالاقتصادِ، والدّين. ففي التّجارةِ يتعاملونَ مَعَ أهلِ الشّامِ، واليمنِ، والعِرَاق، والحبشةِ، من عَرب، ويونان، وسريان، وفرس، وغيرها من الإثنيات، كَمَا أَنَّ الدّينَ والتّجمعاتِ الدّينِيَّة تجعلُهم يحتكُّون بأصحابِ المِلَلِ والنِّحَلِ، عَلَى تَنَوُّعهم من يهودَ ومجوسٍ وصابئةٍ ووَثَنِيّةِ الجاهليّة، إِلّا أَنَّ المجال الْمَسِيحِيّ يظَلُّ أكبرَ مساحةً، وأكثرَ تأثيرًا، فَضْلًا عَنْ منْ يرفِدُ أسواقَها من طاقاتٍ أَدَبِيّة، من روادِ الشّعر والخطابةِ من الْعَرَبِ الْمُتَنَصِّرَةِ فِي غيرهم، وَهَكَذَا فإنّ مَكّةَ بقدرِ مَا صَغُرَتْ مساحتُها، بقدر مَا اتّسَعَتْ بكثرةِ وكثافةِ عَلاقَاتِها، وليس أدَلُّ عَلَى ذَلِكَ مِن العددِ الوافرِ مِن الحلفاءِ والموالِيَ والعبيدِ والزوارِ، الّذِينَ انْصَبُّوا عَلَى مَكّة[3].

يُجَسِّدُ عمقَ اتصالِ الرسولِ محمّدٍ بأهلِ الكتابِ، ولاسيَّما المسيحيَّة، كثرةُ العنايةِ القرآنيّةِ بتجاربِ الدياناتِ الإِبْرَاهِيمِيَّة، والحثُّ على أتّباعِ أثرِها، حتى أُعْتُقِدَ أنَّ التجربةَ الإسلاميّة هي الامتدادُ الصحراويُّ لشرائعَ الدياناتِ الإِبْرَاهِيمِيَّة، ولأنّه لم يتحدثْ، أو ينقدْ أيَّ عقائدَ أو دياناتٍ، أو آلهةً أخرى، كالبوذيَّة مثلًا أو الهندوسيَّة، وهي دياناتٌ متداولة قبلًا، ولم يعرْها الرسولُ أيّ إهتمامٍ، فقد تربّي

1- المقريزي: **إمتاع الأسماع** 14/ 172.

2 - أحمد بن حنبل: **المسند** 297/4؛ الترمذي: **السّنن** 39/5؛ البيهقي: **دلائل النّبوة** 333/2.

3 - هشام جعيط: **تاريخيّة الدعوة المُحَمَّدية فِي مكة** (بيروت 2007) ص 161.

في كَنَفِ الديانات الإِبْرَاهِيمِيَّة، وزواجُه من خديجة هو زواجٌ على شريعة التوحيد. حتى ظُنّ انَّ هذه التجربة هي هرطقةٌ مسيحيّةٌ لإحدى الفرقِ، مثلِ: الآريوسيّة، أو الحنيفيّة، أو الصابئيَّة [1].

أثارَ بعضُ المستشرقين مثلَ هذه الأفكار، فإنَّ نولدكة يرَى: أنَّ الإسلامَ، في جوهره، دينٌ يقتفِي آثارَ المسيحيَّة؛ أو بعبارةٍ أخرى، أنَّ الإسلامَ هو الصيغةُ التي دخلتْ بها المسيحيَّةُ الى بلادِ العربِ كلِّها. وتؤكد هذا الرَبْطَ- بسهولةٍ- الأحكامُ الصادرةُ عن أشخاصٍ عاصروا محمدًا، فقد أطلقَ الكفارُ على أتباعه لَقَبَ "الصابئة"، ما يعني أنّهم إعتبروهم على علاقةٍ وثيقةٍ ببعضِ الفرقِ المسيحيَّة، مثل: المندائيّين، الكسائيّين[2]، والمعمدانيّين، أضف الى أنَّ المسلمينَ يعتبرونَ أنفسَهم خلفاءَ الأحنافِ[3].

آخر مَا تعهَّده الرّسولُ مُحَمَّدٌ، وحافظ عَلَيْهِ من تراث الْمَسِيحِيَّة، هِيَ صور السّيد الْمَسِيح وأمّه، الَّتِي كَانَتْ مرسومة عَلَى جدران الكعْبَة، فِي عِدَّة أخبار: أحدها: أن الرّسول -يوم فتح مَكَّة- أَمَرَ، فطُمِسَتْ جميعُ الصّور، واستثنَى مِنْهَا صورة عيسى بنِ مَرْيَم[4]، ثانيها: وَرَدَ عَنْ تمثالٍ لمَرْيَمَ مُزَوَّقٍ بالحُلِيّ، وَفِي حِجْرِها عِيسَى، بَادَ فِي الْحَرِيقِ الَّذِي شَبَّ فِي عصرِ "ابن الزبير"[5]. ثالثها: " إِنَّ امْرَأَةً مِنْ غَسَّانَ حَجَّتْ فِي حَاجِّ الْعَرَبِ، فَلَمَّا رَأَتْ صُورَةَ مَرْيَمَ فِي الْكَعْبَةِ قَالَتْ: بِأَبِي وَأُمِّي

---

[1] -ينظر: عدلي جندي: "الإسلام هرطقة إبراهيمية في متوالية بدوية"، *الحوار المتمدن*، العدد: 3620، 2012 /1 /27.

[2] - الكسائيّين Elkesaites: كلمة آرامية الأصل، معناها: أصحاب الأسرار أو الخفايا. وهم من الشيع التي عقائدها مزيج من اليهودية والنصرانية، وجدت سبيلها في جزيرة العرب. أنستاس الكرملي: **مجلة لغة العرب**، 149/8؛ علي: المُفَصَّل 634/6.

[3] - **تاريخ القرآن**، ص8.

4 - الأزرقي: **أخبار مكة** 1/ 165.

5 - الأزرقي: م. ن 1/ 167.

إِنَّكِ لَعَرَبِيَّةٌ. فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَمْحُوا تِلْكَ الصّوَرَ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ صُورَةِ عِيسَى وَمَرْيَمَ"[1]. ولذا استدلَّ "شيخو"[2] من تلكم الأخبار عَنْ صور الرّسل والأَنْبِياء ولاسِيَّمَا صورة الْمَسِيحِ ومريم، عَلَى أَنَّها هِيَ الدّليل عَلَى أثر النَّصْرَانِيَّة فِي مَكّة.

غير أنَّ شخصيَّةَ المسيح ظلّتْ تقدحُ في الوعْي التاريخيّ الدينيّ للمسلمين، كأنموذجٍ يُحْتَذَى في السيرة الناصعة، ويُضْرَبُ به المثلُ في أَثَرِهِ في مجتمعه على اختلافِ مشارب أهله، فالرسول مُحَمَّد إذا أرادَ أنْ يُشَبِّهَ بعضَ أصحابِه بالقُدوةِ التاريخيَّة في الدينِ والمجتمع، تَشْخُصُ أمامَه صورةُ المسيح. ففي رواية الإمام عليٍّ، قال: قال لي رسول الله: " إنَّ فيكَ لشَبَهًا من عيسى بن مريم، أَحَبَّتْهُ النصارَى حتى أَنْزَلَتْهُ بالمَنْزِلَةِ التي ليستْ له، وأبغضتْه اليهودُ حتى بهَتَتْ أمَّه"[3].

إنّ تاريخ مَكّة وما يحيطها خِلَالَ نشأة الإِسْلَام يُثبت أنّ تَعَايُشَ الأَدْيَانِ والثَّقَافَات يُولِّدُ غنىً ثَقافِيًّا وحياتِيًّا كبيرًا، لَكِنَّهُ يعني -أَيْضًا- وجودَ توتُّرٍ نسبِيٍّ، إِلَّا أَنَّه يُحَلُّ بطرقِ الحِوَارِ الَّذِي يرتكزُ عَلَى مصلحةِ مجتمعِها. وَفِي أصعبِ الظّروفِ والسّياقاتِ يَظَلُّ البشرُ المحترمونَ والجدّيُونَ قادرينَ عَلَى أنْ يُحْيُوا قناعاتِهم بالْحُرِّيَّةِ والتّعَايُشِ والمَوَدَّةِ والمُسالمةِ. ومِنْ هُنَا تأتِي فرادةُ تجربةِ الرّسولِ مُحَمَّدٍ ونموذجِيَّتِها.

الرّسول محمّد وأهل الكتاب في المدينة:

كَانَتْ هجرةُ الرّسولِ والمُسْلِمِينَ إِلَى يَثْرِبَ فِي 622م، وَهُنَاكَ أَسَّسَ كِيَانَ الدَّوْلَة العَرَبِيَّة، واستكملَ تشريعاتِ الدّينِ فِي مُجْمَلِ مفاصِلِ الحياةِ: الاِجْتِمَاعِيَّة،

1 - الأزرقي: م. ن 1/ 169.

2 - **النّصرانية**، ص117.

3 - ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة** 105/4.

والاقتصاديّة، والسّيَاسِيَّة، والعِبَادِيَّة، وبضمنها مَا لَهُ علاقة بالدِّيَانَاتِ الأُخْرَى. ويُشِيرُ "فلهاوزن Wellhausen" إلَى دورِ اليَهُودِيَّة والنّصْرَانِيَّة فِي أنَّهما" قَدْ مَهَّدَتَا الأرضَ فِي المدينة لمُحَمَّد، فَكَانَ هُنَاكَ كثيرٌ مِن اليهودِ، وَكَانَتْ المدينةُ تقعُ عَلَى حدودِ ذَلِكَ الجزءِ مِن جَزِيْرَةِ الْعَرَبِ، المتعرضِ للتأثيرِ اليُونانِيِّ الرّومَانِيّ، والنّصرانِيِّ الآرامِيّ"[1].

أسس القرآن المكي الى روح المشاركة بين الديانات النبوية، من خلال اقرار السابق منها باللاحق، وذكر الأخير في كتب من قبله، ليس من شك إنّ {الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ} (الأعراف157)، يساعد طرفي المعادلة على تقبُّل الآخر، نفسيًّا وعلى أرض الواقع، وأنَّه أمر إلهيٌّ مكتوب عليهم. ومن جانب آخر، إنّه هيّأ نفسيًّا أهل يثرب الى تقبُّل الإسلام، على أنّه دين نبويٌّ مكافئ لليهوديّة، من خلال ما كانوا يسمعونه من رجال يهود، بتقارب بعثة نبي. تفيدنا رواية ابْنُ إِسْحَاقَ عن رِجَالٍ مِنْ الأنصار، "قَالُوا: إنَّ مِمَّا دَعَانَا إلَى الْإِسْلَامِ، لَمَا كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالِ يَهُودَ، وَكُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابَ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ، فَإِذَا نِلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا لَنَا: إنَّهُ قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيٍّ يُبْعَثُ، الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمٍ، فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ. فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَجَبْنَاهُ، حِينَ دَعَانَا إلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ، فَبَادَرْنَاهُمْ إلَيْهِ، فَآمَنَّا بِهِ"[2].

وبحسب "فيرستون Firestone": "يسجل هذا الحديث المهم انتظار اليهود للمسيح المنتظر، منقذ يشيرون اليه بالنبي. بالرغم من أن اليهود لم يقصدوا تشجيع جيرانهم العرب من الوثنيين ليصبحوا مسلمين، إلا أنَّ تأثيرهم الدينيَّ في المدينة

1 - **تاريخ الدولة العَرَبِيّة**، ص6.

2 - ابن هشام: **السيرة** 1/ 211.

خلق بيئةً، جعلت عرب ما قبل الإسلام منفتحين على فكرة نبيٍّ عربيٍّ، وكون محمَّد أهلًا بهذا الدور، واضح من النجاح الباهر الذي لقيه في المدينة"[1].

إستطاعَ الإِسْلَامُ أنْ يُمَهِّدَ لِمَدِّ الجسُورِ، للتقريبِ مَعَ أهلِ الكتَابِ مِن اليهودِ والْمَسيحِيِّينَ، مُتَمَثِّلًا بالقرآنِ فِي أواخِرِ سُوَرِهِ المَكِّيَّة[2]، دعا الْمُسْلِمِينَ إلَى التَّمَسُّكِ بالحكمَةِ والموعظةِ، والمحاورةِ مَعَ الكِتَابِيِّينَ، بأَحْسَنِ مَا يُمكنُ مِن أسلوبٍ. وأنَّ فكْرَ صاحبِ الشّريعة كَانَ قريبًا من الْمَسيحِيَّةِ الآريوسيَّة فِي الألوهةِ والوحدانيَّة، وهُوَ قريبٌ، بحَسَبِ "هيرنش بكر Heinrich Becker"[3] من الْمَسيحِيَّة النَّسْطُورِيَّةَ فِي الحِسَابِ ويومِ القيامةِ[4]. وأشار "دوسلييه"[5] الى قول النساطرة: إنَّ المسلمين عاشوا على وفاق تامٍّ معهم نظرًا لقربهم العقيدي من المَسيحِيِّينَ.

مُنِحَتْ أقوالُ وأفعالُ وتقريراتُ النّبيّ مُحَمَّدٍ قُدْسِيَّةً، {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (النجم4،3)، وصارتْ المصدرَ الثّاني للتشريع في نظَرِ الْمُشْتَرِعَةِ، بَعْدَئِذْ كَانَ القُرآنُ هُوَ المرجعُ الأَوَّلُ للشرعِ والقانون فِي الإِسْلَام، وصارت مفروضةَ الطاعةِ والإلتزام بها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ} (النساء59). ومن هنا يجدر القول: أنَّ القرآن جاء موافقا لعاطفة الرسول ووجدانه وعقله.

---

1 - **ذريَّة ابراهيم**، ص 47.

2 -النّحل 125، العنكبوت 46.

3 - كارل هيرنش بكر، (١٢٩٣-١٣٥١هـ/ ١٨٧٦-١٩٣٣م) هُوَ مستشرق ألماني وسياسي. عبد الرّحمن بدوي: **موسوعة المستشرقين** (بكر كارل).

4 - كارل هيرنش بكر: "تراث الأوائل فِي الشّرق والغرب"، *التراث اليوناني في الحضارة الإسلاميّة*، ص8.

5 -**مسيحيو الشرق والإسلام في العصر الوسيط**، ص 123 .

على الصّعيد الْحُقُوقيّ عالج النّبيّ أدَقَّ التّفاصيل المتَعَلّقَة بالتّعاون اليوميّ والعقود والمواريث، وَهُوَ يحدّد -عَلَى صعيد الأسرة- سلوكَ كُلِّ فرد، تّجاهَ معاملةِ الاولادِ والعبيدِ والحيواناتِ، وتّجاهَ النّظافةِ والملبسِ وغيرِها، مِمَّا حقَّقَ نجاحا عَلَى الجانب الدّنيويّ، فَضْلًا عَنْ نجاحٍ أكبرَ عَلَى الجانب الدّينِيّ[1].

كَانَ الرّسول مُحَمَّد مثلًا أعلى فِي معاملة أهل الكتاب، فَإِنَّهُ كَانَ يحضرُ ولائمِهم، ويعودُ مرضاهم، ويشيّع جنائزَهم، ويزورَهم ويُكْرِمَهم، حَتَّى رُوِيَ: أَنَّهُ لَمَّا زارَه وفدُ نَصَارَى نَجْرَان، فرَشَ لَهُمْ عباءَته، وأجلسَهم عَلَيْهَا. وأَنَّهُ كَانَ يقترض من أهلِ الكتابِ نقودًا، ويرهَنُ عِنْدَهم أمتعتَه، حَتَّى أَنَّهُ تُوُفِّيَ، ودرعُه مرهونٌ عِنْدَ بعضِ يهودِ المدينة فِي دَيْنٍ عَلَيْهِ[2]. وعليهِ حقوقيًّا "جاءتْ السّنَّة المُتواترَة بالنّهي عَنْ إيذاءِ أهلِ الذِّمَّة، وبتقرير مَا لَهُمْ من الْحُقُوق عَلَى الْمُسْلِمِينَ " لَهُمْ مَا لَنَا، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا" و " من آذَى ذِمِّيًا فَلَيْسَ مِنَّا "[3] واستمرّ العملُ عَلَى ذَلِكَ مَا استمرّتْ قُوَّةُ الإِسْلَام"[4].

كَانَ يساوي بَيْنَ الأنْبِياء، بيْدَ أَنَّهُ كَانَ يمنَحُ الْمَسِيحَ خصوصيَّةً، تتَجَلَّى فِي قوله: "أنا أوْلَى النّاس بعيسى فِي الدّنيا والآخرة، الأنْبِياء أخوة، أولادُ عَلَّات[5]، فَلَيْسَ بيني وَبَيْنَهُ نبِيٌّ، ودينهم واحد"[6]. بيْدَ أَنّ شهادة الرّسول مُحَمَّد عَلَى رسالة

---

1 - فيليب فارج، يوسف كرباج: **المسيحيّون واليهود فِي التاريخ الإسلاميّ العَرَبِيّ والتركي** (القاهرة، 1994)، ص83.

2 - عفيف طيارة: **روح الدين الإسلاميّ**، ص 199؛ أحمد الشّلبي: **مقارنة الأديان** 1/ 169- 170.

3 - السّيوطي: **الجامع الصّغير** (بيروت،1981م) 2/ 547؛ العجلوني: **كشف الخفاء**(بيروت، 1988م) 2/ 218.

4 - المنتظري: **دراسات فِي ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلاميّة**، (قم، 1411هـ) 3/ 474.

5 - يُقَال هما أَخَوان من عَلّة، وهما ابْنا عَلّة، إِذا كَانَت أُمَّاتهما شتّى وَالْأَب وَاحِد، وهم بَنو العَلاَّت، وهم من عَلاَّت، وهم إخوةٌ من عَلَّةٍ وعَلاَّتٍ. الأزهري: **تهذيب اللغة** 1/ 78.

6 - أحمد بن حنبل: **المسند**، 463/2؛ البخاري: **الصّحيح** 1270/3؛ مسلم: **الصّحيح** 1837/4.

الْمَسِيح[1]، تشفعُها - من قبْلُ- شهادة الْمَسِيح برسالة مُحَمَّد قَبْلَ مجيئه، بحَسَبِ يوحنا[2] فِي إطار مفهوم الإِسْلَاميّين[3].

أوصى رسولُ الله فِي القِبْطِ خيرًا فِي قوله:" إنَّكم ستكونون أجنادًا، وإنَّ خيرَ أجنادِكم أهلُ الغزى، فاتقوا الله فِي القِبْطِ، لا يأكلوها أكل الحضَر"[4]. وَقَالَ فِيهِمْ: "استوصوا بالقِبْط خيرا، فإنَّكم ستجدونَهم نِعْمَ الأعوانِ عَلَى قِتَالِ عدوِّكم"[5]، وَقَالَ:" الله الله فِي قِبْطِ مِصْرَ، فإنَّكم ستُظْهَرُون عَلَيْهِمْ، ويكونون لكم عُدَّةً وأعوانا فِي سبيل الله"[6].

ومن أحاديثه لولاة الجزيَة: " أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طاقَته، أَوْ انتقصه، أَوْ أخذ مِنْهُ شيئا، بغير طِيْبِ نفسه، فأنا حَجِيجُهُ يومَ القِيَامَة "[7]. وقوله: "أَلَا وإِنِّي، والله، قَدْ أَمَرْتُ، ووعَظْتُ، ونَهَيْتُ عَنْ أشياء، إنَّها لمثلُ القُرآن، أَوْ أكثر. وإن الله - عز وجل - لَمْ يحِلْ لكُمْ أنْ تدخلوا بيوتَ أهل الكتَابِ إلَّا بإذْن، ولا ضَرْبَ نسائِهم، ولا أَكْلَ ثمَارِهم، إِذَا أعْطوكُمُ الَّذِي عَلَيْهِمْ "[8]. وَقَالَ:

---

[1] - {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ} النّساء171؛ {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ} المائدة75.

[2] - {ومتى جاء المعزي (البارقليط، أحمد) الَّذِي سأرسله أنا إليكم من الأب روح الحق مِنْ عِنْدِ الأب ينبثق، فهو يشهد لي} (يوحنا 15/ 26).

[3] - قيس الكلبي: **حقيقة مُحَمَّد فِي التوراة والإِنْجِيل**، ص485.

4 - مسلم: **الكنى والأسماء** 573/2؛ ابن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها** 52/1.

5 - ابن عبد الحكم: **فتوح مصر وأخبارها** 52/1.

6 - الطوسي: **الأمالي** ص 404؛ المقريزي: **إمتاع الأسماع** 14 /124؛ الحر العاملي: **وسائل الشّيعة** 101/11.

7 - أَبُو يوسف، يعقوب بن إِبْرَاهِيم الأنصاري (ت182هـ): **كتاب الخراج**، (بيروت 1979)ص 126.

8 - أَبُو داود: **السّنن**، حديث 3050؛ الطبراني: **المعجم الأوسط** 7/ ١٨٥.

"مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَقَدْ خَفَرَ ذِمَّةَ اللَّهِ، وَلَا يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا"[1].

حفلتْ المرحلة المَدَنيَّة (1-11هـ/ 622- 632م) بحوادثَ، كَانَ فِيهَا لأهلِ الكتَابِ شأنٌ، ولاسيَّمَا الْمَسيحِيّينَ مِنْهُمْ، لأنَّهُمْ يشغلون المساحَة الأكبَر ديموغرافيا وجُغْرَافِيًّا فِي جَزِيْرَة الْعَرَب وحَوَالها، وَفِي ضوْئِها تَتَنَامَى العَلاقَات إيجابًا أَوْ سلبًا، وَمِنْهَا: بَعْدَ معركة بدر (2هـ/624م) بَلَغَ النّجَاشِيّ مَقْتَلُ قُرَيْش بِمَكّة، وَمَا ظَفّرَ اللّهُ بِهِ نَبِيّهُ، فَخَرَجَ فِي ثَوْبَيْنِ أَبْيَضَيْنِ، ثُمّ جَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمّ دَعَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابَهُ، وعبّرَ لَهُمْ عَنْ فرحه ومؤازرته للمُسْلِمِينَ، عَلَى نحوٍ أثارَ تساؤلَ بطارقته[2].

وَكَانَ مَعَ المهاجرين إلَى الحبشة عبيدُ الله بن جَحَش، من الموحدين الأوائل بمكة، فتَنَصَّر هُنَاكَ، ثُمّ تُوفِيَ عَلَى دينِ النّصْرَانِيَّة. ولم يستنكر الرسول ولا المسلمون اعتقاده الأخير. وكانت مَعَه امرأتُه أم حَبيبة بنتْ أبى سفيان، وَبعد إذْ تنصَّرَ زوجُها، خَلَفَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهَا (7هـ/628م) بأَنْ بَعَثَ فِيهَا إلَى النّجَاشِيّ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ، فَخَطَبَهَا عَلَيْهِ النّجَاشِيُّ، فَزَوَّجَهُ إيَّاهَا، وَأَصْدَقَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَرْبَعَ مِائَةِ دِينَارٍ[3].

فِي رِوَايَة جابر بن عبد الله[4] قَالَ: صلَّى بنا رسولُ الله، ثُمّ قَالَ: "إنّ النّجاشي قَدْ تُوفي هَذِهِ السّاعة، فاخرجوا بنا إلَى المصلَّى نُصلِّي عَلَيْهِ، فصلَّى عَلَيْهِ

1 - ابن ماجه: **السّنن** 2/ 896؛ الترمذي: **السّنن** 4/ 20؛ الحاكم: **المستدرك عَلَى الصّحيحين** 2/ 138.

2 - الواقدي: **مغازي** 1/ 120.

3 - ابن هشام: **السّيرة** 1/ 224؛ السّهيلي: **الرّوض الأنف** 2/ 348؛ القسطلاني، (ت 923هـ) **المواهب اللدنية بالمنح المُحَمَّدية** (المكتبة التوفيقية، القاهرة)1/ 154.

4 - الطبراني: **المعجم الأوسط** 51/5؛ الماوردي: **أعلام النّبوة** 117؛ الحلبي: **السّيرة الحلبية = إنسان**

وكبّر أربعا، فقال المنافقون: انظروا إلَى هَذَا يُصَلِّي عَلَى عِلْجٍ نَصراني، لَمْ يرَه قطُّ؛ فأنزل الله تعالى: {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَما أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ} (آل عمران199).

تتَجَلَّى مظاهر الرُّقِيّ فِي الحوارِ الدّينِيّ حين يتماهى بين التصريح القرآني والتطبيق النبوي، وعِنْدَمَا يكونُ التّحاورُ عَلَى أشُدّه، مَعَ مؤسّسِ دَولةٍ دِينِيَّة، يُؤمِن بمبدأ {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالتي هِيَ أَحْسَنُ} (النّحل125)، وَفِي مثلِ مَا قَالَ أَبُو رَافِعٍ الْقُرَظِيُّ النَجْرَانِي[1]- حِينَ اجْتَمَعَ عِنْدَهُ النَّصَارَى وَالْأَحْبَارُ، فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللهِ إِلَى الإِسْلَام: أَتُرِيدُ مِنَّا يَا مُحَمَّد أَنْ نَعْبُدَكَ، كَمَا تَعْبُدُ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَان نَصْرَانِيٌّ، يُقَالُ لَهُ الرّئِيسُ[2]: وَذَلِكَ تُرِيدُ يَا مُحَمَّد، وَإِلَيْهِ تَدْعُو؟ أَوْ كَمَا قَالَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: مَعَاذَ اللهِ أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللهِ، أَوْ آمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِه، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي وَلَا أَمَرَنِي، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا:{ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِباداً لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِما كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ، وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْباباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (آل عمران: 79، 81).

من آيات الْحُرِّيَّة الدّينِيَّة، وإِدَارَة الرّسول مُحَمَّد للتَّنَوُّع الدّينِيّ، مَا ذكر المفسرون[3]: أنَّ ناسًا من الأنصار، كَانُوا مُسْتَرْضَعِينَ فِي بني النّضِير، فَلَمَّا أُجْلُوا،

العيون فِي سيرة الأمين المأمون (بيروت 1427هـ)394/3.

1 - ابن هشام: **السّيرة** 554/1، 145/2؛ البيهقي: **دلائل النّبوة** 5/ 384؛ السّهيلي: **الرّوض الآنف**249/4؛ الذهبي: **تاريخ الاسلام** 697/2.

2 - وَيُرْوَى: الرّيِّسُ، وَالرّئِيسُ. (ابن هشام: **السّيرة** 554/1) وأحسبها مصحفة. والرّبيس: كبير السّامرة وهم قوم من اليهود يخالفونهم فِي بعض أحكامهم، كإنكارهم نبوة من جاء بعد موسى.

3 -الطبري: **التفسير**، 15/3؛ الثّعلبي: **التفسير**235/2.

أرادَ أهْلُوهُم أنْ يُلْحِقوهم بِدِينِهم فَنَزَلَتْ آيةُ {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} (البقرة256). وقيل[1]: نزلت فِي رجُل من الأنصار من بني سالم بن عوف، يقال لَهُ الحصين، كَانَ لَهُ ابنان نصرانيَّان، وَكَانَ هُوَ رجلا مسلما، فقال للنبيّ مُحَمَّد: ألَا أستكرههما؟، فإنَّهما قَدْ أبَيَا إلَّا النَّصْرَانِيَّة، فأنزل الله فِيهِ ذَلِكَ، وَكَانَ رسولُ الله يَقُولُ: "قَدْ خُيِّرَ أصحابُكم، فإنْ إختارُوكم فهُمْ منْكم، وإنْ اختارُوهم فهُمْ مِنْهُمْ"[2].

من ملامح تجربة المدينة تَأْصِيلُ الحوار، وفتح فضاءاته على حاضنة التَّنَوُّع الدّينِيّ، وبلغَ أصغر وحداته الاجْتِمَاعِيَّة، إذْ صار من المقاصد الَّتِي نشَدَها الإِسْلَام واسْتَوْعَبَها الآخَرُ الدّينِيّ فِي رِبْقَةِ الدَّوْلَة العَرَبِيَّة، فما ذكره أَبُو الفرج[3]، لأحد شعراء يهود "أوس بن ذبي القرظي": أنّ زوجتَه اعتنقتْ الإِسْلَام فِي حياةِ الرّسولِ، وطلبتْ مِنْهُ اعتناقَهُ كَذَلِكَ، فقال:

دعتْنِي إلَى الإِسْلَام يومَ لقيتُهـا ... فقلت لها: لا، بَلْ تعالي تَهَوَّدِي

فنحنُ عَلَى توراةِ موسَى ودينِه ... ونِعْمَ- لَعَمْرِي- الدّينُ دينُ مُحَمَّد

كلانا يرَى أنَّ الرّسالةَ دينُه ... ومن يَهْدِ ابوابَ المراشد يَرْشَدِ

ارْسَتْ تجرِبَةُ المدينة -خِلَالَ نَشْأة الإِسْلَام- معالمَ قِيمِيَّةً مُتَسَاوِقَةً مَعَ الأَبْعَادِ الإِنْسَانِيَّة، النّابعة من أصول الفكر الدّينِيّ، وَكَانَ الإِسْلَامُ قَدْ استوعبها وترجمها إلَى مرتكزات فِكرِيَّة مُتَمَثِّلة فِي: التّكريم الالهي للإِنْسَانِ[4] {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي

1 - السّيوطي: أخرجه ابن إسحق وابن جرير عَنْ ابن عباس. **الدر المنثور** (بيروت، 1993) 21/2.

2 - البيهقي: **السّنن الكبرى** 186/9.

3 - **الاغاني** 120/22.

4 - انظر: انطوان مسرة: "الأديان وحقوق الانسان-عودة إلَى الاصول ونماذج تطبيقية ايجابية فِي الانسجام والتكامل"، بحث فِي *المصادر الدينية لحقوق الانسان*، ص 491.

آدَمَ }(الإسراء70)؛ ومبدأ الْحُرِّيَّة فِي الاعتقاد {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ }(الكافرون6)؛ ومبدأ المساواة " النّاس كلُّهم سواء كأسنان المشط"[1]، و"لا فرق بَيْنَ عَرَبِيّ وأعجمي، ولا بَيْنَ أبيض وأسود وأصفر"[2]؛ ومبدأ العدالة فِي الْحُقُوق والواجبات، فالكل اعضاء فاعلين فِي المُجْتَمَع"، والمرء كثير بأخيه"[3]، متعاونين "مثل الجسد إِذَا اشتكى مِنْهُ عضو تداعى لَهُ سائر الجسد بالسّهر والحمَّى"[4]. وبهذه المبادئ اضطلعت رسالةُ النّبيّ مُحَمَّد، وجسَّدها فِي أعماله الَّتِي تهدف إِلَى الانسجام والتّكامل فِي مجتمع المدينة.

اضطلع الرسول فِي تجربة المدينة بمشروع التقريب بَيْنَ شرائح المجتمع، المُخْتَلفة فِي الإِثْنِ، والعقيدةِ، والقبيلة، والطبقة، والتي ظلَّت متنافسةً عَلَى الوجود إِلَى حد الاحتراب أحيانا. فكانت المؤاخاة بَيْنَ المهاجرين والأنصار، وَبَيْنَ الأوس و الخزرج، من أهمِّ الأعمال الرائدة، الَّتِي وفرتْ الأمانَ النفسيّ والاِجْتِمَاعِيَّ لأهل المدينة على اختلاف مشاربهم. وجاء بناء المسجد رفدا فِي التقارب الروحي ووحدة الكلمة، خِلَالَ الصلاة والخطابات الدينية والسِّيَاسِيَّة.

وَلَعَلَّ جَعْلَ قِبْلَةِ الإِسْلَامِ إِلَى بيتِ المَقْدِسِ -فِي وهلتها الأولى- فكرةٌ رائدةٌ تُحَفِّزُ التقاربَ الدينيّ والثقافيّ مَعَ اليَهُودِيَّة والنَّصْرَانِيَّة فِي المنطقة، إنطلاقًا مِن واحديَّةِ الألوهةِ، وإِبْرَاهِيميّة الأرومَةِ، وتوحُّد الإتجاه العباديَّ. ومِنْ ثَمَّ أَرْدَفَها بوثيقةِ المدينة، الَّتِي منحتْ جميعَ أهلِها المساواةَ فِي الحقوقِ والواجباتِ، وَكَانَتْ نموذجًا تطبيقيًّا للتقاربِ الاِجْتِمَاعِيّ.

1 - الجاحظ: **البيان والتبيين** 222/1؛ الصّدوق: **من لا يحضره الفقيه** 379/4.

2 - أحمد حسين يعقوب: **الخطط السّياسيّة لتوحيد الامة الإسلاميّة**، (لندن، 1415هـ) ص 156.

3 - الجاحظ: **البيان والتبيين** 222/1؛ اليعقوبي: **التاريخ** 100/2.

4 - رواه أحمد: **المسند** 270/4؛ مسلم: **الصّحيح** 20/8.

بَيْدَ أَنَّ تغييرَ القبلةِ- بَعْدَ سنة وسبعة أشهر- إلَى الكعبةِ فِي مكَّة، البيتُ الَّذِي شيَّدَه إِبْرَاهِيمُ وإسماعيلُ، وطهَّرَاهُ للطائفينَ والعابدينَ، فِيهِ دالّةٌ عَلَى مكانةِ إِبْرَاهِيمَ، والمساحةِ الَّتِي احتلَّها فِي وَعْيِ الرسولِ محمَّد، وأَنَّ التوجُّهَ إلَى مكَّةَ الوَثَنِيّةَ، ومَا لَهَا من أَثَرٍ فِي الشَّخْصِيَّةِ الدينيَّةِ العربيَّة، وأَنَّ هدايَةَ أهلِ مكَّة وقومِه لَهُ الأَوْلويَّةُ فِي إرساءِ الدينِ، بدلالة {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (الشعراء214)، لَاسِيَّمَا بعدئذْ نشبَ الخلافُ أظفارَه مَعَ اليهودِ، ودُقَّ بينَهما عِطْرُ مَنْشَمٍ. ولعلَّها كَانَتْ مُنْبَعَثَ الغِنَى فِي إقناعِ أهلِ مكَّةَ، بأَنَّ دينَ محمَّد قريبٌ إلَى مقدَّساتِهم، بَلْ وأَنَّ البيتَ الحرامَ نقطَةُ اشتراكٍ فِي القدسيَّةِ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ أَرْدَفَها فِي السنةِ السادسةِ بِعُمْرَةِ المُسْلِمِينَ، لتُعَزِّزَ قَنَاعَةً أَكْبَرَ كافِيَةً لإنتاجِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَّةِ.

ولعلَّ لتحويل القبلة مغزى مهمًّا في ابداع الهُوِيّة الإسلاميَّة، وجعلِها من مرتكزات النظم العباديّة الإسلاميّة، من خلال الحج اليها. وعلى رأي أرنولد: أنَّها بداية الحياة القومية في الإسلام، فجعل من الكعبةِ في مكّةَ مركزا دينيًّا للمسلمين كافَّة، كما كانت -تمامًا في الأزمان الغابرة- مقصدًا لحجِّ القبائل العربيّة جميعًا[1].

معاهدات الرّسول مَعَ أهل الكتاب:

أكَّد الرسول على مبدأ تنظيم العلاقات الحقوقيَّة العادلة بين القبائل والمجتمعات على أساس الحِلْفِ، فكان شَغِفًا بـ "حلف الفضول"، الذي عقد قبل البعثه في مكَّة، عندما يتذكره: "شَهِدْتُ ... حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعَى بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ"[2].

1 - **الدعوة الى الاسلام**، ص47.

2 - ابن هشام: **السيرة** 1/ 134.

فالمعاهدات مِنْ أَهَمّ أَعْمَالِ الرّسولِ مُحَمَّد فِي المدينةِ، بخاصَّة عندمَا يَتعَلّقُ الأمر بأهْلِ الدّيَانَاتِ الأُخْرَى، وَفِيمَا كتبهُ لَهُمْ مِن مَواثيقَ ومعاهدات، كان لإدامةِ المُعَايَشةِ الرّعَوِيَّةِ فِي ظِلِّ الدَّوْلَة العَرَبِيَّة، وأَنَّها تكونُ شريعةً مُلْزِمَةً لِمَنْ بَعْدِهِ. وترتكز المعاهدة في الإسلام على العرف والآداب الدُوَلِيَّة السائدة، مصطبغة بروح الإسلام في السلَم وتوفير الأمن للآخر في عقد المعاهدة. فضلا عن أنَّها جاءت مدوَّنة وصريحة، ويستبين فيها عنصر الإرادة والإختيار والإستقلال. وهذه السمات وفَّرَت أهمّيةً كبرى للإلتزامات المنبثقة عن المعاهدات، ويشكل سبْقُهَا التاريخِيّ زيادةً في الأهمّية، في نظر علماء القانون[1]. ولعلّ أهَمَّ مَا كتبهُ وأقرَّه مَا يأتي:

وثيقة المدينة[2]:

دستورٌ وضعَهُ الرّسولُ لأهلِ المدينةِ عَلَى مُخْتَلف انتمائِهم العقديَّة والقبليَّة، لِيُحَدّدَ لَهُمْ نظامَ العملِ فِي شؤونِ الجماعةِ الدّاخليَّةِ والخارجيَّة، وَهُوَ دستورٌ يبيّنُ الحدودَ الجُغْرَافِيَّةَ لوطنِ الأمَّة[3]: جوفُ المدينة، ومنازلُ القَبَائِلِ من عربٍ ويهودَ، "وَكُلُّ مَن لَحَقَ بِنا وجَاهَدَ مَعَنَا"، وَهِيَ الَّتِي تَنْضَمُّ إلَى وحدةِ الأمَّةِ و"تَقُرُّ بِمَا فِي هَذِهِ الصّحيفةِ" أي تُوَافِقُ عَلَى ذَلِكَ الدّستور، وَقَدْ اتسعتْ مساحةُ المدينةِ

1 - عباسعلي الزنجاني: **القانون الدولي في الإسلام**، ص447.

2 - فِي 52 فقرة، ذكرها: ابن هشام: **السّيرة النّبوية** 1/341-344؛ مُحَمَّد حميد الله: **مجموعة الوثائق السّياسيّة للعهد النّبوي والخلافة الرّاشدة**، ص15-21؛ عبد الرّحمن عزام: **الرّسالة الخالدة**، ص83- 89؛ مُحَمَّد جلال شرف وآخرون: **خصائص الفكر السّياسي فِي الاسلام وأهم نظرياته**، ص55-60؛ مُحَمَّد ممدوح العَرَبِيّ: **دولة الرّسول فِي المدينة** (الهيئة المصرية،1988م)، ص 167-178.

3 - الأمة- فِي المفهوم الإسلاميّ: رابطة تجمع بَيْنَ شمل جماعات شعرت بوجود روابط دينية وفِكرِيَّة واقتصادية واِجْتِمَاعِية بينها، وبوجود إخوة فِي العقيدة والرّأي.

بِذَلِكَ، لأنَّ القَبَائِلَ حولَها أخذتْ تَنْضَمُّ إلَى أُمَّةِ الصّحيفة[1]، وتاليًا أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ دستورٍ نَظَّمَ الْحُقُوقَ والواجباتِ فِي الدَّولَةِ العَرَبِيَّة[2]. وأضافتْ الصّحيفةُ آفاقًا رحيبةً لحقوقِ الرعيَّة في استيعابِها اليهودَ ومُشْرِكِي قبيلتَي الأوسِ والخزرج، الَّذِينَ شاركوا الْمُسْلِمِينَ الحياة فِي المدينة، في سلمِها وحربِها، وشكَّلَتْ مِنْهُمْ «أُمةً دُونَ النّاس» يَتَمَتَّعون خِلَالَها بحقوقٍ وواجباتٍ متساويةٍ .

أَمَّا المبادئُ المميزةُ والخطوطُ الْعَرِيضةُ، الَّتِي رسمتها هَذِهِ الوثيقةُ، فيمكن تلخيصُها فِي مَا يأتِي:

1 – مبدأ التعايش السلمي الْمُشْتَرَك، بمعنى "المواطنة" بالمفهوم الحديث، إذ تبلورت حقًا فِي الإقامة عَلَى أرض مخصوصة، واكتسابا لجنسيتها، وتَمَتُّعًا بالعضوية الكاملة فِي الْمُجْتَمَع، في غمرة الحرِّية والسلم والأمن، عَلَى أساس المساواة والتّعاون الْمُشْتَرَك، ومن غير تمييز بَيْنَ الألوان والأعراق والأَدْيَان، تقول: [1] المؤمنين والْمُسْلِمِينَ من قُرَيْش(المهاجرين)، وأهل يَثْرِب (الأنصار)، ومن تبعهم ولحق بِهِمْ (من الأعراب)، وجاهد مَعَهُمْ (بالدّفاع عَنْ المدينة). [16] وأن من تبعنا من يهود فإن لَهُ النّصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عَلَيْهِمْ.

2 – مبدأ التّكافل الاجْتِمَاعِيّ، تقول الصّحيفة: [24، 37، 38] وأن عَلَى اليهود نفقتهم وعلى الْمُسْلِمِينَ نفقتهم. [37] وأنّ بَيْنَهُمْ (الْمُسْلِمِينَ وغير الْمُسْلِمِينَ) النّصح والنّصيحة والبر دُونَ الإثم. [40] وأنَّ الجار (مسلما كَانَ أَوْ غير مسلم) كالنّفس غيرُ مُضَار ولا آثم.. [12] وأنَّ المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا (مثقلا بالدّيون كثير العيال) بَيْنَهُمْ أنْ يعطوه بالمعروف فِي فداء أَوْ عقل. [19] وأنَّ

1 - حسين مؤنس: **دراسات فِي السّيرة النّبوية**، (القاهرة 1985م)، ص56.

2 - كامل الدقس: **الدولة الإسلاميّة**، (عمان 1993م)، ص79.

المؤمنين يبيء (يساوي) بعضُهم بعضًا بِمَا نال دماءَهم فِي سبيل الله. [13،21، 37] وأنَّ النّصرَ للمظلوم.

3 – مبدأ المحافظة عَلَى أمن الدّولة والمجتمع، تنصُّ الصّحيفة: [37] وَأَنَّهُ لَمْ يَأْثَمْ امْرُؤٌ بِحَلِيفِه. [15] وأنَّ ذِمَّةَ اللهِ واحِدَةٌ يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُم. [13] وأنَّ المُؤْمِنِينَ المُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ، أَوْ ابْتَغَى دَسِيسَةَ ظُلْمٍ، أَوْ إِثْمٍ، أَوْ عُدْوَانٍ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ، وأنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعَهُم، ولَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ. [22] وَأَنَّهُ لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَقَرَّ بِمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وآمَنَ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا أَوْ يُؤْوِيه، وأنَّ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ، فإنَّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللهِ، وغَضَبَه يَوْمَ القِيَامَةِ، ولَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ ولَا عَدْلٌ. [47] وَأَنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ أَوْ آثِمٍ.

4 – مَبْدَأُ المُسَاوَاةِ والإِدَارَةِ الذّاتِيَّةِ لِمُكَوِّنَاتِ المُجْتَمَعِ: [19] وأنَّ المُؤْمِنِينَ يُبِيءُ (يُسَاوِي) بَعْضُهُمْ بَعْضًا. [3] المُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ، يَتَعَاقَلُونَ بَيْنَهُمْ، وَهُمْ يَفْدُونَ عَانِيَهُمْ بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ، وبَنُو عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ، يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الأُولَى، وكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالمَعْرُوفِ والقِسْطِ بَيْنَ المؤمنين. ثُمَّ ذَكَرَ كُلَّ بَطْنٍ مِنْ بُطُونِ الأَنْصَارِ، وأَهْلَ كُلِّ دَارٍ: بَنِي سَاعِدَة، وبَنِي جُشَم، وبَنِي النَّجَار، وبَنِي عَمْرُو بنِ عَوْفٍ، وبَنِي النَّبِيت[1].

5 – مبدأ الدّفاع المُشْتَرَك بَيْنَ جميع المواطنين، تقول الصّحيفة: [44] وأنَّ بَيْنَهُمْ (سكان المدينة مُسْلِمِينَ وغير مُسْلِمِينَ) النّصر عَلَى من دهم يَثْرِب. [37] وأنَّ بَيْنَهُمْ (مُسْلِمِينَ وغير مُسْلِمِينَ) النّصر عَلَى من حارب أهل هَذِهِ الصّحيفة. [17] وأنَّ سِلْمَ المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمنٌ دُونَ مؤمنٍ فِي قتالٍ فِي سبيلِ الله، إلَّا عَلَى سواءٍ وعدلٍ بَيْنَهُمْ.

[1]- بَنُو النبيت- بِفَتْح النُّون: من الْأَوْس. عياض اليحصبي: **مشارق الأنوار عَلَى صحاح الآثار**2/ 36.

6 – مبدأ حُرِّيَّة الاعتقاد وتقرير المصير للآخرين، فَقَدْ وظّفَ النّبِيُّ مُحَمَّد التَّنَوُّع بمفهومه الَّذِي يساوي بَيْنَ الأَدْيَان فِي نظم حقائقها ومستويات القداسة فِيهَا، تقول الصّحيفة: [25] أنَّ يهود بني عوف أُمَّةً مَعَ المؤمنين، لليهود دينهم وللمُسْلِمِينَ دينهم ومواليهم وأنفسهم[16] وأنَّ من تبعنا من يهود، فإنَّ لَهُمْ النّصر والإسوة، غيرَ مظلومين ولا متناصر عَلَيْهِمْ. [47] وَأَنَّهُ من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلَّا من ظلم أَوْ أثم.

7 – مبدأُ سيادةِ الشّريعة، وحاكميَّةِ الرّسولِ مُحَمَّد، تقول: [42] وأنَّ مَا كَانَ من أهلِ الصّحيفةِ من حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ فإنَّ مَرَدَّهُ إلَى اللهِ، وإلى مُحَمَّدٍ رسولِ الله. [23] وأنَّكُم، مهما اختلفتم فِيهِ من شيءٍ، فإنَّ مردَّهُ إلَى اللهِ -عز وجل- وإلى مُحَمَّد.

يجدر العلم، إنّ " وثيقة المدينة" عَلَى صعيد التّجربة التّاريخيّة الإِسْلَاميّة كَانَتْ بادرةً لتنظيم العَلاقَات السِّيَاسِيَّة والاِجْتِمَاعِيَّة والدّينِيَّة فِي المدينة بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والمشركين من عرب المدينة وقَبَائِل اليهود والنَّصَارَى، وتُعَدُّ أَوَّلَ عَقْدٍ سِيَاسِيٍّ مُدَوَّنٍ ومُنْضَبِطٍ فِي التّاريخ السِيَاسِيّ الإِنْسَانِيَّ، كَمَا كَانَتْ هَذِهِ الوثيقة ذاتَ سَبْقٍ فِي تأسيس قِيَمِ التَّسَامُحِ فِي الدَّولَة العَرَبِيَّة الَّتِي قامتْ عَلَى أُسِسِ التَّنَوُّع الدّينِيّ والاِجْتِمَاعِيّ. فإنَّها أقرَّت باحترام حرِّية الإرادة، التي هي من أهم أسس الحياة الإنسانيَّة، وكل معاهدة صادرة عن إرادة حرَّة، أي غير واقعة تحت الفرض القسريّ، وتنسجم مع الفطرة الإنسانية، تكون ذات آثار قانونية مُلزِمَةً، وقيمية ذات مسؤولية أمام الله، إذْ تسمَّى المعاهدات عهد الله ولا يجوز نقضها[1]، {الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ} (البقرة27). وبِمُوجِبِ هَذِهِ القِيَمِ التّأسِيسِيَّةِ الكُبْرَى أَصْبَحَ التَّعَاقُدُ آلِيَّةً راسِخَةً فِي حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ الفَرْدِيَّةِ والعَامَّة.

1 -عباسعلي الزنجاني: **القانون الدولي في الإسلام**، ص 448- 450.

على الرّغم مِنْ أَنّ التّاريخ السِيَاسِيّ الإِسْلَاميّ لَمْ يكن تعبيراً وفيّاً، ولا منسجمًا فِي الغالب مَعَ الثّورة الأخلاقية والرُّوحِيَّة، الَّتِي أحدثها الإِسْلَام، بحكمِ سيطرةِ قِيَمِ القبيلة، وتأثيراتِ نظامي الحكمِ الرّومَانِيّ والفارسيّ القديمين، فإنَّ هَذَا الغيابَ التَّاريخيَّ لَمْ يلْغِ قيمةَ التّعاقدِ السِيَاسِيّ، الَّتِي بقيتْ مَحَلَّ تأكيدٍ فِي الخطابِ السِيَاسِيّ القديمِ والحديثِ[1].

معاهدة أهل نَجْرَان

أسهمتْ فكرةُ المعاهداتِ التي شَرْعَنَهَا الرسولُ مع أهلِ الكتابِ، ولاسيَّما المَسِيحِيّينَ، في نشرِ لُغَةِ التفاهُمِ، وإدامةِ الصلاتِ الوديَّة بينَ المَسِيحِيّينَ والمسلمينَ من العرب، بحسب أرنولد[2]: أنَّ محمدًا نفْسَهُ عَقَدَ حِلْفًا مَع بعضِ القبائلِ المَسيحيَّة، وأخَذَ على عاتقِه حمايتَهُم، ومَنْحَهُمْ الحرِّيَةَ في إقامةِ شعائرِهم الدِّينيَّة، كما أتاحَ لرجالِ الكنيسةِ أَنْ يَنْعَمُوا بحقوقِهم ونفوذِهم القديمِ في أمْنٍ وطُمَأْنِينَةٍ.

ألحقتْ الوثيقةُ الَّتِي كتبَها الرّسولُ مُحَمَّدٌ لأهلِ نَجْرَان سنة 10هـ/632م، عنصرًا بَشَرِيًّا وإجْتِمَاعِيًّا جديدًا، يعتنقُ الدّينَ المَسيحيَّ بجوار الأمَّةِ الإِسْلَاميّة، ويَتَمَتَّعُ بحقوقٍ إجْتِمَاعِيَّةٍ ودِينِيَّةٍ مُلْزِمَةٍ للأُمَّةِ عَلَى أرضيَّةٍ سِيَاسِيّة خالصة. كَانَ "وَفْدُ نَصَارَى[3] نَجْرَان[1] من أهمِّ الوفودِ، لمكانةِ نَجْرَان موقعًا وتاريخًا سِيَاسِيًّا ودِينِيًّا

1 - منصور الجمري: **مداخلات في الفكر والسّياسة**، (البحرين، 2008م) ص 169.

2 - **الدعوة الى الإسلام**، ص65.

3 - قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفْدُ نَصَارَى نَجْرَانَ، سِتّونَ رَاكِبًا، فِيهِمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فِي الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ إِلَيْهِمْ يَئُولُ أَمْرُهُمْ الْعَاقِبُ أَمِيرُ الْقَوْمِ وَذُو رَأْيِهِمْ وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمْ وَالَّذِي لَا يُصْدَرُونَ إِلّا عَنْ رَأْيِهِ وَاسْمُهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ وَالسَّيِّدُ لَهُمْ ثِمَالُهُمْ وَصَاحِبُ رَحْلِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ وَاسْمه: الْأَيْهَمُ، وَأَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَلْقَمَةَ، أَحَدُ بَنِي بَكْرِ بْنِ

وإجْتِمَاعِيًّا فِي الجَزِيْرَة[2]، إستقبلهُم الرّسولُ مُحَمَّدٌ فِي مسجدِ المدينةِ، المركزِ الإدَارِي للحكم، وسمح لَهُمْ بالصّلاة وأداء طقوسهم فِي مسجده[3]، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ممانعةِ ثُلَّةٍ من أصحابِه، إقرارًا مِنْهُ بأنَّ الصّلاةَ للهِ وإنْ اختلفتْ الدِّيَانَاتُ، وأنَّ من حقِّهم مُمَارَسَةَ طقوسِهم الإيمانية أنَّى شاءُوا، مَا دامتْ بيوتُ العبادةِ للهِ، ومن بَعْدِ حوارٍ دِينِيّ، مؤداه إرجاء الأمر إلَى الله فِي مُبَاهَلَةٍ روحَانيَّة، والمصالحة[4] عَلَى كتابةِ معاهدةٍ تُبَيِّنُ طبيعةَ العلاقةِ المستقبليَّةِ، وضوابطَ التّعاملِ بَيْنَ الدَّولَة العَرَبِيَّة ورعاياها من أصحابِ الدِّيَانَات الأُخْرَى.

نَصَّتْ معاهدةُ رسولِ الله وأهلِ نَجْرَان عَلَى أَنَّ: "لنَجْرَان وحَاشِيَتِهَا جِوَارَ اللهِ وذِمَّةَ مُحَمَّدٍ النّبِيّ، رسولِ اللهِ، عَلَى أنْفُسِهِمْ، وَمِلَّتِهِمْ، وَأَرْضِهِمْ، وأَمْوَالِهِمْ، وَغَائِبِهِمْ، وَشَاهِدِهِمْ (وعَشِيرَتِهِمْ وَبِيَعِهِمْ)[5] وأَمْثِلَتِهِمْ، لَا يُغَيِّرُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ، ولَا

وَائِلٍ، أُسْقُفِّهِمْ وَحَبْرُهُمْ إمَامُهُمْ وَصَاحِبُ مِدْرَاسِهِمْ. ابن هشام: **السّيرة النّبوية** 573/1؛ ابن سعد: **الطبقات** 84/2/1؛ البلاذري: **فتوح البلدان** 70؛ البيهقي: **دلائل النّبوة**، 383/5؛ النّويري: **نهاية الأرب**،18/ 121

1 - نَجْرَانَ: مدينة بالحجاز من شق اليمن، سُمِيتْ بِنَجْرَانَ بْنِ زَيْدِ بْنِ يُشْجَبَ بْنِ يَعْرُبُ بْنِ قَحْطَانَ وَأَمَّا أَهْلُهَا فَهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ مِنْ مَذْحِجَ. البكري: **معجم ما استعجم**، 1299/4؛ السّهيلي: **الرّوض الأنف فِي شرح السّيرة النّبوية**) 240/3

2 - ذكر المؤرخون كالطبري وابن الأثير والمقريزي: أن نصارى نجران إنما وفدوا عَلَى رسول الله سنة عشر من الهجرة، وذكر آخرون كأبي الفداء فِي البداية والنّهاية ونظيره فِي السّيرة الحلبية: أن ذَلِكَ كَانَ سنة تسع من الهجرة. الطباطبائي: **الميزان فِي تفسير القرآن** 3 / 293.

3 - وَلَمَّا قدم وفد نجران ودخلوا المسجد النّبوى بعد العصر حانت صلاتهم فقاموا يصلون فِيهِ فأراد النّاس منعهم فقال عَلَيْهِ السّلام دعوهم فاستقبلوا المشرق وصلوا صلاتهم. البيهقي: **دلائل النّبوة** 382/5؛ الدِّيار بَكْري، حسين بن مُحَمَّد بن الحسن (ت 966هـ): **تاريخ الخميس فِي أحوال أنفس النّفيس**، (دار صادر، بيروت) 195/2

4 -من التصالح، وَهُوَ عقد للتراضي والتسالم بَيْنَ شخصين فِي أمر عيني أَوْ منفعة بَيْنَهُمَا. أحمد فتح الله، **معجم ألفاظ الفقه الجعفري**، (الدمام، 1995 م)، ص357.

5 - الصّالحي، مُحَمَّد الشّامي (ت 942هـ): **سبل الهدى والرّشاد، فِي سيرة خير العباد، وذكر فضائله**

يُغَيِّرُ حَقًّ مِنْ حُقُوقِهِمْ وأَمْثِلَتِهِمْ، لَا يُحَرِّكُ رَهْبَانِيًّا عَنْ رَهْبَانِيَتِه، وَلَا وَافِهَ عَنْ وَفَاهِيَتِهِ[1]، عَلَى مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ رَهَقٌ وَلَا دَمُ جَاهِلِيَّةٍ، ولا يُحْشَرُونَ[2]، وَلَا يُعْشَرُونَ[3]، وَلَا يَطَأُ أَرْضَهُمْ جَيْشٌ؛ مَنْ سَأَلَ مِنْهُمْ حَقًّا فَبَيْنَهُمُ النَّصْفُ، غَيْرِ ظَالِمِينَ وَلَا مَظْلُومِينَ بِنَجْرَانَ، وَمَنْ أَكَلَ مِنْهُمْ رِبًا مِنْ ذِي قِبَلٍ فَذِمَّتِي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ رَجُلٌ بِظُلْمِ آخَرَ، وَلَهُمْ عَلَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ جِوَارُ اللهِ، وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ أَبَدًا، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ، مَا نَصَحُوا وَأَصْلَحُوا فِيمَا عَلَيْهِمْ، غَيْرُ مُكْلَفِينَ (مُثْقَلِينَ) شَيْئًا بِظُلْمٍ"[4]

يلحظ أنَّ المعاهدة عبَّرت عن حرية إرادة المَسيحِيِّينَ القادمين بوفدهم الكبير، وأنَّها أخذت بمبدأ التوافق على المصلحة المشتركة، فيما مثَّلته من إلتزام

وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله فِي المبدأ والمعاد، ، (بيروت، 1993م) 416/6.

1 - الواقه -بالقاف- مثل الوافه -بالفاء، الوافه: القيِّم الَّذِي يقوم عَلَى بيت النّصارى الَّذِي فِيهِ صَليبُهم بلغة أهل الجزيرة قَالَ وفي الحديث لا يُغَيِّرُ وافهٌ عَنْ وُفهيته. **تهذيب اللُغَة** 182/6؛ **تاج العروس** 548/36.

2 - لا يحشرون: لا يندبون إلَى المغازي ولا تضرب عَلَيْهِمْ البعوث وقيل لا يحشرون إلَى عامل الزكاة ليأخذ صدقة أموالهم بَلْ يأخذها فِي أماكنهم. ابن الأثير: أَبُو السّعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري، **النّهاية فِي غريب الأثر**، تح: طاهر أحمد الزاوى - محمود مُحَمَّد الطناحي (بيروت، 1979م)، 389/1.

3 - من العشر: بضم فسكون، ج عشور وأعشار، جزء من عشرة أجزاء... One tenth * ما يؤخذ من تجارة أهل الحرب، وأهل الذمة عندما يجتازون بِهَا حدود الدولة الإسلاميّة، وَقَدْ كَانَ يؤخذ فِي القديم عشر ما يحملونه. مُحَمَّد قلعجي: **معجم لغة الفقهاء** (بيروت 1988م) -ص 312؛ مُحَمَّد عمارة: **قاموس المصطلحات الاقتصادية فِي الاسلام**، (بيروت، 1993م)، 377.

4 - البلاذري: **فتوح البلدان** 76/1. وانظر: ابن شبة: **أخبار المدينة** 311/1؛ أَبُو عبيد: **الأموال** 245/1؛ قدامة بن جعفر: **الخراج وصناعة الكتابة**، تح: مُحَمَّد حسين الزبيدي (دار الرّشيد، العِرَاق)، 272/1. بسيوني، محمود شريف، **الوثائق الدّوْلِيّة المعنية بحقوق الإنسان**، المجلد الثّاني، (القاهرة، 2003). وَقَدْ نشر هَذِهِ الوثيقة المعهد الدولي لحقوق الإنسان بجامعة دي بول شيكاغو. ومكتبة حقوق الانسان فِي جامعة منياسوتا الامريكية.

طوعي أظهره طرفا المعاهدة، كما أنَّها -تاليًا- أوجبت عَلَى السّلطة السِّيَاسِيَّة عدّة إلتزامات مستقبليَّة:

- بقاء أهل نَجْرَان فِي أماكنهم، وإقامتهم فِي ديارهم، دُونَ أنْ يكونَ مَعَهُمْ أحَدٌ من الْمُسْلِمِينَ[1].

- توفير الرّعاية والحماية الشّاملة لأرواحهم وأموالهم، كَمَا وفرت عنصر العدالة فِي تمكين حقوقهم.

- الحفاظ عَلَى حريتهم الشَّخْصِيَّة، وعلى حُرِّيَّة عقائدهم، ودور عباداتهم، دُونَ التّدخل فِي تنظيماتهم الدّينِيَّة.

- عدم فرض التّجنيد الإجبارى عَلَيْهِمْ، وصيانة حرمة أرضهم، فلا يطأها جيش السّلطة المركزية دُونَ إذنهم.

- أسقطت الوثيقة عَنْهُمْ عشور التّجارة، الّتِي تفرض عَلَى التّجار الأجانب، باعتبارهم مُتَمَتِّعِين بحقوق الرعيَّة فِي الدَّولَة العَرَبِيَّة.

معاهدات أُخْرَى:

ثَمَّةَ معاهداتٌ للرسول مُحَمَّد مَعَ أصحاب الدِّيَانَات الأُخْرَى، سادت فِيهَا روح المحبة والتّقدير والتّكريم للآخر، فأقرَّ لَهُمْ الْحُقُوق والحرمات والحماية فِي: النّفس، والحياة، والمال، والأهل، والمسكن، وحُرِّيَّة العقيدة، وحُرِّيَّة العبادة، وحُرِّيَّة العمل، وحُرِّيَّة الاقامة، وحُرِّيَّة السّكن، وحُرِّيَّة التّنقل، وحُرِّيَّة الزواج. مِنْهَا:

1 - سيد سابق: **فقه السّنة** 2/ 669.

- **معاهدة مَعَ نَصَارَى "جَرْبَاءَ" و "أَذْرُحَ"**[1]: فِي كتاب لَهُمْ:"هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّد النّبيّ لأَهْلِ أَذْرُحَ؛ أَنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللهِ وَمُحَمَّد، وَأَنَّ عَلَيْهِمْ مِائَةُ دِينَارٍ فِي كُلِّ رَجَبٍ وَافِيَةً طَيِّبَةً، وَاللهُ كَفِيلٌ عَلَيْهِمْ بِالنّصْحِ وَالإِحْسَانِ لِلْمُسْلِمِينَ"[2].

- **معاهدة مَعَ نَصَارَى "أَيْلَة"**[3]: جاءت إثْرَ عَفْوِ الرّسول مُحَمَّد ومعاملته الكريمة لنَصَارَى دومة الجندل، إِذْ قدم "يُحَنَّة بن رؤبة" ملك أَيْلة وما حولها -وَكَانَ نصرانيًّا- عَلَى رسول الله وَهُوَ فِي تبوك، بحَسَبِ رِوَايَة جابر: رأيت يُحَنَّة بن رؤبة يوم أتى النّبيّ وعليه صليب من ذهب، وَهُوَ معقود النّاصية، فَلَمَّا رأى النّبيّ كفَّرَ، وأومأ برأسه (أي: طأطأ رأسَه خضوعًا، ووضع يدَه عَلَى صدرِه)، فأَوْمَأ إِلَيْهِ النّبيّ" : ارْفَعْ رَأْسَكَ ."وصالحه يومئذٍ، وكساه بُردًا يمانيًّا[4].

كَانَ نصُّ الصّلْح:" بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ، هَذِه أَمَنَةٌ مِنَ اللهِ، ومُحَمَّد النّبِيّ رَسُولِ اللهِ لِيُحَنَّةَ بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ، سُفُنُهُمْ وَسَيَّارَتُهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ لَهُمْ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّد النّبِيّ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ الشّامِ، وَأَهْلِ الْيَمَنِ، وَأَهْلِ الْبَحْرِ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثًا فَإِنَّهُ لاَ يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِه... وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النّاسِ... وَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ، وَلاَ طَرِيقًا يُرِيدُونَهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ"[5]، وَأَنَّ النّبِيَّ ضَرَبَ عَلَى نَصَارَى أَيْلَةَ ثَلاَثَمِائَةِ دِينَارٍ كُلَّ سَنَةٍ، وَأَنْ يُضِيفُوا مَنْ مَرَّ بِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلاَثًا، وَلَا يَغِشُّوا مُسْلِمًا"[1].

---

1 - الجرباء وأذرح: موضعان من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشّام قرب جبال السّراة من ناحية الحجاز، وَبَيْنَهُمَا ميل واحد. ياقوت: **معجم البلدان** 129/1، 118/2.

2 ابن سعد: **الطبقات الكبرى** 290/1؛ ابن كثير: **السّيرة النّبوية** 30/4؛ المقريزي: **إمتاع الأسماع** 65/ 2.

3 - أيلة -بالفتح: مدينة عَلَى ساحل بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشّام وقيل هِيَ آخر الحجاز وأول الشّام. وسكانها من اليهود. **معجم البلدان** 292/1.

4 - البيهقي: **السّنن الكبرى** 185/9.

5 - أَبُو عبيد: **الأموال** 258؛ ابن هشام: **السّيرة النّبوية** 525/2، 526، ابن الجوزي: **المنتظم**

لَعَلَّ حُسْنَ إستقبالِ النّبيّ ليُحَنّة يؤكّد عَلَى رغبته في إبْرَامِ الصّلْح بالشّكل، الَّذي يحفظُ كرامةَ الآخر، فَقَدْ جاء الرّجلُ مرتديًا صليبًا، وَلَمْ يُعَبِّرْ الرّسولُ مُحَمَّدٌ إلَّا عَنْ رِضَا، وليَعْلَمْ -أَيْضًا- أنّ الصّلْحَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ الأقوياءِ الْمُنْتَصِرين عَلَى الرّوم لَيْسَ مذلّةً، بَلْ هُوَ عَهْدٌ صادقٌ مَعَ قومٍ أوفياءَ يَحترِمونَ الآخر.

يُلْحَظ هُنَا أنّ الرّسولَ مُحَمَّدًا أعْطَى الأمَانَ لِسُفُنِهِمْ وسَيّارَتِهِمْ فِي البَرِّ والبَحْرِ، والمعروفُ أنّ أيلةَ عَلَى ساحل البحر الأحمر، والمسلمون حَتَّى هَذَا الوقت لَمْ يركبوا البحر، وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِيهِ منشآتٌ وأساطيلُ، ومعنى هَذَا أنّ الرّسول يُحَمِّل نفسَهُ والمُسْلِمِينَ عبئًا خطيرًا ومسؤولية جسيمة، ألَا وَهِيَ حماية أهل أيلة في البحر بَيْنَ الشّام واليمن، مَعَ اعطائهم حُرِّيَّةَ الحركة البحُرِّيَّة أَنَّى شاءوا، فَضْلًا عَنْ توفير طرق آمنة عَلَى السّاحل والبر لَهُمْ، وَهَذَا يقتضي استعداد الرّسول لبناء أسطول بحري وتجهيزه متى حصل اعتداء عَلَى أهل أيلة، وَفِي ذَلِكَ من الجهد والإنفاق الضَّخم، والمخاطرة مَا فِيهِ. لقد تحمّل رسول الله كُلَّ هَذَا العبءَ، من أجل أن يعيش الْمُسْلِمون مَعَ من حولهم فِي أمان وسلام.

لَعَلَّ اضافةَ لفظِ "ضيافةِ الْمُسْلِمِينَ" إلَى المعاهدةِ يُوَفِّرُ مَلْحَظًا مُهِمًّا فِي التّعَايُش الاِجْتِمَاعِيّ والتّلاحُقِ الفِكْرِيّ، وَفِي تنمية العَلاقَات والعادات الطّيبة، وتوليدِ شحناتِ التّقاربِ النّفسيّ والوجدانيّ، الَّتِي تَرْشَحُ عَنْ أَدَبِيَّاتِ الأَدْيَانِ، وتُوَفِّرُ النُّصْحَ ومصداقيةَ التّعامُلِ بَيْنَ أطرافِ العَقْدِ، فضلا عن أنّها ترسيخ للقيم العربية الموروثة في الكرم وإقراء الضيف.

وتاليا، أنَّ الرسول على الرغم ممَّا حدث بينه وبين اليهود من أحداث، إبانَ عهدِ المدينة، ورثتْ شَحْنَاءَ وَأَضْغَانًا، لكنْ نَجِده لَمْ يُفَرِّقْ بينَ المسيح واليهودِ

196/1؛ وابن سيد النّاس: **عيون الأثر** 258/2.

1 - الشّافعي (ت 204هـ): **مسند الشّافعي** (الكتب العِلْمِيَّة، بيروت) ص209.

في كُتُبِ الصُّلح، ففي رواية الواقدي[1]، في السَّنة التاسعة صالحَ يهودَ تَيْمَاء على الجِزْيَةِ، وأقَامُوا بأيديهم أمْوَالَهُم، أيْ لَمْ يتعرضْ لأملاكِهم، وأبْقَى الأرضَ بأيديهم. ويزيد "ابن سعد" في ثَبَاتِ وقُوَّة عهْدِ الرسول، أنَّه أعطاهم صكًا لا يَنْقُضُهُ شَيْءٌ، فهُمْ لا يُعادَوْنَ ولا يُجْلَوْنَ، بقوله[2]: "هذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّد رسول الله لبني عاديا أنَّ لَهُمُ الذِّمَّةَ وَعَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ، وَلا عَدَاءَ وَلا جَلاءَ. اللَّيْلُ مَدٌّ وَالنَّهَارُ شَدٌّ". وكتب رَسُولِ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ بِرِسَالَةٍ فِيهَا: "وَأَنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ مَا لَهُمْ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ كَانَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ نَصْرَانِيَّتِهِ فَإِنَّهُ لَا يُفْتَنُ عَنْهَا، وَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ"[3].

مِنْ مُكاتباتِ الرّسولِ مَعَ الْمَسِيحِيِّينَ، التي وردتْ لَدَى مُؤَرِّخِي الْمَسِيحِيَّةِ، قولُ ماري بن سليمان (ق6هـ/12م)[4]: " كَانَ الفَطْرَكُ ايشوعيهب الجذالي"[5] [الجاثليق] (6-24هـ/ 628-645) يُكَاتِبُ صاحبَ شريعةِ الإِسْلَام، ويُهْدِي لَهُ، ويَسْأَلُه الوَصَاةَ برعِيَّتِه فِي نَواحِيهِ، فأجَابَهُ إلَى ذَلِكَ، وكَتَبَ إلَى أصحابِه كُتُبًا بَلِيغَةً مُؤَكِّدَةً، وبَرَّهُ صاحبُ الشّريعةِ -عَلَيْهِ السّلام- بِبِرّ، كَانَ فِيهِ عِدَّةٌ من الإبِلِ وثيابٍ عَدَنِيَّةٍ. وتأدَّى ذَلِكَ إلَى ملكِ الفرسِ، فأنْكَرَ عَلَى الفَطْرَكِ فِعْلَهُ ومُكاتَبَتَهُ، وَبِخَاصَّةٍ، عِنْدَ ورودِ هداياهُ، فدَارَاهُ إلَى أنْ سَلِمَ مِنْهُ".

عَلَى تطبيقات الرّسول فِي النّظم الحَضَارِيّة، يزيد المُؤَرِّخ جورج البناء[6] مُمَارَسَة تاريخيّة، بقوله: " ظهر الإِسْلَام فِي زمن البِطْرِيَرك ايشوعياب الجدالي

1 - **المغازي** 711/2، وانظر: البلاذري: **فتوح البلدان**، ص44.

2 - **الطبقات الكبرى** 1/ 213.

3 - أبو عبيد، القاسم بن سلام: **الأموال** ص 29.

4 - ماري: **فطاركة المشرق** ص62-63.

5 - الجاثليق الجدالي. ترجمه: ماري بن سليمان: **فطاركة كرسي المشرق**، ص62، ألبير أبونا: **تاريخ الكنيسة الشّرقية** 189/1.

6 - **الموسوعة الكلدانية، سلسلة بطاركة الكلدان**، ص 71.

(630- 647م)[1]، فأرسل هدايا إلَى النّبيّ مُحَمَّد، ومن جملتها ألفُ أستارٍ فضَّةً، مَعَ جبرائيل أُسْقُف ميشان، وكاتبَه، وسأله الإحسان إلَى المَسِيحِيّينَ، فاستقبلَه النّبيّ بكل ترحاب، وأرسل مَعَهُ هدايا إلَى البِطْرِيَرك، ومنها عدَدٌ من الإبل، وثياب عدنيّةٍ، وعهودًا إلَى كافّةِ خلفائِه، توصِيَةً للمَسِيحِيّينَ فِي كافّةِ أنحاءِ الدَّولَة العَرَبِيَّة". ويبدو من هنا بدأت العلاقة تتوطد بين المَسِيحِيّينَ النساطرة والمسلمين، فإنَّهم بحسب "دوسلييه"[2] "يقول النساطرة: إنَّ المسلمين عاشوا على وفاق تام معهم نظرا لقربهم العقيدي من المَسِيحِيّينَ"، وقد ساد بينهم اعتقاد بأنَّ المسلمين" أكرموا النصارى أكثر من أهل سائر الأديان"[3].

نشر الإِسْلَام فِي بلاد الْعَرَب

لا ريب أنَّ نظام المعاهدات الذي اضطلع به الرسول محمَّد في ارساء أرضية الأمن والسلم بين مكونات المجتمع المتنوعة، ساعد على فتح أفقيَّة الإسلام على العالم الخارجي، وكان الرسول يبذل التنازلات في سبيل تحقيق عهد أو صلح، فأخذ يقول قبيل صلح الحديبية مع قريش: "والذي نفسي بيدِه لا يَسألوني اليومَ خُطَّةً يُعظِّمون بها حُرُماتِ اللهِ إلا أعطيتُهم إياها"[4]. وكان صلح الحديبية قد أعاد الأمن الى الحجاز، وضاعف قدرة الإسلام على التوسع، وكان مهدًا تحالفَ الرسول -في إثره- مع كثير من القبائل والحكومات في جزيرة العرب.

1 - ترجمته: ماري بن سليمان: **أخبار بطاركة كرسي المشرق**، ص 61-62

2 - **مسيحيو الشرق والإسلام في العصر الوسيط**، ص 123.

3 - **تاريخ السعردي**، ص628.

4 - أبو داود: السنن 4/ 393.

إن كونية الإسلام وعالميته، بحسب النصوص القرآنية، توجب نشره خارج بيئة نشأته، مكّة والمدينة، ولعلّ الكتبَ التي أرسلها محمد الى ملوك عصره، وإنْ كانت مجازفةً خطيرة من كيان صغير ومحدث الى دول عريقة في التاريخ والنظم، إلّا أنّها جاءت موافقة تماما مع مبدأ القرآن في مطالبة الناس جميعا بقبول الإسلام، وارتضائه دينا على خارطة الأديان. وجاءت تعبيرات محمد وتنبؤاته دالة بوضوح على صعيد عالمية الإسلام ومطالبة البشرية بقبوله، فإنّ بِلَالًا أَوَّلُ ثمار الحبشة، وإنّ صُهَيْبًا أَوَّلُ ثمارِ الروم، وأما سلمانُ فهو أَوَّلُ من أسلم من الفرس[1]، وبمثل هذه التقريرات النبويَّة دلالة جليَّة على أنَّ الإسلام ليس مقصورا على الجنس العربي، بل هو بعثةٌ الى كل الشعوب[2].

تُشَكِّلُ كُتُبُ الرّسولِ إِلَى الملوكِ والعظماءِ فِي سنة (6هـ/ 628م) مدخلًا مهمًّا، يكشفُ عَنْ منهجِ السّياسةِ الخارجيَّةِ للدولةِ الإِسْلَاميّةِ الفتيَّة، وأنَّها تطمحُ أنْ يكونَ لَها قَدَمُ وجودٍ فِي الصّراعِ الحضاريّ والدّوليّ، ولاسيَّمَا عَلَى جَزِيْرَةِ الْعَرَب، وَكَانَتْ أغلبُ الكيانات السِّيَاسِيَّةِ المحيطةِ بالجَزِيْرَةِ تَطْبَعُهَا الدِّيَانَةُ الْمَسِيحِيَّةُ عَلَى مُخْتَلَفِ مذاهبِها، فالنَّسْطُورِيّةُ -غالبًا- فِي الحِيرَةِ والعِرَاق، واليَعْقُوبِيّةُ فِي غَسَّان وأطراف الشّام، و القبطِيَّةُ فِي مِصْرَ.

اختلفت طبيعة الردود على الرسائل، فَكَانَ كِسْرَى أَبرويز (591-628م) شديدًا فِي ردِّ فعلِه عَلَى كتابِ الرّسولِ مُحَمَّد[3]، فأَمَّا هرقل والنّجاشي

---

[1] -مستفادة من قول النبي:" صهيب سابق الروم، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة". ابن عبد البر: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** (2/ 729)؛ وقارن: ابن سعد: **الطبقات الكبرى** 170/2، 3/ 175.

2 - أرنولد: **الدعوة الى الإسلام**، ص50.

3 - مزقه وقال: يكتب إليَّ هذا وَهُوَ عبدي؟، وأرسل إلَى واليه فِي اليمن أن يرسل إلَيْهِ نجدين اثنين ليأتياني بِهِ. الطبري: **التاريخ** 3/ 90. ويقال: أن رسول الله لما بلغه ما فعل بكتابه قَالَ: «مزق الله ملكه». ابن هشام: **السّيرة النّبوية** 1009/4.

والمُقَوْقَس[1]، فتأدّبوا، وتلَطّفوا فِي جوابِهم، وأكرمَ النّجاشيُّ والمُقَوْقَسُ الرّسلَ، وأرسلَ المُقَوْقَسُ هدايَا، مِنْهَا جاريتان، كَانَتْ إحداهما ماريّة أم إِبْرَاهِيم ابنِ رسول الله[2].

وَكَانَ عَلَى اليمامة "هوذة الحنفي"[3]، وَكَانَ ملكًا عَلَى دين النّصْرَانِيَّة، وإليه أرسلَ رسولُ الله "سليط بن قيس بن عمرو الأنصاري" يدعوه إلَى الإِسْلَام. وكتب هوذة إلَى النّبي:" مَا أحسن مَا تدعو إلَيْهِ وأجمله، وأنا شاعرُ قومِي وخطيبُهم، والْعَرَبُ تهابُ مكانِيَ، فاجعلْ لِيَ بعضَ الأمرِ، أتّبِعْكَ. وأجازَ سليطَ بن عمرو بجائزةٍ وكساهُ أثوابًا من نسجِ هَجَر، فقدم بِذَلِكَ كلِّه عَلَى رسولِ الله، وأخبره عَنْهُ بِمَا قَالَ، فقرأ كتابَه وَقَالَ: "لَوْ سالنّي سَيَابَةً[4] من الأرضِ مَا فعلتُ، بادَ، وبادَ مَا فِي يَدَيْهِ". فمات عام الفتح "[5].

تتميز الكتب التي بعثها النبي الى ملوك وعظماء المسيحيَّة، بأنَّها ترتكز على إيراد المشتركات في العباداتِ الكتَابِيَّة، عبّر عنها بـ" كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ"، وأنّهم يُؤْتَوْنَ أجرَهم مرَّتين، إما أجرُ هدايةِ الماضي وهداية والحاضر، وإما أجرُ هُدى

---

1 - المقوقس: كلمة يونانية معناها الحاكم، اسمه: جرجس بن مينا، يوناني الاصل، روماني التولي. (القمص: **تاريخ الكنيسة القبطية**، ص 400)؛ وهو سيروس (Cyrus) عينه هيراكيلوس حاكما على مِصْر وبطريكا على كرسي الإسكندرية عام 10هـ/631م. (حسام عيتاني: **الفتوحات العربية في رواية المغلوبين**، ص114)؛ وفي كتب السّير أسمه جريج بن مينا.ابن عبد الحكم: **فتوح مِصْر والمغرب**364؛ السّهيلي: **الرّوض الآنف**159/2؛ الحلبي: **السّيرة الحلب**ية 3:349.

2 - أَبُو الفداء، عماد الدين: **المختصر فِي أخبار البشر** (الحسينية، القاهرة) 145/1.

3 - هُوَ أَبُو علي هوذة بن علي بن ثمامة بن عمرو بن عبد العزى بن سحيم بن مرة ابن الدول الحنفي(ت. 8هـ/630)، ذو التاج صاحب اليمامة. ابن هشام: **السّيرة النّبوية** 824/3، الزبيدي: **تاج العروس** 410/5.

4 - السَّيَابَةُ -بِفَتْحِ السِّينِ وَالتَّخْفِيفِ: البَلَحَةُ، وَجَمْعُهَا سَيَابٌ. ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر** 2/ 432.

5- البلاذري: **فتوح البلدان** 105/1؛ النّويري: **نهاية الأرب فِي فنون الأدب** 18/ 166.

نفسه وهَدى رعيَّته، في حين أنّ الرسائل الى المجوس وغيرهم تخلو من هذه المعاني، إلا أنَّها تتفق في تحميل الملوك مسؤوليَّة عدم هداية الرعيَّة، إذا جنحوا عن الإسلام. وتتجلَّى هذه المعاني في هذا النص[1]: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْإِرِيسِيِّينَ[2] {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}" [آل عمران: 64]. ويبدو أنّ مَعْنَى "الاريوسيين" الفقراء والأكراء، أي من عامة الشعب، فَقَالَ أَبُو عُبَيْد: هُمُ الْخَدَمُ والحوَل، يَعْنِي لِصَدِّهِ إِيَّاهُمْ عَنِ الدِّينِ، كما قال {رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا} أَيْ عليكَ مِثْلُ إِثْمِهِمْ[3].

كَانَتْ فكرة نشر الإِسْلَام، ومَدَّ أسبابَ النّفوذِ السِياسِيّ إِلَى أطرافِ جَزِيْرَةِ الْعَرَبِ لدولةِ مُحَمَّد الفتيَّةِ، تستهدفُ الإفادَةَ من سَعَةِ الرُّقْعَةِ الجُغْرَافِيَّة، واستثمارِ تضاريسِها، كالصّحارَى والجبالِ والبحارِ، لتكونَ دِرْعًا طبيعيًّا في وجهِ الجيوشِ المعاديَةِ، الدّوْلِيّة والإقليميَّة، أَوْ ملعبًا لمناورتِها، وَذَلِكَ مثلُ صحراءِ النّفوذِ في وجهِ جيوشِ فَارِسَ، والبحارِ المحيطةِ بجَزِيْرَةِ الْعَرَبِ، وتوفيرِ حاضنةٍ ديموغرافيّةٍ متناميةٍ ومُتَرَامِيَةٍ، يَنْظُمُهَا خَيْطُ القوميّةِ، واللغةُ الْعَرَبِيّةُ، فَضْلًا عَنْ أَنَّها تُوَفِّرُ مكانَةً اقتصاديّةً عاليَةً، ويحقق استغلالَ مواردِها إدامَةَ تِرْسَانَةِ الحروب.

---

1 - الخركوشي: **شرف المصطفى** 14/4؛ أبو نعيم الأصبهاني: **دلائل النبوة** 380/4 ؛ ابن منظور : **لسان العرب** 5/6؛ القلقشندي: **صبح الأعشى** 362/6.

2 - انظر كتاب النبي إلى النجاشي الأصحم، عظيم الحبشة. ابن اسحاق: **السير والمغازي**، ص 228؛ البيهقي: **دلائل النبوة** 2/ 308.

3 - ابن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر** 1/ 38.

كَانَ الْمُسْلِمون إِذَا أرادوا أنْ يفتحوا بلدًا، وجب عَلَيْهِمْ أنْ يدعو أهلَه إلَى الدّخول إلَى الإِسْلَام، فإنْ أسلموا كَانُوا وسائر الْمُسْلِمِينَ سواء، وإنْ لَمْ يسلموا دعوهم إلَى أن يسلّموا بلادَهم للمُسْلِمِينَ، ويبقوا عَلَى دينِهم، ويدفعوا الْجِزْيَة، فإنْ قَبِلوا ذَلِكَ كَانَ لَهُمْ مَا للمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ، وَكَانُوا فِي ذِمّة الْمُسْلِمِينَ، يحمونهم ويدافعون عَنْهُمْ، ولهذا يسمون: " أهل الذِّمَّة"، وان لَمْ يقبلوا الإِسْلَام، ولا الدّخول تَحْتَ حكمه ودفع الْجِزْيَة، أُعلنتْ عَلَيْهِمْ الحربُ، وقُوتلوا.

يبدو أن النبيَّ محمّد في بداية عهده في المدينة كان يسعى الى التعايش مع الآخر الديني، على أساس من تساوي الحقوق والواجبات، كما كانت عليه الحياة المشتركة في مكّة؛ لذا كتب وثيقةً، أقرَّها جميع المكونات الاجتماعيَّة والدينيَّة في المدينة، بضمنهم جماعة اليهود. غير أنَّ اخفاق التعاون في الحفاظ على الأمن والدفاع المشترك، ونقض اليهود بنود المعاهدة، جعل النبيَّ يفكر في صيغة بديلة تؤمّن تعاملًا شاملًا مع الآخر الديني في ظل الدولة، فكانت الجزية، التي أقرَّت حمايتهم وأمنهم في ذمة المسلمين.

لعلَّ السنة التاسعة للهجرة كانت فيصلًا مهما في ارتكاز وتَفْصُلِ النظام الضريبيّ للدولة الفتيَّة، فيها نزلَتْ آيةُ الجزية[1]، {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة29)، وفيها فُرِضَتْ الزكاةُ، وفيها فُرِضَتْ الجزيةُ[2].

1 - يرى نولدكة نشأة الآيات (28-35 من التوبة) التي تدعو الى محاربة النصارى حتى يدفعوا الجزية، في السنة الثامنة، في وقعة مؤتة، حيث اشتبكوا بالأيدي مع جنود مسيحيين. **تاريخ القرآن**، ص201.

2 - البيهقي: نَزَلَ هَذَا حِينَ أُمِرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ بِغَزْوَةِ تَبُوكَ. **السنن الكبرى** 312/9.

هنا فرض الاسلام الجزية على غير المسلمين المعاهدين، في مقابل فرض الزكاة على المسلمين، حتى يتساوى الفريقان؛ لانَّ المسلمين والذمّيّين يستظلُّون برايةٍ واحدة، ويتمتعون بجميع الحقوق وينتفعون بمرافق الدولة بنسبةٍ واحدة، ولذلك أُوجِبَتْ الجزية للمسلمين، نظيرَ قيامهم بالدفاع عن الذّمّيّين وحمايتهم في البلاد الاسلامية التي يقيمون فيها[1]. ولعلها من باب المساواة في الدفاع والنصرة، فيرى السرخسيُّ[2] أنَّ الجزية:" فِي حَقِّ الْمُسْلِمِينَ هَذَا الْمَالُ خَلَفٌ عَنْ النُّصْرَةِ"، أي نصرة المعاهدين دار الإسلام بأموالهم، قبال نصرة المسلمين بأنفسهم وأبدانهم. ومهما يكن فإنَّ التطورات السياسيّةَ دفعتْ بعدَ فتحِ مكّةَ إلى ضرورةِ قيامِ مؤسساتٍ لإدارةِ شؤونِ الدولةِ، وقد حُوِّلَت الصدقةُ الطوعيّةُ إلى صدقةِ فرْضٍ أو زكاةٍ.

مِنْ تبلور هذه المفاهيم، وتطور المتغيرات التاريخيَّة، جاءت فكرة الْفُتُوح والمبادرة إلَى اثبات الوجود السِيَاسِيّ والعسكري والدّيْنِيّ للدولة الْعَرَبِيّة الإِسْلَاميّة، فكانت غزوة تبوك وأيلة وأذرح ومقنا والجرباء، من أرض الشّام في سنة (9هـ/ 630م)، خطوةً استباقيّة لتفحص الامكانات البَشَرِيّة والعَسْكَرِيّة، ومعرفة الاستجابة ورد الفعل لمجتمعاتِها من جهة، و لحاميتها العَسْكَرِيّة من جهةٍ أُخْرَى، ونتلمَّس تِلْكَ الملامحَ في وصف البلاذري[3]:" تجمّعَ لَهُ منَ الرّوم وعاملة ولخم وجذام وغيرهم، وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، فأقامَ بِتَبُوكَ أيَّامًا فصالحَهُ أهْلُها عَلَى الْجِزْيَة، وأتاه وَهُوَ بِهَا يحنة بْن رؤبة صاحب أيلة، فصالحه عَلَى أنْ جعل لَهُ عَلَى كُلِّ حالم بأرضه فِي السّنَة دينارا، فبلغ ذَلِكَ ثلاثمائة دينار، واشترط عَلَيْهِمْ قِرَى مَن مرَّ بِهِمْ منَ الْمُسْلِمِينَ، وكتب لَهُمْ كتابا بأنْ يحفظوا ويمنعوا. وَصَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ أَهْلَ أَذْرُحَ عَلَى مِائَةِ دِينَارٍ فِي كُلِّ رَجَبٍ، وَصَالَحَ أَهْلَ الْجَرْبَاءِ عَلَى الْجِزْيَةِ،

1 - سيد سابق: **فقه السنة** 663/2.

2 - **المبسوط** 10/ 81.

3 - **فتوح البلدان** ص 67.

وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا، وَصَالَحَ أَهْلَ مَقْنَا عَلَى رُبُعِ عُرُوكِهِمْ وَغُزُولِهِمْ، وَالْعَرُوكُ خَشَبٌ يُصْطَادُ عَلَيْهِ، وَرُبُعُ كُرَاعِهِمْ وَحَلَقَتِهِمْ، وَعَلَى رُبُعِ ثِمَارِهِمْ، وَكَانُوا يهودا".

وَكَانَ النَّبِيُّ غَزَا دُومَةَ الْجَنْدَلِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ فَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا، وَوَجَّهَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أُكَيْدِرَ بْنِ عَبْدِ الملك الكندي ثُمَّ السَّكوني فِي شَوَّالٍ سَنَةَ تِسْعٍ فأخذه أسيرا، وقدم بأكيدر عَلَى النَّبِيِّ، وكتب لَهُ ولأهل دومة كتابا[1].

أَمَّا كَيْفَ عامل الرّسول مُحَمَّد الْمَسِيحِيِّينَ؟ فبحسب العامل الزمني في نظر نولدكة، أَنَّ مُحَمَّدًا عدَّ - في سنواته الأولى في المدينة- النصارى الحقيقيّين مؤمنين[2]، غيرَ أنَّه في السنة الثامنة كانت الآيات (28-35 من التوبة) تدعو الى محاربة النصارى حتى يدفعوا الجزية، وذلك في وقعة مُؤْتَةَ، حيثُ اشتبكوا بالأيدي مع جنود مَسِيحِيِّينَ[3].

بيدَ أَنَّ الرسول محمَّد لم تلزمْه السنواتُ الأولى في المدينة بالاحتكاك بجماعاتٍ مسيحيَّة، لعدم وجودها في بيئته، مثل جماعات اليهود، مثلما أضحى مُلْزَمًا، عند توسُّع نفوذه في السنوات الأخيرة، في التعامل مع مواطنَ مسيحيَّةٍ. على أنَّها كانت تَنْتَظِمُ على شكلين: إما غيرُ خاضعةٍ الى إحدى الدول المحيطةِ، مثل روما وفارس، نحو نَجْرَان، فان الرسول محمد لم يدهمهم بجيش، او يهددهم بسلاح، وإنَّما تجاوزهم في ذهابه الى مؤتة، وهم الذين جاءوا الى المدينة، وصالحوه على عهد بينَهم. أمَّا مواطنُ المَسِيحِيِّينَ التابعة الى بيزنطا، فقد مرَّ الرسول عليهم بجيشة دونَما حصارٍ، وصالحهم لِيَضْمِنَ طاعتَهم، وهذا ما يُؤَشِرُه نصُّ البلاذري السابق.

إنَّ منهجَ الإسلام النبويِّ كان ديباجةَ خيرٍ في العلاقات الإسلاميَّة المسيحيَّة، وكان من النادر في القرون الوسطى أنْ تتقدم جيوشٌ على قُرَى، ولا

---

1 - م. ن. ص69.

2 -تيدور: **تاريخ القرآن**، ص172.

3 - نولدكة: م. ن، ص 201.

تستبيحُها قتلًا وأسرًا وسبْيًا، وتكتفي بأنْ تطلبَ منها فروضَ الطاعةِ مقابلَ الأمانِ والحمايةِ، في عهودٍ مكتوبةٍ، تحافظُ على أبسطِ القِيَمِ العربيَّة التي تهدفُ الى إدامةِ التواصلِ، كإقراء الوافدين من المسلمينَ ثلاثةَ أيامٍ. على أنّ ماهيَّةَ التسامحِ المُبْتَعَثَةَ منْ لَدُنِ المَسيحِيّينَ، ولاسيَّما أحبارُهم، الذين اعتادوا التعايشَ معَ أهلِ الدياناتِ الأخرى بسلامٍ وطَمأْنِينَةٍ، على نحوٍ يَضْمنُ طولَ بقائهم، وسَعَةَ انتشارِ أفكارِهم الدينيَّة بينَ الناسِ، وهذه الطبيعةُ السَمْحَةُ كانتْ مَعِينًا خَصْبًا للإندماجِ معَ المسلمينَ، وساعدتْ عليه.

ثمَّةَ عاملٌ آخرُ، وهو العاملُ البيئيُّ، والتعاملُ مع الأغلبيَّةِ الدينيَّةِ المحيطةِ به، ففي نظرِ "طه حسين"[1]: أما نصرانيَّةُ النَصارى فلمْ تكنْ معارضتُها للإسلام- إبَّانَ حياةِ النبيِّ- قَوِيَّةً قُوَّةَ المعارضةِ الوثنيَّة واليهوديَّةِ، لماذا؟ لأن البيئة التي ظهرَ فيها النبيُّ لَمْ تكنْ بيئةً نصرانيَّةً، إنَّما كانتْ وثنيَّةً في مكَّةَ، يهوديَّةً في المدينةِ، ولو ظهرَ النبيُّ في الحيرةِ أو في نَجْرَان لَلَقِيَ من نصارى هاتينِ المدينتينِ مثلَ ما لقيَ من مشركِي مكَّةَ ويهودِ المدينة. وفي الحقِّ إنَّ الإسلامَ لَمْ يكدْ يظهرُ على مشركِي الحجازِ ويهودِه، ويُسَيْطِرُ على وسطِ وجنوبِ جزيرة العرب، وإبَّانَ توجُّهِهِ نحوَ بلادِ الشامِ والعِرَاق، حَيْثُ تَغْلبُ الديانةُ النصرانيَّةُ، حتَّى استحالَ الجهادُ- بينَه وبينَ النصارى- من جدالٍ ونضالٍ بالحُجَّةِ إلى الصِّدامِ المُسَلَّح، أدركَ النبيُّ أولَه، وانتهى به الخلفاءُ إلى أقصَى حدودِه.

إتَّجَهَ الرّسولُ للتعامل مَعَ الْمَسيحِيّينَ الْعَرَب بَعْدَ فراغه من قُرَيْش واليهود، وَكَانَتْ فترة توجهه إلَى الْمَسيحِيّينَ قصيرةً، لَمْ تتعدَّ خمسَ سنواتٍ. وَقَدْ دخل الإِسْلَام فِي هَذِهِ الفترةِ القصيرة عددٌ قليلٌ من مسيحيّي دومة الجندل، وكَلْب، ونَفَرٌ قليل من غَسّان وبَرَاء، وبعضُ التّغالبة. وَهَكَذَا ظَلَّ أغلبُ الْمَسيحِيّينَ فِي أطرافِ الشّامِ الجنوبيَّةِ عَلَى دينِهم عِنْدَ وفاةِ الرّسولِ. ويَنْسَحِبُ هَذَا عَلَى مسيحِيِّي

1 -**في الأدب الجاهلي**، (ط3، مطبعة محمد عبد الرحمن، القاهرة،1933) ص70.

الجنوبِ، حَيْثُ ظلَّ مسيحِيُّو نَجْرَان عَلَى دينِهم، وَكَذَلِكَ كَانَ الأمرُ مَعَ أقسامٍ مِن بنِي ناجيَةَ وكندةَ وحمير. وليس ثَمَّةَ ذِكْرٌ لأيِّ إتصالٍ مَعَ مسيحيّي العِرَاق فِي الفترة النّبَوِيّة. وَقَدْ اعتمد الرّسول فِي دعوة الْمَسِيحِيِّينَ للإِسْلَام أسلوبين؛ حَيْثُ حَمَلَ عَلَى بعضهم عسكريًّا، نحو:" دومة الجندل وأطراف الشّام"، وبعثَ رُسُلَهُ وكُتُبَهُ ومَنْ يحاوِرُ أَوْ يجادِل مسيحيّيَ نَجْرَان. وَقَدْ تراوحتْ مواقفُ الْمَسِيحِيِّينَ الْعَرَبِ بَيْنَ المقاومةِ فِي البدايةِ، ثُمّ الخضوعِ، مثل: "كَلْب ودومة الجندل" وَبَيْنَ التّحالف مَعَ الرّوم ضد الْمُسْلِمِينَ كَمَا فِي جنوب بلاد الشّام، أَوْ الاستجابة السّريعة للدخول فِي الدّينِ الجديد، نحو: عبد القيس، سادة حِمْيَر، ناجية[1].

مَعَ ذَلِكَ، لَا يُمْكِن الحَدِيثُ عَنْ مُوَاجَهَةٍ كُبْرَى بَيْنَ الإِسْلَامِ والْمَسِيحِيّة، كَمَا حَدَثَ مَعَ قُرَيْشٍ واليَهُود، وفَوْقَ هَذَا، لَيْسَ ثَمَّةَ مَصْدَرٌ يَذْكُرُ أَنّ الْمَسِيحِيِّينَ قَدْ بَادَرُوا بالهُجُومِ عَلَى أيِّ مَوْقِعٍ مِنْ مَوَاقِعِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَمْ تَقَعْ تِلْكَ الحَمْلَةُ، الَّتِي أَعَدَّ لَهَا الرّومُ لمهاجمة الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ سيشارك فِيهَا مسيحيُّون عرب من جنوب بلاد الشّام، قَبْلَ غزوة تبوك. ويبدو أنَّ أسلمةَ الْمَسِيحِيِّينَ الْعَرَب أَوْ عدمها، ارتبطت بأسبابٍ مُخْتَلفة، فَقَدْ أسلمَ بعضُهم حفاظًا عَلَى مصالحِه، مثلُ: سادة حِمْيَر، أَوْ لعدم تعمُّقِ الْمَسِيحِيّة فِي النّفوس حَيْثُ كَانَ دخولُهم فِي الْمَسِيحِيّة حديثًا عِنْدَما أتى الإِسْلَام، نحو: "كَلْب دومة الجندل، عبد القيس فِي البحرين". أَمّا من تعَمّقَتْ الْمَسِيحِيّةُ فِي نفوسِهم فهُم أهلُ نَجْرَان، فَقَدْ بقوا عَلَى دينِهم، رغمَ كُلِّ محاولاتِ الرّسول لاستمالتِهم إلَى الدّين الجديد[2].

نتحصَّل أنَّ النبيّ محمدًا حقّقَ المكاسبَ والانجازات، منذ القرآن المكيّ، وفي السنتين الأوليَيْنِ من الإسلام المدنيّ، قبلَ أنْ يُشَرِّعَ للجهاد: وصايا بالعدل والإحسان والرحمة، ومكارم الأخلاق، والاعترافَ بالديانات المعروفةِ في عصره، كاليهوديَّة والمسيحيَّة والمجوسيَّة والصابئة، بما هُنَّ طريقٌ ممكنٌ للخلاصِ

1 - مُحَمَّد الخزعلي: "المسيحيّة العَرَبِيّة وتطوراتها ". *مجلة التَّسَامُح*، عدد2، سلطنة عمان.

2 - الخزعلي: م.ن.

الروحيّ للمؤمنينَ، والاعترافَ بالحريات الدينيَّة، بل وحتى بحرِّيَةِ الضَّمِير، أي عدَمُ الأخْذِ بأيِّ دِينٍ: {لا إكراه في الدين}(البقرة256)، و {لكم دينكم ولي ديني}(الكافرون6)، و{من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر}(الكهف29)، و{إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون} (المائدة69)، ويعترف لمشركي قريش: {وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين} (سبأ24)؛ قال نبيُّ الإسلام: يا معشرَ قريش، نحنُ المسلمون وأنتم المشركون، قد نكونُ معًا على هُدًى؛ إذنْ دينُ كلٍّ مِنّا يصلحُ طريقاً للخلاصِ الروحيّ[1]. إنَّها مكاسبُ جسَّدَتْ الحريَّةَ الدينيَّةَ، وعزَّزتْ التَجَاذُبَ بينَ الدياناتِ، والقبولَ بالآخرِ، وأفادتْ الإقبالَ على دينِ الإسلام.

مِهْمَا يكنْ من أمْرٍ، إنَّ تجربةَ المدينة كانت قد شكَّلَتْ النمطَ التأصيلي للظاهرة الإسلامية، ونقطةَ بدايتِها، وارتكازَ هُوِيَّةِ الدَّولَة العَرَبِيَّة، حتى أضحتْ نموذجًا للعمل التاريخيّ، وقُدْوَةً تُحْتَذَى مِنْ لَدُنِ أجيالٍ تَلَتْهَا[2].

الحياة الْكَنَسِيّة فِي عصر الرّسالة:

تتجلَّى في دراسةِ الحياةِ الكنسيَّةِ -على عصور زمن البحث- معالمُ الوجود الدينيّ والعباديّ للمَسيحِيّينَ، في ظِلّ حكوماتِ الدَّوْلَة العَرَبِيَّة، وتُؤَشِّرُ حركةُ الرموزِ الكنسِيَّةِ مدَى إقرارِ الْحُرِّيّاتِ الدّينِيَّة، على نحوٍ يُعبِّر عنْ شكلٍ من أشكالِ التواجُدِ في المجتمعِ وعلاقاته. فقد أقرَّتْ الدَّولَة العَرَبِيَّة لغيرِ الْمُسْلِمِينَ اختيارَ رموزِهم الدّينِيَّة، والْمَسيحِيّينَ بِخَاصَّةٍ انتخابَ بطاركتِهم ومطارنتِهم، من الَّذِينَ

1 - العفيف الأخضر:" نسخ الإسلام المكي وعواقبه"، *الحوار المتمدن*-العدد: 4144، 5/ 7/ 2013 .

2 -محمد آركون: **العلمنة والدين الإسلام المسيحية العرب**، (دار الساقي، بيروت، 1996م) ص49.

يضطلعون بمسؤوليتهم الدّينيَّة والدّنيويَّة فِي تنظيم العلاقةِ مَعَ الدّولةِ ومع المُجْتَمَع الإِسْلَاميّ، ومن القادة الرّوحيّين الَّذِينَ لَعِبُوا دورًا فِي قبول دولةِ الإِسْلَام، والتَّكَيّفِ الْمَسِيحِيّ فِي غضونها، ومهدُّوا لأرْساءِ عَلاقَاتِ تَعَايُشٍ وسلام، هُوَ:

- الجاثليق ايشوعياب الجدالي (6- 24هـ/ 628-645م)[1]: انتخب إلَى كرسي الكَنِيسَة الشَّرْقِيَّة فِي المدائن، أواخر الدّولة الفارسيَّة، عصر شيرويه بن كِسْرَى أبرويز، وَكَانَ ايشوعياب عَلَى رأس بعثة رسمية مَسِيحِيّة[2] إلَى هرقل الرّوم، أرسلتها بوران ابنة كِسْرَى، لترطيب الأجواء، وتفعيل الهدنة بَيْنَ فَارِس وبِيْزَنْطة[3].

وبمقتضى مسؤوليته الدّينيَّة الْمَسِيحِيَّة، لَمْ يغبْ التّدبيرُ السِيَاسِيّ لَدَى ايشوعياب، فحين صدح اسمُ الرّسول مُحَمَّد فِي أجواء السّياسة الدّوْلِيَّة، لجأ إلَى تأسيس علاقة طَيِّبَة مَعَهُ، وَبِحَسَبِ المُؤَرِّخ ماري بن سليمان (ق6هـ/12م)[4]: " كَانَ الفطرك ايشوعيب الجذالي"[5] يكاتب صاحب شريعة الإِسْلَام، ويهدي لَهُ، ويسأله الوصاةَ برعيَّته فِي نواحيه، فأجابه إلَى ذَلكَ، وكتب إلَى أصحابه كتبًا بليغةً مؤكّدة، وبَرَّهُ صاحبُ الشّريعةِ- عَلَيْهِ السّلام- ببرٍّ كَانَ فِيهِ عِدَّةٌ من الإبل وثياب عدنيَّة. وتأدَّى ذَلكَ إلَى ملك الفرس، فأنكر عَلَى الفطرك فعله ومكاتبته، وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَ ورود هداياه، فداراه إلَى أنْ سَلِمَ مِنْهُ".

---

1 - توما أسقف المرج: **كتاب الرّؤساء**، تعريب: الاب البير أبونا، (المطبعة العصرية، الموصل، العِرَاق) ص67.

2- من مطارنة الكنيسة الشّرقية هُمْ: قرياقوس مطران نصيبين، وبولس مطران حدياب، وجبرائيل مطران كرخ سلوخ، وايشوعياب الحدياني أسقف نينوى، وسهدونا أسقف ماحوزا اربون. توما المرجي: **كتاب الرّؤساء** ص 67، أبونا: **تاريخ الكنيسة الشّرقية**، 193.

3 - قَالَ توما أسقف المرج: ارسله شيروي لما استوى عَلَى العرش. **كتاب الرّؤساء**، ص67.

4 - ماري: **فطاركة المشرق** ص62-63.

5 - الجاثليق الجدالي. ترجمه: ماري بن سليمان: **فطاركة كرسي المشرق**، ص62، ألبير أبونا: **تاريخ الكنيسة الشّرقية** 189/1، ادي شير، رئيس أساقفة سعرد الكلداني: **كلدو وآثور** 253/2.

أَمَّا الرّسولُ مُحَمَّدٌ فِي نظرِ علماء الكَنِيسَة -بحَسَبِ عيواص: "فَلَمْ يتناول عالم سُرْيانِيّ سيرة مُحَمَّد، الرّسول الْعَرَبِيّ الكريم، إلَّا واعترف بفضلِه وكرم أخلاقه، ومن جملة هَؤلَاءِ العلماء العلامة مار غريغوريوس يوحنا ابن العِبْري مفريان المشرق (ت685هـ/ 1286م)، الَّذِي لخّص ترجمة حياة الرّسول الْعَرَبِيّ الكريم فِي كتابه تاريخ مختصر الدّول، الَّذِي أَلّفه بالْعَرَبِيّة"[1]. وذكر سايروس ابن المقفع أنَّه:" من بعد أيام يسيرة، ثار رجل من العرب، من نواحي القبلة من مكَّة ونواحيها، اسمه محمّد، فردَّ عبّاد الأوثان الى معرفة الله وحده، وأن يقولوا أنّ محمدا رسوله. وكانت أمَّته مختونة بالجسد لا بالناموس، ويصلون الى الجهة القبلية، مشرقين الى موضع يسمونه الكعبة. وملك (محمَّد) دمشق والشام وعبر الأردن وسادها. وكان الرب يخذل جيش الروم قدَّامه لجلِّ أمانتهم الفاسدة والحروم التي حلَّت بهم لجلِّ مجمع خلقدونية من الآباء الأولين"[2].

نخلص إلَى ان الإسلام النبوي تميز بوضع مباني السّياسة للدولة الْعَرَبِيّة الإِسْلَامِيّة، وأَسَّسَ العلاقةَ المُتَوازِنَةَ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ الَّذِينَ عايشَهم الرّسولُ مُحَمَّدٌ فِي مَكّةَ قَبْلَ الإِسْلَامِ، وعرفَهُمْ وخصوصياتِهم الدّينِيَّة والسّلوكِيَّة فِي الإِسْلَامِ، وقدّم الْمَسِيحِيِّينَ عَلَى غيرِهم فِي السّماحةِ والوثاقة، وجعلَ الحوارَ بَيْنَ الأَدْيَانِ من المَقَاصِدِ الكُبْرَى للإِسْلَامِ، عَلَى أَسَاسٍ مِنْ الكَلِمَةِ السَّوَاءِ الَّتِي تُعَبِّرُ عَنْ المُشْتَرَكَاتِ.

1 - البطريرك مار إغناطيوس زكا الأول عيواص:" السّريان والإسلام تاريخ مشترك"، *الموقع الرّسمي لبطريركية أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس*. انظر: **تاريخ مختصر الدول**، ص160 وبعدها.

2 - حسام عيتاني: **الفتوحات العربية في روايات المغلوبين**، ص116، نقلا عن مخطوطة ابن المقفع.

تعميقا للُغَةِ المُعَايَشَةِ مَعَ أهلِ الكتَابِ فِي ظِلِّ الدَّولَةِ العَرَبِيَّة، رَشُحَ مبدَأُ الميثاقِ والمعاهدةِ والصّلحِ الدّائمِ، لضمانِ حقوقِهم فِي الحياةِ، فأنتجَ عقْدَ الذِّمَّة: وَهُوَ إقرارُ غيرِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ فِي دارِ الإِسْلَام[1]، وحمايتُهم من أيِّ عُدْوَانٍ، والدّفاعُ عَنْهُمْ، بشرط بذلِ الْجِزْيَةِ، والتّزامِ الأحكامِ الإِسْلَاميّة. ونطقتْ بمعانيهِ تفسيراتُ اللُغَةِ الْعَرَبِيّةِ، وبحَسَبِ أهلِ اللغة[2]: أهل الذِّمَّة: أهل العقد، والعهد -أَيْضًا-. وَقَالَ أَبُو عبيد[3]: الذِّمَّة: الأَمَان، فِي قول رسول الله: "يسعى بذِمَّتهم أدناهم"[4] أَوْ ينعقد[5]. والذّمة: الضَّمان.

يمنح "أدمون رباط" الفرادة فِي تعامل الدّولة مَعَ رعاياها من غير دين أَوْ إثنيَّةٍ، إلَى دولة الرّسول، فيَقُولُ:" من الممكن، وبدون مبالغة، القول بأنَّ الفكرة الَّتِي أدت إلَى إنتاجِ هَذِهِ السّياسةِ الإنْسَانِيَّة (اللبرالية) إذَا جاز استعمال هَذَا الاصطلاح العصري، إنَّمَا كَانَ ابتكارا عبقريًّا، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ للمرّةِ الأولَى فِي التّاريخ، إنْطَلَقَتْ دولةٌ هِيَ دِينِيَّةٌ فِي مبدئِها، ودِينِيَّةٌ فِي سببِ وجودِها، ودِينِيَّةٌ فِي هدفِها، ألَا وَهُوَ نَشْرُ الإِسْلَامِ من الطُّرُقِ وبالأشْكَالِ المُخْتَلِفَة، إلَى الإقرارِ فِي الوقتِ ذاتِه بأنَّ مِن حَقِّ الشّعوبِ الخاضعةِ لسُلطانِهم أنْ تُحافِظَ عَلَى مُعْتَقَداتِها

1 -البلاد الَّتِي تجري فِيهَا أحكام الإسلام، ويأمن فِيهَا سكانها سواء كَانَ أغلبهم مسلمين أَوْ من غير المُسْلِمين. وتقابلها دار الحرب. عبد الوهاب خلاف (ت 1375هـ): **السّياسة الشّرعية فِي الشّئون الدستورية والخارجية والمالية**، (دار القلم،لا مكان،1988) ص 79.

2 - الجوهري: **الصّحاح تاج اللُغَة وصحاح العَرَبِيّة** 5/ 1926.

3 - القاسم بن سلام: **الأموال**، ص241.

4 - أحمد: **المسند** 11/ 402؛ ابن ماجه: **السّنن** 2/ 895؛ النّسائي: **السّنن الكبرى** 6/ 331؛ الحاكم: **المستدرك عَلَى الصّحيحين** 2/ 153.

5 - عبد الرّزاق الصّنعاني: **المصنف** 5/ 226.

وتقاليدِها وتراثِ حياتِها، وَذَلِكَ فِي زمنٍ كَانَ يُفْضِي المبدَأَ السّائدَ فِي إكراهِ الرّعايَا عَلَى اعتناقِ دينِ ملوكِهم"[1].

1 - محاضرة، مجلة *الصّباح اللبنانية*، عدد31، بتاريخ 31 آذار 1981م، وانظر: مُحَمَّد سعيد رمضان البوصي:" فِي الفهم الاِجْتِمَاعِي والسّياسي المشترك"، *التَّسَامُح العمانية*، ص21.

الفصل الثّالث

العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة فِي عصر الخِلَافَة الرّاشِدة (11- 41هـ/ 632- 661م)

تاريخ الخِلَافَة الرّاشدة:

عِنْدَ وفاة الرّسول مُحَمَّد، دبَّ الإختلاف في ماهيَّة وكيفيَّة الأمر بعده، ومن يتبوأ الخلافة. قالت فئة: إنَّه لم يوصِ لمن يخلفه، واستندوا الى النص القرآني {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} (الشورى38)، ولجأوا الى نظام القبيلة، في كبر السن، والقرب من المشجر النسبي لقريش، وأضافوا له صبغة دينيَّة، كالقدم في الإسلام والعمل فيه[1]. بيد أنَّ فئة ثانية ترى أنَّ وصيَّه وخليفته بعده هو علي بن أبي طالب، ذكره النبيُّ في خطبة الغدير ومواقف عدة[2]. من هنا انقسمَ الْمُسْلِمون فِي المدينة إلَى ثلاث فرق فِي اختيار خليفة لرسول الله، لكل مِنْهَا مُرَشّحُها: الفرقة الاولى من الأنصار أيدوا اختيار سعد بن عبادة الخزرجي، والثّانية من

1 - الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ص17- 28.

2 - أحمد محمود صبحي، **نظرية الإمامة**، ص 22 ـ 24.

المهاجرين[1]، وَقَدْ أجمعوا فِي نهاية الأمر عَلَى اختيار أبي بكر، والثّالثّة تتألّف من الهاشمية وفئة من الأُمَوِيّين بالإضافة إلَى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام، وبعض الانصار[2]، كَانَتْ تميل إلَى اختيار عَلِيّ بن أبي طالب[3]. أَمّا الفرقة الثّالثّة فكانت منشغلة بتجهيز الرّسول وغسله[4]، ومتيقنة ان الخِلَافَة لا تخرج عَنْهَا، فِي حِين إِحْتَدَمَ سِجَالٌ بَيْنَ الأَنْصَارِ والمهاجرين فِي سقيفة بني ساعدة، كَادَ يُفَتّتُ وحدةَ الْمُسْلِمِينَ، لَوْلَا أنْ رجعوا إلَى تقديم بَيْضَةِ الإِسْلَام، والحفاظ عَلَى كيَانِ دولته، فتشاوروا فِي مَنْ ينبغي أنْ يخلفه فِي قيادة الْمُسْلِمِينَ ورعاية أمورهم، وبعد المداولة والمحاجة توافقوا عَلَى عبارة:" مِنَّا الأُمَرَاءُ وَمِنْكُمُ الْوُزَرَاءُ"[5]، وتوصلوا إلَى أنْ يكونَ أَبُو بكر أَوَّلَ خليفة، فبويع لَهُ فِي (20/ ربيع الأول/ 11هـ = 26/ 632/6م)[6].

خلافة ابي بكر (11-13هـ/632-634م)

لم يترسخ الاسلام في أطراف جزيرة العرب، لحداثته هناك، ولسلطة النزعة القبليَّة التي سرعان ما عادت إثْرَ وفاة الرسول محمد، فكانت الردَّةُ أشبه بالإنقلاب على الطاعة نحو المدينة، والإمتناع عن دفع ضريبة الصدقة. فلذا كان

---

1 - كَانُوا ثلاثة: أَبُو بكر، وعمر، وابو عبيدة بن الجراح. الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك** 3/ 202.

2 - الطبري: فَقَالَتِ الأَنْصَارُ- أَوْ بَعْضُ الأَنْصَارِ، لا نُبَايِعُ إِلا عَلِيًّا. **م.ن.**3/ 202.

3 -عبد العزيز الدوري: **مقدمة فِي تاريخ صدر الاسلام** (بيروت، 1960) ص48؛ السّيد عبد العزيز السّالم: **تاريخ الدولة العَرَبِيّة** (دار النّهضة العَرَبِيّة، بيروت، د.ت) ص425.

4 - ابن خلدون، عبد الرّحمن بن مُحَمَّد (ت 808هـ): **ديوان المبتدأ والخبر فِي تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر** (تاريخ ابن خلدون)، (دار الفكر، بيروت 1988) 2/ 487.

5 - **تاريخ الرّسل والملوك** 3/ 202. ولم يستوزر أحد من الانصار طيلة الخِلَافَة الرّاشدة.

6 - انظر: ابن كثير: **البداية والنّهاية** 6/ 301.

يُخْلَعُ الإسلامُ مادَّةُ السلطة المركزية، واللجوء الى النظام القبليَّ، بإسلوب استحداث نبوَّاتٍ، اقربُ ما تكونُ على نسخةِ النبيِّ محمَّد ووحيه، ليُمكنَ لهم الجمعُ بين سلطةِ الدينِ والسياسة. وعليه واجهتْ الخلافةُ الفتيَّة مُعْضِلَةً كادت تكسر شوكة الدولة، لولا أنْ قام أَبُو بكر من أعمال بسَطَتْ لدولة الإسلام نفوذَها، أهمُّها:

- جهّز الجيوش لقتال أهل الرّدة[1] ومانعي الزكاة، والمتنبئين: فمُسَيْلِمَةَ[2] بِأَرْضِ الْيَمَامَةِ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، وطُلَيْحَةَ بْنَ خُوَيْلِدٍ الأَسَدِيَّ ادَّعَى النُّبُوَّةَ بِبِلادِ نَجْدٍ، وتنبَّأتْ سَجَاحُ[3] فِي بني تميم، وَكَانَ الأسودُ بن كعب بن عوف العنسيّ قَدْ تكهن وادعى النّبوة فِي اليمن[4]، وارتدَّت خولان باليمن[5]، وبنو وليعة والأشعث بْن قيس فِي كِندة[6]. وَكَانَ خَالِد بن الوليد أبرز من حقق الانتصارات لجيش الْمُسْلِمِينَ.

- وجَّه أسامة بن زيد فِي حملته إِلَى قُضَاعَةَ وكَلْب، فَارْتَدَّ وَدِيعَةُ الْكَلْبِيُّ فِيمَنْ تَبِعَهُ، وَارْتَدَّ زُمَيْلُ بْنُ قُطْبَةَ الْقَيْنِيُّ، وَارْتَدَّ مُعَاوِيَةُ الْوَالِبِيُّ فِيمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ سَعْدِ

1 - الواقدي: **كتاب الرّدة**، ص: 29؛ **فتوح البلدان**، ص 102.

2 - مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أَبُو ثمامة، متنبئ من المعمرين ولد ونشأ باليمامة، وتلقب فِي الجاهلية بالرّحمن، كَانَ مَعَ وفد حنيفة الَّذِي وفد عَلَى النّبي مُحَمَّد بعد فتح مكة، وأسلم الوفد وتخلّف مسيلمة فِي الرّحال خارج مكة، وَلَمَّا رجع الوفد ادعى مسيلمة النّبوّة، وعظم أمره بعد وفاة النّبي مُحَمَّد، وسار خَالِد ابن الوليد إِلَى بني حنيفة وقضى عَلَى مسيلمة، وقتل سنة 12هـ. **السّيرة النّبوية** 3/ 74، **الرّوض الأنف** 2/ 340، **الكامل فِي التاريخ** 2/ 137.

3 - أم صادر سجاح بنت أوس بْن أسامة بْن العنبر بْن يربوع ابن حنظلة بْن مَالِك بْن زيد مناة بْن تميم، ويقال: هِيَ سجاح بنت الحارث ابن عقفان بْن سويد بْن خَالِد بْن أسامة، تنبأت وتكهنت فأتبعها قوم من بني تميم وقوم من أخوالها بني تغلب ثُمَّ أتت مسيلمة فتزوجته وجعلت دينها ودينه واحدا. **فتوح البلدان**، ص 104.

4 **فتوح البلدان**، ص 109.

5 - م. ن. ص105.

6 - م. ن. ص105.

هُذَيْمٍ[1]، واستنْهَضَ أُسامةُ مَنْ أقامَ عَلَى الإِسْلَام إلَى من رجَعَ عَنْهُ، فخرجوا هِرَابًا حَتَّى أُرْزُؤوا إلَى دومة واجتمعوا إلَى وديعَةَ، فمضى أُسَامَةُ حَتَّى أغار عَلَيْهِمْ، فأصاب فِي بني الضَّبَيْب من جُذام، وَفِي بني حَيلِيل من لَخْم، ولَفَّها من القبيلتين، ثُمَّ انكفأ غانِمًا[2].

- وجَّه خَالِد بن الوليد إلَى العِرَاق، حَتَّى نَزَلَ بِقَرْيَاتٍ مِنَ السّوَادِ، يُقَالُ لَهَا: بَانِقْيَا (النّجف) وَبَارُوسْمَا[3]، فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا[4]، ورؤساؤهم عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ عَمْرِو بْنِ بُقَيْلَةَ، وَإِيَاسُ بْنُ قُبَيْصَةَ الطّائِيُّ[5]، وابْنُ صَلُوبَا[6]. وَأَمّا يوم الولجة[7] فَقَدْ أصاب خَالِد من أصاب من بَكْرِ بنِ وائِل، من نَصاراهُم الَّذِينَ أعانوا أهلَ فَارِسَ، غضَبَ لَهُمْ نَصَارَى قومهم[8]؛ و تجمعت فِي "أُلَيْسَ"[9] فقاتلهم خَالِد وأسراهم، حَتَّى بلغت قتلاهم يوم أَلَيس سبعين ألفا[10]، جلُّهم من "أمغيشيا"[11]. ثُمَّ سَارَ خَالِد إلَى

---

1 - **تاريخ الرّسل والملوك**3/ 243؛ **الكامل فِي التاريخ** 2/ 201.

2 - ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 2/ 52.

3 - بارُوسْما: الواو والسّين ساكنتان: ناحيتان من سواد بغداد يقال لَهُمَا باروسما العليا وباروسما السّفلى من كورة الاستان الأوسط. **معجم البلدان** 1/ 320.

4 - الطبري: **تاريخ الرّسل** 3/ 343

5 - خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص 118.

6 - **الكامل فِي التاريخ** 2/ 234.

7 - الولجة مِمَّا يَلِي كَسْكَرِ مِنَ الْبَرِّ، وَكَانَ بَيْنَ الولجة والقادسية فيض من فيوض الفرات. معجم البلدان 5/ 383؛ ابن عبد الحق البغدادي، (ت 739هـ): **مراصد الاطلاع عَلَى اسماء الامكنة والبقاع** (دار الجيل، بيروت، 1412هـ) 3/ 1444.

8 - الطبري: **تاريخ الرّسل** 3/ 353؛ **المنتظم فِي تاريخ الملوك والأمم** 4/ 102؛،الكلاعي: **الاكتفاء بِمَا تضمنه من مغازي رسول الله والثّلاثة الخلفاء** 2/ 379.

9 - اليس: قرية فِي منتصف الطريق بَيْنَ الحيرة والابله، وَفِيهَا يوم كَانَ أميره خَالِد. **نهاية الأرب فِي معرفة أنساب العرب** ص 81.

10 - الكلاعي: **الاكتفاء بِمَا تضمنه من مغازي رسول الله والثّلاثة الخلفاء**2/ 382.

11 - أمغيشيا: مِصْر (قصر) عَلَى الفرات كالحيرة، لما فرغ خَالِد بن الوليد من وقعة أليس، نهض

الأَنْبَارِ فَصَالَحُوهُ وَوَجَّهَ الْمُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيَّ إِلَى سُوقِ بَغْدَادَ فَأَغَارَ عَلَيْهَا[1]، وَكَانَ جيش الإِسْلَام قَدْ فتح بلاد العِرَاق من أطرافها[2].

- استعدَّ لغزو بلاد الرّوم، بجمع الصّحابة وشاورهم فِي ذَلِكَ، وعقد الألوية، وجعل "أبا عُبَيْدَة بن الجراح" أميرا عَلَى الجيوش، فِي (صفر13/2هـ= أبريل634/4م) وأمّر الأمراء وبعثهم إِلَى فلسطين والأردن ودمشق[3]، ثُمّ أردفهم بخالدّ من العِرَاق، وَقَدْ التّقى الْمُسْلِمون والرّوم فِي سلسلة حامية من المعارك، مثل إجنادين[4] و مرج الصّفر[5]، حقق الْمُسْلِمون فِيهَا انتصارات. وَفِي العِرَاق أبقى المثنى الشّيباني عَلَى القيادة، وخِلَالَها توفي الخليفة أَبُو بكر فِي (23/جمادي الثّانية6/ 13هـ = 634/9/5م).

خلافة عمر بن الخطّاب (13- 23هـ/ 634- 644م):

إستخلفه أَبُو بكر فِي مرضه[6]، وسار عَلَى نهج سلفه فِي الْفُتُوح، فعلى جبهة الشّام عزل خَالِد بن الوليد عَنْ القيادة وعيَّن أبا عُبَيْدَة بن الجراح، وعلى جبهة العِرَاق أعاد تنظيم الجيش وعين أَبَا عُبَيْدِ بْنَ مَسْعُودٍ الثّقَفِيَّ قائدا، وَقَدْ قُتِل فِي معركة الجسر[7]، وَفِي سنة (14هـ/ 635م) فُتِحَتْ حِمْصُ و بَعَلْبَكُ صُلْحًا، وتمّ

فأتى أمغيشيا، وَقَدْ أعجلهم عما فِيهَا، وتفرقوا فِي السّواد، فأمر بهدمها وهدم كل شيء كَانَ فِي حيزها. ياقوت: معجم البلدان 1/ 254؛ الحِميرى، مُحَمَّد بن عبد الله (ت 900هـ) **الرّوض المعطار فِي خبر الأقطار**، (مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت 1980) ص 31.

1 - خليفة بن خياط: **التاريخ**، ص 118.

2 - الطبري: **تاريخ الرّسل** 415/2.

3 - **فتوح البلدان**، ص112.

4 - الواقدي: م.ن. 1/ 60 وبعدها.

5 - خليفة بن خياط: **م. س**، ص120.

6 - الطبري: **م. س.** 3/ 343 وما بعدها؛ ابن كثير: **البداية والنّهاية** 6/ 343؛ السّيوطي:**تاريخ الخلفاء** 67.

7 - خليفة بن خياط: **م.س.** ص124-125.

فتح دِمَشْقَ مَا بَيْنَ صُلْحٍ وعَنْوَةٍ[1]، وفُتِحَتْ الأبلّةُ عَنْوَةً، ومُصِّرَتْ البَصْرَةُ[2]. ووَجّهَ سعْدُ بن أبي وقّاص بالجيوش إلَى العِرَاق[3].

وَفِي سنة 15هـ/636م، فُتِحَتْ الأردنُ كلُّها عَنْوَةً، إلَّا "طَبَرِيَّةُ"، فإنَّها فُتِحَتْ صُلْحًا. وَفِيهَا كَانَتْ وقعة اليرموك[4]، و وقعة القادسية[5]. وَفِيهَا مَصَّرَ سعدٌ الكوفة[6]، وَفِيهَا فرض عمرُ الفروضَ، ودوّن الدّواوين، وأعطى العطاء بمقتضى السّابقة فِي الإِسْلَام[7].

وَفِي سنة 16هـ/ 637م، فُتِحَتْ الأهوازُ و المدائنُ[8]، وَفِيهَا كَانَتْ وقعة جَلُولاء[9]، وهُزِمَ فِيهَا "يَزْدَجِرْدُ بنِ كِسْرَى" وتَقَهْقَرَ إلَى الرّيّ، وَفِيهَا فُتِحَتْ

1 - خليفة بن خياط: م. ن. ص125؛ الفسوي، يعقوب بن سفيان(ت 277هـ): **المعرفة والتاريخ**، 28/1؛ الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**، 3/ 435.

2 - **فتوح البلدان**، ص337.

3 - قدم العِرَاق فِي ثلاثين الف فارس من بجيلة والنّخع وشيبان وربيعة وأخلاط العرب. **فتوح الشّام**2/170- 172.

4 - **فتوح الشّام** 148 - 208؛ خليفة بن خياط: **التاريخ**، ص130؛ الفسوي: **المعرفة والتاريخ** 3/ 299؛ **فتوح البلدان**، ص 138؛..

5 - قَالَ الْوَاقِدِيُّ: كَانَتْ وَقْعَةُ الْقَادِسِيَّةِ سَنَةَ ستَّ عَشْرَةَ، وَكَانَ بَعْضُ أَهْلِ الْكُوفَةِ ومُحَمَّد بْنُ إِسْحَاقَ يَقُولُ: كَانَتْ سَنَةَ خَمْسَ عَشْرَةَ. قَالَ: وَالثّبْتُ عِنْدَنَا أَنَّهَا كَانَتْ فِي سَنَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ. الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**، 3/ 590؛ وقارن: خليفة بن خياط: **التاريخ**، ص 132؛ ابن حبيب: **المحبر**، ص 14؛ **فتوح البلدان**، ص 256.

6 - الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك** 3/ 598..

7 - الطبري: م. ن.3/ 613؛ ابن الجوزي: **المنتظم** 4/ 194؛ ابن الاثير: **الكامل فِي التاريخ** 2/ 331،

8 - كَانَ فتح المدائن فِي شهر صفر. **فتوح الشّام** 2/ 191؛ **تاريخ الطبري** 4/ 20. وذكرها خليفة بن خياط: فِي سنة خمس عشرة. **تاريخ** ص133.

9 - **فتوح البلدان**، ص 259.

تكريت، وَفِيهَا شهد عمر فتح بيت المقدس، وأقام بِهَا عشرة أيام[1]، وفُتِحَتْ قِنَّسْرين عَنْوَةً، و إيلياءُ و حلبُ و أَنْطَاكِيَةُ و مَنْبِجُ صُلْحًا[2]، وَفِي ربيع الأول من هَذَا العام، كتب التّاريخ الهِجْرِيّ بمشورة الإمام عَلِيّ[3].

وَفِي سنة 18هـ/ 639م، إِنْتَشَرَ طاعونُ عَمَوَاس[4] بِالشّام، مَاتَ فِيهِ: أَبُو عُبَيْدَة بْن الْجراح، و معاذ بْن جبل، وَ يزِيد بْن أَبِي سُفْيَان، و شرحبيل بْن حَسَنَة، و الْحَارث بْن هِشَام بن الْمُغيرَة، وكثير من جند الْمُسْلِمِينَ[5]. وَفِيهَا فُتِحَتْ الرّها و سميساط صُلْحًا، و حَرَّان و نصيبين وَطَوَائِف الجَزِيْرَة عَنْوَةً[6].

وَفِي سنة 19هـ/ 640م، فُتِحَتْ قيسارية عَنْوَةً[7]. وَفِي سنة عشرين فُتِحَتْ مِصْرُ صُلْحًا إِلَّا الإسكندريَّة فعَنْوَةً[8]، وَفِيهَا فُتِحَتْ المغرب عَنْوَةً، وَفِيهَا هلك قيصر

1 - أَبُو زُرعة الدمشقي، (ت281هـ) **تاريخ أبي زُرعة**، (مجمع اللُغَة العَرَبِيّة - دمشق) ص 177؛ المقدسي: المطهر بن طاهر (ت 355هـ): **البدء والتاريخ** (مكتبة الثّقافة الدينية، بور سعيد)5/ 185.

2 - خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص134

3 - **الكامل في التاريخ** 1/ 13؛ السّيوطي: **الشّماريخ في علم التاريخ**، تح: عبد الرّحمن حسن محمود (مكتبة الآداب، القاهرة) ص 14..

4 - عَمَوَاسُ- بِالْفَتْحِ: مِنْ كُوَرِ الرَّمْلَةِ مَدِينَةِ فِلَسْطِينَ أَحَدِ أَجْنَادِ الشَّامِ . المُطَرِّزِيّ، برهان الدين، أَبُو الفتح الخوارزمي (ت 610هـ): **المغرب في ترتيب المعرب** (دار الكتاب العربي، بيروت) ص: 328.

5 - الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**، 4/ 60.

6 - خليفة بن خياط: **التاريخ**، ص 138.

7 - **فتوح الشّام** 2/ 15.:

8 - خليفة بن خياط: م. س.، ص142.

عظيم الرّوم[1]، وَفِيهَا أجلى عمر اليهود عَنْ خيبر إلَى الشّام، والنَّصَارَى عَنْ نَجْرَان إلَى الكوفة[2].

وَفِي سنة 21هـ/ 642م، فُتِحَتْ الإسكندريَّة عَنْوَةً[3]، و نهاوند فِي وقعة مشهورة[4]، وَلَمْ يَكُنْ للأعَاجِمِ بَعْدَهَا جَمَاعَةٌ. وَفِي سنة اثنتين وعشرين فُتِحَتْ أذربيجان عَنْوَةً وقيل صُلْحًا[5]، وَفِيهَا فُتِحَتْ الرّي و جرجان و قزوين و زنجان و طبرستان[6]، و همذان عَنْوَةً[7]، و طَرَابُلُسُ الْغَرْبِ وَ بَرْقَةُ[8]، وَفِي سنة ثلاث وعشرين فُتِحَتْ بقية بلاد الفرس: كِرْمَان، سِجِسْتَان، قُمّ، قَاشان، أصبهان ونواحيها[9]. وكانت أشهر المعارك في الشرق، التي فتّت عَضُدَ الدولة الفارسية، هما معركة القادسية، التي مكنت المسلمين من فتح العراق، ومعركة نهاوند، التي هيّأت لهم فتح بلاد فارس، وسُمِّيَت: "فتح الفتوح"[10].

---

1 - ابن عبد الحكم: **فتوح مِصْر والمغرب** ص 99.:

2 - قدامة بن جعفر: **الخراج وصناعة الكتابة**، ص 259؛ السّيوطي: **تاريخ الخلفاء**، ص 107.

3 - **فتوح الشّام** 2/ 68

4 - خليفة بن خياط: م. س.، ص 147.

5 - قَالَ ابْن إِسْحَاق: فتحت صلحا، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: افتتحت عَنْوَةً. خليفة بن خياط: م. ن.، ص، 151.

6 - ابن الوردي: **تاريخ** 1/ 141.

7 - خليفة بن خياط: م. س.، ص 146؛ البلاذري: **فتوح البلدان**302/1؛ ابن تغري بردى: **النّجوم الزاهرة فِي ملوك مصر والقاهرة** 76/1.

8 - **الكامل فِي التاريخ** 2/ 408.

9- **فتوح البلدان**، ص 304. ويرى غيره: «كرمان» و «سجستان»، فتحا فِي خلافة «عثمان» صلحًا. ابن قتيبة: **المعارف** 568؛ الدينوري: **الأخبار الطوال**، ص140.

10 - البلاذري: **فتوح البلدان**298/1؛ مسكويه: **تجارب الأمم** 1/ 380.

..

دأب الخليفة عمر فِي توظيف كبار الصّحابة عَلَى الاموال والخراج في الأَمْصَار، إِذْ بَعَثَ الى الكوفة عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ عَلَى الصّلاةِ وَالْحَرْبِ، وَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ عَلَى الْقَضَاءِ وَبَيْتِ الْمَالِ، وَبَعَثَ عُثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ عَلَى مِسَاحَةِ الأَرَضِينَ فِي سواد العِرَاق[1]، وبَعَثَ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ عَلَى مَا وَرَاءَ دِجْلَةَ[2].

وَفِي عصره أخذ الاعتماد عَلَى الْمَسِيحِيّينَ فِي وظائف الدّولة المُهِمَّة، ولاسِيَّمَا نشأة الدّواوين فِي الأَمْصَار المفتوحة، وَبِخَاصَّةٍ فِي الشّام، إِذْ دونت باللغة السّرْيانِيّة لغة المُجْتَمَع، نحو: ديوان بيت المال، والعطاء، والجند، ولذا نجد أَنَّ الخليفة عمر استعمل أبا زبيد الطّائي عَلَى صدقات قومه، وَلَمْ يستعملْ نصرانِيًّا غَيْرَهُ[3]. بَيْدَ أَنَّهُ لَمْ يرْضَ لغيره تولية غيرِ الْمُسْلِمِينَ الوظائفَ المُهِمَّة، فَلَمَّا إستقدمَ أبا موسى الأشعري من البصرة، وَكَانَ عاملاً عَلَيْهَا للحساب، دخل عَلَى عُمَرَ، وَهُوَ فِي المسجد، فاستأذن لكاتبه، وَكَانَ نصرانيًّا، فقال لَهُ عُمَرُ: قاتلكَ اللهُ! وضرب بيدِه عَلَى فخذِه، وَلَّيْتَ ذِمِّيًّا عَلَى الْمُسْلِمِينَ[4].

فِي (26/ ذِي الْحِجَّةِ 23/12هـ = 644/11/14م)، طُعِنَ الخليفةُ عُمَرُ بيد أبي لؤلؤة فيروز، مولى المغيرة بن شعبة[5]؛ وَقَدْ ذكر فِي سبب قتله لَهُ، أَنَّهُ جاء إِلَى عمر يشكو من شدة الخراج وكثرته، فقال لَهُ: مَا خراجُك بكثير[6]. وَهَذَا يعني ان

---

1 - أَبُو يوسف: **الخراج**، ص 36، 46.

2 - أَبُو يوسف: م. ن. ص 47؛ الماوردي: **الأحكام السّلطانية**، ص 261.

3 - البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ): **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، (مكتبة الخانجي، القاهرة 1997) 155/2؛ ابن حجر: الإصابة فِي تمييز الصّحابة 7/ 137؛ شيخو: **شعراء النّصرانية** 7/ 15، **النّصرانية وآدابها بَيْنَ عرب الجاهلية**، ص 210.

4 - الطرطوشي (ت 520هـ): **سراج الملوك** ص 136.

5- خليفة بن خياط: **تاريخ** 152؛ ابن شبة: **تاريخ المدينة** 3/ 943؛ **المعارف** 183؛ **تاريخ الرسل**: 4/ 190.

6 - الذهبي: **تاريخ الإسلام** 3/ 277.

نظام العطاء الَّذي فرضه الخليفة عمر عَلَى غير المساواة، بَلْ عَلَى مبادئ: القِدَمُ فِي الإِسْلَام، والقُرْبُ من شجرة الرّسول، قَدْ خلّف مجتمعًا طبقيًّا، فِيهِ الأغنياء من قُرَيْش والصّحابة، والفقراء من الموالي، وهم من شعوب البُلْدَانِ المفتوحة الَّذِينَ دخلوا فِي الإِسْلَام.

ومِنْ ثَمّ تَرْكُ الخِلَافَة شُورَى بَيْنَ ستَّة[1]، وَقَالَ لِـ"صُهَيْبٍ": أَدْخِلْ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ وَالزُّبَيْرَ وَسَعْدًا وَعَبْدَ الرّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ وَطَلْحَةَ...، وَأَحْضِرْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَلا شَيْءَ لَهُ مِنَ الأَمْرِ، وَقُمْ عَلَى رُءُوسِهِمْ، فَإِنِ اجْتَمَعَ خَمْسَةٌ وَرَضُوا رَجُلا وَأَبَى وَاحِدٌ اضْرِبْ رَأْسَهُ بِالسّيْفِ، وَإِنِ اتَّفَقَ أَرْبَعَةٌ فَرَضُوا رَجُلا مِنْهُمْ وَأَبَى اثْنَانِ، فَاضْرِبْ رُءُوسَهُمَا، فَإِنْ رَضِيَ ثَلاثَةٌ رَجُلا مِنْهُمْ، وَثَلاثَةٌ رَجُلا مِنْهُمْ، فَحَكّمُوا عَبْدَ اللَّهِ ابن عُمَرَ، فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ حَكَمَ لَهُ فَلْيَخْتَارُوا رَجُلا مِنْهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَرْضَوْا بِحُكْمِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ[2].

شَعَرَ عَلِيٌّ بالغبن، فقال لِقَوْمٍ كَانُوا مَعَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ: إِنْ أُطِيعَ فِيكُمْ قَوْمُكُمْ لَمْ تُؤَمَّرُوا أَبَدًا...؛ فَسَعْدٌ لا يُخَالِفُ ابْنَ عَمّه عَبْدَ الرّحْمَنِ، وَعَبْدُ الرّحْمَنِ صِهْرُ عُثْمَانَ، لا يَخْتَلِفُونَ، فَيُوَلّيهَا عَبْدُ الرّحْمَنِ عُثْمَانَ، أَوْ يُوَلّيهَا عُثْمَانُ عَبْدَ الرّحْمَنِ، فَلَوْ كَانَ الآخَرَانِ مَعِي لَمْ ينفعانى[3].

خلافة عثمان بن عفان (24- 35هـ/ 644- 656م)

اجتمع أهل الشّورى فِي ضوء وصية عمر بن الخطَّاب، وكشفت محاوراتهم، الَّتِي أدارَها عَبْدُ الرّحْمَنِ بضعةَ أيامٍ، عَنْ خلاف عميق فِي مفهوم إدارة الدولة، أَبَى فيه عليٌّ ابن أبي طالب الخلافة دون التغيير، وقبِلَ عثمان أَنْ

1 - ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (ت 799هـ): **تبصرة الحكام فِي أصول الأقضية ومناهج الأحكام** (مكتبة الكليات الأزهرية، 1986م) 2/ 154.

2 - الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك** 4/ 229.

3 - الطبري: م.ن. ص؛ ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** 2/ 442.

يسير على سيرة الشيخين، فتمخضتْ عنه خليفةً للمُسْلِمِينَ، بُوِيعَ لَهُ فِي المسجدِ، فاستقبلَ بخلافتِه المُحَرَّمَ سنةَ أربع وعشرين[1].

ومنذ الوهلة الأولى تواصلت الْفُتُوحات فِي الرّي وخراسان وأرمينية وَفِي سنة إحدى وثلاثين قتل يزدجرد ملك فَارِسَ[2]. وفُتِحَتْ قبرص، وأفريقيَّة والمغرب والنّوبة والحبشة. وكثر الخراج من جراء ذَلِكَ، وأتى المال من كُلِّ وجه، مِمَّا دعا لان يحظى أقارب الخليفة بالعطاءات الكبيرة، فَأَعْطَى عُثْمَانُ خُمُسَ إِفْرِيقِيَّةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ فِي الْغَزْوَةِ الْأُولَى، وَأَعْطَى مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ خُمُسَ إِفْرِيقِيَّةَ، خمسمائة ألف[3]، فِي الْغَزْوَةِ الثّانِيَةِ الَّتِي افْتُتِحَتْ فِيهَا جَمِيعُ إِفْرِيقِيَّةَ[4].

وَمِمَّا تَمَيَّزَ بِهِ أَنَّهُ آثَرَ أقارِبَهُ بالوِلايةِ، ففي سنة خمس وعشرين عزلَ عثمانُ سعدَ بنِ أبي وقاص عَنْ الكوفة، وولّى عَلَيْهَا الوليدَ بن عقبة بن أبي معيط، أخو عثمان لأمّه. وَفِي سنة ست وعشرين عزلَ عمرو بن العاص عَنْ مِصْرَ، وولّى عَلَيْهَا عبدَ اللهِ بنِ سعد بن أبي سرح[5]، أخا عثمان من الرّضاعة[6]. وَفِي سَنَةُ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ عَزَلَ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ عَنْ الْبَصْرَةِ، وَاسْتَعْمَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ[7]، وَهُوَ ابْنُ خَالِ عُثْمَانَ[8]. مِمَّا جرّت هَذِهِ السّياسة عَلَى الخليفة نقمةَ كثيرٍ من النّاس،

---

1 - الطبري: م.ن. 4/ 242.

2 - الطبري: م. ن.4/293. وفي: الدينوري: سنة ثلاثين للهجرة. **الاخبار الطوال** 139.

3 - ابن عبد البر: **الاستيعاب فِي معرفة الأصحاب** 2/ 828؛ **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب** 18/ 457.

4 **الكامل فِي التاريخ** 2/ 465.

5 - خليفة بن خياط، **تاريخ**، ص 178.؛ ابن عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب**، ص200؛ **فتوح البلدان**، ص220..

6 - ابن قتيبة: **المعارف** 1/ 301؛ الدينوري: **الأخبار الطوال**139.

7 - بْنِ كَرِيزِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ (ت58هـ). ابن حجر: **تهذيب التهذيب** 5/ 272.

8 - ابن الاثير: **الكامل فِي التاريخ** 2/ 472

فتألبوا عَلَيْهِ، وبعثوا إلَيْهِ مِن مِصْرَ والكوفة والبصرة مَن يناظره فِيمَا فعل، وَفِيمَا اعتمدَ من عزلِ كثيرٍ من الصّحابةِ، وتوظيفِ جماعةٍ من بَنِي أُمَيَّة فِي مكانِهم، بَيْدَ أَنَّ عثمان نتهى إلَى إبقاءِ عمّالِه، كُلٍّ عَلَى عملِه، واعتذرَ إلَى أهلِ الأَمْصَار، وَكَانَ لـ"مروان بن الحكم"، مديرِ بيتِ الخِلَافَة، دَوْرٌ فِي زيادةِ نِقْمَةِ النّاسِ وتأجيجِ الفتنة، فعادوا، واجتمعوا عَلَيْهِ من كُلِّ صُوْبٍ، وأحاطوا بِهِ، وحصروه فِي داره[1]، وعَلَى الرّغْمِ مِنْ انتدابِ الصّحابةِ إلَى حلِّ الأزمةِ وإرسالِ أبنائِهم إلَى نُصْرَةِ الخليفةِ، وَبِخَاصَّةٍ الإمام عَلِيٍّ، إلَّا أنَّ الفتنةَ لَمْ تنتهِ إلَّا بقتلِ الخليفة عثمان فِي سنة خمس وَثَلَاثِينَ[2].

كَانَ من مزايا عثمان أَنَّهُ متسامح مَعَ الْمَسِيحِيِّينَ، فَقَدْ تزوج من قبيلة كَلْب، نائِلَةَ بنت الفرافصة، وَهِيَ نصرانيَّةٌ، عَلَى نسائه، وكَلْب كلهم يومئذ نَصَارَى[3]، وَهِيَ الَّتِي وثبت لحظة مقتله، فصاحتْ وألقتْ نفسَها عَلَيْهِ، وأخذتْ السّيفَ بيدها، فتعمَّدَها، فقطعَ أصابعَ يدِها[4]. وَكَانَ أبوها يدخلُ عَلَى صِهْرِه الخليفة، واضعاً صليبَه الذّهبي عَلَى صدره[5]. وربَّما يحضُر إلَى مجلسِه بعضُ النَّصَارَى، مثلُ أبي زبيد الطّائي، إِذْ كَانَ يقرّبُه ويُدني مجلسه؛ لمعرفته بسير من أدركهم من ملوك الْعَرَب والعجم[6]، وَقَدْ يسْتَنْشَدُهُ شَيْئًا من شعره[7].

---

1 - ابن الطقطقي، مُحَمَّد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ): **الفخري فِي الآداب السّلطانية والدول الإس**لاميّة، تح: عبد القادر مُحَمَّد مايو(دار القلم العَرَبِيّ، بيروت 1997) ص 103.

2 - خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص168-178.

3 - البلاذري: **أنساب الأشراف** 5/ 497؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 70/ 38.

4 - ابن الجوزي: **المنتظم فِي تاريخ الملوك والأمم** 365/4، 5/ 55.

5 - حسين أحمد شحادة: فِي ثقافة الغفران والاعتذار، *مجلة الأزمنة*، سوريا 22-06-2012.

6 - ياقوت: **معجم الأدباء** (إرشاد الأريب إلَى معرفة الأديب) (دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، 1993) 3/ 1168.

7 - ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 12/ 321؛ ابن كثير: **البداية والنّهاية** 7/ 248.

خلافة عَلِيّ بن أبي طالب (36- 40هـ/ 656- 661م):

بويع الإمامُ عَلِيّ بن أبى طالب بيعةَ العَامّة فِي مسجد رسول الله، وبايع لَهُ بالمدينة: طلحة، والزّبير، وأهل بدر كافة، وبايع لَهُ أهل البصرة. وَكَانَتْ بيعةً قلقة، إِذْ قامتْ أيام خلافته سلسلةٌ من الفتن والحروب والاضطرابات، ابتدأت بوقعة الجمل، الَّتِي دبَّر لها طلحةُ والزبير وعائشة[1]؛ تلتها وقعةُ صفين، والخصومات الَّتِي قامت بَيْنَ جمهور الْمُسْلِمِينَ ومعاوية، والتّحكيم، وتبعتها فتنةُ الخوارج، ووقعة النَّهروان[2].

جدَّد الإمام عليٌّ المعاهدات الَّتِي أُبرِمَتْ في عهد سابقيه، وأقرَّ للبطريك النسطوري سلطته، وعامل نصارى نَجْرَانِيَّة الكوفة معاملة فضلى، وكان يجالس قساوستهم، ويتباحث معهم، ويتحاور في أمور الدين والدنيا، حتى دخل قسم منهم الإسلام أو كادوا، ثمَّ كتبَ الى عماله باحترام العهود والمواثيق مع المعاهدين، ومن أبرزها عهده الى مالك الأشتر واليه على مصرَ الذي قال فيه: لا تدفعنّ صلحًا دعاك إليه عدوك، لله فيه رضًا، فإنَّ في الصلح دَعَةً لجنودك، وراحةً لهمومك، وأمنًا لبلادك... وإنْ عقدت بينك وبين عدوك عقدةً، أو ألبسته منك ذمّةً، فحُطْ عهدَك بالوفاء، وارعَ ذمّتَك بالأمانة، واجعل نفسَك جنّةً دون ما أعطيت، فإنه ليس من فرائض الله شيءٌ، الناس أشدُّ عليه اجتماعًا مع تفرّق أهوائهم، وتشتيت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود، ... فلا تغدرنّ بذمّتك، ولا تخيسنّ بعهدك، ولا تختلنّ عدوّك، فإنَّه لا يجترىء على الله إلا جاهل شقيّ. وقد جعل الله عهدَه وذمّته أمنًا قضاه بين العباد برحمته، وحرمًا يسكنون إلى منعَتِه، ويستفيضون إلى جوارِه، فلا إدغالَ ولا مخالسة ولا خداع

1 - ومروان بن الحكم، وعبد الله ابن عامر بن كريز، ويعلى بن منبّه- عامل اليمن- فلما تتامّوا بمكة تشاوروا فِيمَا يريدون من الطلب بدم «عثمان»، فتوجهوا إِلَى البصرة. فحبسوا عثمان بن حنيف الوالي، وقتلوا خمسين رجلا وأحدثوا أحداثا. **المعارف**، 105.

2 - ابن قتيبة: **المعارف** 105؛ ابن كثير: **البداية والنّهاية** 7/ 234 وما بعد.

فيه[1]. هذا هو منطق الإسلام النبوي في مجال احترام الأحلاف، والذي يحقق السلم والتعايش في أهم مبادئ العلاقات الاجتماعية.

لَمْ يواصل الإمام ظاهرة الْفُتُوح الَّتِي أتتْ أُكُلَها فِي عهد سلفه، فِي إثبات الذّات الإِسْلَاميّة فِي بؤرة الصّراع الحضاري، وإثبات الوجود فِي المناخ الدّولي، بَعْدَ ازاحة دولة فَارِسَ عَنْ الخَارِطَة السِّيَاسِيَّة، ولاسِيَّمَا بَعْدَ مقتل كِسْرَى، وانتهاء مقاومة فُلُولِه سنة (32هـ/644م)، والانتهاء بِبِيْزَنْطَة إِلَى قسطنطينة، مِنْ بَعْدِ أَنْ اقتطعتْ مِنْهَا أطرافَها الثّمينة. فِي حِين ظلّ يعالج الاضطرابات والفتن الدّاخلية، تَارَةً بالحوار والاقناع، وَأُخْرَى بالسّيف.

لَمْ يدْرُجْ لَنَا أَهْلُ الأَخْبَارِ لَهُ احتكاكًا عسكرِيًّا مَعَ أهلِ الذِّمَّة، سِوَى حادثةِ بعضٍ من بَنِي ناجيةَ سنة (38هـ/ 658م)، إتَبَعُوا الخريت بن راشد، شَهِدوا مَعَ عَلِيّ الجملَ وصفينَ، ثُمّ خرجوا بَعْدَ التّحكيمِ، وحاولَ الإمامُ عَلِيّ إقناعَهم فَلَمْ يُجيبوا[2]، فنزلَ النّاجيُّ جانبًا مِن الأهوازِ، واجتمعَ إلَيْهِ من أهلِها كثيرٌ، أرادوا كَسْرَ الخراجِ، ومَنْعَ الصّدقةِ، وَكَانَ فِيهِمْ نَصَارَى قَدْ أسلموا، فرجعوا إِلَى دينِهم، وقَوْمٌ نَصَارَى ثَبَتوا عَلَى دينِهم، ولُصُوصٌ كثيرةٌ، وطائفةٌ أُخْرَى من الْعَرَب تَرَى رأْيَهُ، فانْتَفَضوا هُنَاكَ، ثُمّ أَخْرَجُوا سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ عَامِلَ عَلِيٍّ عَلَى فَارِسَ، فارسلَ لَهُمْ الإمامُ عَلِيٌّ كتابًا[3] مَعَ معقل بن قيس قائد جيشه،

---

1 - **نهج البلاغة** ص441؛ ابن حمدون، البغدادي (ت 562هـ): **التذكرة الحمدونية** 1/ 326.

2 - الطبري: **تاريخ الرّسل** 112/5 وبعدها؛ **الكامل في التاريخ** 2/ 714 وبعدها.

3 - بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عَبْد اللَّه علي أَمِير الْمُؤْمِنِينَ إِلَى من يقرأ عَلَيْهِ كتابي هَذَا من الْمُؤْمِنِينَ والمسلمين، والنّصارى والمرتدين سلام عَلَيْكُمْ وعلى من اتبع الهدى وآمن بِاللَّهِ ورسوله وكتابه والبعث بعد الموت وأوفى بعهد اللَّه ولم يكن من الخائنين أَمَّا بَعْدُ، فإني أدعوكم إِلَى كتاب اللَّه، وسنة نبيه، والعمل بالحق، وبما أمر اللَّه فِي الكتاب، فمن رجع إِلَى أهله مِنْكُمْ وكف يده واعتزل هَذَا الهالك الحارب الَّذِي جَاءَ يحارب اللَّه ورسوله والمسلمين، وسعى فِي الأرض فسادا، فله

الَّذِي قَالَ لَهُ:" لا تبغ عَلَى أهل القبلة، ولا تظلم أهل الذِّمَّة"[1]، فعاد قسم مِنْهُمْ إلَى رشده، وقاتل الباقين حَتَّى تشتتت فلولهم[2].

عامل الإمامُ عَلِيٌّ الخوارجَ عَلَى أَنَّهُمْ مخالفون فِكْرِيّا، ومعارِضون سِيَاسِيّون، وأبقاهم فِي الكوفة مَا داموا لَمْ يخالفوا نظام الدّولة وهيبتها، وَهُوَ يحاورهم بَيْنَ الحين والآخر، إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَهْدَأْ لَهُمْ بَالٌ، وَلَمْ تَنْتَهِ مِحْنَتُهُم إلّا بِكَيْدِهِم فِي مَقْتَلِ عَلِيّ عَلَى يَدِ ابْنِ مُلْجِم. وَلَمَّا إشْتَدَّ بِهِ الوجعُ، طلبوا مِنْهُ أَنْ يُوصِي لِمَنْ بَعْدِه، وَقَالُوا:" إنْ فَقَدْنَاكَ، يَا أَمِيرَ المؤمنين، فَلَا نَفْقِدُكَ إنْ نُبَايِعْ الحَسَنَ، فقال: لا آمُرُكُمْ وَلَا أَنْهَاكُمْ. فعادوا القول، فقال: كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَبْصَرُ"[3]. وتوفي فِي (21/ رمضان 40/9هـ= 661/2/9م).

خلافة الحسن بن عَلِيّ: (40-41هـ/ 661م)

بويع الحسن بْن عَلِيّ الخِلَافَة فِي الكوفة، لسبع بقين من شهر رمضان سنة (40هـ/661م)، أقرّ فِيهَا عُمَّال أَبِيه، وأقام فِيهَا سَبْعَة أشهر وَسَبْعَة أَيَّام[4]، ثُمَّ صالح معاوية فِي شهر ربيع الأول سنة 41[5]، وترك الأمرَ لمعاوية عَلَى أَنْ يكونَ بَعْدَهُ عَلَى الأمر، وذهب الحسن إلَى المدينة، حَتَّى تُوُفِّيَ مسمومًا سنة خمسين[6].

الأمان عَلَى ماله ودمه، ومن تابعه عَلَى حربنا والخروج من طاعتنا، استعنا بِاللَّهِ عَلَيْهِ، وجعلنا اللَّه بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، وكفى بِاللَّهِ نصيرا!. الطبري: م. ن. 5/ 126.

1 - الثّقفي، إِبْرَاهِيم بن مُحَمَّد: **الغارات** 351/1.

2 - الطبري: م. س.5/ 122- 130.

3- القاضى عبد الجبار: **تثبيت دلائل النّبوة** 1/ 293؛ ابن كثير: **البداية والنّهاية** 7/ 362.

4 - خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص 203؛ وقيل: كَانَتْ خلافة الحسن خمسة أشهر ونصف، وقيل: ستة أشهر. المسعودي: **التنبيه والإشراف** (دار الصّاوي، القاهرة) 1/ 260؛ **الكامل فِي التاريخ** 3/ 7؛ المقريزي: **إمتاع الأسماع** 5/ 359.

5 - **التنبيه والإشراف** 1/ 260.

6 - البلاذري: **أنساب الأشراف** 3/ 60؛ المقدسي: **البدء والتاريخ** 6/ 5.

إنْتَهَى عصرُ الخِلَافَة الرّاشدة، وَكَانَ أمدُه ثلاثين عاما، وَكَانَ إختيارُ الخليفةِ يقومُ - فِي الغالب- عَلَى الإنتخابِ، ففي الأُولى إنْتَخَبَ أُثْنَان ثالثًا، فرَشَحَ أَبُو بكر خليفةً، وبايعهُ النّاسُ. والثّانيةُ قامتْ عَلَى تعيينِ أبِي بكرٍ عُمَرَ خليفةً، وبايعه النّاس. والثّالثّة رَشَحَ، من مشاورةِ ستّةٍ مِنْ أهْلِ العقْدِ والحَلِّ، عثمانُ خليفةَ، والرّابعة بانتخابِ أهلِ بَدْرٍ والنّاسِ عَامّةٍ عَلِيًّا خَليفةً، والخامسة بانتخابِ أهلِ الكوفةِ الحسنَ خليفةً.

ويرى "ديورانت"[1] أن الحكومة الإِسْلَاميّة، فِي الثّلاثين السّنة الَّتِي تلت وفاة النّبيّ، كَانَتْ جمهورية ديمقراطية من الوجهة النّظرية، بالمعنى الَّذِي كَانَ مفهوماً من هَذِهِ العبارة فِي الزمن القديم، وَهُوَ أنْ يشترك جميعُ الذّكور الرّاشدين فِي اختيار رأس الدّولة وتحديد سياستها. أَمّا من النّاحية العَمَلِيَّة فَقَدْ كَانَ الَّذِينَ يختارون أمير المؤمنين، ويرسمون سياسة الدّولة، فِئَةٌ قليلةٌ من أعيان المدينة. وَلَمْ يكُنْ يُنْتَظَرُ شيءٌ غير هَذَا بطبيعة الحال، ذَلِكَ أن النّاس يختلفون فِي ذكائهم وَفِي ضمائرهم، ولهذا فإن الدّيمُقراطيَّة فِي أحسن صورها لا بد أن تكون نسبيّة، ولا محيصَ من أنْ تنشأ صورة مَا من صور الأَلجاركِيَّة فِي المُجْتَمَعات، الَّتِي لا تتيسر فِيهَا سُبُل الاتصال، والتي تقلُّ فِيهَا نِسْبَةُ المتعلمين.

1 - **قصة الحضارة** 13/ 145.

الفتوح الإسلامية و وَضْع الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة

قُبيل الفتح الْعَرَبِيّ لبلاد الشّام والشّرق الأوسط كَانَتْ الكَنِيسَة السّرْيانِيّة، ومثلها الكَنِيسَة النَّسْطُورِيّةَ، قَدْ أصبحت كَنِيسَة غير قانونية، وبات كهنوتها غير مشروع. كَانَ البِطْرِيَرك اليُونانِيّ أَوْ الملكي، بِطْرِيك الأرثوذكس فِي أَنْطَاكِيَةَ، الوحيد الَّذِي وافق عَلَيْهِ الإِمْبِرَاطُور البِيْزَنْطي، وَكَانَ المطارنة ورجال الدّين الخلقدونيون التّابعون للإِمْبِرَاطُور وحدهم الَّذِينَ أجازت لَهُمْ الدّولة بالعمل. أَمّا النَّسَاطِرَة فكانوا قَدْ اختفوا وراء الحدود البِيْزَنْطيَّة، وعاشوا فِي أمان داخل بلاد فَارِسَ، بعيدًا عَنْ الإضطهاد البِيْزَنْطي، ومن ناحية أُخْرَى، تعرّض

السّريان الأرثوذكس الَّذِينَ كَانُوا الأغلبية فِي سُورِيَةَ إِلَى اضطهاد شديد، مما اضطرّهم إِلَى العمل سرّاً[1].

مَعَ قدوم الْعَرَب تغيّرت الصّورة عَلَى نحوٍ كامل. لَمْ يعرف أتباع الرّسول مُحَمَّد، فِي العقود الأولى، إلاّ القليل عَنْ الاختلاف بَيْنَ عَنْ الطّوائف الْمَسِيحِيّة، ولو عرفوهم "بأهل الكتاب"، ووعدوهم بالحماية والعيش بأمان مَا داموا لا يتدخّلون فِي الإِسْلَام وجيوشه الفاتحة، وما داموا يدفعون الْجِزْيَة. ولما رفض اليهود والمسيحيون في النهاية اعتناق الإسلام قد أدَّى بمكانتهم الاجتماعية في المجتمع الإسلامي أن تبقى دائما في وضع متغير. ذمتهم مشروطة بدفع الجزية، وقبول وضع ثانوي في المجتمع الإسلاميّ. ومع هذا، بحسب"فيرستون Firestone[2]: فإن وضع الأقليات الدينية المحمية (الذميين) كان بالتأكيد مُرضيًا، إنْ لم يكن أفضل من وضع الأقليات الدينية في أي نظام ديني أو سياسي معاصر لذلك الزمن. وهذا ما يوضح لنا كيف ازدهرت الحياة اليهوديّة والمسيحيّة في كثير من مناطق العالم الإسلامي.

كَانَتْ مصلحةُ الدّولة الجديدة فِي المقاطعات الْمَسِيحِيّة، الَّتِي احتلّها الْمُسْلِمون حديثاً، محصورةً بالتّعَايُشِ السّلميّ مَعَ أهل الذِّمَّة، وبجباية نوعين من الضَّرائب: الضَّريبة الأولى وَهِيَ الخراج، أَوْ ضريبة الأرض، ولقد فُرضت بالتّساوي عَلَى الْمَسِيحِيّ والمسلم دُونَ تمييز. والضَّريبة الثّانية وَهِيَ الْجِزْيَة، أَوْ ضريبة محدودة يدفعها الفرد، ولقد فُرضت هَذِهِ عَلَى البالغين من الْمَسِيحِيّينَ فقط، وقُدّرت قيمتها بدينار واحد يُدفع عَنْ الشّخص الواحد بدلاً من الخدمة العَسْكَرِيّة. ولقد عُدّلت ضريبة الْجِزْيَة لاحقاً لتتطابق مَعَ وضع الفرد الشّرعي،

1 - عزيز عطية: "السّريان فِي التاريخ، تَحْتَ سيطرة الخلفـاء"، ترجمة حنا عيسى توما، الباب الرّابع،26 ص، *مجلة دراسات سريانية* Syriac Studies..2008 - 4 -10

2 - ذرية ابراهيم، ص49.

فانحصرت فِي الأفراد العاملين، واستثني مِنْهَا النّساء والأطفال والقساوسة والرّهبان والشّيوخ. وبذلك، أصبح الْمَسِيحِيّون اليَعَاقِبَة والنَّسَاطِرَة والأرثوذكس شعباً واحداً يَتَمَتّع بالامتياز نفسه، ويخضع للضريبة ذاتها دُونَ تمييز[1].

أحرز اليَعَاقِبَة تَحْتَ إمرة الإِسْلَام حقوقاً دِينِيَّة لَمْ يعرفوها فِي أثناء وجودهم مَعَ البِيزَنْطيين شركائهم فِي الدّين. وتميّزت سِجِلاّت الإِسْلَام التّاريخيّة المبكّرة بروح التَّسَامُح والشّعور السّويّ بالعَدَالة، ورافَقَ هَذَا الإحساس تلهُّفُ الْعَرَب إلَى الإستفادة من الثّقافة والعلوم المُتَقَدّمة عِنْدَ الشّعوب القديمة، الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ سيطرتهم بغضّ النّظر عَنْ الاختلاف فِي الأَدْيَان. وَهَذَا الموقف السّليم يفسّر المكانة العالية، الَّتِي احتلّها اليَعَاقِبَة والنَّسَاطِرَة فِي بلاط الخلفاء [2].

بدأ غزو الْعَرَب الْمُسْلِمِينَ لبلاد الشّام سنة 13هـ/ 634م، أي بَعْدَ غزوة الفرس للمنطقة بعشرين سنة، إِذْ تضعضعت أركانها وتبددت أحوالها، ولَمْ تسترجع قواها بَعْدُ من شدّة الضَّربة المؤلمة الَّتِي ذاقتها من الفرس. وَكَانَ سكان البلاد يتدينون بالْمَسِيحِيّة مَا خَلَا أقليات يَهُودِيَّة ووَثَنِيّة. وَأَمّا من جهة اللُغَة فكانوا يقسمون إلَى ثلاثة أقسام: سكانُ السّواحلِ أغلبُهم كَانُوا يتكلمونَ اللُغَةَ اليُونانِيّةَ، وسكانُ الجنوبِ والشّرقِ مِمّا يَلِي الباديةَ كَانُوا يتكلمونَ الْعَرَبِيّةَ. وأهلُ الشّمالِ مَعَ سكانِ أواسطِ البلادِ كَانُوا يتكلمونَ الآراميةِ[3].

فِي فتوح الشّام ومَصْر[4] كَانَتْ أول وقعة واقعها الْمُسْلِمون الرّوم فِي خِلَافَة أَبِي بكر أرض فلسطين، وعلى النّاس عَمْرو بن العاص، ففتح غزة، ثُمّ فتح بَعْدَ

1 - عزيز عطية: م. س. ص27.

2 - عزيز عطية: م. ن، ص27.

3 - نقولا الخوري، الأب:" أصل المسيحيّين فِي سوريا وفلسطين مِنْذُ فجر التاريخ حَتَّى الفتح العَرَبِيّ"، *دراسات سريانية* 14، أغسطس 2012، ص160.

4 - البلاذري: **فتوح البلدان** ص 140؛ الأزدي مُحَمَّد بن عبد الله: **فتوح الشّام**،تح: وليم ناسوليس

ذَلِكَ سبسطية[1] ونابلس عَلَى أنْ أعطاهم الأَمَان عَلَى أنفسهم وأموالهم ومنازلهم، وعَلَى أَنَّ الْجِزْيَة عَلَى رقابهم والخراج عَلَى أرضهم، ثُمَّ فتح مدينة لِدّ وارضها، ثُمَّ فتح يُبنى[2] وعمواس وبيت جبرين[3]، واتخذ بِهَا ضيعة تدعى عجلان، باسم مولى لَهُ، وفتح يافا، وفتح رفح عَلَى مثل ذَلِكَ.

وقدم عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَة بَعْدَ أَنْ فتح قِنَّسْرين ونواحيها وَذَلِكَ فِي سنة ست عشرة وَهُوَ محاصر إيلياء، وإيلياء مدينة بيت المقدس، فيُقال: إنَّه وجَّهَهُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ من إيلياء، وَقَدْ غدر أهلها ففتحها، ثُمَّ عاد فأقام يومين أَوْ ثلاثة، ثُمَّ طلب أهل إيلياء من أَبِي عُبَيْدَة الأَمَان والصّلح، عَلَى مثل مَا صولح عَلَيْهِ أهل مدن الشّام، من أداء الْجِزْيَة والخراج والدّخول فِيمَا دخل فِيهِ نظراؤهم، عَلَى أنْ يكون المتولى للعقد لَهُمْ عُمَر بن الخطَّاب نفسه، فكتب أَبُو عُبَيْدَة إِلَى عُمَر بِذَلِكَ، فقدم عُمَر، فنزل الجابية من دِمَشْقَ، ثُمَّ صار إِلَى إيلياء، فأنفذ صلح أهلها وكتب لَهُمْ بِهِ، وَكَانَ فَتْحُ إيلياء فِي سنة سبع عشرة[4].

فِي الشّام ومَصْر كَانَتْ الْفُتُوح مُسْتَمِرَّةً والحرب مُسْتَعِرَةً، مَعَ ذَلِكَ ثَمَّةَ قِيَمٌ وأَخْلَاقٌ لَمْ تُعْدَمْ، ولها دور فِي ادامة العَلاقَات الإِسْلَامِيّة الْمَسِيحِيَّة، وَلَمَّا فتح الْعَرَب بلْبِيس مِصْرَ، أخذت أرمانوسة ابنة الملك المُقَوْقَس، أسيرةً، وَكَانَ قسْطنطين بن هرقل قَدْ تزوج بارْمَانوسة؛ بَيْدَ أَنَّ القائد الْعَرَبِيّ عمرو بن العاص

1الأيرلاندي (مطبعة بتسن مشن، كلكتا، 1854)ص73؛ ابن شداد: **الأعلاق الخطيرة فِي ذكر أمراء الشّام والجزيرة**، ص 401.

[1] سَبَسْطِيَةُ: بلدة من نواحي فلسطين، وبها قبر زكرياء ويحيى بن زكرياء، وهي من أعمال نابلس. ياقوت: **معجم البلدان** 184/3.

[2] يُبْنَى: بليد قرب الرملة . ياقوت: م.ن. 5/ 428.

[3] بَيتُ جِبْرِينَ: بليد بين بيت المقدس وغزّة، وبينه وبين القدس مرحلتان، وبين غزّة أقلّ من ذلك. ياقوت: م.ن. 1/ 519.

4 - **فتوح البلدان**، ص 140.

بعث بِهَا مكرمة الجانب معزَّزة الخاطر مَعَ جميع مَا معها مَعَ قيس بن سعد إِلَى أبيها فِي مدينة مَنْف، اكراما لَهُ، لِأَنَّهُ كاتب رسول الله وبعث هدية لَهُ[1]، وعدَّ المُقَوْقَس هَذِه الفعلة جميلا ومكرَمَةً من الْمُسْلِمِينَ، أودعها فِي ميزان العَلاقَات الرّابحة، مِمَّا سَجَّلها بعض مُؤَرِّخي الكَنِيسَة[2] تدعيما للصلات والعَلاقَات السّريَّة مَعَ زعماء الْعَرَب، إِذْ عُدَّت من دواعي تواطُؤ المُقَوْقَس مَعَ الْعَرَب عَلَى قومِه الرّومان.

ومِهْمَا يَكُنْ من عَلاقَات، وَكَيْفَ فُهِمَتْ، فأنّها أدَّت تاليًا إِلَى إقرارِ الصّلْح بَيْنَ المُقَوْقَسِ والمُسْلِمِينَ بوثيقةٍ مَفَادُها أَنْ يُعْطَى الأَمَانُ للأَقْبَاطِ، ومَنْ أرادَ البَقَاءَ بمِصْرَ مِن الرّومِ، عَلَى أنفسِهم وأموالِهم وكَنَائِسِهم. وَفِي ضوءِ الصّلْحِ تَنَامَتْ العَلاقَاتُ بَيْنَ الْمَسِيحِيِّينَ والفاتحينَ الْمُسْلِمِينَ، إِذْ" تقدمُوا إِلَيْهِ وطلبُوا أَنْ يمنحَهم حرّيتَهم الدّينِيَّةَ، ويأمُرَ برجوعِ بِطْرِيكِهِمْ مِن مَنْفَاهُ، فأجابَ عمرو طَلَبَهم، وأظهرَ مَيْلَهُ للأَقْبَاطِ، فازْدَادَ هَؤلَاءِ ثِقَةً بِهِ ومالُوا إِلَيْهِ، بِخَاصَّةٍ لَمَّا رَأَوْهُ يفتحُ لَهُمْ الصّدورَ، ويُبِيحُ لَهُمْ إقامَةَ الكَنَائِسِ والمعابِدِ وَسطَ الفسطاطِ، الَّذِي بَنَاهُ بمساعدةِ الأَقْبَاطِ وجعلَهُ عاصمةَ الدّيارِ المِصْرِيَّةِ، عَلَى حِينِ أَنَّهُ لَمْ يكنْ للمُسْلِمِينَ معبدٌ، فكانوا يُصَلّونَ ويَخْطبونَ فِي الخلاء"[3].

أحوال الْمَسِيحِيِّينَ بَعْدَ الْفُتُوح:

1 - الواقدي: **فتوح الشّام** 2/ 40- 44؛ المقريزي: **الخطط** 339/1؛ وقارن: القمص: **تاريخ الكنيسة القبطية**، ص 401.

2 القمص: **تاريخ الكنيسة القبطية** ص 400- 401.

3 - القمص: م. ن. ص 402.

أشار مُؤَرِّخو السّريان إلَى أنَّ الْمَسِيحِيِّينَ حبَّذوا حكمَ الْعَرَب، وأنَّ الجاثليق ايشوعيهب الجذالي بَذَلَ قُصَارَى جهدِه لِكيْ يُظْهِرَ الولاءَ للفاتحين[1]، ويقال: أنَّ أميرًا نَجْرَانيًّا مسيحيًّا تَوَسَّطَ بَيْنَ مذهبِه، ونالَ من الْمُسْلِمِينَ عهدًا، يكفل لَهُمْ حسن المعاملة[2]، ونقل عَنْ تاريخ كويدي، مَا يدلُّ عَلَى عدم تعاون الجاثليق مَعَ الفاتحين، أَوْ تَقَبُّلِه الأَمْرَ على مَضَضٍ، قوله: "حينما رآى الجاثليق أيشوعياب أنَّ الْعَرَبَ قَدْ احتلوا ونهبوا ماحوزي (المدائن)، وأنّ أبوابَها قَدْ نُقِلَتْ إلَى العاقولاء (الكوفة)، فرَّ إلَى كرخ سلوخ (كركوك) تَجَنُّبًا للمَجَاعَة"[3]. أَمَّا "ماروثا" مطرافوليط[4] المشرق الَّذِي كَانَ فِي تكريت إبّانَ الفتح الإِسْلَاميّ، فَقَدْ فتح أمام الْمُسْلِمِينَ أبواب قلعة المدينة، تَجَنُّبًا لوقوع المجازرِ الدّمويَّةِ فِيهَا، إنْ هِيَ فُتِحَتْ عَنْوَةً[5].

استطاع النساطرة إيجاد مشتركات مع المسلمين، وبادروا الى بناء علاقات معهم منذ عصر الإسلام النبوي، عن طريق نَجْرَان وتبادل الهدايا، إذ سأل إيشوعياب الثاني النبيَّ "الإحسان الى النصارى"، محاولا التوصُّل الى تساهل في دفع الجزية[6]. ولعلهم بعد الفتح العربي حاولوا حصاد خيرات عميمة ونتائج طيبة

---

1 - ماري سليمان: **فطاركة المشرق** ص ٦٢، صليبا بن يوحنان: **أخبار بطاركة كرسي المشرق**[المجدل]، (روما،1896) ص ٥٤-55، ابن العبري، **التاريخ الْكَنَسِيّ**2/ ١١٥؛ ألبير أبونا: **الكنيسة السّريانية الشّرقية**، ص198

2 - ألبير أبونا: م. ن. ص198 نقلا عَنْ التاريخ السّعردي 281/2

3 - ألبير أبونا: م.ن، ص198.

4 - المطرافوليط: رئيس أساقفة، يكون عَلَى رأس كل مقاطعة كنسية كبرى مطرافوليط، ينتخبه الشّعب، وينال الرّسامة من بد اليطريك (الجاثليق). "تاريخ كنيسة المشرق "- الجزء 13 (تركيبة كنيسة).

5 - ابن العبري: **التاريخ الْكَنَسِيّ** 125/2

6 -دوسلييه: **مسيحيو الشرق**، ص 127، نقلا عن التاريخ السعردي، V111,p.o، ص619 وما بعدها.

في العلاقات. فإنَّ النساطرة -بحسب "دوسلييه"-[1] "يقولون: إنَّ المسلمين عاشوا على وفاقٍ تامٍّ معهم نظرا لقربهم العقيدي من المَسِيحِيِّينَ"، وعندما كثر المسلمون وسكنوا مدن الفرس، وهدموا بيوت النيران، فإنَّه لإرضاء أتباع الدين الحق فيما يبدو، وساد بينهم اعتقاد بأنَّ المسلمين" أكرموا النصارى أكثر من أهل سائر الأديان"[2]. كما أن الجاثليق إيشوعياب الثالث بادر الى الإعتراف بأن المسلمين "لم يمتنعوا عن مهاجمة الدين المسيحي فحسب، بل إنهم أوصوا بعقيدتنا خيرا، كما احترموا الكهنة وقديسي الرب، وكانت لهم أيادٍ بيضاء على الكنائس والأديار"[3].

يُرْجِعُ بعضُ العلماء الْكَنَسِيّين[4] إستقبال الْعَرَب الْمُسْلِمِينَ الفاتحين، الَّذِينَ قدموا من الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة، من لَدُن الْمَسِيحِيِّينَ، إلَى عواملَ عديدةٍ: نفسيَّةٍ، وإجْتِمَاعِيَّة، وقوميَّة، ودِينِيَّة. ذَلِكَ أن السّريان كَانُوا ينوؤون تَحْتَ نيْرِ الحكم البِيْزَنْطِي فِي سُورِيَةَ، كَمَا كَانُوا مضطهدين فِي بلادِ فَارِسَ. إذْ حاولَ الفُرْسُ إخضاعَهم لقبول الدّين المجوسي، مستخدمين لهذه الغاية كُلَّ أساليبِ العنفِ وسفكِ الدّماء، كَمَا أثقلوا عَلَى كاهلهم الضَّرائب الباهظة. أَمَّا السّبب الظّاهري، لإثارة البِيْزَنْطيين الاضطهاد العنيف عَلَى السّريان، فَهُوَ لرفض السّريان قبولَ قراراتِ مجمع خلقيدونية (451م). وإنَّ من وراء ذَلِكَ قمعَ الأفكارِ التّحرريَّةِ، والوعي القومي، الَّذِي دبّ فِي صفوف السّريان، للتخلص من نيْرِ المستعمر البِيْزَنْطِيِّ، الَّذِي سلَبَ سُورِيَةَ خيراتِها الطّبِيعيَّةِ.

---

1 -**مسيحيو الشرق والإسلام**، ص 123 .

2 - **تاريخ السعردي**، ص628.

3 - دوسلييه: م. س. ص 124 .

4 - البطريرك مار إغناطيوس زكا الأول عيواص:" السّريان والإسلام تاريخ مشترك"، *الموقع الرّسمي لبطريركية أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس.*

وَفِي فتوح الشّام تَدُلُّ رِوَايَةُ الواقدي[1] عَلَى إرتياحٍ كبيرٍ مِن لَدُنِ الْمَسيحِيّينَ، بقوله: أنَّ أَبَا عُبَيْدَة لَمَّا دخلَ دِمَشْقَ بأصحابِه، سارتْ القُسُسُ والرّهبانُ بَيْنَ يديْهِ، وَقَدْ رفعوا الإنْجِيلَ والمباخرَ بالنّدِّ والعودِ، ودخلَ أَبُو عُبَيْدَة من بابِ الجابيةِ، وما أحدٌ من أصحابِ أبي عُبَيْدَة جَرَّدَ سيفَهُ، والتّقَى عِنْدَ الكَنِيسَةِ جَيْشَ خَالِد.

فِي مِصْرَ كَانَتْ مُدَّةُ ولاية عمرو بن العاص (21- 25هـ/642- 647م) وخلافة عمر بن الخطَّاب (13-23هـ/634- 644م) أحسن أوقات الرّاحة الَّتِي ذاقَها الأَقْبَاطُ، وَلَمَّا تَوَلَّى الخِلَافَةَ عثمانُ بنُ عفانٍ عَزَلَ عمرو، وعَيَّنَ عبدَ الله بن سعد بن أبي سرح، فَاشْتَدَّ عَلَى الأهالِي، وجمعَ مِنْهُمْ ضرائِبَ باهِظَةً[2]، فبَعْدَ أَنْ جَبَاهَا المُقَوْقَسُ- قَبْلًا- عشرينَ ألفَ ألف، وأنَّ عَمْرًا جَبَاهَا اثني عشرَ ألفَ ألفٍ، جَبَا ابنُ أبِي سرحٍ فِي أَوَّلِ سنةٍ أربعةَ عشرَ ألفَ ألف دينارٍ، بزيادة مليونينِ عَمَّا كَانَ يَجْبُوهُ عمرو. فقال عثمان لعمرو: يا أَبَا عبد الله، دَرَّتْ اللَّقْحَةُ بأَكْثَرَ مِنْ دَرِّهَا الأَوّلِ، قَالَ عمرو: أَضْرَرْتُمْ بِوَلَدِهَا، ذَلِكَ إنْ لَمْ يَمُتْ الفَصِيلُ[3].

ثَمَّةَ مكاسِبُ جَنَاهَا الأَقْبَاطُ من الفتحِ الْعَرَبِيّ لمِصْرَ، مِنْهَا: تحريرُهم مِن العَنَتِ والإضطِهادِ الدّينِيّ مِن جانبِ السّلطاتِ البِيْزَنْطِيَّةِ وبطاركتِها. كَذَلِكَ تَمَكَّنَ الأَقْبَاطُ من ضَمِّ كثيرٍ مِن الكَنَائِسِ الملكانيَّة، ومُؤَسَّسَاتٍ دِينِيَّةٍ أُخْرَى، إلَى الكَنِيسَةِ القبطِيَّة، بَعْدَ أَنْ تركَها البِيْزَنْطِيُّونَ. وَفِي الإِدَارَةِ المحليَّة، صارتْ الوظائفُ شُبْهَ حِكْرٍ عَلَى الأَقْبَاطِ دُونَ غيرِهم، فِمْنْهُمْ: الكتبَةُ، وجامِعُو الضَّرائِبِ،

1 - **فتوح الشّام** 1/ 72.

2 - سوريال عطية: **تاريخ الكنيسة الشّرقية** 105؛ القمص: **تاريخ الكنيسة القبطية** ص 406

3 - ابن عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب** ص 188؛ المقريزي: **الخطط والآثار** 149/1؛ القمص: م. س. ص 406.

والقضاةُ المحلِّيونَ. كَمَا أَنَّ الثّقافةَ القبطِيَّةَ شَهِدَتْ إنْتِعَاشًا هائِلًا، بَعْدَ أَنْ رحلَ البِيْزَنْطيونَ عَنْ البلادِ[1].

ليسَ أدَلّ عَلَى رضا الْمَسِيحِيِّينَ عَنْ عصر الخِلَافَة الرّاشدة، أنَّ السّريان هُمْ من أطلقوا كلمة "فاروق" عَلَى الخليفة عمر بن الخطَّاب، الَّتِي مَا زَالَتْ متداولة تراود أذهانهم -بحَسَبِ صليبا شمعون[2]، وَقَدْ تدعم تسمية عمر بالفاروق من لَدُنْ اهل الكتاب رِوَايَة ابن شهاب الزهري (ت124هـ /742م)[3] قَالَ:" بلغنا أن أهل الكتاب كَانُوا أول من قَالَ لعمر: الفاروق، وَكَانَ الْمُسْلِمون يأثرون ذَلِكَ من قولهم، وَلَمْ يَبْلُغْنَا أنّ رسولَ اللهِ ذَكَرَ من ذَلِكَ شيئا". بيد أنَّ الطبري[4] يخصُّ بها نبوءةً لبني إسرائيل على لسان كعب الأحبار في حديثه لعمر:" ثم أُديلت الروم عليهم إلى أنْ وُلِّيت، فبعث اللّه نبيًا على الكناسة، فقال: أبشري أورى شلم! عليك الفاروقُ ينَّقيك مما فيك".

لا عجب إِذَا اتسم موقف الْمَسِيحِيِّينَ فِي المشرق بارتياح لمجيء الْعَرَب، ذَلِكَ لأن الْمَسِيحِيِّينَ ملُّوا من الظّلم الَّذِي تعرَّضوا لَهُ فِي فترات عديدة من العهود الفارسيَّة، وَكَانَ للصراع الدّائر بَيْنَ الرّوم والفرس دورٌ فِي كره الْمَسِيحِيِّينَ السّريان، ويأسهم من كلتا الدّولتين[5]، فكانوا يطمحونَ للتخلُّصِ من استبدادِهم بأيَّةِ وسيلةٍ كَانَتْ، فلعَلَّ الفاتحينَ الجُدُدَ يكونونَ أكثرَ إِنْسَانِيَّةً ورحمةً تجاهَهم. وَقَدْ

---

1 عطية: م. س. ص106.

2 - المار غريغوريوس صليبا شمعون: **عصارة فكر، علاقة البطاركة والمفارنة بالخلفاء العباسيين**، (ديوان أوقاف المسيحيّين والديانات الأُخْرَى، الموصل، 2009) ص96.

3 - أخرجها ابن سعد: **الطبقات الكبرى** 270/3، ابن شبة: **أخبار المدينة** 350/1، الطبري: **التاريخ** 562/2، ابن الأثير: **أسد الغابة** 106/4، ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 51/44.

4 - **تاريخ الرسل والملوك** 3/ 611.

5 - سيّار الجميل: "المسيحيون العِراقيون" (ج3/ق5)، *مجلة ألفا* (elaph.)، عدد: 11421، تاريخ 2010/11/6.

رَحَّبَ الْمَسِيحِيّون -أَيْضًا- بمجيءِ الْعَرَبِ للتقاربِ الكبيرِ بَيْنَ لغتهم السّرْيانيّة ولغةِ الفاتحينَ الْعَرَبِيّةِ، لكونِ اللُغَتَيْنِ تَنْتَمِيَانِ إِلَى دَوْحَةٍ واحِدَةٍ هِيَ السامِيَّة[1].

لا غرو أنَّ السياسة التي اتبعها العرب المسلمون، منذ أولى فتوحاتهم، قد أعدّت أهل البلاد التي دانت لهم، الى تقبل سلطانهم، وهي سياسة كانت فتحا بذاتها وابتكارا في عالم السياسة والدين[2]؛ لانَّها استندت على مبدأين مهمَّين، أولهما:"لا اكراه في الدين"، الذي يحمل الإقرار بحق الشعوب الخاضعة أن تحافظ على معتقداتها وتقاليدها وطراز حياتها. وثانيهما: إعطاء الجزية مقابل احتفاظهم بحقوقهم الدينية والحياتية، وحمايتهم في الحرب والسلم. ولعل هذه السياسة ساعدت على تعزيز مشتركات التعايش في بيئة التنوع.

إجمالًا كَانَتْ الحاجاتُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ متبادلةً ومتوائمةً، تهدفُ إِلَى تَحْقِيْقِ التّكاملِ فِي أنماطِ الحياةِ، فبحَسْبِ جرونيباوم Grunebaum[3]:" كَانَتْ العَلاقَاتُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ، فِي بواكيرِ صدرِ الإِسْلَامِ، مَرْضِيّةً مقبولةً"[4]، ويعلّلها بارتولد Barthold[5]: بأَنْ " كَانَ النَّصَارَى أحسنَ حالًا تَحْتَ حُكْمِ الْمُسْلِمِينَ فِي الأزمنة الأولى؛ لحاجة الفاتحين إِلَى هَذَا العنصر الْمَسِيحِيّ المتفوق عَلَى الْعَرَب حضارةً"[6].

---

1 - أبونا: **الكنيسة السّريانية الشّرقية**، ص 199.

2 - إدمون رباط: المسيحيون في الشرق قبل السلام، *المسيحيون العرب*، ص 27.

3 - جرونبوم، جوستاف فون: مستشرق نمساوي (1909-1972م). ترجم لَهُ: نجيب العقيقي: **الاستشراق و المستشرقون** (ط5، دار المعارف، القاهرة، 2006م) 170/3.

4 - **حضارة الاسلام**، (الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1997م) ص233؛ الشّحات السّيد زغلول، **السّريان والحضارة الإسلاميّة**، 122.

5 - بارتولد، ف. ف.(1869-1930م): ترجم لَهُ: نجيب العقيقي: **الاستشراق والمستشرقون** 79/3.

6 - **تاريخ الحضارة الإسلاميّة**، (مؤسسة المعارف 1983) ص51.

وبمثلِ مَا عاهد عَلَيْهِ رسولُ اللهِ أهلَ الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى، أقَام الخليفةُ عمر معاهداتٍ مَعَ اهالي المدنِ المفتوحةِ تُضَمِّنُ فيها حقوقَهُم، فمثلا، صالحَ أهلُ إيلياء بالجابية، وكتب لَهُمْ فِيهَا الصّلْح: " بسم الله الرّحمن الرّحيم هَذَا مَا أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأَمَان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكَنَائِسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها، أَنَّهُ لا تسكن كَنَائِسهم، ولا تهدم، ولا ينتقص مِنْهَا، ولا من حيزها، ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون عَلَى دينهم، ولا يضار أحد مِنْهُمْ، ولا يسكن بإيلياء مَعَهُمْ أحد من اليهود، وعلى أهلِ إيلياءَ أنْ يعطوا الْجِزْيَةَ كَمَا يُعطِي أهلُ المدائنِ، وَعَلَيْهِمْ أنْ يُخرجوا مِنْهَا الرّومَ واللصوتَ[1]، فمن خرج مِنْهُمْ فَإِنَّهُ آمِنٌ عَلَى نفسه ومالِه حَتَّى يبلغوا مَأْمَنَهُم، ومَنْ أقامَ مِنْهُمْ فَهُوَ آمِنٌ، وعليه مِثْلُ مَا عَلَى أهلِ إيلياءَ من الْجِزْيَةَ، ومَنْ أَحَبَّ مِنْ أهلِ إيلياءَ أنْ يسيرَ بنفسِه ومالِه مَعَ الرّوم، ويخلي بِيَعهم وصُلُبهم، فإنهم آمنون عَلَى أنفسهم وعلى بِيَعِهم وصُلُبِهم حَتَّى يبلغوا مأمنهم، ومن كَانَ بِهَا من أهل الأرض... فمن شاء مِنْهُمْ قعدوا عَلَيْهِ، مثل مَا عَلَى أهل إيلياء من الْجِزْيَةَ، ومَنْ شاءَ سارَ مَعَ الرّوم، ومَن شاءَ رجعَ إلَى أهلِه، فَإِنَّهُ لا يؤخذُ مِنْهُمْ شيءٌ حَتَّى يُحْصَدَ حَصادُهُم، وعلى مَا فِي هَذَا الكتَابِ عَهْدُ اللهِ، وذمةُ رسوله، وذمَّةُ الخلفاءِ، وذمَّةُ المؤمنين"[2].

لَمْ يقْتَصِرْ نظامُ المعاهدةِ عَلَى اليهودِ والنَّصَارَى بَلْ شَمِلَ المجوسَ، فَقَدْ قَبِلَ رَسُولُ اللَّهِ الْجِزْيَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، وَكَانُوا مَجُوسًا[3]، وَفِي الْفُتُوح صالح حذيفة بن اليمان أهل نهاوند عَلَى الخراج والْجِزْيَةَ وأمن عَلَى أموالهم وحيطانهم ومنازلهم[4].

1 - أي: اللصوص، اللَّصْتُ - بالفَتح، ويُثَلَّثُ: اللِّصُّ، عَنْ الفّراءِ فِي لغةِ طَيِّء، جمعه لُصُوتٌ. الزبيدي: **تاج العروس** 77/5.

2 - الطبري: **تاريخ الرسل** 449/2.

3 - أَبُو عبيد: **الأموال**،41.

4 - البلاذري: **فتوح البلدان** 375/2.

وكذا صالح أَبُو عُبَيْدَة بن الجراح أهالي مدن الشّام عَلَى تَنَوُّع أجناسهم، وَمِنْهَا بَعْلَبَكّ فكتب:"هَذَا كتاب أمان لأهل بَعْلَبَكّ رومِها وفُرْسِها وعَرَبِها عَلَى أَنْفُسِهم وأموالِهم وكَنَائِسهم ودورِهم، داخل المدينة وخارجها، وعلى أرحائهم، ... ولتجارهم أن يسافروا إلَى حَيْثُ أرادوا من البلاد الَّتِي صالحنا عَلَيْهَا"[1].

لَعَلّ التّزامَ الدَّولَة العَرَبيَّة بالمحافظةِ عَلَى أهلِ الذِّمَّة، لَمْ يقفْ عِنْدَ حدّ حمايتِهم مِنْ الإعتداءاتِ الدّاخليَّة مِن لَدُنِ المواطنينَ، أَوْ مِن لَدُنْ موظَّفِي الدّولة، بَلْ يمتدُّ إلَى حمايتِهم من أيّ اعتداءٍ خارجيّ، قَدْ يتعرضونَ لَهُ وحدُهم. ولهذا رَدَّ أَبُو عُبَيْدَة بن الجراح الجِزْيَةَ الَّتِي استوفُوها من بعضِ قُرَى أهلِ الذِّمَّةِ فِي الشّام، لَمَّا غلبَ عَلَى ظنّه عدمُ قدرتِه عَلَى حمايتِهم، لإحتمالِ عودةِ الرّومِ ومهاجمتِهم لهذِهِ القُرَى[2].

فِي خضَمّ التَّسَامُح الَّذِي أَبْدَاهُ الْمُسْلِمون تِّجَاهَ أصحابِ الدِّيَانَات الأُخْرَى، بخلافِ التّعَنُّتِ والعَسَفِ والظُّلْمِ دَيْدَنِ الدّولِ الحاكمة، الرّومِ والفرسِ، تَوَلَّدَتْ إستجابَةٌ لَدَى الأهالي الْمَسِيحِيِّينَ فِي الشّام، تَضَمَّنَهَا إعتقادٌ -بحَسَبِ "ارنولد Arnold" أنَّ الاله: "أرسل أبناءَ إسماعيلَ من بلادِ الجنوبِ لِيُخَلِّصَنَا عَلَى أيديهم من قبضةِ الرّوم"[3]، على أَنَّهُ " مَعَ ذَلِكَ، لَمْ يكنْ كَسْبًا هَيِّنًا أنْ نَتَخَلَّصَ مِن قَسْوَةِ الرُّومِ وأذاهُمْ وحِنْقِهم وتَحَسُّسِهم العنيفِ ضِدَّنَا، وأنْ نَجِدَ أَنْفُسَنَا فِي أَمْنٍ وسلامٍ"[4]، وكتبوا إلَى الْعَرَب : يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أَنْتُمْ أَحَبُّ إلينا مِن الرّومِ، وإنْ

1 - البلاذري: م. ن. 154/1.

2 - أَبُو يوسف: **الخراج**، (دار المعرفة، بيروت، 1979م) 139؛ توماس أرنولد: **الدعوة إلَى الاسلام**، 79.

3 - سير توماس أرنولد: م. ن، ص72.

4 - أرنولد: م. ن. ص.

كَانُوا عَلَى دينِنا، أَنْتُمْ أَوْفَى لَنَا، وأَرْأَفُ بِنَا، وأَكَفُّ عَنْ ظُلْمِنَا، وأَحْسَنُ وِلَايَةً عَلَيْنَا، ولَكِنَّهُمْ غَلَبُونَا عَلَى أَمْرِنَا وعلى منازلِنا"[1].

لَمْ يَتَوَقَّفْ الأَمْرُ عِنْدَ الْمَسِيحِيِّينَ، بحَسَبِ ديورانت: كَانَ اليهود فِي بلاد الشّرق الأدنى قَدْ رحبوا بالْعَرَب، الَّذِينَ حرروهم من ظلم حكامهم السّابقين، إِلَّا أَنَّهُمْ فِي عهدهم قَدْ فُرضت عَلَيْهِمْ عِدَّة قيود، ولاقوا شيئًا من الاضطهاد من حِينٍ إِلَى حِينٍ، غَيْرَ أَنَّهُمْ مَعَ هَذَا كَانُوا يُعاملون عَلَى قدم المساواة مَعَ الْمَسِيحِيِّينَ، وأصبحوا مَرَّةً أُخْرَى يتَمَتَّعون بمزيد من الْحُرِّيَّة فِي حياتهم وَفِي مُمَارَسَة شعائر دينهم فِي بيت المقدس، وأثروا كثيراً فِي ظل الإِسْلَام وَفِي آسية، ومَصْر، وأسبانيا، كَمَا لَمْ يثروا مِنْ قَبْلُ تَحْتَ حكم الْمَسِيحِيِّينَ. وَكَانَ الْمَسِيحِيّون فِي بلاد آسية الغربية، خارج حدود الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة، يمارسون شعائر دينهم بكامل حريتهم، وبقيتْ الكثرةُ الغالبة من أهل بلاد الشّام مَسِيحِيَّةً حَتَّى القَرْن الثّالثّ الإِسْلَاميّ. ويحدثنا المُؤَرِّخون: أَنَّهُ كَانَ فِي بلاد الإِسْلَام فِي عصر المأمون أحد عشر ألف كَنِيسَة، كَمَا كَانَ فِيهَا عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النّار. وَكَانَ الْمَسِيحِيّون أحراراً فِي الاحتفال بأعيادهم علنًا، والحجاج الْمَسِيحِيّون يأتون أفواجاً آمنين لزيارة الأضرحة الْمَسِيحِيَّة فِي فلسطين. وأصبح الْمَسِيحِيّون الخارجون عَلَى كَنِيسَة الدّولة البِيْزَنْطِيَّة، والذّين كَانُوا يلقون صوراً من الاضطهاد عَلَى يد بطارقة القُسْطَنْطِينِيَّة، وأورشليم، والإسكندريَّة، وأنْطَاكِيَة، أصبح هَؤُلَاءِ الآن أحراراً آمنين تَحْتَ حكم الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ لَمْ يكونوا يجدون لنقاشهم ومنازعاتهم معنى يفهمونه[2].

1 - أرنولد: م. ن. ص.

2 - ديورانت: **قصة الحضارة** 132/13

موقف الْعَرَب المَسِيحِيِّينَ من الْفُتُوح:

أمام زحف الْعَرَب الْمُسْلِمِينَ عَلَى البلاد بجموعهم، وقفتْ فِي بادئ الأمر القَبَائِل الْعَرَبِيّة المُتَنَصِّرَة فِي بلاد الشّام إلَى جانب جيش الرّوم وقاتلوا الْمُسْلِمِينَ. وَقَدْ ذكر "جيبون Edward Gibbon"[1]: إنَّ بَيْنَ المائة والخمسين ألف مقاتل، الَّذِينَ جمعهم الرّوم لصدّ الْعَرَب عَنْ التّوغل فِي البلاد، كَانَ ستون الف جندي عَرَبِيّ مسيحي بقيادة جبلة بن الأيهم، آخر ملوك الغساسنة[2].

تمكن الرّوم من استغلال الْعَرَب المُتَنَصِّرَة، بأنْ أثاروا فِي نفوسِهم العواطفَ الدّينِيَّة عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حينما عزم الْمُسْلِمون عَلَى فَتْح بِلادِ الشّام وطَرْدِ البِيْزَنْطِيّين مِنْهَا، وأغروا سادات القَبَائِل بالمال وبالهدايا وبالوعود حَتَّى اشتروهم فصاروا إلَى جانبِهم. إذ أنَّ المَصَالِحُ الشَّخْصِيَّةُ هِيَ فَوْقَ كُلِّ مَصْلَحَة عِنْدَ سَادَاتِ القَبَائِل، لا يَعْلُوهَا عِنْدَهُم مَصْلَحَةٌ، فَانْضَمُّوا إلَيْهِمْ، وجَاءُوا بقَبَائِلِهِم لِتُحَارِبَ مَعَهُمْ[3]. في حين يرى "ولتر كيغي"[4]: لم يحسن البيزنطيون الإفادة من العرب المَسِيحِيِّينَ، فجعلوهم يقومون بحماية المدن المسورة، بدلا من أنْ يشركوهم في الحرب الحركيَّة. وهذا ما شكل ضررا، إذ أصبحوا على المدى استنزافًا للموارد، ولاسيما المواد الغذائية؛ مما سهل للفتوح النجاح.

---

1 - إدوارد جيبون (1737-1794): **تاريخ اضمحلال الدولة الرّومانية**، ترجمة: مُحَمَّد علي أَبُو ريدة القاهرة 1969

2 - ذكر الواقدي: كَانَ جبلة بن الأيهم فِي المقدمة فِي ستين ألف فارس من العرب المتنصرة من غَسَّان ولخم وجذام. **فتوح الشّام** 154/1. وفي ابن الاعثم: فِي أربعين ألفاً من العرب المتنصرة. **الفتوح** 123/2.

3 - علي، جواد: **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب** 12/ 170.

4 - **بيزنطة والفتوحات الإسلامية**، (ط2، قدمس للنشر، دمشق، 2003) ص332.

قَالَ مُؤَرِّخو الإِسْلَام[1]: أَنَّهُ لَمَّا وصل خَالِد بن الوليد قائد جيوش الْمُسْلِمِينَ إِلَى تَيْمَاء، صدمه الرّوم بجموعٍ أكثرها من الْعَرَب الْمُتَنَصِّرَة: بهراء، وتنوخ، ولخم، وسُلَيم، وجذام، وغَسّان. إِلَّا أَنَّ جامعةَ اللُغَة والجِنْس عادت، فربحَتْ عَلَى جامعة الدّين، ولذلك مدّ الْعَرَب الْمَسِيحِيّون أيديهم إِلَى الْعَرَب الْمُسْلِمِينَ، فتصافح الفريقان، وانْضَمّ الْمَسِيحِيّون إِلَى اخوانِهم الإِسْلَام، فشاركوهم فِي محاربة الرّوم فِي بلاد الشّام، كَمَا شاركوهم فِي محاربة الفرس فِي العِرَاق، فعرف لَهُمْ الْمُسْلِمون فضلَهم فِي ذَلِكَ[2].

يتجلَّى موقف القبائل المسيحية العربية في نصرتِهم المسلمين في الشام، حين أقبل أبو عُبَيْدَة نحو الروم، وقد تحولوا إلى"فحل"، فنزلوها، وهي من أرض الأردن، وجاء المسلمون بأجمعهم حتى نزلوا بها وخرج علقمة بن الأرت القيني فجمع من أصحابه من بلقين، وجاءت لخم وجذام وغسان وأفناء قضاعة، فدخلوا مع المسلمين، وأخذ أهل البلد من النصارى يراسلون المسلمين، فيقدمون رجلا ويؤخرون أُخْرَى، ويقولون: يا معشر المسلمين، أنتم أحبُّ إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا من الروم، ولكنَّهم قد غلبونا على منازلنا[3].

ذكر البلاذري: أنَّه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع، وبلغ المسلمين إقبالُهم إليهم لوقعة اليرموك، ردُّوا عَلَى أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم منَ الخراج، وقالوا: قَدْ شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم، فأنتم عَلَى أمركم، فقال أهل حمص:

---

1 - الواقدي: **فتوح الشّام** 150/1، 154؛ ابن كثير: **البداية والنّهاية** 7/ 9؛ مُحَمَّد كرد علي: **خطط الشّام** 1/ 74.

2 - نقولا الخوري، الأب: **أصل المسيحيّين فِي سوريا وفلسطين مِنْذُ فجر التاريخ حَتَّى الفتح العَرَبِيّ**، ص160.

3 - ابن عساكر: **تاريخ دمشق**41/ 130.

لَولا يتُكم وعدلكم أحبُّ إلينا مما كنا فيه منَ الظلم والغَشَمِ، ولندفعنَّ جندَ هرقل عن المدينة مع عملكم، ونهض اليهود فقالوا: والتوراةِ، لا يدخل عاملُ هرقل مدينة حمص إلا أنْ نُغْلَبَ ونُجْهَدَ، فأغلقوا الأبوابَ، وحَرَّسُوها، وكذلك فعل أهل المدن الَّتِي صولحت منَ النصارى واليهود، وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعهم عَلَى المسلمين صرنا إِلَى ما كنا عَلَيْهِ، وإلا فإنَّا عَلَى أمرنا ما بقيَ للمسلمين عددٌ[1].

ومِنْ هُنَا يصِفُ جرونباوم (Grunebaum)[2] نهوضَ الإِسْلَامِ فِي الجَزِيْرَة بِأَنَّهُ" يقظَةُ ضَمِير قومِيّ، لا مُجَرَّدَ إِئْتِلَافٍ قَبَلِيّ"[3]، وَهُوَ تعبير لا يتناقضُ مَعَ صيغةِ الانتماءِ فِي الفكرِ التّاريخِيّ الْمَسِيحِيِّ فِي جَزِيْرَة الْعَرَب[4]، وتعجّبَ أوليري (*de Lacy*،O'leary)[5] ممن يعجب لوقوف النَّصَارَى الْعَرَب، نَشَاطِرَةً ويَعَاقِبَةً، عَلَى الخصوص، فِي صَفِّ الإِسْلَام ضِدَّ بِيزَنْطَةَ والفرس عِنْدَ ظُهوره.

لَمَّا هَمَّ المسلمون بوضع الْجِزْيَة عَلَى أهل الذِّمَّة بَعْدَ الفتح، أَبَتْ قَبَائِل تَغْلِب وإياد وأنمار أداءها. وكانت من القبائل العربيَّة ذات العدة والعدد والعزة والسطوة، فقال عمرو بن الأيهم التغلبي في تغلب[6]:

---

1 - **فتوح البلدان**، ص 139.

2 - غوستاف غرونبومGustave E. von Grunebaum (1909 - 1972 م) مستشرق نمسوي. من أهم كتبه كتاب «إسلام العصور الوسطى» صدر فِي عام 1946 م. عبد الرحمن بدوي: **موسوعة المستشرقين** (جرونبوم).

3 - G. E. Von. Grunebaum: **the Nature of the Arab Unity before Islam**, Arabica X (1963). p. 13.

4 - فكتور سحاب: **العرب وتاريخ المسألة المسيحيّة**، (دار الوحدة للطباعة ، بيروت 1986) ص 102.

5 - دي لاسي أوليري: **علوم اليونان**، ص97.

6 - كراع النمل الأزدي (ت309هـ): **المنتخب من غريب كلام العرب**، ص 725، ابن عبد ربه: **العقد الفريد** 353/6.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ تَغْلِبَ أَهْلُ عِزٍّ جِبَالُ مَعَاقِلٍ لَا يُرْتَقَيْنَا

شربنا من دماء بني تميم بأطراف القنا حتى روينا

ولَمَّا بلغ ذَلِكَ عمر بن الخطَّاب فاستشار أصحابه فقال لَهُ بعضُهم " هُمْ وَاللَّهِ الْعَرَبُ، يَأْنَفُونَ مِنَ الْجِزْيَةِ، وَهُمْ قَوْمٌ شَدِيدَةٌ نِكَايَتُهُمْ، فَلَا تُعْنِ عَدُوَّكَ بِهِمْ"[1]. فوافق ذَلِكَ مَا فِي نفسه ففرض عَلَيْهِمْ الصّدقة كَمَا تفرض عَلَى الْمُسْلِمِينَ[2].

في الوقت الذي اعتمد بعض المؤرخين الغربيّين[3] مقاربة: هجرة قبيلة إياد الى الأناضول، وعرب من قبائل أخرى تبعتهم، كان قد سهَّلَ هرب القبائل العربيَّة المسيحيَّة، مما أضعف المقاومة المسيحيَّة للمدِّ الإسلامي. في حين أكّد المؤرخون المسلمون على حرص الخليفة عمر على الوجود العربي في جزيرة العرب، فقالوا: كَانَ عمر شديد المحافظة عَلَى الجامعة الْعَرَبِيّة، لا يأذن للعرب النَّصَارَى فِي التّوغل ببلاد الرّوم، وإذا فعلوا استرجعهم، وخاطب ملك الرّوم بشأنهم؛ لِأَنَّهُ يرى ذَلِكَ حقاً لَهُ. وكان هذا الحال مع الجراجمة، وهي قبيلة مسيحيَّة تقيم بجوار أنطاكية، بادروا بالصلح عَلَى أن يكونوا أعوانًا للمسلمين، وعيونًا ومسالح ... وأن لا يؤخذوا بالجزية، وأنْ ينفلوا أسلابَ من يقتلونَ من عدو المسلمين، إذا حضروا معهم حربًا في مغازيهم[4].

يبدو أنَّ منهج الحفاظ على الوجود العربي أختلف لدى الخليفة مع غسان، القبيلة العربية الكبيرة، وكان جبلة ملك غسَّان أتى عُمَر بن الخطَّاب، وهو عَلَى نصرانيته، فعرض عُمَر عَلَيْهِ الإِسْلام وأداء الصدقة، فأبى ذلك، وقال:

1 - ابن زنجويه: **الأموال** 1/ 130؛ ابن قتيبة: **المعارف** 574.

2 - البلاذري: **فتوح البلدان** 113، 140.

3 - ولتر كيغي: **بيزنطة والفتوحات الإسلامية**، ص 333.

4 - **فتوح البلدان**، ص 160.

أقيم عَلَى ديني وأؤدي الصدقة. فقال عُمَر: إنْ أقمت عَلَى دينك فأدِّ الجزيةَ فانَفَ منها، فقال عُمَر: ما عندنا لك إلا واحدة من ثلاث، أما الإِسْلام، وأما أداء الجزية، وأما الذهاب إِلَى حيث شئت: فدخل بلاد الروم في ثلاثين ألفا، فلما بلغ ذلك عُمَر ندم وعاتبه عبادة بْن الصامت فقال لو قبلت منه الصدقة ثُمَّ تألفته لأسلم[1]. وقد أوردت مصادر الفتوح أنَّهم أسهموا بثقلهم في الحروب الأولى في فتوح الشام الى جانب البيزنطيين[2]. فضلا عن أنَّ مشروع الجامعة العربية شمل- فيما بعد- وحدة الدين في جزيرة العرب، وإخراج المَسِيحِيِّينَ من ديارهم نَجْرَان. ومن هنا نتجلى أنَّ ازدواجيَّة التعامل ومزاجِيَّته مع القبائل العربية المسيحيّة كان لها أثرٌ في مسار العلاقة الاسلاميّة المسيحيّة سواء كان في الحرب أو السلم.

أوردتْ المصادرُ أنّ الوليدَ بنِ عقبةَ لَمَّا سار لفتح العِرَاق والجَزِيْرَة، إنْضَمّ إِلَيْهَا عربُها النَّصَارَى إلّا قبيلةُ إياد، فإنّهم تحمّلوا إِلَى بلادِ الرّوم، وكتبَ الوليدُ إِلَى عُمَرَ بِذَلِكَ، فكَتَبَ عُمَرُ إِلَى مَلِكِ الرّوم: بَلَغَنِي أَنَّ حَيًّا مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ تَرَكَ دَارَنَا، وَأَتَى دَارَكَ، فَوَ اللَّهِ، لَتُخْرِجَنَّهُ إِلَيْنَا، أَوْ لَنُخْرِجَنَّ النَّصَارَى إِلَيْكَ. فَأَخْرَجَهُمْ مَلِكُ الرّوم، فَخَرَجَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَتَفَرَّقَ بَقِيَّتُهُمْ فِي مَا يَلِي الشّامَ وَالْجَزِيْرَة مِنْ بِلَادِ الرّوم[3].

ويظهرُ أنّ الْعَرَب الْمُتَنَصِّرَين- فِي إِبّانَ حكم الرّوم- لَمْ يكونوا مرتاحين إِلَى ذَلِكَ الحكم، فَقَدْ ذكر البلاذري[4]، وأيّد أقوالَه بعضُ مُؤَرِّخي الإفرنج: إنَّ أوَّلَ مدينةٍ فتحَها الْمُسْلِمون فِي فلسْطِين كَانَتْ غَزّة. وأسبابُ فتحِها أنَّهُ كَانَ يسْكن-

---

1 - البلاذري: **م.ن**، ص 138.

2 - الواقدي: **فتوح الشام** 150/1، 164.

3 - الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**4/ 55؛ ابن الأثير: **الكامل فِي التاريخ** 2/ 357؛ ابن خلدون: **تاريخ** 2/ 546.

4 - **فتوح البلدان**، ص 140.

وقتئذٍ- فِي جنوبِ غزَّة قومٌ من قَبَائِل الْعَرَب المُتَنَصِّرِينَ، وَكَانَ قَدْ أصابَهم من قِبَلِ ولاةِ الرّومِ عَسَفٌ وجَوْرٌ. فالتّجأوا إلَى عَسَاكِر الْمُسْلِمِينَ، ودعَوهُم إلَى فلسطينَ، فلبُّوا دَعْوَتَهم وزَحَفُوا عَلَى غزّة فِي (28/ ذو القعدة 11/ 12هـ = 4/ شباط / 634م) وظَفَرُوا بجَيْشِ الرّوم، وفتَحوا المدينة، وبعد أيَّام قليلةٍ أتمُّوا فتحَ بقيَّةِ مُدُنِ فلسطين[1].

وَفِي العِرَاق يؤكد المُؤَرِّخ جورج البنّا[2] أَنَّهُ: " عندما دخل الْعَرَب الْمُسْلمون الفاتحون العِرَاق رَحَّبَ بِهِمْ الْمَسِيحِيّون ترحيباً لا مَزِيدَ عَلَيْهِ، لأَنَّهُمْ عربٌ، وملّوا حكْمَ وظلْمَ الفرس. وانزلوا جنودهم فِي البيَع والأَدْيِرَة. وقدّمَ البِطْرِيَرك مارامة (647- 649 م)[3] الميرة والأرزاق إلَى جيش الْمُسْلِمِينَ، وساعدهم فِي فَتْح مدينة الموصل". ويشير ماري بن سليمان[4] إلَى أنّ الخليفة عَلِيّ بن أبي طالب كتب إلَى مارما "كتابا بالوصاة عَلَيْهِ بالنَّصَارَى، ورعاية ذِمّتِهم، وَكَانَ يظهره لِكُلِّ من يتولى من رؤساء الجيوش وأمرائهم فيمتثلونه".

بَيْدَ أَنَّ الْمَسِيحِيِّينَ لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِمْ مطامع سِيَاسِيّة، وَقَدْ تطوَّع قسم كثير من عرب العِرَاق الْمَسِيحِيِّينَ، وحاربوا مَعَ إخوانهم الْمُسْلِمِينَ، وعاونوهم فِي معارك فتح العِرَاق، وَكَانَ لسكان الحِيرَة الْمَسِيحِيِّينَ دورٌ كبير فِي مؤازرة إخوانهم الْعَرَب الْمُسْلِمِينَ، ولعل مرجع ذلك الى انفصام الوئام والثقة بين أهل الحيرة وبين دولة فارس؛ لقتلها النعمان بن المنذر، والفتك بأولاده، وإزالة الملك

1 - نقولا الخوري: "أصل المسيحيّين فِي سوريا وفلسطين مِنْذُ فجر التاريخ حَتَّى الفتح العَرَبِيّ". *دراسات سريانية*، ص160.

2 - **الموسوعة الكلدانية، سلسلة بطاركة الكلدان**، ص72.

3 - أسقف نينوى وعقدت لَهُ الفطركة فِي المدائن لمعاونته جيش المُسْلِمين فِي فتح الموصل. ماري بن سليمان: **أخبار بطاركة كرسي المشرق**، ص69.

4 - م. ن. ص69.

من آل نصر. وفي إثرها انتفضت قبائل العراق على حكومة المدائن، وكانت وقعة ذي قار، التي سجل فيها العرب أول نصر على العجم.

هنا استشعر العرب المسلمون الطمأنينة مع نصارى الحِيرَة، فاتخذوا مدينتهم مقرًّا لحركات الفتوح في المشرق. ولا مناص من بذار النوايا الحسنة وتبادل الثقة بين الطرفين، فيضطلع النصارى بمهام انسانية في الحرب؛ بخاصة لما ترك المسلمون فِي الحيرة عيالات أهل الأيَام، وأرسلوا إلَيْهِمْ دقيقا وغنما وبقرا، كَانَ دليل الَّذِينَ ذهبوا بنصيب العيالات اللواتى بالقوادس إلَى الحِيرَة عمرو بن عبد الْمَسِيح بن بقيلة[1]. لا شك أنَّ هَذِهِ المُمَارَسَات الاولى، تَجَلَّت عن بوادِرُ الثّقة فِي التّعامل الجاد فِي المواقف الصّعبة والدّقيقة بَيْنَ الْمَسِيحِيِّينَ الْعَرَب والمُسْلِمِينَ، مِمَّا يُديم أهليَّة التّعَايُش، ويعزز بقاء الْمَسِيحِيَّة بَيْنَ قَبَائِل عرب العِرَاق زمنًا بَعْدَ الفتح فِي الحِيرَة والكوفة والأنبار.

لم يكن موقف غير المَسِيحِيِّينَ- من الفتوح الإسلاميّة- مختلفًا، فقد كان اليهود يعيشون في الأماكن التي يقطنون فيها كأقليَّات دينيَّة، ولما تقدَّمت الجيوش الإسلاميَّة ضدَّ البيزنطيين والفُرس، فإنَّها لم تهاجم اليهود مباشرةً، على الرغم من أنَّ بعض اليهود اختاروا الالتحاق بمضيِّفيهم في الدفاع ضدَّ الغزوات. لكنَّ اليهود اختاروا -في غالبية الأحوال- إما عدم مقاومة المسلمين، أو التعاون النشيط معهم. فقد ساعد اليهود في حمص على منع الجيش الروماني من الدخول للدفاع عن المدينة. وساعد اليهود المسلمين على اختراق دفاعات مدينتي الخليل وسيزاريا (قيصرية: جنوب حيفا). وقاموا بثورة مسلحة في أسبانيا ضد حكامهم

[1] - الطبري: **تاريخ الرّسل** 3/ 469؛ الكلاعي: **الاكتفاء بِمَا تضمنه من مغازي رسول الله والثّلاثة الخلفاء** 2/ 425.

المَسِيحِيِّينَ، وعينوا من قبل المسلمين في محميات عسكرية لإبقاء المدن الأسبانية تحت سيطرة الإسلام[1].

تظلُّ العهود والضَّمانات، الَّتِي منحها الْمُسْلِمون للمَسِيحِيِّينَ، مرفأَ اطمئنان، ودستورَ تعامل، إِذَا مَا إحترمها المتعاهدون. فَقَدْ خُوِّلَ قادةُ الْفُتُوح بأَنْ يكتبوا العهودَ فِي العِرَاق والشّام ومصْر والأَمْصَار الأخرى؛ ويُسَجِّل الطّبري[2]: أَنَّهُ عندما دخل خَالِد بن الوليد إِلَى الحِيرَة، كتب فِي (ربيع الأول- 12هـ/ حزيران- 633م) معاهدةً مَعَ أهلها مطلعها: " هَذَا مَا عاهدَ عَلَيْهِ خَالِد بن الوليد عَدِيًّا وعَمْرًا ابني عَدِي، وعمرو بن عبد الْمَسِيح، وإياس بن قبيصة، وحيري بن أكال؛ وَهُمْ نقباء أهل الحِيرَة".

وَمِنْهَا - بحَسَبِ المصادر الْمَسِيحِيَّة[3]- عهد الخليفة عمر بن الخطَّاب لأهل المدائن، وبهر سير، والجاثليق بِهَا، وقسّانها، وشمامستها. جعله عهدا مرعيّا، وسجلّا منشورا، وسُنَّة ماضية فِيهِمْ، وذِمّةً محفوظة لَهُمْ. وَمِمَّا وَرَدَ فِيهِ: " ولا يُغَيَّر أُسْقُفٌ من أساقِفَتِكُمْ، ولا رئيس من رؤسائكم، ولا يُهْدَم بيْتٌ من بيوتِ صلواتكم، ولا بيْعَةٌ من بِيَعِكم، ولا يُدْخَل شَيْءٌ من بنائكم إِلَى بناء المساجد، ولا منازل الْمُسْلِمِينَ، ولا يُعْرَض لعابرِ سبيلٍ منكم فِي أقْطار الأرض، ولا تُكَلَّفُوا الخروجَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى عدوّهم لمُلاقاة الحرْب. ولا يُجْبَر أحَدٌ ممن كَانَ عَلَى مِلَّة النّصْرَانِيَّة عَلَى الإِسْلَام، كرهًا لَمَّا أنزل الله إِلَيْهِ كتابه: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدّينِ قَدْ تَّبَيَّنَ الرّشْدُ مِنَ

1 - فيرستون: ذرية إبراهيم، ص50.

2 - م. س. 660/2.

3 - "تأريخ النَّسْطُورِيّين" فِي مجموعة *تأليفات الآباء الشّرقيين* Patrologia Orientalis (ج 13 ص 620- 623)، كَمَا نقلها: مُحَمَّد حميد الله: **مجموعة الوثائق السّياسيّة للعهد النّبوي والخلافة الرّاشدة**، ص: 195؛ وقارن مَعَ: روفائيل بابو اسحق: **نصارى العِرَاق**، ص 72-73.

الْغَيِّ} (لبقرة256)، {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ} (العنكبوت46). وتكُفّ أيدي المكرُوه عنكم حَيْثُ كنتم".

وتدور الضَّمانات والعهود الممنوحة بمنظور الرّوايات الإِسْلَاميّة والْمَسِيحِيّة[1] حول مَحاوِرَ عِدّة، أهمّها: ان الْمُسْلِمِينَ يحمُون الْمَسِيحِيّينَ، ويجعلونَهم يعيشون بسلام، ولا يضْطَرُّونَهم للذهاب إلَى الحرْبِ بمَعِيَتِهم، كَمَا يضْمِنُون لَهُمْ حُرِّيَّة العبادَة وبناء الكَنَائِس والأَدْيِرَة وإصلاحها، ولا يقسرونهم عَلَى اعتناق الإِسْلَام، بَلْ ويحترمون شرائعهم وعاداتهم وتقاليدهم[2] .

جدير بالبيان، أنَّ المعاهداتِ مَعَ غيرِ الْمُسْلِمِينَ لَيْسَتْ خاضِعَةً لقواعد محدودة، بَلْ يتغيَّر محتواها حسْبَ الظّرف والمكان، تَارَةً لصالح غير الْمُسْلِمِينَ إنْ كَانُوا أقوياء، وَتَارَةً لغيرِ صالحِهم، إن لَمْ يكونوا فِي وضْعٍ يمكّنُهم منَ الدّفاعِ عَنْ أنفُسِهم. وأنَّ بَنِي تَغْلب، القبيلة الَّتِي عُرِفَتْ بسطوتِها، التّزَمَ أغلبُ أفرادِها بالْمَسِيحِيّة، وأبَتْ عَقْدَ عهْدِ الذِّمّةِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وعَقَدَ مَعَهُمْ الخليفةُ عُمَرُ عهدًا يخْتَلِفُ عَنْ العهود الأُخْرَى، محتواه اللين، إِذْ اكتفى الْمُسْلِمون بجمع الزكاة المُضاعَفَةِ، كَي لا يدفعون بِهِمْ إلَى التّحالف مَعَ الأعداء.

في عام 33ه/635م تخلص الأرمن من سيادة بيزنطة على بلادهم، وخضعوا بمحضِ إرادتهم للسيادة الإسلاميَّة، التي تركت لهم حريتَهم الدينيّة في ضوء معاهدة بينهم. انفرد المؤرخ الأرمني "سبيوس" بذكر النص الكامل لاتفاقية

---

1 - وردت نصوص المعاهدات فِي المصادر المسيحيّة القديمة والحديثة، ومنها تاريخ السّعرتي وتاريخ الكنيسة السّريانية الشّرقية الجزء 2، وكتاب خلاصة تاريخيّة للكنيسة الكلدانية للكاردينال اوجين تسران، وكتاب كنيسة المشرق الكلدانية الاثورية للأب يوسف حبي، وكتاب سلسلة بطاركة الكلدان للمؤرخ جورج البناء. سيّار الجميل: "المسيحيّون العِرَاقيون" ج3/ق5، *مجلة ألفا (elaph)*، عدد: 11421، تاريخ 2010/11/6.

2 - سيّار الجميل: " المسيحيّون العِرَاقيون" (ج3/ق5).

السلام بين الأرمن والمسلمين؛ تفاوض القائد العربي (والي الشام) مع الأرمن، وقال: اتفقنا أنا وأنتم، لمدة زمنية تحددونها أنتم، إنني سوف لا أُجبي أيّةَ جزيةٍ منكم لمدة ثلاث سنوات. ولكن -طبقا لهذا التعهد- ستدفعون بعدها الجزية التي ترغبون في دفعها، ويَحِقُّ لكم أنْ يكون لكم في بلادكم جيشٌ مؤلف من خمسة عشر ألف فارس، تزودونه بالخبز (الطعام)، وسأضع هذا في اعتباري عند حساب الجزية. وسوف لا أطالب من فرسانكم المجيء الى بلاد الشام. لكن على هؤلاء الفرسان أن يكونوا على أهبة الإستعداد للذهاب الى أي مكان يؤمرون بالتوجه إليه ليحاربوا جنبا الى جنب معناضد أي اعتداء علينا. وسوف لا أرسل أيَّ أميرٍ الى قلاعكم، ولا أيَّ قائد عربيّ، ولا فارس واحد. كذلك سنقف بالمرصاد أمام مجيء أيَّ عدوٍّ الى أرمينية، فإذا زحف البيزنطيُّون لقتالكم، سأرسلُ جيوشا لنجدتكم، وستحددون أنتم أعداد هذه الجيوش، أتعهد بذلك أمام الله عزَّ وجلَّ"[1].

بيد أن سبيوس- قبل ذكر المعاهدة- وصف المتعاهدين مع الأرمن الأوائل والحاليين بكلمات تعبر عن امتعاضه من الهيمنة، قال: "تحالفُ الأرمن مع الموت (المسلمين) تخلصًا من تحالفهم مع الجحيم (البيزنطيين)، وبذلك رفض ثيودور[2] وكل الأرمن التحالف مع الله"[3]. وعلق سبيوس- بعد ذكر المحادثة- قائلا: هكذا أصبح عدو المسيح (معاوية) أعظم حلفاء الأرمن، ونجح في فصلهم عن

1 - فائز نجيب اسكندر: **المسلمون والبيزنطيون والأرمن في كتابات سبيوس**، ص 49.

2 - ثيودور الرشتوني Theodor Rishtuni، الزعيم الحقيقي للشعب الأرمني، توفي سنة 34هـ/ 645م.

نيكولاي هوفهانيسيان: "العلاقات التاريخية الأرمنية – العربية"، *الهيأة الوطنية الأرمنية- الشرق الأوسط*، موقع على النت. http://www.ancme.net/studies/350

3 - اسكندر: **المسلمون والبيزنطيون والأرمن**، ص 49- 50.

السيادة البيزنطية[1]. كما وعلّق المؤرخ الأرمني البطريك جون كاثوليكوس (ق4ه/10م):" تحالف الأرمن مع الموت، وأقسموا على الإخلاص للجحيم، وابتعدوا عن الإمبراطور البيزنطي". وعقب على المعاهدة المؤرخ الفرنسي رينيه جورسيه Rene Grusset:" كان الخليفة المسلم أكثر عدلا ووفاءً مما منحه ملوك الساسان من قبل لأرمينية، ذلك لأن الإسلام أقرب الى المسيحيّة منه الى المجوسيّة"[2].

تجدر المعاينة الى هذه المعاهدة بأنَّها تختلف بطبيعتها ونتائجها وصياغتها عن المعاهدات التي توردها المصادر الإسلاميّة، وهي مشحونة بسطوة الدولة وهيبتها وإذعان الآخر، بينما هذه المعاهدة فيها معاني المساواة، فهي أشبه باتفاقيات الدفاع المشترك المُبْرَمَة بين دولتين، وفيها تعهد العرب بالدفاع عن الأرمن، ومن ثم اعتراف بالحكم الذاتي، وأقرار بعدم ارسال أي حاكم او قائد عربي.

أَمَّا مَا ذكر من معاهدة بَيْنَ الخليفة عمر والْمَسِيحِيِّينَ فِي سُورِيَةَ، اشتهرت بـ" عهد عمر" أَوْ " العهدة" أَوْ "الشّروط العمرية"، فلها أَهَمِّيَةٌ كُبْرَى، إِذْ تحوي عَلَى شروطِ عُمَر، فِيمَا يتَعَلّق بعلاقة الْمُسْلِمِينَ مَعَ أهل الذِّمَّة. يذكرها الطّرشوشي (ت520هـ/ 1126م)[3] عَنْ عبد الرّحمن بن غنم (ت78هـ/ 697م): قَالَ: كتبنا إِلَى عمر حِينَ صالح نَصَارَى أهل الشّام:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، هَذَا كتَابٌ لعبد الله عمر أمير المؤمنين، من نَصَارَى مدينة كذا، إِنَّكُمْ لَمَّا قدمتم عَلَيْنَا، سألنّاكم الأَمَانَ لأنفسنا وذرارينا وأموالِنّا وأهلِ ملّتِنا، وشرطنا لَكُمْ عَلَى أنفسنا أنْ لا نُحدثَ فِي مدائننا، ولا فِيمَا حولها ديراً ولا كَنِيسَة ولا قلية ولا صومعة راهب، ولا نُجَدِّدَ مَا خربَ مِنْهَا، ولا مَا كَانَ مختطًا

1 - اسكندر: م. ن، ص 50.

2 - اسكندر: م. ن، ص 50.

3 - الطرطوشي: **سراج الملوك** ص 135.

مِنْهَا فِي خطط الْمُسْلِمِينَ فِي ليل ولا نهار، وأنْ نُوسعَ أبوابَها للمارَّةِ وابنِ السّبيل، وأنْ نُنْزِلَ مَنْ مَرَّ بِنا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثلاثَ لَيالٍ نُطْعِمهُم، ولا نأْوِي، فِي كَنَائِسنا، ولا فِي منازلنا، جاسوساً، ولا نكْتُمه عَنْ الْمُسْلِمِينَ، ولا نُعَلِّم أولادَنا القُرآن، ولا نُظْهِر شرْعَنا، ولا ندْعُو إلَيْهِ أحداً، ولا نَمْنَع أحداً من ذَوِي قراباتِنا الدّخول فِي الإِسْلَام، إنْ أرادَه، وأنْ نُوقِّر الْمُسْلِمِينَ، ونقومُ لَهُمْ منْ مجالسِنا، إذَا أرادوا الجُلُوسَ، ولا نتشبَّه بِهِمْ فِي شيء من لباسهم: فِي قلنسوة، ولا عمامةٍ، ولا نعلينِ، ولا فرقِ شعرٍ، ولا نتكلَّم بكلامهم، ولا نتكنَّى بكُناهم، ولا نرْكَب بالسّروج، ولا نتقلَّد بالسّيوف، ولا نتَّخذ شيئًا من السّلاح، ولا نحمله معنا، ولا ننْقش عَلَى خواتِمنا بالْعَرَبِيّة، ولا نبيع الخمورَ، وأنْ نَجزَّ مقادمَ رؤوسنا، ونلزِمَ زَيَّنا حيثُما كُنَّا، وأن نشُدَّ الزنانيرَ عَلَى أوساطِنا، ولا نُظهِر صلبانَنا وكُتُبَنا فِي شيْءٍ من طرقِ الْمُسْلِمِينَ ولا أسواقِهم، ولا نضربُ نواقيسَنا فِي كَنَائِسنا إلا ضرباً خفيفًا، ولا نرفع أصواتَنا بالقراءةِ فِي كَنَائِسنا فِي حضرةِ الْمُسْلِمِينَ، ولا نرفع أصواتَنا مَعَ موتانا ولا نُظْهِر النّيرانَ فِي شيْءٍ من طُرُقِ الْمُسْلِمِينَ ولا أسْواقِهم، ولا نُجاوِزُهم بموتانا، ولا نتخذ من الرّقيق مَا جرى عَلَيْهِ سِهام الْمُسْلِمِينَ، ولا نطَّلِع عَلَى منازِلهم.

يبدو للمُتَمَعِّن فِي هَذِهِ المعاهدة، أَنَّهُ نصٌّ جاهزٌ لِكُلِّ بلد، فِي حِين المعاهدات الأخرى، صيغت بحَسَبِ ظروف كُلِّ بلد وأهله، وما يُمْلِيه الفاتحُ، ويُدوَّن اسْمُ البلد، ولذا هِيَ مُخْتَلفة من بلد إلَى آخر. وَهَذَا العهد جاء جامعا لأغلب مَا فِي المعاهدات من عبارات، ولذا تميزت بطولها عَنْ باقي المعاهدات، وأسلوبها تقريري ذاتي يشوبُه الإحباط، والعهود الأُخْرَى مفعمة بلغة الأمر، ويكتنفها الظّفر. فَضْلًا عَنْ أَنَّ فِي "الشروط العمرية" عبارات تَمَسُ حُقُوقَ أَهْلِ البَلَدِ الدّينيَّة والاجْتِمَاعِيَّة، وتَسْلُبهُمْ مَحَاسِنَ وُجُودِهِمْ، وَتَبْخَسُ تَفَاعُلَهُمْ فِي المُجْتَمَع، وتشتمل عَلَى تناقُضٍ، لا يقرُّه الفكر الإِسْلَامِيّ، بَيْنَ عدم منع الدّخول فِي الإِسْلَام، وَبَيْنَ عدم قراءة القُرآن، وتعليمه.

نتحصّل أنّها غريبة عَنْ مُطْلَق الكُتُب والمعاهدات الإِسْلَاميّة، وأكبرُ الظّنِّ، أنّها كُتِبتْ مَا بَعْدَ عصر المتوكل العباسي (232-247هـ/ 846-861م)، الَّذِي أَقْصَى اليَهُودَ والنَّصَارَى، وَلَمْ يستعمِلْهُمْ، وأذَلَّهُمْ[1]، حَيْثُ تملأ الْوِلَايَةُ العباسيَّة الدّنيَا، وتعود الْكَنَائِس مَسَاجِد، والمذابح المستعبدة معابد، والصَّلِيب الْمَرْفُوع حطبًا فِي المواقد، والنّاقوس الصّهل أخرس اللهجة فِي الْمَشَاهد[2]. وعزَّزها عصر فقهاء الدّولة الَّذِينَ اختلفوا فِي مبلغ الْجِزْيَة[3]، وبالغوا فِي تفسير أحكامهم، فَمَنَعوهُمْ مِنَ التّكَلُّمِ بِكَلَامِ الْعَرَبِ لِئَلَّا يَتَشَبَّهُوا بِهِمْ فِي كَلَامِهِمْ، كَمَا مُنِعُوا مِنَ التّشَبُّهِ بِهِمْ فِي زِيِّهِمْ وَلِبَاسِهِمْ وَمَرَاكِبِهِمْ وَهَيْئَاتِ شُعُورِهِمْ[4].

زِدْ عَلَى ذَلِكَ، إنّ هَذِهِ المعاهدة لَمْ تذكرها مصادر الْفُتُوح والسّير الأولى، الَّتِي دُوِنَتْ فِيهَا الكُتُبُ والمواثيقُ مَعَ أهلِ الذِّمَّة، بَلْ طفقَ ذكرُها فِي القَرْن 6ه/12م، وذكرها ابن عساكر (ت571هـ/ 1176م) فِي أشكال عِدَّة[5]، مَرَّةً كَانَ القائد أَبُو عُبَيْدَة، بواسطة أبي مِخْنَف لوط بن يحيى (ت157هـ/ 774م)، وَأُخْرَى عبد الرّحمَن بن غنم. وشرحها ابن قيّم الجوزية (ت751هـ/ 1385م)، وبنَى عَلَيْهَا أحكامَ أهل الذِّمَّة فِي ستّة فصول[6].

ثَمَّةَ دراسةٌ توثيقية للعهدة العمرية[7]، رِوَايَة ودرايةً، تبيّن- من خلال التَتَبُّعِ- وجودَ عدّة نصوص للعُهْدَة، خُلصَتْ إلى عدم إمكانيّة إثبات أيِّ نصٍ للعهدة من

---

1 - الطرطوشي: **سراج الملوك** ص 136.

2 - أَبُو شامة، عبد الرّحمن المقدسي (ت665هـ): **عيون الرّوضتين فِي أخبار الدولتين النّورية والصّلاحية**، (مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1997) 3/ 183.

3 - **تاريخ دمشق**121/2، 176/2، 179،177.

4 - ابن القيم الجوزية: **أحكام أهل الذمة** 1313/3.

5 - الطرطوشي: م. س. ص 136.

6 - **أحكام أهل الذمة** 1167/3، 1346.

7 - رمضان إسحاَق الزيان: " روايات العهدة العمرية دراسة توثيقية"، *مجلة الجامعة الإسلامية* (المجلد الرابع عشر - العدد الثاني يونيو، 2006) ص169 – 203.

الناحية الحديثيّة، حسْبَ مقاييس النقدِ عنْدَ المُحَدِّثين، وكذلك ردّ ما يسمى بالشروط العمريّة لضُعفِ أسانيدها. فضلا عن هذا شكك بعض المستشرقين بأصالتها، ولاسيَّما "دي غويه De Goeie " و "كيتاني Caetani" قد أقاما الدليلَ، الذي لا يدَعُ مجالًا للشكِّ، على أنَّ هذه القيود قد اُسْتُحْدِثَتْ في بعض العصورِ المتأخرةِ، ومع ذلك فقد قَبِلَ فقهاءُ المسلمينَ، الذين عاشوا في أزمانٍ، أقلَّ تسامحًا، هذه العهودَ على أنَّها صحيحةٌ، ومن ثَمَّ كانتْ على جانبٍ من الأهميَّة في تكوينِ حكمٍ عن حالةِ الكنائسِ المسيحيَّة في ظلِّ الحكمِ الإسلاميِّ[1].

إسهام الْمَسِيحِيِّينَ الْعَرَب فِي الْفُتُوح:

إِذَا مَا تضرَّرَ قِسْمٌ من الْمَسِيحِيِّينَ فِي زمَن الْفُتُوح، لأنَّهُمْ كَانُوا عَلَى قرب جُغْرَافِيّ وديمغرافيّ مَعَ بِيزَنْطَةَ أَوْ فَارِس، وما يترتّبُ عَلَيْهِ من مصالحَ، فكثيرًا مَا استغلت بِيْزَنْطا الْمَسِيحِيِّينَ الْعَرَب تَحْتَ وطأة وحدة الدِّين، ووعود غامِرة بمصالح مستقبليَّة أفضل، لتقديمهم فِي مواجهة الْعَرَب الْمُسْلِمِينَ، وقسْم من مسيحي الْعَرَب فِي العِرَاق والجَزِيْرَة، وما تربطُهم من مصالحَ ستراتيجيَّة وتبعيَّة سِيَاسِيّة مَعَ فَارِس، وقفتْ معها فِي مواجهة الْعَرَب الْمُسْلِمِينَ، غير أنَّ هَذَا لا يُعَدُّ موقفًا لازمًا لجميع الْمَسِيحِيِّينَ، أَوْ لأغلبِهم، إِذْ ان القَبَائِل الْعَرَبِيّة- بحَسَبِ طبيعتها الْمُسْتَمَدّة من الصّحراء- تتوافر عَلَى شَخْصِيَّة تحْيَى فِي فضاءٍ من الْحُرِّيَّة وقِلَّة التّبعيَّة للدول، وأنَّها تميل إِلَى أصلِ الْعَرَوبة، وتواشج القَبَائِل الْعَرَبِيّة نسبيًا وسببيًا فِي المصاهرة، وَهَذَا مَا استثمره الْعَرَب الْمُسْلِمون، فِي محاولة اجتذاب قَبَائِل وشخصيات مَسِيحِيّة عَرَبِيّة، إِلَى أنْ تشاركَ مَعَهُمْ فِي الْفُتُوح، وتتَجَلَّى الفكرةُ فِي مقولة الخليفة عمر: "والله لأضربَنَّ ملوكَ العجم بملوك الْعَرَب"، فَلَمْ يدَعْ رئيسًا، ولا ذا رأْيٍ وشرَفٍ

1 - أرنولد: **الدعوة الى الإسلام**، ص75 .

وبِسْطَة، ولا خطيبًا، ولا شاعرًا، إلّا رماهم بِهِ، فرماهم بوجوه النّاس[1]. وَكَانُوا عَلَى الأقلِّ يضمِنون حيادهم.

اختلفت مُقَارَبَات الباحثين فِي أسباب انحياز قسم من الْعَرَب الْمُتَنَصِّرَة إِلَى الْمُسْلِمِينَ، فيرى بعضهم[2]: إنّ انحياز قَبَائِل: لخْم، وجُذام، وغَسّان، وعاملة، والقيّن، وقُضاعَة- إِلَى الْمُسْلِمِينَ قائم عَلَى مصلحة البقاء مَعَ الأَقْوَى والْمُنْتَصِر، وبَعْدَ أَنْ أدركوا أنَّ كفّةَ الصّراع بدأت تميلُ لصالح الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ تردّد نَصَارَى "فَحْل"؛ ولذا أنَّ القَبَائِلَ الْمُتَنَصِّرَة كَانَتْ تغيّر مواقفَها من الْمُسْلِمِينَ، كلما جمع البِيزَنْطيون حشدًا جديدًا، وَكَانَتْ أكثر القَبَائِل الَّتِي كَانَتْ لها مصلحة بالارتباط بالبِيْزَنْطيين هُمْ الغساسنة، ويبدو أنّ إنتصار الْمُسْلِمِينَ فِي معركة أجنادين، قَدْ جعل القَبَائِل الْمُتَنَصِّرَة، تفكر جدّيًا فِي الانحياز إِلَى أحد الجانبين.

ويرجع أدمون رباط[3] قبول الْفُتُوحات الْعَرَبِيّة إِلَى أنّ مِن الطّبيعةِ الإنْسَانِيَّة أنْ تُولِّدَ الانقساماتُ اللاهُوتِيَّةُ فِي تاريخ الْمَسِيحِيَّة، والاضطهاداتُ الدّينِيَّةُ، نُفُورًا وكراهِيَّةً وعِدَاءً فِي بلاد الشام ومِصْر، حِيَالَ الإغريقِ فِي بِيزَنْطَة، كَمَا كَانَتْ عَلَيْهِ الحالةُ النّفسيَّةُ فِي العِرَاق تجَاهَ السّاسانيّين الفُرْسِ، الَّذِينَ لَمْ يمتنعُوا هُمْ- أيضًا- عَنْ اللجوءِ إِلَى العُنْفِ، وسفكِ الدّماءِ لإخضاع الْمَسِيحِيّين، من نَسَاطِرَة ويَعَاقِبَة، إِلَى سَيَاسَتِهِمْ المَجُوسِيَّة.

---

1 ابن خلدون: **تاريخ** 2/ 523.

2 مُحَمَّد سهيل طقوش: **تاريخ الخلفاء الرّاشدين الفتوحات والإنجازات السّياسيّة**، ص 239؛ و انظر: مُحَمَّد عبد القادر خريسات: "دور العرب المتنصرة فِي الفتوحات"، ضِمْنَ بحوث *المؤتمر الدولي الرّابع لتأريخ بلاد الشّام*- 1985م.

3 - أدمون رباط: "المسيحيّون فِي الشّرق قبل الاسلام" ص 15-29، بحث فِي *كتاب المسيحيّون العرب*، ص25.

كاد التعليل الديني لتوضيح نتائج معارك الفتوح من انتصارات او انهيارات، يشيعُ في أنظار المسلمين والمسيحين، وترجمَ تلك النظرةَ مؤرخو الفتوح من لدُنِ الطرفين[1]. ولو قرأنا إفاداتِ قدماءِ الكُتَّابِ الْكَنَسِيِّينِ، لوجدْنَا أَنَّهُمْ لَجَأُوا إِلَى التّفسيرِ اللاَهُوتِيّ، إِذْ أَرْجَعُوا هَذَا التّغييرَ إِلَى إِشَاءَةِ اللهِ، عقوبةً للروم الظّالمينَ، وخلاصًا للمظلومين؛ وحَسْبُنا الاستشهادُ بقولِ مِيخَائِيل السّرْيانِيّ، بِطْرِيك السّريان الأرثوذكس، بَعْدَ خمسة قرون من الفتح، وَفِي تاريخه الطّويل نجدُ عبارات: "لأنّ الله هُوَ المنتقم الأعظم، الَّذِي وحده عَلَى كُلِّ شيء قدير، والذّي وحده إِنَّمَا يبدّل ملك البشر كَمَا يشاء، فيهبُه لمن يشاء، ويرفع الوضيع بدلاً من المتكبّر، ولأنّ الله قَدْ رأى مَا كَانَ يقترفه الرّوم من أعمال الشّر، من نهب كَنَائِسنا وديارتنا، وتعذيبنا بدون أيّة رحمة، فإِنَّمَا قَدْ أتى من مناطق الجنوب ببني إسماعيل، لتحريرنا من نير الرّوم... وَهَكَذَا كَانَ خلاصُنا عَلَى أيديهِم مِن ظُلْمِ الرّومِ وشرورِهم وحقدِهم واضطهاداتِهم وفظاعاتِهم نَحْوَنَا"[2].

أما يوحنا النيقوسي (ق1هـ/7م)، الذي ما فتئ يذكر الاضطهاد الذي أنزله المسلمون بالمصريّين، ويندِّد بما أنزله عمرو بن العاص بالأقباط من عنف واضطهاد، ومضاعفة الضرائب على الفلاحين، حتى باع المصريون أولادَهم لدفع الضريبة؛ كما أنَّه وصف عمرا بـ "الشيطان يستعبد مصر" وأنَّه " المخلوق الكريه الذي استولى على كل ممتلكات المَسِيحِيّينَ الهاربين"[3]. غير أنَّه حَمِلَ رؤيةً مسيحيَّة معاصرة للفتح الإسلاميّ، إذْ ترجمَ صوت المجتمع المصري بنزول النقمة الإلهيّة وسوء العاقبة للحاكمين الرومان: بأنَّ طردَ الرومان وانتصار المسلمين ليس سوى

1 - ولتر كيغي: **بيزنطة والفتوحات الإسلامية**، ص 350.

2 - أدمون رباط: **المسيحيّون في الشّرق قبل الإسلام**، ص26.

3 - عيتاني: **الفتوحات العربية في رواية المغلوبين**، ص114، نقلا عن حوليات يوحنا.

عاقبةٍ لطغيان الإمبراطور هرقل، وما فعله بالأرثوذكس من أفاعيل[1]، وذهب أبعد من هذا الى أنَّ" الله حطَّ آمالهم وسلَّم المَسِيحِيِّينَ الى أعدائهم"[2].

لَعَلَّ هَذَا الموقفَ الدِّينِيَّ الأخلاقِيَّ، المُتَمَثِّلَ فِي نبذِ الإضطهادِ المَذْهَبِيِّ، أسهم في فصلهم تماما عن رِبْقَةِ المسيحيَّة البيزنطيَّة، ودفعَهُم إِلَى تَحْقِيقِ شخصيتِهم الدِّينِيَّة المستقلَّة، فِي الوقوفِ إِلَى جِوَارِ أشقائِهم الْعَرَبِ الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ أضْحَوْا أعلَى مراكزِ القُوَّةِ فِي المنطقة.

ثَمَّةَ رأي، صدحتْ به بعض الكتابات المسيحيَّة، ينصُّ على سياسيَّة السبب، ويعدُّ المسلمين كمثل الفُرْسِ، طالبي غزو وتسلط وجزية، بحسب سبيوس. وترسم "الحوليات النسطورية" صورة تقريضيَّة للدين الإسلامي، ترى فيها محمدا قائدا حربيا، إذ نقرأ فيها أنّ الله حرض على الفرس، غزوة يقودها محمَّد ضمَّت حشْدًا من أبناء اسماعيل كرمل البحر، لا يُكال، ولا يُعَدُّ، ولم تفلحْ أيَّةُ أسوارٍ، أو أبواب، أو أسلحةٍ، أو دروعٍ معهم[3].

في حين اتَّجه "ولتر كيغي"[4] الى منحى أكثر واقعيَّة، إذْ خرج من أحاديَّة السبب، وعزاها الى التطورات السياسيَّة والتغيرات الدينيَّة، فيرى أن الفتوحات الإسلامية لم تكنْ أمرًا محتومًا، غير أنّ تراكميَّةَ الأحداثِ والتبدلاتِ الدينيَّةَ كانتْ حافزًا ومؤثِّرًا في انعطافَةِ بوصلةِ النجاح في هذه الفتوح. ولعل انقطاع المسيحيين في البلاد المفتوحة، عن ربقة بيزنطا، دعاهم الى التكيف مع الوضع

---

1 - يوحنا النيقوسي: **تاريخ العالم القديم ودخول العرب مصر**، ص233؛ **تاريخ مصر ليوحنا النيقوسي، رؤية قبطية للفتح الإسلامي**، (عين للدراسات، القاهرة، 2003)، ص458.

2 - عيتاني: **الفتوحات العربية في رواية المغلوبين**، ص122.

3 - آلان دوسلييه: **مسيحيو الشرق والاسلام**، ص69 . نقلا عن الحوليات النسطورية المغفلة hronique anonyme nestorienne.

4 - **بيزنطة والفتوحات الإسلامية**، ص349.

الجديد، وقبول الأمر الواقع، إذ تقطعت سبل العلاقة مع الامبراطورية الرومانية، التي كان تأثير الفتوحات الإسلامية، في ما بقي منها، كبيرا، وزاد في انقسامها على نحو أفدح[1].

ومِهْمَا يَكُنْ من سبب فَقَدْ فضَّل كثيرٌ من الْمَسِيحِيِّينَ الْعَرَب أنْ يقفوا مَعَ ابناء جلدتهم، فِي مواجهة الفرس، ولاسِيَّمَا فِي مدينتي الحِيرَة وبيروزشابور"Peroz Shapur" (الأنبار)؛ لأنَّهُمْ كَانُوا حانقين عَلَى الفرس الَّذِينَ اضطهدوا ملوكهم المناذرة، وقرضوا دولتهم، ونزل الْعَرَب فِي الحِيرَة بالكَنَائِس والأَدْيِرَة[2].

وسواء كَانَتْ وقفة الْمَسِيحِيِّينَ مَعَ ابناء جلدتهم أفرادا أَوْ قَبَائِل، فَهِيَ مُمَارَسَات ذات صدى تاريخيّ وقِيمِيّ فِي معرض التّقليد الْعَرَبِيّ، وعلى سبيل المثال: أَبُو زبيد الطّائي[3] كَانَ نَصْرَانِيًّا، قدم الحِيرَة لبعض أموره، فحضَر مَعَ المثنى، وقاتل حِينَئِذٍ حَمِيَّةً للعربية[4]. وَفِي معركة الجسر سنة (13هـ/ 634م) خرج أهل "أليس" عَلَى أَصحابِ الأَمْرِ فِيهَا، فأتوا بِهِمْ أَسْرَى، وعقدُوا مَعَ المُثَنَّى بن حارثة مُهَادَنَةً. وبعثَ المثنّى الرّسلَ فِي مَنْ يَلِيهِ مِن الْعَرَب، فَوَافَوهُ فِي جموعٍ عظيمةٍ، حَتَّى نَصَارَى بني النّمرِ جاءُوه، وَعَلَيْهِمْ أنس بن هلال، وَقَالُوا: نقاتلُ مَعَ

---

1 - جون. ب. نوس John. B. Noss: "المسيحية"، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، *موسوعة تاريخ الأديان*، تحرير: فراس السواح، 287/5

2 - ادي شي: **كلدو وآثور** 252/2.

3 اسْمُهُ حَرْمَلَةُ بْنُ الْمُنْذِرِ النّصْرانيّ، شاعر مشهور مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ولم يسلم، وَكَانَ أَبُو زبيد يجالسّ الوليد بْن عقبة، صفيا لَهُ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ فَاسْتَنْشَدَهُ شَيْئًا من شعره. ابن سلّام، مُحَمَّد الجمحي (ت 232هـ: **طبقات فحول الشّعراء**، (دار المدني، جدة) 2/ 593؛ أَبُو الفرج الاصفهاني: **الاغاني** (148/12- 163)؛ **تاريخ دمشق** 320/12-327؛ **الرّوض الأنف** 6/ 164؛ **تاريخ الإسلام** 3/ 359؛ **البداية والنّهاية** 7/ 248؛ ابن خلدون: **تاريخ** 2/ 525.

4 - **فتوح البلدان**، ص 248؛ **الكامل فِي التاريخ** 2/ 278؛ **ابن خلدون**: التاريخ 2/ 522.

قومنا[1]. وقَدِمَ ابنُ مردى الفهر التَغْلبي، فِي أُنَاسٍ من بني تَغْلب نَصَارَى، وجُلّابٍ جلَبُوا خَيْلًا، وَقَالُوا- حِينَ رَأوا نزولَ الْعَرَب بالعجم: نُقَاتِلُ مَعَ قَوْمِنا. وَكَذَلِكَ قَالَتْ فِئَةٌ مِن بَنِي تَغْلُب فِي يوم البُوَيْب لَمَّا جلبوا خيلا للعرب[2].

لَمّا طال القتال واشتد فِي البُوَيْب، عمَدّ المثنى إلَى أنس بْن هلال، فقال: يا أنسُ، إنَّك امرؤ عَرَبِيٌّ، وإن لَمْ تَكُنْ عَلَى ديننا، فإذا رأيتني قَدْ حملتُ عَلَى مهران (مرزبان الفُرس) فاحملْ معي، وَقَالَ لابن مردى الفهر مثل ذَلِكَ، فأجابه فحمل المثنى عَلَى مهران، فأزاله حَتَّى دخل فِي ميمنته، ثُمّ خالطوهم، واجتمع القلبان وارتفع الغبار والمجنبات تقتتِلُ،... وأوجع قلبُ الْمُسْلِمِينَ فِي قلبِ المشركين، وقَتَلَ غلامٌ من التّغلبيّين نَصْرانيٌّ مهرانَ، واستوى عَلَى فرسِه، ثُمّ انتمى: أنا الغلامُ التَغْلبيُّ، أنا قتلت المرزبان؛ فجعل المثنَّى سلبَه لصاحبِ خيلِه[3].

كَانَتْ نصرة الْمَسِيحِيّينَ جليَّةً يوم تكريت سنة (16هـ/637م)، إثر اِجْتِمَاعِ أهل الموصل إلَى الأنطاق، وإقباله بِهِمْ إلَى تكريت حَتَّى نزل بِهَا، وَقَدْ اجْتَمَعَ إلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الرّومِ، وَمِنَ الشّهَارِجَة[4]، وَمِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ، مِنْ إِيَادٍ وتَغْلِبَ وَالنّمِرِ، وَقَدْ خَنْدَقُوا بِتَكْرِيتَ، فَحَاصَرَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمّ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَزَاحَفُوهُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً، مَا مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا وَيَنْتَصِرُ عَلَيْهِمْ، وَيَفُلُّ جُمُوعَهُمْ، فَضَعُفَ جَأْشُهُمْ، وَعَزَمَتِ الرّومُ عَلَى الذّهَابِ فِي السّفُنِ بِأَمْوَالِهِمْ، وَأَقْبَلَتِ الْعُيُونُ مِنْ تَغْلِبَ وَإِيَادٍ وَالنّمِرِ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمّ بِالْخَبَرِ،

---

1 ابن خلدون: م. ن. 2/ 522.

2 - الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك** 3/ 464؛ الكلاعي: **الاكتفاء بِمَا تضمنه من مغازي رسول الله** 2/ 421؛ روفائيل بابو اسحاق: **تاريخ نصارى العِرَاق** ص58.

3 - البلاذري: **فتوح البلدان** 311/2؛ الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك3**/ 466.

4 - تل الشّهارجة قرب الموصل، يسكنه قوم من نصارى، ذو يسار. فتوح البلدان، ص 323؛ ابن حوقل، مُحَمَّد البغدادي (ت: بعد 367هـ): **صورة الأرض**،(دار صادر، بيروت 1938م) 217/1.

وَسَأَلُوهُ لِلْعَرَبِ السِّلْمَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الدُّخُولِ مَعَهُ فِي النُّصْرَةِ عَلَى أَهْلِ الْبَلَدِ، فناصروه، وَلَمَّا أراد أهل الخندق عبور دِجْلَةَ، تَلَقَّتْهُمْ إِيَادٌ وَالنَّمِرُ وتَغْلِبُ، فَقَتَلُوهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا[1].

كتب مطران الموصل[2]: " لقد رحب السّريان بالْعَرَب الفاتحين معتبرين إياهم محررين لا غزاة، لأن طابع الفتح كَانَ دِينِيّاً وفِكْرِيّاً وسلمياً، وَقَدْ مارس رؤساء الكَنِيسَة مسؤولياتهم من منطلق قول السَّيِّد الْمَسِيح: «كونوا حكماء كالحيّات وودعاء كالحمام» (مت 10: 16)... لِذَا كَانَ ماروثا مفريان تكريت (628- 649)، الَّذِي تميز بالحكمة وبعد النّظر، اليد الطّولى فِي فتح أبواب تكريت أمام الفاتحين حاقناً بِذَلِكَ الدّماء".

حِينَ قدم الوليد بن عقبة سنة (17هـ/638م)، عَلَى بني تَغْلِب وعرب الجَزِيْرَة من ربيعة و تنوخ، نهض مَعَهُ مُسْلِمهم وكافرهم، إلا إياد بن نزار فإنهم ارتحلوا بقليَّتهم، فاقتحموا أرض الرّوم[3]. نلحظ هُنَا أن أغلبية الْمَسِيحِيِّينَ قدَّموا مناصرة الْمُسْلِمِينَ، إمّا للمنحى القومي، أَوْ لتقرير الأمر الواقع، فِي الخضوع وتقديم التّنازلات الْمَالِيَّة والعقائديَّة مقابل بقائهم عَلَى أرضهم، مَا عدا قبيلة أياد ارتحلت حفاظا عَلَى تدينها الرّاسخ.

ثَمَّةَ نوعٌ آخرُ من الْمُشَارَكَةِ، هو مشاركة رجال من الكنيسة في الفتوح، ففِي فَتْح دِمَشْقَ، بحَسَبِ الواقدي[4]: أَنَّ خَالِدَ بن الوليد شَدَّ عَلَى جانبِه بالقتالِ،

1 - **تاريخ الرّسل والملوك** 35/4، 54؛ **الكامل فِي التاريخ** 2/ 348؛ **البداية والنّهاية** (ط هجر) 10/ 27.

2 -. المار غريغوريوس صليبا شمعون: "عصارة فكر، علاقة البطاركة والمفارنة بالخلفاء العباسيين"، م. س..

3 الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك** 4/ 54.

4 - **فتوح الشّام** 1/ 72، 154.

وَكَانَ هُنَاكَ قِسِّيسٌ من قُسِسِ الرّوم اسمه يونس بن مرقص، وَكَانَتْ داره ملاصقة للسور، مِمَّا يلي باب شرقي الَّذِي عِنْدَهُ خَالِد... فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ الليلة نقب يونس من داره وحفر موضعا، وخرج طالبا أمانا لَهُ ولاهله، فأخذ خَالِد عهده عَلَى ذَلِكَ، وانفذ مَعَهُ مائة رجل من الْمُسْلِمِينَ، أكثرهم من حِمْيَر... ومضى أمامهم القِسِّيسُ.. حَتَّى قصدوا الباب وكسروا الأقفال وقطعوا السّلاسل، ودخل خَالِد بن الوليد ومن مَعَهُ من الْمُسْلِمِينَ، ووضعوا السّيف فِي الرّوم، وَهُمْ مُخْتَلفون بَيْنَ يديه إِلَى أن وصل إِلَى كَنِيسَة مَرْيَم، حَيْثُ التّقى بجيش أبي عُبَيْدَة وأصحابه والرّهبان سائرون بَيْنَ ايديهم، وما أحد من أصحاب أبي عُبَيْدَة جرد سيفه، وَقَدْ فُتِحَتْ المدينة عَلَى يديه صُلْحًا.

وفي الجانب الآخر شارك نصارى العرب الروم في معاركهم الأولى ضد المسلمين، يذكر ابن عساكر[1]: كان بمؤتة (8هـ/ 629م) ابن أبي سبرة الغساني، وانتظم بها جموع من نصارى العرب والروم، بها تنوخ وبهراء، والتقوا المسلمين فاقتتلوا قتالا شديدا، حتى قتل ثلاثة من قواد المسلمين، وانسحب بهم خالد بن الوليد. وفي موقعة اليرموك (13هـ/ 634م) خلع هرقل على جبلة بن الأيهم الغساني وضم إليه في ستين ألف فارس من العرب المتنصرة من غسّان ولخم وجذام، وقال لهم: كونوا في المقدَّمة، فإن هلاك كل شيء بجنسه، والحديد لا يقطعه إلا الحديد، ثم أمر القسوس أن يغمسوهم في ماء المعمودية. وبعد فشل حوار بين العرب المسلمين والعرب المتنصرة، لجذبهم الى صفهم تحت تأثير انَّهم من جلدة واحدة، أو اعتزال المعركة، لجأوا الى السلاح، وخاضوا وطيس الحرب، فإذا جيش العرب المتنصرة منهزمون[2]. ومثلها حدث في فتح اجنادين و

1 - **تاريخ دمشق** 2/ 10.

2 - الواقدي: **فتوح الشام** 150/1، 164.

عزاز[1]. وفي العِرَاق نصارى أليس اجتمعوا الى الفرس، فباغتهم خالد ولم يبقَ منهم أحدا على النهر، فجرى دمًا عبيطا، فسمي "نهر الدم" لذلك[2].

انفرد المؤرخ الأرمني سبيوس بذكر أنّ الأرمن شاركوا في موقعة القادسية الى جانب الفرس سنة 15هـ/ 636م، وتمزق جيش الفرس وأعوانه من الأرمن، بعد مقتل القائد الفارسي رستم[3]. وكان لهم وجود وقيادة في حروب الشام، يورد الواقدي[4]: إنَّ "ماهان" الأرمني ملك الأرمن، وقد جمع من الأرمن ما لا يجمعه أحد من أهالي الملك هرقل، وشاركوا في وقعة اليرموك. وحمل "جرجير" الأرمني في ثلاثين ألفًا من الأرمن على شرحبيل بن حسنة، وانكشف أصحابة[5]. وكان الأرمن من الأشداء في الحرب فقد ثبتوا في حلب، بينما البطريق المعظم يوقنا صاحب حلب قد هرب من العرب[6]، وفي حَرَّان خرج أرسوس إلى لقاء المسلمين والتقى الجمعان، وكان قد قدم أمام جيشه بطلا من الارمن اسمه "أرجوك" في ثلاثة آلاف فوقعت الهزيمة على الارمني[7].

نتائج الْفُتُوح:

- احدثت تغييرًا فِي نسيج المُجْتَمَع والتّوازن الاِجْتِمَاعِيّ فِي البُلْدَانِ المفتوحة، بفرض الْعَرَب الْمُسْلِمِينَ كعنصر ثابت عَلَى الأرض، وَلَهُ الأَهَمِّيَة فِي مباني المُجْتَمَع الجديد ونظمه الحياتية.

---

[1] - الواقدي: م. ن. 1/ 302.

[2] - ابن الجوزي: **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** 103/4.

[3] - فائز نجيب اسكندر: **المسلمون والبيزنطيون والأرمن في كتابات سبيوس**، ص 28.

4 - **فتوح الشام** 1/ 203.

5 - م. ن. 148/1، 190،

6 - م. ن. 91/2.

7 - م. ن. 118/2.

- ظهور قُوّة سِيَاسِيّة جديدة انفردت بالسّيطرة، وتمكنت من توسيع نفوذها إلَى أكبر رقعة عَالَمِيَّة، بَعْدَئِذْ مسحت دولة فَارِسَ من خَارِطَة السّياسة، وقلمت أظافر دولة الرّوم، وأزاحتها إلَى حدود العاصمة قسطنطينة.

- ظهور قُوّة دِينِيَّة جديدة، تفرض نفسها عَلَى الحياة العَامّة بقُوّة أحد الخيارات: الإِسْلَام، أَوْ الجِزْيَة، أَوْ السّيف.

- ظهور طبقة اِجْتِمَاعِيَّة سيادية جديدة، تمتلك زمام الحكم، وإِدَارَة البلاد، والوظائف السُّلْطَانِيَّة، دُونَ شعوب البُلْدَانِ المَفْتُوحَةِ، الَّتِي تمَثِّل الأغْلَبِيَّة.

إنكفاء الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة من جَزِيْرَة الْعَرَب فِي عهد الخِلَافَة الرّاشدة:

في إثر وفاة الرّسول مُحَمَّد، تذَبْذَبَتْ المحصّلَة الدينيَّة، وكأنّها لم تستقرّ بعد، كَمَا وصفها ابن اسحاق[1]: "ارْتَدَّتْ الْعَرَبُ، وَاشْرَأَبَّتْ اليَهُودِيَّة وَالنّصْرَانِيَّة، وَنَجَمَ النِّفَاقُ " أخذت دولة الخِلَافَة عَلَى عاتقها اعادة الأمور إلَى نصابها، وبدأت أول الاعمال العَسْكَرِيّة فاعليتها فِي قُضَاعَةَ وكَلْب، فَقَدْ ارْتَدَّ وَدِيعَةُ الْكَلْبِيُّ فِيمَنْ تَبِعَهُ، وَارْتَدَّ زُمَيْلُ بْنُ قُطْبَةَ الْقَيْنِيُّ، وَارْتَدَّ مُعَاوِيَةُ الْوَالِبِيُّ فِيمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ سَعْدِ هُذَيْمٍ[2]، واستنصروا بالقَبَائِل الْمَسِيحِيّة فِي بلاد الشّام، إِلَّا أَنَّهُمْ هزموا، وَلَمْ يَنْجُ مِنْ القَتْلِ إلاّ قليلون، وَكَانَتْ الموقعةُ أَوّلَ مواجهة طائفيّة- بَعْدَ مَوْتِ الرّسول- بَيْنَ عَرَبٍ مُسْلِمِينَ وعربٍ مَسِيحِيّينَ. وَكَانَتْ سَجَاحُ تَنَبَّأَتْ بِدِينٍ جَدِيدٍ، وتَكَهَّنَتْ، فأتّبعَها قَوْمٌ من بني تميم، وقَوْمٌ من أخوالها نَصَارَى بني تَغْلِب؛ وَلَمَّا تقدم عَلَيْهِمْ جيش الْمُسْلِمِينَ سحقهم وصاروا أشتاتا[3].

---

1 - ابن هشام: **السّيرة** 2/ 665؛ ابن الجوزي: **المنتظم** 4/ 74؛ السّهيلي: **الرّوض الأنف** 601/7.

2 - الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**3/ 243؛ **الكامل فِي التاريخ** 2/ 201.

3 - **فتوح البلدان**، ص 104؛ الطبري: م. ن. 3/267- 282.

دخَلَ الإِسْلَام في بودقة العقل العربي بكلّ أدوات القُوّة والعُنْفُوَانِ، لنَشْرِ تعاليمه، تَحْتَ لِواءِ الدّولة الفَتِيَّة، فِي السّيطرة عَلَى جَزِيْرَة الْعَرَب وحوالها، وَكَانَتْ القَبَائِل الْعَرَبِيّةُ تشكّل مَرَاكِزَ القوّةِ السّيَاسِيَّة والعَسْكَرِيّة فِيهَا، والدّيَانَات الشّائعة فِيهَا الوَثَنِيّة والْمَسِيحِيّة، والقَبَائِل -بطبيعتها- لَمْ تَكُنْ راسخة فِي الدّيَانَة، لِذَا أضحتْ فِي مَرْمَى محاولات الدّولَة العَرَبِيَّة، لاستدراجها إلَى الدّين الجديد. بات - من الضَّروري- أنْ يتمَّ إخضاعُ القَبَائِل تَحْتَ شبح القُوّةِ العَسْكَرِيّة، المتشح بالعباءة الإيمانيّة للإِسْلَام، ذي الصّبغة الإحتوائيّة، مثل: دين رب العالمين، وَهُوَ الدّين الإِبْرَاهِيمِيُّ، الَّذِي تنْطَوِي تَحْتَهُ الدّيَانَاتُ الكِتَابِيَّةُ، وَكَانَ اتّبَعَ مَبَادِئَ الهيمنة أصولا، فِي مدّ نفوذِ الدّولةِ الدّينيَّة الجديدة، نحو ثلاثية الخيار: (الإِسْلَام، الْجِزْيَة، الحرب). وتوظيف مناحيَ شرعيّة، نحو: إِلْزَامِ الْحَرْبِيّ أَحْكَامَ الإِسْلَام، واتباعِ قَتْل الْمُرْتَدّ حَدًّا مُسْتَحَقّاً، لَا يَجُوزُ تَأْخِيرُهُ بِمَال، وَلَا يجوزُ تَرْكُهُ[1]، وشرط المعاهدات: "أن لا يُنَصِّرُوا أَبْنَاءَهُمْ[2]، وَلَا يَمْنَعُوا أَحَدًا مِنْهُمْ مِنَ الإِسْلَام[3]". وَفِي ظل هَذِهِ التّشريعات انصهر فِي الإِسْلَام كثيرٌ من الْمَسِيحِيّينَ الْعَرَب، أفرادًا، وقَبَائِلَ.

على أنَّ الطابعَ القوميَّ، الذي اصطبغ به التوسعُ الإثنيّ، والدخول في صفوف جيوش الغزوات العربيّة، كان له الجاذبيّة في تحول البدو المَسيحِيّينَ الى الإسلام. وبحسب أرنولد[4]: لم يكنْ غريبًا أنْ نجدَ كثيرا من القبائلِ العربيَّة التي دانتْ بالمسيحيّة قرونا، قد نبذتها في ذلك الوقت لتدين بالإسلام، وكان من بين

1 - السّرخسي، مُحَمَّد بن أحمد (ت483هـ): **شرح السّير الكبير** (الشّركة الشّرقية، القاهرة 1971م) ص 1704، 2016.

2 - أَبُو يوسف: **الخراج**، ص 148؛ ابن الأثير: **الكامل فِي التاريخ** 2/ 352، 357/3؛ مُحَمَّد حميد الله: **مجموعة الوثائق السّياسيّة للعهد النّبوي والخلافة الرّاشدة**، ص 524.

3 - **تاريخ الرّسل والملوك** 4/ 55؛. **الكامل فِي التاريخ** 357/3؛ **تاريخ ابن خلدون** 2/ 546.

4 - **الدعوة الى الإسلام**، ص65.

هؤلاء قبيلة غسان، التي كان لها المُلْكُ في قبائل الشمال، فكانوا أربابًا في الجاهليَّة، وأضحوا نجومًا في الإسلام.

وجاء إبعاد مسيحي نَجْرَان من الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة، في عهد الخليفة عمر، مؤشرا آخر عَلَى تضاؤل الْمَسيحيّة، فأهل نَجْرَان مِنْ بَعْد أَنْ جدّدوا العهد والبيعة مَعَ الخليفة أبي بكر، وثبّتَ أوضاعهم. وعَلَى الرّغْمِ مِنْ أَنَّهُمْ لَمْ ينقضوا عهدا، إِلَّا أَنَّ الخليفة أمر بجلائهم عَنْ نَجْرَان اليمن، خوفاً من تعاظمهم[1]، ونزل بعضهم الشّام وفقد أثرهم، ونزل أغلبُهم "النَجْرَانيَّة" قرب الكوفة وبهم سُمّيَتْ، وظلّوا في ذمّة الْمُسْلِمِينَ. أوصى عمر أمراء الشّام والعِرَاق، بأنْ يوسعوهم أرضًا، وأنْ يُعفوا من الضَّريبة لمدة سنتين. وَلَيْسَ أدلُّ مِنْ أَنَّ هَذَا الإجلاءَ أفْقَرَ النَجْرَانيّين وأضعفَهم. ثُمّ أَنَّهُمْ اشتكوا لعثمان تَنَاقُصَ عدَدِهِمْ، فخَفَّفَ عَنْهُمْ الْجِزْيَة، وطلبوا من الإمام عَلِيّ إرجاعَهم إِلَى وطنِهم الأصليّ، فاعتذَرَهُمْ، قائلاً: " إِنَّ عُمَرَ كَانَ رَشِيدَ الْأَمْرِ[2]، وأنا أَكْرَهُ خِلَافَهُ[3]". فَكَانَ إبعادُهُمْ مُبَادَرَةً سِيَاسِيّةً من عمر، وإنْ كَانَ بعضُهم حاولَ تبريرها بِتَوْصِيَةٍ من الرّسول، لإبعاد الْمَسِيحِيّينَ من الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة. واستمرّ وجودُ بعضِ المجموعاتِ الْمَسِيحِيّة، عَرَبِيّةً كَانَتْ أَوْ أعجميّةً، في اليمنِ والأطرافِ الشَّرْقِيَّةِ للجَزِيْرَةِ بَعْدَ عهد عمر بن الخطّاب[4].

1 - أَجْلاهُمْ لأَنَّهُ خَافَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ كَانُوا اتَّخَذُوا الْخَيْلَ وَالسِّلاحَ فِي بِلادِهِمْ فَأَجْلاهُمْ عَنْ نَجْرَانَ الْيَمَنَ وَأَسْكَنَهُمْ نَجْرَانَ العِرَاق. أَبُو يوسف: **الخراج**، ص 87

2 - أَبُو يوسف: م. ن، ص 87؛ ابوعبيد، القاسم بن سلام: **الأموال**: ص 128.

3 - **فتوح البلدان**، ص 74.

4 - الأرشمندريت اغناطيوس ديك: "القبائل العَرَبِيّة المسيحيّة في بلاد الشّام في عهد صدر الإسلام"، *بحث في النّدوة الدّوْلِيّة "بلاد الشّام في عصر الرّسول والخلفاء الرّاشدين"* كلية الآداب، جامعة حلب، 2-2006/5/4. *موقع كنيسة القديسة تيريزيا بحلب.*

وحسْبُ مسيحِيّ نَجْرَان تناقصًا، إِذَا أخذْنَا برِوَايَة الغزالي[1]: أنَّ أسقف نَجْرَان أسلَمَ عَلَى يَدِ الإمام عَلِيّ، وأَنَّهُ دخل عَلَيْهِ، وأخذا فِي تداول العِظَةِ. ومن خِلَالِ اجابته لمسيحي نَجْرَان، يبدو أن عَلِيَّ بن أبي طالب كَانَ يسعى إِلَى إلحاقهم بالإِسْلَام، وأَنَّهُ حقق بعض النّجاح[2].

مهما يكنْ من أمرٍ، فإنَّ تطهيرَ جزيرة العرب من الديانات الأخرى، الذي أطلقه الخليفة عمر، ونُسِبَ الى قولِ الرسولِ: "لَا يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"[3]، ولّدَ مشاعرَ الضياعِ، وفقدانَ الهُوِيَّةِ التاريخيَّةِ لَدَى مسيحِيّ نَجْرَان، وتَشَتُّتَهُم في البلدانِ، واندماجَهم ديموغرافيًّا في بيئاتِ الكوفةِ والشامِ، شكَّل خطرًا على وجودِهم الديني. مَرَدُّ ذلك الى إشتراعٍ على العهد النبوي الى مسيحيي نَجْرَان، او عدم العمل بروحه في صيانتهم الدينية، ومن جهة أُخْرَى، عدم قبول الإمام علي بردِّهم الى نَجْرَان، بسبب كراهيَّته لأنْ يغيِّرَ على سَلَفِه، وكان عليه أنْ لا تأخذُهُ في الحقِ لائمةٌ، إلَّا إذا كانتْ الكراهيَّةُ سياسيَّةً، وأنَّه خَشِيَ على مستقبلِهم أنْ يُجْتَرَحَ.

أَمَّا فِي عهد عثمان فَقَدْ ذَوَتْ الْمَسِيحِيَّةُ في عُمَان، ونتبيّن ذَلِكَ من رسالة البِطْرِيَرك النَّسْطُورِيّ أيشوعاب الثّالثّ (648-658م)، ومَحاضِر جلسات المجمع الْكَنَسِيّ، الَّذِي عقده خلفه جرجيس الأول فِي جَزِيْرَة دارين[4] عام 676م، أن ثَمَّةَ تمرُّد حدث في بيت قطرايا[5]، وأن مسيحيّي عمان اعتنقوا

---

1 - أَبُو حامد، (ت505هـ): **مقامات العلماء بَيْنَ يدي الخلفاء والامراء**، (بيروت 2003) ص65.

2 -سلوى بلحاج: **المسيحيّة العَرَبِيّة**، ص147.

3 -مالك: **الموطأ** 257/1؛ أحمد بن حنبل: **المسند** 372/43؛ ابن زنجويه: **الأموال**275/1؛ الفاكهي: **أخبار مكة**23/3؛ الرازي : **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)** 289/5.

4 - دارين: فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، فينسب إليها. ابن عبد الحق: **مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع** 2/ 509.

5 - "قَطَر" الموضع المعروف اليوم على ساحل الخليج. جواد علي: **المُفَصَّل فى تاريخ العرب** 16/

الإِسْلَام ليحافظوا عَلَى ثروتهم الماديّة. يَقُولُ فِي رسالتّه: "أين أبناؤك أيها الأبُّ؟ أين معابدُك أيها القِسُّ؟ ... أَنَّهُمْ لَمْ يُجْبَرُوا لا بالسّيف ولا بالنّار ولا بالتّعذيب والاضطهاد، بَلْ استولت عَلَيْهِمْ الرّغبة فِي الحفاظ عَلَى نصف ثروتهم"[1]، مضيفاً أنّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يطلبوا مِنْهُمْ غيرَ نصفِ ثرواتهم مقابل بقائهم عَلَى دينهم.

نَرَى أَنَّ قسمًا من بني ناجيةَ العمانيّين ظلّوا ثابتين عَلَى مسيحيّتهم فِي منطقة ساحل فَارِسَ فِي عهد الإمام عَلِيٍّ، وَقَدْ يكونون هاجروا إِلَيْهَا فِي عهد الخليفة عثمان أَوْ قبلُ. وَهَكَذَا فَلَمْ يعُدْ من وجودٍ ملموسٍ للجماعاتِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة.

وأخذَتْ الْمَسِيحِيَّةُ فِي التّناقصِ لَدَى القَبَائِلِ الْعَرَبِيّة أمامَ الإِسْلَامِ بإزاءِ الْفُتُوحِ، كَانَ حاضرُ قِنَّسْرين لتَنُوخٍ، فدعاهم أَبُو عُبَيْدَة إِلَى الإِسْلَام، فأسلم بعضُهم، وأقام بعضُهم عَلَى النّصْرَانِيَّة، فصالحهم عَلَى الْجِزْيَة، وَكَانَ أكثرَ من أقام عَلَى نَصْرَانِيّته بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة[2]، وَكَانَ حاضرُ حَلَب لطيئ قديما، فَلَمَّا ورد أَبُو عُبَيْدَة عَلَيْهِمْ أسلم بعضُهم، وصالح كثيرٌ مِنْهُمْ عَلَى الْجِزْيَة، ثُمَّ إنَّهم أسلموا بَعْدَ ذَلِكَ بيسير، الا من شَذَّ مِنْهُمْ. وَكَانَ بقرب حَلَب حاضِرٌ يجمع أصنافا من الْعَرَب من تَنُوخَ وغيرِهم، فصالحهم أَبُو عُبَيْدَة عَلَى الْجِزْيَة، ثُمَّ أَنَّهُمْ أسلموا بَعْدَ ذَلِكَ[3].

تُعَدُّ بهراءُ فِي جملة القَبَائِلِ الْعَرَبِيّة الْمُتَنَصِّرَة قبل ظهور الإِسْلَام، تنصرّت كَمَا تنصّرت غسان وسُلَيْح وتَنُوخ والضَّجَاعِم وقومٌ من كِنْدَة، وَكَانُوا قَدْ تجمّعوا

336؛ الجمري: "البحرين فِي القَرْن السّابع (4)... تمرد بيت قطرايا"، *صحيفة الوسط البحرينية* - العدد 3065 .

1 - اغناطيوس ديك: "القبائل العَرَبِيّة المسيحيّة فِي بلاد الشّام " م. س.

2- قدامة بن جعفر: **الخراج وصناعة الكتابة**، ص 303؛ **فتوح البلدان**، ص146.

3 - **الخراج وصناعة الكتابة**، ص 303.

إلَى حصن الدّومة، وبَعْدَئذٍ قاتلهم خَالِد بن الوليد وأثخنَ فِيهِمْ، أقبَلَ إلَى حصن الدّومة فقتلهم حَتَّى سدَّ بِهِمْ بابَ الحصن، ودعا بالجودى فضرب عنقه، وضرب أعناق الأسرى[1].

وعلى جبهة العِرَاق توجَّه خَالِد بن الوليد، حَتَّى نَزَلَ بِقَرْيَاتٍ مِنَ السّوَادِ: بَانِقْيَا (النّجف) وَبَارُوسْمَا[2]، فعرض عَلَيْهِمْ: إمّا الإِسْلَام، وإمّا الْجِزْيَة، وإمّا الحرب، فقالوا: "مَا لَنَا مِنْ حَاجَةٍ بحربِكَ، وَمَا نُرِيدُ أَنْ نَدْخُلَ مَعَكَ فِي دِينِكَ، نُقِيمُ عَلَى دِينِنَا وَنُعْطِيكَ الْجِزْيَة"[3]، فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا عَلَى تِسْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَكَانَتْ أَوَّلُ جزية وقعت بالعِرَاق[4]. ونقباء أهل الحِيرَة: عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ عَمْرِو بْنِ بُقَيْلَةَ، وَإِيَاسُ بْنُ قَبِيصَةَ الطَّائِيُّ[5]، وحيري بن أكال، وابْنُ صَلُوبَا الَّذِي كتبَ لَهُ خَالِد عهدا [6]. وتجَمَّع فِي الولجَة عَلَى الفرات قوم من نَصَارَى بكر بن وائل، ومن عرب الضَّاحية تنُوخ، وغيرهم، لأعانة أهل فَارِسَ، وَقَدْ أصابهم خَالِد بالسّيف، فغضب لَهُمْ نَصَارَى قومهم[7]؛ و تجمعت فِي "أُلَيْسَ"[1]، فقاتلهم خَالِد، وقتل

---

1 الكلاعي الحميري: **الاكتفاء بِمَا تضمنه من مغازي رسول الله** 2/ 393.

2 - بارُوسْما: الواو والسّين ساكنتان: ناحيتان من سواد بغداد يقال لَهُمَا باروسما العليا وباروسما السّفلى من كورة الاستان الأوسط. ياقوت: **معجم البلدان** 1/ 320.

3 - أَبُو يوسف: **الخراج**، ص157

4 - خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص 118؛ الطبري: **تاريخ الرّسل** 3/ 343، وقال أَبُو يوسف: عَلَى سِتّينَ أَلْفًا. **الخراج**، ص157

5 - خليفة بن خياط: م. ن، ص 118.

6 - كَتَبَ لَهُمْ كِتَابًا فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لابْنِ صَلُوبَا السّوَادِيِّ- وَمَنْزِلُهُ بِشَاطِئِ الْفُرَاتِ- إِنَّكَ آمِنٌ بِأَمَانِ اللَّهِ- إِذْ حَقَنَ دَمَهُ بِإِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ- وَقَدْ أَعْطَيْتَ عَنْ نَفْسِكَ وَعَنْ أَهْلِ خَرْجِكَ وَجَزِيرَتِكَ وَمَنْ كَانَ فِي قَرْيَتَيْكَ- بَانِقْيَا وَبَارُوسْمَا- أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَقَبِلْتُهَا مِنْكَ، وَرَضِيَ مَنْ مَعِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِهَا مِنْكَ، وَلَكَ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ذَلِكَ وَشَهِدَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ. الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**، 3/ 344؛ ابن الأثير: **الكامل فِي التاريخ** 2/ 234.

7 - الطبري: **تاريخ الرّسل** 3/ 353؛ ابن الجوزي: **المنتظم فِي تاريخ الملوك والأمم** 4/ 102.

أسراهم، حَتَّى بلغتْ قتلاهم يوم أليس سبعين ألفا[2]، جُلّهم من أمغيشيا[3]، وأَتَى خَالِد عين التّمْر فَحَاصَرَهُمْ حَتَّى نزلُوا عَلَى حكمه فَقتل وسبى[4]، ثُمّ سَارَ إِلَى الأَنْبَارِ فَصَالَحُوهُ، وَوَجَّهَ الْمُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ الشّيْبَانِيَّ إِلَى سُوقِ بَغْدَادَ فَأَغَارَ عَلَيْهَا[5]، فملأ الْمُسْلِمون أيديَهم منَ الصّفراء والبيضاء وما خفَّ محمَلُه منَ المَتاع[6]، وركب المثنّى إِلَى "سوق الخنافس"[7]، حَيْثُ يجتمعُ بِهَا تجّارُ المدائنَ والسّوادِ وخفراؤهم ربيعة وقضاعة، وأغار عَلَيْهَا[8]؛ أي استطاع أنْ يضربَهم فِي العصب الاقتصادي والمعين المعاشي. وَكَانَ جيشُ الإِسْلَام قَدْ فتح بلاد العِرَاق من أطرافها[9]؛ ومِنْ هُنَا يجدرُ القولُ: أنّ خالدًا وجّهَ ضَرْبَةً مُوجِعَةً إِلَى الْمَسِيحِيّة فِي العِرَاق كَادَتْ تَشُلُّها، لَوْلَا أنْ صَمَدَ قِسْمٌ مِنْهُمْ، وآثَرَ البَقَاءَ عَلَى دِينِه، ودفْعِ الْجِزْيَة.

فِي حصار تكريت سنة 16هـ الَّذِي طال 40 يوما، أَرْسَلَ القائد عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمّ[10] إِلَى الْعَرَبِ الَّذِينَ مَعَ الْأَنْطَاقِ يَدْعُوهُمْ إِلَى نُصْرَتِه، وَكَانُوا لَا يُخْفُونَ

---

1 - اليس: قرية فِي منتصف الطريق بَيْنَ الحيرة والابله، وَفِيهَا يوم كَانَ أميره خَالِد. القلقشندي: **نهاية الأرب فِي معرفة أنساب العرب** ص 81.

2 - الكلاعي: **الاكتفاء بِمَا تضمنه من مغازي رسول الله والثّلاثة الخلفاء** 2/ 382.

3 - أمغيشيا: مصر (قصر) عَلَى الفرات كالحيرة، لما فرغ خَالِد بن الوليد من وقعة أليس، نهض فأتى أمغيشيا، وَقَدْ أعجلهم عما فِيهَا، وتفرقوا فِي السّواد، فأمر بهدمها وهدم كل شيء كَانَ فِي حيزها. ياقوت: معجم البلدان 1/ 254؛ الحِميرى: **الرّوض المعطار فِي خبر الأقطار**، ص 31.

4 - خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص 118.

5 - خليفة بن خياط: م. ن. ص 119.

6 - البلاذري: **فتوح البلدان**، ص 243.

7 - **تاريخ الرّسل والملوك**3/ 473؛ **الكامل فِي التاريخ** 2/ 282؛ الأفغاني، سعيد بن مُحَمَّد (ت1417هـ): **أسواق العرب فِي الجاهلية والإسلام**، ص 375.

8 - ابن خلدون: **التاريخ** 2/ 523

9 - الطبري: م.س. 2/415.

10 - عبد اللَّه بن مالك بن المعتم العبسيّ. ترجمته: ابن الأثير: **أسد الغابة** 3/ 293؛ ابن حجر: **الإصابة** 4/ 191.

عَلَيْهِ شَيْئًا... فَأَرْسَلَتْ تَغْلِبُ وَإِيَادٌ وَالنِّمْرُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بِخَبَرِ الرّوم، وَسَأَلُوهُ الأَمَان وَأَعْلَمُوهُ أَنَّهُمْ مَعَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَأَسْلِمُوا. فَأَجَابُوهُ وَأَسْلَمُوا. وَنَهَدَ عَبْدُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ وَكَبَّرُوا وَكَبَّرَتْ تَغْلِبُ وَإِيَادٌ وَالنِّمْرُ وَأَخَذُوا الْأَبْوَابَ،... فَأَخَذَتْ أَهْلَ الْبَلَدِ سُيُوفُ الْمُسْلِمِينَ وَسُيُوفُ الرَّبْعِيِّينَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَلَمْ يُفْلِتْ مِنْ أَهْلِ الْخَنْدَقِ إِلَّا مَنْ أَسْلَمَ مِنْ تَغْلِبَ وَإِيَادٍ وَالنِّمْرِ[1].

وَلَمَّا قدم الوليد بن عقبة سنة 17 هـ عَلَى بني تَغْلِب وعرب الجَزِيْرَة، فان إياد ابن نزار قَدْ ارتحلوا بقيتهم، فاقتحموا أرض الرّوم[2]. لَعَلَّ ارتحالَهم كَانَ عَنْ خوفٍ من حربِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ عَنْ عدمِ رغبةٍ فِي تركِ دينِهم.

ثُمَّةَ مَن يَرَى أَنَّهُ: انْضَمَّ مسيحِيُّونَ سُرْيَان إِلَى الإِسْلَام مِن طَيْءٍ، وتَكَارِتَة، فِي وَسَطِ وجَنُوبِ بلادِ الرّافدين، طَمَعًا بالمَغانِم، أَوْ تَهَرُّبًا من وَيْلَاتِ بعضِ رجالِ الدّين، أَوْ بسببِ عجزِهم عَنْ دفعِ الْجِزْيَةِ، الَّتِي كَانَتْ تُفْرَضُ عَلَى غيرِ الْمُسْلِمِينَ كضريبةِ حمايةٍ[3].

لَعَلَّ تكرارَ الأمر، فِي توظيف الإِسْلَام أَوْ الْجِزْيَة أَوْ السّيف مَعَ القَبَائِل والقرى الَّتِي كَانَتْ عَلَى النَّصْرَانِيَّة، وشأنُهم فِي ذَلِكَ شأنُ أكثر أهلِ القرى فِي العِرَاق وَفِي الجَزِيْرَة وبلاد الشّام، أمرٌ يُنْذِرُ بزوالِ الْمَسِيحِيّةِ أَوْ ضُمورِها فِي البلاد المفتوحة.

أرجع بعض المستشرقين نقصانَ كفّة الْمَسِيحِيِّينَ فِي بلاد الْعَرَب، وشيوعَ اعتناقهم الدّين الإِسْلَاميّ، إِلَى مناحيَ عدَّة، منها: طبيعة الْمَسِيحِيَّة المشرقية وما اكتنفها من ارهاصات دِينِيَّة وصراعات مَذْهَبِيّة، يرى" كايتاني ـ ليون" [1869- 1926 م] : «إن انتشار الإِسْلَام بَيْنَ نَصَارَى الكَنَائِس الشَّرْقِيَّة، إِنَّمَا

1 - ابن الأثير: **الكامل فِي التاريخ** 2/ 348؛ ابن كثير: **البداية والنّهاية** 7/ 83.

2 الطبري: م. س. 4/ 54.،

3 - سيّار الجميل: "المسيحيون العِرَاقيون" (ج3/ق5)، *مجلة ألفا* (elaph)، عدد: 11421، تاريخ 2010/11/6.

كَانَ نتيجة شعور باستياء من السّفسطة المَذْهَبِيّة، الَّتِي جلبتها الرّوح الهِلِينِيّة إِلَى اللاهوت الْمَسِيحِيّ، أَمّا الشّرق الَّذِي عُرِفَ بحبّه للأفكار الواضحة البسيطة، فَقَدْ كَانَتْ الثّقافة الهِلِينِيّة وبَالًا عَلَيْهِ من الوجهة الدّينِيَّة، لِأَنَّهَا أحالتْ تعاليمَ الْمَسِيح البسيطةَ السّامِيَةَ إِلَى عقيدةٍ محفوفَة بمذاهبَ عويصة، مليئة بالشّكوك والشّبهات، فأدّى ذَلِكَ إِلَى خلْقِ شعور من اليَأس، بَلْ زعزعَ أُصولَ العقيدةِ الدّينِيَّة ذاتَها[1].

ومنها ما يؤكّده نولدكة[2]: إنَّ المَسِيحِيّينَ العرب، غالبا ما كانوا على معرفةٍ سطحيَّةٍ بدينهم، وتغلبُ إحدى القبائل التي كانتْ المسيحيةُ قد ضربتْ فيها جذوراً ثابتةً. واستشهدَ بما نُقِلَ عن الإمام عَلِيّ، أَنَّهُ اسْتَثْنَى نَصَارَى بَنِي تَغْلِبَ، وَقَالَ: لَيْسُوا عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَلَمْ يَأْخُذُوا مِنْهَا إِلَّا شُرْبَ الْخَمْرِ[3]. ومنها إنَّ أُسلوبَ التسامحِ كانَ لهُ دورٌ في اجتذابِ الآخرِ الدينيّ، وجعلِه يقتنعُ بأنَّ الإسلامَ الذي وضعَهُ على خارطةِ المساواة، يمكنُ أنْ يعتنقَهُ، فهو أحدُ العواملِ المؤثرةِ التي إتّبعها المنهجُ الإسلامي. يقول ول ديورانت[4]: "على الرغمِ من خطّةِ التسامحِ الدينيّ، التي كانَ ينتهجُها المسلمونَ الأوَّلُونَ، أو بسببِ هذه الخطّةِ، إعتنقَ الإسلامَ معظمُ المَسِيحِيّينَ، وجميعُ الزرادشتيّينَ والوثنيّينَ إلا قليلاً منهم، وكثيرٌ من اليهود".

1- مُحَمَّد عمارة: "الانتشار السّلمي للإسلام"، مجلة *المُجتَمَع*، العدد (1825) 3 ذو القعدة 1429هـ الموافق 2010/11/1م.

2 - **تاريخ القرآن**، ص8.

3 - الزمخشري، (ت538هـ): **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**(دار الكتاب العربي، بيروت،1407هـ) 1/ 607؛ الرازي، (ت606هـ): **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** (ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420) 11/ 293؛ البيضاوي، (ت 685هـ): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**،، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418م) 2/ 116.

4 - **قصة الحضارة** 5 / 133 .

الحياة الْكَنَسِيّة فِي العصر الرّاشِدِيّ:

من خِلَالِ الاحتكاك الْعَرَيض الَّذِي أنتجتْهُ الْفُتُوح بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيِّينَ، فِي ظل الدَّوْلَة العَرَبِيَّة إِبّانَ عصرها الأول، لَمْ تشرْ المصادرُ التّاريخيّة إِلَى تدخلُ من لَدُن الخليفة أَوْ ولاة الأَمْصَار فِي الشّؤون الدّينيَّة للمَسِيحِيِّينَ، ولا محاولة لتنظيم إِدَارَة الكَنِيسَة، أَوْ تعيين بِطْرِيك أَوْ مفرمان أَوْ غيرهما من الوظائف الْكَنَسِيّة، لَعَلّ هَذَا مُثْبَتٌ فِي المعاهداتِ والمواثيقِ، مِنْذُ أنْ كتبَها الرّسولُ مُحَمَّدٌ أَوَّلَ مَرّةٍ، واتّبَعَها الخلفاءُ الرّاشدون التّزامًا.

قُبيل الفتح الْعَرَبِيّ لمَصْر وسورية والشّرق الأوسط كَانَتْ الكَنِيسَةُ السّرْيانيّة، ومثلُها الكَنِيسَةُ النَّسْطُورِيّةَ، والكَنِيسَةُ القبطِيَّة قَدْ أصبحتْ كَنِيسَةً غيرَ قانونيَّة، وباتَ كهنوتُها غيرُ مشروع. كَانَ البِطْرِيَرَكُ اليُونانِيُّ أَوْ الملكِيُّ، بِطْرِيك الأرثوذكسِ فِي أنْطَاكِيَةَ، الوحيدُ الَّذِي وافقَ عَلَيْهِ الإمْبِرَاطُورُ البِيْزَنْطِيُّ، وَكَانَ المطارنةُ ورجالُ الدّينِ الخلقدونيونَ التّابعونَ للإمْبِرَاطُورِ، وَحْدَهُمْ الَّذِينَ أجازتْ لَهُمْ الدّولةُ بالعملِ. أَمّا النَّسَاطِرَة فكانوا قَدْ اخْتَفَوا وراءَ الحدودِ البِيْزَنْطِيَّة، وعاشوا فِي أمانٍ داخلَ بلادِ فَارِسَ بعيداً عَنْ الإضطهادِ البِيْزَنْطِيّ، ومِن ناحيةٍ أُخْرَى، تعرَّضَ السّريانُ الأرثوذكس الَّذِينَ كَانُوا الأغلبيةَ فِي سُورِيَةَ إِلَى اضطهاد شديد، مَا اضطرّهم إِلَى العمل سرّاً عَلَى مذهب يعقوب البرادعي[1].

1 -عزيز عطية:" السّريان فِي التاريخ، تَحْتَ سيطرة الخلفـاء"، ترجمة حنا عيسى توما، الباب الرّابع،26 ص، *مجلة دراسات سريانية*.

مَعَ قدوم الْعَرَب تغيّرت الصّورة عَلَى نحوٍ كامل، فَقَدْ اعترف أتباعُ الرّسول مُحَمَّد بالْمَسِيحِيّينَ الموجودين فعليًّا عَلَى الخَارِطَة الدّينيَّة فِي البلاد الْعَرَبيّة، ومُنِحَ النَّسَاطِرَةُ واليَعَاقِبَةُ والأَقْبَاطُ حقوقَهم الْكَنَسِيَّةَ كاملَةً، وأضحتْ لَهُمْ عَلاقَاتٌ طَيِّبَةٌ مَعَ الدَّوْلَة العَرَبِيَّة، زادَتْها انبساطًا تعاونُ الْمَسِيحِيّينَ ومشاركتُهم الْمُسْلِمِينَ فِي الْفُتُوح، دونَمَا تفضيلِ مذهبٍ عَلَى آخَرَ، أَوْ إستعداءِ طائفَةٍ عَلَى غيرِها. وبذلك أصبح الْمَسِيحِيّون اليَعَاقِبَة والنَّسَاطِرَة والأرثوذكس شعباً واحداً، يَتَمَتَّع بالامتياز نفسه، ويخضع لضريبة الْجِزْيَة، دُونَ تمييز.

أحرز اليَعَاقِبَةُ والنَّسَاطِرَةُ والأَقْبَاطُ- تَحْتَ إمرة الإِسْلَام- حقوقاً دِينيَّة، لَمْ يعرفوها فِي أثناء وجودهم مَعَ البِيْزَنْطيين شركائهم فِي الدِّين. فَقَدْ كَانَ وضعُهم الجديد مزدهراً وممتدّاً خارج حدودهم إلَى مناطق أبعد فِي الشّرق، تَحْتَ غطاء "السّلم الْعَرَبِيّ"، وَلَعَلَّ بدايةَ القرونِ الأولَى من الحُكْمِ الْعَرَبِيّ، سَجَّلَتْ لَهُمْ فتراتٍ عظيمةً مِن النّجاح والتّقَدُّم، إِذْ تميَّزَتْ سِجِلاّتُ الإِسْلَامِ التّاريخيّةِ المُبَكِّرَةِ بِرُوحِ التَّسَامُحِ والشّعورِ السّويّ بالعَدَالَةِ[1].

من الجدير التَّعَرُّفُ عَلَى الحياةِ الدّينيَّة للمَسيحيّةِ فِي العصرِ الرّاشِدِيّ مِن خِلَالِ النّشاطاتِ الْكَنَسِيّة، الَّتِي يضْطَلِعُ بِهَا بَطاركةُ الْمَسِيحِيّةِ وجثالقتُها ومفارنتُها، لِمَا لها من تنظيماتٍ، وأثرٍ فِي العَلاقَاتِ الإِسْلَاميّةِ الْمَسِيحِيّةِ، إِبّانَ عصرِ الخِلَافَةِ الرّاشدة:

كَنِيسَة المشرق النَّسْطُورِيَّة:

بعدئذ أفل نجم الامبراطوريّة الفارسيّة، إثر احتلال العرب العراق وبلدان المشرق، كان ثمّةَ ضغوطات على المسيحيّة من الانتشار السريع للإسلام

1 -عزيز عطية:" **السّريان فِي التاريخ**"، ص27.

القادم من جزيرة العرب، في البلاد المفتوحة. غير ان كنيسة المشرق حققت وجودا نسبيًّا في داخل الدولة الجديدة، ووجدت منفذا للإنتشار في الشرق الأقصى، وأكتشفت في الصين والتيبت نصوص مسيحيّة باللغة السريانيّة، لغة الطقوس الدينيّة، تؤشر الى أنَّها كانت منذ القرن السابع للميلاد، وقد استمرت المسيحيّة بالحضور بين الأقوام الناطقة الإيرانية والتركية في آسيا الوسطى حتى القرن الرابع عشر للميلاد[1].

لعلّ من أبرز أعمدة الكنيسة الشرقيّة الذين مثّلوا الوجود المسيحي بُعيد الفتوح الإسلاميّة، وظلّوا في الذاكرة الدينيّة والتاريخيّة، هم:

- ايشوعياب (الثّاني) الجدالي (6- 24هـ/ 628-645م)[2]: الجاثليق[3] رقم (36)، عاش إلَى أيام عمر بن الخطَّاب، فكتب لَهُ كتابا مؤكدا بالحفظ والحياطة، وأن لا يؤخذ من أخوانه وخدمه الْجِزْيَة، واشياعه -أَيْضًا. وَهَذَا الكتاب محتفظٌ بِهِ إلَى هَذِهِ الغاية"[4] بحَسَبِ ماري بن سليمان (ق6هـ/12م).

1 - سركيس أبو زيد: **المسيحية في إيران**، ص35-36.

2 - البطريك (36) مار ايشو عياب جدلايا الثّاني(628-644). "سلسلة بطاركة كنيسة المشرق الآشورية".

3 - الجاثليق: لفظ يوناني "θηKολιός" معناهُ: العمومي، ويقابلهُ فِي السّريانية" كَثُوليكُا"، وفي الأرمنية" كاثوغكيس"، وفي اللاتينية" Primatus"، وَقَدْ أُطلق هذا الاسم فِي صدر النّصرانية عَلَى أربعة كراسي: الاثنان فِي آسيا والبنطس وَقَدْ انطمس ذكرهما مِنْذُ أجيال، والاثنان الآخران بقيا محفوظين حَتَّى اليوم بالتسلسل فِي بِطْرِيكية السّريان الشّرقيين وهم الكلدان وفي بِطْرِيكية الأرمن. اسحق أرملة السّرياني، القس: "جثالقة المشرق ومفارنة السّريان"، بحث أَبْرَشِيَّة *حلب للسريان*، (http://syrcata.org/).

4 - ماري: **فطاركة المشرق** ص62-63؛ توما أسقف المرج: **كتاب الرّؤساء**، ص67؛ أبونا: **تاريخ الكنيسة السّريانية الشّرقية** 189-192؛ ادي شير: **كلدو وآثور**، 244/2.

يؤكد مُؤَرِّخو الكَنِيسَة[1]: أن الجاثليق ايشوعياب بذل قصارى جهده، لكي يظهر الولاء للفاتحين، ويقال: أنَّ أميرا نَجْرَانيًّا مسيحيًّا توسَّط بَيْنَ مذهبه، ونال من الْمُسْلِمِينَ عهدًا يكفل لَهُمْ حسن المعاملة. ومِهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فإنّ التّاريخ المغمور لكويدي يَقُولُ ببساطته المألوفة، "حينما رأى الجاثليق ايشوعياب أن الْعَرَب قَدْ احتلوا ونهبوا ماحوزي (المدائن)، وأن أبوابها قَدْ نقلت إلَى العاقولاء (الكوفة)، فرَّ إلَى كرخ سلوخ (كركوك) تجنبا للمجاعة"[2].

عِنْدَ قدوم الإِسْلَام فِي بداية القَرْن السّابع الميلادِيّ، استبشر السّريان خيراً فِي البداية وبالأخص النَّسَاطِرَة، فَقَدْ عقدوا اتفاقاتِ سلامٍ وتفاهمٍ مَعَ الخلفاء الرّاشِدين، وبالأخص عمر بن الخطَّاب، فإيشوعيهب الثّاني الجذلاني بِطْرِيك النَّسَاطِرَة فِي بابلَ، كَانَ قَدْ زار الأمير عمر فِي الجَزِيْرَة وأخذوا مِنْهُ عهوداً بالأَمَان إِذَا مَا فتح الْعَرَب الْمُسْلِمون بلاد السّريان، بابلَ وما يتبعُها، ويقال حَتَّى أَنَّهُ جرت مراسلات مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرّسول الْعَرَبِيّ[3].

ونقلًا عَنْ التّاريخ السّعردي[4]:" أَنَّهُ لَمَّا ملك عمر بن الخطَّاب لقيه ايشوعياب كدالايا، وخاطبه بسبب النَّصَارَى، فكتب لَهُ ولأهل المدائن عهدًا، كَمَا أَنّ مُحَمَّدًا كَانَ قَدْ كتبَ عهْدًا وسِجِلًّا لأهلِ نَجْرَان النَّصَارَى"، غير أنّ

1 - ماري: م. ن. ص ٦٢، صليبا: **أخبار بطاركة كرسي المشرق**، ص ٥٤- ٥٥، ابن العبري: **التاريخ الْكَنَسِيّ** ١١٥؛ توما أسقف المرج: م. ن، ص70؛ أبونا: م. ن. 198.

2 - ادي شير: **كلدو وآثور**253/2، نقلا عَنْ تاريخ كويدي.

3 - سامي نوح كرومي: "مقالات فِي التاريخ السّرياني"، (*منتدى اللغات السّامية*، جامعة حلب، 2010) نقلا عَنْ: *مجلة الجامعة السّريانية* السّنة الثّانية العدد الثّالثّ.

4 - ادي شير: م. س. 253/2.

السّمعاني قَالَ: "لَمَّا فتح الْعَرَب بابل، لَمْ يغفل إيشوعياب بدهائه، مِن أنْ يستحصلَ مِنْهُمْ عَلَى منشورٍ، لتأمين النَّصَارَى القاطنينَ فِي ولايتها"[1].

أدَّى إيشوعياب الثّاني دوراً هاماً فِي المباحثات بَيْنَ الْعَرَب وسكان بابل، وَقَدْ فُتِحَتْ بابل صُلْحًا بدون حرب، وَكَذَلِكَ رأس العين[2]، وطور عبدين[3]، فُتِحَتْ صُلْحًا فِي عهد القائد الْعَرَبِيّ عياض بن غنم[4] . وحرروا عقوداً بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السّلطات الدّينِيَّة للكَنِيسَة السّرْيانِيّة الأرْثُوذَكْسِيَّة والنَّسْطُورِيّةَ، يتعهد الْعَرَب الْمُسْلِمون بموجبها بحماية ديار السّريان، والسّماح لَهُمْ بمُمَارَسَة حقوقهم الدّينِيَّة والثّقافِيّة، وبناء دور العبادة، وإعطائهم حريتهم الاِجْتِمَاعِيَّة لقاء دفع جزية سنويَّة معينة[5].

ثَمَّةَ محاولاتٌ خصبةٌ لانتشار الْمَسِيحِيّة فِي أقصى الشّرق الآسيوي، من خِلَالِ إرسال الحملاتِ التّبشيريَّة بتوجيهِ ايشوعياب، لتَحْقِيْقَ التّوازن الدّينِيّ، أَوْ لإرساء كفَّة ديانات العائلة الإِبْرَاهِيمِيَّة عَلَى شواطئ البوذيةِ و الوَثَنِيّة، فِي مَا ذكرَ ابن العِبْري: "بينما كَانَتْ الدِّيَانَةُ الإِسْلَامِيّة تتأصل فِي هَذِهِ البلاد، كَانَتْ الدِّيَانَةُ

1 - السّمعاني، بولس، الموفسنيور: **تاريخ الآداب السّريانية** (مطبعة المرسلين اللبنانيين، بيروت 1936) 34/3.

2 - رأس عين: من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين ودنيسر، وفيها عيون كثيرة ، تجتمع كلّها في موضع فتصير نهر الخابور. ياقوت: **معجم البلدان** 3/ 14.

3 - طُورُ عَبْدِينَ: بليدة من أعمال نصيبين في بطن الجبل المشرف عليها. ياقوت: **م. ن.** 4/ 48.

4 - فتح بِلَادُ الْجَزِيرَةِ: (الرّها، و حران) صُلْحا، صَالَحَهُمْ عَلَيْهَا عِيَاضُ بْنُ غَنْمٍ، أَبُو يوسف: **الخراج**، ص 51؛ أَبُو عبيد: **الأموال**، ص 132.

5 سامي نوح كرومي: "مقالات فِي التاريخ السّرياني"، نقلا عَنْ (المطران يوحنا دولباني: تاريخ دير مار كبرئيل ص58).

الْمَسِيحِيَّةُ بِهِمَّتِهِ [ايشُوعِيَاب] الجَزِيلَةِ تَنْتَشِرُ فِي بِلَادِ الصِّين، فَإِنَّهُ أَرْسَلَ سَنَةَ [14هـ/ 635م] عِدَّةَ مرسلين إِلَى تِلْكَ البلاد الشّاسعة لينذروا فِيهَا بالإِنْجِيل"[1].

فِي ضوء سطوعِ الإِسْلَامِ وأفول المَجُوسِيَّة المُتَمَثِّلَةِ فِي دولةِ فَارِسَ المُنْكَسِفَةِ، حانتْ فرصةٌ لتوسُّع الإشعاع الْمَسِيحِيّ، إندفعَ- حينها- ايشوعياب الثّاني إِلَى إنشاء مقاطعات جديدة، مِنْهَا "بيث ماداي" ومركزها "حلوان"، وَهِيَ المقر الصّيفي للملك الفارسي، و "هراة" فِي أفغانستان مَعَ سبع أُسْقُفيات تابعة لها، و"بيث تركايي" ومركزها: سمرقند، والهند، والصّين، حَيْثُ انتشرتْ الدِّيَانَةُ الْمَسِيحِيَّة انتشاراً سريعاً فِي ظروفٍ مُؤاتية، حَتَّى قيل: إنَّ نحو 40 أُسْقُفية نشأت هُنَاكَ، وإن الملك "تاي تسونغ" أصدر مرسوماً لصالح الدِّيَانَة الْمَسِيحِيَّة[2].

نَرَى أَنَّ كَنِيسَة المشرق، إِبَّانَ الفتح الإِسْلَامِيّ، كانت منتشرةً ومستقرةً فِي معظم المقاطعات الواقعةِ شرقيّ الإمْبِرَاطُورِيَّة البِيْزَنْطِيَّة، وجميعُ هَذِهِ المقاطعات الْكَنَسِيّة خاضعة لسلطة مَرْكَزِيَّةٍ قَوِيَّةٍ هِيَ سلطةُ الجاثليق فِي المدائن، وأن تعاطف الْمُسْلِمِينَ تجاه المذهب الشّرقي سيتيح لهذه الكَنِيسَة أنْ تحيا، وتزداد امتدادًا نحو البُلْدَانِ الآسيويَّة الشَّرْقِيَّة.

- مارامه[3] (مار أمّا) الإرزني[4] (26-29هـ / 647-650م)[5]، الجاثليق رقم (37): قَالَ عَنْهُ ماري بن سليمان[1]:"عقدت لَهُ الفطركة لمعاونته جيش الْمُسْلِمِينَ

---

1 - ادي شير: **كلدو وآثور**255/2.

2 - أدور هرمز بجو النّوفلي:" تاريخ كنيسة المشرق - الجزء 13" (تركيبة كنيسة المشرق ومُخْتَلف الأنشطة فِيهَا)، *منتديات باقوفا* سبتمبر / 01 /2007 www.baqofa.com.

3 - أسقف نينوى ثُمّ مطران جنديسابور وعقدت لَهُ الفطركة، وتوفي بالمدائن. ماري: **فطاركة المشرق** ص63.

4 - سيّار الجميل: خضوع بلاد الرّافدين للدولة العَرَبِيّة الإسلاميّة: 2010 الأحد 21 نوفمبر.

5 - مار أمّا. سلسلة بطاركة كنيسة المشرق الآشورية. (647-650)هذا التاريخ لا يتوافق مَعَ خلافة الإمام عليّ(36-40هـ/656- 660م)؛ لَعَلّ كتّاب التوصية مرسل إِلَى الجاثليق الحديابي،

فِي فتح الموصل، وإخراجه البُرَّ لَهُمْ... وكتب لَهُ عَلِيٌّ بن أبي طالب كتابا بالوصاة عَلَيْهِ بالنَّصَارَى ورعاية ذمَّتِهم، وَكَانَ يظهره لِكُلِّ مَنْ يتولَّى مِنْ رؤساءِ الجيوش وأمرائهم، فيمتثلونه". وكونه حمل الميرة والأرزاق إِلَى جنود الْمُسْلِمِينَ، وساعد رئيسهم عَبْد اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمّ عَلَى الفتح[2]، لا تدلُّ عَلَى تدخُّلِ زعامة الْمُسْلِمِينَ فِي عقْدِ الفطركَة لَهُ، بَلْ لَعَلَّ شعورَ رجالِ الكَنيسَة بحكْمَة مارامَا، وأَهْلِيَته لإِدَارَة المرحلة الرّاهنَة، ومَا لَهُ من وجاهةٍ وقبولٍ لَدَى الْمُسْلِمِينَ، رشَّحَتْهُ إِلَى تسنُّم هذا المنصِب.

- مار إيشوعياب الحدياباي الثّالثّ (29-40هـ/ 650-660م)[3] الجاثليق رقم (38): فِي عهده تمرد كُلٌّ مِن بَيْتِ قطرايا (قطر) و ريو أردشير[4]، ضدَّ سلطة جاثليقِ كَنِيسَةِ الشّرقِ النَّسْطُورِيّة، مطالبين بالإستقلال عَنْهُ، لَكِنَّ إيشوعياب حاوَلَ توحيدِ الطّائفة النَّسْطُورِيّة[5]، وَقَدْ اشْتَدَّ هَذَا التّمَرُّدُ بَعْدَ الإِسْلَامِ، حَيْثُ وافقتْ السّلطاتُ الإِسْلَاميّةُ- فِي تِلْكَ المناطق- عَلَى استقلالِهم، ضِمْنَ شروط معينة[6]. ونشأتْ فِي بيث قطرايي، وَفِي بيث مازونايي (عمان) عَلَى ساحلي

الَّذِي يليه.

1 - **فطاركة المشرق** ص63.

2 - سيّار الجميل: "خضوع بلاد الرّافدين للدولة العَرَبِيّة الإسلاميّة"، *مجلة ألفا الالكترونية*، الأحد 21 نوفمبر2010 .

3 - السّمعاني، بولس: **تاريخ الآداب السّريانية**35/3.

4 - مدينة فِي فارس، بناها اردشير، وتختصر ريشهر، بلد بخوزستان. الطبري: **تاريخ** 2 /41؛ ياقوت: **معجم البلدان** 112/3؛ الفيروز آبادي: **القاموس المحيط** 36/3؛ الزبيدي: **تاج العروس6**/448.

5 - الجمري: "البحرين فِي القَرْن السّابع (4)... تمرد بيت قطرايا"، *صحيفة الوسط البحرينية*، العدد 3065 ، نقلا عَنْ (بوتس 2003،ج2 ص 1039).

6 - الجمري: "البحرين فِي القَرْن السّابع (5): استقلال بيت قطرايا"، *صحيفة الوسط البحرينية*، العدد 3072.

الخليج[1]، حركةُ ارتدادٍ عَنْ الدّين الْمَسِيحِيّ، والدّخولِ فِي الدّين الجديد. لَكِنّ البِطْرِيَرك ايشوعياب حاول أنْ يُخَلّص قسْمًا من رعيَّته، فاستدعى الأَسَاقفَة المُرْتَدّينَ قَبْلَ إقْرَارِهِمْ بالإِسْلَام، لَكِنَّهُمْ أَبَوْا الحضُورَ فَنَالُوا الشَّجْبَ مِنْهُ. واسْتَغَلَّ ايشوعياب الأَدْيِرَة فِي تِلْكَ البقاع، فكتبَ إلَى الرّهبانِ يحثُّهم عَلَى توقيفِ الحركة دُونَ الاكتراثِ لطاعةِ الأَسَاقفَة المُرْتَدّينَ الَّذِينَ بلغ عددهم قرابة عشرين أُسْقُفا عَلَى ساحلي الخليج. لَكِنَّهُم أمضوا اقرارَهم بالإِسْلَام، وأقفلوا أمامهم بابَ الرّجوع[2].

أكد إيشوعياب الثالث على التقارب المسيحيّ الإسلاميّ، وَهُوَ القائل فِي إحدى رسائله: "إنّ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ مكنهم الرّبّ من السّيطرة عَلَى العالم يعاملوننا كَمَا تعرفون: أَنَّهُمْ ليسوا أعداء النّصْرَانِيَّة بَلْ يمتدحون ملّتنا ويوقرون قِسّيسِينا وقدّيسِينا، ويمدّون يَدَ المعونَةِ إلَى كَنَائِسنا وأَدْيِرَتِنَا"[3]

- مار جيورجيس الأول (41-60هـ =661-680م)[4] الجاثليق رقم (39): هدَّأ من ثورة مطراني نصيبين وفرات ميشان[5]، وزارَ بيثَ قطرايي (قطر) وبيث مازونايي (عمان)، لمتابعةِ الحياةِ الْمَسِيحِيَّة فِيهَا بَعْدَ الرِّدَّةِ، وعَقَدَ مجمعًا لأساقفتِها

1 - أن دخول المسيحيّة فِي تلك البقاع كَانَ قديما، يذكر أن أسقف بيث قطرايي كَانَ من الموقعين عَلَى أعمال مجمع مار اسحق المنعقد سنة 410م، وكذلك يوحنان أسقف مازون كَانَ من الموقعين عَلَى أعمال مجمع داديشوع سنة 424م. سامي خنجرو: كنيسة المشرق تَحْتَ الحكم العَرَبِيّ الإسلاميّ، موقع مانكيش mangish.com، 04/ 09/ 2010.

2 - سامي خنجرو:" كنيسة المشرق تَحْتَ الحكم العَرَبِيّ الإسلاميّ"؛ الجمري: م. س.

3 - ا. س. ترتون، **أهل الذمة فِي الإسلام**، ترجمة، تحقيق: حسن حبش، (مكتبة الأسرة،1994)؛ وقارن: دوسلييه: **مسيحيو الشرق والإسلام في العصر الوسيط**، ص 124، نقلا عن كتاب الرسائل لإيشوعياب الثالث..

4 - السّمعاني، بولس: **تاريخ الآداب السّريانية** 38/3.

5 - توما أسقف المرج: **كتاب الرؤساء**، ص79- 83.

سنة (56هـ/ 676م) فِي جَزِيْرَة دارين (البحرين)، وسُمِّي "مجمع دارين" أَوْ "مجمع جيورجيس"[1]، ونتج عَنْهُ عشرونَ قانونًا، مِنْهَا: دِينِيَّة، وإِجْتِمَاعِيَّة، وسياسيَّة، رسمتْ علاقة الْمَسِيحِيِّينَ بغيرهم، و بالسّلطة[2].

بَطَارِكَة كَنِيسَة الإسكندريَّة:

- بنيامين، (3ق.هـ -38هـ/ 620- 659م) البِطْرِيَك الثّامن والثّلاثون، جلس عَلَى الكرسي الاسكندري، وَلَمْ يَكَدْ يُرَسَّمُ بِطْرِيَكًا حَتَّى أَوْفَدَ هِرْقَلُ، قَيْصَرُ الرّومانِ، وَالِيًا وبِطْرِيَكًا عَلَى مِصْرَ يدعى "كيروس"، وأبَى البابَا "بنيامين" قبولَ تعاليمِ الوالِي، فأخذ "كيروس" فِي اضطهاده مِمَّا دعاه إِلَى التّخفي من وجه العنف عشر سنين، وَلَمَّا بلغه قدوم عمرو إِلَى مِصْرَ، كتب إِلَى القبط يُعْلِمُهم أَنَّهُ لا تكون للرومِ دولةٌ، وأنَّ مُلْكَهُمْ قَدْ انقطع، ويأمرُهم بتلقّي الْعَرَب. فيقال: إنَّ القبط الَّذِينَ كَانُوا بـ "الفرما" كَانُوا -يومئذٍ- لعمرو أعوانًا[3].

حِينَ استولى الْعَرَبُ عَلَى مِصْرَ قرَّبَ عمرو بن العاص كِبَارَ الأَقْبَاطِ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ رجل اسمه "شنودا"، فأعلمه بخبر البِطْرِيَك بنيامين وهروبه، فطلبَ مِنْهُ أَنْ يأمرَ بعودته، وكتب لَهُ كِتَابَ أمانٍ، فحضر البِطْرِيقُ، وأكرمه عمرو، وأقسم لَهُ بالأَمَان عَلَى نفسه وعلى رعيته، وقيل أَنَّهُ طلب مِنْهُ أَنْ يُصَلِّيَ لأجله، حَتَّى إِذَا رجع مُنْتَصِرا من حروبه الأُخْرَى، يجيبه إِلَى كُلِّ مَا يطلبه، فدعا لَهُ البِطْرِيَك،

---

1 - وَهُوَ رقم (11) من المجامع الَّتِي عقدت فِي كنيسة المشرق. أدور هرمز بجو النّوفلي: "تاريخ كنيسة المشرق - الجزء 13"، *منتديات باقوفا*، 01/ سبتمبر/2007 www.baqofa.com.

2 - انظر التفاصيل: قاشا: **احوال النّصارى فِي خلافة بني أمية**، 2/339-343؛ الجمري، حسين: "البحرين فِي القَرْن السّابع (5): استقلال بيت قطرايا"، *صحيفة الوسط البحرينية*، العدد: 3072، فِي 03 فبراير 2011م.

3- ابن عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب** ص80؛ أَبُو عبيد البكري: **المسالك والممالك** (دار الغرب الإسلاميّ 1992م) 2/597.

وتم لعمرو مَا أراد، فعزل بِطْرِيَك هرقل، وأرجع بنيامين إلَى مركزه مكرما...[1].
وينقل عَنْ بنيامين لَمَّا عاد إلَى الإسكندريَّة قَالَ لأتباعه: "عدت إلَى بلدي الإسكندريَّة، فوجدت بِهَا أمنًا من الخوف، واطمئنانًا بَعْدَ البلاء، وَقَدْ صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم"[2].

بطارقة الكَنِيسَة القبطيَّة

- أغاثو- البِطْرِيَك التّاسع والثّلاثون، (38- 57هـ/ 659- 677م) جلس عَلَى كرسي البِطْرِيكية بَعْدَ معلمه بنيامين. وَلَمَّا فتح الْعَرَب عدَّةَ ولايات وجُزُرٍ للروم فِي أمشير[3] سنة 659م فِي خلافة عَلِيّ بن أبي طالب[4]. نهبوا كُلَّ مَا فِيهَا، وسَبُوا أهلَها، وأتوا بِهِمْ إلَى مِصْرَ، فَكَانَ البابا اغاثو يبتاعُ مِنْهُمْ الرّجالَ والنّساءَ بالفضَّةِ والذّهَبِ، ويأتي بِهِمْ إلَى بيوتِ الْمَسِيحِيّينَ خوفًا منْ أنْ يُسْلِموا[5].

البَطَارِكَةُ السّريان الأرثوذكس فِي أنْطَاكِيَة[6]

إنّ بَطَارِكَةَ أنْطَاكِيَة بَعْدَئِذْ إفْتَتَحَها الْمُسْلِمون سنة (16هـ/ 637م) لا يمكن القطع ببطركتِهِم، إذْ لَمْ يجلسْ فِيهَا بِطْرِيَك إلَى سنة (124هـ/ 742م)،

---

1 - القمص، الشّماس منسي: **تاريخ الكنيسة القبطية**، ص379

2 - المقريزي: **الخطط** 4 /407، 408؛ مُحَمَّد سهيل طقوش: **تاريخ الخلفاء الرّاشدين الفتوحات والإنجازات السّياسيّة** (دار النّفائس، بيروت، 2003) ص316.

3 - أمشير: الشّهر السّادس من شهور القبط، وَهِيَ: توت - بابه - هتور - كيهك - طوبه - أمشير - برمهات - برموده - بشنس، يؤونه - أبيب - مسرى - انظر: المقريزي: **الخطط** 25/2.

4 - لم يكن التاريخ دقيقا، إذْ أن 659م يوافق سنة 38هـ. ولعلها كانت في آخر عهد الخليفة عثمان (36هـ/656م)، حيث الفتوح فِي افريقيا والبحر الأبيض المتوسط.

5 - القمص: **تاريخ الكنيسة القبطية**، ص382؛ **الموسوعة القبطية الشّاملة** (اغاثون).

6 - الموسوعة الحرة، ويكيبديا (بطاركة)

بَلْ كَانَ بَطَارِكَتُها يُقِيمُونَ فِي قُسْطَنْطِينِيَّة[1]؛ وَلَكِنْ نذكرُهم لأَنَّهُمْ تم تسميتهم عَلَى أنطاكِيَةَ:

1- البِطْرِيَك أثناسيوس الأول الجمال (28ق.هـ- 10هـ/ 595- 631): اعترف بِطْرِيَك القُسْطَنْطِينِيَّة مقدونيوس (6-19هـ/ 628-640م) ببِطْرِيَك اليَعَاقِبَة اثناسيوس الجمال بِطْرِيكا عَلَى أنطاكِيَةَ مُقَابِلَ اعترافِهِ بالطّبيعتين والمشيئَةِ الواحِدَة[2]. إثْرَ المصالحة بَيْنَ مملكتي فَارِسَ وبِيْزَنْطة سنة 628م، بعث "أثناسيوس" موفدا إلَى مفارنة تكريت، والتّفاوض مَعَهُمْ، فِي إسْتِئْنَافِ الإتِّحَادِ مَعَ الكُرْسِيّ الإنْطَاكِيّ، دَعَامَةً لكَنِيسَة المشرق، ورحب بالفكرة "مار خُرِيسطفورُس" مطران دير مار متي، وعقد مجمعا بحضور أربعة من أَسَاقِفَة الابرشيات القريبة، لاعلان الاتحاد، الَّذِي نظم صلاحيات ترسِيمَات الكرسي الانطاكي لأَسَاقِفَة ميفرانية تكريت[3].

2- البِطْرِيَك جاورجيوس الأول (19- 35هـ/ 640-655م) الَّذِي أعلن قوله بالمشيئة الواحدة، ووافقه مقدونيوس عَلَى تعميمه فِي ابرشيات أنطاكِيَةَ، وَقَالَ بِهِ عدد من الأَسَاقِفَة، بضمنهم رهبان القديس مارون. وَفِي دوامة الحروب فِي المنطقة لَمْ يتمكن البِطْرِيق من الوصول إلَى أَنْطَاكِيَةَ، فبقي فِي القُسْطَنْطِينِيَّة[4].

بَطَارِكَة أورشليم (بيت المقدس)

- **زَكَرِيَّا (-10هـ/ 609-631):** فِي السّنة السّادسة لبطركته غزى كِسْرَى سُورِيَةَ، وافتتح أورشليم، وقبض عَلَى الْمَسِيحِيّينَ، وباعهم إلَى اليهود بأبخس الأثمان، وأخذ البِطْرِيكَ زَكَرِيَّا وخشبة الصَّلِيب إلَى فَارِسَ، وردهما هرقل فِي

1 - يوسف الدبس، المطران: **تاريخ سوريا الديني والدنيوي**، 5ج (دار نظير عبود) 64/5.

2 - اسد رستم: **كنيسة مدينة الله انطاكية** 40-39/2.

3 - ابن العبري: **التاريخ الْكَنَسِيّ** 117/3 وبعدها.

4 - اسد رستم: م. س. ا 40/2.

غزوته فَارِسَ سنة (6هـ/628م) إِلَى أورشليم[1]؛ وكلا الغزوتين راهَنَ عَلَيْهَا الْمُسْلِمون وأهل مَكّة، وَقَدْ تنبأ بِهِمَا القُرآن (الرّوم2- 3).

- مودست (10- 13هـ /632- 634م) [2]

- صفرونيوس بلنتاس (13- 16/ 634- 637م) هُوَ الَّذِي أشار عَلَى سكان أورشليم ان يستسلموا للفتح سنة (15هـ- 636م) عَلَى يَدَي الخليفة عمر بن الخطَّاب، وَبِحَسَبِ خريسوستموس: هُوَ البِطْرِيك الَّذِي سلم أورشليم المدينة المقدسة إِلَى عمر[3]، وَكَانَ صفرونيوس من أصحاب المؤلفات، وَلَهُ:" مَرْيَم المَصْرية" و"تهذيب الفروض البيعية"[4].

بعدها تَوَقَّفَ تَسَنُّمِ البَطَارِكَةِ مناصبَهم فِي أورشليم حَتَّى سنة (86هـ/705م).

مفارنة[5] السّريان المنوفستّيين في المشرق (تكريت):

ماروثا التّكريتي: المَفرِيَان رقم (34)، تربى فِي دير نردس، وسار إِلَى الرّقة، وبَعْدَ أَنْ أقام عشرين سنة فِي دير زكى، عاد إِلَى الرُّها، وشخص إِلَى دير مار متَّى بالموصل، ونظَّم لرهبانه طقساً وقوانين جليلة. ثُمَّ قصد الكوفة واعتكف فِي دير شابور، ثُمَّ عاد إِلَى دير مار متى. انتخبه أَسَاقِفَة المشرق[6] رئيسًا وأبًا عموميًا، فرسمه

1 - يوسف: الدبس: م. س. 66/5.

2 الدبس: **تاريخ سوريا الديني والدنيوي** 67/5.

3 - بابادوبولس: **تاريخ كنيسة انطاكية**، ص532.

4 الدبس: م. س. 68/5.

5 - جمع مفريان: أسقف عمومي للسريان المنوفستيّين أصحاب الطبيعة الواحدة، يحاكي جاثليق النَسَاطِرَة فِي الرّئاسة والسّياسة، وأطلقوا عَلَيْهِ اسم مفريان مَفرِيُنًا، وَهُوَ لفظ سرياني مشتقّ من فعل اَفرِي ومعناهُ انشأ وأحدث واستنبط وأثمر، فكأنهم قصدوا بذلك إنشاء رئاسة حديثة خوّلوها امتيازات تتوسط ما بَيْنَ امتيازات البطاركة والأساقفة. اسحق أرملة السّرياني، القس: "جَثالقة المشرق ومَفارنة السّريان"، أَبْرَشِيَّة *حلب للسريان*، http://syrcata.org/.

6 - وهم: جورجي أسقف سنجار، ودانيال أسقف بيث نوهدرا (زاخو)، وغريغور اسقف بيث

البِطْرِيَرك اثناسيوس الجمَّال بِطْرِيك السّريان (28ق.هـ- 10هـ/ 595- 631م) مفريانًا، أي جاثليقاً لتكريت سنة (8هـ/ 629م) وأناط بِهِ سياسة كَنِيسَة المشرق، وفوّض إلَيْهِ أن ينصّب مطرانًا لدير مار متى، وعقد المفريان والأَسَاقِفَة فِي دير مار متى مجمعاً، ونظموا اثنتي عشرة أَبْرَشِيَّة أُسْقُفية، خاضعة لكرسي مفريان تكريت وَهِيَ: باعربايا (أرض ربيعة)، وسنجار، ومعلثا (ملاصقة لزاخو)، وأرزون (من نواحي تكريت)، وجومل، وبيث رامان، وكرمي (الأنبار)، وجَزِيْرَة ابن عمر، وبيث نوهدرا، وفيروز شابور، وشهرزور[1]، والْعَرَب التَغْلبيين، وخصصوا نينوى بمطران الدّير[2]. ثُمَّ توجّه ماروثا المفريان إلَى تكريت ورسم ثلاثة أَسَاقِفَة لـ: سجستان وخراسان وهراة. وشيد دير العجاج بَيْنَ تكريت وهيت عَلَى طريق دجلة إلَى الفرات والكوفة باسم مار سرجيس الشّهيد فِي عين جاج[3]، ورام أن يؤسس كَنِيسَة فِي الموصل، فصدَّه عَنْ ذَلِكَ يشوع الثّالثّ جاثليق النَّسَاطِرَة. وتوفي ماروثا (12/ شعبان8/ 28هـ = 12 أيار 649م) وساس كرسي تكريت عشرين سنة. ومن آثار قلمه تفسير الإِنْجِيل، ونافورة، وأناشيد، وحسَّايات[4].

رمّان، ويزدفنه أسقف شهرزور(قرب دهوك)، وَكَانَ معهم ثلاثة رهبان، وهم: ماروثا ، وايثالا، وآحا. اسحق أرملة: "جثالقة المشرق ومفارنة السّريان".

1 - كورة واسعة فِي الجبال بَيْنَ إربل وهمذان، عَلَى مسافة من الدينور أربع مراحل، وكذلك من حلوان إلَى شهرزور أربع مراحل. الإدريسي (ت 560هـ): **نزهة المشتاق فِي اختراق الآفاق** (عالم الكتب، بيروت 1409) 676/2؛ ياقوت: **معجم البلدان** 3/ 375.

2 - انظر: ابن العبري: **تاريخ السّريان**، ص 115؛ اسحق رملة: "فِي البطريكية الانطاكية"، *مجلة المشرق* (عدد21) [سنة1923]: ص503؛ أرملة: "جثالقة المشرق ومفارنة السّريان". ص 34، بحث، *أَبْرَشِيَّة حلب للسريان الكاثوليك*

3 - سلوى بلحاج: **المسيحيّة العَرَبِيّة وتطورها**، ص 170.

4 - اسحق أرملة السّرياني: "جثالقة المشرق ومفارنة السّريان"" ص34.

دنحا الأول : المفريان رقم(35)، بَعْدَ وفاة ماروثا رأى ثاودور البِطْرِيَرك (28-47هـ/649- 667م) أن يرسم بيدهِ مفرياناً لتكريت، فأوفد إلَى أَسَاقِفَة المشرق والرّؤساء، واصطفوا دنحا تلميذ ماروثا، فنصبهُ عَلَى كرسيه. فقام برعاية الأبرشيَّة مدّة عشرة أعوام أحسن قيام، ولقي حتفهُ فِي(29/ جمادى أولى5/ 39= 3/تشرين الثّاني/659). واتّفق آنئذٍ أن أمير الْعَرَب توَّغر عَلَى جرجس جاثليق النَّسَاطِرَة، واضطره أن يدفع لَهُ مبالغ جسيمة، والقاه فِي السّجن، وقوّض جملةً من كَنَائِس النَّصَارَى فِي الكوفة والحِيرَة معاً[1].

1 - اسحق أرملة: م. ن، ص 35.

مظاهر عصر الخِلَافَة الراشدة :

يشير لوبون "Gustave Le Bo"[1] إلَى أن الأرمن القدماء قَدْ سَجَّلوا فِي سِجِلَّاتهم الْكَنَسِيّة، وتناقلوا فِي موروثهم بأَنَّ تاريخهم لَمْ يعرف ارحم من الْعَرَب فِي تعاملهم مَعَ الأرمن إِبّانَ الامتدادات الْعَرَبِيّة الإِسْلَاميّة الأولى.

وإثرَ مَا شرَّعَه القُرآن، وما سنَّهُ الرّسول مُحَمَّدٌ فِي سيرته، تجاه أهل الكتاب والدِّيَانَات الأُخْرَى، ظَلّتْ مكانَةُ أهلِ الذِّمَّةِ محمُودَةً فِي ظِلّ الرّعايةِ الحُقُوقيَّةِ لدولةِ الإِسْلَام، الَّتِي شَمَلَتْ تَنَوُّع الإِنْسَانِ كافّةً، فِي اتخاذِها شعارَ " النّاس صنفان: إمّا أَخٌ لكَ فِي الدِّينِ أَوْ نَظِيرٌ لكَ فِي الخَلْقِ"[2].

يلحَظُ تطبيقُ العدالة فِي حُقُوقِ الإِنْسَانِ، إِبّانَ خِلَافَة الإمام عَلِيّ (656-660م/ 36-40هـ) عندما مر شيخ مكفوف كبير يسأل، فقال، مُسْتَنْكِرا: مَا هَذَا؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، نَصْرَانِيّ، فقال: استعمَلْتُمُوه، حَتَّى إِذَا كَبُرَ وعَجَز مَنَعْتُمُوه!، انفقوا عَلَيْهِ من بيت المال[3]، وتبعه عَلَى هَذَا المنهج عمر بن عبد العزيز (718-720م /99-101هـ) فِي كتابه إلَى عامله عَلَى البصرة: " وانظر من قبلك

---

1 - غوستاف لوبون (1841- 1931): **حضارة العرب**، ص 435؛ سيّار الجَميل: "الأرمن العِراقيون.- الخصوصيّة والجاذبيّة والأسرار الحيويّة"، مقال: *مجلة إيلاف*، الأحد 17 أكتوبر،2010.

2 - للامام علي، انظر: ابن شعبة الحراني: **تحف العقول**، (مؤسسة النّشر الإسلاميّ،جماعة المدرسين، قم) ص127؛ القلقشندي: **صبح الاعشى فِي كتابة الانشا** 11/10؛ **مآثر الانافة فِي معالم الخِلَافَة** 7/3.

3 - الطوسي: **تهذيب الأحكام**، (ط4، دار الكتب الإسلاميّة، طهران) 293/6؛ الحر العاملي: **وسائل الشّيعة** 66/15.

من أهل الذِّمَّة، من قَدْ كبرت سنُّه، وضعفت قوته، وولَّت عَنْهُ المكاسب، فأجْرِ عَلَيْهِ من بيت مال الْمُسْلِمِينَ مَا يصلحه"[1].

وأجمل هَذَا التّعامل " أ. س، ترتون" بقوله: إنَّ "في الأخبار النّصْرَانِيَّة شهادة تؤيد هَذَا القول، وَهِيَ شهادة البِطْرِيَرك "عيشوبايه" الَّذِي تولى منصبه من سنة (647- 657م)، إِذْ كتب يَقُولُ: إن الْعَرَب الَّذِينَ مكنهم الرّب من السّيطرة عَلَى العالم، يعاملوننا كَمَا تعرفون، أَنَّهُمْ ليسوا بأعداء للنَصْرَانِيّة، بَلْ يمتدحون ملتنا، ويوقرون قديسينا وقِسّيسِينا، ويمدون يد المعونة إلَى كَنَائِسنا وأديرتنا"[2].

وَقَدْ أخرج عمر بن الخطَّاب اليهود والْمَسِيحِيِّينَ من جَزِيْرَة الْعَرَب، لِأَنَّهَا أرض الإِسْلَام المقدسة، وتعزو إلَيْهِ إحدى الرّوايات غير المؤكدة "عهداً" قَيَّدَ فِيهِ حقوقَهم بوجهٍ عام، لَكِنَّ هَذَا العهدُ، إنْ كَانَ قَدْ عُقد، فَقَدْ أُغْفِلَ العَمَلُ بِهِ، وظلت الكَنَائِس الْمَسِيحِيَّة فِي مِصْرَ تَتَمَتَّع فِي أيام هَذَا الخليفة بالميزات، الَّتِي منحتها إيَّاهَا الحكومةُ البِيْزَنْطِيَّة قَبْلَ الفتح الْعَرَبِيّ[3].

أهم مظاهر العصر:

- تمازج حضاري قائم عَلَى الأثر والتّأثر بالأَقْوَى فِي العادات والتّقاليد والقيم الاِجْتِمَاعِيَّة والدّينِيَّة، وصياغتها بالصّيغة الْعَرَبِيّة الإِسْلَامِيّة، مِمَّا أسهم فِي ضمور اهتمام الشّعوب بقيمها الحَضَارِيّة تدريجيًّا، والابتعاد عَنْ تراثها. واذا أخذنا بفكرة اعدام مصادر التّراث العلمي والفِكْرِيّ للحَضَارَات الأُخْرَى، كما حدَثَ في

1 - أَبُو عبيد: **الأموال** 45-46.

2 - ا. س. ترتون، **أهل الذمة فِي الإسلام**، (مكتبة الأسرة،1994)ص 93.

3 - ديورانت: **قصة الحضارة**، 131/13

الإسكندرية وفارس، بهدف إرساء تراث القُرآن، تكون العَمَلِيَّة مدبّرة، ومشبعة بالأحتوائية، وعَلَى الرّغْمِ مِنْ إحاطتها بأصالة الحرص عَلَى الدّين الجديد، إلَّا أنّها تكشف عَنْ سذاجتها، لكونها العصا الَّتِي وضعت فِي عجلة التّطَوّر العلميّ والمعرفيّ العالميّ لقرنين، حَتَّى عصر التّرجمة، والاستعانة بكتب اليونان وعلومها عَنْ طريق السّريان، وأرستْ الحجابَ الحاجز لمعرفة تاريخ حَضَارَات، شغلت الدّنيا وأنماط نظمها، كالحضارة الفارسيَّة، الَّتِي لَمْ نعرف مِنْهَا الا الفتات، الَّذِي اضطلع بِهِ مؤلفو الإِسْلَام ومُؤَرّخوه، من خلال اطّلاعهم على الحضارة الهنديّة، التي تاثرت بالفرس، ولاسيما بعد الفتوح الإسلاميَّة، إبّان هجرة النخب الفاعلة في المجتمع الفارسيّ إليها.

- فرض لغة الْعَرَب، لغة القُرآن والفروض العِبَادِيَّة الإِسْلَاميّة، ولغة الدّولة الحاكمة والمعاملات، عَلَى نحو ضمرت فِي الاتجاه الآخر لغات الشّعوب المفتوحة كالسّرْيانيّة والقبطِيَّة واليُونانيّة. يبدو أنَّ أوَّلَ ورقةَ بَرْدِيّ مكتوبةٍ باللغةِ اليُونانيّةِ والْعَرَبيّةِ مَعًا ظهرتْ سنةَ 22هـ/ 643م، وآخرَ واحدةً سنةَ 100هـ/ 719م[1]، يُؤَكّدُ تَقَدُّمَ الكتابةِ الْعَرَبيّةِ عَلَى لغاتِ العصْرِ آنَذاكَ فِي بِضْعَةِ عُقُودٍ، كَمَا وأكّدَ الحرفُ الْعَرَبِيُّ وأبجديتُه السّيادةَ عَلَى الكتابةِ الفارسيَّةِ والتّركيَّةِ وغيرِها[2]، وبُغْيَةَ سَدّ حَاجَةِ التَّعارُفِ، والتّفاعُلِ بَيْنَ الشّعوبِ، نَمَتْ اللُغَةُ الْعَرَبيّةُ، واتَّسَعَتْ قوامِيسُها،

1 - قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبيّة**، ص38.

2 - اللُغَة التترية: يانكا إملا. اللُغَة الباشقوردية. اللُغَة الأوردية. اللُغَة الكشميرية. اللُغَة البشتونية. اللُغَة الطاجيكية. لغة ديفيهي. اللُغَة القمرية. اللُغَة البربرية. اللُغَة الكردية. بهاسا. لغة ماندينكا. اللُغَة الملاوية. اللُغَة البلوشية. اللُغَة البالتية. اللُغَة البراهوية. اللُغَة البنجابية. اللُغَة السّندية. اللُغَة الويغورية. اللُغَة الكازاخية. اللُغَة القرغيزية. اللُغَة الأذرية. اللُغَة الأروية. اللُغَة المالايالامية بحروف عَرَبيّة. اللُغَة الأفريكانية: أفريكانس عَرَبيّة. اللُغَة البيلاروسية بحروف عَرَبيّة. اللُغَة المستعربة. اللُغَة الجيلاكية. اللُغَة الطبرية اللُغَة اللورية. اللُغَة السّرائيكية. اللُغَة الدارية. اللُغَة الجغاتية (الشّاغاتية). اللُغَة الشّياورجنة. اللُغَة الشّيشانية. "لغات تستخدم الأبجدية العَرَبيّة رسميا"، أرشيف منتدى الفصيح لعلوم اللُغَة .http://www.alfaseeh.com/vb/showthread

وادَّخَرَتْ مُفردات عَدِيدَةً من غيرِها، سُمِّيَتْ بالمُعَرَّب والدَّخيل والمُوَلَّد[1]، ونشأتْ- عَنْ تمازُجِ الْعَرَبِيّة ببعضِ لُغَاتِ البلادِ المفتوحةِ- لُغَاتٌ مُوَلَّدَةٌ[2].

- اتساع رقعة الإِسْلَام عَلَى خَارِطَة الأَدْيَان، وَهُوَ مَا تهدف إِلَيْهِ الدَّولَة العَرَبِيَّة، وضمرت أَوْ ذوَت قبالها الأَدْيَان فِي البلاد المفتوحة عَلَى نحو تدريجيّ، وعَلَى الرَّغْمِ مِنْ وجود الْحُرِّيّات الدّينِيَّة فِي مقابل الْجِزْيَة، بَيْدَ أَنَّ حجمَ الضَّغوطِ السِّيَاسِيَّة والاقتصاديّة والاجْتِمَاعِيَّة والنَّفسِيَّة والإِدَارِيَّة عَلَى غيْرِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ لَهُ الأَثَرُ البالِغُ، كَمَا تَحَصَّلَتْ الْمَسِيحِيَّة فِي الحِيرَة والكوفةِ والبحرين حَتَّى عُمان.

- اعتماد العنصر الْعَرَبِيّ فِي الوظائف السُّلْطَانِيَّة، وتفضيله فِي العطاء، وتكريمه مطلقا، فِي وقت شاع الدّخول فِي الإِسْلَام من غير الْعَرَب، برزت طبقة كبيرة سميت" الموالي"، وَهُمْ غَيْرُ الْعَرَب المنتسبين إِلَى القَبَائِل الْعَرَبِيّة، حفاظًا عَلَى الكرامة والتّقدير فِي المُجْتَمَع الْعَرَبِيّ. وَكَانُوا فِي عهد الرّسول مُحَمَّد يَحْظَوْنَ بالمساواة مَعَ باقِي الْمُسْلِمِينَ فِي العطاءِ وغيرِه، وكَذَا أَبُو بكر كَانَ يَقُولُ: وَهَذَا مَعَاشٌ فَالأُسْوَةُ فِيهِ خَيْرٌ مِنْ الإِثْرَةِ[3]. وَلَمَّا اُسْتُخْلِفَ عُمَرُ بن الخطَّاب قَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَأَى فِي هَذَا

---

1 - انظر: أَبُو بكر، مُحَمَّد بن القاسم الأنباري: **الزاهر فِي معاني كلمات النّاس**، (مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1992)154/1؛ السّيد ادّي شير: **معجم الألفاظ الفارسية المعربة**، (مكتبة لبنان، بيروت 1990)ص 96؛ حلمي خليل، الدكتور: **المولّد فِي العَرَبِيّة** (دار النّهضة العَرَبِيّة، بيروت 1405)ص128؛ مُحَمَّد حسن عبد العزيز: **التعريب فِي القديم والحديث**،(دار الفكر العَرَبِيّ، القاهرة)؛ مُحَمَّد السّيد بلاسي:"اللغة العَرَبِيّة بَيْنَ التأثر والتأثير"، *مجلة اللسان العَرَبِيّ*، العدد (34) 1410- 1990؛ أحمد رضا: **مولد اللُغَة** (دار الرّائد العَرَبِيّ، بيروت 1983م) ص108.

2 - أن نشوء اللُغَة الأوردية جاء نتيجة لأثر اللغتين الفارسية والعَرَبِيّة عَلَى اللهجات الأصلية فِي شبه القارة الهندية (وعلى الأخص فِي السّند والبنجاب) عندما خضعت للحكم الإسلاميّ، فأصبحت الفارسية والعَرَبِيّة بمثابة لغة الاشتقاق للغة الأوردية الَّتِي تطورت بدورها فوطدت لنفسها استقلالاً. عمر حليق، الدكتور: الاتجاهات الحديثة فِي الثّقافة الأوردية، مقال، مجلة الرّسالة، 1004/ 18.

3 - أَبُو يوسف: **الخراج**، ص 53.

الْمَالِ رَأْيًا، وَلِي فِيهِ رَأْيٌ آخَرُ، لَا أَجْعَلُ مَنْ قَاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ كَمَنْ قَاتَلَ مَعَهُ[1]، ففي سنة (15هـ/ 63 6م) دُونَ بيت المال[2]، وقسم العطاء عَلَى القدم فِي الإِسْلَام والعمل فِيهِ وبدأ بِبَنِي هَاشِمٍ رَهْطِ النَّبِيِّ[3]، فالاقربُ من قُرَيْش، إِذْ فرَضَ إِلَّا عَلَى القَبَائِل[4]، قَالَ الجاحظ[5]:" وفرض لسوى هَؤُلَاءِ النَّفَرِ من العَجَمِ من الحاشِيَةِ، والعَوَامِ مِمَّنْ سُبِيَ وأُسِرَ، وخَرَجَ فِي الصَّلْحِ مَعَ رئيسِهِ وقائِدِهِ، فِي أقلِّ مِمَّا فرضَ للأعرابِ وحاشيةِ الْعَرَبِ وعوامِّهم".

وَكَانَ البون شاسعا فِي العطاء المتفاوت بَيْنَ اثني عشر ألف درهم لكبار الصّحابة، وَبَيْنَ ثَلاثمائَةٍ أَوْ مائتين فِي السّنَةِ للموالي[6]، مِمَّا ولّد تباينا طبقيا، وحقدا عصبيا، بِهَذَا المعنى قرأه ابن شاذان[7]: " فضَّل المهاجرين عَلَى الأنصار، وفضَّل الأنصار عَلَى الْعَرَب، وفضَّل الْعَرَب عَلَى الموالي، فَلَمْ تزل العصبيَّةُ ثابتةً فِي النّاس، مِنْذُ ذاكَ إِلَى يومنا هَذَا، ورسول الله يَقُولُ : الْمُسْلِمون إخوة تتكافؤ دماؤهم ويسعى آخرهم بذمة أولهم[8]".

---

1 - أَبُو يوسف: م. ن، ص 54.

2 - الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**3/ 613؛ ابن الأثير: **الكامل فِي التاريخ** 2/ 331. وقال البلاذري: فِي سنة عشرين. **فتوح البلدان**، ص 439.

3 - أَبُو يوسف: م. س، ص 55.

4 ابن حزم: **جمهرة أنساب العرب** 1/ 5؛ عبد الحي الكتاني: **التراتيب الإدارية** 2/ 205.

5 - الجاحظ: **العثمانية**، ص 213.

6 - فَرَضَ لِلْعَبَّاسِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، ولأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ عَشْرَةَ آلَافٍ عَشْرَةَ آلَاف، وَزَادَ عَائِشَةَ أَلْفَيْنِ، وَلِلْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا خَمْسَةَ آلَاف، وَلِلْأَنْصَارِ الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا أَرْبَعَةَ آلَافٍ، ثُمَّ فَرَضَ لِلنَّاسِ ثَلَاثمائَةٍ وَأَرْبَعمائَةٍ لِلْعَرَبِيِّ وَالْمَوْلَى. أَبُو يوسف: م.س، ص54- 56؛ ابن سعد: **الطبقات الكبرى** 8/ 67؛ أَبُو عبيد: الأموال، ص 289؛ ابن زنجويه: **الأموال** 501/2.

7- الفضل بن شاذان الأزدي (ت260هـ): **الإيضاح**، (مؤسسة انتشارات دانشگاه، طهران، 1405هـ) ص250- 253.

8 - القرطبي: فَقَالَ:" المُسْلِمونَ تتكافؤ دِمَاؤُهُمْ". وَإِذَا كَانُوا فِي الدِّمَاءِ سَوَاءً فَهُمْ فِي غير ذَلِكَ شي

أوعز بعضُ المؤلفين إلَى مَا كَانَ يستشعره الموالي من قِلَّةِ العطاءِ، سبَّبَ فِي مقتلِ الخليفة عُمَر، فإنّ أَبَا لؤلؤة فيروز[1] كَانَ يستقل عطاء عمر، فَإِنَّهُ كَانَ يفرضُ لَهُ عَلَى مَا ذُكِرَ عشرين دِرْهَمًا[2]، أَوْ أَنَّهُ كَانَ يشْكُو للخليفةِ أنّ الخراجَ كَثُرَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُخَفِّفْ عَنْهُ[3].

مَا آلَتْ إلَيْهِ الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة فِي عهد الخلفاء الرّاشِدين، يخلصُ فِي أَنَّهُ بَعْدَ الاتصالات الأوليَّة بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وبعض الْمَسِيحِيِّينَ فِي عهد النّبوّة، شهدت فترة الخِلَافَة الرّاشدة بداية ضمور الْمَسِيحِيَّة بَيْنَ الْعَرَب فِي الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة، وتقلُّصها وتلاشِيها فِي الشّام والعِرَاق. فَقَدْ تمَّ الانتصار عَلَى مسيحيّي الأطراف الشّماليَّة للجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة الَّذِينَ تمردوا كَمَا فِي دومة الجندل، ثُمَّ الاستحواذ عَلَى الحِيرَة رغم بقائها مركزاً للمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة حَتَّى ذَلِكَ الحين. لَكِنَّ خِلَافَةُ عُمَر شَهِدَتْ تَحَوُّلَات عديدةً، مثل: إجلاء مسيحيّي نَجْرَان، وتوطينهم فِي نَجْرَانيَّة الكوفة، وارْتِحَال جماعات الْمَسِيحِيِّينَ الْعَرَب، إياد وغَسّان، من الشّام والعِرَاق إلَى بلاد الرّوم، فِي حِينَ تحول قسم مهم من مسيحيّي الشّام والعِرَاق إلَى الإِسْلَام.

و شهدت خِلَافَة عثمان زوال الْمَسِيحِيَّة من عمان. ويمثل قضاء عَلِيّ بن أبي طالب عَلَى تمرد مسيحيّي بني ناجية قرب ساحل فَارِس، وإرجاعهم إلَى الإِسْلَام، المرحلة الختامية من تاريخ الْمَسِيحِيَّة فِي عهد الخلفاء الرّاشِدين. وَهَكَذَا لَمْ تتمكنْ الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة من مقاومةِ الإِسْلَام، أَوْ الصّمود أمامَ زحفِه عَلَيْهَا،

وَاحِدٌ. **التفسير** 76/3.

1 - قَالَ ابن الوردي: كَانَ أَبُو لؤلؤة نَصْرَانِيّا. **تاريخ** 1/ 142؛ ومُحَمَّد بن حبيب، قال: كَانَ مجوسيا. **المحبر** 12؛ وابن كثير، قال: مَجُوسِيُّ الْأَصْلِ، رُّومِيُّ الدَّارِ. **البداية والنّهاية** 7/ 137.

2 - الباقلاني: **تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل**، (مؤسسة الكتب الثّقافِيّة - بيروت 1993م) ص538.

3 - ابن شبة: **تاريخ المدينة** 3/ 893؛ ابن حبان، البُستي (ت 354هـ): **الصّحيح**، (مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1988م) 15/ 331؛ الحاكم: **المستدرك عَلَى الصّحيحين** 3/ 97.

كَمَا كَانَ الحال مَعَ الْمَسِيحِيّة السّرْيانِيّة والْمَسِيحِيّة اليُونانِيّة، خَاصَّة فِي الشّام والعِرَاق[1].

1 - مُحَمَّد الخزعلي: "المسيحيّة العَرَبِيّة وتطوراتها. *مجلة التَّسَامُح*، عدد2، وزارة الأوقاف، سلطنة عمان.

الفصل الرّابع

العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة فِي عصر الدّولة الأُمَوِيّة

الدّولة الأُمَوِيّة- نشأتُها وميزاتها

تنسب الدّولة الأُمَوِيّة إِلَى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، ثانية الأسرات الَّتِي مثَّلت دورًا مهمًّا فِي قبيلة قُرَيْش من مَكّة أم القرى إِلَى الدَّوْلَة العَرَبِيَّة فِي أوسع آفاقها، وَكَانَ بنو أمية من المتأخرين فِي دخول الإِسْلَام، إِذْ أسلم أَبُو سفيان بن حرب عِنْدَ فتح مَكّة. الا أَنَّ لَهُمْ وجودًا ملحوظا فِي فتوح الشّام، فأثبتت لَهُمْ قدم الولاية فِيهَا مِنْذُ خِلَافَة عمر بن الخطَّاب، يتمثل بـ: يزيد بن أبي سفيان، فمعاوية أخيه بين18- 19هـ/ 639-640[1].

كَانَ لنشأة الدّولة الأُمَوِيّة قصَّةٌ مشهورة، مهَّدت لها فتنةُ مقتل الخليفة عثمان، واتّكأتْ عليها، إبّان اعتزال معاوية بالشّام عَنْ خِلَافَة عَلِيّ بن أبى طالب، بحجَّة أَنَّ عليًّا تهاون فِي الدّفاع عَنْ عثمان. وأسفرت هَذِهِ الفتنة عَنْ معارك عنيفة بَيْنَ الجانبين، استمرت حَتَّى مقتل الامام عَلَى يد الخوارج، يوم 17 رمضان سنة 40 هجرية. وَكَانَ من الممكن أَنْ تستمرَّ هَذِهِ المحنة طويلاً، لَوْلَا أَنَّ

1 - البلاذري: **أنساب الأشراف** 5/ 11، ابن الأثير: **أسد الغابة** 4/ 715.

الحسن بن عَلَى، الذّى بويع بالخلافة بَعْدَ أبيه، فضَّل التّنازل عَنْ الأمر لمعاوية حقنًا لدماء الْمُسْلِمِينَ فِي عام 41هـ/661م.

من ميزات الدّولة الأُمَوِيّة، الَّتِي اختارت دِمَشْقَ عاصمةً لها، واستغرقت طولا قرنًا الا بضعَ سنين، وشغلت عرضًا مساحات شاسعة من القارات الثّلاث: أسيا، أوربا، افريقيا، إِذْ أنّها تُعَدُّ دولة فتوحات، وأنَّها- فِي المنظور الإيديولوجيّ- لَمْ تقمْ كسابقتها الدّولة الرّاشدة عَلَى الغطاء الدّينِيّ، والقدم فِي الإِسْلَام، والعمل فيه، بَلْ اتخذت من القَبَائِل العربيّة ووفودها غطاء للدولة، ولاسِيّمَا العصبيَّة عَلَى درجاتها، لقَبَائِل الشّام أَوّلًا، وما بعدها دونها، وأنَّها ألغَتْ نظامَ الشّورى فِي الحكم والانتخاب، واعتمدت الأخذ بمبدأ حكم الفرد الوراثي، ويتبع هَذَا الحكم مبدأ التّصرف بالاموال الَّتِي كَانَتْ فِي بيت مال الْمُسْلِمِينَ تنفق لحاجاتهم، واصبحت تصرف لمصلحة الدّولة ولبقائها بِمَا يتفقُ معَ رغبةِ الخليفةِ ومصلحةِ الأسرةِ الحاكمةِ. والخليفةُ جاءَ بأمرٍ مِن اللهِ، والنّاسُ مجبرُون عَلَى طاعتِه، فَهُوَ ظِلُّ اللهِ عَلَى الأرضِ، فليسَ مِن رقابةٍ شعبيَّةٍ عَلَى الخليفةِ، أو على أعمالِه[1]. وإنّها نَزَعَتْ إِلَى العُنْصُرِ الْعَرَبِيّ مطلقًا فِي بناءِ الدَّولةِ ومفاصلِها، وقُدِّم عَلَى غيرِه مِن شرائحَ فاعلةٍ في المجتمعِ، نحوَ: الموالِي وأهْلِ الذِّمَّة. فكثرتْ الثّوراتُ ذاتُ الطّابعِ الدّينِيّ، وشاركَ فِيهَا الموالِي وأهلُ الشّعوبيّةِ[2]. لَعَلَّ هَذِهِ الميزَاتِ أسْهَمَتْ - بشكلٍ أَوْ بآخرَ- فِي قِصَرِ عُمْرِ الدّولةِ الأُمَوِيّة، فِي مقايستِها بِعُمْرِ الدّولةِ العباسِيَّةِ.

1 - يوسف العش، الدكتور: **الدولة الأُمَوِيّة- والاحداث الَّتِي سبقتها ومهدت لها**،(دار الفكر للطباعة والتوزيع، دمشق 1992) ص 338 وبعدها.

2 - صادق شاكر محمود: "الشّعوبية وردود العلماء المُسْلِمِين فِي المشرق والمغرب". بحث، *مجلة كلية الفقه*- جامعة الكوفة، العدد التاسع، السّنة الخامسة، 2009م، ص 127-147

أَمَّا الْفُتُوحاتُ فِي العهدِ الأُمَوِيّ فَقَدْ توسَّعَتْ، وشَمِلَتْ ثلاثةَ ميادينَ: - آسيا الصّغرى ضِدّ الرّوم، وَقَدْ امتدّتْ، فشَمِلَتْ حصارَ القُسْطَنْطِينِيَّةِ وبعضَ جُزرِ البحرِ المتوسّط. - الشّمال الأفريقيّ والغرب الأوربيّ، وَقَدْ امتدتْ حَتَّى المحيط، ثُمّ عَبَرَتْ مضيقَ جبلِ طارقٍ، وامتدّتْ إلَى أسبانيا.- الميدان الشّرقيّ: امتد شرق العِرَاق، ثُمّ تفرع شمالا تجاه مَا وراء النّهر، وجنوبًا فشمل بلاد السّند[1].

خلفاء الدّولة الأُمَوِيّة:

البدء الحَقِيقِيّ للدولة الأُمَوِيّة حِينَ أخذت البيعة لمعاوية بن أبى سفيان بالكوفة، إثْرَ تنازل الحسن بن عَلِيّ عَنْ الخِلَافَة فِي (25/ 3 ربيع الأول/ 41هـ = 17/ 7/ 661م). وَقَدْ توالتّ عَلَى الدّولة الأُمَوِيّة أسرتان، وَكَانَ خلفاؤها اثني عشر خليفة. وغطَّتْ العُقُودُ السّتَّةُ من القَرْن الأوَّل الهِجْرِيّ، مَوْضُوع البحث، عهود ثمانية من خلفاء الدّولة الأُمَوِيّة، هُمْ:

الأسرة السّفيانية: وَقَدْ حكمت أربعًا وعشرين سنة (41- 64هـ/ 661-684م):

- مُعَاوِيَة بن ابي سُفيان (41- 60هـ/ 661 - 679هـ)

اتسعت فتوحات الدّولة الأُمَوِيّة اتساعاً عظيماً، فكانت عَلَى عدة ميادين:

- بلاد الرّوم (تركيا): عُمِلَتْ ثُغُورٌ دائِمَةٌ هُنَاكَ، وَكَانَتْ الحَملاتُ مستمرَّةً، وَكَانَ الهدفُ فَتْحَ القُسْطَنْطِينِيَّة، حوصرت عام 50هـ/ 670م، ثُمّ من 53- 61هـ/ 672- 680م وَلَمْ تُفْتَحْ.

1 - أحمد معمور العسيري: **موجز التاريخ الإسلاميّ من عهد آدم إلَى عصرنا الحاضر** (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرّياض) ص 143.

أنشأ معاوية أسطولًا ضخمًا مجهزاً فِي البحر المتوسط (1700 سفينة)، وحقق بِهِ عدة انتصارات، ففتح جَزِيْرَة جربا (بصقلية) عام 49هـ/669 م، وجَزِيْرَة رودوس[1] عام 53هـ/ 672م، وجَزِيْرَة أرواد[2] عام 54هـ/ 674م، وجَزِيْرَة كريت عام 55 هـ/674 م، وجزر بحر إيجه قرب القُسْطَنْطِينِيَّة عام 57هـ/ 677 م[3].

- فِي أفريقيا: فُتِحَتْ بنزرت[4] عام 41هـ/ 661 م[5]، وفُتِحَتْ قمونية (قرب القيروان) عام 45هـ/ 665 م، وسوسة فِي العام نفسه، وفتح عقبة بن نافع سرت ومغداس وطرابلس وأعاد فتح ودان، ودخل فزان وقفصة، وبنى مدينة القيروان سنة 50 هـ/670 م[6]. وأسلم البربر، وَكَانُوا نَصَارَى[7]، وفتح كورًا من بلاد السّودان، وأخيرًا وصلت الْفُتُوحات إلَى الغرب الأوسط (الجزائر)[8].

- فِي الشّرق بلاد مَا وراء النّهر، والسّند. أَمّا بلاد مَا وراء النّهر (أَوْ مَا بَيْنَ النّهرين: سيحون وجيحون)[9]، ومعظم سكان تِلْكَ الجهات أمم وَثَنِيّة، غزا الْمُسْلِمون بلاد مَا وراء النّهر عام 41هـ/ 661م، ففتحوا سجستان عام 43هـ/

---

1 - عام 52هـ/ 672م. البلاذري: **فتوح البلدان** 233.

2 - هِيَ جزيرة "كزيكوس" " البلاذري: م. ن. 233؛ ابن الأثير: **الكامل فِي التاريخ** 3/ 91.

3 - العسيري: **موجز التاريخ الإسلاميّ**، ص 144

4 - بنزرت: مدينة عَلَى البحر قريبة من تونس، خصبة. ابن حوقل: صورة الأرض 1/ 74.

5 - النّاصري، أحمد بن خَالِد (ت1315هـ): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، (دار الكتّاب، الدار البيضاء، د.ت) 1/ 134.

6 - قدامة: **الخراج وصناعة الكتابة**، ص 344، خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص 210

7 - ابن حزم: **الرسائل** 2/ 128

8 - اب عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب**، ص 220-224؛ البلاذري: **فتوح البلدان** ص 222.

9 - أهم ممالكها: طخارستان (عاصمتها بلخ)، صفانيان (عاصمتها شومان)، الصّغد (سمرقند وبخارى)، فرغانة (عاصمتها بخندة)، خوارزم (عاصمتها الجرجانية)، أشروسنه (عاصمتها بنجكث)، الشّاش (عاصمتها بنكث). عبد الهادي شعيرة، "الممالك الحليفة أَوْ ممالك ما وراء النّهر"، *مجلة كلية الآداب*، (جامعة فاروق الأول، مطبعة التجارة بالإسكندرية، مجلد4 /1948) ص206.

663م[1]، وبعض طخارستان فِي 45هـ/ 665م[2]، ووصلوا إلَى قوهستان فِي عام 55هـ/ 624م، ثُمّ إلَى تلال بخارى، وَفِي عام 44هـ/ 664م غزا الْمُسْلِمون بلاد السّند والهند. وَكَانَ سكان تِلْكَ البلاد يَنْكُثُونَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَلَمْ تَسْتَقِرْ الأوضاعُ نهائيًا إلّا فِي عَهْدِ الوليدِ بن عبد الملك[3].

- يزيد بن معاوية 60- 64هـ/679 - 683 م.

بسبب الأحداث الدّاخلية هدأت الْفُتُوحات، مَا عدا فِي أفريقيا، واصل عقبة بن نافع الْفُتُوحات غربًا، ففتح بلاد المغرب كلها، ووصل إلَى المحيط الأطلسي.

الأحداث الدّاخلية:

- فاجعة كربلاء (10محرم61هـ/680م)[4]: لَمْ يبايع سبط الرسول، الحسين بن عَلِيّ يزيد، وطلبه أهل العِرَاق ليبايعوه، وألحوا عَلَيْهِ، فخرج إلَيْهِمْ رافعًا شعار إصلاح أمَّة جدّه، وأخذ مَعَهُ أهلَ بيته وخَاصَّة جماعته، وَهُنَاكَ لقيته خيل عبيد الله بن زياد والِي البصرةِ والكوفة، فعدلَ إلَى كربلاءَ، واختارَ القتال، وقُتِلَ، وكلَّ أصحابِه، ومعظمَ أهلِ بيتِه، وحُمِلَتْ رؤوسُهم إلَى يزيد.

- وقعة الحَرَّة واستباحة المدينة (ذو الحجة 63 هـ/683 م)[5]: لَمَّا وصل خبر كربلاء إلَى المدينة، أعْلَنَ عبدُ اللهِ بن الزبير خَلْعَ يزيدَ، وأخَذَ البيعةَ لنفسِه، فبايعَهُ

1 - الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك** 4/ 181 وبعدها؛ **الكامل فِي التاريخ** 2/ 424 وبعدها.

2 - البلاذري: م. س، ص409.

3 - العسيري: **موجز التاريخ الإسلاميّ**، ص 145.

4 - اليعقوبي: **التاريخ** 243/2؛ ابن كثير: **البداية والنّهاية** 8/ 172.

5 - خليفة بن خياط: **التاريخ** 192؛ ابن قتيبة: **المعارف**351.

أهلُ المدينةِ، فأرسلَ يزيدُ جيشًا دخلَ المدينةَ، فاستباحَ حرمتَها[1] وقتلَ المئاتِ من الصّحابةِ وأبنائِهم[2].

- رمي البيت بالمنجنيق: واصل الجيش إلَى مَكّة، وَكَانَ ابن الزبير قَدْ لجأ إلَيْهَا، واحتمى بالبيت الحرام، فحوصرت مَكّة ورمي البيت بالمنجنيق وأُحْرِق بالنّار، ثُمّ مات يزيد أثناء حصار مَكّة[3].

- معاوية بن يزيد بن معاوية 64هـ/683 م

تَوَلّى- بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ- ابْنُهُ مُعَاوِيَةُ ، ثُمّ تَنَازَلَ، فَاعْتَزَلَ فِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

-الأسرة المروانية: وَقَدْ حكمت سبعة وستين عامًا (64- 132هـ/ 684-750م) :

- مروان بن الحكم 64 - 65 هـ/683 - 684 م.

بَعْدَ اعتزال معاوية الثّاني، بايع الأُمَوِيّون مروان بن الحكم في الجابية في رجب 64هـ/ 683 م، فاستطاع أنْ يُخْضِعَ الشّام كلَّها لسيطرته، ثُمّ استولى عَلَى مِصْرَ من ابن الزبير عام 65هـ/ 684م، واستعمل عَلَيْهَا ابنه عبد العزيز، وتُوفي فِيهَا، بَعْدَ أَنْ عهد لابنه عبد الملك[4].

---

1 - أنهب مُسلم بن عقبَة الْمَدِينَة ثَلَاثَة أَيَّام وافتض فِيهَا ألف عذراء. السّيوطي: **الخصائص الكبرى** (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت) 2/ 240.

2 - أنّ قتلى الحرة، كَانُوا سبعمائة من وجوه النّاس، من قريش والمهاجرين والأنصار، وعشرة آلاف من وجوه الموالي، وممن لا يعرف، ثُمّ إِنّ مسلماً بايع من بقي من النّاس عَلَى أَنَّهُمْ خوّل وعبيد ليزيد بن معاوية. أَبُو الفداء: المختصر فِي أخبار البشر 1/ 192؛ ابن الوردي، (ت 749هـ)،: **التاريخ** 1/ 165.

3 - السّخاوي: **التحفة اللطيفة فِي تاريخ المدينة الشّريفة** (الكتب العلميه، بيروت 1993م) 2/ 37

4 - خليفة بن خياط: م.س، ص 253؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 57/ 231- 255؛ الدِّيار بَكْري:: **تاريخ الخميس فِي أحوال أنفس النّفيس**(دار صادر، بيروت) 2/ 306.

- عبد الملك بن مروان 65 - 86 هـ/684 - 705 م.

لَمْ تحدث فتوحات واسعة فِي عهده، لانشغاله فِي قتال ابن الزبير و الخوارج و ابن الأشعث، وعاد إلَى قتال الرّوم، وَكَانُوا يهددون بلاد الشّام. أعيد فتح بلاد الغرب، وأشهر القادة فِي ميدان الشّمال الأفريقي موسى بن نصير، الَّذِي أعاد الاستقرار للمنطقة بَعْدَ موت عقبة بن نافع، وفتح طنجة وسبتة[1]. وحورب التّرك فِي الشّرق وبلاد مَا وراء النّهر، وسار مُحَمَّد بن القاسم الثّقفي لفتح السّند[2]، وَلَمْ تَحْصَلْ فتوحاتٌ واسعةٌ فِي المشرق، وَلَكِنَّ إستقرارَ عَهْدِه مَهَّدَ لفتوحاتٍ عظيمةٍ فِي عَهْدِ ولدِه الوليد.

أهم الاحداث:

- حركة التّوابين (65هـ/ 685مـ)[3]: كَانَ سليمان بن صرد الخزاعي (ولد 28 ق.هـ/ 595م) صَحَابِيًّا جَلِيلًا نَبِيلًا عَابِدًا زَاهِدًا، رَوَى عَنْ النّبِيّ، وَشَهِدَ مَعَ عَلِيّ صِفّينَ، وَكَانَ أَحَدَ مَنْ كَانَ يَجْتَمِعُ الشّيعَةُ فِي دَارِهِ لِبَيْعَةِ الْحُسَيْنِ، وَكَتَبَ إلَى الْحُسَيْنِ فِيمَنْ كَتَبَ بِالْقُدُومِ إلَى العِرَاق، فَلَمَّا قَدِمَهَا، لَمْ ينصروه؛ لمحاصرة الوالي لهم، فندموا، ورأوا أن لا كفّارة فِي ذَلِكَ إلا الاستماتة دُونَ ثأره، ثُمّ اجْتَمَعُوا فِي هَذَا الْجَيْشِ، وَسَمَّوْا جَيْشَهُمْ جيش التّوابين، وسموا أميرهم سُلَيْمَانَ بْنَ صُرَدٍ أَمِيرَ التَّوَّابِينَ، فَقُتِلَ سُلَيْمَانُ فِي الْوَقْعَةِ بِـ "عَيْنِ وَرْدَةَ".

---

1 - خليفة بن خياط: م. س، ص278؛ ابن عبد الحكم: **فتوح مصر والمغرب**، ص 231

2 - ابن خلدون: **تاريخ** 3/ 76.

3 - الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**5/ 583؛ مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم 2/ 110؛ ابن الجوزي: **المنتظم فِي تاريخ الملوك والأمم** (6/ 35)؛ ابن كثير: **البداية والنّهاية** 8/ 280؛ ابن خلدون: **تاريخ** 3/ 216.

- استيلاء عبد الملك عَلَى العِرَاق والمدينة: خرج عبد الملك بنفسه لقتال مصعب بن الزبير، فانهزم مصعب، وقُتِل سنة (71 هـ/690م)، فخضعت العِرَاق لعبد الملك[1]، ثُمّ قدم الجيش إلَى المدينة المنورة، فأخضعها.

- مقتل عبد الله ابن الزبير، وإخضاع مَكّة: سير عبد الملك جيشًا كبيرًا إلَى مَكّة بقيادة الحَجّاج بن يوسف الثّقفي، وَكَانَ ابن الزبير متحصنًا بِهَا، حاصر الحَجّاج مَكّة، وضرب الكعبة بالمنجنيق، وتخاذل النّاس عَنْ ابن الزبير، فقاتل مَعَ خاصته بشجاعة عِنْدَ الكعبة، حَتَّى سقطت عَلَيْهِ إحدى شرفات الكعبة فقتلته فِي عام 73 هـ/692 م.

- حركة عبد الرّحمن بن الأشعث 81- 85هـ/ 700- 704م[2]: سيره الحَجّاج، والي العِرَاق، إلَى قتال بلاد التّرك سنة 81 هـ، فحقق انتصارات، ثُمّ خلع طاعة الحَجّاج وعبد الملك، وأخضع العِرَاق، ثُمّ دان لَهُ المشرق مَا عدا خراسان. جرت معارك ضخمة بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأُمَوِيّين إلَى أنْ انهزم وفرَّ فِي عام 82 هـ، وقتل عام 85 هـ. في إثر قمع هذه الحركة، قتل الحَجّاج كثيرًا من العلماء الَّذِينَ تبعوا ابن الأشعث، ومنهم التّابعي سعيد بن جبير، وَكَذَلِكَ إتَّهَمَ الدّهاقينَ مِن نَجْرَان الكوفةِ بموالاتِه، فضاعفَ الضَّريبةَ إلَى ألفٍ وثمانمائةِ حُلَّةٍ وأخَذَهُم بحُلَلٍ وَشِيّ[3].

- الخوارج[4]: قويَ نشاطهُم فِي العِرَاق والجَزِيْرَة، بقيادة قطري بن الفجاءة، و شبيب الشّيباني[1]، وزوجه غزالة. ظلوا مثار قلقٍ كبير للدولة الأمويّة، ولاسيما

1 - الطبري: م.س. 162/6؛ مسكويه: م. س. 2/ 240؛ القلقشندي: **مآثر الإنافة فِي معالم الخِلَافَة**، 1/ 129

2 - ابن قتيبة: **المعارف**، ص735؛ الدينوري: **الاخبار الطوال**، ص319؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 487/34.

3 - البلاذري: **فتوح البلدان** 74.

4 - خليفة بن خياط: **التاريخ** 212؛ الدينوري: **الاخبار الطوال**، ص276- 280؛ الطبري: **تاريخ**

واليها الحَجّاج، حتى استطاع المهلب بن أبي صفرة أنْ يُحَقِّقَ انتصاراتٍ عظيمةً عَلَيْهِمْ، ويقضي عَلَى أعداد كثيرة مِنْهُمْ[2].

- الوليد بن عبد الملك 86 - 96 هـ/705 - 714 م.

حدثت فتوحات واسعة وعظيمة جدًا، واتسمت بامتدادها عَلَى مُخْتَلف الجبهات، فِي الشّرق والغرب والأندلس وفرنسا.

الجبهة الغربية: فِي بلاد الرّوم وصل مُسْلِمة بن عبد الملك إلَى عمورية (أنقرة) و هِرَقْلَة[3]، ففتحها سنة 89 هـ/707م، ووصل الْمُسْلِمون إلَى خليج القُسْطَنْطِينِيَّة، وغزوا أذربيجان، وَكَانَ السّكان ينقضون مَرَّةً بَعْدَ مرَّةٍ، فكثرت الغزوات فِي تِلْكَ الجهات عام 93 هـ/711م.

فِي البحر المتوسط: فتح الْمُسْلِمون جَزِيْرَة صقلية، و ميورقة، ومنورقة [4] سنة 89 هـ/707م. وَفِي أفريقيا: وطَّد موسى بن نصير الْفُتُوحات هُنَاكَ. ثُمّ عمل عَلَى نشر الإِسْلَام بَيْنَ البربر[5].

- فتح الأندلس[6]: قرر القائد موسى بن نصير أن يعبر المضيق وينشر الإِسْلَام فِي بلاد أوروبا ويدخلها فِي نطاق الدَّولَة العَرَبِيَّة، فسيَّر القائد البربري طارق بن زياد

الرّسل والملوك 190/6؛ ابن الجوزي: **المنتظم فِي تاريخ الملوك والأمم** 6/ 192.

1 - شبيب الخارجيّ: هُوَ: شبيب بن يزيد بن نعيم. من: «بنى شيبان». ويكنى: أبا الصّحاري. **المعارف**، ص410.

2 - خليفة بن خياط: م. س. ص 277-279.

3 - هِرَقْلَةُ: مدينة ببلاد الروم سمّيت بهرقلة بنت الروم بن اليفز. (ياقوت: م.س. 398/5)؛ ويها كرسي ملك القياصرة، بناها هرقل أحد القياصرة. القزويني: **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص 566.

4 - مَيُّوْرْقة ومنورقة جزيرتان بَيْنَ صقلية والأندلس. خليفة بن خياط: **م. ن.** ص 302.

5 - ابن الأثير: **الكامل فِي التاريخ** 4/ 21.

6 - **قصة الحضارة** 13/ 282.

إلَى الأندلس بحرًا، فخاض معارك عظيمة، وقتل حاكمها "لذريق"، وفتحها سنة 92هـ/710م، وصل طارق وموسى إلَى جبال البرانس (Pyrenees)[1]، وأخضعا كُلَّ تِلْكَ المناطق مَا عدا جِلِّيقِيَّة[2].

الجبهة الشَّرْقِيَّة، فِي بلاد مَا وراء النّهر[3]: اشتهر هُنَاكَ القائد قتيبة بن مُسْلِم الباهلي، فتح مدينة بيكند سنة 87 هـ/705م - وغزا بلاد الصّغد، ونسف، وكش عام 89هـ/707م[4]، و فتح بخارى فِي 91 هـ/709م. ثُمَّ فتح الطّالقان، والفارياب، وبلخ. ثُمَّ سمرقند عام 93 هـ/711م، و غزا بلاد الشّاش وفرغانه، حَتَّى بلغ خوقند عام 94 هـ/712م - وفتح كابل فِي 94 هـ/712م -أَيْضًا، وفتح مدينة كاشْغَر[5] عام 96 هـ/714م[6]. استطاع هَذَا القائد أنْ يمدَّ فتوحاتِه إلَى كُلِّ البلاد

---

1 - جبال " البرانس " هي سلسلة من الجبال الإسبانية، تقع شرقي ماردة، وجنوبي طليطلة، وَهِيَ الَّتِي تعرف فِي الجُغْرَافِيّة الحديثة بجبال المعدن Sierra de Almaden، لوقوعها عَلَى مقربة من مدينة " المعدن ". وسيمت فِي الجُغْرَافِيّة العَرَبِيّة " بالبرانس " نسبة لقبيلة البرانس البربرية، الَّتِي كَانَ منزلها فِي الأندلس عَلَى مقربة من هَذِهِ الجبال. البيان المغرب 2 / 143؛ عنان: **دولة الإسلام فِي الأندلس** 1/ 82.

2 - ابن خلكان، (ت 681هـ): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (دار صادر، بيروت1994م) 5/ 329.

3 - اليعقوبي: **البلدان** (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت1422هـ)، ص 124؛ ابن الفقيه، (ت 365هـ): **البلدان**، ص 624.

4 - ابن خلدون: **تاريخ** 1/ 17.

5 - أو قاشغر: من أهم مدن تركستان الشّرقية، قريبة من سمرقند. وقد اجتاحت تركستان الشرقية القوات الصينية سنة 1949م واحتلتها، فأطلق عليها الصينيون اسم (سينكيانج) أي: المستعمرة الجديدة. موسوعة ويكيبيديا (كاشغر).

6 - الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**6/ 496؛ مسكويه: **تجارب الأمم وتعاقب الهمم** 2/ 422؛ **معجم البلدان** 4/ 430.

الواقعة بَيْنَ النّهرين وبلاد أفغانستان، ثُمّ واصل حَتَّى دخل الصّين، وفرض الْجِزْيَة عَلَى ملكها. إلَى هُنَا توقف قتيبة شرقًا، وَقَدْ أخضع قتيبة مناطق شاسعة جدًا[1].

أرسل الحَجّاج إلَى بلاد السّند[2] جيشًا ضخمًا بقيادة القائد الشّاب مُحَمَّد بن القاسم الثّقفي (ابن أخيه)، تمكن خِلَالَها من تَحْقِيْقَ انتصارات ضخمة هُنَاكَ، وقتل داهر ملك السّند، واحتل بلاد السّند فِي الفترة 90- 94هـ/ 708-712م[3]، فكانت تِلْكَ من أعظم الْفُتُوحات. بلغت الدَّولَة العَرَبِيَّة فِي هَذَا العهد أقصى اتساع لها عبر التّاريخ.

- سليمان بن عبد الملك 96 - 99هـ/ 714- 717 م.

كَانَتْ الْفُتُوحات محدودة فِي أيامه، فعلى الجبهة الغربية: فتح مَدِينَة الصّقالبة[4]، وغزا القُسْطَنْطِينِيَّة برًا وبحرًا تَحْتَ قيادة مُسْلِمة بن عبد الملك، ورابط بنفسه هُنَاكَ، وأقسم ألا يعود حَتَّى يفتحها، فتوفي أثناء حصارها عام 99هـ/

1 - تجاوزت مساحتها 4 ملايين كيلو متر مربع تمتد من أواسط بلاد القفقاس إلَى جنوب بحر الخزر، ثُمّ تمتد شمالا لتتعمق فِي آسيا الوسطى، وتصل شرقًا إلَى أواسط تركستان الشّرقية، ثُمّ تتجه غربًا نحو كابل (أفغانستان، سجستان). محمود شاكر: **العهد الأُمَوِيّ**، ص 227.

2 - بلاد السّند هِيَ البلاد المحيطة بنهر السّند "Indus"، الَّذِي كَانَ يسمى مِنْ قَبْل "نهر مهران"، وهو ينبع من عيون فِي أعالي السّند وجبالها من أرض قشمير "كشمير"، ويصب فِي بحر السّند "المحيط الهندي". وتمتد هَذِهِ البلاد غربا من إيران إلَى جبال "الهمالايا" فِي الشّمال الشّرقي، تاركة شبه القارة الهندي فِي جنوبها. وتكون -الآن- جزءا كبيرا من دولة باكستان الحالية. طه عبد المقصود عبد الحميد أَبُو عُبيَّة: **موجز عَنْ الفتوحات الإسلاميّة**،(دار النّشر للجامعات، القاهرة) ص 17.

3 - النّويري: **نهاية الأرب فِي فنون الأدب**21/ 304؛ القلقشندي: **مآثر الإنافة فِي معالم الخِلَافَة** 1/ 135.

4 - خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص 315. الصّقالبة جيل حمر الألوان صهب الشّعور، يتاخمون بلاد الخزر فِي أعالي جبال الرّوم، وقيل: الصّقالبة بلاد بَيْنَ بلغار وقُسْطَنْطِينِيَّة وتنسب إليهم الخرم. ياقوت: **معجم البلدان** 3/ 416.

717م. عَلَى الجبهة الشَّرْقِيَّة: فتح يزيد بن المهلب جُرْجَان[1] وطَبَرِسْتَان[2] عام 98 هـ/716م[3].

كَانَتْ الفترة الأولى من حكمه مملوءة بالانتقام لشخصه. من الَّذِينَ كَانُوا قَدْ وافقوا أخاه الوليد عَلَى عزله وتَوْلِيَةِ العهد لابنه، وَهُمْ: مُحَمَّد بن القاسم الثّقفي، وقتيبةُ بن مُسْلِم. وَكَذَلِكَ آلُ الحَجّاج بنِ يوسفَ، فبَطَشَ بهَؤلَاءِ جميعًا. ونكَّلَ بالقائدِ مُوسَى بنِ نَصِيرٍ. وأخيرًا عَهَدَ مِنْ بَعْدِهِ لِابْنِ عَمِّهِ عُمَر بن عبد العزيز.

- عُمَر بن عبد العزيز بن مروان 99 - 101 هـ/717 - 719 م.

كَانَ عَهْدَ إِصْلَاحٍ، فَقَدْ استرَدَّ الخليفةُ من بنِي أُمَيَّةَ كُلَّ مَا أُعْطُوا مِنْ قَطَائِعَ وهِبَاتٍ، وأعادَهَا إِلَى بَيْتِ المَالِ، وعَزَلَ الوُلاةَ الظّالمين[4]. وعلى جبهات القتال: فَكَّ حصارَ القُسْطَنْطِينِيَّة، وأَمَرَ بعَوْدَةِ الجيُوشِ الإِسْلَاميّة، واستَمَرَّتْ الحَمْلاتُ عَلَى التّرك فِي بلاد الرّوم. غزا الْمُسْلِمون فَرَنْسَا، واخترقُوا جِبَالَ البْرَانِس، ووصلوا إِلَى مقاطَعَتَيّ سبتمانيا[5] وبروفانس (Provence)[6]، وحاصروا طَلُّوزَة

---

1 - أو كركان (بالفارسية: گرگان) - وكانت قديماً تسمّى أستراباذ أو أستراباد - إحدى المدن الشهيرة في إيران. وتقع في شمالي إيران حالياً. موسوعة ويكيبديا (جرجان).

2 - هو إقليم عرفه العرب والفرس باسمه منذ القرون القديمة، وهو يَقع في شمال دولة إيران اليوم ويَمتد في مُعظمه على الساحل الجنوبي لبحر قزوين. موسوعة ويكيبديا (طبرستان).

3 - **فتوح البلدان**، ص 327؛ الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**532/6؛ المقدسي: **البدء والتاريخ** 6/ 42؛؛ القلقشندي: **مآثر الإنافة فِي معالم الخِلَافَة** 1/ 140.

4 - أحمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلاميّ** 2/ 72.

5 - مقاطعة أسسها السّمح بن مالك الخولاني، وتعرف هَذِهِ المقاطعة الآن بساحل الرّيفيرا الموجود فِي فرنسا. راغب السّرجاني: الأندلس من الفتح إِلَى السّقوط (موقع الشّبكة الإسلاميّة http://www.islamweb.net) 3/ 7 .

6 - إقليم "بروفانس" -يقع إِلَى الشّمال الشّرقي من "سبتمانية"- وعاصمته مدينة "أبنيون"، وتقع عَلَى وادي رودنة "نهر الرّون". طه عبد المقصود عبد الحميد أَبُو عُبيَّة: موجز عَنْ الفتوحات الإسلاميّة، ص 104؛ خليل إِبْرَاهِيم السّامرائي، عبد الواحد ذنون طه، ناطق صالح مصلوب: **تاريخ العرب**

(Toulouse)[1]، ولَكِنْ لَمْ يحَقِقْ الْمُسْلِمون نتائجَ مَلْمُوسَةً فِي فَرَنْسَا[2]. يرى "دي لا فيدا De la "Vida[3] أنَّ عمر- على خلاف أسلافه- اعتمد سياسة جديدة، ملاكها إدماج العناصر المختلفة (غير العربية) في الدولة؛ لتجنب نكبة خطيرة يكون فيها القضاء على مستقبل الإسلام وعلى مستقبل البيت الأمويّ.

- فترة تداخل إمارة الأُمَوِيّين مَعَ خِلَافَة عبد الله بن الزبير.

عهد عبد الله بن الزبير (64 - 73 هـ/683 - 692 م)

بَعْدَ مقتل الحسين فِي كربلاء، خلع ابن الزبير يزيد من الخِلَافَة، ودعا لنفسه، فبايعته المدينة ومَكّة، فقاتل يزيد أهل المدينة، واستباح حرمتها، ومات يزيد أثناء حصار مَكّة عام 64هـ/ 683م؛ فاستقرت الأمور لابن الزبير، وبايعته جميع الأَمْصَار، وَلَمْ يبْقَ لِبَنِي أُمَيَّةَ إلّا جُزْءٌ من الشّام فقط. فصار هُوَ الخليفة الشّرعي[4].

- حركة المختار الثّقفي 65- 67هـ/ 684- 686م: كَانَ من أتباع ابن الزبير بمَكّة، ثُمّ تمرد ورحل للكوفة، ودعا بإمامة المهدي من آل البيت، فاستولى عَلَى الكوفة والموصل سنة 66هـ/ 685م، فقاتله عبد الملك فغلبه المختار، وقتل قتلةَ الحسين

وحضارتهم فِي الأندلس (دار الكتّاب الجديد المتحدة، بيروت 2000م)،ص 50؛ عنان: **دولة الإسلام فِي الأندلس** 1/ 112.

1 - يسميها قسم من العرب تولوز، وطولوشة، مدينة طولوز جنوبي فرنسة، أنظر: شكيب أرسلان: **تاريخ غزوات العرب** 13؛ الحميري: **الرّوض المعطار** 123؛ محمود شيت خطاب (ت 1419هـ): **قادة فتح الأندلس** (مؤسسة علوم القرآن - منار للنشر والتوزيع2003م) 8/2.

2 - مُحَمَّد عبد الله عنان: م. س. 1/ 75.

3 - دي لا فيديا، مبحث "أميّة، بنو" *دائرة المعارف الإسلامية*، 1218/4.

4 - بناءً عَلَيْهِ فخلافة معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان (فِي مدته الأولى) خلافتهم باطلة (هؤلاء حكموا فِي الشّام فِي فترة ابن الزبير) وَهَذَا ما ذهب إلَيْهِ أغلب أهل العلم. ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، 4/ 393؛ السّيوطي: **تاريخ الخلفاء**، ص 212 - 215.

ونكّل بِهِمْ إرضاء للشيعة، وقتل عبيد الله بن زياد، ثُمّ قضَى عَلَيْهِ مصعب بن الزبير، والي البصرة قِبَلَ أخِيهِ عبد الله سنة 67هـ/ 686م[1]. ويروي أحد المؤرخين السريان[2] معلومات مفصّلة عن المساعدات التي قدمها النصارى للخلافة الأموية أثناء حربها ضد المختار بن عبيد الثقفي.

تَطَوّر العَلاقَات الإسْلَاميّة الْمَسِيحِيَّة فِي العصر الأُمَوِيّ

بلاد الشّام كَانَتْ منبت الْمَسِيحِيّة، عَلَى أدِيمِها أُودِعَت نواتُها، وترَعْرَعَتْ فِي شُعُوبِها من آرامِيّين و عبرِيّين وعَرَب، وَكَانَتْ القَبَائِل الْعَرَبِيّة تَرْسَخُ فِيهَا الْمَسِيحِيّة، من قضاعة[3]، و بني سُلَيْح[1]، و غَسّان، وتنُوخ، وأزْد السَّرَاة، وَكَذَلِكَ

1 - خليفة بن خياط: **التاريخ**، ص273؛ ابن قتيبة: **المعارف**، ص356؛ الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك** 6/ 6؛ عَلوي بن عبد القادر السّقاف، ومجموعة من الباحثين: **الموسوعة التاريخيّة** (الدرر السّنية،dorar.net) 1/ 267..

2 - هو ابن بنكاية من قدماء مؤرخي السريان. انظر: جاسم صكبان علي: "التاريخ العربي والإسلامي من خلال المصادر السريانية العِراقية"، بحث في *مجلة عالم الفكر*، الكويت 1984 ص68 نقلا عن J.Bar-Penkay,The Chronicle of Bar-Penkay ed.

3 - اليعقوبي: **تاريخ** 421/1؛ المسعودي: **مروج الذهب** 1/ 421.

كَلْب[2]، وطَيْء، وعامِلَة، ولَخْم، وجُذَام، وبَهْرَاء، وبَلِي، وإياد؛ فِي من نزح إلَى الشّام وتنَصَّر فِيهَا[3].

لَمَّا دخل الْمُسْلِمون بلاد الشّام معقل الْمَسِيحِيّة، ألقوا عصاهم فِيهَا واستقروا بِهَا، وتمازجوا فِي مَعِيَّتِهَا بحُكْمِ التّقارب اللُغَوِيَّ، والتّعصب القبلِيّ للعروبة، والتّآلف الدّينِيّ، وجاء اتخاذ الشّام عاصمة للدولة الأُمَوِيّة، فِي ظل اسناد القَبَائِل لهذا الوجود الجديد، مؤكدا عَلَى عَمْقِ التّواصُل مَعَ الجُذُور، وحَجْم التّفاهم لبناء أُسُسِ الدّولةِ فِي ضوء المصالح المُشْتَرَكة[4].

ثَمَّةَ عَلَاقَةٌ نَسَبِيَّة بَيْنَ الأُسْرَةِ الأُمَوِيّة فِي الإِسْلَام مَعَ بَنِي كَلْب، وَبِخَاصَّة من ظلَّ عَلَى نَصْرَانِيَّته، فَقَدْ تزوج عُثْمَان بْن عَفَّان نائلَةَ بِنْتِ الفَرَافْصَة الْكَلْبِيَّة سنة 28هـ/ 649م[5]، وَكَانَ سعيد بن العاص تَزَوَّجَ أُخْتَ نائلَةَ، وَهُوَ أميرٌ عَلَى الكوفة[6]، وتَزَوَّجَ مُعَاوِيَةُ مَيْسَونَ الْكَلْبِيَّة[7]، فولدت يزيد[8]، وَكَذَلِكَ أخوال خَالِد بن يزيد مسيحيّون من كَلْب[9].

---

1 - ابن الكلبي: **نسب معد واليمن الكبير**2/ 449؛ ابن الأثير: **الكامل** 2/ 303.

2 - يوليوس، فلهاوزن: **تاريخ الدولة العَرَبِيّة من ظهور الإسلام الى نهاية الدولة الأُمَوِيّة**، ص126 .

3 - الأرشمندريت اغناطيوس ديك: "القبائل العَرَبِيّة المسيحيّة فِي بلاد الشّام فِي عهد صدر الإسلام"، بحث فِي النّدوة الدّوْلِيّة "بلاد الشّام فِي عصر الرّسول والخلفاء الرّاشدين" .

4 - إِبْرَاهِيم احمد العدوي: **الأُمَوِيّون والبيزنطيون**،(ط2، الدار القومية للطباعة والنّشر، القاهرة، 1963 م) ص74.

5 - خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص160.

6 - ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 70/ 137.

7 - ميسون بنت بحدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدي بن زهير بن حارثة الكلبي. الطبري: **تاريخ** 362/3؛ ابن الاثير: **اللباب فِي تهذيب الأنساب** 162/2.

8 - ابن عساكر: م. س. 65/ 399؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام** 5/ 271.

9 - الأرشمندريت اغناطيوس ديك:" القبائل العَرَبِيّة المسيحيّة فِي بلاد الشّام فِي عهد صدر الإسلام".

فِي خِلَافَة معاوية تَمَتّع رعايا الدّولة من غير الْمُسْلِمِينَ، ولاسيّمَا الْمَسِيحِيّينَ، بمساحة من التَّسَامُح والرّفق، وحصلوا عَلَى جُملة من امتيازاتهم. فَقَدْ كَانُوا يعملون فِي مُخْتَلف الوظائف الحكوميَّة، ذَلِكَ أنَّ معاوية أبقى عَلَى النّظم البِيزَنْطيَّة والقبطِيَّة الَّتِي كَانَ معمولاً بِهَا فِي الشّام ومَصْر والمغرب. كَمَا أبقى عَلَى النُّظُم الفارسيَّة فِي العِرَاق وخراسان[1]. لأَنَّهُ كَانَ مبهورا بخيطها، لَعَلَّه ترك هَذِه النّظُم عَلَى مسراها بسبب نقصِ مَن كَانُوا يعرفون لغاتِ ونظمَ إِدَارَة البلاد من الْمُسْلِمِينَ مِنْذُ الْفُتُوح فِي الشّام والعِرَاق حَتَّى أوائلِ العهد الأُمَوِيّ، زد عَلَى ذَلِكَ أَنَّها كَانَتْ عَلَى مقربة مِنْهُ وَفِي حياضه.

كَانَ طبيبُ معاوية الخاص "ابن أُثال"[2] النَصْرَانِيّ، اصطفاه لنفسه وأحسن إِلَيْه، وَكَانَ كثيرَ الإفتقاد لَهُ والإعتقاد فِيه[3]، واستعمله عَلَى خراج حِمْص، وَلَمْ يستعملْ النَّصَارَى أحدٌ مِن الخُلَفَاءِ قَبْلَهُ[4]. وَكَانَ كَاتبُ الرّسائلِ عبيدَ بْن أَوْس الغَسّاني، وعَلَى الدّيوَان وَأمره كُله "سرجون بن مَنْصُور"[5]، وَكَانَ يكتب لَهُ عَلَى الخراج[6]، أيْ هُوَ من أكبر مستشاريه نفوذا، وَقَدْ أورثه ابنَه يزيد، وكتب -أَيْضًا لمروان بن الحكم، ولعبد الملك بن مروان كَانَ كاتبه عَلَى الخراج والجند[7].

---

1 - العقيلي، عمر سليمان: **خلافة معاوية**، (طبعة الرّياض، 1404هـ). ص74.

2 - اليعقوبي: **تاريخ** 2/ 223.

3 - ابن اصيبعة: **عيون الأنباء فِي طبقات الأطباء** 171/1.

4 - اليعقوبي: **تاريخ** 223/2.

5 - خليفه بن خياط: م. س.، ص228؛ الطبري: م. س. 6/ 180.

6 - الطبري: م. س. 264/3، 534؛ قال: خليفة بن خياط: وعلى الديوان وأمره كله سرجون بن منصور الرّومي. **تاريخ** 228.

7 - ابن عبد ربه: **العقد الفريد** 4/ 156؛ الجهشياري: مُحَمَّد بن عبدوس الكوفي: **الوزراء والكتّاب**، (دار الكتّاب، القاهرة، ١٩٣٨م)، ص45؛ قَالَ ابن عساكر: ذكره أَبُو الحسين الرّازي فِي تسمية كتّاب أمراء دمشق. **تاريخ دمشق** 161/20؛ عبد الجبار محسن عباس السّامرائي: **الإصلاحات المالية والتنظيمات الإدارية فِي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان:** 65 - 86 هـ / 648 - 705

واستعمل معاوية "ابْنَ مِينَا" عَلَى صَوَافِي الْمَدِينَةِ[1]، وابن النّضير[2] مولاه من عماله عَلَى الصّوافي[3]. غير أنَّ هَذَا التّوفيق والجاه لَمْ ينلْ الا بعض الْمَسِيحِيّينَ، الَّذِينَ كَانُوا عَلَى سُدَّةِ الوظائف السُّلْطَانِيَّة من قبلُ.

يوجز تاريخ العلاقة بَيْنَ الأُمَوِيّين والْمَسِيحِيّينَ "دلا فيدا Della Vida"[4]، بقوله:" انتفع معاوية فِي إِدَارَة البلاد الدّاخلية بخبرة الْمَسِيحِيّينَ أكثر مِمَّا انتفع أسلافه، وَكَانَ قَدْ اتصل بالْمَسِيحِيّينَ اتصالا وثيقا، إبَّانِ ولايته عَلَى الشّام فِي عهد عمر وعثمان، وعرفَ مَبْلَغَ علْمِهم ومقدرتِهم المَعْرِفِيَّة"[5].

ثَمَّةَ رأيٌ آخرُ لـ"ماكس فانتاجو Vintajoux Max" أنّ معاوية وخلفاءَه من بَعْدِه فِي دِمَشْقَ أخذوا بالعادات اليُونانيّة، فحوَّل الخلفاءُ الأُمَوِيّون جمهوريةَ المدينةِ الدّينيَّة الْعَرَبيّة إلَى إمْبِرَاطُورِيَّة حَقِيقَيَّة سُورِيَّة، فضرَبُوا الدّنانيرَ الذّهبيَّةَ عَلَى نَسَقِ الدّراهمِ البِيْزَنْطِيَّة، وجعلُوا الخِلَافَةَ وراثيَّةً بَعْدَ أَنْ كَانَتْ انتخَابِيَّة، واستعملُوا عُمّالاً كثيرين من اليونانِ والسّريانِ[6]. لأنَّ الْعَرَبَ وجدوا أنفسَهم حكامًا لمنطقة

م، جامعة بغداد ، 1988، رسالة ماجستير، ص134.

1 - أَبُو العرب، مُحَمَّد بن أحمد المغربي، (ت 333هـ): **المحن**، (دار العلوم، الرّياض،1984م) ص 171.

2 - البلاذري: **أنساب الأشراف** 4/ 123؛ الصّلابي: **معاوية بن أبي سفيان-شخصيته وعصره**، (دار الأندلس، مصر 2008) ص 342.

3 - الصّلاَّبي: **الدولة الأُمَوِيّة عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، (دار المعرفة، بيروت، 2008) 1/ 302.

4 - دلافيلا، ليفي (1889-1967م). ترجمته: العقيقي: **المستشرقون** 440/1.

5 - *دائرة المعارف الإسلاميّة*، "الأُمَوِيّون"، (طهران)671/2؛ الشّحات: **السّريان والحضارة الإسلاميّة** 124.

6 - ماكس فانتاجو (Max) Vintajoux: **المعجزة العَرَبِيّة**، دار الكشاف، بيروت 1954م)، ص 121؛ الجمل، أحمد مُحَمَّد عَلَى: **أثر جهود السّريان عَلَى الحضارة العَرَبِيّة الإسلاميّة** ص14.

كَانَتْ ولاية رّومَانيّة، خاضعةً لقانونٍ رومَانِيٍّ كاملِ التّطَوّرِ، وإِدَارَةٍ مُنَظّمَةٍ جدًّا، وَقَدْ أَبْقَوْا كُلّ هَذَا كَمَا كَانَ[1].

ثَمّةَ حَقِيْقَةٌ لا مَنَاصَ من الوقوفِ عَلَيْهَا، هِيَ إنَّ الإِسْلَام التّاريخيّ لَيْسَ هُوَ نَفْسُهُ الإِسْلَام النّبَوِيّ أَوْ القرآنِيَّ، فالإِسْلَام التّاريخِيّ أَخَذَ نَمَطِيَّةَ الرّسَالَةِ المُنْغَلِقَةِ عَلَى مصالحِ الذّاتِ، بَلْ – أحيانًا- أخذ دَوْرًا مُغَايِرًا للإِسْلَام النّبَوِيّ[2]، وَهَذَا شأنُ كثيرٍ مِمّا دُرِجَ فِي الإِسْلَام التّاريخيّ من معالجاتٍ وحوادثَ أخذتْ مَنْحًى مِن القَبُولِ لَدُنِ الإِخْبَارِيّين؛ لاستنادها إلَى حجية الصّحابي أَوْ إلَى أولي الأمرِ السِيَاسِيّ، وإن اختلفت عَنْ مصداقيَّة الشّريعة فِي القُرآن والسّنَّة النّبَوِيّة. ولعلَّ المتغيرات التاريخية سمحت للدولة العربيَّة الإسلاميَّة، بعد أن انقضت المرحلة النبوية القصيرة، أنْ تتغلغل الأمثلة الإمبراطورية البيزنطية والفارسية في حنايا النظم الإسلامية، فأضحت دولةً يميل فيها الولاء الديني الى الإنصهار مع الإنتماء السياسي، واتضحت هذه الصورة مع الدولة الأموية.

فالْحُرّيّات الدّينِيَّة الَّتِي وجدتها الدّولة الأُمَوِيّة فِي بواكيرها راسخة فِي مجتمعات البُلْدَانِ المفتوحة، باتت خاضعة لرغبات السّلطان ومعياريته، فِي أَنْ يتركَ الحبلَ عَلَى الغارب، أَوْ يمنعها، ويحاسب عَلَيْهَا، فَهُوَ تَارَةً معطاءٌ وهابٌ، وَأُخْرَى مناعٌ نهابٌ، وَهَذِهِ هِيَ ازدواجيةُ لعبةِ السّياسةِ، بِمَا يَسْتَصْحِبُ مزاج الخليفة أَوْ الوالِي. وَلَيْتَهَا أفادَتْ الرّعَايا أصحابَ البُلْدَانِ المفتوحَةِ الأصليّينَ، بِقَدَرِ مَا أضرَّتْ بِهِمْ فِي مستقبلِهم الدّينِيّ والاِجْتِمَاعِيّ والاقتصادِيّ.

لَوْ أعدْنا النّظرَ فِي الكَنِيسَة الَّتِي صارَ نصفُها مسجدًا، لاعتبارِ فتحِ دِمَشْقَ نصفِها عَنْوَةً عَلَى يد خَالِد، والنّصف الآخر صُلْحًا عَلَى يد أبي عُبَيْدَة، ثُمّ حاول

1 - أوليري: **مسالك الثّقافة الإغريقية إلَى العرب**، ص 206.

2 - جرادي، شفيق: "الحوار الإسلاميّ المسيحيّ: التحديات والفرص"، *موقع ابونا*، يصدر عَنْ المركز الكاثوليكي للدراسات والاعلام. 2012/06/12

معاوية داهِيَةُ السّياسة الأُمَوِيّة -بحَسَبِ النّصوص التّاريخيّة- أن يُوَظّفَ إرادته في "أن يزيدَ كَنِيسَة يوحنّا في المسجد الجامع بدمشق، فأبَى النَّصَارَى ذَلِكَ فأمْسَكَ، ثُمّ طلبها عبد الملك بن مروان في أيامه لمثل مَا كَانَ طلبها معاوية، وبذل لَهُمْ مالا، فأبوا أن يسلموها إلَيْه، ويرى فلهوزن[1]: إنّ عبد الملك عَدل عَنْ ضَمّ كَنِيسَةِ القديس يوحنا احتراما للنَصَارَى. وَهَذَا لا يكشف عَنْ مدى علاقة عبد الملك برعاياه النَّصَارَى.

ثُمّ أنَّ الوليد بن عبد الملك جمعهم في أيّامه، وبذلَ لَهُمْ مالًا عظيمًا، عَلَى أنْ يُعطُوه إيّاها فأبَوْا، فقال: لئِنْ لَمْ تفعلوا لأهْدِمَنَّها، فقال بعضُهم: يا أميرَ المؤمنين، إنّ مَنْ هدَمَ كَنِيسَةً جُنَّ، فأحْفَظَهُ ذَلِكَ، حَتَّى دعا بمُعْوَل، فجعل يهدم بعضَ حيطانها بيده، وَكَانَ عَلَيْهِ قباءُ خَزٍّ أصفرُ، ثُمّ جمع الفَعَلَةَ والنّقّاضِين، فهدمَها، وأدْخَلَها في المسجد[2].

قَالَ مُحَمَّد بن حبيب: صعد الوليد المنبرَ، فسمع صوتَ ناقوس، فقال: مَا هَذَا؟ قِيل: البَيْعَةُ، فأمر بهدمِها، وتَوَلَّى بعضَ ذَلِكَ بيده، فتَتَابَعَ النّاسُ يهدِمُون، فكتب إلَيْهِ الأخرمُ ملكُ الرّوم: إنّ هَذِهِ البيعةَ قَدْ أقرّها من كَانَ قبلَك، فإنْ يكونوا أصابوا فَقَدْ أخطَأْتَ، وإنْ تكُنْ أَصَبْتَ فَقَدْ أخْطَأُوا[3].

فَلَمَّا اُسْتُخْلِفَ عُمَر بن عبد العزيز شَكَى إلَيْهِ النَّصَارَى مَا فَعَلَهُ الوليد، فكتب إلَى عامله، يأمرُهُ بِرَدّ مَا زِيدَ في المسجد مِنْهَا عَلَيْهِمْ، فكتب إلَيْهِ، إنَّ أهل دِمَشْقَ قَدْ كَرِهُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: يُهْدَم مسجدُنا بَعْدَ أَنْ أَذّنَّا فِيهِ وصَلّينَا، ويُرَدُّ بَيْعَةً، وفيهم يومئذ سليمان بن حبيب المحاربي وغيرُه من الفقهاء، وأقبلوا عَلَى النَّصَارَى، فسألوهم أنْ يعوضوا مِنْهَا رَدَّ جميع كَنَائِسهم بالغوطَةِ الَّتِي أُخِذَتْ مِنْهُمْ عَنْوَةً،

1 - **تاريخ الدولة العَرَبِيّة** 209.

2 - **فتوح البلدان**، ص 128.

3 - المسعودي: **مروج الذهب** 275/3.

وصارت فِي أيدي الْمُسْلِمِينَ، عَلَى أنْ يُصْفِحُوا عَنْ كَنِيسَة يوحنّا، ويُمْسِكُوا عَنْ المطالبةِ بِهَا؛ فرَضَوا بِذَلِكَ وأعجبهم، فكُتِبَ بِهِ إلَى عُمَر فسَرَّه، وأمْضَى الأمْرَ فِيهِ"[1].

وَفِي إعادة قراءة النّص من الدّاخل، تجِد أنَّ المحاولاتِ الَّتِي استخدمها الخلفاء لإقناع الْمَسِيحِيِّينَ قَدْ باءَتْ بالفشل، أمامَ تَشَبُّثِ النّاسِ برموزِهم الدّينِيَّة، عَلَى الرّغْمِ مِنْ سَطْوَتِهِم السُّلْطَانِيَّة الَّتِي وظفوهافي تحقيق ارادتهم، إلَى ان جاء الوليد واستتبت لَهُ الدّولة، مشرقُها ومغربُها، فرغبهم يُسْرًا، وزاد لَهُمْ سِعْرًا، لَكِنّهُ واجه جدار صمودهم إذْ "قالوا: لا نبيع، ولا نأذن فِي هدمها، ولنا ذمة وعهد الله"[2]، ثُمّ أمر عُسْرَا بهدمها وضمّها إلَى المسجد. وَهُنَا أرادَ الوليدُ إيقاظَ الضَّغينَةِ الطّائفيَّةِ بين المَسِيحِيِّينَ واليهود، فدَعَا اليهودَ أنْ يأتُوا عَلَى هَدْمِها، فجاءُوا، فهَدَمُوهَا[3].

عندما تولَّى الخلافة عمر أحرج فِي عدالتّه، إذْ جاءه الْمَسِيحِيّون بظُلامتهم، وفْقَ الضَّوابط المكتوبة فِي معاهدات الذِّمَّة، "لَا تهدم بيعَة يَهُودِيّ وَلَا كَنِيسَة نَصْرَانِيّ"[4]، حتى لانَ لهم أو كاد. هُنَا جاء دور الفقهاء فِي المساومة، واستكمال حَلَقَات الضَّغط النّفسي، فِي استبدال بيع احتلها الْمُسْلِمون مِنْذُ نيف وسبعينَ سنةً بكَنِيسَة يوحنا، المركزِ الرّئيسِ للعبادةِ، ومَحَجّتِهِمْ فِي الأعيادِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي دِمَشْقَ.

وَالتّقَتْ حَلْقَتَا الْبِطَانِ بالفقهاء بأنَّ جعلت سنّة، مَا ذكره الرّازي عَنْ الفقيه مُحَمَّد بن عيسى أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا افتتح الْمُسْلِمون الأندلس، استدلوا بِمَا فعل أَبُو عُبَيْدَة وخالدّ، عَنْ رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب، من مشاطرة الرّوم فِي كَنَائِسهم مثل كَنِيسَة دِمَشْقَ وغيرها مِمَّا أخذوه صُلْحًا. فشاطر الْمُسْلِمون أعاجم

1 - قدامة بن جعفر: **الخراج وصناعة الكتابة**، ص294؛ البلاذري: **فتوح البلدان**، ص 127.

2 - ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 2/ 254.

3 - ابن عساكر: م. ن. 2/ 255.

4 - أَبُو يوسف: **الخراج**، ص 152.

قرطبة فِي كَنِيسَتهم العظمى الَّتِي كَانَتْ بداخلها، وابتنى الْمُسْلِمون فِي ذَلِكَ الشّطر مسجدا جامعا. وبقى الشّطر الثّاني بأيدي الرّوم، وهدمت عَلَيْهِمْ سائر الكَنَائِس[1].

مَعَ هَذَا كلّه يتبجّح بعضُ الباحثين[2]، فيَقُولُ:" كَانَ لرعايا الدّولة من غير الْمُسْلِمِينَ -أَيْضًا- حُرِّيَّةٌ تامَّة، هِيَ مُمَارَسَة طقوسهم الدّينِيَّة؛ فاستجاب معاوية لطلب نَصَارَى دِمَشْقَ بعدم زيادة كَنِيسَة يوحنا فِي مسجد دِمَشْقَ". وكذا قولهم:" فَلَمْ يحاول الخليفة عبد الملك الاستيلاء عَلَى كَنِيسَة يوحنا، عندما رفض أهل الذِّمَّة تسليمها إِلَيْهِ، كَمَا أَنَّهُ سمح لَهُمْ بِمُمَارَسَة طقوسهم الدّينِيَّة بحرِّية"[3]. لَكِنْ لَمْ ينبِسُوا بِشَفَةٍ عَنْ مَا اجْتَرَحَهُ الوليدُ فِي هَدْمِ الكَنِيسَة.

وللوليد مآثر مَعَ الكَنِيسَة، ففي أَنْطَاكِيَةَ -أَيْضًا- كَنِيسَة بولس، وتعرف بـ "دير البراغيث"، وَهِيَ مِمَّا يلي باب فَارِس، وبها -أَيْضًا- كَنِيسَة أُخْرَى تدعى أشمونيت، وبها يقام عيد عظيم للنَصْرَانِيّة، وَكَذَلِكَ بِهَا كَنِيسَة بربارا، وكَنِيسَة مَرْيَم وَهِيَ كَنِيسَة مدورة، وبنيانها من إحدى عجائب العالم فِي التّشييد والرّفعة، وَكَانَ الوليد اقتلع من هَذِهِ الكَنِيسَة عُمُدا عجيبة من المرمر والرّخام لمسجد دِمَشْقَ، حُمِلَتْ فِي البحر إِلَى ساحل دِمَشْقَ[4].

وفقًا لكثرة التجاوزات على حقوق الأقليات، أو أتباع الديانات الأخرى، فقد كثرت الشكوى لدُنِ الكتّابِ المَسيحِيّينَ على طوائفهم، ولاسيَّما المعاصرين منهم للفتوح، أمثال "سبيوس الأرمني" و "يوحنا النيقوسي"، من فدح

1- ابن عذاري المراكشي، (ت 695هـ): **البيان المغرب فِي أخبار الأندلس والمغرب**، (ط3، دار الثّقافة، بيروت1983) 2/ 229؛ الذهبي: **سير أعلام النّبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط، (ط3، مؤسسة الرّسالة، 1985م) 248/8.

2 - العقيلي: **خلافة معاوية**، ص80؛ الصّلاّبي: **الدولة الأُمَوِيّة عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار** 1/ 303

3 - الصّلاّبي: م. ن. 1/ 661.

4 - المسعودي: **مروج الذهب**، 339/2.

ما ارتكبه العربُ الفاتحون من المجازر، على نحو يُذهل الذهن، ومن قسوة في إدارة الحكم، فقد عَدُّوهم كسلفِهم الفرس من الغزاة الذين استباحوا البلادَ والعبادَ، ولم يرعووا في اللجوء الى أعمال العنف والقهر والإزدراء للرعايا من غير المسلمين. فيصف سبويوس[1] "هَوْلَ غزو الإسماعيلِيّين، الذين أشعلوا البحر والبر...: ما دهى زماننا من المصائب والويلات برياح سموم مُدَمِّرَةٍ، عصفتْ بِنَا، وأحرقتْ الأشجار الجميلة، والحدائق المُورقة". ويحجِمُ "يوحنا النيقوسي" عن سَرْدِ هولِ ما ارتكبه الفاتحون: "فلنصمت الآن، إذْ يشقُّ علينا أنْ نَرْوِي جميعَ ما اقترفتهُ أيدي المسلمينَ من فظائعَ عندَ احتلالِهم جزيرةَ نيقوس"[2]. ولذا نجده يحمل على المسلمين، بقوله[3]:" وكأنَّهم (المسلمين) وضعوا على المصريين نيْرًا يحملونه، أثقل من النِيْرِ الذي فرضه فرعون على إسرائيل، والذي عاقبه الله بعقاب عادل... فليوقعْ الله هذا العقاب على الإسماعيليّين... فإنَّه بسبب خطايانا، سمح الله أنْ يعاملونا هكذا، ولكنه -بطول أناته- سينظر إلينا ربُنا ومُخَلِّصُنا يسوع المسيح".

ونتيجة لتلك الممارسات المُجْحِفة بحق غير المسلمين، تولَّدَت استجابات حقد وكراهيَّة، وردود فعل اضطلعتْ بها مقالات بعض رجال الكنيسة و أقلام الكتّاب المَسِيحِيّينَ، توجهت الى صاحب الشريعة بالإساءة. فهذا يوحنّا الجاثليق (279هـ/ 892م) يقول عن النبي:" إنَّه قد سقط في هاوية الهلاك الأبديّ، عندما لم يُرِحْ سيفه المتعطش للدم، سيف الذي طالما رواه بدم أعدائه الأمراء، الذين قتلهم أو أسرهم في الحروب، التي شنَّها على المؤمنين"[4].

1 - **تاريخ هرقل**، ص104، 129

2 - **تاريخ مصر**، ص448- 449؛ وانظر: ألان دوسلييه: **مسيحيو الشرق والإسلام**، ص50 وبعدها

3 - **تاريخ العالم القديم ودخول العرب مصر**، ص227.

4 - ألان دوسلييه: م. س، ص86، نقلا عن: يوحنا الجاثليق Jean Ie Katholicos، ص70.

من الأحداث المثيرة لمشاعر الآخر الديني، والتي عبر خلالها المؤرخ "غيفونت" بأن المسلمين أتباع الشيطان، ما نقله:" في السنة السادسة عشرة من حكم عبد الملك، وسوس له الشيطان فأمر جيشه باجتياح أرمينيا ثانية، وكلَّفَ بذلك محمَّد [بن مروان] السَّفاح الممسوس، الذي أقْسَمَ أمامَ مولاه، بأنْ لا يُعيدَ سيفَه الى غمْدِه قبلَ أنْ يصلَ الى قلبِ البلاد[1]". ومن هذا القبيل، أنْ يشُنَّ يزيد بن عبد الملك عام (104هـ/ 723م) حملة لتحطيم الأيقونات، و تهشيم الصلبان، وكلِّ ما يخُصُ الحياة المسيحيَّة، حتَّى الخنازيرُ أهلكها، مما دعا المؤرخ "غيفونت" الى وَسْمِ هذا السلوك بالجموح الشيطاني[2].

وفيما يأتي، نعرض من النّصوص التّاريخيّة أمثلةً، تكشف عَنْ أحوال الْمَسِيحِيّينَ وعلاقتهم الهشة مَعَ السّلطة:

فِي عهد الوليد بن عبد الملك، الَّذِي يصفه المسعودي[3] بِأَنَّهُ متسلّطٌ، عنيفٌ، وظالم، وأظهر مزيداً من الحماس الدّينيّ. وَقَدْ ورد لَدَى مِيخَائِيل السّرْيانيّ[4]:" منع الوليد كتابة الحسابات باليُونانيّة، وَكَانَ الوليدُ يبغضُ الْمَسِيحِيّينَ، فهدَمَ الكَنَائِسَ، وأوّلُ كَنِيسَةٍ هدمَها كَنِيسَةُ دِمَشْقَ الكُبْرَى، وشيّدَ جامعاً عَلَى أنقاضِها، وَهَكَذَا فعلَ فِي أماكنَ عديدة. أصدرَ الوليدُ، أميرُ الْمُسْلِمِينَ، قراراً بقتلِ أسرَى الْمَسِيحِيّينَ، فقُتِلُوا داخلَ الكَنَائِسِ فِي جميع مُدنِ سُورِيَةَ".

لما وجد معاوية أنّ أغلبيَّة السكان في الشام من المَسِيحِيّينَ، وأكبر الظنِّ أنَّهم قد يعطون ولاءهم للروم، كان عليه أنْ يطعِّم البلاد بالجاليات الأخرى، ليقلِّص الوجود المسيحيّ، ويحقق التوازن الديموغرافي. فضلا عن القبائل العربية

1 - ألان دوسلييه: م. ن، ص87.

2 - ألان دوسلييه: م. ن، ص88- 89.

3 - **مروج الذهب** 5/ 361.

4 - **تاريخ مِيخَائِيل** 2/374- 375.

التي نزلت إبان الفتوح وبعدها، من يمن وسليح وزَبِيد وهمْدان ويحصُب، فإنَّه نقل قوما من الفرس الى سواحل الأردن وصور وصيدا سنة 42هـ/662م، ونقل من أساورة البصرة والكوفة الى أنطاكية، ونقل قوما من زُط[1] البصرة والسَّبَابِجة[2] الى سواحلها سنة 49هـ/669م[3]. وبحسب اليعقوبي[4]: شملت ناقلة الفرس كورة عرفة وطرابلس وبيروت وجبيل وبعلبك، حتى صار أهل هذه الكور كلها من الفرس. واصل حملة التغيير الديموغرافي عبد الملك بن مروان، فأقطع فُرَس بعلبك الخمس من مدينة طرابلس، فسكنوها وغيرها من مدن الساحل. وتابعها الوليد بْن عَبْد الملك، إذ نقل إِلَى أنطاكية قوما منَ زط السند ممن حمله مُحَمَّد بن الْقَاسِم إِلَى الحَجّاج، فبعث بهم الحَجّاج إِلَى الشام، حتى أضحتْ بانطاكية محلة تعرف بالزط[5].

شملت سياسة التفريق والإجلاء، التي اتُبِعت في الشام، الجَراجمة، بعدئذ كانوا يقطنون الجُرجومة على جبل اللكام، إبان الفتوح بدروا بطلب الأمان والصلح، فصالحوا حبيب بْن مسلمة الفهري عَلَى أن يكونوا أعوانا للمسلمين، وعيونا ومسالح في جبل اللكام، وأن لا يؤخذوا بالجزية وأن ينفلوا أسلاب من يقتلون من عدو المسلمين، إذا حضروا معهم حربا في مغازيهم[6]. وعلى مقالة

---

1 - الزُّطُّ، بالضَّمِّ: جِيلٌ من النَّاسِ، الجِيلُ، لَيْسَ بعَرَبِيٍّ مَحْضٍ؛ قيل: هم جِنْسٌ من السُّودانِ طِوالٌ، أو أَنَّهُم: جِيلٌ من الهِنْدَ. الزبيدي: **تاج العروس** 322/19.

2 - السَّبَابِجة: قومٌ من السِّند يُستأْجَرُون ليُقاتِلوا، فيكونون كالمُبَذْرِقة، ... وكَانُوا بِالْبَصْرَةِ جَلاوِزَةً وحُرّاسَ السِّجْنِ، والهاءُ للعُجْمة والنَّسَبِ. ابن منظور: **لسان العرب** 294/2؛ الزبيدي: **م.ن** 6/ 27.

3 - البلاذري: **فتوح البلدان**، ص 120، 163.

4 - **البلدان**، ص 165.

5 - البلاذري: م. س، ص 163.

6 - البلاذري: م. ن، ص 159.

البلاذري[1]: كان الجراجمة يستقيمون للولاة مرَّةً، ويعرجون أخرى، فيكاتبون الروم، ويُمالِئونهم، ولاسيما أيام ابْن الزبير، وكان عبد الملك قد شدَّ عليهم فتفرقوا في قرى حمص ودمشق وأنطاكية، ثم أناخ مسلمة بْن عَبْد الملك عليهم وأمرهم أن ينزلوا بحيث أحبوا منَ الشام، ونزل بطريق الجرجومة في جماعة معه أنطاكية، ثم هرب الى بلاد الروم.

كَانَ شَمْعَلَةُ بن عامر بن عمرو بن بكر، أخو بني فائد، نَصْرَانِيًّا، رئيس بني تَغْلِب، وَكَانَ ظريفا، فدخل عَلَى بعض خلفاء بني أميَّة، فقال: أسلم يا شمعلة، قَالَ: لا - والله- لا أسلِمُ كارها أَبَدًا، ولا أسلِمُ إِلَّا طائعًا إِذَا شئت، فغضبَ الخليفةُ، فأمر بِهِ، فقُطِعَتْ بِضْعَةٌ من فخذه، وشويت بالنّار وأُطْعِمَ إياها. فقال أعشى بني تَغْلِب فِي ذَلِكَ: [الطّويل]

أمِنْ خُذَّةٍ بالفَخْذ منك تباشرتْ عُدَاكَ فلا عـارٌ عليك ولا وزْرُ

وإنّ أميرَ المؤمنين وجَرْحَه لَكَالدّهْرِ لا عارٌ بِمَا فعل الدّهرُ[2]

ومن أكثر الممارسات الخاطئة شيوعًا كانت تتمُّ في جباية الضرائب، ولاسيما الخراج والجزية، إنَّها تستشري في التعسُّف منذ بداية جَرْدِ المكلَّفين بالختم على رقابهم، حتى تبرأ ذمَّتهم ضريبيا، فإنَّ الخليفة عُمَرُ شرعَ في هذا المنهج، إذْ أنَّه كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ أَنْ يَخْتِمُوا رِقَابَ أَهْلِ الذِّمَّةِ[3]. إنهم يدفعون الضريبة سواء في الحياة أو الموت، وفي اليسر أو العسر، وقد استنكر عُمَر بن عبد العزيز هذا الواقع

1 - م. ن، ص 161 وبعدها.

2 - **الأغاني** 11/ 284؛ قارن: المبرد: **الكامل**، 3/ 117؛ الزمخشري، جار الله (ت 538ه) **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، 5ج (ـمؤسسة الأعلمي، بيروت، 1412هـ)؛ شيخو: **شعراء النّصرانية** 119/8.

3 - أبو يوسف **الخراج**، ص 141؛ أبو عبيد: **الأموال** 66/1.

المهين والمؤلم، بكتابه إِلَى عُرْوَة بن مُحَمَّد: "أما بعد فَإِنَّك كتبت إِلَيّ تذكر أَنَّك قدمت الْيمن فَوجدت على أَهلهَا ضريبة من الْخراج مَضْرُوبَة ثابته فِي أَعْنَاقهم كالجزية يؤدونها على كل حَال إِن أخصبوا أَو أجدبوا أَو حيوا أَو مَاتُوا، فسبحان الله رب الْعَالمين، ثمَّ سُبْحَانَ الله رب الْعَالمين، ثمَّ سُبْحَانَ الله رب الْعَالمين"[1]. وتتضارب الروايات[2] في من سنَّ جزية الأموات يدفعها الأحياء، لأنَّهم بمنزلة العبيد، هل سنَّها عمر بن الخطَّاب ورفضها عُمَر بن عبد العزيز[3]، أو أنَّ من سنَّها هو عمر بن عبد العزيز نفسه. وأما إذا تعذَّرَ دفع الجزية على المكلفين، فإنَّهم يعرض عليهم بيع أعزّ ما لديهم، ولو كانوا أبناءهم، لاستحصال الجزية، فقد صَالَحَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَهْلَ أَنْطَابُلُسَ، وَهِيَ مِنْ بِلَادِ بَرْقَةَ بَيْنَ إِفْرِيقِيَّةَ وَمِصْرَ عَلَى الْجِزْيَةِ، عَلَى أَنْ يَبِيعُوا مِنْ أَبْنَائِهِمْ مَا أَحَبُّوا فِي جِزْيَتِهِمْ"[4].

وقد أفرط بنو أميَّة في إثقال كاهل الذميِّين بدفع الضرائب، باستثناء عمر بن عبد العزيز الذي أسقط الجزية عن كل مسلم من الذميِّين[5]. وأكَّد هذه الممارسة أَبُو عُبَيْد[6]: أَفَلَا تَرَى أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ قَدْ تَتَابَعَتْ عَنْ أَئِمَّةِ الْهُدَى بِإِسْقَاطِ الْجِزْيَةِ عَمَّنْ أَسْلَمَ، وَلَمْ يَنْظُرُوا: فِي أَوَّلِ السَّنَةِ كَانَ ذَلِكَ وَلَا فِي آخِرِهَا، فَهُوَ عِنْدَنَا عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ أَهْدَرَ مَا كَانَ قَبْلَهُ مِنْهَا، وَإِنَّمَا احْتَاجَ النَّاسُ إِلَى هَذِهِ الْآثَارِ فِي زَمَانِ بَنِي أُمَيَّةَ، لِأَنَّهُ يُرْوَى عَنْهُمْ، أَوْ عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْخُذُونَهَا

---

1 - ابن عبد الحكم، (ت 214هـ): **سيرة عمر بن عبد العزيز**، (عالم الكتب، بيروت، 1984) ص 108.

2 -ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، 9/37، أبو عبيد: م. س. 61/1.

3 - شافية حداد السلامي: **نظرة العرب الى الشعوب المغلوبة من الفتح الى القرن الث**الث (دار الانتشار العربي، بيروت، 2009) ص295.

4 - ابو عبيد: م. س. ص 193.

5 - السلامي: **نظرة العرب الى الشعوب المغلوبة**، ص293.

6 - م. س. ص 60.

مِنْهُمْ وَقَدْ أَسْلَمُوا، يَذْهَبُونَ إِلَى أَنَّ الْجِزْيَةَ بِمَنْزِلَةِ الضَّرَائِبِ عَلَى الْعَبِيدِ يَقُولُونَ: فَلَا يُسْقِطُ إِسْلَامُ الْعَبْدِ عَنْهُ ضَرِيبَتَهُ، وَلِهَذَا اسْتَجَازَ مَنِ اسْتَجَازَ مِنَ الْقُرَّاءِ الْخُرُوجَ عَلَيْهِمْ.

وعلى تلك الشاكلة، كان الحجّاج يتعسَّف في أخذ الجزية، من أجل الحفاظ على ميزانية الدولة في سقفها الأعلى، إذْ أَنَّ عُمَّالَ الْحَجَّاجِ كَتَبُوا إِلَيْهِ: إِنَّ الْخَرَاجَ قَدِ انْكَسَرَ، وَإِنَّ أَهْلَ الذِّمَّةِ قَدْ أَسْلَمُوا وَلَحِقُوا بِالأَمْصَارِ. فَكَتَبَ إِلَى الْبَصْرَةِ وَغَيْرِهَا: إِنَّ مَنْ كَانَ لَهُ أَصْلٌ مِنْ قَرْيَةٍ فَلْيَخْرُجْ إِلَيْهَا. فَأَخْرَجَ النَّاسَ لِتُؤْخَذَ مِنْهُمُ الْجِزْيَةُ[1].

انتقد الكتّاب المسيحيُّون والمسلمون الممارسة المتعسّفة في أخذ الجزية، فيبيّن "التلمحري"[2] أنَّ عمال الخراج أَجْبَرُوا الفلاحين على دفْعِ الخراج ذهبًا، بدلًا من دفعِه عينًا، وأيَّدَه أبو يوسف[3]:" أَنَّ عُمَّالَ الْخَرَاجِ يَبْعَثُونَ رِجَالا مِنْ قِبَلِهِمْ فِي الصَّدقَات، فيظلمون، ويعسفون، ويأتون مَا لَا يَحِلُّ وَلا يَسَعُ". وكشف ابن المقفع عَنْ حركة هروب من الأرض والفلاحة، للتخلص من الْجِزْيَة والضَّرائب المفروضة، وأحيانًا تكونُ الضَّرائبُ وِفْقَ مِزَاجِ الوالِي، فإنه قد يغلظ فِي الكَلامِ لمن لايقدر على دفع الضريبة، أويُسلِّمه لمُتَرَسِّمين إِلَى أَنْ يقوم بدفعها، أَوْ يعذب ويهان بشدة[4]. وعدّ أبو عبيد[1] من أَعْظَمُ مَا أَتَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا ...أَخْذُهُمُ الْجِزْيَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أي مِنَ الذِّمِّيِّ بَعْدَ إِسْلَامِهِ.

---

1 -ابن الأثير: **الكامل في التاريخ** 491/3.

2 - من مؤرخي السريانية القدماء، وتاريخه ينتهي الى عام 158هـ/ 774م. انظر: جاسم صكبان علي: "التاريخ العربي والاسلامي من خلال المصادر السريانية"، بحث في *عالم الفكر*، الكويت، ديسمبر 1984، ص69.

3 - **الخراج**، ص 93.

4 - ساويرس: **تاريخ البطاركة** 2/ 14- 36.

أَمَّا عمر بن عبد العزيز فَكَانَ مُتديّناً، وسار عَلَى خطى الخلفاء الرّاشِدِين، إلا أنَّ سيرته لا تخلو من ممارسات خاطئة في حق غير المسلمين، وقد اضطلع الكتّاب المسيحيون والمسلمون في تحليلها أو تسويغها. فيَقُولُ مِيخَائِيل السّرْيانِيّ فِي صدده: " مِنْذُ تَوَلِّيه الحكمَ أخذَ عمرُ يُسِيءُ إِلَى الْمَسِيحِيّينَ لسببين: أَوّلًا رغبةً فِي تعظيم الشّريعة الإِسْلَاميّة، ثانياً لفشلِ الْمُسْلِمِينَ فِي احتلال القُسْطَنْطِينِيَّة. وَكَانَ يشدّدُ الخِنَاقَ عَلَى الْمَسِيحِيّينَ، ليُكرِهَهم عَلَى اعتناقِ الإِسْلَام، فأصدَرَ قرارًا يقضي بإعفاء من الْجِزْيَة كُلّ مسيحيّ يعتنقُ الإِسْلَامَ، فأسلمَ الكثيرون. كَمَا قرّرَ عَدَمَ قبولِ شهادةِ الْمَسِيحِيّ عَلَى الْمُسْلِم، وعدم تولِيّةِ مسيحيّ فِي أيّ مجال، كَمَا منع الْمَسِيحِيّينَ من رفع أصواتهم فِي الصّلاة، ومن لبس الأخضر، وركوب حصان مسرّج. وإذا قتل مُسْلِم مسيحيّاً لا يحكم بالقتل، بَلْ بدفع ديّته خمسة آلاف دِرْهَم، ومنع تقدمة النّذور للأَدْيِرَة والرّهبنات؛ لا بَلْ صادرَ قسْمًا من أملاكِ الكَنَائِسِ والأَدْيِرَة والفقراء"[2]. وَهَذِهِ القراراتُ لَمْ تُطَبَّقْ دومًا كَمَا يستدلّ من إعادة التّذكير بِهَا. إنَّمَا ظَلّتْ كسيفٍ مُسَلَّطٍ عَلَى رقابِ الْمَسِيحِيّينَ، وأخذتْ -في ضوئها- المذاهب الفقهيّة تحدّد أوضاع أهل الذِّمَّة، وتضيّق عَلَيْهِمْ[3].

أَمَّا يزيد بن عبد الملك (101- 105هـ/ 720- 724م) فَقَدْ أصدر مرسوماً يحظّر تصوير الكائنات الحيّة، وحطّم الصّلبان والصّور فِي الكَنَائِس، وأخضع الرّهبان والكَنَائِس للضرائب، الَّتِي كَانَتْ معاهدات الصّلْح أعفتهم مِنْهَا،

---

1 - **الأموال**، 60/1.

2 - **تاريخ مِيخَائِيل** 384/2.

3 - سيّار الجميل:" المسيحيون العِرَاقيون (5/3): العِرَاق والإسلام: التحدّي والاستجابة"، *مجلة ألفا* (elaph.)، عدد، 11421، تاريخ 6/ 11/ 2010.

وشدّد الخناق عَلَى الَّذِينَ لَمْ يتمكّنوا من دفع الْجِزْيَة، ورد الكَنِيسَة الَّتِي اقتطعها بنو نصر مِنْ بَعْدِ أَنْ أخرجهم عَنْهَا عمر بن عبد العزيز[1].

ألغى هشام بن عبد الملك (105- 125هـ/ 724- 743) قرارات أخيه التّعسّفية، وَكَانَ مولعاً بالطّقوس الْمَسِيحِيّة، ويستَمْتِعُ بالأناشيد الدّينِيَّة والصّلوات، الَّتِي كَانَتْ تُتْلَى أيامَ الأعيادِ فِي الكَنِيسَةِ المُلاصقةِ لقصره[2]، وَقَدْ سمحَ للملكيّينَ بأَنْ يُقيموا لَهُمْ بِطْرِيكاً فِي أَنْطَاكِيَةَ عَلَى أَنْ يكونَ من أهلِ البلادِ[3].

وقام من بعْدِه الوليد بن يزيد (125- 126هـ/ 743- 744) الَّذِي قطَعَ لِسَانَ البِطْرِيَرك الملكي استفانس الثّالثّ، ولسان بطرس أُسْقُف دِمَشْقَ الملكي[4]؛ لأَنَّهُما تعرّضا للإِسْلَام. كَمَا قُدِّمَ إِلَى القتل فِي الحقبة الأُمَوِيّة الثّانية عدّةُ أشخاصٍ مَسِيحِيّينَ، لاسِيَّمَا من أصْلٍ عَرَبِيٍّ لتراجُعِهم عَنْ الإِسْلَام، أَوْ التّشهير بِهِ، نحو: بطرس كابيتولياس، أَوْ مايوما، عبد الْمَسِيح الَّذِي استُشْهِدَ فِي الرّملة، وميخَائِيل السّابائي[5]، وفارِسٌ من إياد من بني حذافة، كَانَ هاجر إِلَى بلاد الرّوم، وأُسِرَ

1 - البلاذري: **فتوح البلدان** 126.

2 - قصر هشام ملاصق لكنيسة القديس سرجيوس فِي مدينة الرّصافة، الَّتِي تبعد 30 كم جنوب غربي مدينة الرّقة (البازيليكا) وَهِيَ كنيسة مبنية عَلَى طراز المحاكم الرّومانية بهياكلها المميزة والتي شيدتها المسيحيّة الأولى. البازيليكا الكبرى كنز الرّصافة، August 20, 2009، *موقع kaldaya.net/.*

3 - اغناطيوس ديك: "المسيحيّون فِي عهد الخلفاء الرّاشدين والأُمَوِيّين الأوائل"، *موقع القديسة تيريزا بحلب*؛ السّيد عبد الله سالم: "شعراء النّصرانية"، ق2، *الحوار المتمدن*-العدد: 4047 - 2013 / 30 / 3

4 - مِيخَائِيل السّرياني: **التاريخ** 401/2

5 عبد الله سالم: "شعراء العَرَبِيّة النّصارى".

لَدَى غزوِ القُسْطَنْطِينِيَّة، وظلّ متمسّكاً بدينه الْمَسِيحِيّ؛ فأمرَ هشامُ بقطع رأسِه[1].

أمّا العمّالُ الَّذِينَ ولّاهم عبد الملك عَلَى العِرَاق، لاسِيَّمَا أخاه مُحَمَّد والحجّاج، فكانوا أكثر تشدّداً. وإنّ الوالي مُحَمَّدًا حاولَ إكراهَ الْعَرَبَ الْمَسِيحِيِّينَ عَلَى اعتناقِ الإِسْلَامِ، فاستدعَى "موعد"، زعيمَ التّغالبة، وأكرهَهُ عَلَى إشهارِ إِسْلَامِه، وإذْ لَمْ يُذْعِنْ قَتَلَهُ، وأمرَ بعدمِ دفنه، لتمسُّكِه بدينه الْمَسِيحِيّ. وعذّبَ إسماعيلَ التَغْلبي المعترف الطّاوباوي، بأنْ قطَعَ قطعةً من فخذِه، وشووها بالنّار، ووُضِعَتْ فِي فمِه[2]. وأحرقَ جماعةً من الأرْمَن فِي كَنِيسَتِهم، وحظَرَ ظُهورَ الصّلبانِ فِي الشّوارِع[3].

تطلعنا رِوَايَة الكَلْبي، أنّ صاحب النَجْرَانية بالكوفة كَانَ يبعث رسلَه إلَى جميعِ مَنْ بالشّامِ والنّواحي، من أهلِ نَجْرَان، فيُجْبُونَهُمْ مالًا يُقَسِّمَهُ عَلَيْهِمْ لإقامةِ الحُلَلِ، فَلَمَّا وَلِيَ معاويةُ أَوْ يزيدُ بْن معاوية، شَكَوْا إلَيْهِ تَفَرُّقَهُمْ، ومَوْتِ مَنْ ماتَ، وإِسْلَام من أسلم مِنْهُمْ، وأحضروه كتاب عُثْمَان بْن عَفَّان، بِمَا حطَّهم منَ الحلل، وَقَالُوا: إنَّمَا ازْدَدْنَا نُقْصَانًا وضَعْفًا، فوَضَعَ عَنْهُمْ مائتَيْ حُلَّةٍ، يتمُّ أربعمائة حلَّة.

لَمَّا وُلِّيَ الحَجّاج بْن يوسف العِرَاق (75-95ه/ 623-714م)، خرج ابْن الأشعث عَلَيْهِ فِي (82هـ/ 701م) اتَّهم الدّهاقين بموالاته، واتَّهم النَجْرَانيين مَعَهُمْ، فَرَدَّهُمْ إلَى ألْفٍ وثمانمائةِ حُلَّةٍ، وأخَذَهُمْ بِحُلَلٍ وَشِيٍّ[4]. فَلَمَّا ولي عُمَر بْن عَبْد العزيز الخِلَافَة (99هـ/ 718م) شَكَوا إلَيْهِ فناءَهم، ونقصانَهم، وإلحاحَ

---

1 - ابن الفقيه: **البلدان**، ص 458؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 16/ 180؛ ياقوت: **معجم البلدان** 2/ 44.

2 - مِيخَائِيل السّرياني: **التاريخ** 376/2.

3 - مِيخَائِيل السّرياني: م. ن. 370/2.

4 - يُقَالُ: بُرْدٌ وَشِيٌّ (فَعِيلٌ) منَ الوَشْيِ، والوَشْيُ: النَّقْشُ. أَبُو هلال العسكري: **التلخيص في معرفة أسماء الأشياء**، (ط2، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1996م) ص 141.

الأعرابِ بالغارةِ عَلَيْهِمْ، وتحميلهم إيَّاهم المُؤَنَ المُجْحِفَةَ بِهِمْ، وظُلْمِ الحَجّاجِ إيَّاهم؛ فأمر فأُحْصُوا، فوُجِدُوا عَلَى العُشْرِ من عِدَّتِهم الأولى، فقال: أرى هَذَا الصُّلْحَ جِزْيَةً عَلَى رؤوسِهِمْ، وَلَيْسَ هُوَ بصلحٍ عَنْ أَرْضِهِمْ، وجزيةُ المَيتِ والمسلمِ ساقطةٌ، فألْزَمَهُم مائتي حُلَّةٍ، قيمتُها ثمانيةُ ألفِ دِرْهَمٍ، فَلَمَّا وُلِيَ يوسف بْن عُمَر الثّقفي العِرَاق (120- 126هـ/ 738-744م)، فِي أيام الوليد بْن يزيد (125- 126هـ/ 743- 744م) ردَّهم إلَى أمرهم الأوَّل عصبيَّة للحجاج[1].

يبدو أنّ منْ أكثرِ الأمور أثرًا، في تلكُّؤ مسيرة العلاقات الأسلاميّة المسيحيّة، هو التدخل في تنصيبِ الرموز الكنسيَّة، أو تغييرها، أو منعها من أداء مهامّها الكنسيَّة. فمثلا كان مشهدُ تدخُّلِ الدّولة الأُمَوِيّة فِي تَنْصِيبِ يوحنَّا الأَبْرَص جاثليقا، وإخراجِ "حنانيوشع" الجاثليقِ المُسَمّى فِي المدائنِ سنةَ 74هـ[2]، كَانَ سافِرا ومُزْرِيًا. فِي ضوئِه عانتْ كَنِيسَةُ المشرقِ مَرَائِرَ فِي عَهْدِ البِطْرِيَرَكِ حنانيشوع الاول (38- 81هـ/ 658-700م).

وَكَانَ سببُ هَذِهِ الويلات- بحَسَبِ ابن العِبْري: أنَّ البِطْرِيَرَكَ ألقَى السّلامَ عَلَى الخليفةِ الأُمَوِيّ عبدِ الملكِ بنِ مروان بدونِ كِيَاسَةٍ، واستغَلَّ المَوْقِفَ مطرانُ نَصِيبِينَ يوحنَّا الأَبْرَص، الَّذِي كَانَ خَصْمًا للبِطْرِيَرَكِ، للوشايةِ بِهِ عِنْدَ الحَجّاجِ بنِ يوسفَ الثّقفي الوالي الأُمَوِيّ عَلَى العِرَاق. ولقد اخْتَلَسَ يوحنَّا الأَبْرَص الكَرْسِيَّ البِطْرِيَرَكِيَّ مدّةَ سنةٍ وعشرةِ أشهر (72-74هـ/ 691-693م)، لكِنَّهُ ذهبَ منكَسِرًا، نتيجةَ أعمالِه المُنْحَرِفَةِ، بَعْدَ أَنْ طارده الحَجّاج، وماتَ غيرَ فَقِيدٍ ولا حَمِيد.

1 - البلاذري: **فتوح البلدان**، ص74.

2 - ماري: **فطاركة المشرق**، ص63- 64، و ص66.

عَلَى أنّ الحجّاج" إستمرّ فِي سياسَتِه التّعَسُّفِيَّة، فَمَنَعَ الْمَسِيحِيّينَ مِن تنصيبِ جاثليق[1]، وأصدر أمْرًا بمنعِ البِطْرِيَرَكَ من زيارةِ الابرشياتِ الوُسْطَى والجنوبيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَحْتَ وِلايَةِ الحَجّاج. فبقِيَ البِطْرِيَرَكُ يُدِيرُ الأَبْرَشِيَّاتِ الشّماليَّةَ فَقَطْ. وَهَكَذَا بَدَأَتْ نَكْسَةٌ جديدةٌ للمَسِيحِيَّةِ فِي مناطقِ الكرسيّ البِطْرِيَرَكِيّ والمناطقِ الجنوبيةِ، الَّتِي ظَلّتْ بدُونِ أَسَاقِفَة إلَى وفاةِ الحَجّاج، وَحَتَّى جلوسِ البِطْرِيَرك مار بثيون (113- 132هـ/731-741م) عَلَى الكرسي[2].

لَمْ تَخْتَصّ الأَعمالُ السّلبِيّةُ بالرّموزِ الْمَسِيحِيّة وتراثِهم لَدُنْ قسْمٍ من الحكام الأُمَوِيّين، بَلْ إنَّ آل الزبير فِي ولايتهم لَمْ يكونوا بأقلَّ مِن غيرِهم. تعرّفُنا رِوَايَة الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ الثّقَفِيّ؛ بأنْ دَخَلَ أُسْقُفُ نَجْرَان عَلَى مُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ والِي العِرَاق(68_72هـ/ 688-691م)، فَضَرَبَ وَجْهَهُ بِالْقَضِيبِ فَأَدْمَاهُ، فَقَالَ الأُسْقُفُّ: إِنْ شَاءَ الأَمِيرُ أَخْبَرْتُهُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى عِيسَى: لا يَنْبَغِي لِلإِمَامِ أَنْ يَكُونَ سَفِيهًا، وَمِنْهُ يُلْتَمَسُ الْحِلْمُ، وَلا جَائِرًا، وَمِنْهُ يُلْتَمَسُ الْعَدْلُ[3].

وَفِي خبر الأَصْمَعِيَّ: قَالَ أُسْقُفُ نَجْرَان لِمُصْعَبِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَغَضِبَ عَلَيْهِ حِينَ قَنَّعَهُ بِقَضِيبٍ فِي رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ الأسقف: لا يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ يَغْضَبَ؛ لأَنَّ الْقُدْرَةَ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِ، وَلا يَكْذِبُ؛ لأَنَّهُ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى اسْتِكْرَاهِهِ عَلَى غَيْرِ مَا يُرِيدُ، وَلا يَبْخَلُ؛ فَإِنَّهُ لا يَخَافُ الْفَقْرَ، وَلا يَحْقِدُ؛ لأَنَّ خَطَرَهُ قَدْ جَلَّ عَنْ الْمُجَازَاةِ[4]. عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنّ النّصين من طريق الإِخْبَارِيّين الإِسْلَاميّين، فانّهما

1- ماري: م. ن. ص64.

2 - سامي خنجرو: "كنيسة المشرق تَحْتَ الحكم العَرَبِيّ الإسلاميّ"، *موقع مانكيش* mangish.com، 04-09-2010.

3 - الدينوري، أحمد بن مروان المالكي (ت 333هـ): **المجالسّة وجواهر العلم**، (دار ابن حزم، بيروت، 1419هـ) 4/ 349؛ الطرطوشي: **سراج الملوك**، ص281.

4 - الدينوري: م. س. 6/ 387.

يدلان عَلَى بلاغة المعاني، وبيان الالفاظ، وثبات الوقفة لَدَى الأُسْقُف فِي وجه حاكم جائر.

وَفِي الحجاز حُمِلَ إِلَى ابن الزبير من صنعاء الفسيفساءُ، الَّتِي كَانَ بناها أبرهة الحبشي فِي كَنِيسَته (القُلَيس) الَّتِي اتخذها هُنَالِكَ، ومعها ثلاثُ أساطين من رخام، فِيهَا وَشْيٌ منقوش، قَدْ حُشِي النّقش السّندروس وأنواع الألوان من الأصباغ، فمْن رآه ظنَّه ذهبًا، وشَرَعَ ابن الزبير فِي بناء الكعبة، وشهد عِنْدَهُ سبعون شيخاً من قُرَيْش: أن قُرَيْشاً حِينَ بنت الكعبة عجزتْ نفقتُهم، فنقصوا من سَعَة البيت سبعةَ أذرع من أساس إِبْرَاهِيم الخليل، الَّذِي أسسه هُوَ وإسماعيل، فبناه ابن الزبير وزاد فِيهِ الأذرُع المذكورة، وجعل فِيهِ الفسيفساءَ والأساطينَ، وجعل لَهُ بابين: بابا يدخل مِنْهُ، وبابا يخرج مِنْهُ، فَلَمْ يزل البيت عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى قَتَلَ الحَجّاج عبدَ الله بن الزبير، وكتبَ إِلَى عبد الملك بن مروان يُعْلِمُهُ بِمَا زاده ابن الزبير فِي البيت، فأمره عبد الملك بهدمه، ورده إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ آنفاً من بناء قُرَيْش[1].

لَمْ تذكر الاخبار ان عبد الملك استنكر مَا سُلِبَ من بيوت العبادة، واستثمر فِي بيت الله الحرام، ولا أرجعَ مَا سُرِقَ من الكَنِيسَة ورمَّمها، بقدرِ مَا كَانَ حريصًا عَلَى أنْ يمسحَ مَا عَمَلَه خصْمُه ابنُ الزبيرِ من سِجِلّ التّاريخ.

فِي مِصْرَ، مبتدأ الدّولة الأُمَوِيّة كَانَ الأَقْبَاطُ ملازمين الهدوءَ والسّكينة؛ لاستقامَةِ الحَالِ مَعَهُمْ، لاسِيَّمَا فِي ولاية عمرو بن العاص (38-43هـ/ 658-646م) الَّذِي يعد مثالًا فِي العلاقة الطيبة معهم. وعلى العكسِ مِنْهُ، أضحوا فِي ولاية سعيد بن يزيد (62- 64هـ/ 682- 684م)، إِذْ اضْطُهِدَ بِطْرِيَكُ الأَقْبَاطِ إضطهادًا شديدًا. وَلَمَّا وُلِّيَ عبد العزيز مِصْرَ (65- 84هـ/ 685- 703م)، كَانَ

1- المسعودي: **مروج الذهب**، (1956) 282/3.

في مبدأ أمرِه محاسِنًا الأَقْبَاطَ، وعملَ إئتلافًا مَعَ البِطْرِيَك الـ (41) إسحاق، إلَّا أَنَّهُ بَعْدَ أَنْ أَخْضَعَ البلادَ كلَّها، تغيَّرَ عَلَى الأَقْبَاطِ، وأمرَهم بأنْ لا ينتخبوا بِطْرِيَكَهم بعيدًا عَنْهُ، وأعْلَى الضَّرائبَ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ الأكْلِيروس[1] يُعْفَوْنَ من الْجِزْيَة، فألزمَ كُلّ واحدٍ مِنْهُمْ بدينارٍ فِي السّنَة، والبِطْرِيَكَ بثلاثةِ آلافِ دينارٍ[2].

وَلَمَّا إسْتَمَرَّ إنْحِطَاطُ المَمْلَكَةِ الرّومانيَّة، لَمْ يَعُدْ عبد العزيز يَعْبَأْ بمُهَادَنَةِ الأقباطِ، فمَدَّ إلَيْهِمْ يَدَ الأذى، وشرَعَ فِي نَهْبِ أموالِهم، وسلْب مقتنياتهم، وأمر بكسر الصّلبان الَّتِي فِي كورة مِصْرَ، ثُمَّ علّقَ رقاعًا عَلَى أبوابِ البِيَع، كُتِبَ فِيهَا" مُحَمَّدٌ أعظمُ رسلِ اللهِ، وعيسى -أَيْضًا- رسولُ اللهِ، واللهِ لَمْ يلدْ وَلَمْ يولدْ"[3].

غير أنَّ هَذَا لا يمنع من الإيجابي فِي إدَارَة بلادٍ، أغلبِيَّةُ سكانِها من الْمَسِيحِيّينَ، والاوضاعُ السِّيَاسِيَّةُ قَلِقَةٌ، ولاسِيَّمَا مَعَ بِيزَنْطَةَ، والحوادثُ الدّاخليَّة، تستوجبُ تحسينَ مستوَى التّعاملِ مَعَ حاجاتِ السّكانِ، مِن تَرْمِيمِ كَنِيسَةٍ، أَوْ اعطاءِ الإذْنِ بتجديدِ بِيْعَةٍ.

لَعَلّ من المفيدِ الَّذِي أشغلَ المُؤَرّخين، تعيينَ الْمَسِيحِيّينَ، وإشغالَ الوظائفَ، ولاسِيَّمَا الْمَالِيَّةَ مِنْهَا، فِي ظِلِّ السّلطةِ الإسْلَاميّة، أَوْ إبقائِهم عَلَى وظائِفِهِم، ففي مِصْرَ كَانَ من إختصاصِ الأَقْبَاطِ، وَقَدْ أَوْرَدَ "ساويرس ابن المقفع" أسماءَ كثيرٍ من كبار الموظفين[4]. وَفِي سُورِيَةَ ثُلَّةٌ من الْمَسِيحِيّينَ المقربين للدولةِ، ظلُّوا يُقَدِّمون خدماتِهم فِيهَا. فَلَمَّا وُلِّيَ أثناسيوس برجوميا السّرْيانيّ الرّهاوي الإدَارَةَ الْمَالِيَّة فِي مِصْرَ، فأحسنَ هَذَا التّصرفَ فِي الوظيفةِ، وَكَانَ عهدُه

1 - إكليروس (clergy) كلمة يونانية المقصود بِهَا أصحاب الرّتب الكهنوتية من أساقفة وكهنة وشمامسة. **معجم المصطلحات الطقسية**: (إكليروس).

2 - القمص: **تاريخ الكنيسة القبطية**، ص406.

3 - القمص: م. ن. ص 407.

4 - **تاريخ البطاركة** 8/2.

عهدَ بركةٍ وإقبالٍ عَلَى الدّولةِ الأُمَوِيّة[1]. إلَّا أنَّها- جُمْلَةً- لَمْ تَكُنْ الوظائفُ لعَامّةِ الْمَسيحِيّينَ، وإنَّمَا كَانَتْ لأخَصّ الخَاصَّة، وَهُمْ قلّةٌ، نِسْبَةً إلَى مجتمعات تَغْلُب عَلَيْهَا الْمَسيحيّة، وَهَذِهِ القِلّةُ بدَتْ تَتَنَاقَصُ الحَاجَةُ إلَيْهَا فِي أروقة الوظائف السُّلْطَانِيَّة، إبّانَ تغيير لغة الدّواوين إلَى الْعَرَبِيّة من جانب، وبخاصة بعد تدريب الْمُسْلِمِينَ عَلَى مهام الوظائف المُهِمَّة.

الحَرَاك الدّينيّ الْمَسِيحِيّ:

إنَّ الحياةَ الدّينِيَّةَ الْكَنَسِيّةَ ظلت موجودةً، تعبّرُ عَنْ نشاطٍ يتَجَدَّدُ، فَثَمَّةَ آثارُ كَنَائِسَ جديدةٍ بُنِيَتْ فِي القَرْن السّابع. ففي دير أيوب[2]، جنوب نوى ساكف، كَنِيسَة مُؤَرّخ بناؤها عام20هـ/ 641م، فِي عهد رئيس الدّير ايلياس. وَفِي العفر فِي جبل الْعَرَب[3]، شُيّدَ مَعْبَدٌ للقدّيس جاورجيوس عام31هـ/ 652م، وَفِي عام

1 - البطريرك مار إغناطيوس زكا الأول عيواص:" السّريان والإسلام تاريخ مشترك"، *الموقع الرّسمي لبطريركية أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس.*

2 - دير أيوب: قرية بحوران من نواحي دمشق. ياقوت: **معجم البلدان** 499/2؛ الصّالحي الشّامي: **سبل الهدى والرّشاد فِي سيرة خير العباد** 2/ 207.

3 - فِي بِلَادِ الشّامِ قرب حَوْرَانُ، وَهِيَ السّفُوح الْغَرْبِيَّةِ لِجَبَلِ الدُّرُوزِ (اسْمُهُ جَبَلُ الْعَرَبِ). الحربي، عاتق بن غيث: **معجم المعالم الجُغْرَافِيّة فِي السّيرة النّبوية** (دار مكة للنشر، السّعودية) ص 44.

43هـ/663م كُرِّسَتْ موزاييك للعذراءِ مَرْيَمَ فِي كَنِيسَة مادبا فِي الأردن. ودُشِّنَتْ كَنِيسَةٌ عَلَى اسْمِ النّبيّ ايليا فِي ارمان جبل الْعَرَب عام 48هـ/ 668[1]، واستغلّ سرجون بن منصور، والدّ يوحنّا الدّمشقي، نفوذه فِي البلاط الأُمَوِيّ ليبني كَنِيسَة جديدة خارج باب الفراديس بدلاً من الكَنَائِس الَّتِي صُودِرَتْ إِبَّانَ الفتح[2]، وإنّ معاويةَ أَمَرَ بإعادَةِ بِنَاءِ كَنِيسَةِ الرَّهَا (أُديسَّا Edessa)[3] الَّتِي دمّرتها الزلازل 59هـ /679م[4]. كَمَا بُنِيَتْ أَوَّل كَنِيسَة بالفسطاط فِي حارة الرّوم فِي ولاية مَسْلمة بن مخلد[5] عَلَى مِصْرَ (47- 62هـ/ 667-682م)[6]، وشيّدَ أثيناسُ، كاتبُ ديوانِ خراجِ مِصْرَ عَلَى عهدِ عبدِ العزيزِ، كَنِيسَةَ "أمّ الإله" فِي الرَّهَا، كَمَا شيّدَ فِي مِصْرَ -أَيْضًا- كَنِيسَتَيْنِ وديرًا[7]؛ ويبدو أنّ "اثيناس" متولِّيَ الخراجِ كَانَ واسعَ السّلطاتِ، عظيمَ النّفوذِ فِي مِصْرَ[8].

---

1 - جوزيف نصر الله: **تاريخ الحركة الأدبية فِي الكنيسة المَلَكِيّة**، (634-750م) ج1/40-41 بالاستناد إلَى دوفريس: البطريركية الأنطاكية، ص. 225، 231، 233؛ الأرشمندريت اغناطيوس ديك:" المسيحيّون فِي عهد الخلفاء الرّاشدين والأُمَوِيّين الأوائل"، *موقع كنيسة القديسة تريزا- حلب*.

2 - ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 20/ 161؛ العدوي: **الأُمَوِيّون والبيزنطيون** ص291.

3 - كَانَتْ يفخر ببنائها وجمالها، وَهِيَ من عجائب الجزيرة، " ما من بناء بالحجارة أبهى من كنيسة الرّها" ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، ص 161؛ ابن الفقيه: **البلدان**، ص 180؛ ابن العديم: **بغية الطلب فِي تاريخ حلب** 1/ 87.

4 - سنة 990 يونانية /. مار مِيخَائِيل السّرياني الكبير: **التاريخ**، 2 /352؛ فلهوزن: **تاريخ الدولة العَرَبِيّة**، ص128؛ حَتَّى: **تاريخ سوريا ولبنان** 41/2.

5 - ابن صامت بن نيار الزُّرَقِيُّ الأنصاري (ت62هـ). ابن كثير: **البداية والنّهاية** 8/ 217؛ زامباور: **معجم الانساب والاسرات الحاكمة**، ص38.

6 - **فتوح مصر**، ص132.

7 - ارنولد: **الدعوة إلَى الإسلام**، ص85.

8 - السامرائي: **الإصلاحات المالية والتنظيمات الإدارية**، ص135.

وَفِي العِرَاق بني دير القيارة[1] " مارزينا " لليعقوبية[2] عَلَى شاطئ دجلة من الموصل فِي ذكرى الأُسْقُف مارزينا (ت19هـ/ 640م)، ذكر الشّابشتي: تَنَصَّرَ فِيهِ فِي يوم واحد زهاء ستة آلاف[3] نفس[4]، وأسس النّاسك خوداهوى (ق1هـ/7م) دير بيث حالي (دير الطّين) فِي برية الحِيرَة[5].

تأسَّسَ إِبّانَ العصر الأُمَوِيّ عددٌ من الكَنَائِس والأَدْيِرَة فِي أصقاع متنوعة من البلاد الْعَرَبِيّة، أكّد ذَلِكَ بعض الكتّاب الْكَنَسِيّين[6]، وَكَانَ الْمَسِيحِيّون يحتفلون بأعيادهم ويمارسون عباداتهم وطقوسهم بحُرِّيَّة، وَلَهُمْ محاكمهم الخَاصَّة[7]، وتحولتْ الصّراعات الدّينيَّة المعقدة فِي الْمَسِيحِيَّة نفسها إِلَى جدليات فِكرِيَّة، وحوارات رائعة، بَعْدَ أَنْ بلغت أقصى مداها فِي القَرْنين السّابع والثّامن الميلادِيّين، وَكَانَ قَدْ حضر مجمع القُسْطَنْطِينِيَّة خمسة من أكبر المطارنة إِبّانَ العهد الأُمَوِيّ من الشّام، وانبثقت عَنْ تِلْكَ الجدالات الَّتِي مُورِسَتْ على درجة من الْحُرِّيّة، المناظرةُ التّاريخيّة المشهورة بَيْنَ خَالِد بن يزيد ويوحنا الدّمشقي، وثيودور

---

1 ياقوت: **معجم البلدان** 529/2؛ القزويني (ت682هـ): **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص371.

2 - ابن عبد الحق: **مراصد الاطلاع عَلَى اسماء الامكنة والبقاع** 2/ 572.

3 - لعله لا يقصد العدد بعينه، بَلْ استخدم لفظ" زهاء ستة آلاف " فِي كتّابات المُسْلِمين، لبيان الكثرة. انظر: **فتوح الشّام** 1/ 197؛ **العقد الفريد** 5/ 69؛ أَبُو حيان: **البصائر والذخائر** 5/ 73؛ أَبُو نعيم: **أخبار أصبهان** 1/ 47؛ ابن بسام: **الذخيرة فِي محاسن أهل الجزيرة** 1/ 184؛ **الكامل فِي التاريخ** 2/ 596؛ ابن العديم: **بغية الطلب** 700/2...

4 - علي بن مُحَمَّد (ت388هـ): **الديارات**، تح: كوركيس عواد، (دار الرّائد العَرَبِيّ، بيروت، 1986) ص417.

5 - توما أسقف المرج: **كتّاب الرّؤساء**، ص56؛ الأب ألبير أبونا: **ديارات العِرَاق**، (بغداد: 2006م) ص 409 _ 482.؛ بلحاج: **المسيحيّة العَرَبِيّة وتطورها**، ص170.

6 - يوحنا بن فنكايي: **تاريخ الكلدان**، ص 101، نقلا عَنْ سيّار الجميل: "خضوع بلاد الرّافدين للدولة العَرَبِيّة الإسلاميّة"، *مجلة ألفا*، تاريخ 21 نوفمبر2010.

7 - روفائيل بابو اسحق: **نصارى العِرَاق**، ص 60.

أَبُو قُرَّة، وبولص الانطاكي، ويعدُّ يوحنا الدّمشقي من أكابر المفكرين العقلانيين، الَّذِينَ أبدوا آراءهم بكل حُرِّيَّة عهد ذاك. وَكَانَ من نتائج ذَلِكَ الجدل العقائدي الَّذِي دار بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيِّينَ، نُشوءُ بعضِ الفِرق والحركات الدّينِيَّة والفِكرِيَّة[1].

فِي القَرْن 1هـ/7م كَانَ أَوَّلُ ظهورٍ للمارونِيَّةِ فِي العصرِ الأُمَوِيِّ، ففي سنة (66هـ/ 686م) أخذَ الكرسيُّ البِطْرِيَكِيُّ للطائفةِ، فِي ديرِ مار مارون[2]، مكانةً فِي نَشْرِ مُعْتَقَدِه. يذهب الكتّاب الموارنة الى أن "يوحنا مارون"[3] هو أول بطاركتهم، وأن الاختيار وقع عليه لشغل هذا المنصب بعد وفاة "ثيوفانس" بطريرك أنطاكية الخلقيدوني. وأنّها طائفة دينية اتفقت مع الملكيين الإنطاكيين على مجمع خلقيدونية مع المحافظة على التراث السرياني[4]. في حين أن ديونيسيوس التلمحري، بطريرك أنطاكية السرياني الأرثودكسي (ت230هـ/ 845م)، كان أول من ذكر تبني رهبان دير مارون للمونوثيلية[5]، إلى عامي (5، 6هـ/

---

1 - سيّار الجميل: "خضوع بلاد الرّافدين للدولة العَرَبِيّة الإسلاميّة".

2 - فِي قرية كفرحي من اعمال البترون. أسطفان الدويهي، البطريك:" سلسلة بطاركة الطائفة المارونية"، نشره رشيد الخوري الشّرتوني، *مجلة المشرق*،السّنة الأولى، 1898، ص247 .

3 - يوسف الدبس (المطران):: **الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل** (بيروت، 1905) 67/1 وبعدها؛ متي موسى: **الموارنة في التاريخ**، ص 114.

4 - بولس نعمان وآخرون: **المارونية في أمسها وغدها**، (منشورات دير سيدة النصر، غوسطا 1997) ص 25.

5 - المونوثيليتية أو المشيئة الواحدة (باليونانية: Μονοθελητισμός)، هي عقيدة مسيحية تعالج العلاقة بين الألوهية والبشرية في يسوع المسيح. وترى أن للمسيح طبيعتان منفصلتان ومشيئة واحدة،. (موسوعة ويكيبيديا). هي الإيمان بأن طبيعتي المسيح الإلهية والبشرية متحدتان في إرادة واحدة وقدرة واحدة في التجسّد. متي موسى: **الموارنة في التاريخ**، (المؤسسة الأمريكية للدراسات السريانية)، ص7.

629، 630م)، وهو الزمن الذي فرض فيه الإمبراطور البيزنطي هرقل المونوثيلية على شعب سورية[1]. وكانت المونوثيلية قد أدينت أخيراً في مجمع القُسْطَنْطِينِيَّة السادس عام (60هـ/ 680م) باعتبارها "مونوفيزية "[2]. غير أنّ جبرائيل ابن القلاعي (ت922هـ/ 1516م) كان أول كاتب ماروني ذكر: أن الكنيسة المارونية وكنيسة روما اعتنقتا نفس الإيمان ودافعتا عن الخلقيدونية[3]. وتابعه الكتّاب الموارنة يعلنون صراحة، بأنهم كانوا دائماً متمسكين بإيمان خلقيدونية ، وإنهم متّحدون بكنيسة روما منذ القرن الخامس[4] .

النّظام الدّينيّ الْكَنَسِيّ:

نشطَتْ الكَنِيسَتان اليَعْقُوبِيّةَ والنَّسْطُورِيّةَ فِي القَرْن السّابع. وَلَعَلّ عدَمَ ارتباطِها بقُوّة سِياسِيّة كَانَ من أهمّ عواملِ التَّسَامُح معها، وكانَ للأَدْيِرَة الَّتِي ظَلّتْ عامرةً زُهاءَ ثلاثة قرون، دَوْرٌ فِي تَوْطِيد الْمَسِيحِيّة فِي البلادِ العربيّة. وَكَادَتْ المصادرُ السّرْيانيّةُ تتيحُ لَنَا معرفةَ الأبرشيّاتِ الْعَرَبِيّةِ التّابعةِ للكَنِيسَةِ اليَعْقُوبِيّةِ، وبضمنِها أسماءُ عديدٍ من أساقفتها[5].

---

[1] - متي موسى: **الموارنة في التاريخ**، ص9، 92.

[2] - متي موسى: **م. ن**، ص95؛ قارن :علي عبد الواحد وافي: **الأسفار المقدسة فِي الأديان السّابقة للإسلام**، ص111.

3 - كتابه " مارون الطوباني" ، (مخطوطة الفاتيكان الكرشونية 640). متي موسى: **م. ن**، ص7.

4 - الدبس: **الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل** 67/1؛ بولُس نُعمان: **المارونية في أمسها وغدها**، ص25 وبعدها؛

5 - انظر: سلوى بالحاج: **المسيحيّة العَرَبِيّة وتطوراتها**، ص170-179.

- أَبَرْشِيَّة التّغالبة. كَانَ لَهُمْ أَسَاقِفَة حَتَّى القَرْن الرّابع الهِجْرِيّ. وَكَانُوا يقيمون لَمَّا جاء الإِسْلَام فِي المثلث القائم بَيْنَ الحِيرَة ومَنْبِج وجزِيْرَة ابن عمر. وَفِي سنة 70 هجريّة انحصرت إقامتهم بَيْنَ الخابور ودجلة والفرات.

- أَبَرْشِيَّة نَجْرَان والكوفة. جاء إِلَيْهَا النّازحون من نَجْرَان عام20هـ، التّحق قسم مِنْهُمْ بالكَنِيسَة النَّسْطُورِيّة، وبقي لَهُمْ أَبَرْشِيَّة تابعة لليَعَاقِبَة، ودمجت فترة مَعَ أَبَرْشِيَّة التّغالبة. وبعد القَرْن العاشر يصمت التّاريخ الْكَنَسِيّ عَنْ أَبَرْشِيَّة النَجْرَانيين. وإلى جانب النَجْرَانيين فِي جنوب العِرَاق جماعة مَسِيحِيّة أُخْرَى، بنو عجل وجماعة من بني شيبان. ويتضح من روايات طبقات الشّعراء: أن الْمَسِيحِيّة ظَلّتْ منتشرة فِي عائلات من بني شيبان زمن الفرزدق، إِذْ تزوج هَذَا مِنْهُم إمرأة مَسِيحِيّة[1] فهجاه جرير. ويَرِدُ مَرَّةً اسْمُ أُسْقُف لأبرشيَّة عاقولا الكوفة.

- أَبَرْشِيَّة الْعَرَب أَوْ القَبَائِل، من أساقفتها المشهورين مار جرجس (ت 106هـ/ 724م)، وَهُوَ عَرَبِيّ الأصل، ولُقّبَ بأُسْقُف القَبَائِل الْعَرَبِيّة، عُيّن مطرانًا لجماعة الْعَرَب أصحاب الطّبيعة الواحدة عام 687م فِي أَبَرْشِيَّة تضمُّ العاقوليّين، والطّائيّين، والتّنوخيّين، والتَغْلبيّين، وعرب الجَزِيْرَة، وَذَلِكَ فِي مَا بَيْنَ النّهرين فِي سقيفة العاقولا (الكوفة). وَكَانَ تلمذ عَلَى يعقوب الرّهاوي فِي دير قِنَّسْرين ونال شهرة كبيرة[2].

وتذكر المصادر النَّسْطُورِيّة أبرشيتين عَرَبِيّتين الحِيرَة والأنبار ظلّ فِيهَا أَسَاقِفَة حَتَّى القَرْن الحادي عشر، كَانَ المجال الْعَرَبِيّ اليَعْقُوبِيّ أوسع من المجال

1 - تزوج حدراء بنت زيق بن بسطَام بن قيس بن مَسْعُود بن قيس بن خَالِد بن ذى الجدين وَهُوَ عبد الله بن عَمْرو بن الْحَارِث بن همام بن مرّة بن ذهل بن شَيبَان عَلَى حكم أَبِيهَا بمئة من الْإِبِل وَهِيَ نَصْرَانِيَّة. ابن سلام: **طبقات فحول الشّعراء** 2/ 392؛ أَبُو الفرج: **الاغاني** 242/14.

2 - اوليري: **علوم اليونان**، ص١٩١- ١٩٢؛ مراد كامل: **تاريخ الأدب السّرياني**، ص276؛ بدر الدين: **قِنَّسْرين أَوْ عش النّسور**، ص ٢٤٦.

النَّسْطُورِيّ إلَّا أنَّ الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة النَّسْطُورِيّةَ عمّرت أكثر وَكَانَ للنَسَاطِرَة الْعَرَب دور أهم من اليَعَاقِبَة داخل كَنِيسَتهم[1].

المجامع الْكَنَسِيّة

لا شك ان المجامع المسكونية وغيرها يعقدها كبار البَطَارِكَة، ويشترك فِيهَا من بَطَارِكَة الكَنِيسَة الشَّرْقِيَّة، لتناقش مشكلات العصر الَّتِي تواجه الْمَسِيحِيَّة، والفكر والمجتمع الْمَسِيحِيِّينَ، ومن ابرز المجامع المنعقدة فِي العصر الأُمَوِيّ، هِيَ:

- **مجمع القُسْطَنْطِينِيَّة الثّالث (المسكوني السّادس):** (26/ محرم/ 61ــ 13/ ذي القعدة / 61هـ = 7 / تشرين الثّاني/680 – 16/ أيلول/ 681م)[2]. وَكَانَ قَدْ التّأم المجمع المسكوني السّادس فِي القُسْطَنْطِينِيَّة وحضره أكثر من 170 أُسْقُفا، بَيْنَهُمْ مكاريوس بِطْرِيك أنْطَاكِيَةَ. عقد المجمع ثماني عشرة جلسةً، رأسَها جاورجيوس بِطْرِيك القُسْطَنْطِينِيَّة. وفيه دان المجمع القائلين بالمشيئة الواحدة، وأصدر تحديده العقائدي فِي التّعليم بأنَّ: يسوع كَانَ لَهُ مشيئتان طبيعيّتان، وفعلان طبيعيّان، مِن دون انقسامٍ، أَوْ تَحَوُّلٍ، أَوْ انفصالٍ، وتَبَعًا لذلك فإنّ مشيئَتَهُ الإنْسَانِيَّةَ لا تُصادِمُ، ولا تُقاوِمُ مشيئَتَهُ الإلهِيَّةَ، الكُلِّيّةَ القُدْرَةِ، بَلْ بِالأَحْرَى تَخْضَعُ لَها.

- **مجمع القُسْطَنْطِينِيَّة الرّابع (73هـ - 692 م)**[3] : نتيجة لحروب القَرْن السّابع وفِتَنِهِ، وإهْمَالِ القوانِينَ الْكَنَسِيّة، دعا لعقده الإمْبِرَاطُور البِيزَنْطي يوستينيانوس

1 - الأرشمندريت اغناطيوس ديك: القبائل العَرَبِيّة المسيحيّة فِي بلاد الشّام فِي عهد صدر الإسلام، بحث فِي النّدوة الدّوْلِيّة "بلاد الشّام فِي عصر الرّسول والخلفاء الرّاشدين.

2 - دنتسنغر-هونرمان: **الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها**، الجزء الأول. من سلسلة الفكر المسيحيّ بَيْنَ الأمس واليوم. (منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 2001) ص310؛ أسد رستم: **كنيسة مدينة الله** 2/49-51.

3 - أسد رستم: م. ن. 2/51.

الثّاني (685-695؛ 705-711م) من أجلِ وضع دستور تَشْرِيعِيّ للكَنِيسَة، وهو الَّذِي صار فِيمَا بعد جزءًا من الحقّ القانونيّ الأرثوذكسيّ، والذّي رفضته الكَنِيسَة الكاثوليكيَّة. اشترك فِي أعماله 227- 240 أُسْقُفا، أَبرزهم من البلاد الْعَرَبِيّة: بطرس بِطْرِيَك الإسكندريَّة، وجورجيوس بِطْرِيَك أَنْطَاكِيَةَ، وانسطاسيوس بِطْرِيَك أورشليم.

كَنِيسَة الشّرق:

- مجمع دارين (56هـ/ 676م)

دعا الجاثليق جرجيس الأول (661– 680م) إِلَى عقد مجمع كنسيّ فِي جَزِيْرَة دارين، وَذَلِكَ لحل الأزمة، ويشير محضر المجمع إِلَى حضور أَسَاقِفَة بيت قطرايا الرّئيسيين، وَهُمْ: أيشوعياب أُسْقُف دارين، وبوسيه أُسْقُف هَجَر، وشاهين أُسْقُف الخَط، وَكَذَلِكَ حضر توماس رئيس أَسَاقِفَة بيت قطرايا. تؤكّد المراجع أن هَذَا المجمع عقد لحل أزمة تمرد بيت قطرايا ضد الانصياع لكبير أَسَاقِفَة ريو أردشير الَّتِي كَانَتْ تابعة لَهُ، وبذلك يكون بيت قطرايا يطالب بالاستقلال عَنْ ريو أردشير، ليكون منطقة كنسيَّةً، وَلَيْسَ الاستقلال عَنْ جاثليق كَنِيسَة الشّرق، أي أَنَّهُ لَمْ يعد ثَمَّةَ عصيان مُشْتَرَك بَيْنَ ريو أردشير وبيت قطرايا ضد الجاثليق فِي العام 676م (كَمَا كَانَ عَلَيْهِ الحال فِي الفترة بَيْنَ 649 و659م). وَقَدْ ظهر -جراء ذَلِكَ- إقليمٌ كنسيٌّ جديد (أي بيت قطرايا) عَلَى رأسه رئيسٌ للأَسَاقِفَة خاصٌّ بِهِ[1].

1 - حسين مُحَمَّد حسين: "البحرين فِي القَرْن السّابع (5): استقلال بيت قطرايا"، *صحيفة الوسط البحرينية*.

التّنظيمات الْكَنَسيّة:

الجثالقة والبَطَارِكَة والمفارنة: يدل وجودهم وتعاقبهم عَلَى ديمومة الدِّيَانَة الْمَسيحِيّة، وحَرَاكها بِحَسبِ تَنَوُّعِها فِي البلادِ الْعَرَبِيّة، ومن أهمّ الكَنَائِسِ الكُبْرَى، الَّتِي لها الدّور البالغ عَلَى الخَارِطَة الْمَسيحِيّة، هِيَ: المدائن، وتكريت، وأنْطَاكِيَة، والإسكندريَّة. ونظم رواد الجثالقة والبَطَارِكَة والمَفَارِنَة الحياةَ الدّينِيَّة فِيهَا:

جثالقة كَنِيسَة المشرق (المدائن) بَيْنَ 41-100هـ/ 661- 719م

- مار جيورجيس[1] الأول (41- 60هـ/ 661-680م) الجاثليق التّاسع والثّلاثون، كَانَ مطران أربيل، خلف أيشوعياب الثّالثّ استاذه، وَفِي عهده أعلن بيت قطرايا استقلاله الرّسمي عَنْ ريو أردشير، وبذلك أصبحت بيت قطرايا كمنطقة كنسية مستقلة، أي أَنَّهُ سيكون لها كبير للأَسَاقِفَة، وَقَدْ تمادى أَسَاقِفَة بيت قطرايا إِلَى أبعد من ذَلِكَ، عندما اتفقوا عَلَى تسمية الأُسْقُف «توماس» (أَوْ توما) مطران بيت قطرايا، وبذلك لَمْ يبقَ أمام الجاثليق جورجيس إِلَّا الانصياع لمطالب بيت قطرايا وإعطائهم الاستقلال بصورة رسمية، وَذَلِكَ فِي مجمع عام 676م الَّذِي عقد برئاسة جيورجيس فِي دَيرَين (البحرين)[2].

- مار يوحنا الاول (61- 64هـ/ 681-684) المعروف بـ "ابن مارتا"[3]، الجاثليق الأربعون: من أهل الأهواز، كَانَ مطرانا فِي جنديسابور، وعُقِدَتْ لَهُ الفطركةُ فِي

1 - ولد فِي كفري (كفرا) بَيْنَ بغداد وكركوك. توما المرجي: **كتاب الرّؤساء**، ص76-83.

2 - حسين مُحَمَّد حسين:" البحرين فِي القَرْن السّابع (5): استقلال بيت قطرايا"، سهيل قاشا: **احوال النّصارى فِي خلافة بني أمية** 2/332- 344.

3 - ماري: **بطاركة المشرق**، ص63.

المدائن بعد تنيّح جيورجيس، وَلَمْ يأْتِ باعمالٍ تُذْكَرُ، لِقِصَرِ مُدّتِهِ، وانشغالِه بمُلازمَةِ المَرَضِ[1].

ترك موته المفاجئ فراغا فِي كرسي الجاثليق، فنزى عَلَيْهِ مطران البصرة ايشوعياب بمساعدة عبد الله بن مطيع[2]، ودون انتخاب وترسيم الآباء، وَفِي ظل سيطرة المختار الثّقفي عَلَى الكوفة سنة 66هـ/ 686م، أُلقِيَ المطران فِي السّجن، وسمح للآباء فِي انتخاب الرّئيس؛ فاختاروا خنانيشوع فِي المدائن [3].

- مار خنانيشوع الاول (الاعرج) (67- 81هـ/ 686- 700م) الجاثليق الواحد والاربعون: كَانَ عالما مشهورا بالفضل وتدوين الكتب، وَلَمَّا عقدت لَهُ الفطركة ظهر لَهُ خصوم استغلوا التّغيرات السّيَاسِيَّة[4] حَتَّى انبسطَ الأمرُ لعبد الملك، فقصدَه "يوحنَّا الأبْرَص" وأقام عَلَى بابه أربع سنين يبذل الأموال، فكتب عبد الملك إلَى ابنه بِشْر، المقيم بالكوفة: إنَّ نَصَارَى مملكتنا اختاروا يوحنَّا، وَقَدْ سلطناه وأطلقناه لَهُ؛ ليتسلم من حنانيوشع الَّذِي نصَّبه المختار ومصعب المخالفان عَلَيْنَا.

فأحضر بشر بن عبد الملك الجاثليق وأخذ بيرونه وعكازه وسلمه إلَى يوحنا، وأخرجه خازيا. وَلَمَّا لَمْ يعترف النَّصَارَى ليوحنا بالرّئاسة، إذ كَادَ لـ"حنانيوشع" وقبض عَلَيْهِ بمعاونة السّلطان، ونفي إلَى جبل بالصّامغان، غير أنَّ حنانيوشع

1 - ابن العبري: **التاريخ الْكَنَسِيّ**، ص134؛ قاشا: **احوال النّصارى فِي خلافة بني أمية** 345/2.

2 - العدوي: والي الكوفة لابن الزبير، أخرجه عَنْهَا المختار بن عبيد سنة 66هـ. ابن قتيبة: **المعارف** 1/ 356.

3 - ماري: م. س، ص63.

4 - فِي مقتل المختار عَلَى يد مصعب بن الزبير، ثُمّ مقتل مصعب عَلَى يد عبد الملك، الَّذِي دخل الكوفة، وبايع لَهُ أهلها. ابن قتيبة: **المعارف** 1/ 356؛ الطبري: **تاريخ الرّسل** 93/6.

واصلَ إِدَارَةَ الجثلقةِ وإِسَامَاته للمطارِنَةِ مِن نصِيبينَ لسبعِ سنينَ حَتَّى تُوفِيَ، وَكَانَتْ مدته أربعة عشر سنة وتسعة أشهر[1].

- مار يوحنا الثّاني (81- 95هـ/ 700-714م) الجاثليق الثّاني والاربعون: ذكرنا كَيْفَ إِسْتَوْلَى عَلَى كرسِيّ الجَثْلَقَةِ، وبَعْدَئِذْ تُوُفِيَ بِشْرُ بن عبد الملك، تَقَلَّدَ الحَجَّاجُ العِرَاق سنةَ 79هـ/698م[2]، وطالبَ يوحنَّا الأَبْرَص بِمَا ضَمِنَهُ، ولَزَّهُ (شَدَّهُ)، وحَبَسَهُ، وجماعةً من الأَسَاقِفَة، حَتَّى أُضْطُرَّ إِلَى بَيْعِ آلاتِ البيعِ، ثُمَّ هَرَبَ إِلَى قريةٍ من سوادِ الكوفةِ، وتُوفِيَ بِهَا، ومُدَّةُ تَغَلّبِهِ سنةٌ وعشرةُ أشهر. وَكَانَ الحَجّاجُ قَدْ منعَ مِن تنصيبِ جاثليقٍ، وبقيتْ البيعةُ بالمدائنِ، وما يَلِيهَا مِن أَعْمَالِ الحَجّاج عشرينَ سنةً بِلَا جَاثليق[3].

- مار صليبا زخا (95- 110هـ/ 714-728)[4] الجاثليق الثّالثّ والاربعون: جعله حنانيوشع أُسْقُفا عَلَى الأنبار، ثُمّ أسامه مطرانا عَلَى الموصل وحزّة، ووقع الاِجْتِمَاعِ عَلَيْهِ وأسيم جاثليقا بامر يزيد بن عقيل[5]، المقلد مكان الحَجّاج[6]، فجدد الرّسوم وبناء البيع، وبعد تقلد يزيد بن عبد الملك (101- 105هـ/ 719-

1 - ماري: م. س، ص63- 64.

2 - خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص 279.

3 - ماري: **بطاركة المشرق**، ص64- 65.

4 - توما أسقف المرج: **كتاب الرّؤساء**، ص95- 96.

5 - السّلمي، من أهل دمشق: والي قِنَّسْرينوالجزيرة لسليمان ين عبد الملك، ولم يزل فِيهَا إِلَى أن توفي عمر بن عبد العزيز. ابن شداد: **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشّام والجزيرة**، ص 114.

6 - مات الحجاج سنة 95هـ، وَفِيهَا ولي الوليد بن عبد الملك يزيد بن أبي كبشة عَلَى الحرب والصّلاة بالمصرين: الكوفة والبصرة. الطبري: **تاريخ** 6/ 493؛ خليفة بن خياط: **تاريخ**، ص310؛ ابن قتيبة: **المعارف** 359.

723م) تحسّن التّعامل مَعَ الْمَسِيحِيِّينَ، إِذْ رد النَّصَارَى إِلَى خدمته وأكرمهم، وتوفي فِي خِلَافَة هشام فِي المدائن[1].

مفريانيّة تكريت السّريان المنوفستيين[2]

- بَرْيشوع (49-64هـ/ 669-684م) [3]: رقّاه إِلَى المفريانيّة عام 669 البِطْرِيك سويرا الثّاني (668-680) وَذَلِكَ بعد عشر سنوات لفراغ الكرسي المفرياني. وساس المفريان بريشوع أبرشيته بغيرة ونشاط، وأسّس فِي تكريت كَنِيسَة مستطرفة عَلَى اسم الشّهيدين سرجيس و باخس، ولقي ربّه فِي 17/ كانون الأول/ 684، وخدم خمس عشرة سنة ودُفن فِي ضريح سالفيهِ.

- **إِبْرَاهِيم الثّاني (64-65هـ/ 684-685م)**[4]: نصبه مفرياناً البِطْرِيك أثناسيوسالثّاني (884-688) وما لبث أن عاجلتهُ المنية، ولُحِد فِي ضريح أسلافه.

- **داود الأول (65-66هـ/ 685-686م)**[5]: لَمَّا توفي إِبْرَاهِيم الثّاني التّأم أَسَاقِفَة المشرق حالاً، ورسموا داود الأول مفرياناً قَبْلَ أن ينصَّب بِطْرِيك جديد. وبعد ستة أشهر انطلق المفريان فِي قوم من أساقفته إِلَى ديار بكر؛ لانتخابالبِطْرِيك يوليان الثّالثّ (688-709) وَهُنَاكَ توفي المفريان. وظلّ الكرسي فارغاً مدة ست سنوات.

---

1 - ماري: م. س، ص 65.

2 - قاشا: **احوال النّصارى فِي خلافة بني أمية**،363/2- 387.

3 - اسحق أرملة الخوري السّرياني، القس: **أنباء الزمان فِي جثالقة المشرق ومفارنة السّريان**،(بيروت، 1920) رقم 36، ص24- 25، "جثالقة المشرق ومفارنة السّريان".

4 - أرملة، الخوري: **أنباء الزمان فِي جثالقة المشرق ومفارنة السّ**ريان، رقم 37، ص25، "جثالقة المشرق ومفارنة السّريان"، رقم 37 *موقع أَبرَشِيَّة حلب للسريان الكاثوليك*.

5 - أرملة، الخوري: م.ن، رقم 38، ص25، جثالقة المشرق، رقم 38

- **يوحنا الأول (66- 68هـ/ 686-688م)**[1]: هُوَ رئيس دير مار متى، نصبهُ مفريناً ستّة من الأَسَاقِفَة فِي تكريت سنة 686، وخدم سنةً وستة أشهر، ورسم ثلاثة أَسَاقِفَة، واخترمته المنيَّة يوم الاثنين 14/كانون الثّاني/688، ودُفن فِي كَنِيسَة سرجيس وباخس بتكريت.

- **دنحا الثّاني (68- 110هـ/ 688-728م)**[2]: نصبه أَسَاقِفَة المشرق مفريناً فِي 13/آذار/688، دُونَ استشارة البِطْرِيَرك يوليان الثّالثّ، وعلى رغمهِ، لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ أوفد إِلَيْهِمْ مطراناً إجابةً إِلَى طلب بعض الرّهبان، وظلّوا ممتعضين عَلَيْهِ حَتَّى كتب لَهُمْ فِي الصّلْح، فرفضوا ذَلِكَ زماناً، ثُمَّ توجّه إِلَيْهِ المفريان فِي بعض الأَسَاقِفَة، فثبطهُ البِطْرِيَرك ايليا الأول (709-723)، هادن المفريان دنحا، واستصحبهُ إِلَى تكريت وصالحهُ مَعَ الجماعة. واستغرقت مفريانيّة دنحا أربعين سنة، وحلّت وفاته فِي 19/تشرين الأول/728، ولحد فِي الكَنِيسَة الجديدة الَّتِي شادها فِي تكريت عَلَى اسم آحو دامه رأس المفارنة.

البَطَارِكَة السّريان الأَرثوذكس فِي أَنْطَاكِيَة[3]:

- البِطْرِيَك ثيودور (38- 47هـ/ 649-667م)

- البِطْرِيَك سيوريوس الثّاني ابن مسكى (47-61هـ/ 667-681م)

- البِطْرِيَك أثناسيوس الثّاني (63- 66هـ/ 683-686م)

- البِطْرِيَك يوليان الثّاني (66-89هـ/ 686-708م)

- البِطْرِيَك إيليا الأول (90- 102هـ/ 709-723م)

---

1 - أرملة، الخوري: م. ن، رقم 39، ص25، جثالقة المشرق، رقم 39 .

2 - أرملة، الخوري: م. ن، رقم 40، ص26، جثالقة المشرق، رقم 40.

3 - ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (بطاركة).

الكَنِيسَة المَلَكِيّة وبِطْرِيكيَّة القُدس

أَمّا **الكَنِيسَة المَلَكِيّة** فظَلّتْ- منذ بداية العصر الأُمَوِيّ- فِي فراغ؛ لِأَنَّهَا محسوبة فِي انتما
ابتداء من عام87هـ- 706م، وبِطْرِيَرك الإسكندريَّة ابتداء من عام109هـ/ 727م، وبِطْرِيَرك أَنْطَاكِيَةَ ابتداء من عام 129هـ/ 742م[1].

وَكَانَتْ **بِطْرِيكية أورشليم القدس** قد توقفَت عن تسمية البَطَارِكَة فِيها بَيْنَ (36-86هـ/ 656- 705م)، الى أَنْ سُمِّيَ - يوحنا (86هـ/ 705م)[2].

الكَنِيسَة القبطيَّة

- **أنبا أغاثون** (أغاثو)- البِطْرِيَك التّاسع والثّلاثون، (38- 57هـ/ 659-677م)[3]، وَكَانَ قَدْ تضايق من تصرفات ثيودوسيوس من الخلقيدونيين، الَّذِي مضى إِلَى دِمَشْقَ، وقدم رشوة إِلَى يزيد بن معاوية، وأخذ مِنْهُ أمرا يتسلط بِهِ عَلَى شعب الإسكندريَّة وَكَنَائِسها، وسعى إِلَى مضايقة البابا أغاثو، وأخذ مِنْهُ 36 دينارا جزيةً كُلَّ سنة عَنْ تلاميذه، وقَرَّرَ عَلَيْهِ دَفْعَ كُلِّ مَا ينفقه عَلَى النّواتية فِي الإسطول، ثُمَّ منع البابا من الخروج من باب قلايته، وَكَانَ غرضه أَنْ يكونَ بِطْرِيكًا عوضَه[4].

---

1 - الأرشمندريت اغناطيوس ديك: "ثاوذورس أَبُو قره أسقف حران الملكي جسر بَيْنَ الحضارات والأديان فِي بلاد الشّام والرّافدين، فِي العصر العباسي"، *موقع كنيسة القديسة تريزا- حلب*.

2 - الدبس: **تاريخ سوريا** 70/5.

3 - ذكرناه فِي فصل المسيحيّة فِي العصر الرّاشدي-الكنيسة القبطية.

4 - ساويرس ابن المقفع: **تاريخ البطاركة - تاريخ مصر**، 6/2؛ القمص: **تاريخ الكنيسة القبطية** ص281- 383.

- **يوحنا الثّالث**: البِطْرِيَك الأربعون، انتخب لكرسي البِطْرِيَكية فِي أَوَّلِ كيهك[1] سنة 677م، فِي عَهْدِ معاوية بن أبي سفيان...، وَكَانَ قَدْ مرت عَلَيْهِ أيام صعبة، إِذْ أوذي بسبب وشاية بعض الخلقيدونيين إِلَى الوالي سعيد بن يزيد[2] الَّذِي فرض عَلَيْهِ مبالغ من المال لا قِبَلَ لَهُ عَلَيْهَا، وَكَانَتْ معظم الكَنَائِس الأَرْثُوذَكْسِيَّة فِي الإسكندريَّة فِي يد الملكيين... فَلَمَّا استولى عبد العزيز عَلَى مِصْرَ[3]، اتخذ لَهُ كاتبين أرثوذكسيين، وهما اثناسيوس واسحاق، فكتب البِطْرِيَك إِلَيْهِمَا يعرفهما حال الكَنَائِس، وَكَيْفَ هِيَ بيد الخلقيدونيين، الَّذِينَ لقلَّة عددهم لَمْ يكونوا يشغلونها... واستخدم هذان الكاتبان نفوذهما، وأرسلا رسلًا إِلَى الإسكندريَّة، كلفاهم فتحَ الكَنَائِس، وتسليمها جميعا للبِطْرِيَق القبطِيَّ. عَلَى أَنَّ الشّعب والفقراء قَدْ وجدوا فِي عصره الرّخاء، وَفِي رعايته بنيت بيعة مار مرقس الإِنْجِيلي[4].

- **إسحاق**[5]: البِطْرِيَك الحادي والأربعون، فِي سنة (66هـ- 686م) أُجْلِسَ عَلَى الكرسي بموافقة الوالي عبد العزيز بن مروان، وَكَانَ قَدْ أقام بيعة القديس مرقس

---

1 - الشّهر الرّابع من أشهر القبط، كيهك أَوْ كيَاك(11/10 ديسمبر12= 28/ محرم 1/ 58هـ. والأشهر القبطية: 1- توت(12/11 سبتمبر9)؛ 2- بابة(11/10 أكتوبر10)؛ 3- هاتور(11/10 نوفمبر11)؛ 4- كيهك أَوْ كيَاك(11/10 ديسمبر12)؛ 5- طوبة(10/9 يناير1)؛ 6- أمشير(9/8 فبراير2)؛ 7- برمهات (11/10 مارس3)؛ 8- برمودة(9 أبريل4)؛ 9- بشنس(9 مايو5)؛ 10- بؤونة (8يونيو6)؛ 11- أبيب(8 يوليو7)؛ 12- مسره (مسرى)7 أغسطس8. الموسوعة الحرة ويكيبيديا (شهور القبط).

2 - ابن علقمة بن يزيد بن عوف الأزدي، ولّي مصر ليزيد بن معاوية (رمضان 62- شعبان 64هـ/ مايو (آيار) 682- أبريل (نيسان)684م). زامباور: **معجم الانساب والاسرات الحاكمة**، ص38

3 - عبد العزيز بن مروان، استولى لاخيه عبد الملك فِي (رجب 65- جمادي الأخرة 84هـ/فبراير (شباط)685- يوليو (تموز) 703م). زامباور: م. ن، ص38

4 - ساويرس ابن المقفع: **تاريخ البطاركة - تاريخ مصر**،16/2 وبعدها؛ القمص: **تاريخ الكنيسة القبطية**، ص 383.

5 - ترجمته: ساويرس ابن المقفع: م. ن،42/2 وبعدها؛ القمص: م.ن. ص386-389؛ **الموسوعة**

الكبيرة، وعلى يديه تجدَّدت كَنَائِس عديدة، وبنى بيعة بحلوان بموافقة الوالي الَّذِي بنى قصرا، وأمر أراخنة الصّعيد وسائر الأقاليم، بأنْ يبني كُلُّ واحدٍ مِنْهُمْ لنفسه مكانًا بحلوان. توفيَ فِي التّاسع من هاتور[1] لسنة 689.

- **سيمون الأول**[2]: البِطْرِيَك الثّاني والأربعون، وَهُوَ سُرْيانِيّ من أهل الشّرق، قدم عَلَى الكرسي فِي بيعة الإِنْجِيليين فِي شهر كيهك سنة 689م[3]، أجاز لَهُ الوالي ببناء بيعتين بحلوان، وتوفي فِي الرّابع والعشرين من أبيب[4] سنة 700م.

- **الاكسندروس الثّاني**: البِطْرِيَك الثّالثّ والأربعون، أقيم بِطْرِيَكا فِي برمودة[5] سنة 703م، بعدما خلا الكرسي إثر وفاة سيمون ثلاث سنين، وأدارَ أعمال الكَنِيسَة - بإذن الوالي- الأنباغريغوريوس، وأكثر مَا عانى البِطْرِيَك من طريق الجور الَّذِي انتهجه الوالي عبد الله بن عبد الملك[6]، من حبس وتغريم البِطْرِيَك ثلاثة آلاف دينار، وتبعه عَلَى تكرار هَذِهِ الغرامة مرتين الوالي "قُرَّة العَبْسِي"[7]،

القبطية الشّاملة (إسحق أَوْ(إيساك).

1 - الثّالثّ من أشهر القبط، هاتور (11/10 نوفمبر) = 11/20، وتوافق 19/ جمادي الأولى5/ 70هـ.

2 - ساويرس ابن المقفع: م. س، 53/2 وبعدها؛ القمص: م. س. ص 389- 395؛ **الموسوعة القبطية الشّاملة** (سيمون).

3 - الرّابع من أشهر القبط، كيهك أَوْ كياك (11/10 ديسمبر/كانون أول)؛ الموافق جمادي الآخرة 6/ 70هـ

4 - أبيب: الشّهر الحادي عشر من السّنة القبطية، ويقابله (8 يوليو/ تموز) = 700/8/2م، ويوافق 29/ جمادى الأولى 81/5هـ.

5 - الثّامن من أشهر القبط، برموده: (9 أبريل/نيسان) فِي المِيلادِيّة، و ربيع الاول (3) لسنة 84 هـ.

6 - ولايته (11/ جمادى الأُخْرَى 84/6- 12/ ربيع أول 3/ 90هـ = 703/7/13- 2/9/ 709م). زامباور: **الاسرات الحاكمة**، ص 38.

7 - قُرَّة بن شريك بن مرثد بن الحارث بن حبش العبسي (13/ ربيع أول 3/ 90هـ - مسنهل/ ربيع

فَضْلًا عَنْ" أنَّ البِطْرِيَكيَّة قَدْ أحيطت من كُلِّ جانب بالجنود، فقبضوا عَلَيْهِ وعلى أصحابه، وطرحوه إلَى الأرض، وعوقبوا حَتَّى سالتّ دماؤهم وكادوا يموتون"[1]. وَلَمَّا تولي "حَنْظَلَة بن صفوان"[2] (102هـ/721م[3]) أراد أن يسِمَ أيدي النَّصَارَى بصورة أسد، وقبض عَلَى البِطْرِيَك لِيَسِمَهُ، فامتنع، وتوفي فِي محنته في2 أمْشِير[4] سنة 726م[5].

من أجل تقويم المرحلة، بعيدا عن مؤرخي الدولة، نتجلّى في اليوميات التي كتبت بأقلام قبطيّة، ذات طابع ديني، نقف على نصوص لـ"ساويرس ابن المقفع" (302-377هـ/915-987م) الذي ينفرد عَنْ مُؤَرِّخي مِصْرَ إبّانَ الحكم الأُمَوِيّ، فِيمَا يَخُصُ الكَنِيسَةَ والأَقْبَاطَ، وموقفَهم مِن السّلطةِ، فِي أمورٍ، مِنْهَا:

- لَمْ تَكُنْ للسلطة الإِسْلَاميّةِ سياسةٌ ثابتةٌ فِي بناءِ الكَنَائِسِ والأَدْيِرَةِ، فتارةً تسمحُ ببنائِها، وَأُخْرَى تَمْنَعُهُمْ حَتَّى مِن إصْلاحِ الكَنَائِسِ القديمةِ.

- أَنَّهُ يُرْجِعُ تناقصَ الْمَسِيحِيّينَ فِي مِصْرَ عَلَى نحوٍ مُضْطَرِدٍ، وتحوُّلَهم إلَى الإِسْلَام، بسببِ الظّروفِ الاقتصاديّةِ، المُتَمَثِّلةِ فِي الجِزْيَةِ والخراجِ، والتّعسفِ فِي جبايتِها، كَمَا فِي ولاية أسامة بن زيد التّنوخي خراجَ مِصْرَ فِي خِلَافَة سليمان بن عبد الملك.

أول 3/ 96 هـ = 10 /2/ 709- آخر/ نوفمبر (تشرين ثاني)/714م). زامباور: م. ن. ص 38.

1 - القمص: **تاريخ الكنيسة القبطية**، ص411.

2 - ولي ليزيد [الثّاني] بن عبد الملك (101-105هـ/ 720- 724م).

3 - أورد القمص(م.س، ص 412) تولية حنظلة سنة 703م، وَهُوَ خطأ، والصّواب ما أثبتناه. انظر: زامباور: م. س. ص 38.

4 - السّادس من أشهر القبط: أمشير (9/8 فبراير/ شباط)= 20/ رمضان 9/ 107هـ.

5 - ساويرس ابن المقفع: م.س،103/2 وبعدها، القمص: م. س. ص412-413؛ الموسوعة القبطية الشّاملة (الكسندروس).

- أَنَّهُ يكشف عَنْ حركة هروب من الأرض والفلاحة، للتخلُّص من الْجِزْيَة والضَّرائب المفروضة، وحفاظا عَلَى دينهم، بِخَاصَّةٍ فِي ولاية "قرّة بن شريك"، الَّذِي تشدد فِي قمع الحركة والقضاء عَلَيْهَا. وعليه عُمِلَتْ سِجِلّاتٌ للأهالي "البطاقة الشَّخْصِيَّة"، تنظِّمُ حركةَ الأَقْبَاطِ وتنقُّلَاتِهم.

- كَانَتْ الأَدْيِرَة والرّهبان معفيّين من الضَّرائب حَتَّى تولية "عبد العزيز بن مروان" مِصْرَ، الذي أمر باحصاء الرّهبان وفرض الْجِزْيَة عَلَيْهِمْ، وألزم الأَسَاقِفَة بالضَّرائب السّنوية، فَضْلًا عَنْ خراج أوقاف الأَدْيِرَة والكَنَائِس. وَهَذَا مَا كَانَ يولد كراهيّة عندَ الرّهبان تجاه السّلطة الإِسْلَاميّة.

- بسبب عدم كفاية الجهاز الإِدَارَي الإِسْلَاميّ، تمكن بعض الأَقْبَاطِ من أنْ يتقلدوا وظائف عُليا، كتَّابا ووزراءَ، وازداد نفوذهم، مِمَّا أدّى إِلَى شكوى الْمُسْلِمِينَ، واحتجاج فقهاء الدّين، الأمر الَّذِي دعا الخليفة عمر بن عبد العزيز إِلَى ان يأمر بعزل أهل الذِّمَّة من مناصب الدّولة المُهِمَّة[1].

- تكلم عَنْ ارقام ضريبية كبيرة، نحوَ: خراجِ الإسكندريَّةِ كُلَّ يومٍ ألفِ دينارٍ عَيْنًا، لِتُدْفَعَ إِلَى إِمْبِرَاطُورِ بِيزَنْطَةَ لمدةِ عشرِ سنينَ، بحَسَبِ الهُدْنَةِ مع عبد الملك. وأحيانًا تكونُ الضَّرائبُ وِفْقَ مِزَاجِ الوالِي، مثلا: إنَّ الوالي عبد العزيز بن مروان حِينَ زار الإسكندريَّة أحضر الطّوباني "أنبا يوحنا" إِلَى الإيوان عَنْوَةً، وأغلظ لَهُ فِي الكَلامِ، لِأَنَّهُ لَمْ يأت لالقاء التّحية عَلَيْهِ، وسلمه لمترسّمين إِلَى ان يقوم بدفع مائة ألف دينار، أَوْ يعذب ويهان بشدة[2].

وَفِي لحظة غضب أُخْرَى، يأمر "عبد العزيز" بكسر جميع الصّلبان فِي كورة مِصْرَ حَتَّى صلبان الذّهب والفضة، وكتب رقعا عَلَى ابواب البِيَع فِيهَا " مُحَمَّد

1 - ساويرس ابن المقفع: **تاريخ البطاركة - تاريخ مصر**، 2/6-14.

2 - ساويرس: م.ن2/ 14- 36.

الرّسول الكبير الَّذِي لله، وعيسى -أَيْضًا- رسول الله، وأن الله لَمْ يلد وَلَمْ يولد"[1]. وثالثّة يأمر عبد الملك واليه أن يضرب القديس "آبا سيمون" مائتي سوط، ويؤخذ مِنْهُ مائة ألف دينار، ويحمل إلَى الخليفة؛ إِذَا ثبت أَنَّهُ ارسل رسائل بتولِيةِ قسٍ فِي أُسْقُفية الهند[2].

انكفاء الْمَسِيحِيَّة:

خلصت الباحثة "بلحاج"[3] إلَى أن الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة بعد مرور أربعة قرون فِي ظل الإِسْلَام، ستزول بشكل تلقائي، بسبب الموت الطّبيعي والأسلمة التّلقائية وانفتاح الْمَسِيحِيِّينَ الْعَرَب عَلَى الْمُسْلِمِينَ ومصادقتهم ومصاهرتهم.

يبدو أنَّ القولَ بزَوَالِ الْمَسِيحِيَّةِ كَانَ محضَ مُقَارَبَةٍ، تَفْتَقِرُ إلَى الدّليلِ العقلِيّ والتّاريخيّ؛ فقد واجهتْ الْمَسِيحِيَّةُ العربيَّةُ ضَغْطًا مضافًا إلَى مرتكزاتِ الفكرِ الدّينِيّ، والصراعِ المذْهبِيّ، في معاييرَ ناظمةٍ للفضاءِ الدينِيّ في مجتمعِ الدولةِ الجديدةِ، تَتَحَصّلُ في أنَّ الإِسْلَامَ خاتِمُ الأَدْيَانِ، وآخِرُ مَا ارتَضاهُ اللهُ للناسِ (المائدة 3)، والمِلّةُ النّاجِيَةُ، وَلَنْ يُقْبَلَ غيرُه دِينًا فِي الآخرةِ (آل عمران85)، فَضْلًا عَنْ الشّعورِ بالامْتِهَانِ النَّفْسِيّ والاجْتِمَاعِيّ مِن تشريع الْجِزْيَةِ، عَلَى نحوٍ أنِفَهُ بعضُ القَبَائِلِ الْمَسِيحِيَّةِ الْعَرَبِيّةِ، وعَلَى الرَّغْمِ مِنْ مشاركتهم في الحياة الاجْتِمَاعِية، واجهتهم عقباتٌ، مِنْها: ندرة قبولِهم فِي وظائفِ الدّولةِ الّتِي أضْحَتْ رِبْقَتُهَا بِيَدِ الْمُسْلِمِينَ.

عَلَى أَنَّ تعسف بعضِ الخلفاءِ والولاةِ، وتَعَنّتِهم فِي إضطهاد الرعية، ولاسيما غير المسلمين، وإمْتِهَانِ الْمَسِيحِيِّينَ، أمثال: الوليد، والحجاج، في العصر

1- ساويرس: م. ن 2/49- 50.

2 - م. ن. 2/ 75-86.

3 - سلوى بلحاج: **المسيحيّة العَرَبِيّة وتطوراتها**، ص216 وبعدها.

الأمويّ، والمهدي، والمتوكل في العصر العباسيّ؛ ومن سارَ في ركابهم من المُشْتَرِعَةِ والفقهاء، الذين وضعوا فتاواهم في خدمة استبداد الحاكمين، في مجتمع يُقَدِّسُ دينَ السلطان، نتج عنه أنَّ الأقلياتِ الدينيَّةَ أَمْسَتْ تعاني من ظاهرة الخوف، وأنَّ المسيحيَّةَ العربية باتت على شكل مجموعات تدجَّنتْ على غريزة الحماية في ظل أنظمة مستبدة[1]. فكانوا، أمام الضَّغوطات السِّيَاسِيَّة والإِدَارَية والاِجْتِمَاعِيَّة، إما أنْ يدخلوا في الإسلام، وإما أنْ يحفظوا دينهم ويرحلوا باتجاه الجبال، لتكونَ مُسْتَقَرًّا ومَأْمَنًا لَهُمْ، كَمَا هُمْ عَلَيْهِ الموارنة فِي لبنان، والسّريانُ الكِلْدَانُ والآشوريُّون فِي العِرَاق.

لما كان للغزوات المغوليّة المتكررة للشّرق العربيّ الإسلامي، لَهُ أثرٌ سلبيٌّ على الشعوب القاطنة فيها، ولا سيما عَلَى الْمَسِيحِيَّة، وَبِخَاصَّةٍ غزو تيمورلنك واضطهادِه سنة (782هـ/ 1380م) كَانَ لَهُ أسوأ الأثر فِي الكَنِيسَة النَّسْطُورِيّة، وكاد يعدمها، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا فِي العِرَاق وايران وسوريا الا جماعات قليلة[2]. وَهَذَا دليل عَلَى استمرارهم إلَى عصور متأخرة.

أَمَّا القولُ فِي بقيةِ الْمَسِيحِيّينَ "هُمْ متعرَبون فِي الأساس"[3] فيحتاج إلَى دليل فِي تاريخ الانساب، وَحَتَّى الدّليل النّسبي من الصّعوبة بمكان توثيقه وقبوله، فإن مثلهم كمثل الفرس والرّوم الَّذِينَ دخلوا فِي موالاة القَبَائِل فِي العِرَاق، ومثل القَبَائِل الْعَرَبِيّة الَّتِي قطنت بلاد فَارِس، ومنهم العلويّون، مذ زمن الْفُتُوح، وزمن الدّولة الأُمَوِيّة فِي خراسان وغيرها، اين موقعهم من الْعَرَبِيّة والنّسب الْعَرَبِيّ بعد بضعة قرون. كَمَا ويُلحظ أنَّ الإِخْبَارِيّين يطلقون عَلَى قَبَائِل "الْعَرَب الْمُتَنَصِّرَة" أَوْ

1- انظر: انطوان مسرة، "العلاقات الإسلامية المسيحية في السياسات الدولية"، *جريدة النهار*، الأحد 27/ كانون الثاني/2013 .

2 - قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبِيّة**، ص30.

3 - سلوى بلحاج: "حوارات من تونس"، حاورها: نبيل درغوث، *موقع اللادينيين العرب*، 17/ مارس/ 2009.

عَلَى أكثرها "الْعَرَب المستعربة"، وَهُمْ لا يقصدون بِذَلِكَ نسبها، لأنّ مِنْ بَيْنِهَا - كَمَا نعلم- مَنْ هُوَ مِنْ أَصْلٍ قحطانيٍّ بحَسَبِ مذهبِ أهلِ الأنسابِ. وإنَّمَا يريدون من هَذَا المصطلح القبائل الَّتِي سكنت بلاد الشّام، وَالعِرَاق من حدود نهر الفرات إلَى بادية الشّام، فَهُوَ يشمل إذًا القَبَائِل النّازلة عَلَى طرفي الهلال الخصيب وَفِي طرفي القوس الَّتِي تحيط بحدود الإمْبِرَاطُوريتين، وَبِخَاصَّةٍ تِلْكَ القَبَائِل الَّتِي دانت بالنّصْرَانِيَّة وتأثرت بثقافة الآراميين وبلهجتهم، وَذَلِكَ لظهور هَذَا الأثر فِيهَا، وعلى لهجتها خَاصَّة، مِمَّا حدا بعلماء اللُغَة أن يتحرجوا فِي الاستشهاد بشعرها فِي قواعد اللُغَة[1].

نخلص الى أنّ منهاج الإسلام النبوي ظلَّ شاخصا في سيرة عدد من الصحابة، إبّان مهمات خطيرة تمفصلت خلال إدارة البلدان وقيادة الجيش، إثر تمدد الإحتكاك مع الآخر الديني، ولاسيَّما المَسِيحِيّينَ، في تبيان التعامل الإيجابيّ معهم. وقد مرَّ على ملاحظنا أبو عُبَيْدَة بن الجراح في فتح دمشق يمشي والرهبان حوله بصلبانهم ونواقيسهم، وكيف أنَّه استرجع لهم أموال الجزية؛ لأنَّه قدَّر عدم تمكُّنهِ من توفير الحماية لهم. وبنى عمرو بن العاص علاقات طيبة مع آباء الكنيسة اليعقوبية في مصر، ودعاهم لبناء كنائس في الفسطاط الممصَّرة. وتفصح سيرة الخليفة عمر والإمام علي عن أنَّهما كانا يساعدان فقراء المَسِيحِيّينَ، ويكتبان للشيوخ والضعفاء العطاء من بيت المال.

لا شك أنّ تواشج المصالح الإسلامية المسيحية، وأنّ جملة ما قدَّمه الأسلام التاريخيّ في إعمال الخير وصنيعه مع الآخر الديني، أفرز على الأمد الآني تضامن القبائل العربية المسيحيّة مع الجيش العربي الإسلامي في العِرَاق وبلاد الشام. لعل أبرز ما يغنينا من شاهد في المقام، إن شابًّا مسيحيا يقتل القائد

1 - علي، جواد: **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب** 12/ 175.

الفارسي في القادسية. وتعاظم تفاعل المسيحيين، على نحو يعبّر عن حجم وجودهم، في تدعيم أسس الدولة الإسلامية الاداريّة والاقتصاديّة، وتوطيد أركان الخلافة الأموية، ومن أبرز اسهاماتهم، أنَّهم كانت لهم اليد الطولى في إنشاء الأسطول الذي منح العرب تفوقا في البحر ثلاثة قرون[1]. ويبقى هذا التفاعل- على الأمد البعيد- رفدا في رحاب الإنسانية، تستظل به في بناء علاقات سويَّة قائمة على قيم العرف التي لا تضيع بين الله والناس.

وعلى الشاطئ الآخر من الإسلام التاريخي تتمظهر إدارة شديدة وأعمال تتسم بالقسوة ضد الآخر الديني والإثني، ففي الجانب العسكري تطفق أعمال خالد بن الوليد في "أليس" الفرات وقتل أهلها المَسيحِيّينَ، وإدامة القتل في أهل "عين التمر"، من الفرس وغيرهم، وسبي نسائهم وأطفالهم، وإرسالها مع الغنائم الطائلة الى عاصمة الخلافة. ومثلها دخول دمشق بحَدِّ السيفِ وجَلَبَةِ الخَيلِ، وفي المقابل كان -ثمَّة- دخول بقوة الكلمة وحسن الجدال.

في الجانب الإداري يأتي إجلاء الخليفة للمَسيحِيّينَ من نَجْرَان موطنِهم الأصليّ، بعد أنْ ثبَّتهم التاريخُ النبوي بعهد صريح، يمنع أيَّ تجاوز على حقوقهم الدينية والدنيوية. يسجل تحويل الكنائس الى مساجد خرقا للقيم الدينية، واضطهادا في حفريات الوعي التاريخي المسيحيّ، ويعظم أثره مع حجم فاعليته وقيمته العبادية، فان اقتسام كنيسة دمشق الكبرى، وتحويله الى جامع، ومن ثم في زمن الوليد بن عبد الملك أجْبَرَ المَسيحِيّينَ على تركِ الكنيسةِ وهدمِها وضمِّها الى الجامع[2]، فضلًا عمّا اجترحَهُ الولاة في العِرَاق ومصر من تعنيفٍ للمَسيحِيّينَ ورموزهم الدينية.

---

1 - سركيس أبو زيد: **المسيحية في إيران**، ص 118.

2 - ظل هذا المشهد يتكرر في الأندلس (أسبانيا) في قرطبة وطليطلة، وفي تركيا (القسطنطينية) كنيسة آياصوفيا.

تُشَكِلُ السلوكياتُ السياسيَّة المعبَّأة بالدافعِ الديني ثلمةً كبيرة في خارطة العلاقات الاسلاميّة المسيحيّة، إذ أثارت جدلًا واسعًا عبر التاريخ، تكشف خلاله المتغيرات التاريخيَّة والفكريَّة بأنَّ الإسلَام التّاريخيّ، ليس هُوَ نَفْسُهُ الإِسْلَام النّبَوِيّ أَوْ القرآنِيَّ، بل إنَّه أتخَذَ نَمَطِيَّةَ قائمة عَلَى مصالحِ الذّاتِ التاريخيّة، أو أخذ دَوْرًا مُغَايِرًا للإِسْلَام النّبَوِيّ، كما يحدث الآن في العراق وسوريا مع الآخر الدينيّ والمذهبيّ والإثنيّ.

الباب الثّاني

الْمَسِيحِيّة والتّشريعات الإِسْلَامِيّة

والدّور الحضاري

الفصل الأول

الْمَسِيحِيّة والعَلاقَات الدّينِيَّة فِي القُرْآن الكريم

إنَّ توالِيَ الدِّيَانَات الكِتَابِيَّةِ زمنيًّا، لَهُ أَهَمِّيَّةٌ كبيرةٌ فِي فَهْمِ العلاقةِ الدِّينِيّة والتاريخيّة بَيْنَ تِلْكَ الدِّيَانَاتِ. وإنَّ العَلاقَاتِ الإِسْلَامِيّةَ الْمَسِيحِيَّةَ فِي المائةِ الأولى قَدْ مُنِيَتْ بمقدماتٍ تاريخيّةٍ ودِينِيَّةٍ، وفّرَتْ المُنَاخَ النّفسيَّ لتأسيسِ لَبِنَاتِها، نحو انتشار الفرق المسيحيَّة في العِرَاق والشام ومصر والحجاز، وضمور التناحر الطائفي فيما بينها.

لَمْ تَكُنْ نشأة الإِسْلَام فِي البلادِ الْعَرَبِيّة إعتباطًا، بَلْ جاءَ لسَدِّ الفراغِ الدّينِيِّ الَّذِي سَبَّبَهُ توسعُ الشّتاتِ فِي الأفكارِ والمذاهبِ الدّينِيَّةِ، إذ انقسمت المسيحيَّة في القرن الخامس الى طوائف شتَّى، ومذاهب متناحرة، فضلًا عن وجودٍ لافتٍ لليهوديَّة في اليمن ويثرب، والحنفيّة الإبراهيميّة في مكَّة، وانتشارٍ للوَثَنِيّةِ فِي البلادِ الْعَرَبِيَّةِ. ولا يمكن فصل أثر الفضاء الفضاء السياسيّ، المتمثل في الدولتين الكبريين بيزنطا وفارس، والصراع المستمر بينهما، وتخوف العرب من إطالته لهم، والفضاء الاقتصاديّ الذي اتجهت بوصلته النمائيّة الى مكَّة.

يشكل هذا التراكم الحدود الخارجيّة والداخليّة للبيئة ، التي تمخض في تفاعلاتها تكوين دين الإسلام، ومنظومته القيميَّة المعبِّرة عن محيطه بكل معالمه.

وكان خير نتاج لهذا المشروع الحيويّ، استهل بالوحي الإلهي، وترجم لروح النُظُم، والتقاليد، والمُثُل العليا للحياة العربيّة، وما يُحيق بها من ثقافات، على المستويين التاريخيّ والجغرافيّ، هو القرآن الكريم.

1- القُرآن والآخر الدّينيّ:

القُرآن الكريم كتَابُ الله المُنْزَّل عَلَى الرّسول مُحَمَّد، وَهُوَ أَوَّلُ الكتبِ السّمَاوِيَّة يستشرفُ الأَدْيَانَ الأُخْرَى، ويفصّلُ فِيهَا، ويُبْدِي رأْيَة المُنْبَثِقَ من المفهومِ الدّينيّ للإِسْلَامِ، بِهِ أُكْمِلَتْ الأَدْيَانُ، وإِلَيْهِ مَرْجِعُ تراثِ العبادة الحنيفة، ديانةِ إِبْرَاهِيم، فَهُوَ حاضنةُ الأَدْيَانِ ومحتواها العبادِيُّ. إستعرضتْ نصوصُه أَدْيَانَ عدّة، وأنبياءَ عديدينَ، وَكَادَتْ الْمَسِيحِيّة تفوز بمساحة أكبر بَيْنَ الأَدْيَان فِي النّص القرآني.

والقرآن هُوَ المصدرُ التّاريخيُّ المعتمد الصّحيح؛ لِأَنَّهُ يرمز إِلَى مَاهِيَّةِ الوَحْيِّ[1] والظّروف الَّتِي حَفَّتْ بِبِدْئِهِ وتَوَاصُلِهِ... وكَثِيرًا مَا اتَّخَذَ القُرآن أسلوبَ المُحاجَّة والإقناع، ومِنْ ثَمَّ اهتمَّ- بصفة بالغةٍ- بوصفِ مُصداقيَّةِ العلاقة الإلهيَّة النّبَوِيّة، ولاسِيَّمَا عندما تتَّخِذُ صيغةَ التّبليغ، وصيغةَ الأمر والنّهي، والتّعليم[2]، لتمتَدَّ جذوةُ العلاقة إِلَى النّاس، وفيما بينهم، وَهُمْ خلائفُ فِي الأرضِ، وَهُمْ مُخْتَلفون فِي مشاربَ شتَّى، لَكِنْ شريطةَ أَنْ يتعارفوا، ويُنْشِئُوا عَلائِقَ فِي نظامٍ أخلاقيٍّ، مِعْيَارُه الإيمانُ بالله.

---

1 -الوحي- لغة: الإشارة، وهو الإتصال الإلهي بالبشر في الديانات، وفي المصطلح الاسلامي يدل على الهداية الربانية، وفي المصطلح المسيحي "Revelation". توفيقي: **دروس في تاريخ الأديان**، ص275.

2 - هشام جعيط: **الوحي والقرآن والنّبوة** (دار الطليعة، بيروت، 2000) ص18.

القُرآن نفسه يُعَدُّ من أَكْبَرِ مصادرِ التَّنوُّعِ الدّينيّ، وعلاقةِ الأَدْيَانِ- ولاسِيَّمَا السَّمَاوِيَّة-بالمجتمعات، إِذْ كَانَتْ رُوحِيَّةُ القُرآنِ تُنَظِّمُ السّلوكَ اليَوْمِيّ والعَلاقَاتِ الاِجْتِمَاعِيَّةَ، وتُشْبِعُ جَوًّا حَيَوِيًّا من خِلَالِ ربْطِ الشّريعةِ الدّينِيَّةِ بالأخلاقِ، بحَسَبِ ريسلر[1]: أَنَّهُ يهدفُ إِلَى إِسْتِتْبَابِ النّظامِ والوحدةِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ، والى الحدِّ مِنْ البُؤْسِ والقَسْوَةِ والشّعْوَذَاتِ، وأَنَّهُ يَنْزَعُ إِلَى رَفْعِ البُسَطَاءِ، ويُقِيمُ مَلَكُوتَ الإِحْسَانِ، ويدعو إِلَى اللاعُنْف.

يُعَدّ القرآن أَوَّل كتاب في علم تاريخ الأديان، فهو يعترف بما هو حقٌّ في كل من اليهوديّة والمسيحيَّة، وينكر كل ما هو باطل فيهما، فالقرآن لم ينتقدْ الديانة بلْ انتقد الممارسة. ولم يقفْ القرآنُ عندَ ذكرِ الدياناتِ الكتابيَّةِ، وكانَ غالبُ الذكر لليهودِ والنصارى، وتعدَّى الى ذكرِ ديانات جزيرة العرب المعاصرةِ للرسالة، والتي تُشَكِّلُ هَمًّا وعنايةً من لدُنِ الرسول محمَّد، وهي: إبراهيميَّة حنيفيَّة، ومجوسيَّة، وصابئة، غير أنَّ عبادةَ الشرك هي البيئة التي وُلِدَ فيها الرسولُ، والتي حاربها الإسلامُ، أخذتْ مساحةً وافرةً من الذكر القرآنيّ.

نسج القُرآن نظامًا عامًّا في الإنتماء الدينيّ، متجاوزا فضاءات عصْر النزول، القبليَّة والقوميَّة، فَقَدْ أَكَّد عَلَى الإنتماء إِلَى الإِسْلَام، ومِنْ ثَمّ لَمْ ينغلقْ عَلَى مُعطَيَات هَذَا الإنتماء، بَلْ عَدَّ منهجًا للولوج إِلَى المجتمع الإِنْسَانِيَّ، ودعا إِلَى ممارسة حَضَارِيَّة، هدفُها التعارف مَعَ المجتمعات البشريَّة، ولاسِيَّمَا الدينيَّة منْهَا، عَنْ طريق "تعالوا إِلَى كلمة سواء بَيْنَنَا وبينكم" "وجادِلْهم بالّتي هِيَ أحسَن". فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ دعا إِلَى التَبَصُّرِ فِي تجارِبِ الحَضَارَات الدينيَّةِ السابقة، والإعتبارِ مِنْهَا فِي إيجابياتِها وسلبياتِها. ولعلَّ دعوتَه الى الإسلامِ بالمَعْنَى العامّ، هيَ الهدايةُ الى الله، وماهيتُها التي تحمَّلها الأنبياءُ السابقون، من ابراهيم الى عيسى، فهُمْ مسلمون في منظور القرآن، هذه الدعوةُ كانت رابطًا فاعلًا بين الاسلام كدينٍ، بجذورِ

1 - جاك ريسلر: **الحضارة العَرَبِيّة**، ص57.

الديانات السماويّةِ السابقة، وهمزةَ وَصْلٍ معها، تمنحُه أصالةَ الوجودِ وديمومةَ البقاءِ. لاسيَّما اذا أخذنا بعين الإعتبار، أنَّه اضطلعَ بفكرة إكمال الدين الرّبَّانيّ وإتمامه بالإسلام (المائدة3)، وأنّ خاتمةَ قصةِ الحضارة الدينيَّةِ السماويَّةِ متأَصِّلَةٌ فيه.

شغل الآخرُ الديني في القرآن مجالًا كبيرًا يربُو على نصفه، من سردِ قصص الحضارات الدينيَّةِ السابقة، وذكرِ رموزِها، و شغلتْ فكرةُ التسامحِ مع الآخر حيّزا مُهمًّا فيه، حتى باتتْ صفةً فيه، وأنَّ اشكاليَّةَ الاختلاف في التفسير أو التأويل هيَ من ضعَّفت من قيمتِه، بحسب مقاربة الثعالبي[1]، الذي يؤكّد أنَّ التسامحَ هو مِن أهَمّ صفاتِ الإسلامِ، وأنّ الأفكارَ الداعيَة إليه لا توجدُ في آية قرآنيَّةٍ واحدةٍ أو آيتينِ، بلْ في ستٍ وثلاثينَ سورةً، ومئةٍ وخمسٍ وعشرينَ آيةً، أذْ يرجعُ التخلّي عن هذه النظرةِ المتسامحة، وتحويلِ القرآنِ إلى أداةٍ للتعصُّبِ والتزَمُّتِ، إلى " الأفكار الضيقةِ " التي تبنّاها بعضُ المفسّرين، والى عجزِهم عن تأويل الآيات القرآنية تأويلاً صحيحاً، وكذلك إلى عدم إلمامِهم، إلماماً دقيقاً، بمجرياتِ التاريخ الإسلامي.

دأبَ القرآن يدعو في آياتِه إلَى صهْرِ الإيمانِ الروحيّ والسّلوك العمليّ، في بودقةِ العدل الاجْتِمَاعيّ، للوصول إلَى مُحَصّلَةِ التّسامي الدّينيّ، أنْ {لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنّبِيّينَ، وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السّبِيلِ وَالسّآئِلِينَ وَفِي الرّقَابِ، وَأَقَامَ الصّلاةَ، وَآتَى الزَّكَاةَ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ، وَالصّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ؛ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ} (البقرة177).

[1] - عبد العزيز الثعالبي: **روح التحرر في القرآن**، (دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1985) ص 61.

ويؤكد القُرآن أنّ النّبيَّ مُحَمَّدًا يقرُّ بالإيمانِ بأنَّ الأنْبياءَ أخوةٌ، لا تفاضُلَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَيْثُ الرّسالة، وأنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أنْ يؤمِنوا بِهِمْ جميعًا {قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمونَ} (آل عمران84).

عُني الإِسْلَام وتراثُه بالتّجاربِ الدّينيَّة النّبَويّة، فعددُ الأنْبياء في الرّواياتِ عَنْ الرّسول مُحَمَّد 124 ألفَ نبيّ[1]، والمذكورون مِنْهُمْ فِي القُرآن 25 نبيًّا ورسولًا، مِنْهُمْ 18 نبيًّا فِي سورة الأنعام[2]، وحظَتْ الدّيَانَاتُ الكِتَابيّة باهتمامٍ كبير، فاليهودُ واليَهُودِيَّة كَانَ لها السّهمُ الأوفر فِي الذّكر القرآني، فَقَدْ تعرض لها مِنْذُ عصر التّكوين إلَى مجيءِ المنقذ الْمَسيا (الْمَسِيح)، ونقلَ أخبارَهم، وذكرهم فِي نيّفٍ وثمانينَ آيةً[3]، وحسْبُ اليهوديَّة أنّهُ وَرَدَ ذِكْرُ مُوسَى دُونَ أنبيائِهم حوالَى 131 مَرَّةً، مِنْهَا 109 مرات فِي آيَاتٍ مَكّيَّة، اغلبُها فِي سرْدِ قصصِ موسى، الَّتِي تُلْقِي

1 - عَنْ ابي ذر، قلت يا رسول الله: كم النّبيون؟ قَالَ: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي. قلت: كم المرسلون مِنْهُمْ، قَالَ: ثلاث مائة وثلاثة عشر. أحمد: **المسند** 526/5؛ الطبري: **تاريخ** 95/1؛ الحاكم: **المستدرك عَلَى الصّحيحين** 652/2.

2 - { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ} (الأنعام: 82-86).

3 - لم أجد أمة من الأمم السّابقة تناول القرآن الكريم تفصيل نشأتها وتأريخ تكوينها وبيان أحوالها ودقائقها ودخائل نفوس أفراده وخصائص شخصيتها مثل أمة اليهود...حيث يستمر الحديث عَنْهُمْ فِي نيف وثمانين آية فأول سورة بعد الفاتحة تسمى سورة البقرة ، وَهِيَ بقرة بني إسرائيل ، وتأتي السّورة الثّانية سورة آل عمران ، أسرة من أسر بني إسرائيل.والسّورة الرّابعة تسمى المائدة ، وَهِيَ المائدة الَّتِي طلبها بنو إسرائيل ، وخصصت سورة باسمهم هِيَ سورة الإسراء الَّتِي تسمى سورة بني إسرائيل". مصطفى مسلم: **معالم قرآنية فِي الصّراع مَعَ اليهود..**ص8.

الضَّوْءَ عَلَى حَضَارَةِ الدِّيَانَة اليَهُودِيَّة، ومختلَفِ عصورها، وما اضطلعتْ به من قِيَمٍ، فَكَانَ يَصِفُ التّوراةَ بِأَنّهُ حَمَّالُ الحُكْمِ العَادِلِ، {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ}(المائدة43)، وفِيهِ مَوْعِظَةٌ وهُدًى إلهِيٌّ {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء} (المائدة44).

بَيْدَ أَنَّ القُرْآن فِي آخر الآيات المَكّيَّة الَّتِي نزلت بمَكّة، دعا إلَى الحوار الشّفاف مَعَ أهل الكتاب، والتّركيز عَلَى المُشْتَرَكات العقَدِيَّة، الَّتِي ينتظمون فِيهَا مَعَ الإِسْلَام، كَأَنّهُ يُعِدُّ إلَى نقطةِ تَحَوّلٍ جديدةٍ، يُهَيِّئُ النّفوسَ لمرحلةِ التّعَايُش بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنَ أهل الكتاب، والى ترسيخ قَبُولِ الآخَرِ فِي الحياة الدّينِيَّة القابلة، {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالذّي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }(العنكبوت46).

تعَدُّ نبوةُ عيسى وديانتُه بيضةَ الميزان الدّينِيّ، إِذْ هِيَ حلقةُ تواصلٍ تاريخيّ لحضارتين: الماضي اليهوديّ والمستقبل الإِسْلَاميّ، فمن آيات الْمَسِيح أنّه بشَّرَ بحضارة دِينِيَّة فِي ضوء التَّنَوُّع {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} (الصّف6).

2- القُرْآن وتأسيس العلاقة بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ:

دَأَبَ القُرْآن- فِي وقت مبكّر جدًّا من تاريخ الإِسْلَام- عَلَى تأسيس العلاقة المُبَكِرَةِ السّمحة بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وأهل الكتاب، فإذا قيلَ: إنَّ السّورَ ذاتَ

العلاقة بأهل الكتاب في العهد المدنيّ، قَدْ يشوبها المنحى السِياسِيّ لدولة الإِسْلَام الفتيَّة فِي علاقتها مَعَهُمْ، فإنَّ السّور المَكّيَّةَ تبقى كفيلةً بنشر صورة صافية، لتأصيل العلاقة الطّيبة بَيْنَ الدِّيَانَات الكِتَابِيّة، ولاسِيَّمَا مَعَ الْمَسِيحِيّينَ، كثقافة أَوْ عقيدة. فمنَ السّور المَكّيَّة:

1 ـ سورة (مَرْيَم) وَهِيَ مَكّيَّة، وَفِي هَذِهِ السّورة: تعريفٌ بمعجزة حملِ مريم، وميلادِ عيسى، وتأصيلٌ عَقَديٌّ منهجيٌّ لها: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً... ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} (مريم16- 34). وَفِي ثنايا تأصيل معجزة حمل الْمَسِيح وميلاده: براءة قاطعة لأمه مريم البتول، وشهادة بطهرها. فالمعجزة كلها: بحكمة الله وعلمه وإرادته وقدرته المطلقة، وَفِي ذَلِكَ نقضٌ تامٌّ لافتراءات المفترين عَلَيْهَا. ومِنْ هُنَا، يجدر العلمُ بأنَّ معجزةَ حمل الْمَسِيح وميلاده، عقيدةٌ أسسها القُرآن، وأصّلَها فِي صدور الْمُسْلِمِينَ بادئ ذي بدء.

2 ـ سورة (الكهف): مَكّيَّة، وَفِي صدرِها قصّةُ أصحابِ الكهفِ، وَهُمْ فِتْيَةٌ نَصَارَى تعرّضُوا للأذَى والإضطهادِ مِن لَدُنِ الإمبراطور الرّوماني فِي منتصف القَرْن الثّالثّ للميلاد[1]، فدافع القُرآن عَنْهُمْ، وكرمهم واحتفى بِهِمْ، وانتصر لمنهجهم، وَقَدْ سُمّيَتْ السّورةُ نفسُها باسم كهفهم: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً} (الكهف9).

1 - نقل المؤرخ "جيبون" فِي تدهور وسقوط الدولة الرّومانية": إن الإمبراطور الَّذِي عذَب الفتية السّبعة المسيحيّين المؤمنين هُوَ "دِقيوس". وَقَدْ حكم "دقيوس" الإمبراطورية الرّومانية فِي الفترة ما بَيْنَ 249 و251 ميلادية. اشتهرت فترة حكمه بألوان العذاب الَّتِي مارسها ضد أتباع النّبي عيسى. محمود الدسوقي:" بحث فِي زمان اهل الكهف"، *جريدة الاهرام*، عدد 6522، تاريخ 2011/4/28.

3 ـ سورة (البروج): مَكّيَّة، ولقد انتظمت في شأن جماعة- بحَسَبِ قول عَلِيّ بن أبي طالب[1]- من أهل كتاب، من نَصَارَى نَجْرَان، في 523م عروضوا- من لَدُنْ دولة حمير اليَهُودِيَّة[2]- عَلَى فنون العذاب، مِنْهَا النّار في الأخدود، عَلَى أنْ يغيروا دينهم فأبوا، ورضوا بالشّهادة؛ خلّد القُرآن ذكرهم، ووصفهم بالمؤمنين، وقبَّحَ مُضطهِديهم ومعذبيهم: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ* النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ* وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ* وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (البروج 4- 8).

4 ـ سورة (المدثر) هِيَ السّورة الثّانية في ترتيب النّزول، أي نزلت بعد سورة (العلق) أَوْ (اقرأ).. وَفِيهَا {لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ، وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً، وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ} (المدثر31). وَفِي هَذَا النّص إيمانٌ مُشْتَرَك بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وأولي الكتاب، إيمانٌ وتسليمٌ بالغيب الَّذي جاء القُرآن ليثبته، ويزيده عِنْدَ أولي الكتاب، وعند الْمُسْلِمِينَ. فَهِيَ هُنَا تؤكّد أنَّ التّنويه بالعلاقةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وأهلِ الكتابِ سَطَعَ في بداياتِ تنزيلِ القُرآن[3].

ثمَّة إشكاليةٌ في تأصيل العلاقةِ مع الآخر الدينيّ، بين السور المَكّيَّة والسور المَدَنيَّة، فبلحاظ هذا التقسيم، منهم من يرى أنَّ المرحلة المَدَنيَّة نسخت المرحلة المَكّيَّة، التي كانت تتسم بالعفو والصفح؛ وهذا رأي المتشدّدين الذين يُنَظِّرون الى لغة الحرب مع الآخر. إنَّ هذا التجزيءَ الى مكيٍّ ومدنيٍّ، ليس سوى مرحلةٍ

---

[1] - الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، 24/ 338.

2- زمن الملك ذو نواس، وقيل: ابنه يوسف. لزيادة المعلومات عَنْ محرقة الاخدود. انظر: اغناطيوس يعقوب الثّالثّ: **الشّهداء الحميريون العرب في الوثائق السّريانية**(طبع المجلة البطريكية، دمشق، 1966)؛ مقاتل بن سليمان (ت 150هـ): **التفسير** (دار إحياء التراث، بيروت 1423 هـ).

3 - زين العابدين الرّكابي:" العلاقة بأهل الكتاب، الشّرق الأوسط"، السّبت، 5 يناير 2008، العدد 10630.

انتقاليَّة للرسالة، وما آلتْ إليها من أحداثٍ وممارساتٍ، فإنَّ النصَّ القرآنيَّ واكبَ مظاهرَها بين السماحة والتشدُّد. فأنَّ طبيعة المرحلة المَكِّيَّة كانت تتصف بالعفو والصفح والمسامحة والصبر على الأذى، لأنَّها مرحلة تأسيس وترتكز على الإقناع والجدال. ناهيكَ عن أنَّ الآخرَ، ولاسيَّما أهلُ مكة في ردِّهم، لم يتطوَّر الأمر لديهم إلى النفي والتآمر بالقتل والتصفيةِ الجسديَّة إلا بعد حِينٍ، فلمَّا تحولوا الى هذه المرحلة، كان القرآن معهم شديدا.

أمَّا اليهوديَّة والمسيحيَّة، فإنَّه دعاهم الى التحاور واعتماد المشتركات، محاولةً في اقناعهم في الدخول الى الإسلام، أو يقبلون به ويعترفون به، مثلما هو يقرُّ بهم، ويحترم رموزَهم الدينية، وكان الرسول يَرَى أنَّهم أقربُ اليه في باب التوحيد والإبراهيميَّة، وهذا بعينه فتحَ بابَ التواصل مع الآخر وعبَّدَ طريقَ العلاقات. غير أنَّ ردَّ الفعل اختلف بين اليهود والمسيحيِّين، فاليهود الذين شاركوا المسلمين المدينة، بدت عليهم علائم الانقلاب، ومصانعة أهلِ مكَّةَ الوثنيِّين، وانتهت العلاقة مع المسلمين بالحروب. أما المسيحيون وباقي الديانات الواردة في القرآن فلم يصدر عنهم في المرحلة المَدَنِيَّة ما يكدَّر الأجواء، ويؤدِّي الى تغيّر الموقف مع المسلمين، فلذا ما ورد في القرآن عنهم في السور المَكِّيَّة هو مجزٍ، لا يحتاج الى تكرار، ما عدا ما صدر، بعدما توسعت دولة الرسول، من احتكاكات عسكرية مع غير المسلمين في أطراف الجزيرة، دعا القرآن الى التوجه إليهم وإخضاعهم إما بالسلم ودفع الجزية، وإما بالحرب.

مِنْ هُنَا تَتَجَلَّى مُقَارَبَة: أنَّ القُرْآن المَكِّيَّ الَّذي أسَّس لعلاقة طَيِّبَة مَعَ الْمَسِيحِيِّينَ لَمْ يُنسخ، بدليل أنَّ القُرْآن المدنيّ قَدْ أَكَّدَ القُرْآنَ المَكِّيّ وعزَّزَه، إِذَا مَا أخذنا بالمشهور: انَّ سورة (المائدة) هِيَ آخر القُرْآن نزولا، وَفِيهَا يتمَّحض المُمْعِنُ عن حجم العلاقة بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ واليهود والْمَسِيحِيِّينَ، أَوْ خلاصة العلاقة فِي التّجربة القرآنية، وَفِيهَا يتَّخِذ قرارًا حاسمًا في معياريَّة العلاقات بين التباعد والتقارب، في

إيحاء شفاف للمستقبل: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى، ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً، وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ } (المائدة82).

لَعَلَّ الآياتِ المَكِّيَّة أسهمتْ في بناءِ العلاقاتِ بينَ الأديانِ، من خِلَالِ رفعِ شعارِ الحرياتِ الدينيَّةِ، وكلٌّ لهُ دينُهُ وحقوقُهُ الطقوسيَّةُ، وكانَ مُجْمَلُها يدعو إلَى التواصلِ والحوارِ بالّتِي هيَ أحسنُ. أَمّا الآياتُ المَدَنِيَّة فكانتْ ترتَكِزُ على إثباتِ دعائمِ الدولة الدينيَّةِ، وتسييرِ نظمِها، في علاقتِها مع الشعوبِ الأُخْرَى، والدياناتِ المختلفةِ في البلادِ العربيَّةِ وخارجِها.

3- الرّموز الْمَسِيحِيّة فِي القُرْآن:

احتلت رموز الدِّيَانَة: الْمَسِيح[1]، مَرْيَم، النّصْرَانِيَّة[2]، والنَّصَارَى، فِي القُرْآن مساحة واسعة، وَقَدْ اوردها فِي حوالَى 117 آية. ويُعَدُّ القُرْآن من المصادر القديمة فِي التّراث الدّينِيّ الْمَسِيحِيّ، فَقَدْ ذكر الْمَسِيح فِي 31 آية، وَكَانَ يُسَمِّيه: " عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ"[3] فِي 16 آية، وسمَّاه: "الْمَسِيح" فِي 9 آيات[4]، وأمّه العذراء مَرْيَم فِي 31 آية، وأورد النَّصَارَى فِي 14 آية، وذكر الرّهبان[5]، والقِسِّيسِين[6]. وفوق هذا كثيرا ما كان يشير الى النصارى بلفظ "أهل الكتاب"، بل ويصفهم بالمؤمنين من بني اسرائيل (الصف 14). ومن وسْع ما ورد من ذكر للمسيح وأصحاب ديانته في القرآن، حتى أعتقد بعض المؤلفين المَسِيحِيّينَ أنَّ القرآن دعوة نصرانيَّة[7].

---

1 - مأخوذة من الكلمة اليونانية "إفاجيليون" ومعناها "بشارة" أَوْ "خبر طيب"، فالإِنْجِيل إعلان الأخبار المفرحة عَنْ الخلاص، وتستخدم للدلالة عَلَى حياة يسوع المسيح و تعاليمه والرّسالة التى تكرز بِهَا المسيحيّة. **دائرة المعارف الكتابية** (إِنْجِيل).

2 - "النّصرانية" الَّتِي تطلق فِي العَرَبِيّة عَلَى أتباع المسيح، من الألفاظ المعربة. يرى بعض المستشرقين أنها من أصل سرياني هُوَ: "نصرويو Nosroyo "، "نصرايا Nasraya "، ويرى بعض آخر أنَها من Nazerenes التسمية العبرانية. علي: **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب** 582/6. شحادة بشير: **موسوعة الكتاب المقدس**(ناصريين).

3 - فِي إِنْجِيل متّى 1: 16 {و يعقوب ولد يوسف رجل مريم الَّتِي ولد مِنْهَا يسوع الَّذِي يدعى المسيح}، وينسبه إلَى إِبْرَاهِيم فِي 42 جيلا. 1:1-17.

4 - آل عمران 45، النّساء 157، 171، 172، المائدة 17، 72، 75، التوبة 30، 31.

5 - المائدة 82، التوبة31، 34، الحديد 27.

6 - المائدة 82.

7 - أنظر: يوسف درة حداد: **القرآن دعوة نصرانية** (ط2، منشورات المكتبة البولسية، 1986)741ص.

أفْرَدَ القُرْآن سورة باسم آل عمران (رقم 3) وَهِيَ مَدَنِيَّة، وأل عمران أسرة التّقوى فِي بني إِسْرَائِيلَ اصطفى الله مِنْهَا بذرة الْمَسِيحِيّة، وعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنّ فِي القُرْآن سورةً كاملة باسم الحضارة الحاضِنة للمَسِيحِيّة، تحمل اسم" الرّوم" (رقم 84)، ودّتْ انتصارهم عَلَى الفرس، فان السّورة الَّتِي أفردها باسم "مَرْيَم" (رقم 19) وَهِيَ مَكِّيَّة، أي فِي مبدأ نشأة الإِسْلَام فإنّها مَدّتْ خيوط العلاقة الأولى، وأسست مباني التّواد بَيْنَ الدّينيّن، وَقَدْ أفاد مِنْهَا الْمُسْلِمون فِي هجرتهم الأولى إلَى الحبشة، إِبّانَ حوارهم مَعَ النّجاشي الملك الْمَسِيحِيّ، مضيِّفِهم.

- الْمَسِيح

من الرّسل المفضلين عِنْدَ الله، أيده بروح القدس {تِلْكَ الرُّسُلُ، فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، مِنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ، وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} (البقرة253)، وَلَهُ فرادة فِي الخلق، وَهُوَ ثاني اثنين {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} آل عمران59

يسميه القُرْآن "عيسى" فِي أغلب موارده، وكذلك "المسيح، وكلمة " مسيح " في اللغة العبريَّة هي " ماشيح ـ משיח ـ "Mashiakh من الفعل العبري " مشح " أي " مسح " وتنطق بالآراميَّة " ماشيحا " ويقابلها في اللغة العربيَّة " مسيح "، ومعناها، في العهد القديم، الممسوح " بالدهن المقدس "، ونقلت كلمة " ماشيح " إلى اللغة اليونانية كما هي ولكن بحروف يونانية " ميسي – Messias "Μεσσίας[1]. والْمَسِيح تفسير كلمة "الْمَسِيا" ومعناه " المخلص" (يوحنا 4/ 42)، الَّذِي كَانَ ينتظر مجيئَه مجتمعُ اليهودِ المتديِّن[1].

1 - وعن اليونانية نقلت إلى اللغات الأوربية " ماسيا " Messiah- كما ترجمت الكلمة إلى اليونانية، أيضاً ترجمة فعلية " خريستوس christos - ـ "Χριτός أي المسيح أو الممسوح، من الفعل اليوناني " خريوchriw- " أي يمسح والذي يقابل الفعل العبري " مشح " والعربي " مسح "،

ذكر أنَّ اسمه "الْمَسِيح" { يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ }(آل عمران45)، وَلَكِنْ لا يعطي القُرآن كلمة "مسيح" المعنى المقصود في العهدين القديم[2] والجديد[3]. بَلْ إنّهُ رسولٌ ونبيٌّ مُفَضّلٌ عَلَى الأنْبياء. يتوافق القُرآن مَعَ العقيدة الْمَسِيحِيّة، إذْ يذكر حبْلَهُ البتوليَّ من مَرْيَمَ دُونَ مباشرةِ رجلٍ، ويذكر أَنَّهُ رُفع حيّاً إلَى السّماء، وأجرى معجزاتٍ جمّةً من شفاءاتٍ وإقامة الأموات[4].

أ- أَنَّهُ دُعيَ "كلمة الله" و"روحٌ مِنْهُ": وَقَدْ تكرر هَذَا اللقب، في قوله {إِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ: يَا مَرْيَمُ، إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ، اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَجِيهًا فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ} (إل عمران45). وورد {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ} (النّساء171)، ولا غرْوَ إنَّ هذين اللقبين يدلان عَلَى مركز رفيع للمسيح في القُرآن لَمْ يتَمَتّع بِهِ غيرُه.

ب- ولادته المعجزيَّة من عذراء: لَمْ يقتصر الأمر عَلَى كُنْهِ الْمَسِيح أَوْ طبيعته مِنْ حَيْثُ هُوَ "كلمة الله وروح مِنْهُ ألقاها إلَى مَرْيَمَ"، وَهَذَا وصف لَمْ يوصَف بِهِ

وجاءت في اللاتينية " كريستوس ـ Christos" وعنها في اللغات الأوربية " Christ". القمص عبد المسيح بسيط أبو الخير:" *مميزات المسيح في جميع الكتب*" -www.father-bassit.com/st-patricia/father-bassit/07.

1 - الخضري، حنا جرجس، القس: **تاريخ الفكر المسيحيّ**، (دار الثّقافة، القاهرة، 1994) 1/ 269.

2 - الممسوح بزيت الابتهاج، لتقديسه لخدمة معينة من الرّب، فَكَانَ يُمسح: الملوك، الكهنة، الانبياء. و"مسيح " استخدمت للدلالة عَلَى الشّعب الَّذِي اختاره الرّب. **دائرة المعارف الكتابية** (مسح).

3 - " الممسوح " من الله، و المسيح الرّب يسوع، و يُشار إلَى سكنى الرّوح القدس في المؤمن بِأَنَّهُ مسحه. **روح التحرر في القرآن** (مسيح).

4 - الأرشمندريت أغناطيوس ديك: "موقف الإسلام من المسيحيّة والمسيحيّين"، *موقع كنيسة القديسة تريزا، حلب*.

أحد من البشر، وإنَّمَا الطّريقة الَّتِي وُلِدَ بِهَا، والتي شرحها القُرآن فِي سورة مَرْيَم، كَانَتْ طريقة عجيبة معجزية، لَمْ يولد بِهَا أحد غيرُه من امرأة. زادها غرابة أَنَّهُ "يُكَلِّمُ النّاسَ فِي الْمَهْدِ" (آل عمران 46)، الأمر الَّذِي لَمْ يحدث لأحد، من قبلُ ولا من بعدُ[1]، أنْ تتوالى له الكراماتُ، وتُثْنَى له وسادةُ المعجزاتِ من المهد.

جـ- معجزات الْمَسِيح : وأخُصُّ مِنْهَا مِمَّا ورد فِي القُرآن -غير إبراء الأكمة والأبرص وأحياء الموتى- معجزتين فوق طاقة البشر جميعًا، لَمْ يقم بمثلهما أحد من الأنْبياء، وهما القدرة عَلَى الخلق، وعلى معرفة الغيبِ. وَفِي ذَلكَ يَقُولُ القُرآن عَلَى لسان الْمَسِيح {أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطّينِ كَهَيْئَةِ الطّيْرِ، فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ... وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (ال عمران 49).

د- وفاته ورفعه إلَى السّماء: وَقَدْ ورد فِي ذَلكَ: "إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ، وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ، وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (آل عمران 55). والْمَسِيحيّة تؤمن بموت الْمَسِيح وصعوده إلَى السّماء[2]. وَلَكِنّ القُرآنَ لَمْ يُبَيِّن كَيْفَ رُفِعَ الْمَسِيحُ، ومَتَى حدث ذَلِكَ، وبقَى الأمرُ عجبًا.

هـ- إنَّهُ موئلُ السّلام، فِي مَحْيَاهُ ومَمَاته، وَإنّهُ يُبْعَثُ حَيًّا يَوْمَ القيامة، ليكونَ شاهدًا عَلَى أهلِ الْمَسِيحيّةِ {وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ، وَيَوْمَ أَمُوتُ، وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا} (مَرْيَم33)، وَهُوَ "قول الحق" كلمة اختصَّ بِهَا دُونَ الأنْبياء المذكورين فِي القُرآن {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ} (مريم34)

1 - شنوده الثّالثّ، البابا: "القرآن والمسيحية"، *مجلة الهلال* – عدد ديسمبر 1970.

2 - إنْجيل مرقس: "أن الرّب بعدما كلمهم (تلاميذه) ارتفع إلَى السّماء، وجلس عَنْ يمين الله، وأما هُمْ فخرجوا وكرزوا فِي كل مكان، والرّب يعمل معهم ويثبت الكلام بالآيات التابعة" (مر 16: 19 و20).

و- صفات الْمَسِيح الأُخْرَى: أطلق عَلَيْهِ القُرْآن "المبارك" أَنَّى كَانَ، ولا تحدُّه حدود الزمان والمكان {وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ} (مَرْيَم31). وأَنَّه وَجِيهٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ"، وَهُوَ آية للعالمين (الأَنْبِياء91). وَقَدْ شرح أئمة المفسرين[1] معنى هَذَا الوصوفات باستفاضة، وخرجوا: بعلو مركز الْمَسِيح علوًا عجيبًا، وبأَنَّه فِي الآخرة تكون لَهُ شفاعة فِي النّاس.

إذًا شَخْصُ الْمَسِيح لَهُ فِي القُرْآن مركزٌ كبير، إنّهُ كلمةُ الله، وروحٌ مِنْهُ، ورسولٌ من أولِي العَزْمِ، وَقَدْ تابعهُ القُرْآنُ تاريخيًا، مِنْذُ قُبَيْلِ ولادته إلَى وفاته، وعرَّجَ عَلَى معجزاته وعقيدته، لكونِه شَخْصِيَّةً تاريخيّةً تَتَمَاهَى روحِيًّا ودِينِيًّا. ومَيَّزَهُ القُرْآنُ بِأَنَّهُ وُلِدَ بطريقةٍ عجيبةٍ، لَمْ يولدْ بِهَا إنسانٌ من قَبْلُ، ولا من بَعْدُ، بدونِ أبٍ جسديٍّ، ومن أمٍّ عذراءَ طهورٍ، لَمْ يمسَّها بشرٌ، عاشَ عَلَى الأرضِ يهدِي النَّاسَ، ويقومُ بمعجزاتٍ لَمْ يعملْها أحدٌ مِثْلُهُ، وتُوفِيَ ورُفِعَ إلَى السّماءِ بطريقةٍ عجيبةٍ حَارَ فِيهَا المفسرونَ والعلماءُ.

وأوردَ معجزاته غَيْرَ مَرّةٍ فِي آياتٍ منفردةٍ تَارَةً، وجَمَعَها، وفَصَّلَ فِيهَا فِي آيةٍ واحدةٍ أُخْرَى: {إِذْ قَالَ اللّهُ: يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ، اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ، إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ، تُكَلِّمُ النّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً، وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي، فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي، وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي، وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي، وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ، إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ: إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ} (المائدة110).

1 - الوجية الَّذِي لَهُ القدر والمنزلة الرّفيعة. ابن النّحاس: **معاني القرآن**، (جامعة أم القرى، مكة، 1409هـ) 1/ 401؛ الطبري: **جامع البيان** 25/ 477.

ومن المعجزات -في المنظور القرآني- أنّ عيسى نفسَه، وَهُوَ آخر أنبياء بني إِسْرَائِيلَ، قام بالتّبشير بنبوّة مُحَمَّد: { وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} (الصّف 6). وَهَذَا التّبشير يمنح الرسول مُحَمَّداً إجازةَ حملِ التّراثِ الدّينِيّ الإِبْرَاهِيمِيّ، الَّذِي ارْتَضَاهُ الله للعالمين دينا حنيفا، فِي صورته الأخيرة، وتبشير المسيح - فِي الوقت ذاته- وضع لبُنَة الأساس في علاقة طيّبة مع نبيٍّ بعده، تكون مرتكزًا للعلاقة بين المَسِيحِيّينَ والمسلمين.

- الإِنْجِيل:

سمَّى القُرآنُ مُقَدَّسَاتِ الدِّيَانَات الأُخْرَى بأسمائها، وَقَدْ أطلق عَلَى أسفار اليهود، أي كتبهم المقدسة، العهد القديم "التّوراة"[1]، وَقَدْ أورده (16) مَرَّةً[2]، وسمى العهد الجديد، كتاب الْمَسِيحِيّينَ، "الإِنْجِيل"، الَّذِي ورد ذكره 12 مَرَّةً[3]، وعطفه عَلَى التّوراة فِي 8 مواضع[4]، ووصفه بِأَنَّهُ كتاب الله، ومن آيات الْمَسِيح، فِيهِ نورٌ وحكمةٌ، وَهُوَ امتداد للتوراة عَلَى هَدْيِهِ، وأنّ فِيهِ هُدًى ومَوْعِظَةً للمتقين (المائدة 46)، ودعَا أتباعَه للحُكْمِ بتشريعاته؛ لِأَنَّهَا مُجْزِيةٌ فِي إثباتِ الْحُقُوق (المائدة47)، وإذا مَا أقاموه أفاضَ عَلَيْهِمْ بركاتِ السّماءِ والأرضِ (المائدة66).

1- كلمة " توراة " مشتقة من الفعل العبري " يرى " بمعنى يعلم أَوْ يرشد أَوْ يرى. كَمَا إنما تعني " وصية " أَوْ " ناموس " ولكن لا يقتصر معناها عَلَى الشّرائع والأحكام، لكنها أسلوب للحياة يستند إلَى علاقة العهد بَيْنَ الله ليتنبأ. وتستخدم الكلمة أصلا للدلالة عَلَى أسفار موسى الخمسة. **دائرة المعارف الكتابية** (توراة)

2 - آل عمران: 50،48،3، 65، 93؛ المائدة43، 44، 46، 66، 68، 110، الاعراف157، التوبة111، التح 29، الصّف6، الجمعة5.

3 -آل عمران 3، 48، 65، المائدة 46، 47، 66، 68، 110، الأعراف 157، التوبة 111، الفتح29، الحديد27

4 - آل عمران 3، 48، 65، المائدة 66، 68، 110، الأعراف 157، التوبة 111.

والإِنْجِيلُ لَهُ مكانة عظيمة فِي القُرآن، إِذْ كَانَ مُصَدِّقًا لَهُ، وداعِيًا النّاسَ إِلَى الإِيمانِ بِهِ، وَلَمْ يُذكَرْ فِي القُرآنِ أَنَّهُ نَسَخَ التّوراةَ أَوْ الإِنْجِيلَ، بَلْ ذَكَرَ أَنَّ المؤمنينَ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ حَتَّى يقيموا التّوراة والإِنْجِيل (المائدة68).

- المَسِيحِيّة

سمّاها القُرآنُ النّصْرَانِيَّة، شَرَحَ عَنْهَا: كَيْفَ أَنَّها ديانةٌ سماويَّةٌ، ديانةٌ إلهيَّة، أرسلَها اللهُ هُدًى للناسِ ورحمةً، عَلَى يدِ الْمَسِيحِ بن مَرْيَم. والمؤمنونَ بالْمَسِيحِيّةِ سَجَّلَ القرآنُ لَهُمْ أجرَهُم عِنْدَ ربِّهِم، وَأَنَّهُمْ غيرُ المشركينَ، وغيرُ الَّذِينَ كفروا. وَأورد- أَيْضًا: أَنَّهُمْ أقربُ النّاس مَوَدَّةً إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَنَّهُمْ متواضعون لا يستكبرون[1].

استعمل القُرآنُ مجتمعَ عيسى، تلاميذه الحواريّين، مثالًا فِي الإخلاص والنّصرة لله، دعا خلالَه مجتمعَ مُحَمَّد (المؤمنين) للحذو حذوهم: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ: مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ} (الصّف14). وشبَّهَ مجتمعَ الرّسولِ مُحَمَّد - فِي موقفهم الثّابت أخلاقيًّا وإيمانيًّا- بِقَرِينٍ لَهُ فِي الإِنْجِيل {وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ} (الفتح29). ووصفَ أتباعَ الْمَسِيحِ بعُلُوّ القيمِ الإِنْسَانِيَّة {وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ} (الحديد27).

قدم القرآن المسيحية على أَنَّها ديانة توحيد، وأَنَّ ما اعتراها من تغيير، كان نتيجة {لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً} (البقرة79)، لعلَّه إشارة الى ما شهده تاريخ المسيحيَّة الباكر من

1 - شنوده: "القرآن والمسيحية"، م.س.

خلافات مذهبية حادة حول طبيعة المسيح، والخلافات التي كانت بين آريوس وأثناسيوس في القرن الرابع للميلاد[1].

- العذراء مَرْيَم

أمُّ الْمَسِيح لها مركز مائزٌ فِي القُرآن، فِي بتوليَّتِها، وطُهْرِها، ونُسْكِها، وعبادتها، وتشريفِ الله لها، واصطفائِها عَلَى نساء العالمين. يشرح القُرآن فِي سورة آل عمران: أن مَرْيَم نذرت للربِّ، وَهِيَ فِي بطن أمِّها، وأنَّها تربَّت فِي الهيكل المُقدَّس[2] تَحْتَ رعاية زَكَرِيَّا[3]، وأنَّها كَانَتْ تُطعَم طعامًا من السّماء {فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (آل عمران37). وإنّها واجهت تحدّيات جسيمة في بيئة دينية- اجتماعية، كانت تُناكِفُ الأنبياء وتجادلهم، بل وتقتلهم إذا لزم الأمر،

---

1 - **قصة الحضارة**، ملحق/ ص19.

2 - شنوده: م. س.

3 - فِي التراث الإسلاميّ: زكريا من آخر أنبياء بني اسرائيل (الطبري: جامع البيان 6/ 363). و فِي التراث المسيحيّ: زكريا بن يهوياداع الكاهن فِي عهد يوآش ملك يهوذا (2 أخ 22: 1-12، 24: 15، 16)، فهو ابن يهوسعة أخت أخزيا الملك، وعليه كَانَ زكريا ابن عمه الملك يوآش. وحدث بعد موت يهوياداع، أن ارتد الشّعب عَنْ الرّب، حتي "لبس روح الرّب زكريا بن يهوياداع الكاهن فوقف فوق الشّعب وقال لَهُمْ: "هَكَذَا يقول الله: لماذا تتعدون وصايا الرّب فلا تفلحون. لأنكم تركتم الرّب قَدْ تركَكم. ففتنوا عَلَيْهِ ورجموه بحجارة بأمر الملك فِي دار بيت الرّب. ولم يذكر يوآش الملك المعروف الَّذِي عمله يهوياداع أبوه معه، بَلْ قتل ابنه. وعند موته قَالَ: الرّب ينظر ويطالب" (2 أخ 24: 20-22). والأرجح أن زكريا بن يهوياداع هُوَ الَّذِي قصده الرّب يسوع بقوله للكتبة والفريسيين: " لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك علي الأرض، من دم هابيل الصّديق إلي دم زكريا بن برخيا الَّذِي قتلتموه بَيْنَ الهيكل والمذبح" (مت 23: 35،انظر أيضاً لَوْ 11: 51). فالرّب يسوع يذكر أول شهيد للبر ذكر فِي أول أسفار الكتاب المقدس (تك 4: 8)، وآخر شهيد ذكر فِي آخر أسفار الكتاب المقدس فِي التوراة العبرية، وَهُوَ سفر أخبار الأيام الثّاني. **دائرة المعارف الكتابية** (زكريا).

كحال البيئة اليهوديّة، ومن محنتها أنها بعد ولادتها ابنها من دون زوج، واجهت تُهَمَ شتَّى في طهارتها وعذريَّتها، غير أنّ النص القرآني جاء ليطارد تلك التهم، ويؤكد على طهارتها، من خلال تبيان فساد المجتمع المتسلط الذي كانت تحيا فيه.

إنّ عُلُوَّ مركز السيدة مريم عند الله عظيم، إذْ اصطفاها على النساء، ولم يردْ في القرآن أنّهُ اصطفى غيرَها، {وَإِذْ قَالَتْ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ} (آل عمران 42). وأنَّها علامة تتماهى عالميًّا، {وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ} (الأنبياء91)، وَهَكَذَا ارتفعت مَرْيَم فِي نظر الإِسْلَام فوق نساء العالمين. وَكَانَتْ عذراءَ، عابدةً، تسجد وتركع مَعَ الرَّاكعين، وَكَانَتْ تحيا فِي وحدةٍ وتأَمُّلٍ {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذْ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً، فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً} (مريم 16،17). وَقَدْ تصومُ صمتًا {نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً} (مَرْيَم 26). هنا يجدر القول: إن القرآن كتاب الإسلام كانت مساحة العناية فيه بمريم كبيرة، لما لها من وجود في الفكر الديني في مواجهتها مجتمع اليهود، وإثبات وليدها نبيًّا مرسلا لهم. في حين إن المتتبع للأناجيل الأربعة يرصد فيها تغاضيًّا عن إسمها، وحياتها، وعائلتها، أو بيان حقيقتها الدينيّة، بل وحتى الاستخفاف بها إذا لم يصل الأمر الى الحطّ من شأنها ومنزلتها[1].

- تَجَلِّيات تاريخيّة للمسيح وأمِّه مريم فِي القُرآن

يمكن استِجْلاء عددٍ من القيم فِي المُمَارَسَات التّاريخيّة والدّينِيَّة فِي المنظور القرآني عَنْ المَسِيح وأمه:

- علوّ قيمة مَرْيَم وَهِيَ نذر محرر لخدمة الهيكل، فِي مجتمع يحتقر المرأة، توافرت لها الرّعايةُ الرّبَّانِيَّةُ، و كفالةُ نبيّ اللهِ زَكَرِيَّا لها، ورزقُها الرَّبَّانِيُّ فِي الهيكل (آل

[1] - هريمة، يوسف: **ولادة المسيح وإشكالية التثاقف اليهودي المسيحي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2014، ص33.

عمران 35- 38). وَمِمَّا يُزيدُ مِنْ مَكانةِ مَرْيَمَ وسمُوِّهَا عِنْدَ اللهِ، أنَّه دَعَا زَكَرِيَّا ربَّهُ- عَلَى إثرِ العنايةِ الرَّبَّانِيَّةِ بمَرْيَمَ وكفالتِّه لَهَا- أنْ يرزقَهُ بولدٍ من امرأته العاقِرِ، يَحْمِلُ النُّبُوَّةَ بَعْدَهُ فاستجابَ اللهُ: {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ} (آل عمران39)

- اصطفاء اللهِ مَرْيَمَ عَلَى نساء العالمين، وتطهيرها من الدّنس والإثم وتبتّلها مَعَ العابدين، حَتَّى استحقَّتْ أنْ تكونَ صاحبةَ النّعمةِ والهِبَةِ الإلهِيَّة، فِي حملِها بعيسى، كلمةِ اللهِ، وروحٍ مِنْهُ. (آل عمران 42-43).

- المحاورةُ التي جَرَتْ بَيْنَ مَرْيَمَ وَبَيْنَ المَلَكِ المُبَشِّرِ لها بغلامٍ، تحملُ بِهِ، يكونُ ذا شأنٍ عظيمٍ.(آل عمران45-58) وكيفيَّةِ الولادةِ، ومكانِها، وملابساتِ الوضعِ واقعيًّا ونفسيًّا.(مَرْيَم 22-26).

- التّهمةُ الَّتِي واجهتْ مَرْيَمَ، وموقفُها من الدّفاع، وتبرئةُ الوليدِ لها فِي نطقِه فِي المهدِ. (مَرْيَم28-33).

- بيانُ حَقِيْقَةِ خلقِ الْمَسِيح. (آل عمران59، النّساء172)، ومعجزاتُ الْمَسِيح، ووظيفةُ رسالتِه. (آل عمران49-51)

- تاريخُ حياةِ الْمَسِيحِ من ولادته {فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً. فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً} (مَرْيَم23-24) حَتَّى محاولة قتله، والجدل مع اليهود فِي قتله {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً} (النّساء157).

- نفي الألوهة لمريم، ورد فِي ذَلكَ "وَإِذْ قَالَ اللَّهُ: يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ. قَالَ: سُبْحَانَكَ" (سورة المائدة 116). بَيْدَ أَنَّ الْمَسِيحِيَّة لَمْ تقلْ- فِي يوم من الأيام- بألوهية العذراء مَرْيَم. بَلْ أَنَّ مَرْيَم نفسها تقول فِي الإِنْجِيل {هُوَ ذا أنا أَمَةُ الرَّبِّ} (لوقا 1: 38) فتأخذ وضعها كعبدة أمام الله. فإِنْ كَانَتْ قَدْ قامتْ بدعةٌ تنادي بتأليه العذراء، فإِنَّ الْمَسِيحِيَّةَ تحاربُها بكلِّ قُوَّة[1].

- النَّصَارَى:

عِنْد سِيبَوَيْهٍ جمع نصران للمذكر، ونصرانة للمؤنث، والغالبُ فِي الِاسْتِعْمَال النسبةُ نصرانيّ ونصرانية، وَالْأَصْل نَصْرَانٌ، فَإِذا جمع رَدّ إِلَى الأَصْل، فَيُقَال نَصَارى، قَالَ الشَّاعِر:

فَكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ وأَسْجَدَ رَأْسُها كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لم تَحَنَّفِ[2]

سمّى القرآن أتباع المسيح "النصارى"، ولم ينسبهم إليه، مع العلم أنّ القرآن يعترف بأن عيسى (يسوع) هو المسيح، ويبدو أنَّ هذه اللفظة معروفة لدى عرب الجزيرة، ولعلها مستفادة من الآراميّة أو السريانيّة[3]، أو أنّها من استعمالات اليهود[4]، ولهم وجود مؤثر في الحجاز واليمن.

---

1 - شنوده: م.س.

2 - ابن سيدة: **المخصص** 5/ 161.

3 - يرى بعضهم : إن نصارى كان اسماً قديماً للمسيحيين، ويُدْعم زعمه عن طريق أقدم التسميات في اللغات السامية المختلفة، ويعتقد آخر: أن الإسلام أخذ التسمية «نصارى» عن إحدى النسخ الآرامية أو السريانية. ففي نسخة البسيطة **הפשיטתא** الآرامية، نجد في الآية التسمية **נצריא** (نصارى)، مقابل التسمية العبرانية في النص ذاته **נצרים** (نصريم). نبيل فياض: **النصارى، تاريخهم وعقائدهم** (دمشق، 1997م) ص5 .

4 - يرى بعض المستشرقين أنَها منNazerenes التسمية العبرانية الَّتِي أطلقها اليهود عَلَى من اتبع

لعل أقدم إشارة إلى شخص يسوع، هي لفظ "ناصريّ" نجدها في العهد الجديد[1]، وثمة اشارة نسبت "يسوع" الى الناصرة في سفر أعمال الرسل: {يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس و القوة} (10: 38). كما أنّ أقدم ذكر الى طائفة النصارى، ورد في سفر الأعمال {فاننا اذ وجدنا هذا الرجل مفسدا و مهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة و مقدام شيعة الناصريين} (24: 5). ثمّة من يرى أن "نصارى" تسميةٌ معرّبة من الفَهلَوِيَّة الساسانيَّة بلفظ "ناجاران"[2]، ومنها عرفت في جزيرة العرب.

لَمْ يعطِ القرآنُ معنًى للنصارى بحسبِ المكانِ الذي كانتْ فيه نشأةُ المسيح الأولى، أيْ نسبةً الى الناصرةِ[3]، وإنّما أعطاها المعنَى من دلالةِ الفعلِ "نَصَرَ"، فهم طائفةٌ من بني إسرائيل آمنتْ بالمسيح، وقد قامت الدعوة القرآنية لنصرتهم على الذين كفروا بالمسيح من بني إسرائيل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ

ديانة المسيح. فإن أقدم إشارة إلى طائفة النصارى وردت في العهد الجديد في سفر"أعمال الرّسل" (24: 5) عَلَى لسان يهود (شيعة النّاصريّين). أَوْ أن لها صلة بـ النّاصريين "Nasarenes " احدى الفرق القديمة اليَهُودِيَّة المتنصرة. وَقَدْ بقي اليهود يطلقون عَلَى من اتبع ديانة المسيح "النّصارى"، وبهذا المعنى وردت الكلمة في القرآن الكريم، ومن هُنَا صارت النّصرانية علماً لديانة المسيح عِنْدَ المُسْلِمين. علي: **المُفَصَّل في تاريخ العرب** 582/6. شحادة بشير: **موسوعة الكتاب المقدس**(ناصريين).

1 - متى 23:2؛ 71:26؛ لوقا 37:18؛ يوحنا 5:18؛ 19:19؛ أعمال الرسل 22:2؛ 6:3؛ 10:4؛ 8:22؛ 9:26.

2 - فكتور الكك، تقرير حول الاطروحة "العلاقات الاسلامية المسيحية" مقدم الى كلية العلوم الدينية في جامعة القديس يوسف.

3 -يرى بعض المؤرخين أنَ لها صلة "بالنّاصرة" الَّتِي كَانَ مِنْهَا "يسوع" حيث يقال: "يسوع النّاصريّ". (الطبري: **التفسير** 1/ 318). وورد في متي: {و اتى و سكن في مدينة يقال لها ناصرة لكي يتم ما قيل بالانبياء انه سيدعى ناصريا} (2: 23). علي: **م.ن** 582/6.

فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} (الصف14). يُلْحَظُ الترادفُ بين أنصارِ عيسى وكلمة نصارى. ففي اصطلاح القرآن، أن بني إسرائيل طائفتان : النصارى من بني إسرائيل، الذين آمنوا بالمسيح على دعوة الحواريين أنصاره؛ واليهود من بني إسرائيل الذين كفروا بالمسيح[1]. ويقوّي معنى "النصرة" تَسْمِية الرسول محمّد من آمن بدعوته من أهل يثرب بـ"الأنصار"، ويصوّب ابن الأنباري[2] هذا المعنى، فيقول:" سُمّوا نصارى، لنصرتهم عيسى في أوّل الأمر. يدل على هذا أنّهم يُسَمُّون النصارى: أنصاراً. قال الشاعر:

لمّا رأيتُ نَبَطًا أنصارا ... شمَّرتُ عن رُكْبَتِيَ الإزارا ...

كنتُ لها من النصارى جارا ... "

فضلا عن أنّ القُرآنَ خصَّ أتباع المسيح بلفظ "النَّصَارَى"، لكنّه يشملهم بتسمية: "أهلَ الكتاب"، أَوْ "الَّذِينَ أوتوا الكتاب من قبلكم"، أَوْ "الَّذِينَ أتيناهم الكتاب". يصفهم القُرآن بالإيمان وعبادة الله، وعمل الخير. ويَقُولُ فِي ذَلِكَ "مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ" (آل عمران113). ويَقُولُ -أَيْضًا: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ}(البقرة121). {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ} (النّساء131). {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ} (القصص52).

1 -يوسف درة حداد: **القرآن دعوة نصرانية**، ص29.

2 - **الزاهر في معاني كلمات الناس** 2/ 213.

هُمْ إذًا من المؤمنين، يعبدون اللهَ، ويسجدون للهِ، وَهُمْ يتلون آياتِ الكتابِ طوال الليل. يؤمنون بالله وبالكتاب وباليوم الآخر، وَهُمْ من الصّالحين. ولذلك أمر القُرآن بالحوار مَعَهُمْ عَلَى نحو ترتقي فِيهِ أَدَبِيَّات الحوار، {وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ، إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}، منطلقا من الثّوابت والمُشْتَرَكات الدّينيَّة: {وَقُولُوا آمَنَّا بِالذّي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (العنكبوت 46).

لَمْ يَقْتَصِرْ القُرآنُ عَلَى الأمْرِ بحُسنِ مجادلةِ أهلِ الكتابِ، بَلْ أكْثَرُ مِنْ هَذَا، وَضَعَ القُرآنُ النَّصَارَى فِي مَعْرَضِ الإفتاءِ فِي الدّينِ، والسؤال في اللاهوت، بِمَا لَدَيْهِمْ مِنْ سَبْقٍ دِينِيّ، وخِبرات فِي فَهْمِ المُجْتَمَع وسلوكه، فقال: {فَإِن كُنتَ فِي شَكّ مِمّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ} (يونس 94). وَقَالَ -أَيْضًا: {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (الأنْبياء 7).

وصف القُرآن النَّصَارَى بِأَنَّهُمْ ذو رأفة ورحمة: {وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ، وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً} (الحديد 27). وعدَّهم أقربَ النّاس مَوَدَّةً إِلَى الْمُسْلِمِينَ، في معرض مقارنتهم باليهود: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ، وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ} (المائدة 82). لِلَّذِينَ آمَنُوا (الْمُسْلِمِينَ) والذّين أَشْرَكُوا (قُرَيْش والقَبَائِل الْعَرَبِيّة فِي الجاهليّة)، ونلحظ فِي هَذِهِ الآية القرآنيَّة تمييز النَّصَارَى عَنْ الَّذِينَ أشركوا. لأَنَّها هُنَا تذكرُ ثلاثَ طوائفَ واجهَها الْمُسْلِمونَ، وَهِيَ: اليهود، والذّين أشركوا فِي ناحية، والنَّصَارَى فِي ناحية أُخْرَى. فلو كَانَ النَّصَارَى من المشركين، لَمَا صحَّ هَذَا الفصلُ والتّمييزُ.

إنَّ التّمييز والفصل بَيْنَ النَّصَارَى والمشركين أَمْرٌ واضحٌ جدًا فِي القُرآن، وتدعمه ثَمَّةَ أَمْثِلَةٌ أُخْرَى. مِنْهَا قوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا، إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (الحج 17). نفس هَذَا التّمييز نجده فِي الآية 186 من آل عمران، ونتبيَّنه واضحًا فِي أحكام التّزوج المُشْتَرَك، وَفِي قوانين الْجِزْيَة. ويكفي فِي نظرة القُرآن إلَى إيمان النَّصَارَى بالله، أن نورد قوله {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة 62؛ المائدة 69).

عَلَى الرَّغْمِ مِنْ معارضته للعقيدة الْمَسِيحِيَّة، فالقرآن لا يساوي فِي أحكامه النَّصَارَى والمشركين. فالنَّصَارَى لا يرغمون عَلَى الإِسْلَام مقابل دفع الْجِزْيَة. ويتيح للمُسْلِمِينَ أَنْ يأكلوا من أكلهم، وأن يتزوجوا من نساءهم، ويسكت القُرآن عَنْ زواج الْمُسْلِمة من الكِتَابِيّ. وما جاء فِي الآية 10 من سورة الممتحنة، يحرّم زواج الْمُسْلِمة من الكافر، هل يجوز تطبيقه عَلَى الْمَسِيحِيّ؟. وترى سلوى بالحاج أنّ المفسّرين انقادوا إلَى تأويل القُرآن بحيث يمنع زواج الْمُسْلِمة من كِتَابِيّ انطلاقاً من موقف اِجْتِمَاعِي[1].

ومع ذَلِكَ ورد فِي القُرآن أنَّ بعضًا من النَّصَارَى متعصبون لدينهم، وكارهون للمُسْلِمِينَ: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ} (البقرة120)

تصدّى القُرآن لأهم العقائد الْمَسِيحِيَّة، فإنَّه ينفي الثّالوث { وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ} (النّساء 171؛ المائدة 73). وَأَنَّهُ يلتقي مَعَ الْمَسِيحِيَّة بأنَّ عيسى يولد بدون أب بَشَرِيّ، وإنَّه قَالَ عَنْهُ: "كلمةُ الله"، و"روح مِنْهُ"، غير أنّ هَذَا التّشابه ينحصر

1 - **المسيحيّة العَرَبِيّة**، ص125.

في الشكلِ دون المفهوم، فالقرآن لا يعطي العبارتين المدلول اللاَهُوتِيّ الَّذِي يعطيه الْمَسِيحِيّون. (مائدة 72، 116، 177).

- الرّوح القدس

ذكر فِي القُرآن، وانفرد بِهِ الْمَسِيح { وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ} (البقرة 87،253؛ المائدة 110) إلَّا أَنَّهُ لا يَرِدُ بالمعنى الْمَسِيحِيّ (الأقنوم الثّالثّ). فالمقصود بالثّالوث ثلاثة آلهة، فَضْلًا عَنْ كون القُرآن عدَّ مَرْيَم لا الرّوح القدس عنصراً من عناصر الثّالوث[1].

وَهَذِهِ خَاصَّة بالشّرك بالله كَمَا لَوْ كَانَ هُنَاكَ ثالوثٌ مُكَوَّنٌ من: اللهِ، وصاحبة، وابن، أَنْجَبَهُ الله من صاحبته!، وَهَذَا- بحسب شنودة[2]- كُفْرٌ مُبِينٌ تَتَنَزَّهُ عَنْهُ الْمَسِيحِيَّةُ، وَلَيْسَ ثالوثُ الْمَسِيحِيَّةِ من هَذَا النّوعِ الوَثَنِيّ، كَمَا وَرَدَ فِي العباداتِ المِصْرِيَّةِ القديمةِ، فِي قُصَّةِ "إيزيس" و "أوزوريس" وابنهما الإله "حورس"[3]، أو مجموعتي التثليث الإلهي البابلي[4]. إنْ وُجِدَتْ بِدْعَةٌ مِنْ هَذَا النَّوْعِ

---

1 - والذي يدل عَلَيْهِ القرآن التصريح مِنْهُمْ بأن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة. الزمخشري: **الكشاف** 1/ 493.

2 -" القرآن والمسيحية"، م. س.

3 - أسطورة دينية: أن إيزيس Isis إلهة الأمومة، هِيَ الَّتِي عثرت عَلَى القمح والشّعير حين كانا ينموان نمواً برياً فِي أرض مصر، وكشفت عنهما لأوزيريس Osiris. وَهِيَ أم الإله حورس (إله الشّمس) الَّذِي حملت فِيهِ بمعجزة من المعجزات، وَكَانَ المصريون يعبدون عبادة قائمة عَلَى الحب والإخلاص فصوروا لها صوراً من الجواهر لأنَّها فِي اعتقادهم أم الإله. ولقد كَانَ لهذه الأساطير أعمق الأثر فِي الطقوس المسيحيّة وفي الدين المسيحيّ، حَتَّى إن المسيحيّين الأولين كَانُوا أحيانا يصلون أمام تمثال إيزيس الَّذِي يصورها وَهِيَ ترضع طفلها حورس، وكانوا يرون فِيهِمَا صورة أخرى للأسطورة القديمة النّبيلة أسطورة المرأة الخالقة لكل شيء والتي تصبح آخر الأمر أم الإله. ول ديورانت: **قصة الحضارة** 34/ 408

4 - هما: مجموعة (آنو) إله السماء، و (إنليل) إله الهواء، و (إيا) إله الماء. ومجموعة (شمش) إله الشمس، و (سين) إله القمر، و (عشتار) إلهة الخصب. حسين توفيقي: **روح التحرر في القرآن**،

يُحَارِبُها القُرآنُ، فالْمَسِيحيّةُ تُحَارِبُها -أَيْضًا. ولا يمكنْ أنْ تؤمنَ بمثلِ هَذَا الكُفرِ، أَمَّا ثالوثُ الْمَسِيحيّةِ فغيْرُ هَذَا كُلِّهِ، نقولُ فِيهِ " الآبُ، والابنُ، والرّوحُ القدسُ".

ويُشير "غريغوريوس" أنَّ مَرْيَم: رفعَها الكاثوليكُ إلَى مقامِ الألوهيةِ: " وَكَمَا أخطأَ الكاثوليكُ فرفعوُها إلَى مقامِ الألوهيَّةِ والعِصْمَةِ، كَذَلِكَ ضَلَّ البروتستانت... حِينَ احتقرُوها، وجهلُوا، وتجاهَلُوا نعمةَ اللهِ عَلَيْهَا وَفِيهَا، وَلَكِنَّ الكَنِيسَةَ الأَرْثُوذَكْسِيَّةَ قَدْ عَلَّمَتْ العذراءَ تَعْلِيمًا مستقيمًا، فَلَا نُؤَلِهُها، ولا نَحْتَقِرُها"[1]. في حين يخالف رفع مريم الى مصاف الألوهية "الأب بيار"[2]، إنَّه يرى: أنَّ مريم لها دور في التألّه الإنسانيّ، إذ صار ممكنًا بتجسُّد الإبن من مريم، أنَّها كانت مسكنا حلَّ فيه الروح القدس، فأعطت الحياة للكلمة، وأنَّ فيها قد تمجَّدَ الثالوث.

وترى سلوى بالحاج: "إِذَا اعتبرنا أنّ عقيدة التّثليث الرّسميّة للكَنِيسَة الْمَسِيحيّة غير ذَلِكَ فِي عناصرها ومقصدها، فإنّنا نجد أنفسَنا مدفوعين إلَى التّساؤل، إنْ لَمْ يكنْ القُرآنُ تعرّض فِي نصّه إلَى الرّدّ عَلَى بعض الْمُعْتَقَدات الْمَسِيحيّة، الَّتِي واجهت بِهَا بعض الفرق المتواجدة فِي الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة، الرّسالة المُحَمَّدية، وَلَيْسَ عَلَى العقيدة الْمَسِيحيّة عَامّة، وبشكل منهجيّ وكامل[3]. لعلها أشبه بالإشكاليَّة التي يوردها القرآن عن اليهود {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ} (التوبة30)، ولم يكن في عُرْف المسلمين، عن عامة اليهود، أنَّهم ذهبوا الى

ص42.

1 - الأنبا الأرثوذكسي: **كتاب العذراء مريم ، حياتها، رموزها وألقابها، فضائلها، تكريمها** (لا. ط، القاهرة، رقم ايداع 2005/14357) ص 129.

2 -بيار نجم ر.م.م.: **مريم العذراء في فكر القديس أفرام السرياني** (ت373م)، (منشورات جامعة سيدة لويزة، بيروت، 2004) ص54-55 .

3 -**المسيحية العَرَبِيّة**، ص 115.

انَّ عزير ابن الله، بل رأى قدماء المفسرين[1] أنَّها إشارة الى بعض الأفراد أو الجماعات اليهودية في جزيرة العرب تعتقد بهذا، تأثرا بالمشركين في قولهم: الملائكة بنات الله.

4- الجدل والحوار بَيْنَ الأَدْيَان فِي القُرآن:

الإِسْلَام دين الحوار مِنْذُ بزوغه، وَهُوَ الَّذِي وفَّر الأمن والسّلامة لمخالفيه فِي العقيدة والرّأي، ورفع شعار الْحُرِّيَّة الدّينِيَّة {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}

1 - الطبري: **جامع البيان** 201/14- 204؛ ابن أبي حاتم، الرازي (327هـ): **تفسير القرآن العظيم** 1781/6؛ الواحدي، علي بن أحمد (ت468هـ): **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، 599/2.

(الكافرون6)، ودعا إلَى نظام المشاركة مَعَ وجود الاختلاف في العقيدة، مادام الحاكميَّة والمرجعيَّة إلَى الله {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} (الحج17).

هل مَثَّلَ القرآنُ الحياةَ الدينيَّةَ عندَ العربِ، نعم مثَّلها أصدقَ تمثيلٍ، ولكنّه لا يمثّلُ الحياةَ الدينيةَ وحدَها، وإنَّما يمثّلُ شيئًا آخرَ غيرَها، لا نجدهُ في الشعر الجاهليِّ، يمثّلُ حياةً عقليَّةً قويَّةً، يمثّلُ قُدْرَةً على الجِدالِ والخصامِ، أنفقَ القرآنُ في جهادِها حظًا عظيمًا. أ ليسَ القرآنُ قد وصفَ أولئك الذين كانوا يجادلونَ النبيَّ بقوةِ الجدالِ، والقدرةِ على الخصامِ، والشدَّةِ في المحاورَةِ ؟! وفيمَ كانوا يجادلونَ ويخاصمون ويحاورون؟ في الدين وفيما يتصل بالدين من هذه المسائل المُعْضِلَةِ، التي ينفق الفلاسفةُ فيها حياتَهم دون أنْ يُوفقوا الى حلِّها: في البعثِ، في الخلقِ، في إمكانِ الاتصالِ بينَ اللهِ و الناسِ، في المعجزةِ وما إلى ذلك[1].

حفل القُرآن بوضع مُقَارَبَات تؤسس لحوار ناجح بَيْنَ الأَدْيَان، ولاسِيَّمَا بَيْنَ أهل الكتاب، ودعا الْمُسْلِمِينَ إلَى مجادلتهم- بأحسن مَا يمكن من أساليب- في فن الحوار وأَدَبِيَّاته، من دونِ فرضِ رأيٍ، أَوْ إلغاءِ الآخر، أَوْ الحكمِ عَلَيْه، لأَنَّ الأمرَ مُرجأٌ إلَى حكمِ اللهِ، {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }(النّحل125).

من أبجديات خلق الحوار النّاجح هُوَ النّهوض بتأصيل الفكر في الرّجوع إلَى أصوله النّاصعة، فالقرآن أرجع الإِسْلَام إلَى بودقة الدِّيَانَات التَّوْحِيدِيَّة، وصاغ فكرة "الأرومة الإِبْرَاهِيميَّة"، وأنَّ إِبْرَاهِيمَ مَا كَانَ يهوديًّا ولا مسيحيًّا، ولَكِنْ

1 - طه حسين: **في الأدب الجاهلي**، ص69.

كَانَ حنيفًا (آل عمران67). فهذه الفكرة -بحَسَبِ يواكيم مبارك- كَانَتْ الأَصْلَ فِي التّعبيرِ عَنْ إرادةِ انفتاحٍ بَيْنَ الدِّيَانَاتِ التَّوْحِيدِيَّةِ بعضِها عَلَى بعضٍ، من أجلِ تبادُلِ الإعترافِ فِيمَا بَيْنَهَا تَحْتَ مظلَّةِ الشّجرةِ الإِبْرَاهِيميَّة[1].

ويؤكّد عَلَى النّقاط المُشْتَرَكة فِي الدِّيَانَات الكِتَابِيّة، بغية التّعارف بَيْنَهُمْ عَلَى تَنَوُّع الثَّقَافَات الدّينيَّة والأخلاقية والحُقُوقيَّة {وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (العنكبوت46).

فالمُشْتَرَكات العقدية بَيْنَ الْمَسِيحِيَّة والإِسْلَام[2] تتَجَلَّى فِي الاعتقاد بإله واحد، خالق السّماوات والأرض وكلِّ مَا يُرى وما لا يُرى، وأنّ وجود الله يُثْبِتُهُ العقلُ ويؤكّده الوحيُ، والله عالم الغيب والشّهادة، وَهُوَ غفور رحيم، محبٌّ لعباده، الحميد المجيد[3]. ومن أهم المعاني المُشْتَرَكة بَيْنَ الْمَسِيحِيّينَ والمُسْلِمِينَ هُوَ الاعتقاد بأَنَّ الله لَمْ يترك الإنْسَانِيَّة عَلَى حالها عباديًّا، فأرسلَ الأَنْبِياءَ بعدة طرائقَ مِن الوحْيِ والتّكْلِيمِ، فالْمَسِيحيُّونَ والمُسلمونَ-عَلَى السّواء- يُسَمُّونَ إِبْرَاهِيمَ خليلَ اللهِ، ومُوسَى كليمَ اللهِ، والْمَسِيحَ روحَ اللهِ[4]، {ولا تحزنوا روح الله القدوس الَّذِي بِهِ ختمتم ليوم الفداء} (رسالة بولس 4/ 30)، وإن كَانَتْ الْمَسِيحِيَّة تُلْبِسُ "روح الله" عديدا من الأنبياء، ومِهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ فإنّ الْمَسِيحِيّينَ والمُسْلِمِينَ يتَّخذون مِنْهُمْ الأُسْوَةَ الحسنةَ، والمثالَ الأعلَى فِي الإيمانِ والطّاعةِ.

---

1 - جورج طرابيشي:" عَنْ يواكيم مبارك، الإنسان الإستثنائي" *جريدة الحياة*، العدد 15398، في 2005/05/29.

2 - انظر: غَسَّان سليم سالم: **محاور الإلتقاء ومحاور الإفتراق بين المسيحية والإسلام**، (دار الطليعة، بيروت 2004) ص76- 190 .

3 - جورج شحاتة قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبِيّة**، ص 17- 19.

4 - قنواتي: م. ن، ص 20.

كَمَا يتشهد الْمُسْلِمون بـ "أن لا إله الا الله"، يترنم الْمَسِيحِيّون بـ " مَنْ إلهٌ غيرُ الرّبِّ، مَنْ صخرةٌ سِوَى إلهنا" (المزامير17/ 32). ومثل {وَلَمْ يَكُن لَهُ كُفُوًا أَحَدُ} (الإخلاص 4)، {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ...}(الحديد3)، فَهُوَ {الأول والآخر...}(اشعيا 4/41). و{ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ، لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ}(البقرة ٢٥٥)، تَشْبَهُ {لأنّ اللهَ هُوَ القيوم المتين، لا يتعبُ ولا ينسى}(أشعيا 28/40).

أقل مَا يُرْجَى -من مُقَارَبَةِ المُشْتَرَكاتِ- الإقرارُ بدينِ الآخرِ، أَوْ تبادلُ الإعترافِ والإحترامِ، لتنمية روح التفاهم والتعايش {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ }(آل عمران64).

عرضَ القُرآنُ ألوانًا من عدمِ إقرارِ الأَدْيَانِ بعضِها لبعضٍ عَلَى المبدأ الإنحصاريّ، الَّذِي لا يرى الا نفسَه {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ}(البقرة113). وَهُنَا يعرضُ الإِسْلَامُ نفسَهُ حَلًّا وَسَطًا لِتَسْوِيَةِ الخلافَاتِ بَيْنَ اليهودِ والْمَسِيحِيّينَ، إِذْ يُؤَكِّدُ عَلَى العناصرِ المُشْتَرَكةِ بَيْنَ الدّيانتينِ، في وقتٍ ينقد ظاهرةَ تجريح الآخر وتهميشه في الديانات الإبراهيمية، وينسبُ الجهلَ الى من يدَّعي له مرجعيَّة الحكم على الآخر، لأنَّها من الإختصاص الإلهي. بَيْدَ أَنَّ ظاهرةَ عدمِ قبولِ الآخرِ قَدْ تطبعُ العلاقةَ بين الديانات، وأكثرَ ما تُوَجَّهُ نحوَ الدّين الجديد {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى }(البقرة120)، وَلَكِنَّ هَذَا لَنْ يمنعَ من الحوارِ، لأجْلِ الإعترافِ أَوْ الإقْتِنَاعِ مَا زَالَتْ المرجعيَّةُ إِلَى اللهِ وهُدَاه، وَلَنْ يُقَلِّلَ مِنْ قِيمةِ دعوى الحوارِ، الَّتِي رفعَها الإِسْلَام.

عِنْدَمَا يشتد التّجاذب بَيْنَ اليَهُودِيَّة والإِسْلَام، وتتصاعد الاحداث إِلَى الأحتراب، واستعداء اليهود الوَثَنِيّين عَلَى الْمُسْلِمِينَ، ويستشري العداء، فِي حِينَ تظل الْمَسِيحِيَّة محافظة عَلَى مبادئ المَوَدَّة والسّلام مَعَ الأَدْيَان، مَعَ مَيْلٍ للمُسْلِمِينَ، كَمَا فِي هجرة الْمُسْلِمِينَ إِلَى الحبشة الْمَسِيحِيَّة، ورعايتها لَهُمْ؛ يلحظ أَنَّ القُرْآنَ ينتهجُ أسلوبَ الموازنة والتّقويم بَيْنَ الدِّيَانَات على أساس سلوكي بين معتنقيها، ويفضل المَسِيحِيّينَ على اليهود والمشركين {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالذّينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ }(المائدة82). في حين أن اليهودية أكثر توافقا مع الإسلام عقديًّا من المسيحية، لاسيَّما في أصل الإيمان بوحدانيّة الله، فقد عدَّت اليهودية أنّ المسيحية تجاوزت الإيمان الإيمان اليهوديّ بوحدانيَّة الله في الإعتقاد بأن عيسى ابن الله، وأن فكرة الثالوث انتهاك للوحدانيَّة[1]، كما أنّ القران استنكر الإبنويَّة والتثليث[2].

أدوات الحوار الدّينِيّ فِي القُرآن:

الاقرار بِمَا عِنْدَ الآخر عَلَى تَنَوُّعه بَلْ الإيمان بِهِ: فِي مثل قوله: {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}(البقرة136).

سرد قصص الأنْبِياء السّابقين، ونقل أخبارهم ونشرها وتداولها، والاستدلال بِهَا عَلَى نحو إيجابي فِي تقريب النّفوس، للإرتقاء فِي الفضاء الإيماني.

1 - روبن فايرستون: **ذرية ابراهيم**، ص37 .

2 - انظر: سورة النساء 171، المائدة 116، .

{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (آل عمران52).

إبداءُ رأيٍّ وسطيٍّ يُيَسِّرُ عَمَلِيَّة الحوارِ، ويُوازِنُ المسألةَ المُخْتَلَفَ عَلَيْهَا، مثلًا: إنَّ الْمَسِيح ابنُ اللهِ لَدَى الْمَسِيحِيِّينَ، وهُوَ ابنٌ غيرُ شرعي فِي المنظور اليهوديَّ، فالقرآن وجد حلًّا لبنُوَّةِ الْمَسِيح، تمثل وجهة نظر الإِسْلَام فِي معرض الحوار اليهوديَّ الْمَسِيحِيِّ، استنبطه من العمق التّاريخيّ للخلق: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ }(آل عمران59)، لَكِنَّهُ لَمْ ينتقصْ من قيمته، بَلْ منحه الفرادة فِي هَذَا النّوع من الخلق باليد الإلهِيَّة، فِي كونه ثانيًا، وَلَمْ يسَجِّلْ تاريخ التّكوين ثالثًا مثله.

إعلان رأيه الأخير، مِنْ بَعْدِ أَنْ يستعرض آراء الآخرين، مستفيدا من الموازنة التّاريخيّة أَوْ المنطق العقلي، لصالح تأصيل المنهج الإِبْرَاهِيمِيّ فِي ديانة التّوحيد: {وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيم حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (البقرة135).

5- منهج القُرآن فِي إِدَارَة العَلاقَات الدّينِيَّة:

إِضْطَلَعَ القُرآنُ بالمسؤولِيَّةِ الإلهِيَّة فِي واقعِ التَّنوُّع الدّينِيّ تاريخيّاً ومَوْضُوعياً، ولاسِيَّمَا تعَدّدية الدّيَانَاتِ النّبَوِيّةِ وإرسالِ الرّسلِ، ورفْعِها عَنْ كاهلِ المُجْتَمَعاتِ، حَتَّى يخفف من وطأة أثرها وعواقبها فِيمَا بَيْنَهُمْ، فِي مثل قوله: {ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} (الحديد 27). ويُحيل مُقَارَبَةَ التَّنوُّع إِلَى حَقِيقَة عقلية وإيمانية، لأنّ مَا تأتي بِهِ الرّؤيا المُطْلقة يختلف- فِي الاسباب والنّتائج والأثر- عَنْ مَا يأتي بِهِ النّاس أَوْ بعضهم، أي مَا يصدر عَنْ ارادة السّماء، يمكن أَنْ يلقى قبولًا، بَلْ يستلزم أَنْ يُنظَر إِلَيْهِ بعين الطّاعة، لِأَنَّهُ ناتِجٌ عَنْ المشيئةِ الإلهِيَّة:

{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ } (النّساء64)، عَلَى خلاف مَا يخرج عَنْ رأي مجموعة من النّاس، فَإِنَّهُ أقرب إِلَى الرّد وتأجيج الاختلاف والتّشتت، لوجود الحَسَد والنّفاسَة وتضاد الأهواء، بَيْنَ النّاس أَوْ المجموعات فِي المُجْتَمَع الواحد.

لعلنا نلمح إمكانيَّة المنهج الحواريّ الَّذِي ركّزه القُرآن الكريم للنبيّ مُحَمَّد، وَهُوَ قوله: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (سبأ24)، فِي مَوْضُوعيَّة الحوار، وعدم احتوائيَّة فكرة مُعينة لأحد طرَفَيْه، حَيْثُ لَمْ يعرضْ المحاورُ صوابيَّة فكره، وَلَمْ يؤكّدْها، وَفِي الوقتِ نفسه لَمْ يظهرْ خطأُ الفكرِ الآخَر، بَلْ كَانَتْ قائمةً عَلَى معادلةٍ فِكريَّة، تتساوى فِيهَا احتماليَّةُ الخطأ والصّواب، عَلَى نحوٍ يعزّزُ من فُرَصِ إِدَارَة الحوارِ، بأكْبَر قَدْرٍ من المَوْضُوعيَّة العِلْميَّة، الَّتِي تنشد الحَقِيْقَة من موقفٍ حياديٍّ، دونَمَا أيَّ تعقيدٍ أَوْ تهويل[1].

فِي محاولة تخفيف حِدَّة الأزمة الَّتِي أدَّتْ إِلَى كراهيَّةٍ تاريخيَّةٍ بَيْنَ اليَهُودِيَّة والْمَسِيحيَّة، وَكَانَتْ قَدْ انبثقتْ من صَلْبِ يسُوعَ الْمَسِيح عَلَى يدِ اليهود، نلحظُ أنَّ القُرآنَ تَحَمَّلَ مسؤولية إِدَارَة المرحلة، وخَرَجَ بمُقَارَبَة جديدة، نقلتْ الصّلبِ من الحَقِيْقَة إِلَى التّشبيه، أي من الجُرْمِ اليَقِينِي إِلَى الجُرْمِ الظّنِّي : {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً }(النّساء157). وثمة إشارة الى معطيات تاريخية، تؤكّد أنَّ الله ينصر رسلَه في الحياة الدنيا على أعدائهم، كما نصَّت عَلَيْهِ آيات القرآن، وأنَّ إنكار صلب المسيح يمنح المسيحَ نفسَه الظفرَ والنصر في المواجهة مع قومه، وتاليًا يعطي القوة

1 - فضل الله، مُحَمَّد حسين: "فِي أسس الحوار بَيْنَ الأديان"، جريدة *النّهار*، لبنان، الأحد، 10 تموز 2005.

والصلابة وديمومة الانتصار للرسول محمد، ويؤكد استمراريَّة الدعم الإلهيّ له في مجتمع التنوع الديني.

وَهُنَا يُؤَدّي دَوْرَ الوسيطِ القَوِيّ، الَّذِي يساعدُ عَلَى تخفيفِ الأَزْمَةِ لَدَى الطّرفينِ المتنازعينِ، وينزعُ مِنْهُمَا روحَ الكراهيةِ، الَّتِي إتسعتْ دائرتُها تاريخيّا بَيْنَ المُجْتَمَعينِ الدينيَّينِ، ويجعلُ إمكانيةِ التّقارُبِ والتّسَامُحِ بَيْنَهُمَا مُتَاحَةً. ومِنْ ثَمّ ينظرُ طرفَا الخُصُومَةِ بعَيْنِ التّقديرِ إلَى مَن أَسْهَمَ فِي نَزْعِ فَتِيلِ الأَزْمَةِ، ويكونَا فِي معرضِ الإجتذابِ إلَى مركزِ المساعدةِ، دينِ الإِسْلَامِ فِي إِدَارَته النّزاع، الَّتِي أَرْسَتْ نَظَرِيَّةَ وَسَطِيَّةِ الأُمَّةِ {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النّاسِ وَيَكُونَ الرّسول عَلَيْكُمْ شَهِيداً} (البقرة143).

يستعمل القرآن -أحيانًا- التّذكيرَ بعمق الصّلات بَيْنَ المُخْتَلفين، ليشعرهم أنّ بعضَهم امتدادٌ لبعض في الوعيّ الدينيّ، بإسلوب مُشْبَعٍ بالتوكيد اللفظيّ والمعنويّ: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، مُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التّوْرَاةِ، وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى ونُورٌ، وَمُصَدّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التّوْرَاةِ، وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} (المائدة46). ثُمّ يوظّف عنصرَ الإطراء الَّذِي يُعَدُّ مُهِمًّا فِي التّقريب بَيْنَ الفئتين المُخْتَلفتين، {وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً} (الحديد27). وكَمْ يرتقي هُنَا بمجتمع الإِنْجِيل فِي إيمانيته المترجمة اِجْتِمَاعِيا إلَى قيمٍ أخلاقيَّة تقبل التّواصل مَعَ الآخر. وجلُ مَا تقدم يؤدي إلَى تحَقِيْقِ الاجتذاب إلَى الطّرف الثّالثّ الَّذِي قام بإِدَارَة الإختلاف.

وتاليا يستخدم المجاراة عَلَى سبيل التّحضيض، وتوظيف المثال التّاريخيّ ليخلص إلَى مُقَارَبَة، تتجاوز حدود اجتذاب الآخر واستمالتّه، إلَى الوقوف مَعَهُ وإسناده {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ، كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ:

مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ: نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ، فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ، فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ، فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} (الصّف14).

ثُمَّ أنّ القُرآنَ يصفُ مجتمعَ النّبيّ مُحَمَّدٍ بِأَنَّهُ: متراصٌ فِي وقفته ضِدَّ الأعداءِ {مُحَمَّد رَّسُولُ اللَّهِ وَالذّينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ}، ومتماسكٌ فِيمَا بَيْنَهُ فِي العَلاقَات الاجْتِمَاعِيَّة {رُحَمَاء بَيْنَهُمْ}، وَفِي العلاقة العِبَادِيَّة مَعَ الله {تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السّجُودِ}، لَكِنَّهُ لَمْ يكتفِ بِهَذَا، بَلْ يربطه بوازع المثليَّة فِي التّاريخ الدّينيّ، الواعية الايمانية فِي مجتمعي التّوراة والإنْجِيل: {ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ} (الفتح29).

هُنَا يمنح مجتمع مُحَمَّدٍ قُوَّةً فِي مجتمع المشاركة التّاريخيّة مَعَ مجتمع موسى وعيسى، ويُمَتّنُ روح المواءمة والمحبَّة بَيْنَ فئات الدّيَانَات الكِتَابِيّة الثّلاث. ولذا نَجِدُ أنَّ اللهَ يَعِدُ مُجْتَمَعَ المؤمنينَ في حزمة إيمانية واحدة من تأصيل التاريخ الديني في الأرومة الإبراهيمية، وما أنتجته من المعرفة الدينيَّة عبر كُتبها {وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقرآن} (التّوبة111)، ويرْسِمُ لَوْحَةَ التّوادِ والتّسامُحِ فِي التّاريخ المُستقْبَلِ الّذي سَيَشْتَمِلُ عَلَيْهِمْ فِي مجتمع المشاركة. وبَوْصَلَةِ هَذَا التّمْتِين، ملاكُها: إستمدادٌ من الماضِي، وتفعيلٌ فِي الحاضرِ، وإعْدَادُ المستقبلِ للتَعَايُشِ السّلميّ الآمِنِ، والاحترامِ المُتبادَلِ بَيْنَ أطرافِ المعادلةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ والدّينِيَّةِ.

مِنْ أسْمَى آياتِ الإقرارِ بالآخَرِ اليهوديّ فالْمَسِيحِيّ، أنَّ القُرآنَ يدعوهُم إلَى الثّباتِ عَلَى وجودِهم القيميّ، فِي التّزامِهم بكتبِهم المُنْزَلَةِ من اللهِ {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُواْ التّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ} (المائدة68). وأنَّ القُرآنَ يشهدُ أنَّ مَا لَدَيْهِمْ من كتابِ التّوراةِ هُوَ مصدرُ التّحكيمِ

الأَوَّلِ فِي تاريخ الدِّيَانَةِ الكِتَابِيّة {وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ} (المائدة43)، ومَرْجِعُ حُكْمِ النَّبِيِّينَ والصّالحين عَلَى تَنَوُّعِهم، {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاء} (المائدة44)، وفَضْلًا عَنْ كونه مُنْزَلًا مِن اللّهِ فَهُوَ مُسْتَحْفَظٌ فِي صدورِ الصّالحينَ، فالقرآنُ حَفَظَ عَديدًا مِن قِيَمِ التّوراةِ الإيمانيَّةِ والتّاريخيَّةِ، لتكونَ عِبْرَةً وشاهِدًا، تُسْهِمُ فِي التَّقارُبِ النّفسيِ الاِجْتِمَاعِيّ فِي معرضِ الإختلافِ.

فِي مُقَارَبَة تستشرف مستقبل التَّنَوُّع، وتنقل الذّهن الدّينيّ عبر المسار التّاريخيّ إِلَى توسيع دوائر التَّنَوُّع الدّينيّ من خِلَالِ الاقرار النّبَوِيّ من لَدُنِ الْمَسيح برسالة مُحَمَّد، {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ} (الصّف6)، وفَضْلًا عَنْ كونها تضيف اعجازا إِلَى ثبت معجزات الْمَسيح بحَسَبِ القُرآن، إِنَّها تُسْهِمُ فِي إضفاء التّقارب الرّوحيّ بَيْنَ الدِّيَانَات النّبَوِيّة، والاستعداد النّفسيّ لتكامل الحَضَارَات الدّينِيَّة.

استعمل القُرآن المُشْتَرَكات، لرسم خطٍ تنتظمُ فِيهِ الدِّيَانَاتُ السّمَاوِيَّة، عَلَى تجاه بوصلةِ الأُلوهة المُرْسِلَةِ للنبيّين، بهدف نَسْجِ فَرْشَةِ تعارُفٍ وتقارُبٍ، كخطوةٍ إِلَى إِدَارَة التَّنَوُّع، فِي اعداد وحدة شعور مُشْتَرَك فِي الأُصول العِبَادِيَّة والنّشأة: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران64)[1]. ومن أهم المشتركات:

1 - الطوسي: فِي من نزلت هَذِهِ الآية ثلاثة أقوال: أحدهما - ذكره الحسن، والسّدي، وابن زيد، ومُحَمَّد بن جعفر بن الزبير: أَنَّهُمْ نصارى نجران. والثّاني - قَالَ قتادة، والرّبيع، وابن جريج: أَنَّهُمْ يهود المدينة، وَقَدْ روى ذَلِكَ أصحابنا. الثّالثّ - ذكره أَبُو علي الجبائي أنها فِي الفريقين من أهل الكتاب

- الحاجة الفطريَّة إلَى الدّين {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ }(الرّوم30)

- وحدة التّشريع فِي الرّسالات النّبَوِيّة {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالذِّي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيم وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا} (الشّورى13).

- الوحي[1] لغةُ الله فِي بثّ المنظومات العِبَادِيَّة إلَى صدور الأنْبياء: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ} (النّساء163).

- الميثاق: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيم وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً } (الأحزاب7).

- الكتاب ووحدة التّنزيل: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ } (آل عمران3).

عَلَى ظاهر الكلام. **التبيان** 2/ 488

1 - الوحي هُوَ إبلاغ الله انبياءه تعاليمه بوسائط عدّة: الكلام المباشر أَوْ شبهه، الرّؤيا المنامية، ظهور الملائكة، روح من الله تحل عَلَى العبد. أحمد عبد الوهاب: **الوحي والملائكة فِي اليَهُودِيَّة والمسيحية والاسلام**، (مكتبة وهبة، القاهرة، 1979م) ص45. وَهُوَ إبلاغ الحق الإلهي للبشر، وَهُوَ عمل روح الله، (الرّوح القدس) يعمل فِي أفكار أشخاص مختارين وفي قلوبهم، ويجعلهم أداة للوحي الإلهي. { ومد الرّب يده، ولمس فمي. وقال الرّب لي: ها قَدْ جعلت كلامي فِي فمك} (ارميا 1 / 9). نخبة من اللاهوتيين: **قاموس الكتاب المقدس** (وحي).

نستنتج أنَّ القُرآن سَجَّل موقفا من الْمَسِيح والعقيدة الْمَسِيحِيَّة، فَقَدْ ميّز بَيْنَ الْمَسِيح والْمَسِيحِيّينَ؛ إِذْ نزَّهَهُ عَنْ مَا اجتهدوا فِي رسالتّه السّمَاوِيَّة من قراءات وأفعال، تصل إِلَى إمالة محصّلة رسالة عيسى، وتحريف كتاب الله الإِنْجِيل.

وقد عَدَّ القُرآنُ رسالةَ عِيسَى رِسَالَةَ تَوْحِيد، تتَدَرَّجُ فِي سِلْسلَةِ الأَنْبِياءِ بدءًا بإِبْرَاهِيمَ الخليلِ مرورًا بموسَى، وانتهاءً بمُحَمَّد، الَّذِي أَتَى مكمِّلاً لهَؤلاءِ الرّسل، الَّذِينَ أَتَوا جميعًا برسالة الإِسْلَام.

مِنْ هُنَا كَانَ القُرآن هُوَ المعْيَار، لمَدَى صحة أَوْ خطأ مَا يراه النَّصَارَى حول الْمَسِيح عيسى وأمّه مَرْيَم، وإِنَّ مَا يخالف مَا جاء فِي القُرآن عَنْهُمَا لَيْسَ من الحقيقة بشيء. وفوق هَذَا، فَقَدْ عَدَّ القُرآن أَنَّ مَنْ يُصَدِّقُ رسالةَ مُحَمَّد، الَّتِي بَشَّرَ بِهَا عِيسى والإِنْجِيل، هُمْ أتباع عيسى الحَقِيقِيُّون، وبذلك ينبغي أنْ يؤمنوا بالإِسْلَام؛ لأَنَّهم أصدقُ من حمَل الحقيقة الدينيَّة في المنظور القرآنيّ، فهم أولى في الإيمان بالإسلام، لحجم المشتركات ومحاور اللقاء[1]، على الرغم مما يحمله المعنى من إحتواء للآخر الديني. ومع ذَلِكَ فَقَدْ وقف القُرآن من الْمَسِيحِيّينَ موقفًا مَرِنًا وإيجابيًّا، مقارنةً بموقفه من اليهود. ولَكِنْ مَنْ يُدَقِّقْ فِي ردودِ القُرآنِ عَلَى الْمَسِيحِيَّة، يَلْحُظْ أَنَّهُ لَمْ يتَّبعْ فِي ذَلِكَ منهجًا معينًا، وَلَمْ يُفَنِّدْ كلَّ عقائدها، كَمَا جاءَتْ فِي المجامع الْكَنَسِيّة السّابقة عَلَى الإِسْلَام. إِنَّمَا يبدو أَنَّ تِلْكَ الرّدودَ كَانَتْ عَلَى مَا شاعَ عَنْ عقائدَ بَيْنَ الْمَسِيحِيّينَ فِي الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة وأطرافها، وَهِيَ عقائدُ لها بعضُ الخصوصيَّة. ولأنَّ القُرآن عَدّ الْمَسِيحِيّينَ أهلَ كتاب، فَقَدْ حدَّدَ التّعامُلَ مَعَهُمْ، فِي حال تمسُّكهم بعقيدتهم، بأَنْ يدفعوا الْجِزْيَة تمييزًا لَهُمْ عَنْ الوَثَنِيّين، الَّذِينَ لَمْ يكنْ أمامَهم إلا الإِسْلَام أَوْ السّيْفُ.

1 - انظر: غَسَّان سليم سالم: محاور الإلتقاء ومحاور الإفتراق بين المسيحية والإسلام، ص76- 190 .

يجدر القول بأنَّ خطابَ القُرآن عَنْ المَسيحِيّة، تَطَوّر من الدّعوة للإِسْلَام عَنْ طريق الْحُجَّة والتّرغيب والتّرهيب، إلَى التّحذير والتّهديد ثُمّ إلَى القتال، فِي نهاية المطاف، إِذَا رفضوا أداء الْجِزْيَة[1].

1 - مُحَمَّد الخزعلي: "المسيحيّة العَرَبِيّة وتطوراتها". *مجلة التَّسَامُح* العمانية، عدد2.

الفصل الثاني

الآخر والجهاد والفتوح في المفاهيم الإسلامية

1- الآخَر الدّينيّ في المفهوم الإسْلَاميّ:

قَصَرَتْ الرُّؤْيَةُ الإسْلَاميّةُ "الوحدةَ" عَلَى الذّاتِ الإلهيَّةِ وحدها، وشملتْ كُلَّ المظاهرِ المخلوقةِ بالتَّنوُّعِ والتّعدُّدِ، وَبِحَسَبِ " جوفروا" تَنْبَعُ النّظريةُ الإسْلَاميّةُ للتعَدّدِ من مبدأٍ منطقيّ، بِمَا أَنَّ اللهَ فِي الإسْلَامِ هُوَ الواحدُ الأحدُ، فإنّ كُلَّ مَا عداهُ - تعالى- أي خَلْقِه يُحْسَبُ عَلَى التّعَدّدِ[1]. وأضحَتْ التّعَدّديَّةُ فِي الخلقِ والمخلوقاتِ مِن سُنَنِ اللهِ الَّتِي لا تبديلَ لها، نحو تعَدُّديةِ القومياتِ والاجناسِ فِي اخْتِلَافِ السّنَتِهِمْ وَأَلْوَانِهِمْ، وتعَدّديةِ الشّعوبِ والقَبَائِلِ فِي اطارِ التّعارفِ بَيْنَ بَنِي الإنْسَانِ، وتعَدّديةِ الشّرائعِ فِي إطارِ الإيمانِ بالألوهيَّةِ الواحدةِ والعملِ الصّالحِ[2].

وان مشروعية الدِّيَانَات فِي الإسْلَام تنتظم فِي التّوحيد، وإنْ تَنَوَّعَتْ فِي قِبَالِ الشّرْكِ والوَثَنِيّة، من منظورٍ إلهيّ، هُوَ الَّذِي {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالذّي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} (الشّورى13). وأنّ الَّذِينَ اختلفوا فِي مُعْتَقَداتهم يَجْمَعُهُم خَيْطُ الإيمَانِ والعمل فِي حِياضِ المصلحةِ العَامّةِ، لتكونَ مُحَصِّلَتُهم باتجاهِ الجزاءِ والثّوابِ هِيَ الحُسْنَى، {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالذّينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصّابِئِينَ مَنْ

---

1 - إريك Geoffroy Eric: "التعدد فِي الاسلام، أَوْ الوعي بالآخرية، مجلة الأديان"، ص31-43، (مركز الدوحة الدولي لحوار الاديان، العدد صفر، 2009).

2 - مُحَمَّد عمارة: **التعددية، الرّؤية الإسلاميّة والتحديات الغربية**، (نهضة مصر للطباعة، القاهرة 1997) ص4.

آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } (البقرة62)

فِي الفكرِ الدّينِيّ النّبَوِيّ، وَبِخَاصَّةٍ الإِسْلاَمِيّ، إنَّ أوَّلّ مَن غَرَسَ بذورَ التّعَدّدِيةِ فِي العالمِ، هُوَ اللّهُ تعالى، الَّذِي أَرْسَلَ رُسُلًا وأنبياءَ مُخْتَلفين، وتَجَلَّى لِكُلِّ واحد مِنْهُمْ بمظهرٍ خاصٍّ، وبعثَ كُلَّ واحدٍ مِنْهُمْ إلَى مجتمعٍ خاصٍّ، ورسم تفسيرًا للحَقِيْقَةِ المطلقةِ فِي ذهنِ كُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ، يختلفُ عَنْ الآخر[1].

من يُمْعِنُ فِي بِيئَةِ النّشوءِ وتاريخِ الإِنْسَانِ وطبيعته، يَجِدُ أنّ العاطفةَ الدّينِيَّةَ حاجةٌ لازمتْ الإنسانَ -عِبْرَ مراحِلِ تَطَوّرِه- فِي تَصَوُّرِ الأُلُوهَةِ، وتَلَمُّسِ القُوَّةِ المقدسة، مِنْذُ البرهة الأولى فِي محاكاة الطّبيعة، وتجسد إدراكه إياها فِي الظّواهر الطّبِيعيَّةِ والإيمانِ بِهَا، مِمّا أتاحَ لَهُ فكرةَ تعَدّدِيةِ الآلهةِ بِمَا يتناسبُ مَعَ حاجاته[2]. وصاحَبَتْهَا ظاهرةُ إرسالِ اللّهُ النّبواتِ المتعَدّدة، لأجلِ ترسيخِ الفكرِ الدّينِيّ، ومَدّ خيوطِ التّواصلِ بَيْنَ الأَدْيَانِ فِي الطّقوسِ، عَلَى نَحْوٍ يؤسّسُ لقوانينَ التّطَوّرِ الدّينِيّ والاِجْتِمَاعِيّ.

عُنِيَتْ الدّيَانَاتُ التَّوْحِيدِيَّةِ فِي الآخرِ الإِنْسَانِيّ، وجعلتْهُ قريبًا إلَى النّفسِ، وعلى الضَّفةِ الأُخْرَى من المعاملةِ والتّقديرِ، وبالغتْ فِي حُبِّهِ إلَى مَرْتَبَةِ الأيمانِ. فمِن نصوصِ التّراثِ الدّينِيّ الدّالةِ عَلَى العنايةِ بالآخرِ، ففي التّوراة: "وأحببْ قريبَك حبَّكَ لنفسك" (سفر الاحبار 18/19)، وَفِي الإِنْجِيل: "كَمَا تريدونَ أنْ يُعامِلَكُمْ النَّاسُ فكَذَلكَ عامِلُوهُم" (لوقا 31/6؛ متى 12/7)، وَفِي الحديث النّبَوِيّ: "لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[3]. وَفِي ضوء هَذِهِ

1 - سروش، **السّراطات الدينية**، ص27.

2 - صادق محمود: "حول كتاب "من هُوَ الله؟ جواب الأديان الكبرى" بحث مقدم إلَى *جامعة القديس يوسف*، 2013.

3 - البخاري: **الصّحيح** 1/ 12.

الاستشهادات الَّتِي كثيرا مَا يرددها اليهود والْمَسِيحيون والمسلمون تجاه الآخر- بحَسَبِ آركون- مَا هِيَ الا دعاوى استباقية، يحاول أنْ يبرْهِنَ كُلٌّ مِنْهُمْ أنّ تراثَه الدّيْنِيَّ هُوَ مَنْ دَشَّنَ إحترامَ الآخرِ، وأنَّهُ لَيْسَ إلَّا نوعًا من التّبجيلِ الإسقاطيّ العاطفيّ، فاحترام الآخر كإِنْسَانِ- بغض النّظر عَنْ انتماءاته الدّينِيَّة أَوْ المَذْهَبِيَّة شيء جديد، لا يعرف الا فِي عصر الحداثة الفِكرِيَّة والفَلْسَفَيّة التّنويرية[1].

غيرَ أنَّ وجودَها، في التراث الدينيّ الكِتَابِيّ، دالٌّ على عنايتِها بالآخَر، في تساوقٍ أخلاقيّ، وليْسَ ثَمَّةَ تزاحمٌ، ما زالتْ التجاربُ الدينيةُ تَتْرَى وتَتَسَلْسَلُ تاريخيًّا، وما قالَه أصحابُها كانَ من بابِ التَذَاكُرِ والتّبْيَانِ. وعَلَى الرّغْمِ مِنْ أنَّ النّصَّ التّوراتيَّ مُخْتَصٌّ بِبَنِي إِسْرَائِيلَ بحَسَبِ السّياقِ[2]، ومُحَصّلَةُ المَعْنَى ظَلّتْ مقصورةً فِي الْمَسِيحيّة والإِسْلَام، فانَّ الدّيْنَيْنِ قاما عَلَى مبدأ التّبشير إلَى النّاس جميعًا، وتَلَمُّسِ العَالَمِيّة الدّينِيَّة، ومن الطّبيعي أنّ أيَّ دينٍ لا يرَى إلّا نفسَه ومُقَدّسَاته فِي ظلِّ ظروفٍ يُسَوّغُها لصلاحيَّته، وَهَذَا مَا يدفعُه إلَى الإنحصاريَّة وتقييدِ الآخرِ أَوْ إلغائه أحيانًا.

على أنّ الواقعَ العمليَّ، وميدانَ التّعَايُشِ الدّيْنِيّ، هُوَ المعيارُ الحقُّ، وَقَدْ أُتيحَ للأَدْيَانِ التَّوْحِيدِيّة، فاخفقتْ اليَهُودِيَّةُ فِي تَحَمُّلِ الْمَسِيحيّة، وجعلتْها فِي نشأتِها الأولَى طرائقَ قِدَدًا، بدأ اضطهادُ اليهودِ للمَسِيحِيّينَ مِنْذُ أيامِ يسوع (يوحنا 9/22)، ودورهم فِي صلبه (لوقا 22/2)، ثُمّ يذكر سفر أعمال الرّسل (1/8-3) اضطهاد اليهود للمَسِيحِيّينَ، ولاحقًا قام ذو نواس، الملك الحميري، اليهوديَّ، بقتل الْمَسِيحِيّينَ فِي نَجْرَان اليمن سنة 524م[3].

---

1 - مُحَمَّد آركون: **نحو تاريخ مقارن للاديان التوحيدية**، ص333.

2 - لا تنتقم و لا تحقد عَلَى ابناء شعبك بَلْ تحب قريبك كنفسك. 19: 18.

3 - الأزرقي: **أخبار مكة** 1/ 135، ابن قتيبة: **المعارف**، ص 637.

لَمْ تُحَقِّقْ الْمَسِيحِيَّةُ- عَلَى الرَّغْمِ مِنْ محاولاتِ قسطنطين (285-337م) أَوْ جوستنيان (527-565م)- إستيعابَ المذاهبِ المتعَدّدة عَلَى أساسِ المَشِيئَة، وأبعدَتْهَا إِلَى أطرافِ دولةِ بِيْزَنْطا، وعندَما أصبحتْ الْمَسِيحِيَّةُ دِينَ الإِمْبِرَاطورِيَّةِ الرّومانِيَّةِ فِي مطلعِ القَرْنِ الرّابعِ، أَضْحَى موقفُ الدّولةِ سَيِّئًا تجَاهَ اليهودِ، فأخذتْ الْمَسِيحِيَّةُ باضطهادِ اليَهُودِيَّة، فطُرِدَ اليهودُ أَوَّلًا من الإسكندريَّة، وعاشوا خِلَالَ الإِمْبِرَاطورِيَّةِ البِيْزَنْطِيَّةِ خارجَ المدنِ الكُبْرَى...[1]،

أَمَّا الإِسْلَامُ فقدْ إِسْتَثْمَرَ التّطَوّرَ الدّينِيَّ والاِجْتِمَاعِيَّ، فَكَانَ قبُولُ الآخرِ، والإعترافُ بِهِ وبأنبيائِه من سُنَنِهِ، ونجحَ نجاحًا ملحوظًا- فِي حدود عصرِه- فِي التّعَايُشِ الدّينِيّ وإِدَارَتِه، سواءً فِي المدينةِ فِي ضوءِ النّصوصِ القرآنِيَّةِ المؤكّدةِ عَلَى حُرِّيَّةِ الدّينِ، ومبادئِ وثيقةِ الرّسولِ مُحَمَّدٍ ومعاهداتِه، وما تَبِعَهُ من تَعَايُشٍ فِي البلادِ المفتوحةِ فِي عَصْرِ الخِلَافَة.

فِي الفكرِ الإِسْلَامِيّ، اللهُ يريدُ للإِنْسَانِ أنْ يسيرَ فِي طريقٍ إيمانِيّ واحدٍ، رسمهُ لَهُ استناداً إِلَى حكمتِه ورحمتِه وعلمِه المحيطِ بكلِّ شيءٍ، إِلَّا أَنَّهُ -فِي الواقعِ العمليّ- تركَ للإِنْسَانِ حُرِّيَّةَ القرارِ، فِي الإنضمامِ إِلَى معسكرِ التّوحيدِ والرّسالاتِ الإِلهِيَّةِ، أَمْ السّيرِ فِي ركابِ المُعْتَقَدَاتِ الأُخْرَى. فالتّعَدّدُ فِي هَذَا المجالِ واقعٌ وموجودٌ، وَلَمْ يشأْ اللهُ أنْ يتدخَّل لإلغائه؛ لِأَنَّهُ أحدُ مجالاتِ اختبارِ الإِنْسَانِ وإرادتِه، هَذَا الاختبار الَّذِي يشكل الهدف الأساس للخلق: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ

1 - وفرض عَلَيْهِمْ بدءًا من القَرْنِ الحادي عشر التخصص بمهن معينة، ثُمّ صدر عام 1492 مرسوم طردهم من إسبانيا، فِي حال عدم اعتناقهم المسيحيّة، الأمر الَّذِي كَانَ فاتحة طرد اليهود من أوروبا برمتها: فطردوا من فيينا سنة 1441، وبافاريا 1442، وبروجيا 1485، وميلانو 1489، ومن توسكانا 1494، وأخذوا يتجهون نحو بولندا وروسيا والإمبراطورية العثمانية، ورغم تحسن أوضاع اليهود مَعَ استقلال هولندا الليبرالية، وقيام الثّورة الفرنسية، إلا أن الحروب بَيْنَ بولندا وأوكرانيا دمرت نحو ثلاثمائة تجمع يهودي، وقتلت كثيرا مِنْهُمْ فِي القَرْنِ السّابع عشر. موسوعة ويكيبيديا (المسيحية واليَهُودِيَّة).

شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ} (المائدة48).

وإذا كَانَ اللّهُ الخالقُ قَدْ شاءَ عدمَ التّدخُّلِ لإكراهِ النّاسِ عَلَى السّيرِ فِي سبيلِه الرّشيدِ والواضحِ، فَكَيْفَ يَحِقُ للناسِ أنْ يُجْبِرَ بعضُهم بعضاً عَلَى سلوكِ الصّراطِ القويمِ، والإيمانِ بالحقّ؟ إذًا عَلَيْهِمْ - كَمَا عَلَى الرّسلِ- البلاغُ، والهدايةُ، وإراءةُ الطّريقِ للآخرينَ، ومساعدتِهم عَلَى انتخابٍ سليمٍ فِي الحياة: {فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدْ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} (آل عمران20).

تُعْزَى نقطةُ الارتكازِ للوعي بالآخر في الإسلام الى أصلين، هما، أولا: التكوين الإسلامي بأنَّه دينٌ كونيٌّ، فلا مناصَ للمسلمين من الإعترافِ بالدياناتِ الموجودةِ على الخارطةِ. وثانيا: تأصيلُ القرآنِ والسُنَّةِ لهذا المنحى، فبحسب "جوفروا" تكرّس النصوص المقدسة في الإسلام التنوع فيما بين الأديان في صلب الوحي نفسه، فالقرآن هو الكتاب المقدس الوحيد الذي يقيم في حرفيته حتى، بل ننزع إلى القول في طبيعته نفسها، كونية الوحي، أن تكون مسلما؛ إذاً يعني أن تعترف بحقيقة كل الأديان، التي أوحى بها الله قبل الإسلام[1].

وعلى صعيد القرآن، يرى البنا[2]: إن الإِسْلاَمَ يُؤْمِنُ بحُرِّيَّةِ الفكرِ والإعتقادِ، وأنَّ هَذِهِ الْحُرِّيَّةَ هِيَ أمُّ التّعَدّدِيَّة، أَوْ هِيَ البابُ الَّذِي يُؤَدِّي إلي التّعَدّدِيَّة، إنَّ القُرآنَ الكريمَ يفتحُ بابَ حُرِّيَّةِ الإعتقادِ على مَصْراعَيْهِ، عندما يقرر: { فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}، ويخلصُ إلَى أنَّ الإيمانَ والكفرَ قضيَّةٌ شَخْصِيَّة، لا تَهُمُّ الا صاحبَها، ولا تَمَسُ النّظامَ العام[3].

1 -إريك جوفروا: "التعدد في الإسلام، أو الوعي بالآخرية"، *مجلة أديان* ص36.

2 - جمال البنا: **التعددية في مجتمع اسلامي**، ص11

3 - جمال البنا: **حُرِّيَّة الفكر والاعتقاد في الاسلام**،(دار الفكر الاسلامس، القاهرة) ص7.

حينما يرسي الله المبدأ {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}، وعندما يقيّد سلطةَ وصلاحية الرّسول، فَهُوَ لَيْسَ حَفِيظًا عَلَى المؤمنين، ولا مُسَيْطِرًا، ولا حَتَّى وكيلًا، وَلَيْسَ لَهُ سلطةُ الإكراهِ والجَبْرِ، وإِنَّمَا عَلَيْهِ -فحسب- أَنْ يبلّغ رسالتّه، ويدَعَ النّاسَ وما يختارون لأنْفُسِهِمْ؛ إِذْ أَنَّ الهداية مرجعُها إِلَى الله، وطبقًا لمشيئته، {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ} (البقرة272).

ان التّعَدّد الثّقافِيّ- بحَسَبِ أرنست ترولتش Ernst Troeltsch- يقتضي تعَدّد وحي الله، وتاليًا فإنَّ مدخلَ الله إِلَى النّاس متعَدّدٌ بتعَدّد ثَقَافاتِهم، أَوْ انَّ لِكُلِّ ثقافة حَضَارِيّة خَاصَّة دينًا خاصًّا، يرتضيه الله لَهُمْ. فِي نهاية المطاف، فإن الله وحدَه قادرٌ أَنْ يقارنَ بَيْنَ الأَدْيَان؛ لأَنَّهُ هُوَ الَّذِي سمح بتعَدّديتها[1]. نَرَى أَنَّ مُقَارَبَة ترولتش قريبة من الفكر الإِسْلَامِيّ، فِي انَّ تعَدّدية الأَدْيَان شأن إلهِيّ، وَهُوَ الَّذِي بعث الأَنْبِياءَ وديانَاتِهم تَتْرَى، ثُمَّ هُوَ الَّذِي لَهُ الحَقُ فِي المقارنة بَيْنَ الدِّيَانَات، كَمَا نجده فِي آيات القُرآن الكريم.

تؤدّي محصّلَةُ القول إِلَى أَنَّ التَّنَوُّعَ الدّينِيّ ظاهرةٌ طَبِيعيَّةٌ وأصيلةٌ بأصالةِ المُجْتَمَع نفْسه، وإِنَّ الْتِصَاقَ الخُصُوصِيَّة الثّقافِيّة والتّاريخيّة والاِجْتِمَاعِيَّة بأي دين، يعني أَنَّ التَّعَدّدَ الدّينِيَّ هُوَ ظاهرةٌ طَبِيعيَّةٌ ملازِمَةٌ للطبيعة الإِنْسَانِيَّة نفسها، الَّتِي اِقْتَضَى وجودُها عَلَى الارض أَنْ يكونَ مُتَنَوِّعًا ومتعَدّدًا ومُخْتَلِفًا ومُتفاوتًا، طالَما أَنَّ التّعدُدَ المُجْتَمَعِيَّ والثّقافِيّ هُوَ السّمَةُ الطّبِيعيَّة، بَلْ والمنطقيَّةُ للوجود الإِنْسَانِيّ[2].

1 - أرنست ترولتش اللاهوتي البروتستانتي: "المسيحية فِي صفاتها الكونية وتاريخ الأديان" محاضرة ألقاها العام 1902. *مركز دلتا للابحاث المعمقة*
http://khitabdelta.org/details.php?id=139&cid=480

2 - وجيه قانصو: "التعدد الديني - واقع يحتاج إِلَى تفسير"، *النّهار البيروتية*، 29- 01- 2006 .

ينبغي العلمُ أنَّ إِدَارَةَ التَّنَوُّعِ خاضِعَةٌ إلَى قواعدَ، لا تَقْتَصِرُ عَلَى المعرفةِ المُتَبَادَلَةِ والتَّسَامُحِ، بَلْ تشملُ حقوقًا ونظامًا عامًا فِي هَذَا السّياقِ، إِذْ يرتقِي العدلُ عَلَى الإيمانِ؛ لِأَنَّهُ يرتبطُ بالكرامةِ الإِنْسَانِيَّةِ، وكوْنِ الإِنْسَانِ قيمةً ذاتيّةً[1].

أَمَّا جاك ريسلر Jack Ressler[2] فيرى: أنَّ الإِسْلَامَ كَانَ يعترفُ -بوفاءٍ نادرٍ جدًّا فِي تاريخِ الأَدْيَانِ- بأنَّ الكتبَ العبرانيَّةَ أَوْ الْمَسِيحيّةَ كَانَتْ مُنَزَّلَةً، وَكَانَ يَتَقَبَّلُ قُصَصَ التّوراةِ اليَهُودِيَّةِ الْمَسِيحيّةِ، ويُؤَكِّدُ بروايتِها صِحّتَهَا، وكبرهانٍ عَلَى رسالتِه الإلهيَّة، يعترفُ النّبيُّ، ويحتجُّ حتَّى بالتّوافقِ القائمِ بَيْنَ القُرْآنِ والتّوراةِ. ومرجعيةُ ذَلِكَ أنْ تؤمنَ شريعةُ الإِسْلَامِ، ويعتقدَ الْمُسْلِمونَ أنَّ الأَدْيَانَ كلَّها تستقِي من معينٍ واحدٍ: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالذّي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيم وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ... } (الشّورى13).

يحترمُ الإِسْلَامُ التّعَدّدِيَّةَ النّبَوِيّةَ، وما بزغَ عَنْهَا مِن أَدْيَانٍ مُتَنَوِّعَةٍ، مَا زَالَتْ مُحَصِّلَتُها، وكَلِمَتُها السّواءُ، وحدانيّةَ الإلوهةِ. وتؤكّد الشّريعةُ فِيهِ عَلَى أَنَّ الأَنْبِياءَ أخوةٌ، لا تَفَاضُلَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَيْثُ الرّسالةِ، وأَنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُؤمنُوا بِهِمْ جميعًا إيمانَهُم بالنّبيّ مُحَمَّد، ولا يُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ: {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيم وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (البقرة136). وبصيغة أُخْرَى عَلَى سبيل الحكاية: {آمَنَ الرّسول بِمَا أُنزِلَ

---

[1] -انطوان مسرة:" اعادة الاعتبار إلَى الحوار من خلال وجوهه الرّيادية"، *وجوه حوارية* (منشورات الكلية الدينية، جامعة القديس يوسف، بيروت، 2013) ص155.

2 - **الحضارة العَرَبِيّة**، تعريب: خليل أحمد خليل (منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1993) ص17.

إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...} (البقرة285).

كفلتْ الشّريعة الإِسْلَاميّة الْحُرِّيَّة فِي إبداءِ الرّأي، والسّماع للرأي المخالف، والإجتماع، مَعَ توفير أجواء المجادلة مَعَ الدِّيَانَات الأُخْرَى، عَلَى الأساس الفِكْرِيّ والمنطقي فِي مقارعة الحجج والبراهين: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ...} (الأنبياء24).

شَهِدَ أتباعُ الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى، ولاسِيَّمَا اهلُ الكتابِ فِي المُجْتَمَعات الإِسْلَاميّة، عنايةً طيِّبَةً، فإنَّهم نَعَمُوا فِي ظلِّ الإِسْلَام بالرّخاءِ، والأمنِ والسّلامةِ، فَقَدْ رسمَ القُرآنُ وأحاديثُ الرّسولِ خَارِطَةَ الطّريقِ للمُسْلِمِينَ فِي معاملتِهم بالحُسْنَى، وأنْ يكونوا مَعَهُمْ برَرَة وعُدُولا: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }(الممتحنة 8).

يُبِيحُ الإِسْلَامُ للمُسْلِمِينَ أنْ يؤاكلوا غيرَ الْمُسْلِمِينَ من أهل الكتابِ، وأن يصاهروهم { وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ }(المائدة 5). ولَا شَكَّ أنَّ المصاهرةَ تَخْلُقُ امتزاجًا بَيْنَ هؤلَاءِ وأولئِكَ، فأخوالُ الأولادِ سيصبحونَ مِن أهلِ الكتابِ، وأنَّهُ يَسْتَصْحِبُ من أخوالِه الخصالَ والخلائقَ، ففي قول امرِئ القيس[1]: [الطّويل]

وَتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَائِلاً وَمن خالِهِ وَمِن يَزِيدَ وَمِن حُجْرْ

سَمَاحَةَ ذَا وَبِرَّ ذَا وَوَفاءَ ذَا وَنَائِلَ ذَا إِذَا صَحَا وَاذا سَكِرْ

1 - **ديوان امرِئ القيس**، تحقيق: عبد الرّحمن المصطاوي (ط2، دار المعرفة – بيروت، 2004) ص 100.

فِي المفهوم الاِجْتِمَاعِيّ الْعَرَبِيّ، أنَّ الخالَ بمثابةِ الوالدِّ، أَوْ قرينُه، يفخَرُ بِه، ويطلُبُ ثأرَه، ويحذو حذوَه فِي المكارم، كَمَا فِي قول النّمر بن تولب[1]: [الطّويل]

وإنّ ابنَ أختِ القومِ مُصْغَى إناؤُه إذَا لَمْ يُزاحِمْ خالَه بأبٍ جَلْد

ومن الواضح أنّ فِي هَذَا رباطًا كبيرًا فِي سُنَنِ الْعَرَب، أباحَهُ اللّهُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وغيرِهم، مِمّا يدُلُّ عَلَى أنَّ الإِسْلَام دينُ الإِنْسَانِيَّة[2].

ومن تَسَامُحِ الإِسْلَام مَعَ أهل الكتاب: أَنَّهُ أَبَاحَ لَهُمْ مَا أباحَتْهُ لَهُمْ أَدْيَانهم، وإنْ حَرَّمَهَا الإِسْلَام عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَلَيْسَ هُنَاكَ من حَرَجٍ عَلَى أهلِ الكتاب أن يشربوا الخمرَ، أَوْ يأكلوا لحمَ الخنْزِير[3]. وَقَدْ يدخلُ الابنُ الإِسْلَام، ويظلُّ الأبُ عَلَى غيرِ دينٍ، وَهُنَا يدعو الإِسْلَام الابنَ أنْ يظلَّ طيِّبَ الصُّحْبَةِ مَعَ أبيه عَلَى اختلافِ الدّين[4]، {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً} (لقمان15).

أَمَلَ الْمُسْلِمون أنْ يساعدَ اليهودُ الإِسْلَامَ عَلَى الوَثَنِيّة، وأنْ يقِفُوا مِنْهُ مَوْقِفَ الوُدِّ أَوْ الحِيَاد، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أصحابُ كتبٍ منزلة ودينِ توحيد، والإِسْلَام قريبٌ مِنْهُمْ، وَقَدْ اعترَفَ بالأديانِ السّابقة لَهُ، ونزّهَ الأَنْبِياءَ والمرسلين، وَهُوَ دينُ توحيد كَذَلِكَ. ثُمّ إنّ الرّسولَ تَوَدَّدَ إلَيْهِمْ حِينَ دخولِه يَثْرِب، وآمَنَهُمْ عَلَى أَمْوَالِهُم وأنْفُسِهِمْ، وَزَارَهُمْ، وطَمْأَنَهُمْ، ثُمّ تعاهد مَعَهُمْ فِي صحائف كتبت لَهُمْ، فِيهَا العهد بالوفاء لِمَا اشترط لَهُمْ، مَا داموا موفين بالوعد وبالعهد، وَقَدْ طلب إلَى جميع الْمُسْلِمِينَ الوفاء بِمَا جاء فِيهَا، ومنعوا من التّجاوز والتّطاول عَلَى من فِي يَثْرِب من

1 - ابن قتيبة: **عيون الأخبار** 89/3، المبرد: **الكامل** 346/1

2 - أحمد الشّلبي: **مقارنة الأديان** 1/ 168.

3 - عَنْ ابي حنيفة. الطوسي: **الخلاف**، 185/3؛ النّووي: **المجموع** 238/9.

4 - أحمد الشّلبي: م.س. 1/ 169

يهود[1]، وجعل لليهود نصيباً فِي المغنم إِذَا قاتلوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا شرط عَلَيْهِمْ النّفقة مَعَهُمْ فِي الحروب[2].

لَمْ تَكُنْ عَلاقَاتُ اليَهود مَعَ الْمُسْلِمِينَ سَيِّئَةً فِي الأيامِ الأولى مِنْ مَجِيءِ الرّسولِ إِلَى يَثْرِب. رأتْ جمهرةُ يَهُود أنَّ الإِسْلَام دين اعترف بالأَنْبِياء، وأنَّهُ دِينُ توْحِيد وأنَّهُ فِي جُمْلَةِ أحْكَامِهِ قَرِيبٌ مِنْ أَحْكَامِ دِيَانَتِهِمْ وقَوَاعِدِهِمْ، وأَنَّهُ يُنَاهِضُ الأَوْثَانَ، وَقَدْ أشادَ بفضلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وبتَفَوُّقِهِمْ عَلَى غَيْرِهِمْ، بِظُهُورِ الأَنْبِيَاءِ مِنْ بَيْنِهِمْ، ثُمَّ إنَّ قِبْلَتَهُ إِلَى القُدُسِ، وَقَدْ تَسَامَحَ مَعَهُمْ، فأباحَ للمُسْلِمِينَ طَعَامَ أَهْلِ الكِتَابِ[3].

وَهُوَ دِينٌ إِعْتَرَفَ بأُبُوَّةِ إِبْرَاهِيمَ للعَرَبِ وللدياناتِ الكِتَابِيّةِ، وجَعَلَ سنّتَهُ شِرْعَةً للمُسْلِمِينَ. وَقَدْ تَسَامَحَ مَعَ اليهود، وحفظَ ذِمَمِهِمْ، فَلَمْ ترَ فِي انتشارِهِ بَيْنَ أهلِ يَثْرِبَ مَا يُضِيرُهم شيئاً، أَوْ يُلْحِقُ بِهِمْ أذًى؛ ولذلك أَظْهَرَتْ استعدادَها لعَقْدِ حِلْفٍ سياسيٍ مَعَهُ، ووقوفَها موقف ودٍّ مِنْهُ، أَوْ موقفَ حيادٍ عَلَى الأقلّ، عَلَى أنْ لا يطلبُ مِنْهَا تَغْيِير دينِها وتبديلِه، والدّخول فِي الإِسْلَام.

وَلَمَّا دخل أهل يَثْرِب فِي الإِسْلَام أفواجاً، وتوجه الْمُسْلِمون إِلَى اليهود يدعونهم إِلَى الدّخول فِيهِ، والى مشاركتهم لَهُمْ فِي عقيدتهم، باعتبار أَنَّهُمْ أهل دين، يَقُولُ بالوحي ويؤمن بالتّوراة، و برسالة الرّسل؛ فهم لذلك أولى بقبول هَذِهِ الدّعوة من الوَثَنِيّين، أدركت جمهرتهم ان الإِسْلَام إِذَا مَا استمر- عَلَى هَذَا المنوال- فِي المدينة من التّوسع والانتشار، ومن توجيه دعوته إِلَى اليهود -أَيْضًا، فسيقضي عَلَى عقيدتهم الَّتِي ورثوها. وَهِيَ عقيدة لا تعترف بقيام نبيّ من غير بني إِسْرَائِيلَ، ولا بكتب غير التّوراة والكتب الَّتِي دوَّنَها علماؤهم، ثُمَّ هُمْ يَرَوْنَ: أَنَّ

1 - ابن هشام: **السّيرة** 197/3

2 - السّهيلي: **الرّوض الآنف** 16/2

3 - المائدة، آية 48.

النّبُوَةَ قَدْ خُتِمَتْ، وَلَنْ يكونَ الْمَسِيحُ إلا مِنْهُمْ؛ فَكَيْفَ يعتقدونَ بِنَبِيٍّ عَرَبِيٍّ؟ وَهُوَ مِن الأمِيينَ.

وَهَكَذَا رفضَ اليهودُ الدّخولَ فِي الإِسْلَامِ، وأَبَوْا تَغييرَ دينِهم، ودافعُوا عَنْ عقيدتِهم وتمسّكوا بِهَا، ورَفَضُوا التّسليمَ بِمَا جاءَ فِي الرّسالةِ الجديدةِ، مِنْ أَنّ مُحَمَّدًا نبِيٌّ أُرْسِلَ للعالمينَ كافّةً، وأنّه خاتِمُ الأَنْبياءِ والمُرسَلِينَ، وأَنّ القُرآنَ كتابٌ مصدّقٌ مِنْ اللهِ، وأنّ أحكامَه مؤيّدَةٌ لِمَا جاءَ فِي التّوراة، وناسِخَةٌ لبَعضِها. وَقَدْ جادلوا فِي ذَلكَ، وانبرى أحبارُهم للدفاعِ عَنْ عقيدتِهم، ولمجادلةِ مَنْ يأتِي إلَيْهِمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، لإقناعِهم فِي الدّخولِ فِي الإِسْلَامِ. وَفِي القُرآنِ صُورٌ مِنْ جدَلِهم هذَا، ومِن محاجَّتِهم الرّسولَ فِي دعوتِه[1]، كَمَا نجدُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الحديثِ النّبَوِيّ، وَفِي كُتُبِ السِّيَرِ[2].

وَبِحَسَبِ جون هيك (John Hick) ان التّعَدّدية فِي الإِسْلَام نابعة عَنْ " اعتقاد راسخ بأَنَّ مُحَمَّداً هُوَ خاتم الأَنْبياء، وانّ الله كشف فِي القُرآن انّ الإِسْلَام هُوَ الدّين الأكمل والأصحّ، وَهُوَ المتمم لجميع الدّيَانَات السّمَاوِيَّة السّابقة، ولهذا، فإنّ الْمُسْلِم يتعامل تعاملاً وديّاً مَعَ أُولَئِكَ المُعْتَقِدِينَ بالإعتقادات الإِبْرَاهِيمِيَّة، بَلْ وتتسع نظرته أحيانًا لتستوعبَ كلَّ أهل الكتاب، حَتَّى أُولَئِكَ الَّذِينَ يواجهون المقدس من أنصار الهندوسيّة والكونفوشيوسيَّة والطّاويَّة، وَكَذَلِكَ الكتب المقدسة لليهود والْمَسِيحِيّينَ، أي أَنَّهُ يختزن احساساً متدفقاً للوحدة الفريدة، ومن خِلَالِ الوحي القرآني نفسه"[3].

1 - انظر: سورة آل عمران، 183؛ سورة النّساء، 153

2 - **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب** 544/6.

3 - مختار الاسدي: " التعددية الدينية رؤية اسلامية"، *الموسوعة الإسلاميّة*، 2012/12/22، http://www.balagh.com/mosoa/pages/tex.php?tid=1067

إذًا إنَّ الإِسْلَام لَيْسَ ديانة مفصولة، أوقعت قطيعة مَعَ باقي الأَدْيَان، بَلْ هُوَ دين النّبوّات الَّتِي استكملت حركتها، مِنْذُ بدء تاريخ البَشَرِيّة ببعثة نبي الرّحمة والهدى والعلم والتّزكية رسول الله مُحَمَّد، وإنَّه دين يؤمن بالأَنْبِياء، ولا يفرّق بَيْنَ أحدٍ مِنْهُمْ، وإنْ كَانَ يحدد أفضل الأَنْبِياء من أولي العزم، وَهُمْ: نوح، الَّذِي عدّ التّأسيس الثّاني بعد آدم لتاريخ المخلوقات الحيّة. وإِبْرَاهِيم مِفصَل حركة النّبوّات، أَوْ بدقة أكثر الرّسالات العَالَمِيّة الكُبْرَى الجامعة، والتي ختمت برسالة النّبيّ مُحَمَّد... وموسى قائد رسالة المستضعفين، وحامي قواعدهم فِي وجه عُتاة الأرض من الفراعنة المتألّهين. وعيسى، كلمة الله، وقول الحقّ، النّاشر لألوية المحبَّة، والتّوق للقاء الله سبحانه. وآخرهم النّبيّ مُحَمَّد، الَّذِي جمع غايات الأَنْبِياء، فَكَانَ المطمح فِيهَا، ليكون المسُّ بأيّ نبيّ هُوَ مسٌّ بمُحَمَّد، كَمَا أَنَّ المسَّ بمُحَمَّدٍ هُوَ مسٌّ بكلّ نبيٍّ ورسول.

لَعَلَّ هَذَا الفَهْمَ الإِيمانيَّ يسمحُ ببناءِ جبهةِ إيمانٍ كُبْرَى، تهدفُ لإقامة الصّلاح فِي مكامنَ وأُطُرِ الحياة، فِي انتظاماتِ البشرِ، وقيمهم الأخلاقيَّة والرُّوحيَّة والمجتمعيَّة العَامّة، ولَا شَكَّ أنَّها هِيَ المساحةُ المفتوحةُ لِكُلّ حوارٍ دينيّ، يُدْعَى إِلَيْهِ أهلُ الإِسْلَام والْمَسِيحِيَّة[1]. وحَوْلَ هَذَا مَا وَرَدَ فِي قوله: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ، وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ، وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} (البقرة62).

1 - شفيق جرادي: "الحوار الإسلاميّ المسيحيّ: التحديات والفرص"، *موقع ابونا*، يصدر عَنْ المركز الكاثوليكي للدراسات والاعلام 12/ 6/ 2012.

2- الجهاد في الفكر الإسلامي:

إنّ الإسلام- كما يرى "شترونثمان Stronmann.R" هو ظاهرة سياسيَّة دينيَّة[1]، إنَّه يختلف عن المسيحيَّة في حقيقة "إنه تجسيد لنظام كامل للحياة"[2]، ولعل من أهم معالمه السياسيّة هو الجهاد والفتوح.

الجِهَادُ نهجٌ إسلاميّ، جاءَ القرآنُ الكريمُ على ذكرِه. أبصر هذا المفهوم النور في المدينة، إبَان غزواتِ النبي محمد الأولى ضدَّ المكيّين[3]، وعلى مرِّ السنينَ والعصورِ، تعدَّدتْ التفسيراتُ حولَه بينَ صفوفِ المسلمينَ أنفسِهم، بعضٌ منهم يَعِدُّ الجِهَادَ دعامةَ الإسلامِ السادسةَ، في باب الوجوب. واستنادًا إلى القرآنِ الكريمِ، يُؤَمِّن الجِهَادُ مكافآتٍ عديدةً، من بينِها الجنّةُ، والجِهَادُ أفضلُ ما قدْ يُقَدِّمُهُ المسلمُ طَوْعًا. وبعضٌ آخرُ يرفَعُ الجِهَادَ عنْ الواجباتِ المفروضةِ كالصلاةِ والصومِ والزكاةِ والحجِ، ويضعُهُ في مَنْزِلَةٍ أَسْمَى[4]. وبعض ثالث ينظر الى الجهاد في باب الاختيار والاستحباب. من هنا، ينبغي تبيان موضوعة الجِهَاد من خلال العقيدة الإسلامية.

ماهيَّة الجِهَاد:

يُشْتَقُ لفظ "الجهادُ" من الجذرِ (ج هـ د)، تَكَرَّرَ لَفْظُ "الجُهْد" و"الجَهْد" فِي الْحَدِيثِ النبويِّ كَثِيرًا، وَهُوَ -بِالضَّمِّ: الوُسْعُ والطَّاقةُ، وبالفَتْحِ: المَشَقَّةُ. وَقِيلَ:

---

1 - "الشيعة"، **دائرة المعارف الإسلاميّة** 20/ 6405.

2 - ماجد خضوري، **قانون الحرب والسلم في الإسلام**، ص3؛ علي الوردي: **دراسة في سوسيولوجيا الإسلام**، دار الوراق، بيروت، 2013، ص53.

3- ج. و د. سوريديل: **معجم الإسلام التاريخي**، ترجمة: أ. الحكيم (الدار اللبنانية للنشر الجامعي، بيروت،2009) (الجهاد).

4- ن.س.ر.ك. رافي:" الجِهَاد في الفكر الإسلامي وتطوير رد مسيحي"، *موقع ديانات العالم*، http://ar.4truth.net/fourtrutharpbworld.aspx?pageid=8589981041

المُبَالَغَةُ والْغَايَةُ. وَقِيلَ: هُمَا لُغَتَان فِي الوُسْعِ والطَّاقَة[1]. والجهادُ -في اللُّغة- له معانٍ عِدَّةٌ: الْجَهَادُ: هِيَ الْأَرْضُ الصُّلْبَةُ. وَفُلَانٌ يَجْهَدُ الطَّعَامَ، إِذَا حَمَلَ عَلَيْهِ بِالْأَكْلِ الْكَثِيرِ الشَّدِيدِ[2]. والجَهَادُ: الأَرْضُ المستويةُ، وَقِيلَ: الغليظةُ، ويُوصَفُ بِهِ، فَيُقَال: أَرضُ جِهَاد[3].

الجِهَاد -في المصطلح: مُحارَبةُ الكُفَّارِ، وَهُوَ المُبَالَغَةُ، واسْتِفْراغُ مَا فِي الوُسْعِ والطَّاقة مِنْ قَوْلٍ أَوْ فعْلٍ. يُقَالُ: جَهَدَ الرجُل فِي الشَّيء: أَيْ جدَّ فِيهِ وبالَغ، وجَاهَد فِي الحَرْب مُجَاهَدَة وجِهَادا[4]. وأُطْلِقَ عليه:"الجهادُ السائغُ" لكونِه للدفاعِ عن بيضةِ الإسلام[5]. أو هو "الحرب الشرعية" بقدر تعلقها بالمجهود الحربي الذي تأمر به الشريعة ضد الكافرين[6].

مِن المسلمينَ مَنْ عرَّف" الْجِهَادَ بِأَنَّهُ: جِهَادُ النَّفسِ فِي ذَاتِ اللهِ"[7]. وعُدَّ جهادُ النفسِ أفضَلَ الجهاد، ففي الروايةِ عن الرسولِ: "أفضلُ الجهادِ مَن جاهدَ نفسَه التي بينَ جَنْبَيْهِ"[8]. وأُطْلِقَ عليْهِ: "الجهادُ الأكبرُ"، لأنَّه كَبْحُ جماحِ النفسِ وضبطُها[9]. وعليهِ قدَّموا الجهادَ النفسيَّ على الجهادِ الحربيّ، بقولِهم:" الجهادُ الأصغرُ محاربةُ المشركينَ، والجهادُ الأكبرُ جهادُ النفسِ"[10]. إستنادًا الى رواية:"

---

[1] - ابن الأثير:**النهاية في غريب الحديث والأثر** 1/ 319.

[2] - أحمد بن فارس (ت395هـ): **مقاييس اللغة** 1/ 487.

[3] - ابن سيدة (ت458هـ): **المحكم والمحيط الأعظم** 4/ 154؛ ابن منظور (ت711هـ): **لسان العرب** 3/ 134.

[4] - ابن الأثير: م. س. 1/ 319.

[5] - أحمد فتح الله: **معجم ألفاظ الفقه الجعفري**، ص145.

[6]- ج. و د. سوريديل: **معجم الإسلام التاريخي**، (الجهاد).

[7] - ابن قيم الجوزية (ت751هـ): **الروح**، (دار الكتب العلمية، بيروت) ص 247.

[8] - الصدوق (ت381هـ): **الامالي**، ص 553؛ النوري، حسين: **مستدرك الوسائل** 127/11.

[2]- أحمد فتح الله: **معجم ألفاظ الفقه الجعفري**، ص145.

[10] - ابن ابي الحديد (ت656هـ): **شرح نهج البلاغة** 54/10.

أن النبيّ بعثَ بسريَّة، فلما رجعوا، قال: مرحبا بقوم قضوا الجهادَ الأصغرَ، وبقيَ عليهم الجهادُ الأكبرُ. قيل: يا رسولَ الله، وما الجهادُ الأكبرُ؟ قال: جهادُ النفسِ"[1].

لعل فكرةَ جهادِ النفس، في الفكر الإسلامي، وبخاصَّةٍ لدى الصوفيَّة، مستمدَّةٌ من الرهبانيَّة في المسيحيَّة، غيرَ أنَّها أضحتْ أكثرَ تطوّرا، من الاندماج في الذات الإلهيَّة، الى الجود بالنفس في سبيل الله. بدلالة ما ورد في الحديث: "عليكم بالجهاد فإنَّه رهبانيَّة أمَّتي"؛ يريد أنّ الرهبان، وإن تركوا الدنيا وزهدوا فيها، وتخلُّوا عنها، فلا تركَ، ولا زهدَ، ولا تخلّيَ، أكثرُ من بذلِ النفس في سبيل الله. كما أنّه ليسَ عندَ النصارَى عملٌ أفضلُ من الترهُّبِ، ففي الإسلام، لا عَمَلَ أفضلُ من الجهاد، بدالة قول الرسول: "ذُرْوَةُ سَنَامِ الْإِسْلَامِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ" [2]، لَا يَنَالُهُ إِلَّا أَفْضَلُهُمْ[3].

فرَّقَ أبو هلال[4] بينَ الغَزْوِ والجِهَادِ: أنَّ الغزوَ ما كانَ الغرضُ الأصْلِيُّ فيه الغنيمةُ، وتحصيلُ المالِ، وإنْ استلزَمَ ذلكَ الحربَ والمقاتلةَ. والجهادُ: ما كان الغرض فيه المحاربةُ لقهرِ العدوِّ، وإنْ استلزمَ ذلك تحصيلَ الغنائمِ والفوائدِ.

وردتْ في القرآن صيغةُ "جاهد" في "28 آية"[5]، وبلفظ " جهاد" في "4 مرات"[1]، تدل على معانٍ مُتنَوِّعَةٍ، يحومُ أغلبُها حولَ حوادثَ العهدِ المدنيِّ، وبناءِ

---

[1] - الكليني: **الكافي**، وجوه الجهاد، 12/5؛ الحر العاملي: **وسائل الشيعة** 161/15.

[2] - أحمد بن حنبل (ت241هـ): **المسند**، 375/36؛ ابن منظور (ت711هـ): **لسان العرب** 1/ 438.

[3] -ابن أبي عاصم (ت287هـ): **الجهاد** 153/1 .

[4] - العسكري (ت395هـ): **معجم الفروق اللغوية**، ص 384.

[5] - البقرة218، آل عمران142، النساء95، المائدة35، 54، الأنفال72، 74، 75، التوبة16، 19، 20، 41، 44، 73، 81، 86، 88، النحل110، الحج78، الفرقان52، العنكبوت6، 8، 69، لقمان15، محمد31، الحجرات15، الصف11، التحريم9.

الدولةِ الدينيَّةِ للرسولِ. يَتَّخِذُ الجِهَادُ في النصوصِ الدينيَّةِ، القرآنِ والحديثِ، بحسب "سيريل جلاس"[2]، معنَى الصراعِ ضِدَّ النزعاتِ الشريرةِ، أو النضالِ من أجلِ تمكينِ الأخلاقِ في المجتمعِ، أو تعزيزِ نشرِ الإسلامِ. غيرَ أنّ الجِهَادَ يَتَّخِذُ المعنَى الحربيَّ، أكثرَ من المعنَى الشموليِّ، المقصودِ به في القرآنِ والحديث. كما وردَ في القرآنِ أنَّ المؤمنينَ الذين يشاركونَ في الجِهَادِ لهم حظوةٌ وأجرٌ عند الله: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (النساء 74)، {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }(العنكبوت69).

هل الجِهَاد فريضة؟

في أكثرِ من آيةٍ، خاطبَ القرآنُ النبيَّ محمَّدًا بأسلوبِ الأمرِ في الجهادِ: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (التوبة73، التحريم9)، دَلَالَةً في جعلهِ نظامًا عباديًّا في الإسلام. وفيه قال الرسول:" أُمِرْتُ أنْ أُقاتلَ الناسَ حتَّى يقولوا: لا إلهَ إلَّا الله"[3].

فالجِهَاد فريضة من فرائض الإسلام، وركن من أركانه[4]، أي واجبٌ[1] على كل مسلم، بدلالة الآية: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ

---

[1] - التوبة24، الحج78، الفرقان52، الممتحنة1.

[2] - Cyril Glasse, **The Concise Encyclopedia of Islam**, (San Francisco: Harper and Row, 1989), pp. 209-10 الموسوعة المختصرة للإسلام .

[3] - زكريا الأنصاري: **فتح الوهاب بشرح منهج الطلاب**، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1998) 296/2.

[4] - الطوسي: **النهاية في مجرد الفقه والفتاوى** (انتشارات قدس محمدي، قم، إيران، لا. ت) ص288.

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} (البقرة 216)، هل هو واجبٌ مطلق أم مقيَّدٌ بشرط؟ قال أغلبُ علماءِ المسلمينَ بكونهِ واجبًا كِفَائِيًّا[2]، وقال بعضُهم: أنَّه من فروضِ الأعْيَانِ[3]. وقال آخرون " إلَّا أنْ يكونَ النفيرُ عامًّا، يكونُ واجبًا عَيْنِيًّا[4]، بدلالة {انْفِرُواْ خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ} (التوبة41). بيد أنَّ بعضَ التابعين نحو: عطاء بن أبي رباح (ت114ه/ 722م)، عبد الله بن شبرمة (ت144هـ/ 761م)، و سفيان الثوري (ت161هـ/ 778م)، خالفَ إجماع المسلمين، ونظر الى الجهاد على أنَّه أمرٌ اختياريٌّ ومستحبٌّ، ويقتصر وجوبُه على الضرورة لصدِّ هجوم الأعداء، بدلالة { فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ } (البقرة191)[5].

ثمَّة نظرية لبعض المستشرقين[6] وعلماء القانون، تفصح عن أنَّ الجهاد يحدِّد العلاقة الأصليَّة لدار الإسلام بالعالم الخارجي، إذ أنَّ الإسلام لمَّا عجزَ عن كبح الجبِلَّة المتمثِّلة بحبِّ القتال لدى العرب، فإنَّه اختَدَمَ هذه الوسيلة لقمع غير

---

[1] - قاله المسلمون عدا ابْن شبْرمَة قَالَ: الْجِهَاد لَيْسَ بِوَاجِب والقائمون بِهِ من الْمُسلمين أنصار الله". الطحاوي، أحمد بن محمد (ت321هـ): **مختصر اختلاف العلماء** (دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1417هـ) 3/ 509 .

[2]- فرض على الكفاية إذا قام من في قيامه كفاية سقط عن الباقين. الطوسي (ت460هـ): **الإقتصاد**، (مطبعة الخيام، قم، 1400هـ) ص312؛ وقارن: ابن قدامة: **المغني** 364/10؛ زكريا الأنصاري: م. س. 296/2.

[3] -عن سعيد بن المسيب. حسين العوايشة: **الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة**، (المكتبة الإسلامية، عمان 1423هـ) 9/7.

[4] - المرغيناني (ت593هـ): **الهداية في شرح بداية المبتدي** (دار احياء التراث العربي، بيروت) 2/ 378.

[5] - وهبة الزحيلي: **آثار الحرب في الإسلام**، ص87؛ عباسعلي الزنجاني: **القانون الدولي في الإسلام**، ص338.

[6] - جولدتسيهر: **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ص 39.

المسلمين، بهدف بسط سيطرته وتوسيع رقعته في أنحاء المعمورة؛ وهذا يتحقق في ظروف لا يجدي الجهاد معها نفعًا[1].

ومن المسلمين من يرى أنَّ الجهادَ وسيلةٌ لا هَدَفٌ، لأنَّ الهدفَ من الجهاد هو الهداية، ولو كانت الهدايةُ ممكنةً بغير الجهاد، فإنَّ هذا الأسلوب مقدمٌ على الجهاد[2]. لعل ما يشوب هذه المقاربة، أنّ الهدفَ المتمثل بالهداية يتضمن لونًا من الإكراه لما يحمله من عنف، والإكراه ليس وسيلةً للهداية من منظار الإسلام {أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ} (يونس99).

بيد أنّ الغايةَ الأساسَ من الجِهَادِ هيَ الدفاع وحماية الحقِّ أو الحقيقة، فالحرب المشروعة في الإسلامِ هيَ الحربُ الدفاعيَّةُ، والدفاعُ هنا ينطوي على الدفاعِ عن النفسِ، والإغاثةِ الواجبةِ لشعبٍ مسلمٍ، أو حليفٍ عاجزٍ عن الدفاعِ عن نفسِه، ويلجأ إليها الإسلامُ لجوءَ المُضْطَرِ، فلئنْ ينتهي الى صلحٍ يحقنُ الدماءَ خيرٌ من إنتصارٍ باهرٍ يُزْهِقُ الأرواحَ، وتُسْفَكُ في مجازرِه الدماءُ[3].

من البدهي إنَّ كلَّ دينٍ أو معتقدٍ يرى معتنقُوه أنَّه يحوزُ كمالَه الخاصَّ، وبحسب "دوسلييه"[4]: تمثَّل كمال الدين الإسلامي في نظر أتباعه بالجهاد، بالمعنى الأكثر عمقًا للمصطلح، الذي يتضمَّن قيادةَ النفس، والآخرين جميعِهم، الى إكتمالٍ دينيّ وأخلاقيّ، ليس سوى إتمامٍ لجميع الرسالات السابقة، التي لا ينكرها الدين الإسلاميُّ البتَّة، بلْ يدَّعِي أنَّه يتخطَّاها، أو يأخذ بالأحرى بيدها، لإيصالها الى قمَّة نُضجها، أي إليه. إنَّ اعتناقَ الإسلام -بالنسبة للمسلم- هو تقاربٌ، ينبغي أنْ يوصِلَ جميع "أهل الكتاب" في نهاية المطاف الى الإتِّحاد معه في الحقيقة التي

---

[1] - عباسعلي الزنجاني: **م. س**، ص338.

[2] - الزنجاني: **م. ن**، ص338.

[3] - عبد الحافظ عبد ربه: **فلسفة الجهاد في الإسلام** (دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972) ص45.

[4] -ألان: **مسيحيو الشرق والإسلام في القرن الوسيط**، ص693.

سوف يتشاركونها جميعًا، بفضل ما تبذله الأمَّة الإسلاميَّة من جهدٍ لا ينقطع لهدايتهم إليها.

بيدَ أنَّ الجهادَ لا يهدفُ الى فرضِ العقيدةِ على الناسِ، بلْ يهدفُ الى إزالةِ معوقاتِ انتشارِ الإسلامِ في الأرضِ، سواءٌ بإضعافِ القوى السياسيَّةِ المعاصرةِ، أو القضاءِ عليها، بحيثُ يتمُّ استعلاءُ المسلمينَ في الأرضِ[1] . أي أنّ الجِهَادَ هو نَهْجٌ للردِّ على كلِّ مَن حاولَ رفعَ العقباتِ للحدِّ من إنتشارِ الإسلامِ. والقرآنُ يدعمُ هذا الموقفَ: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} (فصلت53).

يُنّمِي الجهادُ الواعزَ الدينيَّ، والوازعَ الروحيَّ، وتقعُ- من خلالِه- على عاتقِ المسلمينَ مسؤوليتانِ. الأولى: هيَ هدايةُ الجاهليّينَ إلى الإسلامِ طريقَ الطاعةِ، وبالسُّبُلِ كافَّةً. والثانيةُ: يقضِي بوضعِ اللهِ في منزلةٍ أسْمَى مِن الذينَ نُحِبُّهم، والثروةِ، والطموحاتِ الدنيويَّةِ، وتكريسِ النفسِ للهِ بالوسائلِ والطرقِ كافَّةً – بما فيها الصراعُ الروحيُّ الداخليُّ[2].

فالجِهَادُ هو التزامٌ على صعيدِ الفردِ والمجتمعِ، لنشرِ الإسلامِ والدفاعِ عن الإيمانِ بهِ. وأنَّ ملَّةَ التوحيدِ الإسلاميَّةِ هي الملّةُ التي تَتَمَاهى دينيًّا، وتلتزمُ في مسؤوليتِها تجاهَ الأنسانيَّةِ، هُنا تَرِدُ الآيةُ: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ} (الحج78).

---

[1] - أكرم ضياء العمري: **المجتمع المدني في عهد النبوة**، ص21.

[2]- ن.س.ر.ك. رافي:" الجِهَاد في الفكر الإسلامي وتطوير رد مسيحي"، *موقع ديانات العالم*، http://ar.4truth.net/fourtrutharpbworld.aspx?pageid=8589981041

ما أنواعُ الجهادِ؟

الجِهَادُ -لدَى المسلمينَ- حملةٌ مقدسةٌ لإطلاقِ ثورةٍ روحيَّةٍ في العالمِ. هذا الصراعُ قد يكونَ دفاعيًّا وهجوميًّا في آنٍ واحد. فنشرُ الإسلامِ مدعومٌ عبْرَ السُّبُلِ السلميَّةِ أو بالقُوَّةِ. ويعتقدُ العلماءُ المسلمونَ أنّهُ من الممكنِ إتمامُ الجِهَادِ بثلاثِ طُرُق:

آ- الجِهَادُ السِّلميُّ، باللسانِ أو قولِ الحقيقةِ والحقِّ، ويتوفَّرُ فيه عنصرُ الإقناعِ عن طريقِ الحوارِ، تَرِدُ الآية: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (النحل125). وبحسب القرآن، في حالَ شَجَّعَ الأهْلُ أولادَهم على اعتناقِ ديانةٍ غيرِ الإسلامِ فعلَى هؤلاءِ عصيانُ أوامرِهم: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (العنكبوت8) [1].

ب- الجِهَاد العرفانيُّ، بالوجدانِ أو بالمشاعرِ أو بالنوايا، فالجهادُ على سبيلِ شُكْرِ المنعمِ، يُسْتَمَدُّ من الآية: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ} (الحج ٧٨). فالجهادُ غِنى روحيٌّ، وهو جهادُ النفسُ في ذاتِ اللهِ، وجهادُ الهوَى: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} (العنكبوت ٦)، وأنَّهم على هُدًى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ}. (العنكبوت69).

[1] - الجهاد السلمي اضطلع به فكر الإسلاميين التنويريين، أمثال: الكواكبي، والافغاني و محمد عبده، للمزيد أنظر: ماهر الشريف:" تطور مفهوم الجهاد في الفكر الإسلامي"، *الحوار المتمدن*-العدد: 2322 - 2008 / 6 / 24.

ج- الجِهَاد الحربيُّ، بالتدابيرِ الدفاعيَّةِ والهجوميَّةِ، يُشَجّعُ القرآنُ الجِهَادَ بالسيفِ، ففي وضعِ الدفاعِ، يُعَدُّ الجِهَادُ حربًا من أسبابِها المصالحُ الدوليَّةُ. بَيْدَ أنّ الحربَ أو القتالَ، في موضعِ الهجومِ، يُمْكِنُ جعلُهما في سبيلِ اللهِ، والعملُ بهما حسبَ تعليماتِ القرآنِ الكريمِ. فالقتالُ هو وجهٌ من وجوهِ الصراعاتِ بُغْيَةَ نشْرِ الإسلام، وغالبًا ما يكونُ مدعومًا من الدَّولَةِ المطبوعة بالإسلام. وفي هذه الحالة، يَتَّخِذُ الجِهَادُ مَعْنًى أوْسَعَ وأشملَ. وهذا الجهاد[1] على أنواع عدة:

1- الجِهَاد ضد الكفار، وردت الآيات: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (التوبة73)، و {"فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} (الفرقان52).

2- الجِهَاد في سبيل الله، أكثر من آية في هذا المضمار، منها {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }(البقرة 218).

3- الجِهَاد ضد الوثنيين، في الآية: {فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (التوبة5).

4- الجِهَاد ضد أهل الكتاب، من الممكن أنْ تتمَّ الدعوةُ إلى الجِهَاد ضد أهل الكتاب، أي المَسيحيّينَ واليهود. كما ورد في: {"قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} (التوبة29).

[1] - وهو ما اتخذه منهجا الإسلاميون المتشددون، مثل: المودودي و عبد الله عزام، للمزيد انظر: ماهر الشريف: م.ن.

5- الجهَاد رداً على الظلم والاعتداء، كما في الآية: {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ... وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ} (البقرة 190-193).

ثَمَّةَ أنواعٌ من الجهادِ ذكرها المتأخرون[1]، مثل: جهادُ التعليمِ، جهادُ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، جهادُ الكلمةِ والحجّةِ، جهاد التعبئةِ والبناءِ، الجهادُ السياسيُّ، جهادُ إيديولوجية الكفرِ والفقر، الجهاد الاقتصاديُّ، جهاد توَّحيد الأمَّة، جهاد الدعوة الى الدين. ويرى بعض الباحثين[2] أنَّ بنيويَّة الجهاد وماهيَّته واحدةٌ وإنْ تعددت أنواعه، فَمَنْ يُقْصِر الجهادَ على الجهاد الأكبر، أي مجاهدة النفس الإنسانيَّة فحسب، فانَّه ينسحبُ الى الذات ويترك الدعوة الى الدين، وهي الجهاد الأصغر. وعلى العكس مَن يُقصِرْ على جهاد الدعوة، ويترك جهاد النفس، كلاهما له نصيب من الخطأ والتطرُّف، فإنَّ تلازمَ ضبْطِ النفس، والدعوة الى الدين، يرسم نمطيَّةً أخلاقيَّةً في وعْيِ الآخرِ الدينيّ.

نخلص الى أنَّ الإسلامَ الذي حرَّمَ قتلَ النفسِ، ولمْ يُكْرِه الناسَ على الدينِ، لا يمكنُ له أنْ يَسَلَّ سيفَه على الشعوبِ تحتَ رايةِ الجهادِ، إلا دفاعًا عن الدينِ والدولةِ، مثلَما كانتْ حروبُ الرسولِ تحملُ طابعًا دفاعيًّا، بدلالةِ {وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ}

---

[1] - انظر: أبو اليسر رشيد كهوس:" أبواب الجهاد في الفكر الإسلامي"، *مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دارالعلوم ديوبند*، ذوالحجة 1431 هـ = نوفمبر- ديسمبر 2010م، العدد: 12 .

[2]- محمد فتح الله كولن: **روح الجهاد وحقيقته في الاسلام**، ص8 وما بعدها

(البقرة 190). ولعلَّ تأسيسَ الدولةِ الدينيَّة لمْ يعرفْها تاريخُ الإسلامِ إلَّا في عهدِ الرسولِ، لأنّ حكمَه كان مؤيَّدًا بالوحي، بدالَّة ما جاء في القرآن من النصوص الحاثَّةِ عل الجهادِ، كانتْ بمناسبة الحوادث التاريخيَّةِ لعصرِ الرسالة، وامتدادًا لمعطياتِ حوادثِ الرسالةِ، جاء تأصيلُ الدولة في عصرِ الخلافةِ الراشدةِ، وإتمامِ تكوينِها، في ظلِّ الصراعِ الحضاريّ، لإثباتِ وجودِها المرموقِ على الخارطةِ السياسيَّةِ والدينيَّةِ.

وَأَمَّا الدول، التي تسنَّمت سُدَّةَ الحكم بعد ذلك، من أمويَّة وعباسيَّة، وتوسعت في الأرض على حساب الشعوب الأُخْرَى، أضحت الدَّولَة العَرَبِيَّة لذلك أقوى دولة في العالم، فقد شهد عصرُها خلافاً كبيراً حول تفسير النص القرآني والحديثي حول الجهاد، إذ قام فقهاء الدولة بتوجيه فقه الجهاد الحربي على أساس تقسيم الدنيا إلى دار إسلام ودار حرب. في هذه الحقبة كان الجهاد الحربي والفتوح قد فقدت جذوتها، ونزعت مشروعيتَها، ولم تؤتِ أُكُلَها، سوى اضطهاد الشعوب المفتوحة باسم الجهاد في الدين؛ فتحولت من جهاد ينشر الدين الى غزو يشيع العنف والرهبة، ويستحوذ على الغنائم. لم يتوقف هذا عند إيقاد جذوة الكراهية في قلوب الشعوب الأُخْرَى، وكان له إسَهامٌ في انتاج الشعوبية. بل اتسعت دار الحرب، وتوسعت جبهاتها مع الغرب المسيحيّ، في محاولة الإلتفاف عليه في السيطرة على أسبانيا (الأندلس) في أواخر القرن الأول الهجري، وأثرها في الإستجابة الغربية المسيحية لوازع الحرب، ورد الفعل الذي ترجمته الحروب الصليبية التي يطلق عليها "حروب الاسترداد Reconquista" فيما بعد، والتي أضحت عاملًا في خلق تربةٍ خِصبة لإشاعة روح الإكراه التي ترعرعتْ لدى المسلمين، وولّدت العنف بين صفوفهم.

مهما يكن فالجهاد والحرب أصبحت سِمَةً تلازم الإسلام في مراحله التأسيسيّة، وصار المجاهدون فئة اجتماعيّة، كادت أن تشكل جماعة متميزة حاملة لدين، وأن تصبح تشكل رمزيّة هذا الدين، هكذا يقول " ماكس فايبر": "إذا أردنا أن نصف- بإيجاز- النماذج التمثيليّة للفئات التي حملت، ونشرت ما يطلق عليه اسم الأديان الكونيّة، يمكن القول إنّ في الكونفوشستيّة كان البيروقراط هم الذين ينظمون العالم، في الهندوسيّة كان الماج Mage هو الذي ينظم العالم، في الديانة البوذية الراهب الجوال هو الذي يجول حول العالم، في الديانة الإسلاميّة كان المحاربون هم الذين قهروا العالم وأخضعوه، في اليهودية كان التاجر المتجوّل، في المسيحيّة كان الحواري المتجوّل؛ لم يكن هؤلاء يمثلون، أو يعبّرون عن مهنهم، ولا مصالحهم الطبقية الماديّة، إنما كانوا- بالأحرى- الوكلاء الأيدولوجيين لقيم أخلاقيّة، أو لعقيدة ما، تدعو للخلاص، تحالفت، وتصاهرت بشكل سهل مع مكانتهم الاجتماعيّة"[1].

هكذا باتت العلاقة بين المسلمين وغيرهم تحكمها فكرةُ دار الكفر ودار الإسلام، التي ظلَّ خلالها غيرُ المسلمين، وبخاصةٍ المَسيحِيّينَ، الذين كانوا يُسْحَبون على تَبَعِيَّةِ دولةِ بيزنطا، وكان يتفاوت التعاملُ معهم بينَ الشدَّة والتهاوُن، بحسب نوع العلاقة مع دار الحرب؛ فإذا أزِمَ الصراعُ فإنَّ المَسيحِيّينَ يتحمَّلون قِسْطًا مريرًا، وهذا ما سجلته الممارسة التاريخية في عهد عبد الملك (65- 85هـ) إبان تصاعد الأزمة مع بيزنطة، وما تبعهُ في عهد هارون الرشيد (170- 193هـ)، وعهد المتوكل (232- 247هـ) في ذات الأزمة.

[1] - ليجيه، دانيال هيرفيه، و ويلام، جون بول، **سوسيولوجيا الدين**، القاهرة، 2005، ص 112.

نتحصل مما تقدم أنّ قراءة الجهاد والفتوح في القرن الأول وما يليه، بلسان حاكمية الشريعة، وسلطة الخلافة[1] وطائفيَّة النخب المتسلطة على سُدَّة النظام السياسي والديني والإجتماعي، وكانت قد تمظهرتْ وكشفتْ عن منحنياتها الطائفية في الممارسة التاريخية مع غير المسلمين، أنَّها- لا مناص- كانت نواةً خِصْبَةً لمشاريع فكريَّة مُتشدِّدة عبر حِقَبِ الأسلام التاريخيّ، أخذت تَسْتَصْحِبُ ايديولوجيَّةَ التكفير والإخراج من الملَّة منذ الوهلة الأولى، على نحوٍ يُشَرْعِنُ العنفَ و يوجبَ القَتْلَ، كما تبيَّن لدَى فرقةِ الخوارجِ في مفهومِهم للجهاد. الأمر الذي جعل الفارقَ يكبُر بين مفهوم الجهاد لدَى الفرق المغاليةِ، والجهاد الذي جاء به الإسلام[2]، وفي ضوء هذه الأفكار الميَّالة للعنف الممتزج بالوصول الى مراكز التأثير والسلطة، صدحت حركات التطرُّف الدينيّ في الأسلام التاريخيّ، على نحو "البربهاري" في القرن الرابع، و"ابن تيمية" في القرن الثامن، و"محمد عبد الوهاب" في القرن التاسع عشر.

ومن هنا ظهر على الضفة الأُخْرَى من أعادوا قراءة النصوص المقدَّسة، وصبغوا تفسيراتِهم بصبغة الإصلاح، واعتقدوا بوحدة النوع البشري في إطار تنوُّعه وتفاعله، ودعَوا إلى التآلف بين أهل الأديان السماوية الثلاثة، وإلى نَبْذِ التعصُّب والغلوِّ في الدين، وإلى البعد عن التكفير، وشدّدوا على أنّ الإسلام قد تميّز بصفة أساس، هي التسامح النابع من اعتقاد المسلمين بأنَّ دينَ الله واحد، لا يختلف إلا في صوره ومظاهره. وعليه، فقد فهموا الجهادَ، بمفهومه الواسع، الذي يشمل ما سُمِّيَ بـ "الجهاد الأكبر"، جهاد النفس، والذي قد " يفضل " جهاد الأعداء في الحرب، وفنَّدوا دعاوى من زعَمَ أنَّ الإسلام قد انتشر بالسَّيف،

---

[1] - أنظر: تقي الدين النبهاني: **نظام الحكم في الإسلام**، (منشورات حزب التحرير، القدس، 1959) ص15 وبعدها.

[2] - انظر: جودت سعيد: **كن كابن آدم** (دار الفكر، دمشق 1997) ص18 وبعدها.

وأكدوا أنَّ القتال في الإسلام، بوصفهِ " فرضَ كفاية "، لمْ يكنْ أبدًا منْ أجل الإكراه على الدين، وإنَّما كان فقط من أجل حماية المسلمين والدفاع عن عقيدتهم، وهو ما التزَمَ به الرسول نفسُه، الذي جاءت زعامته عن طريق الرسالة لا غير، وانتهت الرسالة بموته، والذي رفض أنْ يحملَ الناسَ على الإيمانِ بالإسلام بالقوَّة. ورأوا أنَّ الفهم الخاطئ لمعنى الجهاد، قد نَجَمَ -في الأساس- عن الجهل، أو عن التأويل الخاطئ لبعض الآيات القرآنية، الذي استند إلى رؤيةِ الأقدمين، التي ارتبطت بمستواهم العقليِّ وبدرجة العلم، التي بلغوها في زمانهم[1].

وتأتي تجربة الثعالبي[2] على قدر من الأهمية، في إطار إعادة الاعتبار للتواصل البشري، والتضامن بين المجموعات الإنسانية، من خلفيَّة تأويل النصوص، فقد تناول بالتحليل والنقد مسألة الجهاد، وتعرّض إلى تحريفات المفسّرين، وقرن أحكام الجهاد بأسباب نزول الآيات الدّالة عليها، إذ "لا نزاع بالنسبة لكافة المسلمين، أنّ لكلّ آية من الآيات سببًا معيّنًا واضحًا لا يمكن أنْ يتطرّق إليه أيّ شكّ"[3] وكأنّه لم يكنْ مقتنعًا بما أقرّه الأصوليون، حين اعتبروا أنّ العبرةَ بعموم اللفظِ لا بخصوص السبب، وأنّ صورة السبب داخلةٌ دخولا أوّليا في النصّ، ورأى أنّ المفسّرين اجتهدوا "في الانتقال من الخاص إلى العام، بدون أيّ عذرٍ، وبطرق ملتوية، لا يدركها معظم القرّاء"[4] وفي هذا الإطار أعاد قراءة آيات الجهاد [90 و191 و192 من سورة البقرة] وذهب الى أنّ "هذه الآيات لا تبيح إلاّ القيام بحرب دفاعية، وهي تدعو المؤمنين إلى الإمساك عن هدر الدماء

---

[1] - ماهر الشريف: م. س.

[2] - عبد العزيز الثعالبي(1876-1944م)، زعيم تونسي سياسي وديني، وصف بأنه داعية الإصلاح والتجديد والمقاومة. ويكيبيديا، الموسوعة الحرة،(الثعالبي).

[3] - عبد العزيز الثعالبي: **روح التحرر في القرآن**، ص 109 .

[4] - الثعالبي: م. ن، ص109 .

بدون جدوى، وتوضّح لهم أنّ الله يمكن أن يغفر حتى للأعداء، إذا وضعوا حدّا لهجوماتهم؛ فكيف أمكن للمفسّرين أن يستخرجوا -من تلك الآيات- تلك المشاعر المشحونة بالحقد والبغضاء، وتلك الدعوة إلى شنّ حرب على غير المسلمين؟"[1].

ونتحصل أنّ الجهاد الحربي، كنظام إسلاميّ وُلِدَ في حاضنة الدفاع عن بيضةِ الإسلام وحياضِه، كان له ضرورة ماسَّةً في حلِّ عقدة الصراع الحضاريّ ذي الصبغة الدينيَّة، وما صاحبها من حوادث فصلت بين دار الحرب ودار السلام. وأما في دار السلام فإنه يتسامى الى جهاد النفس والارتقاء بها دينيًّا وأخلاقيًّا، وهو الجهاد الأكبر، من أجل الحياة الحسنى في الدنيا والآخرة.

من خلال استحضار الذاكرة المسيحيَّة والذاكرة الإسلاميَّة في تجربة المائة الأولى للعلاقات، وتوظيف القراءة المتسامحة للنصوص، يمكن تحفيز مسيرة التضامن الإنسانيّ، وتنشيط التواصل بين المنظوماتِ الثقافيَّةِ الدينيَّة على طريق الرُقِيّ والحضارةِ والسلامِ العالميّ.

3- الفتوح في الفكر الاسلامي

الفتح من مأسسة الفكر الإسلامي، أول ما ورد في القرآن {إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} (النصر1)، وكان يخصّ مكّة الوثنيَّة، وما فيها من مقدسات تخص الإبراهيميّة، وقد جعلها الرسول محمد من موروثه الدينيّ، لاسيَّما أنَّها كانت موطنَ أجداده وعشيرته الأقربين، المخصوصين بالتبشير الديني، {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} (الشعراء214). على أنّ معنى الفتح تمدد في الإسلام التاريخيّ الى

[1] - الثعالبي: م.ن، ص111 .

مساحات خارج جزيرة العرب، وكانت تكثر في بلاد فارس المجوسيّة، وفي العراق، والشام، ومصر، المسيحيّة.

الفتوح من أهم ظواهر القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، تولدت عن مفهوم الجهاد، الذي يضمن استقلال الدولة الجديدة، وتوسيع سلطتها، وهذه الظاهرة أدَّت الى قيام عالم إسلاميٍّ حقيقيّ شاسع الأطراف ومنتصر[1]. يشير بعض الباحثين الى أنَّ الإسلام كان العامل التوحيديّ، الذي جمع القبائل العربيَّة معًا، ومِن ثَمَّ، فإنَّه أضاف كثيرًا الى تحقيق الفتوح الإسلاميَّة، وتثبيتها، واستمرارها، والى دور الدين في تمتين وتصميم النخبة العمليّ على القيام بتوسع[2].

تنامتْ القوَّةُ العسكريّة لدَى الرسولِ محمَّد، وتضخَّمَ جيشُ الإسلامِ، إثْرَ صلحِ الحديبيَّةِ (6هـ/ 628م) ووفدتْ القبائلُ العربيَّةُ، التي اشتهرتْ بمزاولةِ الحربِ والقتالِ في جزيرة العربِ، للأنضمامِ الى خميسه، ورفدِه بمعطياتِ العزوةِ والتوحُّدِ، وأكتسبَ الجيشُ الإسلاميُّ خبراتٍ إضافيَّةً، واشتدَّتْ شكيمتُه في معاركَ عدَّةٍ، نتجَ عنْها: توسعٌ في الجنوبِ، وفتحُ اليمنِ التابعةِ لدولةِ فارس، وإخضاعُ اليهودِ وكسْرِ شوكتِهم (7هـ/ 629م)، وفتحُ مكَّةَ وكسرُ الأوثانِ (8هـ/ 630م)، وحربُ الطائفِ التي دانتْ فيها أكبرُ القبائلِ، هوازن و ثَقيف، والتوجُّهُ نحوَ الشمالِ الغربي، لاخضاعِ القبائلِ العربيَّة المسيحيَّة على حدودِ دولةِ بيزنطة، أو ضِمْنَ تبعيتِها، مثل: غَسَّان ومُزَيْنَةَ وجُهَيْنَةَ، في غزوتَي مُؤْتَةَ و تَبُوك (8، 9هـ/ 631م). ومن ثمَّ الغاراتُ الواسعة، التي شنَّها الجيشُ الإسلاميُّ في عهدِ الخليفة أبي بكر (11-13هـ/ 632-633م)، لإخضاعِ جيوبِ الردَّةِ والقبائلِ الرافضةِ لسلطةِ دولةِ الاسلامِ وضرائبِها.

---

[1]- ج. و د. سوريديل: **معجم الإسلام التاريخي**، (الفتوحات).

[2]- ولتر كيغي: **بيزنطة والفتوحات الإسلامية**، ص 329.

إنّ هذه التحركاتِ العسكريةَ والانتصاراتِ الباهرةَ، بما حملته من توسُّعٍ على أرضِ جزيرةِ العربِ، وانتشارٍ لسلطاتِ الدَّولَةِ العَرَبِيَّة اليافعة، أضحتْ لافتةً لأنظار الدولتينِ الكبريينِ، فارس وبيزنطةَ، اللتين لهما الباعُ والسَّطْوَةُ النافذتان، وتتقاسمان النفوذ والسلطة على أطراف جزيرة العرب، لاسيما أنّ ثَمَّةَ محاولاتٍ للجيش الاسلاميّ للإحتكاك بأطرافهما، وانتزاع أجزاء ثمينة منها.

إنّه أمر بالغ الأهمية، أخذ يهدّدُ مصالح فارس وبيزنطة في المنطقة، فلم يُعُدْ يُظَنُّ أنّ الأمرَ يُحْسَنُ السكوتُ عَلَيْهِ من لدنْهما، وبمعيَّتِهما الدولُ الاقليميَّةِ المحيطةِ ببلادِ العرب، ولا أحدٌ يضْمِنُ عَدَمَ اتفاقِهم معًا، وتوجُّههم نحوَ كسرِ شوكةِ دولةِ الاسلامِ اليافعة[1]. من هنا بدتْ علائمُ الحربِ تبثُّ أضغانَها، وتنشرُ أوزارَها، وتُلَوِّحُ براياتِها، في انتظارِ العودِ التي تُشعِلُها، ومَنْ يتجَهَّزُ بروج المبادرةِ إليها.

منْ قبلُ، كانتْ تُخِيفُ الحجازَ و تُهَامَة أطماعُ الدولِ فيها، والسيطرةُ على أراضيها، فقد حدثَ أنْ احتلَّتْ الحبشةُ اليمنَ، بواعزٍ من بيزنطةَ، وأخضعتْ نَجْرَان في (101ق.هـ/ 525م) إثرَ نزاعٍ دينيّ سياسيٍّ، وهدَّدَ جيشُ ابراميوس (أَبْرَهة) مكَّةَ، وتوَعَّدَ بتهديمِ البيتِ الحرامِ في(85ق.هـ/ 540م)، لولا أصابتْهم كارثَةٌ، ومن ثمَّ كان الغزو الفارسي لليمن في عام (54ق.هـ/ 570م)، وجعلها مقاطعة فارسيّة. ظلَّ هذا التهديدُ، وما اجتلبَه من خوفٍ، يلازمُ أهلَ مَكَّةَ، فكانتْ قريشٌ تخشَى مِنْهَا كثيرًا، وبخاصةٍ منْ أنْ تتلاقفَهم بيزنطةُ وفارسُ، إذا

[1] - حدث مثلها في التاريخ الحديث، محمد علي باشا والي مصر (1805- 1848م)، بعد أن اشتد ساعده وقويت سلطته، تحول لمهاجمة الدولة العثمانية، التي يخضع لها، حيث حارب جيوشها في الشام والأناضول، وكاد يسقط الدولة العثمانية، لولا تعارض ذلك مع مصالح الدول الغربية، التي أوقفت محمد علي وأرغمته على التنازل عن معظم الأراضي التي ضمها. موسوعة ويكيبديا (محمد علي باشا).

ما برَقَ منها بارقٌ يُهَدِّدُ مصالحَها، أو تراعي من أن تتخطفهم القبائل الكبرى؛ لذا اتخذَتْ سياسةَ المُحايدةِ مع الدولِ الإقليميَّةِ، والمُهادنةِ مع القبائل، كنظام يوفر الحماية والأمن لجناحي مكّة: الدين والإقتصاد.

هناكَ رواياتٌ تشيرُ الى أنّ الرسول كانَ يدعو الناس في مكّةَ إلى الإسلام، ويخبرهم بأنّ الله - تعالى- وَعَدَهُ أنْ يُورِثَ أُمّتَهُ مُلْكَ كِسْرَى وقيصر[1]، وأنّهُ قال لأصحابه: أنّ أُمّتَهُ ستستولي على مُلْكِ كِسْرَى وقيصر[2]، ودعم القرآنُ هذه النبوءة بقوله: {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء، وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء، وَتُعِزُّ مَن تَشَاء، وَتُذِلُّ مَن تَشَاء، بِيَدِكَ الْخَيْرُ، إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (آل عمران26). ومما ساعدَ المسلمين على مدّ أبصارهم الى مُلْكِ الروم والفرس، المعاركُ الطاحِنَةُ بينَهم، فكانوا يتناوبون الغَلَبَةَ والخَسَارَةَ حتى أُنْهِكوا واُسْتِضْعِفوا، وتوقَّع حالَهم هذا القرآنُ {غُلِبَتِ الرُّومُ*فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ} (الروم2، 3)، وكانت آخرَ جولاتِ الصراعِ بينَ القُوّتَين العُظْمَيَيْنِ (4ق.هـ- 6هـ /619-628م). واستبقتْ في العِراق إنتصاراتُ قبائل العرب على جيش الدولة الفارسية في يوم ذي قار (2هـ/624م)[3]، وقال فيه الرسول محمد:" اليوم أوّلُ يوم انتصفَ فيه العربُ من العجم، وبيَ نُصروا"[4]. لعلَّ في تراكم الحوادث، ومحاكاة النصوص القرآنيّة والنبويّة لها، تشكَّلت الروح المعنويَّة المُتسامِيَة للعرب المسلمين، على نحوٍ وجَّهَ بوصلةَ الطمأنينة الكاملة في الداخل، وعزز الروح القتالية للمقاتلين.

---

[1] - محمد بن سليمان الكوفي: **مناقب الإمام أمير المؤمنين** 1/ 361؛ الهيتمي: **مجمع الزوائد** 170/6.

[2] - الثعلبي: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن** 288/7؛ الواحدي: **أسباب نزول الآيات**، ص231؛ محمد جواد مغنية: **تفسير الكاشف** 38/2.

[3] - ابو الفرج: **الأغاني** 66/24-75.

[4] - الطبري: **تاريخ الرسل والملوك** 2/ 193؛ ابن عبد البر: **الاستيعاب** 73/1.

إنّ إرسالَ الرسولِ محمَّدٍ الرسائلَ الى الملوكِ والعظماءِ (6ه/622م) ودعوتهم الى الإسلام، كانت سابقة جريئة وفريدة، وكانت الإجابات بين مستهزءٍ ومجامل ومهدد ومغاضب؛ غير أنّ ما نتج عنها كان له دورٌ تصعيديٌّ، فتُأَشِرُ رواية الواقدي[1] الى أنَّ الحارث بن عمير الأزديّ، مبعوث رسول الله إلَى مَلِكِ بُصْرَى، حينَ نَزَلَ مُؤْتَةَ عَرَضَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْغَسّانِيّ فَأَمَرَ بِهِ ... فَضَرَبَ عُنُقَهُ، فأشْتَدَّ على رسولِ اللهِ والمسلمينَ، فجهزوا لغزوة مؤتة.

تعدُّ غزوة مُؤْتَةَ، باتجاه حدود الروم في الشام، إنطلاقَ شرارة المواجهة، وقد وثَّقها بعض المؤرخين الغربيّين[2]، على أنَّها الإختراقات الإسلاميَّة الأولى للمنطقة البيزنطيَّة، وقد سُجِّلَت الغلبَةُ في مؤتة للقوى البيزنطيَّة على المسلمين. بيدَ أنَّ الإنكسار الميدانيَّ لَمْ يتبَعْه انكسارٌ نفْسِيٌّ ونكوصٌ يمنعُ من الخوضِ في معاركَ أخرى. فسرعانَ ما حرَّكَ النبيُّ محمَّد جيشًا باتجاهِ تبوك، وفرضَ وجودَه العسكريَّ في غربيِّ الجزيرةِ العربيَّة، على أيْلَةَ (العقبة)، وجرباء وأذْرُحَ (شرقي الأردن). ومن ثم جهَّز الرسول جيشَ أسامة بن زيد، واوصَى بإنفاذه الى أرض البلقاء قبيل وفاته[3]. ولعلّ من أهم فوائد المواجهات الأوُلى كسرَ حاجز الخوف والرهبة الذي كان يحمله أهل جزيرة العرب، وبخاصة تُهَامَة والحجاز، من البيزنطيين، ورفعت الروح المعنويَّة لدى المسلمين، على نحو لم تكن موفورة لدى القوى الكبرى في المنطقة، من رُوم وفُرْس.

ثَمَّةَ محفزات متنوعة هيّأت للفتوح، أشارتْ لها المصادر[4]، منها اقتصاديَّةٌ تتمثل في: انهيار التجارة العربيَّة، التي كانت تعبر الجزيرة كلَّها، بعد عَقْدٍ من

---

[1] - **المغازي** 755/2.

[2] - ولتر كيغي: **بيزنطة والفتوحات الإسلامية**، ص109.

[3] - المقدسي (ت355هـ): **البدء والتاريخ** 59/5.

[4] - الطبري: **تاريخ الرسل** 499/3؛ ابو يوسف: **الخراج**، ص29.

الحروب، والمجاعة المستديمة التي كانت تعيث في الجزيرة العربيّة. ومنها اجتماعيَّة، تمثلها الطبيعة الديموغرافية القبلية، واكتظاظ السكان. ومنها فكرية، تشكّلها إرادة توحيد العرب، كما اضطلع بها الرسول محمد والخلافة الراشدة. كانت هذه كلُّها أمورًا تدخل في الحسبان، وصارتْ واضحةً أكثرَ فأكثر، بقدر ما كان الفتحُ يتقدم. لكن الإراديَّة الحربيَّة وايديولوجيا الصراع (الجهاد) كانتا تتقدمان تلك الحوافز والدوافع، فلم تكن تدخل إطلاقا، في حساب تلك الإيديولوجيا، فكرة اعتناق الشعوب الأُخْرَى للإسلام، بلْ كانت تدخل في حسابِها - فقط- فكرةُ إقامة سلطان الله، من خلال هيمنة الإسلام[1].

لم يكن القرآن في معزل عن المسلمين، إبَّان مراحل الإعداد النفسيّ والتاريخيّ في عصر الرسالة، فكان المقياسَ النفسيَّ للنبيّ وصحبِه، فتارةً يحثُّهم على العزَّة، ووحدةِ الكلمة، وأنّهم أشبهُ بأصحاب عيسى في قوّةِ الشخصيَّة الدينيَّة والثبات (الصف14)، وأُخْرَى يمدُّهم من الميتاتاريخ بآلاف من الملائكة (آل عمران124)، لإنجاز النصرِ في المعركة، وثالثة ينقلُهم الى مستقبلٍ أخضرَ، من بعد أنْ يذكرهم بمسْحَةٍ نفسيَّة ماضويَّة متصحّرة، {وَاذْكُرُواْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (الأنفال26)، ويُشَرْعِنُ لهم الجهادَ (التوبة29)، اعدادًا منه ليكونوا أمّةً ضارِبةً، تحقّقُ الفتْحَ المبينَ بأمْرٍ إلهيّ (الفتح1).

من المسلَّم به -لدى الكتّاب المسلمين- أنَّ الدافعَ للمسلمين- في مشاركتهم في الفتوح- نشرُ الإسلام، والتمكينُ له، وتنظيمُ المناطقِ المفتوحة، والإجتهادُ في حلّ المشاكلِ المستجدّةِ وِفْقَ تعاليمِ الإسلامِ، لم يكنْ دافعًا دنيويًّا، ولا رغبةً في

[1] - جعيط: **الفتنة**، ص43.

التسلط والإستحواذِ، ولا طمعًا في خيرات البلاد المفتوحةِ، ولا فرارًا من شظف الحياة[1] في الصحراء[2]، بحسب ما ذكره بعض المستشرقين.

من جانب آخر، تجدر القراءة: أنّ سياسةَ الفتوحِ واتساعِ رُقْعَةِ الدَّوْلَةَ العَرَبِيَّة في سرعةٍ مُذْهِلَةٍ، أَرْبَكَ الحياةَ الدينيَّةَ لدَى الشُّعوبِ، وأخضعِ الحياة الاجتماعيَّة الى عمليات التغيير الديموغرافي، وكانَ مِن مُخْرَجَاتِها التَطْهِيرُ الدينيُّ لجزيرةِ العربِ، وقدْ نُسِبَ جُزَافًا الى قولِ الرسولِ محمَّد، وهذا التطهيرُ ولَّدَ مشاعرَ الضياعِ، وفقدانَ الهُوِيَّةِ التاريخيَّةِ لَدَى مسيحيِّي الجزيرة، وتَشَتُّتُهُم في البلدانِ، واندماجَهم ديموغرافيًّا في بيئاتٍ جديدة، مما شكَّل خطرًا على وجودِهم الديني.

في الجانب السياسي وأثره على النشاط الديني، يرى "دوسلييه" [3]: أنّ الفتحَ الإسلاميَّ، عِوَضَ أنْ يوحِّد المَسِيحِيِّينَ، أدّى -على العكس تمامًا- إلى مزيد من الانقسام بين مختلف الفئات المسيحيَّة. إذْ كانت نظرةُ المَسِيحِيِّينَ الشرقِيِّين تجاه المَسِيحِيِّينَ الغربِيِّين -دوما- تزداد سلبيَّةً باطراد، وصار ينظر إلى المسلمين -مقارنة بالطرف الأول- على أنَّهم الدرع الأخير الحامي لثقافة مسيحيِّي الشرق وإيمانهم. وكانت محصِّلةً لإضعاف دولة بيزنطا في تغيير خارطتها السياسيَّة، وضمورِ هيبتِها على المَسِيحِيِّينَ، ولاسيَّما أهمُّ الكنائس في الشرق ومصر التي أضحت تحت سيطرة العرب المسلمين، وأنَّ الكنيسة الملكانيَّة قد خَفَتَ أوارُها، بسبب دعم المسلمين للكنائس اليعقوبيَّة والنسطوريَّة، التي ينتمي اليها أغلبُ السكان في مصر والشرق، فضلًا عن مشاركة قسم كبير من المَسِيحِيِّينَ الحرب الى جانب المسلمين، لعدة أسباب، منها: اضطهاد بيزنطة لهم دينيًّا وسياسيًّا، وانتماؤهم الى العرب نسبيًّا،

---

[1] - مثلا: كايتاني: حوليات الإسلام، 1-35هـ؛ أكرم العمري: **المجتمع المدني في عهد النبوة**، ص18.

[2] - أكرم العمري: م. ن، ص19.

[3] - آلان دوسلييه: **مسيحيو الشرق والإسلام في العصر الوسيط**، ص 235.

على نحو حفَّزَهم فيه المسلمون، وحركوا نخوتهم.

ثمة أفكار صدرت عن أهل الكتاب من المعاصرين لزمن الفتوح، فسَّرت الفتوح تفسيرا دينيًّا، قد يتساير مع بعض القراءات الإسلاميّة، أو يتفق معها في قراءة مشتركة للعائلة الإبراهيمية. يشير مؤلفا "الهاجريّون"[1] الى سفر يهوديّ، يرجع الى منتصف القرن الميلادي الثامن، يدعى "أسرار الحَبْر شمعون بن يوحاي"، على أنّه يحتفظ بتفسير مسيانيّ[2] للغزو العربي.

في النص: "حين رأى أنّ مملكة إسماعيل كانت آتيةً، شرع يقول: أ لمْ يكنْ ما فعلته بنا مملكة إدوم[3] الشريرة، حتى تأتينا مملكة إسماعيل- أيضًا؛ وللفور أجاب "متاترون"[4]، أمير التشجيع، بقوله: لا تخف، يا ابن الإنسان، فالقدوسُ المبارك لا يأتي بمملكة إسماعيل، الا لتُخَلّصَكم من هذا الشرّ. إنّه بحسب إرادته يقيم عليهم نبيًّا، وسوف يفتح لهم الأرضَ، وسوف يأتون ويحيونها بعظَمَةٍ، وسيكون هنالك خوف مريع بينهم، وبين أبناء عيسو"[5]. ويتحدّث النصُّ عن

---

1 - باتريشيا كرون، مايكل كوك: **الهاجريّون**، دراسة في المرحلة التكوينيّة للإسلام، ص21.

2 - نسبة الى المسيا، وهو المخلص، والزمن المسياني اشارة الى العصر اليهودي المسيحي. **دائرة المعارف المسيحية**، (مسيا).

3 - برنارد لويس: من الواضح أنّ الأولى أدوم، تعني: روما وبيزنطة. أما الثانية فلا ريب، أنَّها الإسلام. **نصان يهوديان حول بدايات الإسلام**، اعداد نبيل فياض، (بيروت 1998) ص16. مع العلم أن ادوم منطقة جنوب وجنوب شرقي البحر الميت سكنها الأدميون منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، وتنسبهم المصادر القديمة (التناخ) إلى «إدوم» وهو عيسو ابن اسحاق بن إبراهيم. وتاريخ مملكة إدوم السياسي والحضاري غامض بسبب قلة الآثار والمصادر الأصلية الموثوقة التي تتحدث عنهم. **موسوعة المعرفة** (إدوم).

4 -هذا الملاك ميتاترون (Metatron = حارس)، حارس إسرائيل؛ هو إنسان في صورة الله القدوس، مبارك هو، الذي هو انبثاق منه [من الله]؛ نعم فهو [the Metatron] يهوه. والذي لا يمكن أن يقال عنه أنه مخلوق أو تشكل أو صُنع؛ بل هو الانبثاق من الله. **دائرة المعارف المسيحية** (ميتاترون).

5 - كرون، كوك: **الهاجريّون**، ص21؛ **نصان يهوديان حول بدايات الإسلام**، ص16.

عيسى راكب الحمار، ومحمّد راكب الجمل، في إشارة الى قول النبي أشعيا: "فيرى ركبًا، أزواج أسفار، ركّاب حمير، وركّاب جمل" (7/21).

هذا النص يقدم "دور الإسماعليّين ونبيّهم، باعتباره جوهريًا، بالنسبة للحوادث الميسانيَّة ذاتها، وهذا التفسير يصبح ذا معنى، حين يوضح جانب شهادة "عقيدة يعقوب" القائلة: إنّ النبيّ كان -في الواقع- يعلن عن مجيئ المسيا، وفي الوقت ذاته، يقدّم تأكيدًا مستقلًا على على موثوقيته، قد يبدو غريبًا -بالطبع- أن يقبلَ اليهودُ بأوراق اعتماد نبيٍّ عربيّ مفترض، باعتباره بشير المسيا، لكن ثمّةَ سابقة يهوديَّة معروفة لقيام أحد العرب بهذا الدور"[1].

وقدَّم المؤرخ الأرمني "سبيوس" -في سياق عقائدي- وصفًا للطريقة، التي قدّم بها النبي محمّد الاساسَ المنطقيّ للتدخل العربيّ، في تمثيل المسيانيّة اليهوديّة في النَسَبِ والهجرة، أما النسب فهو أساس مكوَّن من استلهام ثنائيّ الطبيعة للاصل الإبراهيميّ للعرب، وذلك بوصفهم إسماعيليين[2]. وأما الهجرة فإنّ تسمية "المهاجرون" التي أطلقها النبيّ محمّد على المسلمين، الذين هاجروا الى الحبشة المسيحيّة مرّةً، والى يثرب، ذات الطابع الكتابيّ اليهوديّ أخرى، كان لها جذور عميقة في التاريخ العقائديّ الإبراهيميّ، ترجع الى هجرة إبراهيم الى بيت المقدس، ومن ثم هجرته، وزوجه هاجر وابنه اسماعيل، الى البيت الحرام، وهم الذين أطلق عليهم "الهاجريّون" أو "الإسماعيليون" فيما بعد، قبل "سيبيوس" والمصادر الإسلاميّة. على أنّ هذه التسمية كشفت عنها المصادر اليونانيّة بصيغة: "ماغريتاي Magaritai"، في بَرْدِيَّة تعود للعام (642م/ 21ه)، وأما في السريانيّة فهي

[1] - كرون، كوك: **م. ن**، ص22.

[2] - **م. ن**، ص23.

"ماهغري Mahgre" أو "ماهغراية Mahgraye" التي ظهرت في أربعينيات القرن السابع[1].

كلا الجذرين الموغلين في العمق العقائديّ، النسب الإبراهيمي والهجرة الى الأرض المقدسة، كانا يترعرعان في الوعي الباطني للنبيّ محمّد، وأوّل تجسيد للهجرة في (7ق.ه/ 615م) أُسْرِيَ بالنبيّ محمّد من البيت الحرام إلى بيت المقدس[2]، على نحو إعجازيّ، عبّر عنه النص القرآني: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ} (الإسراء1). أكّدت هذا المنحى صلاة النبيّ من البيت الحرام الى بيت المقدس، وجعله الأخير قبلةً للمسلمين، لسنة وسبعة أشهر في المدينة[3]. وحين حقق المعاد الى البيت الحرام في صلح الحديبيّة في (6هـ/ 628م)، تحرك الوازع العقائدي في احتواء الأرومة الإبراهيميّة، وسيرة إبراهيم في الهجرة، فأرسل الرسل الى الملوك، وتبعها بحملات عسكريّة الى مُؤْتَةَ و تَبُوك في (8، 9هـ/ 631م)، في محاولة لوضع مقدمات صحيحة للوصول الى بيت المقدس، وكان يؤكّد على حملة أسامة بن زيد قُبَيل وفاته، مما عمّق في وعي المسلمين الهدف، ليكون موضع قدمهم في بيت المقدس، وتحقّق لهم السيطرة في الفتوح، على الرغم من الوجود البيزنطيّ العاتيّ، وبمباركة البِطْرِيك " صفرونيوس بلنتاس"، الَّذِي سلّم أورشليم المدينة المقدسة إلَى عمر بن الخطَّاب[4]، وبحضور مؤثر لـ" كعب الأحبار"[5]، وهذا النحو يؤكّد وجود أثافي العائلة الإبراهيميّة في بيت المقدس، وأصالة الهوية الدينية العربية في

---

[1] - **م. ن**، ص24.

[2] - ابن اسحاق: **سيرة**، ص 295.

3- انظر مبحث" الرّسول محمّد وأهل الكتاب فِي المدينة"، هذه الأطروحة: ب1، ف2، ص75.

4 - بابادوبولس: تاريخ كنيسة انطاكية، ص532.

5 - أنَّ إسلامه كان في قدوم عمر بن الخطَّاب الشام. الخركوشي، أبو سعد (ت407هـ): شرف المصطفى 1/ 275.

المشاركة الإسماعيليّة، واستلهامها للأصل الإبراهيميّ، واحتوائه للشجرة الإبراهيميّة، وأفنانها المقدسة، كما أنَّ له إسهامًا في التقبّل النفسي للمجتمع المسيحي بأزاء الفتوح الإسلامية.

نستنتج أنّ الجهادَ توسَّع مفهومه، وتشعّبت أنواعه في عصر الفقهاء، وأكَّد أغلبها على نشر سلطة الدَّولَة العَرَبِيَّة، والحفاظ على هيبتها، على حساب حقوق الرعيَّة في الأقاليم والأَمْصَار التي دخلت تحت سيطرتها، مما ارتكز على نظام طائفيَّة الدولة الدينيّة. ولعل التشكيل الطائفي غير المنظم في مجتمع القرن الأول، والقائم على التحول الديموغرافيّ، المتمثل في نمو العرب المسلمين داخل المدن على حساب أهلها الأصليّين، من مَسِيحِيِّينَ وغيرهم.

ظهرت القراءة المتشددة للنصّ القرآني في أزمنة من الإسلام التاريخي، في إخراجه من بيئة الحدث وموضوعِه، ومن ثم إعمامه، مثلا {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} التي جاءت مختصة بالمشركين، ولا سيما أهل مكَّةَ، بحسب قرائن نصيَّة وموضوعيَّة، غير أنَّها اتخذت جانب العموم، واشتملت الآخر الدينيّ أحيانًا في أزمنة تاليةٍ. من هنا يجدر العلم أنَّ مفاهيم الجهاد والفتوح كما تجلَّت في الممارسة التاريخية كانت في أغلبها لا تتوافق مع الحرية الدينية والحوار مع الآخر.

الفصل الثّالث

حقوق الْمَسِيحِيِّينَ فِي الشّرعِ الإِسْلَامِيّ وتشريعات الدّولة

اتسمت روح الشريعة الإسلامية بإفساح أرحب المجال للأعمال البشرية، إذ أنَّ " الإسلام هو دين الإنسان" -بحسب " رينان Renan"[1]، وهنا يتفق المشترعون المسلمون والفقهاء الغربيّون على أنّ القاعدة الأساسية في القانون هي الإباحة، غير أنّها غير مطلقة، بل مقيدة، وتقف عند حقوق الآخر وحريّاته في المجتمع، ومن هنا وضع المشرّع حدودًا للأعمال البشرية، أطلق عليها "الأحكام" بغية تنظيم الحياة الاجتماعيّة. في نفس الوقت، إنّ الشريعة الإسلاميّة تحضّ الفرد على الإندماج في المجتمع، وتحثّه على كل نشاط عمليٍّ مُجْدٍ يُغْنِيه عن السؤال والحاجة[2].

حدد الشّرع الإِسْلَامِيّ، الْمُتَمَثّل فِي القُرآن الكريمِ والسُّنَّة النّبَوِيّة، الوضعَ القانونيَّ لأهل الكتاب من سكان الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة، حَتَّى من قَبْلِ الفتح، الَّذِي ضَمَّ إِلَى دار الإِسْلَام جماعاتٍ من أهلِ الكتاب، النَّصَارَى بِخَاصَّةٍ، مِمَنْ كَانُوا رعايا فِي الامْبِرَاطورِيَّة السّاسانية الفارسيَّة، عرب ونبط (آراميون)، والامْبِرَاطورِيَّة

1 - نقلا عن: دافيد دي سانتيللانا David de Santillana: القانون والمجتمع، بحث في **تراث الإسلام**، تحرير: سير توماس أرنولد، 103/2- 144، (دار الجمل، بيروت، 2012) 112/2.

2 - دافيد دي سانتيللانا: القانون والمجتمع، **تراث الإسلام**، 112/2.

البِيْزَنْطيَّة (روم). هَذَا الوضع هُوَ وضع المعاهدين[1]. فَقَدْ سمح لهَؤلَاءِ النّاس الَّذِينَ لَمْ يدخلوا فِي الدّين الجديد بأنْ يستمروا فِي الإقامةِ بدار الْمُسْلِمِينَ. كَانُوا يَتَمَتَّعون بحماية (ذمَّة) الْمُسْلِمِينَ، وَكَانُوا يُعْفَوْن من الخدمة العَسْكَرِيَّة، عَلَى شرط أنْ يخضعوا لشرائع الإِسْلَام ويؤدُّوا الْجِزْيَة، ولذلك سُمُّوا بـ: أهل الذِّمَّة أَوْ الذِّمِّيّين.

وعقد الذِّمَّة: هُوَ إقرار غير الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ فِي دار الإِسْلَام، وحمايتهم من أيِّ عدوان، والدّفاع عَنْهُمْ، بشرط بذْلِ الْجِزْيَة والتّزام الأحكام الإِسْلَاميّة. ونطقتْ بمعانيه تفسيراتُ اللُغَة الْعَرَبِيّة، بحَسَبِ الجوهري[2]: أهلُ الذِّمَّة: أهل العقد، والعهد -أَيْضًا. وَقَالَ أَبُو عبيد[3]: الذِّمَّة: الأَمَان، فِي قول رسول الله: "يسعى بذِمَّتهم أدناهم"[4] أَوْ ينعقد[5]. والذّمة: الضَّمان.

خلافًا لِمَا قَالَ اللَاهُوتِيّ ثيودور أَبُو قرَّة (ت205هـ/ 820م)[6] بأنَّ الذِّمَّة تتناقض ورسالة الإِسْلَام العَالَمِيَّة، كتبَ السّرَخْسِيُّ بأنَّ الغرض من عقد الذِّمَّة لَيْسَ ماليًّا، بَلْ يستهدف من ورائه إلَى هَدْيِ الذِّمِّيّ إلَى الإِسْلَام بالمعروف، كَمَا أمرنا بِهِ القُرآن {ادْعُ إلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ} (النّحل 125). يعقد عقد الذِّمَّة من قَبْلِ إمام الأُمَّة أَوْ خليفته إنْ توفرت الشّروط، فَلَيْسَ لأحد

---

1 - جان موريس فيه: **أحوال النّصارى فِي خلافة بني العباس**، (دار المشرق ، بيروت، 1990) ص34.

2 - **الصّحاح تاج اللُغَة وصحاح العَرَبِيّة** 5/ 1926.

3 - القاسم بن سلام: **الأموال**، ص241.

4 - أحمد: **المسند** 11/ 402؛ ابن ماجه: **السّنن** 2/ 895؛ النّسائي: **السّنن الكبرى** 6/ 331؛ الحاكم: **المستدرك عَلَى الصّحيحين** 2/ 153.

5 - عبد الرّزاق الصّنعاني: **المصنف** 5/ 226.

6 -أحد آباء الكنيسة الشّرقية، أسقف حران الملكي، كتب بالعَرَبِيّة وباليونانيّة وبالسّريانيّة، من أوائل النّقلة، كَانَ يحاور المتكلمين الْمُسْلِمِين فِي مجلس الخليفة المأمون. انظر: عادل خوري،" أَبُو قرة،" *منتدى الحكواتي*/http://al-hakawati.la.utexas.edu/2011/12/26

من الطّرفين أنْ يأبَى قبولَه. أَمَّا الَّذِينَ عدَّهم الفقهُ الإِسْلَامِيّ ممن يجوز عقدُ الذِّمَّة مَعَهُمْ فهُمْ: اليهود والنَّصَارَى والمجوس والصّابئة، ويَقُولُ الأحناف: أَنَّهُ مَعَ المشركين يجوز عقد الذِّمَّة إنْ لَمْ يكونوا عربًا، أَمَّا الإمام مالك فيرخص عقد الذِّمَّة حَتَّى مَعَ المشركين الْعَرَب، ولَكِنْ شريطَةَ أَنْ لا يكونوا مِن قُرَيْش[1].

مِنْ هُنَا يتَجَلَّى حَقُّ الذِّمِّيّ فِي الشّريعة الإِسْلَاميّة فِي كونه قائمًا عَلَى المساواة مَعَ الْمُسْلِم بلحاظ قول الرّسول مُحَمَّد:" فَإِذَا قَبِلُوا عَقْدَ الذِّمَّة فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ" وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ كُلَّ مَا ثَبَتَ فِي حَقِّ الْمُسْلِمِينَ يَثْبُتُ فِي حَقِّ الذِّمِّيِّينَ، لاَ أَنَّ حَقَّهُمْ يَزِيدُ عَلَى حَقِّ الْمُسْلِمِينَ، وَلأِنَّ عَقْدَ الذِّمَّة خَلَفٌ عَنْ الإِسْلَام، فَيَثْبُتُ بِهِ[2].

فالجزية تدبير يخضع للملاءمة السياسية. وهي لا تفرض على امرأة، ولا على طفل، ولا على رجل دين. فهي قد تفرض فحسب على من هم في سن الخدمة العسكرية من غير المسلمين، مراعاة لمشاركتهم في الدفاع عن الوطن بالمال، مع ربط تلك المشاركة المادية بالاستطاعة، والتحول عن الأخذ منهم إلى إعطائهم عند عدم القدرة من بيت المال، مراعاة لعدم إلزامهم بالتضحية بالنفس دفاعا عن دين لم يدخلوا فيه، من باب التأكيد على الحريّة الدينيّة. ومن يقبل منهم الانتظام مختارا في الجيش من مدخل الدفاع عن الوطن وتكون يده مع المسلمين باختياره، فإنّه لا ترفع عنه الجزية فحسب، وإنّما يتساوى مع المجاهد المسلم في العطاء على قدم المساواة.

[1] - تامر باجن أوغلو: **حقوق أهل الذمة فِي الفقه الإسلاميّ**، ص21.

[2] - **الموسوعة الفقهية الكويتية** 13/ 170.

تَمَتّع أهلُ الذِّمَّة، ومنهم الْمَسيحِيّون، بحقوقهم أُسْوَةً بإخوانهم الْمُسْلِمِينَ أَوْ كادوا، ومن خِلَالِ سنَّة الرّسول مُحَمَّد و سيرة الخلفاء الرّاشِدين، رُشِحَتْ العلاقةُ مَعَ أهل الذِّمَّة، ولاسِيَّمَا فِي كتابة عهود الصّلْح والأَمَان لَهُمْ، وحُدِّدَ مَا لغيرِ الْمُسْلِمِينَ من حقوقٍ، وما عَلَيْهِمْ من واجباتٍ، فِي نظامٍ سُمِّي فِي الشّرائعِ الإِسْلَاميّةِ "أحكام أهل الذِّمَّة"، الذي تعهده الفقهاء، وربما زادوا في القيود، وضاعفوا في الشروط، والتفريق ببعض الحدود بينهم وبين المسلمين، مما حدا بهم انْ يصبحوا أقليات دينيّة. وفي المقابل كانت ادارة الدولة أكثر منهم تسامحا مع أهل الكتاب، فكثيرا ما قرّبت المسيحيين، ولاسيما في العصر الأمويّ، واستعانت بهم، وقدرت معرفتهم وخدمتهم في الطب والعلوم الأخرى.

ظلّت "أحكام أهل الذِّمَّة" تندرجُ تحتها: الأحكام الْمَالِيَّة، نحو: الْجِزْيَة، والخراج، وعشور التّجارة؛ وأحكام الأحوال الشَّخْصِيَّة، نحو: الزواج، والطّلاق، والميراث؛ وأحكام المعاملات، نحو: البيع، والشّراء، والاجارة، والشّفعة.

هَذَا المنهج الَّذِي تعامل بِهِ الْعَرَب الْمُسْلِمون مَعَ الأقليات الدّينِيَّة، يَكَادُ يُشَكِّلُ سابقةً لَدَى المِلَلِ نفْسِهَا مَعَ الدّوَلِ الْمُتَسَلّطَة قَبْلًا، ويُشير "روم لاندو Rome Landau"[1]: "عَلَى نقيض الإِمْبِرَاطورِيّة النّصْرَانِيَّة، الَّتِي حاولت أنْ تفرضَ الْمَسيحِيّة عَلَى جميع رعاياها فرضًا، اعترف الْعَرَب بالأقليات الدّينِيَّة وقبلوا بوجودها. كَانَ النَّصَارَى، واليهود، والزرادشتيون، يعرفون عندهم بـ (أهل الذِّمَّة)، أَوْ الشّعوب الْمُتَمَتّعَة بالحماية. لقد ضُمِنَتْ حُرِّيَّةُ العبادةِ لَهُمْ من طريق الْجِزْيَة، الَّتِي أمسَتْ تُدْفَعُ بدلاً من الخدمة العَسْكَرِيّة. وَكَانَتْ هَذِهِ الضَّريبةُ مضافًا إِلَيْهَا الخراج، أقلَّ فِي مجموعها من الضَّرائب الَّتِي كَانَتْ مفروضةً فِي ظِلِّ الحكمِ البِيْزَنْطِيّ. كَانَتْ كلُّ فرقة من الفرقِ الَّتِي تُعامَلُ كَـ "مِلَّة"، أيْ كطائفة نصفِ مستقلةٍ استقلالاً ذاتيًا ضِمْنَ الدّولة. وَكَانَتْ كلُّ مِلّةٍ تخضَعُ لرئيسِها الدّينِيّ".

1 - **الإسلام والعرب**، ترجمة: منير البعلبكي، (دار العلم للملايين, بيروت، 1962)، ص119

يجدر بالمقارنة أنّ ضريبةَ الرأس (Caput tax) التي فرضها الرومان على الأمم التي خضعت لهم، كانت تتراوح ما بين تسعة دنانير وخمسة عشر ديناراً في السنة على الشخص الواحد[1]. في حين كانت على عهد الرسول محمد دينارا واحدا في السنة. ويبدو أنّها كانتْ تُفرض على غير المسيحيِّين من سكان الدولة[2]. أما بقية الفقرات فهي متقاربة، فقد فرضتها الدولة البيزنطية على سن الرابعة عشرة إلى الستين سنة، وأعفي منها الشيوخ والأطفال والنساء وأبناء الجند[3]، وبقي هذا النظام في مصر حتى الفتح الإسلامي[4].

بدأت المنظومات الفقهيَّة الإسلاميَّة تتشكَّل في القرن 2هـ/8م، واكتملتْ، أو كادتْ، في قرون تلَتْهُ، وهي حِقْبَةٌ تأخرت أكثرَ من قرن عن زمن الفتوح، ومعنى هذا أنَّ الفقهاء وجدوا أمامهم سلوكًا تاريخيًّا للسلطة والجماعة الإسلامية، فيما يتصل بأهل الذمة، وهذا الإدراك إنْ أعطى فكرة عن محدوديَّة تأثير الفقهاء في البداية، فإنَّه لا ينبغي أنْ يدفعَ الى التطرف في تتبع مُجريات الواقع، باعتباره الحكم الأول والأخير، ذلك أنَّ المسلك العامَّ للجماعة الإسلاميَّة كان في النهاية شيئًا غير تصرفات الأفراد[5].

---

[1] -جورجي زيدان: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، مراجعة: حسين مؤنس، (ط3، دار الهلال، القاهرة، لا. ت) ص219.

[2] - رنسيمان، ستيفن: **الحضارة**، ترجمة عبد العزيز توفيق، مكتبة الهيئة المصرية، القاهرة، 1961 م)، ص109؛ عاشور، سعيد، تاريخ، ص201..

3 - بينز، نورمان، **الإمبراطورية البيزنطية**، ترجمة حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م)، ص161.

[4] - حسين الشيخ: **الرومان**، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989) ص101.

[5] -رضوان السيد: "المسيحية في الفقه الإسلامي"، *المسيحيون العرب*، ص35.

1- الْحُقُوق الاِجْتِمَاعِيَّة

تُعَدُّ الشَّخْصِيَّةُ الجماعيَّةُ للأقلياتِ، أَوْ لِكُلِّ مُكَوِّنٍ فِي المُجْتَمَعِ، مُعْتَبَرَةً لَدُنِ المُشَرِّعِ الإِسْلَامِيِّ، باعتبارِها من الشّعوب المتَمَتِّعة بالحمايَة، وأطلقَ عَلَيْهَا الرّسول- في وثيقة المدينة- لفْظَ: " أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ"، فَهُوَ يقدِّرُ علاقَاتِهم بَيْنَهُمْ، ويُقِرُّ قِيَمَهُم ومبادِئَهم الاِجْتِمَاعِيَّة، وإِدَارَتَهم القضائيَّةَ بينهم، فلا يتدخَّل فِيهَا، فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ، يلتزمُ باحترامِ مشاعرِهم فِي أفراحِهم وأحزانِهم بأعلَى معاني الإنْسَانِيَّة، بَلْ يقفُ مَعَهُمْ الْمُسْلِمون ويؤازونَهم أَوْ يواسونَهم فِي مشاعرِهم. وَقَدْ أوردت لَنَا مصادر التّراث الفِكْرِيّ الإِسْلَامِيّ مَا يغني المَوْضُوع.

أُسْنِدَ[1] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (ت78هـ/ 697م)، قَالَ: مَرَّتْ بِنَا جِنَازَةٌ، فَقَامَ لَهَا رَسُولُ اللهِ، وَقُمْنَا مَعَهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، قَالَ: "إِنَّ الْمَوْتَ فَزَعٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْجِنَازَةَ فَقُومُوا". وصارت أثرًا دالًا على الإحترام للآخر في سلوك الصّحابة. وعن ابْنَ أَبِي لَيْلَى (ت83هـ/ 702م)، قَالَ: كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ(ت38هـ/658م)، وَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ(ت60هـ/ 680م) قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا: إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِيَّ مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: "أَ لَيْسَتْ نَفْسًا؟"[2]، إشارةً رائدة إلَى الشّعور بِتَوَحُّدِ النّفسِ الإنْسَانِيَّة، واحترام مشاعرها، وإنْ اختلفتْ النِّحَل والأهواءِ والملل.

كَانُوا يشيّعون أمواتهم علنا، وَكَانَ الرّسول مُحَمَّد قَدْ أجاز أنْ يحضرَ الْمُسْلِمُ جنائز أقاربه من أهل الذِّمَّة، وَفِي رِوَايَةَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ: جَاءَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ

1 - أحمد: **المسند** 211/14، 327/22؛ البخاري: **الصّحيح** 85/2.

2 - البخاري: **صحيح** 2/ 85؛ الطبراني: **المعجم الكبير** 90/6.

شَمَّاس[1] إِلَى النَّبِيّ مُحَمَّد، فَقَالَ: "إِنَّ أُمِّي مَاتَتْ وَهِيَ نَصْرَانِيَّةٌ[2]، فَأُحِبُّ أَنْ أَشْهَدَهَا؟ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ: ارْكَبْ وَتَقَدَّمْهَا، فَإِنَّكَ إِذَا كُنْتَ أَمَامَهَا تَكُنْ مَعَهَا"[3].

فِي الكوفة إِبَّانَ خِلَافَة الإمام عَلِيّ، كَانَتْ جنائز الْمَسِيحِيّن تشيع فِي الأسواق أُسْوَةً بجنائزِ الْمُسْلِمِينَ، ينقل الدّينوري[4]: إنَّ ابنَ ملجم[5] "خرج ذات يوم إِلَى السّوق متقلّدًا سيفَه، فمرت بِهِ جنازةٌ، يُشَيِّعُهَا أشرافُ الْعَرَب، ومعها القِسّيسُون، يقرأون الإِنْجِيل. فقال: ويْحَكُمْ!، مَا هَذَا؟ فقالوا: هَذَا أبجر بن جابر العجلى مات نَصْرَانِيًّا، وابنه حجار بن ابجر سيد بكر بن وائل، فاتّبعها أشرافُ النّاس لسؤددِ ابنه، واتَّبعها النَّصَارَى لدينه". وأضاف البلاذري[6] " ونَصَارَى الحِيرَة يحملونه، ومع ابنه حجار بْن أبجر: شَقِيقُ بنُ ثَوْرٍ[7]، خالدّ بن المعمر[8]، حُرَيث

---

[1] - ابن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأعز بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج. (خليفة بن خياط: **الطبقات**، ص 414) وَهَذَا دليل عَلَى وجود النّصرانية فِي يثرب.

[2] - أمه امرأة من طي. ابن عبد البر: **الاستيعاب فِي معرفة الأصحاب** 1/ 200.

3 - الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت463هـ) **تاريخ بغداد**، تح: مصطفى عبد القادر عطا (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، 1417 هـ) 9/ 116. وبصيغة: « إذا كنت أمامها لا تَكُنْ معها» فِي تاريخ بغداد، تح: بشار عواد (دار الغرب الإسلاميّ، بيروت 2002م) 10/ 165. انظر الحديث: ابن الجوزي: **العلل المتناهية** 219/2.

4 - أَبُو حنيفة (ت 282هـ): **الأخبار الطوال**، (دار إحياء الكتاب العَرَبِيّ ، القاهرة، 1960 م) ص 214؛ وقارن: الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك**، 145/5.

5 - عبد الرّحمن بن ملجم المرادي الخارجي، قاتل الإمام عليّ بن أبي طالب، وقتل بِهِ سنة 40هـ/ 660م. ابن عبد البر: **الاستيعاب** 1447/4.

6 - **جمل من أنساب الأشراف**، 2/ 494.

7 - أَبُو الفضل السّدوسي البصري، (ت64هـ) رَئِيسُ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فِي الإِسْلامِ، وَكَانَ حَامِلُ رَايَتِهِمْ يَوْمَ الْجَمَلِ، وَشَهِدَ صِفّينَ مَعَ عَلِيٍّ.. ابن الاثير: **الكامل فِي التاريخ** 261/3؛ الذهبي: **تاريخ الإسلام**، 5/ 124.

8 - خَالِد بن المعمر بن سلمان بن الحارث ابن شجاع بن الحارث بن سدوس بن شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكاثة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الذهلي شهد صفين مَعَ علي ثُمَّ غدر بالحسن بن

بن جابر[1]، وجماعة من الْمُسْلِمِينَ يمشون فِي ناحية إكراما لحجار". وَلَمْ يَعْتَرِضْ عَلَيْهَا إِلَا بَعْضُ شَوَاذِ النَّاسِ، الَّذِينَ قَدْ تَسْتَهْوِيهِمْ مُخَالَفَةُ النِّظَامِ، فيُعَرِّضُونَ أَنْفُسَهُمْ للمُسَاءَلَةِ مِنْ لَدُنِ الإمامِ[2]. زِدْ عَلَى ذَلِكَ إِنَّ للنَصَارَى مقبرةً يدفنون فِيهَا موتاهم، وَهِيَ معروفةٌ، أسماها أَبُو الفرج[3]: "ناووس[4] الكوفة".

فِي ولاية الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة[5] عَلَى البصرة (65-67هـ) لابن الزبير، تكرر المشهد، إِذْ ذكر أهل الآثار[6]: "أَنَّ أُمَّ الْحَارِثِ تُوُفِّيَتْ وَهِيَ نَصْرَانِيَّةٌ، فَخَرَجَ الْحَارِثُ مَعَ جَنَازَتِهَا، وَمَعَهُ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ، يَمْشُونَ مَعَ جَنَازَتِهَا".

علي ولحق بمعاوية. ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 16/ 205.

1 - ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة، الحنفي، شهد صفين مَعَ علي، وَكَانَ أميرا عَلَى لهازم البصرة. ابن العديم، (ت 660هـ) **بغية الطلب فِي تاريخ حلب** 5/ 2197؛ ابن حزم، الظاهري (ت 456هـ): **جمهرة أنساب العرب**، ص312.

2 - قَالَ ابن ملجم: والله لَوْلَا انى ابقى نفسي لامر هُوَ اعظم عِنْدَ الله من هذا؛ لاستعرضتهم بسيفي، فإنهم قَدْ أتوا أمرًا عظيما،! فأخذ وأتي بِهِ إِلَى علي فَقَالَ: هل أحدث حدثا؟ قَالُوا: لا. فخلى سبيله. **الأخبار الطوال**، ص 214؛ **أنساب الأشراف** 2/ 494.

3 - الأغاني 312/4، 18/ 349.

4 - النّاووس والنّاؤس مقبرة النّصارى معرب نأوس باليونانية جمع نواويس. دوزي: **تكملة المعاجم العَرَبِيّة** 10/ 335.

5 - ابْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُومٍ، ويلقب "القباع". ابن سعد: **الطبقات الكبرى** 5/ 20؛خليفة بن خياط: **الطبقات**، ص409.

6 - أَبُو يوسف، (ت 182هـ): **الآثار**، ص 81؛ مصعب الزبيري: **نسب قريش**، ص 318؛ ابن الكلبي: **جمهرة أنساب العرب**، ص32؛ الفسوي، (ت 277هـ): **المعرفة والتاريخ** 3/ 194؛ البلاذري: **أنساب الأشراف** 7/ 9؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 11/ 445.

تأبى أخلاقُ النَّصَارَى إلَّا أنْ يبادلوا الْمُسْلِمِينَ المواساة فِي المشاعر، ينقل ياقوت[1]: إن نَصَارَى نَجْرَان الكوفة، كَانَتْ لَهُمْ يدٌ فِي حمل نعش عَلِيّ بن أبي طالب فِي النَجْرَانية. وَقَالَ عبيد الله بن موسى بن جار بن الهذيل الحارثي يرثيه:

بكيت عليًّا جهد عيني فَلَمْ أجد عَلَى الجهد بعد الجهد مَا أستزيدها

فما أمسكت مكنون دمعي وما شفت حزينا ولا تسلى فيرجى رقودها

وَقَدْ حمل النّعش ابن قيس ورهطه بنَجْرَان والأعيان تبكي شهودها

ونلحظ مدى العدالة مَعَ الآخر الدّينِيّ، من خلال الدفاع عن تراثه الفِكْرِيّ في رواية: إنَّ الإمام عَلِيًّا مرَّ مَعَ اصحابه عَلَى أحد الأَدْيِرَة الْمُهَدَّمَة فِي عاقولا (الكوفة)، فوجد أحدهم كَانَ يغتسل فِيهَا، فنظره معاتبًا، فقال الرجل، مُسَوِّغًا فِعْلَه، مُوَجِّهًا خطابَه إلَى اطلال الدّير: لطالَما كُفِرَ بالله ها هُنَا... فردَّ عَلَيْهِ الإمام: بَلْ قُلْ: طالما عُبِدَ اللهُ ها هُنَا[2].

وَفِي السّماح لغير الْمُسْلِمِينَ الدّخول إلَى المسجد، فَقَدْ ذُكر: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ من وُفُودِ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، كَانُوا يَدْخُلُونَ الْمَسْجِدَ عَلَى رسول اللَّهِ، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ دخل الْمَسْجِدَ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَكَذَا وَفْدُ ثَقِيف، دَخَلُوا الْمَسْجِدَ، وَقَالَ رسول اللَّهِ يوم فَتْحِ مَكَّةَ: من دخل الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ جَعَلَ عَلَيْهِ الصّلَاةُ وَالسّلَامُ الْمَسْجِدَ مَأْمَنًا وَدَعَاهُمْ إلَى دُخُولِهِ[3].

---

1 - **معجم البلدان** 269/5.

2 - ضياء الموسوي:" شيعة العِرَاق"، *صحيفة الوسط البحرينية*، العدد 884، الأحد 06 فبراير 2005م؛ جواد العطار: "حوار بمناسبة اليوم العالمي للتسامح"، *شبكة العِرَاق الثّقافيّة*، *www.iraqcenter.net*.

3 - علاء الدين الكاساني: **بدائع الصّنائع فِي ترتيب الشّرائع** 128/5.

وعليه اختلف الفقهاء، فقال الشّافعي: لا يجوز لَهُمْ أنْ يدخلوا المسجد الحرام بحال، لا بإذنِ الإمام، ولا بغيرِ إذنه، وما عداه من المساجد، لا بأسَ أنْ يدخلوها بالإذن[1]. وَقَالَ أَبُو حنيفة: يدخل الحرم والمسجد الحرام وكل المساجد بإذن[2]. قَالَ الزركشي: يجوز دخول الذِّمِّيّ المسجد بلا إذْنٍ، لحاجةٍ إلَى مسلم أَوْ حاجة مسلم إلَيْهِ[3].

ومن الحقوق الإجتماعية صيانة الجار، والحفاظ على كرامته، فقد قال الرسول محمد: "والله لايؤمن، ثلاثا، قيلَ: من يا رسولَ الله، قال: مَنْ لأ يأمَنُ جارُهُ بوائقَهُ"[4]. وكان النَّبِيُّ يكرم جاره، ويقدمه، ولوكان على دين آخر، ففي رواية أَنَّه قَالَ لِعَائِشَةَ -عِنْدَ تَفْرِيقِ لَحْمِ الْأُضْحِيَةِ: "ابْدَئِي بِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ". واستمرّ هذا التكريم بعده سنَةً، فَرُوِيَ أَنَّ شَاةً ذُبِحَتْ فِي أَهْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَلَمَّا جَاءَ، قَالَ: أَهْدَيْتُمْ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يقول: "مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ"[5].

2- الْحُقُوق الدّينِيَّة

أَمَّا الْحُقُوق الدّينِيَّة فكانت محفوظةً لَهُمْ، بحَسَبِ شريعة القُرآن والرّسول، ومعاهدات الصّلْح، وكتُبِ التّوصية الصّادرةِ عَنْ النّبيّ مُحَمَّد والخلفاء الرّاشِدين بحق أهل الذِّمَّة، ومن أهمّها حُرِّيَّةُ الدّين والعبادة، فعلى الرغم من أنَّ الدعوة الى الإسلام هدف مشروع، بحسب النص {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

1 - النّووي، محيي الدين: **المجموع** 2: 174 و 19: 433 – 434؛ الجصاص: **أحكام القرآن** 3/ 88.

2 - ابن العَرَبِيّ: **أحكام القرآن** 902/2؛ الطوسي: **الخلاف** 1 / 518.

3 - النّووي، (ت676هـ): **روضة الطالبين**، (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت) 1/ 102.

4 - القرطبي: **التفسير** 5/ 184.

5 - القرطبي: م.ن. 5/ 188.

الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (النحل125)، الّا أنّه لا يبيح إكراه غير المسلمين على ترك دينهم، واعتناق الإسلام، بدلالة {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدّينِ قَدْ تَّبَيَّنَ الرّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} (البقرة256). أكد الفقهاء على هذا المنحى، واتفقوا على أنَّ لأهل الذِّمَّة حقَّ القيام بواجباتهم الدّينِيَّة والعِبَادِيَّة فِي معابدهم[1]. أما ما يتصل بالشعائر الدينيَّة من عقائد وعبادات، وما يتصل بالأُسْرَى من زواج وطلاق، فلغير المسلمين المعاهدين فيها الحرية المطلقة، تبعًا للقاعدة الفقهية: " اتركوهم وما يدينون"[2].

فِي مطلع دخول الإِسْلَام إلَى المدينة، واحتكاكه بالدِّيَانَات الموجودة فِيهَا، كَانَ ثَمَّةَ مُمَارَسَة سَجَّلها أهل التّاريخ[3]، فِي سبب نزول آية {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدّينِ}. قيل: أنها نزلت فِي رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف يقال لَهُ الحصين، كَانَ لَهُ ابنان تنصّرا عَلَى تجار من الشّام قدموا إلَى المدينة، وَكَانَ هُوَ رجلًا مسلمًا، فقال للنبي مُحَمَّد: أَلَا أستكرههما؟، فإنهما قَدْ أَبَيَا إلا النّصْرَانِيَّة، فأنزل الله فِيهِ ذَلِكَ، وَكَانَ رسول الله يَقُولُ: "قَدْ خُيِّرَ أصحابُكم، فإن اختاروكم فهم منكم، وإن اختاروهم فهم مِنْهُمْ"[4].

كَانَتْ الْحُقُوق الدّينِيَّة هِيَ المتصدّرة فِي طبيعة العلاقَة بَيْنَ الدَّولَة العَرَبِيَّة وأهل الذِّمَّة، فأقدمُ مواردِها العهودُ والمواثيق، الَّتِي كتبها الرّسولُ مُحَمَّد إلَى أهل الذِّمَّة، وَكَانَتْ فِي مطلعها صحيفةُ المدينة، الَّتِي أفصحت عن حقوق الآخر الديني وحريته في التعبد لما يعتقد، وقد وردت بِرِوَايَة ابن شهاب الزهري

1 - تامر باجن أوغلو: **حقوق أهل الذمة فِي الفقه الإسلاميّ**، ص24.

2 - سيد سابق: **فقه السنة** 663/2.

3 - أخرجه ابن إسحق وابن جرير عَنْ ابن عباس. السّيوطي: **الدر المنثور** (دار الفكر، بيروت، 1993) 21/2.

4 - الطبري: **جامع البيان** 5/ 410؛ البيهقي: **السّنن الكبرى** 186/9.

(ت124هـ)[1]، بعبارة تكررت توكيدا للحقوق الدّينيَّة والسّيَاسيَّة: "وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ، وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ، مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ"[2]، وتلتها معاهدات مع: وَفْد نَصَارَى نَجْرَان[3]، وَأَهْلِ أَذْرُحَ[4]، ونَصَارَى بني تَغْلِب[5]، فِي غيرهم؛ وما كتبه الخلفاء الرّاشدون فِي الْفُتُوح إِلَى النَّصَارَى من كتب أمان، جميعها تؤكّد عَلَى الْحُقُوق الدّينيَّة والسّيَاسيَّة.

ثَمَّةَ مُمَارَسَات تدل عَلَى احترام الْحُقُوق الدّينيَّة، مِنْهَا: محادثة يرويها من تَنُوخ رسول هرقل إِلَى النّبيّ مُحَمَّد، الَّذِي قَالَ لَهُ النّبيّ: "هل لك فِي الإِسْلَام، الحَنِيفِيَّة مِلَّة أبيك إِبْرَاهِيم؟ فقلت: إِنِّي رسولُ قوم، وعلى دين قوم، لا أرجع عَنْهُ حَتَّى أرجعَ إِلَيْهِمْ؛ فضحكَ النّبيّ، وَقَالَ: {إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}"[6].

إِنَّ نَصَارَى[7] نَجْرَان[1] كَانُوا مِمَّنْ وَفَدَ عَلَى الرّسول فِي السّنة التّاسعة للهجرة[2]، واستقبلهم الرّسول مُحَمَّدٌ فِي مسجد المدينة، المركز الإِدَارِي للحكم، وسمح

---

1 - أوردها: أَبُو عبيد: **الاموال**، ص291-294؛ ابن زنجويه، (ت251هـ): **كتاب الاموال**، 2/ 466-470.

2 - ابن هشام: **السّيرة النّبوية** 1/ 503.

3 - السّهيلي، (ت 581هـ): **الرّوض الأنف** 5/ 5.

4 - البيهقي: **دلائل النّبوة** 5/ 248.

5 - الصّالحي، (ت 942هـ): **سبل الهدى والرّشاد فِي سيرة خير العباد**، 9/ 126.

6 - القصص 56، انظر: الصّالحي: م. ن. 5/ 458.

7 - قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَفْدُ نَصَارَى نَجْرَانَ، سِتّونَ رَاكِبًا، فِيهِمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ فِي الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ إِلَيْهِمْ يَؤُولُ أَمْرُهُمْ الْعَاقِبُ أَمِيرُ الْقَوْمِ وَذُو رَأْيِهِمْ وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمْ وَالَّذِي لَا يُصْدَرُونَ إِلّا عَنْ رَأْيِهِ وَاسْمُهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ وَالسَّيِّدُ لَهُمْ ثُمَالُهُمْ وَصَاحِبُ رَحْلِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ وَاسْمه: الْأَيْهَمُ، وَأَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَلْقَمَةَ، أَحَدُ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، أُسْقُفُّهُمْ وَحَبْرُهُمْ إمَامُهُمْ وَصَاحِبُ مِدْرَاسِهِمْ. ابن هشام: **السّيرة النّبوية** 573/1؛ ابن سعد: **الطبقات** 84/2/1؛ البلاذري: **فتوح البلدان** 70؛ البيهقي: **دلائل النّبوة**، 383/5؛ النّويري:

لَهُمْ بالصّلاة فِي مسجده[3]، عَلَى الرّغْمِ مِنْ ممانعةِ ثُلّةٍ من أصحابه، إقرارا مِنْهُ بأنَّ الصّلاة لله، وإنْ اختلفت الدِّيَانَات، وأنَّ من حقهم مُمَارَسَة طقوسهم الإيمانيَّة أنّى شاءوا مَا دامت بيوت العبادة لله.

ومحاورة هند بنت النّعمان، وَقَدْ دخلت عَلَى خَالِد بن الوليد (ت21هـ/642م) لَمَّا افتتح الحِيرَة، فقال لها: أَسْلِمِي، حَتَّى أزوجك رجلا شريفا من الْمُسْلِمِينَ، قَالَتْ: أمّا الدّين فلا رغبةَ لي عَنْ ديني، ولا أبغِي بِهِ بدلًا؛ وَأَمَّا التّزويج فلو كَانَتْ فِيَّ بقيّةٌ، لَمَا رغبتُ فِيهِ؛ فَكَيْفَ، وأنا عجوز هامةٌ اليوم أَوْ غد؟. قَالَ: سليني حاجةً. قَالَتْ: هَؤلَاءِ النَّصَارَى الَّذِينَ فِي أيديكم تحفظونهم[4].

حددت المعاهدات طبيعة أداء الطقوس لأهل الذمة، من إظهار الصلبان وضرب النواقيس وما إليها، فقد اشتمل عهد خالد بن الوليد لأهل الحيرة على أنْ لا يمنعون من ضرب النواقيس ولا من إخراج الصلبان في يوم عيدهم[5].

نهاية الأرب، 121/18.

1 - نَجْرَانَ: مدينة بالحجاز من شق اليمن، سُمِيتْ بِنَجْرَانَ بْنِ زَيْدِ بْنِ يُشْجَبَ بْنِ يَعْرُبُ بْنِ قَحْطَانَ وَأَمّا أَهْلُهَا فَهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبِ مِنْ مَذْحِجَ. البكري (ت487هـ): **معجم ما استعجم**، 1299/4؛ السّهيلي: **الرّوض الأنف** 240/3.

2 - ذكر المؤرخون كالطبري وابن الأثير والمقريزي: أن نصارى نجران إنما وفدوا عَلَى رسول الله سنة عشر من الهجرة، وذكر آخرون كأبي الفداء فِي البداية والنّهاية ونظيره فِي السّيرة الحلبية: أن ذَلِكَ كَانَ سنة تسع من الهجرة. الطباطبائي: **الميزان فِي تفسير القرآن** 3/ 293.

3 - وَلَمَّا قدم وفد نجران ودخلوا المسجد النّبوى بعد العصر حانت صلاتهم فقاموا يصلون فِيهِ فأراد النّاس منعهم فقال عَلَيْهِ السّلام دعوهم فاستقبلوا المشرق وصلوا صلاتهم. البيهقي (ت 458هـ): **دلائل النّبوة** 382/5؛ الدّيار بَكْري، (ت 966هـ): **تاريخ الخميس فِي أحوال أنفس النّفيس**.

4 - البكري: **م. س.** 2/ 604.

5 - أبو يوسف: **الخراج**، ص 157؛ عبد الوهاب خلاف: **السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية** (دار القلم، 1988) ص 101؛ محمد حميد الله: **الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة** 387/1.

وعهده لأهل عَانَات[1] وقَرْقِيسْيَاءَ[2]" أَنْ لَا يَهْدِمَ لَهُمْ بِيْعَةً وَلا كَنِيسَةً وَعَلَى أَنَّ يَضْرِبُوا نَوَاقِيسَهُمْ، فِي أَيِّ سَاعَةٍ شَاءُوا، مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، إِلا فِي أَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ، وَعَلَى أَنَ يخرجُوا الصلبات فِي أَيَّامِ عِيدِهِمْ"[3]. ومن الممارسة التاريخية، إن ابا عُبَيْدَة الجراح أذِنَ لنصارى الشام بإِخْرَاجُ الصِّلْبَانِ فِي يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ، وَهُوَ يَوْمُ عِيدِهِمُ الَّذِي فِي صَوْمِهِمْ[4]،

يرى فقهاء الحنفية[5] أنْ يُكره -في أمصار المسلمين- إظهارُ الصلبان وضرب النواقيس خارج الكنيسة والمعبد، مراعاة لمشاعر المسلمين، وخشية من تزاحمها شعائر الإسلام في أوقات الصلاة اليوميَّة، والجمع، والأعياد. لكنها في القرى والمواضع، التي للمَسِيحِيِّينَ وغيرهم من أهل الذمَّة، يحق لهم إظهار طقوسهم الدينية.

كَانَ الْمَسِيحِيّون يؤدُّون طقوسَهم الدّينِيَّة فِي الكَنَائِس والبيع، ويضعون الصّلبان الصّغيرة عَلَى رقابهم، أَوْ عَلَى ملابسهم تعبيرا عَنْ انتمائهم الدّينِيّ فِي الحياة العَامّة، إِذْ أَنَّ الصَّلِيبَ من المستلزمات الدّينِيَّة لَدَى الْمَسِيحِيِّينَ، وَإِنْ اقْتَنَاؤُهُمْ لَهُ عَلَى وَجْهِ يُقَرُّونَ عَلَيْه، كَالذّي يَجْعَلُونَهُ فِي دَاخِل كَنَائِسِهِمْ أَوْ بُيُوتِهِمْ، فَإِنْ غَصَبَهُ غَاصِبٌ وَجَبَ رَدُّهُ اتِّفَاقًا. أَمَّا إِنْ أَتْلَفَهُ مُتْلِفٌ، ... فَعِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ: فِيهِ الضَّمَانُ،

1 - قرى عانات بناها كسرى، وكانت بين هيت وقرقيسيا على الفرات. السمعاني: **الأنساب** 9/ 167.

2 - أبو يوسف: **م. ن**، ص 160.

3 - بلدة بين الحيرة والشام، في إقليم الجزيرة، ينظر: ياقوت: **معجم البلدان** 4/ 328؛ كي ليسترنج: **بلدان الخلافة الشرقية** ص 138.

4 - أبو يوسف: **م. س**، ص 155.

5 - السرخسي: **شرح السير الكبير** 1533/1؛ **الموسوعة الفقهية الكويتية** 159/38.

بِنَاءً عَلَى أَصْلِهِمْ فِي ضَمَانِ الْمُسْلِمِ خَمْرَ الذِّمِّيِّ؛ لِأَنَّهُ مَالٌ مُتَقَوِّمٌ فِي حَقِّهِمْ... وَقَدْ أُمِرْ الْمُسْلِمون بِتَرْكِهِمْ وَمَا يَدِينُونَ[1].

والصَّليب يحلفون بِهِ فِي أَيْمَانِهِم أمامَ الْمُسْلِمِينَ، وَفِي حوار ذكره أهلُ الأخبار[2]: إنّ المغيرة بن شعبة، عاملَ الكوفة[3]، طلبَ هند بنت النّعمان في ديرها. قَالَتْ: فما حاجتك؟ قَالَ: جئتك خاطباً. قَالَتْ: لَوْ جِئْتَنِي لِجَمَالٍ أَوْ لِمَالٍ لأَجِبْنَاكَ... هَذَا، والصَّلِيبِ، مَا لا يكونُ أَبَدًا، أَوَ مَا يكفيكَ فَخْرًا، أَنْ تكونَ فِي ملك النّعمانِ وبلادِه، فتُدَبِّرَها كَمَا تُرِيدُ... فخرجَ المغيرةُ وَهُوَ يَقُولُ:

فَلَقَدْ رددتِ عَلَى المغيرةِ ذهنَه إنَّ الملوكَ ذكيَّةُ الأذهانِ

إِنِّي لِحلفِكِ بالصَّلِيبِ مُصَدِّقٌ والصُّلْبُ أصدَقُ حِلْفَةَ الرُّهْبَانِ

وَفِي مفاخرة بَيْنَ جرير والأخطل، تستدعي الأخطل إلَى القسَمِ بالصَّليب[4]: لَمَّا قال جرير:

إِذَا أَخَذَتْ قَيْسٌ عليكَ وخِنْدِفٌ بأقطارِها لم تَدْرِ من اين تَسْرَحُ

قال الأخطل: لا أين سَدَّ، واللهِ، عليَّ الدنيا، فلما أنشد قوله:

فما لك في نَجْدٍ حَصَاةٌ تَعُدُّها وما لكَ من غَوْرَيْ تُهَامَةَ أبطَحُ

قال الأخطل: لا أبالِي، والله، ألَّا يكونُ فتحٌ لِي، والصليبِ، ليَ القول، ثم قال:

ولكنْ لَنَا بَرُّ العِرَاق وبَحْرُه وحيث تَرَى القرْقُورَ في الماء يَسْبَحُ

---

1 - **الموسوعة الفقهية الكويتية** 12/ 89.

2 - أَبُو الفرج: **الأغاني** 131/2، **الديارات**، ص28؛ البكري: م. س. 605/2؛ عبد القادر البغدادي (ت1093هـ): **خزانة الادب ولب لباب لسان العرب**، 70/7.

3 - ولي الكوفة مرتين: الاولى للخليفة عثمان بن عفان22-24هـ، والثّانية لمعاوية بن أبي سفيان41-50. زامباور: **معجم الانساب والاسرات الحاكمة**، 67.

4 - ابن سلام الجمحي (ت 232هـ): **طبقات فحول الشّعراء**، 487/2؛ أَبُو الفرج: الأغاني 328/8.

وَفِي حضرة بشر بن مروان والي العِرَاق (71- 74هـ) يقسم الأخطل بربِّ النَّصَارَى ورب الرّهبان[1]:

إنِّي وربِّ النَّصَارَى، عِنْدَ عيدِهمُ والمُسْلِمِينَ، إِذَا مَا ضمَّها الجمعُ

وربِّ كلّ حبيسٍ فوقَ صومعةٍ يمشِي ولا همُّه الدّنيا ولا الطّمع

كَانَ الْمَسِيحِيّون يعنَوْنَ بأمكنة العبادة الخَاصَّة بِهِمْ، ويدافعون عَنْهَا إِذَا امتدت إِلَى ضمّها أعينُ السّلطان، وأضحى بناء الكَنَائِس، وأعمارها فِي العصر الأُمَوِيّ، ظاهرةً مألوفة لَدَى الدّولة وبرعايتها، أَوْ من أوقاف الْمَسِيحِيّينَ أنفسهم، إِذْ سُمِحَ لَهُمْ بإيقاف الأموال عَلَى الكَنِيسَة، وَذَلِكَ فِي عهد عمر بن عبد العزيز (99- 101هـ)[2]. سرى هذا المبدأ الى مقال الفقهاء، فكان الراجح منها ما ذهبَ إليه الزيديَّة وبعض المالكية، من أنَّه يجوز لأهل الذمة إحداث الكنائس والمعابد الأخرى في أمصار المسلمين، وفيما فتحوه عُنْوَةً، إذا أذِنَ لهم الإمام بذلك[3]، لأنَّ الإسلام يقرُّ أهلَ الذمَّة على عقائدهم، ومن لوازم الإقرار السماح لهم بإنشاء معابدهم.

استدل على هذا المنحى "تريتون A. S،Tritton"[4]، واستشهد بالممارسات التاريخيَّة عليه، في قوله: "إنَّ الكَنَائِس كَانَتْ تُبْنَى بحرِّية، وَكَانَتْ بموافقة السّلطة وأصحاب الأمر والنّهي، بَلْ أحيانًا بمساعدتهم"، وَقَدْ رممّ معاويةُ كَنِيسَة الرّها (أُديسَّا) والتي كَانَتْ قَدْ تهدمت من جرَّاء الزلازل[5]، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ

1 - **ديوان الأخطل**، شرح: مُحَمَّد مهدي مُحَمَّد ناصر الدين (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت 1994) ص203.

2 - المسعودي: **مروج الذهب**، تح: شارل بلا 215/3.

3 - زيدان: **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام**، ص98.

4 - آرثر ستانلي تريتون: **أهل الذمة فِي الإسلام**، ص 51.

5 - إِبْرَاهِيم احمد العدوي: **الأُمَوِيّون والبيزنطيون**، ص291.

استجابَ لطلب نَصَارَى دِمَشْقَ بعدم زيادة كَنِيسَة يوحنا فِي مسجد دِمَشْقَ[1]، كَمَا بنيت أول كَنِيسَة بفسطاط مِصْرَ فِي حارة الرّوم فِي ولاية مسلمة بن مخلد[2] عَلَى مِصْرَ (47 -62هـ)[3].

لَمْ يُحاوِلْ الخليفةُ عبد الملك الاستيلاء عَلَى كَنِيسَة يوحنا، عِنْدَمَا رفضَ أهلُ الذِّمَّة تسليمَها إلَيْه[4]، كَمَا أَنَّهُ سمح لَهُمْ بمُمَارَسَة طقوسهم الدّينِيَّة بحرية، وبناء الكَنَائِس والأَدْيِرَة، فَقَدْ شيّد أثيناس، كاتب ديوان خراج مِصْرَ عَلَى عهد عبد العزيز، كَنِيسَة "أم الإله" فِي الرّها، كَمَا شيّد فِي مِصْرَ -أَيْضًا- كَنِيسَتين وديراً، فَضْلًا عَنْ أشغالهم مناصب عالية فِي إِدَارَة الدّولة[5]. وَكَذَلِكَ شهد القَرْن السّابع بداية ظهور كَنِيسَة جديدة فِي سوريا هِيَ الكَنِيسَة المارونية[6].

يَكَادُ الوضعُ القانونِيُّ للمعابد يحظى باتفاق بَيْنَ الفقهاء، فلا يجوز بناءُ معابدَ للذميين فِي المواضع الإِسْلَامِيّة أَوْ المحيط المجاور لها، الا مَعَ الرّخصة من الإمام، إِذَا تأكَّد أنَّ بناء الكَنَائِس والمعابد تخدُم المصلحة. ويجوز إعادة بناء الكَنَائِس والمعابد المتهدّمة عِنْدَ مالك والشّافعي وأبي حنيفة مَعَ عهد الصّلْح، ولا يجوز عِنْدَ الحنابلة بناء المعابد والصّوامع، ولا يجوز ترميم مَا انهدمَ مِنْهَا فِي بلاد الْمُسْلِمِينَ[7].

---

1 - العقيلي، عمر سليمان: **خلافة معاوية**، ص80

2 - ابن الصّامت الأنصاري. ترجمته: ابن سعد: **طبقات** 7/ 2/ 195؛ ابن الجوزي: **المنتظم** 10/6؛ وابن حجر: **الإصابة** 399/1، **تهذيب التهذيب** 10/ 148.

3 - ابن عبد الحكم، (ت257هـ): **فتوح مصر والمغرب**، ص159

4 - البلاذري: **فتوح البلدان**، ص131.

5 - آرنولد: **الدعوة إِلَى الإسلام**، ص85.

6 - منذر نزهة: "لكَنَائِس المسيحيّة وتاريخها فِي سورية" (5-8) (مقال) *جريدة الجمل*- 2012-03-28.

7 - أَبُو يوسف: **كتاب الخراج**، ص 127؛ تامر باجن أوغلو: **حقوق أهل الذمة فِي الفقه الإسلاميّ**، ص27.

عَلَيْهِ نتحصل أنَّ للقرن الاول الهِجْرِيّ/ السّابع الميلادِيّ أهميَّةً شديدة، عَلَى تاريخ المنطقة الْعَرَبِيّة، وعلى تاريخ الكَنَائِس الْمَسِيحِيَّة بشكل عام، ففيه حدثت تحولات جذرية مِنْ حَيْثُ السّلطة الحاكمة والدّين الْمَسِيطر، إِذْ حفل بقدوم جحافل الْعَرَب الْمُسْلِمِينَ وانتصارهم الهائل عَلَى بِيزَنْطَةَ، والتّام عَلَى الفرس، وسيطرتهم عَلَى كامل مناطق الشّام، واستبدال سلطة الدّين الْمَسِيحِيّ بسلطة الدّين الجديد، وَكَانَ للدين الإِسْلَامِيّ أَهَمِّيَّة معيَّنة فِي تَطَوّر الكَنَائِس فِي المنطقة، في سيادة الشعور بالمساواة، فَلَمْ تَعُدْ تتغلّب كَنِيسَةٌ عَلَى أُخْرَى بفضل إعتقاد الحاكم برأيها، وَلَمْ تَعُدْ تتعرَّض كَنِيسَة أَوْ طائفة لاضطهاد من لَدُنْ كَنِيسَة أُخْرَى من أجل تغيير مذهبها، وإنَّمَا أصبح أتباع جميع الكَنَائِس يتعرضون لضغوط واحدة، من أجل تحولهم عَنْ الْمَسِيحِيَّة إِلَى الإِسْلَام[1].

فِي ظِلّ حُرِّيَّة المُمَارَسَة الطَقْسِيَّة نمَا تعداد بيوت العبادة الْكَنَسِيّة إنشاءً وإدامة، إِذْ بلغ أشدَّه فِي نهاية القَرْن الثّاني للهجرة، بحَسَبِ "ديورانت"[2]: "يحدثنا المُؤَرِّخون أَنَّهُ كَانَ فِي بلاد الإِسْلَام -فِي عصر المأمون- أحدَ عشرَ ألف كَنِيسَة، كَمَا كَانَ فِيهَا عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النّار. وَكَانَ الْمَسِيحِيّون أحراراً فِي الاحتفال بأعيادهم علنًا، والحجاج الْمَسِيحِيّون يأتون أفواجًا آمنين لزيارة الأضرحة الْمَسِيحِيَّة فِي فلسطين". وعدَّ بعض فقهاء هَذِهِ الحقبة أنَّ بناءَ الكَنَائِس من المظاهر الحَضَارِيَّة الَّتِي تحف بالبلاد، فَقَدْ قَالَ الليث بن سعد (ت175هـ)، وعبد الله بن لهيعة (ت174هـ): "هى عمارة البلاد، واحتجا بأنَّ الكَنَائِس الَّتِي بمَصْر لَمْ تبنَ إلا فِي الإِسْلَام فِي زمان الصّحابة والتّابعين"[3].

---

1 - منذر نزهة: م.س. (5-8).

2 - **قصة الحضارة**، 13 / 131.

3- الكندي، مُحَمَّد بن يوسف (ت 355هـ): **كتاب الولاة والقضاة** (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، 2003) ص100؛ المقريزي، (ت845هـ): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**2/109؛ ابن

لَعَلّ الْحُرِّيَّةَ الدِينِيَّةَ الَّتِي انْمَازَ بِهَا الْمَسِيحِيّون فِي العصر الأُمَوِيّ، لَمْ يحْظَ بمثلها -من قبلُ ومن بعدُ- أهلُ دينٍ، فِي ظِلِّ أيّةِ دولةٍ أُخْرَى، وَقَدْ يشملُ هَذَا المبنَى الأقلياتِ الدّينِيَّةَ الأُخْرَى، فِيمَا أَشَارَ إِلَيْهِ "ول ديورانت"[1]: " كَانَ أهل الذِّمَّة الْمَسِيحِيّون، والزردشتيُّون، واليهود، والصّابئون يستَمتّعون فِي عهد الخلَافَة الأُمَوِيّة بدرجة من التَّسَامُح، لا نجد نظيرًا لها فِي الْمَسِيحِيّة فِي هَذِهِ الأيام. فَلَقَدْ كَانُوا أحرارًا فِي مُمَارَسَة شعائر دينهم، واحتفظوا بكَنَائِسهم ومعابدهم... وَكَانُوا يَتَمَتّعون بحكم ذاتي، يخضعون فِيهِ لزعمائهم وقضاتهم وقوانينهم".

غير أَنَّ الْمَسِيحِيّينَ أجادوا فِي استثمارِ الْحُرِّيَّة الدّينِيَّة المُتاحَة لَهُمْ، لَيْسَ فِي مجالِ الأعتقادِ ومُمَارَسَةِ الشّعائرِ فحَسْبُ، بَلْ فِي محاولاتِ نشرِ الْمَسِيحِيّة فِي بُلْدَانِ الشّرقِ الإِسْلَامِيّ مِن أَدْنَاهُ إِلَى أقصاهُ، كَمَا "وأثْرَوا كثيراً فِي ظِلِّ الإِسْلَام وَفِي آسية، ومصْر، وأسبانيا، كَمَا لَمْ يُثروا من قبل تَحْتَ حكم الْمَسِيحِيّينَ. وَكَانَ الْمَسِيحِيّون فِي بلاد آسية الغربية، خارج حدود الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة، يمارسون شعائر دينهم بكامل حريتهم، وبقيت الكثرة الغالبة من أهل بلاد الشّام مَسِيحِيّة حَتَّى القَرْن الثّالثّ الإِسْلَامِيّ"[2].

بَيْدَ أَنّ هَذَا النّشاط يكشف عَنْ أَنّ الكَنِيسَة الشَّرْقِيَّة السّرْيانِيّة اعادت تنظيماتِها، ووجهتْ باكورةَ عملِها إِلَى التّبشير الدّينِيّ، انطلاقًا من العِرَاق، وأرسلوا البعوث الدّينِيَّة إِلَى الهند والصّين فِي القَرْن (1هـ/ 7م) ثلاثَ بعثاتٍ: سنة (15هـ/ 636م)، و (29هـ/ 650م)، و(41هـ/ 661م)، واستُكملتْ فِي القَرْن (2هـ/ 8م) ببعثتين فِي (125هـ/ 743م)، و (161هـ/ 778م) حَتَّى

تغري بردي، (ت 874هـ): **النّجوم الزاهرة فِي ملوك مصر والقاهرة**، (وزارة الثّقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة) 66/2.

1 - **قصة الحضارة**، 13 / 130.

2 - ديورانت: م.ن.، 13 / 132.

ارتقتْ إِدَارَةُ الكَنِيسَة فِيهَا إِلَى درجة المطرانيّة[1]. وأمتدتْ أعمالهم التّبشيريّة إِلَى بلاد التّركسْتان والدّيْلَم وأذرْبيجَان وَحَتَّى افغانستان، مَعَ العلم أَنَّ الدَّولَة العَرَبِيَّة كَانَ بميسورها أَنْ تَحِدّ من حَرَاكهم هَذَا، إِلَّا أَنَّها تركت لَهُمْ ولغيرهم الْحُرِّيَّة الدّينِيَّة[2].

3- الْحُقُوق الشَّخْصِيَّة:

تَمَتّع الْمَسِيحِيّون بحقوقهم الشَّخْصِيَّة وحرياتهم، كَحُرِّيَّة السّكن والعمل والملبس والمأكل والمشرب، خِلَالَ الحدود الَّتِي صالحتهم عَلَيْهَا الدَّولَة العَرَبِيَّة، فشرب الخمر وتربية الخنزير وأكل لحمه، والبيع والشّراء فِيهِمَا ضِمْنَ ولايتهم، لَيْسَ للإمام أَنْ يمنعهم مِنْهُ[3]. بل يتوجب عليه الحفاظ عليها، قَالَ الفقهاء: "وَمَنِ اسْتَهْلَكَ خَمْرَ الذِّمِّيِّ أَوْ خِنْزِيرَهُ فَعَلَيْهِ قِيمَتُهُ، وَلَوْ كَانَا لِمُسْلِمٍ فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ"؛ لقَوْل الرسول محمد: "اتْرُكُوهُمْ وَمَا يَدِينُونَ"، وَإِنَّهُمْ يَدِينُونَ بِمَالِيَّتِهِمَا؛ فَإِنَّ الْخَمْرَ وَالْخِنْزِيرَ عِنْدَهُمْ كَالْخَلِّ وَالشَّاةِ، بَلْ هُمَا مِنْ أَنْفَسِ الْأَمْوَالِ عِنْدَهُمْ. وَقَالَ الرسول: "إِذَا قَبِلُوهَا": يَعْنِي الْجِزْيَةَ " فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ"، وَلِلْمُسْلِمِينَ التَّضْمِينُ بِإِتْلَافِ مَا يَعْتَقِدُونَهُ مَالًا[4].

---

1 - مَسعد، بولس، البطريق: (– 1890م): **الدر المنظوم فِي الرّد عَلَى البطريرك مكسيموس مظلوم** (مطبعة الرّهبانيين اللبنانيين، بيروت، 1863م) ص38؛ قاشا: **أحوال النّصارى فِي خلافة بني أمية** 213/2.

2 - قاشا: م.ن. 214/2.

3 - أَبُو عبيد،: **كتاب الأموال**، ص62؛ ابن قيم الجوزية، (ت 751هـ): **أحكام أهل الذمة** 184/1.

4 - ابن مودود الموصلي، (ت 683هـ): **الاختيار لتعليل المختار**، 3/ 65.

وسرى هَذَا المنهج إِلَى العبيد من الْمَسِيحِيِّينَ، وَهُمْ فِي خدمة الْمُسْلِمِينَ تَمَتَّعوا بحرِيتهم الشَّخْصِيَّة، فِي شرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، وبيعه أَوْ شرائه. قَالَ الإمام مالك:" ولا ينبغي للمسلم أَنْ يمنعَ عبده النَصْرَانِيّ أَنْ يشرب الخمر، أَوْ يأكل الخنزير، أَوْ يبيعها، أَوْ يبتاعها، أَوْ يأتي الكَنِيسَة؛ لأَنَّ ذَلِكَ من دينهم"[1].

ومن الشّواهد عَلَى احترام الشَّخْصِيَّة النّصْرَانِيَّة فِي الْمُجْتَمَع الإِسْلَامِيّ: لَمَّا قدم عَلَى رَسُول اللَّه عدي بْن حَاتِم الطّائِي فِي قومه من طيئ، وَكَانَ نَصْرَانِيّا، فَمضى بِهِ رَسُول اللَّهِ، وَأدْخلهُ إِلَى بَيته، وَتنَاول وسَادَة من أَدَم، حشوها لِيف، فطرحها، وَقَالَ لَهُ: "اجْلِسْ عَلَيْهَا" فَقَالَ: بَلْ أَنْتَ فاجلسْ عَلَيْهَا يَا رَسُول اللَّه، فَجَلَسَ رَسُول اللَّه فِي الأَرْض، وَأَجْلسهُ عَلَى الوسادة، ثُمَّ لَمْ يزل يكلمهُ ويعرض عَلَيْهِ مَا فِي دِينِهِ النَّصْرَانِيَّة مِمَّا أحدثوه فِيهِ، ويعرض عَلَيْهِ الإِسْلَام، ويخبره أَنَّهُ دين سيبلغ مَا بلغ اللَّيْل وَالنَّهَار، وَأَنَّهُ لَا يبْقى عَرَبِيّ إِلَّا دخل فِيهِ طَوْعًا، أَوْ كرها، فَقبل عدي الإِسْلَام، وَأسلم وَحسن إِسْلَامه، وَتبعهُ قومه فأسلموا[2].

من الحريات التي يتمتع بها غير المسلمين حرية الشخص في الرواح والمجيء، والتنقل داخل الدولة وخروجه منها وعودته إليها[3]، فأول نص يشرّع لهذه الحرية فِي وثيقة المدينة [المادة 47] "أَنَّهُ من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم، أَوْ أثم". وفي معرض الممارسة، كَانَ أَبُو زبيد الطّائِي[4] الشّاعر النَصْرَانِيّ يحظى بحُرِيَّة واسعة وعلاقات طَيِّبَة، إِذْ تنقل إِلَى بلاد مُخْتَلفة،

1 - مالك بن أنس(ت179هـ): **المدونة الكبرى** (مطبعة السّعادة، القاهرة،1323هـ) 51/4.

2 - ابن عبد البر: **الدرر في اختصار المغازي والسّير**، ص 256.

3 - عز الدين عبد الله: **القانون الخاص المصري** 381/1؛ زيدان: **أحكام الذميين والمستأمنين**، ص87.

4 - اسْمه حَرْمَلَة بن الْمُنْذر شاعر معمّر عاش خمسين ومائة سنة، وعداده فِي المخضرمين، أدرك الإسلام ولم يسلم ومات نصرانيا.. ابن سلام: **طبقات فحول الشّعراء** 593/2؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 320/12؛ ياقوت: **معجم الأدباء** 1167/3.

وَأَنَّهُ دخل مَكّة والمدينة، واستعمله عمر بن الخطَّاب عَلَى صدقات قومه، وَلَمْ يستعملْ نَصْرَانِيًّا غَيْرَهُ[1]، وَكَانَ الخليفة عثمانُ يُحِبُ مجالسّتَه، وسكن مُدَّةً فِي الكوفة ينادم الوليد بن عُقْبَة[2]، وظَلاّ نديمينِ حَتَّى تُوفِيَا ودُفِنَا معًا[3].

ذكر أَبُو الفرج: أنَّ أَبَا زبيد وفَدَ عَلَى الوليد بن عقبة حِينَ استعمله عثمان عَلَى الكوفة (25-30هـ/646-651م)[4]، فأنزله الوليد دار عقيل بن أبي طالب، وَهِيَ دار القبطِيِّ عَلَى باب المسجد، فاستوهبها مِنْهُ فوهبها لَهُ؛ فاحتجَّ عَلَيْهِ أهلُ الكوفة، أنَّ أَبَا زبيد كَانَ يخرج إلَيْهِ من داره، يخترق المسجد وَهُوَ نَصْرَانِيّ، فيجعلُهُ طريقاً. وقيل: أَنَّهُ كَانَ يخرج من منزله حَتَّى يشقَّ الجامع إلَى الوليد، فيسمُر عِنْدَهُ ويشرب مَعَهُ، ويخرج فيشقُّ المسجد وَهُوَ سكران، فَذَلِكَ نبَّهَهُم عَلَيْهِ[5].

4- حقوق الانسان

نَظَمَتْ وضْعَ أهلِ الذِّمَّة فِي دار الإِسْلَام مجموعةٌ من الأحكام والاجتهادات، الَّتِي استنبطها الفقهاء من مصادر الشّريعة الإِسْلَاميّة، كالقرآن والسّنَّة النّبَوِيّة، بِخَاصَّةٍ فِي الفترة مَا بَيْنَ القَرْنين الثّامن والحادي عشر للميلاد[6]،

---

1 - ابن حجر: **الإصابة فِي تمييز الصّحابة** 7/ 137.

2 - ابن معيط بن أبان بن ذكوان بن أمية بن عبد شمس. ترجمته: ابن عبد البر: (ت 463هـ): **الاستيعاب فِي معرفة الأصحاب**، 1554/4، ابن الأثير: **أسد الغابة فِي معرفة الصّحابة**، 420/5؛ المقريزي: **إمتاع الأسماع** 13/ 217.

3 - مات الوليد بن عقبة فويق الرّقة ومات أَبُو زبيد فدفنا جميعا فِي موضع واحد، فقال أشجع السّلمي وَقَدْ مر بقبريهما: مررت عَلَى عظام أبي زبيد * وَقَدْ لاحت ببلقعة صلود

وَكَانَ لَهُ الوليد نديم صدق * فنادم قبره قبر الوليد **الأغاني** 161/5

4 - زامباور، ادوارد فون: **معجم الأنساب والاسرات الحاكمة فِي التاريخ الإسلاميّ**، ص67.

5 - **الأغاني** 148/5؛ **شعراء النّصرانية** 70/2.

6 - أليكسي جورافسكي: **الاسلام والمسيحية**، ص153.

وتعبيرا عَنْ التَّسَامُحِ الدّينِيّ والتّعَايُشِ الاِجْتِمَاعِيّ، جاءت هَذِهِ الاحكام فِي مؤلفاتهم، لتعرف وتبين مَا لَدَيْهِمْ من حقوق وواجبات، تشمل الْحُقُوق الشّرعية والشَّخْصِيَّة والْمَالِيَّة وغيرها. وأَنَّ الْحُقُوقَ لا تضيعُ بتقادم الزمن، سواء كَانَ حاضرًا، أَوْ غائبًا، أصيلا، أَوْ وكيلا، وكل مَا جازت النّيابة فِيهِ من الْحُقُوق، جازت الوكالة فِيهِ كـ: البيع، والشّراء، والإجارة، وقضاء الدّيون، والخصومة فِي المطالبة بالْحُقُوق، والتّزويج، والطّلاق، وغير ذَلِكَ[1].

أَمّا **الْحُقُوق** فَإِنَّ الشّريعة جاءت بحفظ حقوق أرباب الْحُقُوق بكل طريق، وسد الطّرق المُفْضِيَة إِلَى إضاعتها[2]. فَقَدْ رفَعَ رسولُ الإِسْلَام حقَّ المساواة بَيْنَ ابناء الإِنْسَانِيَّة، "إِنَّمَا النّاسُ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمِشْطِ..."[3]، وَفِي خطبته قَالَ الرّسول: " يَا أَيُّهَا النّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتّقْوَى"[4]. وَفِي كتابه إِلَى مالك واليه عَلَى مِصْرَ، قَالَ الإمام عليّ:" وَلَا تكونن عَلَيْهِ سَبُعًا ضَارِيًا، تَغْتَنِمُ أَكْلَهُم، فَإِنَّهُم صنفان: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ"[5].

وَلَمَّا كَانَتْ الآيات القرآنيَّة الدّالَّةُ عَلَى الحكم بالعدل بَيْنَ النّاس[6]، لَمْ تخصَّصْ فِي مورد معيّن، وإِنَّمَا هِيَ عَامّة بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وغير الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ الرّعايا

---

1 - ابن قاسم: **الإحكام شرح أصول الأحكام** (ط2، لا ناشر، 1406هـ) 3/ 242.

2 - ابن قاسم: م. ن. 229/3.

3- أَبُو الشّيخ الأصبهاني، (ت 369هـ): **كتاب الأمثال فِي الحديث النّبوي**، (الدار السّلفية، بومباي 1987) ص203؛ ابن القيسراني، (ت 507هـ): **تذكرة الحفاظ**، (دار الصّميعي للنشر والتوزيع، الرّياض1994) ص 434.

4 - أحمد بن حنبل (ت241هـ): **مسند أحمد**، 474/28.

5 - القلقشندي: **مآثر الإنافة فِي معالم الخِلَافَة** 3/ 7.

6 - { وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ } النّساء58

الَّذِينَ يعيشون فِي ظِلِّ دولة الإِسْلَام- سواء أكانوا مُسْلِمِينَ أم غير مُسْلِمِينَ- لَهُمْ حق التّقاضي. وعليه ينبغي الحكم بالحق بَيْنَ الْمُسْلِم وغيره، أَوْ بَيْنَ غير الْمُسْلِمِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، لا تمييزَ بَيْنَهُمْ عَلَى أساس الإنتماء العقديّ، فالجميع متساوون أمام القضاء، ونصَّت معاهدة رسول الله وأهل نَجْرَان عَلَى أَنَّ: "لنَجْرَان وحاشيتِها جوارَ الله، وذمَّة مُحَمَّدٍ النّبيّ رسولِ الله، عَلَى أنْفسِهم ومِلَتِهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم (وعشيرتهم وبيعهم) وامثلتهم، لا يُغيَّر مَا كَانُوا عَلَيْهِ، ولا يُغيَّر حقٌّ من حقوقهم وأمثلتهم،... ومن سأل مِنْهُمْ حقًّا فبينَهم النّصْفُ، غير ظالمين ولا مَظْلُومينَ بنَجْرَان"[1].

من عهد للإمام عَلِيّ إلَى واليه عَلَى مِصْرَ، مُحَمَّد بن أبي بكر: " أمره بتقوى الله،... وبالعدل عَلَى أهل الذِّمَّة، وبانصاف المظلوم، وبالشّدة عَلَى الظّالم، وبالعفو عَنْ النّاس، وبالاحسان مَا استطاع،... وأمره أن يحكم بَيْنَ النّاس بالعدل، وأنْ يقيمَ بالقسط "[2].

ومن المُمَارَسَات فِي تاريخ التّقاضي، فِي عصر الرّسالة إتَّهم الانصارُ اليهودَ بقتل أحدهم، إِذْ وُجِد فِي ساقية من سواقي خيبر، فتحاكموا إلَى رسول الله، فقال لَهُمْ: " أ لكم بينةٌ؟" فقالوا: لا، فقال: "أ فتقسِمُون؟"، فقالوا: كَيْفَ نُقْسِم عَلَى مَا لَمْ نره؟ فقال: "فاليهود يقسمون"، فقالوا: يُقسمون عَلَى صاحبنا، وَكَانَتْ نتيجة الحكم أنْ برَّأ رسولُ الله اليهود من التّهمة، وأعطى ديَّة المقتول مِنْ عِنْدِه[3].

وَفِي معرض الخصومة بَيْنَ الْمَسِيحِيّ والمسلم يلجأ المتضرر إلَى القضاء، ويدافع عَنْ حقِّه، حَتَّى لَوْ كَانَ خصمَهُ الخليفةُ عينُه، و يكونُ الحُكْمُ لِصالِح

1 - ابن هشام: **السّيرة النّبوية** 573/1؛ ابن سعد: **الطبقات** 84/2/1.

2 - الحرّاني: **تحف العقول**، ص 118.

3 - الصّدوق (ت381هـ): **من لا يحضره الفقيه** 4 / 99؛ الحر العاملي (ت1104هـ): **وسائل الشّيعة**، 119/19.

صاحب البَيِّنَة، ففي رِوَايَة الشّعْبِيّ[1]، قَالَ:" خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى السّوقِ، فَإِذَا هُوَ بِنَصْرَانِيّ يبيعُ دِرْعًا، فَعَرَفَ عَلِيٌّ الدّرْعَ، فَقَالَ: هَذِه دِرْعِي، بيْنِي وَبيْنَكَ قَاضِي الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ قَاضِيَ الْمُسْلِمِينَ شُرَيْحٌ،... فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اقْضِ بيْنِي وَبيْنَهُ يَا شُرَيْحُ، فَقَالَ شُرَيْحٌ: مَا تَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: هَذِه دِرْعِي ذَهَبَتْ مِنِّي مُنْذُ زَمَانٍ، فَقَالَ شُرَيْحٌ: مَا تَقُولُ يَا نَصْرَانِيُّ؟ فَقَالَ النّصْرَانِيُّ: مَا أُكَذّبُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، الدّرْعُ هِيَ دِرْعِي، فَقَالَ شُرَيْحٌ: مَا أَرَى أَنْ تُخْرَجَ مِنْ يَدِهِ، فَهَلْ مِنْ بَيّنَة؟ فَقَالَ عَلِيٌّ: صَدَقَ شُرَيْحٌ، فَقَالَ النّصْرَانِيُّ: أَمَّا أَنَا، أَشْهَدُ أَنَّ هَذِهِ أَحْكَامُ الأَنْبِياء، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَجِيءُ إِلَى قَاضِيهِ، وَقَاضِيهِ يَقْضِي عَلَيْهِ..."

كَانَ الْمُسْلِمون فِي شبيبة دينهم وعنفوان قوّتهم يحترمون مخالفيهم فِي الدّين، ويساوون بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحُقُوق، على قاعدة " لَهُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا"، وَهَذَا فِي حق الذّمّيّ والأجنبي المُعَاهِدُ دُونَ الحَرْبِيّ، وَقَدْ ذُكِرَتْ محاكمةُ الإمامِ عَلِيّ مَعَ يهودي عِنْدَ الخليفة عمر بن الخطَّاب، ومعاتبة عَلِيّ لعمر بعد المحاكمة عَلَى عدم المساواة بَيْنَهُ وَبَيْنَ خصمه، حَيْثُ كناه وسمى خصمه[2].

وَفِي رِوَايَة أُخْرَى: أن عليًّا تحاكم مَعَ يهودي أمام قاض مسلم، فكناه القاضي، ونادى الآخر: يا يهودي! فغضب عَلِيّ من القاضي وَقَالَ لَهُ: مَا كَانَ لك أَنْ تفعل هَذَا فِي موقف القضاء، بَلْ كَانَ يجب أَنْ تسمّيني وتسمّيه[3].

وعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنّ كلَّ مِلّةٍ مِنْ أَهْلِ الذّمَّة، فُوِّضَ إِلَى كبارها الرّوحانيين الحَلَّ فِي نزاعاتهم، والفَصْلَ فِي خُصُوماتهم، فَإِنّهُ يَحقُّ للمَسيحيّينَ التَّرَافُعُ إِلَى حَاكِمِ الْمُسْلِمِينَ، أَوْ إِلَى حكّامِهم، وإذا ترافعوا إِلَى حاكِمِ الْمُسْلِمِينَ، فينبغي عَلَيْهِ

---

1 - أخرجها البيهقي: **السّنن الكبرى** 10/ 230؛ وقارن: وكيع: **أخبار القضاة** 2 / 194؛ أَبُو نعيم: **حلية الأولياء** 140/4؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق**، 23/23؛ ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق** 296/10.

2 - مُحَمَّد رشيد رضا (ت1354هـ)، "التعصب"، مجلة المنار 1/ 483.

3 - مُحَمَّد رشيد رضا: " آداب الإسلام فِي معاشرة المخالفين ومعاملتهم"، *مجلة المنار* 17/ 545.

إِلْتِمَاسُ العدْلِ فِي الحُكْمِ، سواء أكان بَيْنَ مسيحيٍّ وآخرَ من أهلِ الذِّمَّة، أَوْ بَيْنَ مسيحيٍّ ومسلمٍ[1]. ويَتَرَتَّبُ العقابُ عَلَى الْمُسْلِمِ إِنْ ثَبَتَ تَجَاوُزُهُ عَلَيْهِمْ، طِبْقًا للتشريعات المَوْضُوعة فِي ابواب القضاء، ويُرَدُّ الحقُّ للذِمِّيِّ الْمُعْتَدَى عَلَيْهِ[2].

و يقبل -أحيانا- قاضي الْمُسْلِمِينَ للحكم بِمَا يخصُّ الْمَسِيحِيِّينَ كالخمرة، كَمَا فِي رِوَايَة ابن إدريس[3] قَالَ: رأيت ابن شُبْرُمَةَ[4] يختصم إِلَيْهِ النَّصَارَى فِي الخمر فيحكم بَيْنَهُمْ. أَمَّا إِذَا اختصموا فِي قضايا ربوية، فَلَمْ يُجَابوا للقضاء بَيْنَهُمْ، استنادا إِلَى نهي الرّسول مُحَمَّد لَهُمْ عَنْ الرّبا.

وَأَمَّا استحلاف أهل الكتاب فيكون بالله، أَوْ بشيءٍ من أسمائه، وَقَدْ رُوِيَ: جواز أَنْ يَحْلِفُوا بِمَا يَرَوْنَ هُمْ الإستحلافُ بِهِ، ويكونُ الأمرُ فِي ذَلِكَ إِلَى الحاكِمِ، وما يراه أَنَّهُ أردع لَهُمْ، وأعظم عَلَيْهِمْ[5]. وَقَدْ يرسله القاضي إِلَى الكَنِيسَة، أَوْ البيعة للتوثق من يمينه، ففي رِوَايَة ابن ميسرة[6]، قَالَ:" جاء مسلم بنَصْرَانِيٍّ إِلَى الشّعبي، فَقَالَ: النَصْرَانِيّ: أنا أَحْلِفُ، فَقَالَ: الشّعبي: اذهبْ فادخلْهُ البَيْعَةَ، ثُمَّ أَحْلِفْهُ بِمَا يَحْلِفُ بِهِ أهلُ دينه".وعليه بُنِيَ رأيُ مالك: "يَحْلِفُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فِي كَنَائِسِهِمْ وَحَيْثُ يُعَظِّمُونَ، وَيَحْلِفُ الْمَجُوسُ فِي بَيْتِ نَارِهِمْ وَحَيْثُ يُعَظِّمُونَ"[7].

---

1 - مالك بن أنس: **المدونة الكبرى**، 389/3، 95/6.

2 -الخميني، روح الله: **تحرير الوسيلة** 409/2، 464

3 - وكيع: حَدَّثَنِي أَحْمَد بْن بشير المريدي قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرّحمن بْن يونس قَالَ: حَدَّثَنَا ابن إدريس. مُحَمَّد بْنُ خَلَفِ (ت306هـ): **أخبار القضاة** 3/ 88.

4 - عبد الله بن شبرمة من ضبة، كَانَ قاضيا لأبى جعفر عَلَى سواد الكوفة. ابن قتيبة: **المعارف**، ص470.

5 - الطوسي، (ت460 هـ): **النّهاية فِي مجرد الفقه والفتاوى**، ص347؛ ابن إدريس الحلي، (ت598هـ): **كتاب السّرائر الحاوي لتحرير الفتاوي** 183/2.

6 - وكيع: أَخْبَرَنَا حمدان بْن علي الوراق، قَالَ: حَدَّثَنَا عبيد الله بْن موسى، قَالَ: حَدَّثَنَا إسحاق بْن ميسرة بنو الغصين. **أخبار القضاة** 2/ 415.

7 - **المدونة الكبرى** 201/5

وَكَانَ ابن عجلان القاضي[1] يُحَلّف اليهود يوم السّبت، والنَّصَارَى يومَ الأحد، لأَنَّهُ رآهم يرهبون ذَلِكَ[2]. وثَمَّةَ ألفاظٌ يُسْتَحْلَفُ النّصْرَانِيُّ بِهَا، وَلَعَلّ أشهرَها صَيغَةُ:" بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ الْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى"[3].

وَفِي إقامة الحدود، فَإِنَّ الإمامَ، أَوْ حاكمَ الْمُسْلِمِينَ العادلَ، مخيّرٌ بَيْنَ إقامة الحَدّ عَلَى الذِّمِّيّ أَوْ الذِّمِّيَّةِ، بِمَا تَقْتَضِيهُ شريعةُ الإِسْلَام، وَبَيْنَ تسليمِهِ إلَى أهلِ دينِه، أَوْ دينِ المرأةِ، لِيُقِيمُوا عَلَيْهِمْ الحدودَ عَلَى مَا يعْتَقِدُونَه[4].

وإذا مَا فعلوا مَا لا يجوز فِي شرع الإِسْلَام، نُظِرَ فِيهِ، فإنْ كَانَ غير جائز فِي شرعهم -أَيْضًا، كَمَا لَوْ زَنَوْا، أَوْ لَاطُوا، أَوْ سَرَقُوا، أَوْ قَتَلُوا، أَوْ قَطَعُوا، كَانَ الحكمُ فِي ذَلِكَ كالحكمِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي إقامة الحدود؛ لأَنَّهُمْ عقدوا الذِّمَّةَ بشرطِ أنْ تُجْرَى عَلَيْهِمْ أحكامُ الْمُسْلِمِينَ. وإنْ كَانَ ذَلِكَ مِمَّا يجوزُ فِي شرعهم، مثلَ: شربِ الخمرِ، وأكلِ لحمِ الخنزيرِ، ونكاحِ ذواتِ المحارمِ، فلا يجوزُ أنْ يتعرضَ لَهُمْ مَا لَمْ يُظْهِرُوه ويكْشِفُوه؛ لأَنَّا نقرُّهم عَلَيْهِ، ونتركُ التّعرضَ لَهُمْ فِيهِ؛ لأَنَّهُمْ عقدوا الذِّمَّةَ، وبذلوا الْجِزْيَةَ عَلَى هَذَا. فإنْ أظهروا ذَلِكَ وأعلنوه، مَنَعَهُمْ الإمامُ، وأَدَّبَهم عَلَى إظهَارِهِ[5].

أختلف فقهاء الإِسْلَام فِي جواز شهادتهم، ففي حال الضَّرورة تجوز الشّهادة بَيْنَ أهل الملل عِنْدَ الإمام جعفر الصّادق (ت148هـ)، قَالَ: "لا تجوز إلاّ عَلَى أهل ملَّتهم، فانْ لَمْ يوجد غيرهم جازت شهادتهم عَلَى الوصيَّة؛ لِأَنَّهُ لا

1 - مُحَمَّد بن عجلان الأزدي، سرقسطي سمع قديماً من سحنون وغيره من شيوخ المالكية. عياض: **ترتيب المدارك**274/4.

2 - عياض: م. ن. 4/ 275.

3 الطحاوي: **مختصر اختلاف العلماء**، 5/ 188؛ ابن حزم: **المحلى بالآثار** 461/8.

4 - الطوسي: **النّهاية** 696.

5 - الطوسي: **المبسوط فِي فقه الإمامية**، 2/60-61؛ العلامة الحلي، (ت 726 هـ): **تذكرة الفقهاء** 388/9.

يصلح ذهاب حق أحد"[1]. وَقَالَ الشَّعْبِيُّ (ت104هـ): "لاَ تَجُوزُ شَهَادَةُ أَهْلِ المِلَلِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ"[2]، وتابعه الإمام مالك (ت179هـ)[3]، فِي حِين أَنَّ أَبَا إِسحاق [السَّبيعي] (ت131هـ) فِي روايته قَالَ:" شهدت شريحاً، شهد عِنْدَه يهودي، أَوْ نَصْرَانِيّ، فقال: إشهدْ بدينِكَ، إشهدْ بدينك"[4].

وَفِي قضايا الدِّيات يتساوى الْمُسْلِمون وغيرُهم من أهل الملل، أي "دِيَةُ الذِّمِّيّ دِيَةُ الْمُسْلِمِ"[5]، قَالَ الإمام عَلَى:" إِنَّمَا أعطيناهم الذِّمَّة، وبذلوا الْجِزْيَة، لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كاموالنّا"[6]. وَقَالَ [ابن شهاب] الزُّهْرِيّ (ت124هـ): دِيَةُ اليهوديّ وَالنّصْرَانِيّ وَكُلّ ذِمّيّ مِثْلُ دِيَةِ الْمُسْلِمِ... وَكَذَلِكَ كَانَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، وَعَلِيّ- رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- حَتَّى كَانَ مُعَاوِيَةُ، فَجَعَلَ فِي بَيْتِ الْمَالِ نِصْفَهَا، وَأَعْطَى أَهْلَ الْمَقْتُولِ نِصْفَهَا، ثُمّ قَالَ: قَضَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِنِصْفِ الدِّيَةِ، وَأَلْغَى الَّذِي جَعَلَهُ مُعَاوِيَةُ فِي بَيْتِ الْمَالِ، قَالَ: وَأَحْسَبُ عُمَرَ رَأَى ذَلِكَ النِّصْفَ الَّذِي جَعَلَهُ مُعَاوِيَةُ فِي بَيْتِ المال ظلما مِنْهُ[7].

وإذا عجز الذِّمِّيّ عَنْ دفع الدِّية لقتله مسلماً خطأ، فديته عَلَى بيت المال[8]، أي: يعامل الذِّمِّيّ فِي هَذِهِ الحالة كَمَا لَوْ كَانَ مسلمًا بِلَا فرقٍ.

---

1 - الطوسي: **تهذيب الاحكام**، 252/6؛ الحرّ العاملي: **وسائل الشّيعة** 27 / 390.

2 - البخاري، (ت256هـ): **الجامع الصّحيح**، 3/ 181.

3 - **المدونة الكبري**، 175/5.

4 - وكيع: حَدَّثَنَا مُحَمَّد بْن حسان، قَالَ: حَدَّثَنَا ابن مهدي، عَنْ سُفْيَان، عَنْ أبي إسحاق. **أخبار القضاة** 2/ 271.

5 - عبد الرّزاق الصّنعاني: **المصنف** 6/ 128، 98/10.

6 - السّرخسي، شمس الدين: **المبسوط** 85/26.

7 - ابن عبد البر (ت463هـ): **الاستذكار** 119/8.

8 - الطوسي: **النّهاية**: 749.

القصاص في الإِسْلَام قائم عَلَى العدل، لا ينظر إِلَى الاختلاف في الدّين، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى} (البقرة178). لِذَا إِنْ مُسْلِمٌ قتَلَ ذِمِّيًّا يُقْتَلْ بِهِ، هَذَا عِنْدَ أبي حنيفة. بينما ذهب مالك والشّافعي وأحمد بن حنبل إِلَى عدم جواز القصاص بالمسلم، إلا من قتل ذميًّا، أَوْ مستأمنًا بخدعة يقتل بِهِ[1].

قال أبو حنيفة والثوري: يقتل المسلم بالمعاهد إذا قتله عمدًا بمحدّد، وذلك لأنّنا أخذنا عليهم العهد بأنْ يكون لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولأنّنا أعطيناهم العهد بحقن دمائهم. ولو لم يقتصّ لهم لكان في ذلك إخلال بالعهد، ولأنّهم وقد عقدوا الذمة معنا، صار دمهم حراما كدمنا، ولأنَّنا إذا وُجِدَ من يسرق الذِّمِّيّ قطعنا يده، ومؤدى ذلك أنَّ مالَه غير مباح، فبالأولى دمُه[2].

لا شك ان هَذَا الحكم العادل يطال القاتل ولو كَانَ ابن خليفة وقتَل ثأرا لأبيه، قَالَ البلاذري[3]: وَكَانَ عبيد اللَّه بْن عمر بن الخطَّاب لما قُتِلَ أبُوه، اتَّهَمَ الهرمزان، ورَجُلًا- من أهل الحِيرَة- نَصْرَانِيًّا، كَانَ سعد بن أبي وقاص أَقْدَمَهُ المَدِينَةَ مَعَهُ، فَكَانَ يعلم ولده والنّاس الكتاب والحساب يقال لَهُ: جفينة- بالموالاة لأبي لؤلؤة، فقتلهما وقتل ابنه أَبِي لؤلؤة، فوقع بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُثْمَان فِي ذَلِكَ كلام حَتَّى تغاضبا، ثُمّ بويع عَلِيّ فَقَالَ: لأقيدن مِنْهُ من قتل ظلما. فهرب إِلَى الْكُوفَة، فلمّا قدِمَهَا عَلِيّ نزل الموضع الَّذِي يعرف بـ"كويفة ابْن عمر"، وإليه ينسب[4]، ودس

1 -تامر باجن أوغلو: **حقوق أهل الذمة في الفقه الإسلاميّ**، ص29.

2 - أبو زهرة، محمد بن أحمد (ت 1394هـ): **زهرة التفاسير**، 1/ 534.

3 - **أنساب الأشراف** 2/ 294.

4- اخطأ البلاذري، وتابعه ياقوت، والصواب: انّها كُوَيْفَةَ عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ، نسبت له قبل الاسلام، سَارَ اليها سَعْدٌ قبل تمصير الكوفة. الطبري: **تاريخ** 3/ 579؛ البكري: **معجم ما استعجم** 4/ 1144.

من طلب لَهُ من عَلِيّ الأمَان، فَلَمْ يُؤَمِّنْهُ، وَقَالَ: لئن ظفرت بِهِ فلا بُدَّ لي من أنْ أقيدَ مِنْهُ وأقتله بمن قتل.

فِي مسائلِ الزِنَا المتعلقةِ بالشّهودِ وبالتّوبةِ وبالعقوبةِ، يَرَى الفقهاءُ أَنَّهُ " لا فرقَ فِي الأحكامِ بَيْنَ كونِ الزانِي مسلمًا أَوْ كافرًا، وكَذَا لا فَرْقَ بَيْنَ كونِ المزنِيّ بِهَا مسلمةً أَوْ كافرةً، وَأَمّا إِذَا زنَى كافرٌ بكافرةٍ، أَوْ لاطَ بمثلِه، فالإمامُ مُخيّر بَيْنَ إقامَةِ الحَدّ عَلَيْهِ، وَبَيْنَ دَفْعِهِ إِلَى أهلِ مِلّتِهِ لِيُقيموا عَلَيْهِ الحَدّ"[1]. وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ كَتَبَ إِلَى عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي مُسْلِمٍ زَنَى بِنَصْرَانِيَّةٍ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَنْ يُقَامَ الْحَدُّ عَلَى الْمُسْلِمِ، وَتُرَدُّ النَّصْرَانِيَّةُ إِلَى أَهْلِ دِينِهَا[2]؛ لِيُعْطِيَهم حَقَّ مُمَارَسَة قضائِهم وعدالتِهم.

أما **حق الكرامة** فقد عني الإسلام به، ويراد بالكرامة: امتلاك الإنسان، بما هو إنسان، للشرف والعزّة والتوقير. فلا يجوز انتهاك حرمته وامتهان كرامته، فالإنسان مخلوق مُكرَّم، قد فضله الله على كثير من خلقه {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً} (الإسراء70).

ويحمي الإسلامُ عرض الذِّمّيّ وكرامته، كما يحمي عرضَ المسلم وكرامته، فلا يجوز لأحدٍ أنْ يسبَّه، أو يتَّهمه بالباطل، أو يُشَنّع عليه بالكذب، أو يغتابه، ويذكره بما يكره، فى نفسه أو نسبه أو خلقه أو غير ذلك مما يتعلق به. وحماية أعراض أهل الذمة واجب، بإجماع فقهاء الأمة، لما ذكر من أحاديث الرسول: "مَنْ قَذَفَ ذِمِّيًّا حُدَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسِيَاطٍ مِنْ نَارٍ"[3] . ومنها: يجب كفُّ الأذى

---

1 - الخوئي، أَبُو القاسم: **منهاج الصّالحين** 2/ 34؛ سعيد كاظم العذاري: **سماحة الإسلام وحقوق الاقليات الدينية- في مدرسة آل البيت** ص88.

2 - ابن حزم: **المحلى بالآثار** 8/ 520.

3 - الطبراني: **المعجم الكبير** 22/ 57؛ السيوطي: **الجامع الصغير**، الرقم: 8921 .

عن الذِّمِّيّ، وتحرم غيبتُه كالمسلم، فالمسلمون مأمورون بكفّ الأذَى عن خلق الله، فإنْ تحققَ الأذى حرم، وخصَّ المؤمن لأهميته، كفَّ الأذى عنه، وإلا فكفُّ الأذى عن الذِّمِّيّ واجب[1].

ولهم **حق التعليم** وفق ديانتهم، وانشاء المدارس الخاصة بهم، وظلَّت مدارسهم المشهورة في الرُهَا وقِنَّسْرين تستقبل طلابها لتعليم اللاهوت والعلوم الأخرى في تاريخ الإسلام، وأحيانا تستقطب المسلمين بين طالبي المعرفة، في إطار توسيع دائرة التلاقح المعرفي. احترم الإسلام -منذ الوهلة الأولى- كتبهم المقدسة، لما فيها من حكمة وموعظة، وهي من أهم مصادرهم التعليمية. ليس أدل على ذلك من أنَّ القرآن أسماهم أهل الكتاب، وكان يدعوهم الى الرجوع إليه. وفي معرض الممارسة، بعد فتح خيبر (6هـ/ 628م)، وانتصارهم على اليهود، وضع المسلمون يدهم على الغنائم، وجمعت مصاحف فيها التوراة، فأمر الرسول بردِّها الى اليهود[2].

أَمَّا **حق السّكن** فَقَدْ ضمنت الدَّولَة العَرَبِيَّة حق السّكن لجميع رعاياها، وَبِخَاصَّةٍ أهل الذِّمَّة الَّذِينَ عاهدوهم عَلَى الحياة الكريمة، وتمكينهم من حقوقهم المَدَنِيَّة المشروعة، ولاسِيَّمَا حق السّكن، وحُرِّيَّة التّنقل، مَا داموا قَدْ التّزموا بتَحْقِيْق مَا عَلَيْهِمْ من واجبات تجاه الدّولة. وأوَّل من أرْسَى هَذَا المعنى الرّسول مُحَمَّد فِي وثيقة المدينة [المادة 47] "أَنَّهُ من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم، أَوْ أثم". اتّصفت العهود التي تلتها بهذه الرحابة، فسمحت لمن شاء من السكان والرهبان، والموظفين، بالهجرة الى الأراضي البيزنطيّة، فغادر دولة

1 - المناوي: **فيض القدير** 1/ 320.

2 - المقريزي: إمتاع الأسماع 318/1.

الإسلام عدد وافر من نصارى سورية، وأقاموا في بلاد الروم، وحافظ الباقون على كنائسهم وأموالهم وحريتهم الدينية وشرائعهم الخاصة بقيادة أساقفهم[1].

وَأَنَّهُمْ إِذَا مَا أداموا شروط معاهدة الذِّمَّة وثبتوا عَلَيْهَا، يبقون محروسين بعين الدّولة، وإذا مَا أخلُّوا بشروط العهد فإنّهم قَدْ يُعرّضون أنْفُسَهم وأهْلِيهم إلَى عُقوبات، مِنْهَا الجلاء عَنْ ديارهم، وَهَذَا مَا حدث فعلا مَعَ بعضِ قَبَائِل يَهُود فِي عصْرِ الرّسالة، نحو: بني النّضير الَّذِينَ "قَاتَلَهُمُ النّبِيُّ مُحَمَّد، حَتَّى صَالَحَهُمْ عَلَى الْجَلَاءِ فَأَجْلَاهُمْ إِلَى الشّامِ"[2]، بسبب نقضهم العهد، فِي مكاتبتهم كفار مَكّة[3]، ومحاولتهم الغدر بالرّسول مُحَمَّد[4]. فِي حِين أَنَّ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ أَقَرَّ أَهْلَ خَيْبَرَ بِهَا إِلَى أَنْ قَبَضَهُ اللَّهُ، وَهِيَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَصْرَحُ مِنْ هَذَا أَنَّهُ مَاتَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِالْمَدِينَةِ عَلَى ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ أَخَذَهُ لِأَهْلِهِ[5].

أَمّا نَصَارَى نَجْرَان فَقَدْ عاهدهم الرّسول مُحَمَّد، عَلَى أَنْ لا يُغيّر عَلَيْهِمْ شيء فِي فضاءات حياتهم الدّينيَّة والاجْتِمَاعِيَّة والاقتصاديّة "أَبَدًا"، كَمَا نصت عَلَيْهِ معاهدة نَجْرَان: "وَلَهُمْ- عَلَى مَا فِي هَذِهِ الصّحيفة- جِوَارُ اللهِ وَذِمّةُ مُحَمَّدٍ النّبِيّ أَبَدًا، حَتَّى يأتي أمر الله، مَا نصحوا وأصلحوا فِيمَا عَلَيْهِمْ، غير مُكْلَفِين (مثقلين) شيئا بظلم"[6]. ثُمّ جَاءُوا مِنْ بَعْدُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَكَتَبَ لَهُمْ (جدّد العهد)، وَفَاءً لَهُمْ بِكُلِّ مَا كَتَبَ لَهُمْ مُحَمَّد النّبِيُّ[1].

---

1 - سركيس أبو زيد: **المسيحية في إيران**، ص118.

2 عبد الرّزاق الصّنعاني: **المصنف** 5/ 358.

3 - قَالَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ: وَكَانُوا قَدْ دَسُّوا إِلَى قُرَيْشٍ فِي قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَحَضُّوهُمْ عَلَى الْقِتَالِ وَدَلُّوهُمْ عَلَى العورة. ابن سيد النّاس، (ت 734هـ): **عيون الأثر في فنون المغازي والشّمائل والسّير** 70/2.

4 - الواقدي: **المغازي**، 363/1؛ ابن هشام: **السّيرة** 190/2؛ البيهقي: **دلائل النّبوة** 353/3.

5 - ابن قيم الجوزية **أحكام أهل الذمة** 387/1

6 - البلاذري: **فتوح البلدان** 76/1؛ ابن شبّة: **أخبار المدينة** 311/1؛ أَبُو عبيد: **الأموال** 245/1؛

لَمَّا أُستخلف عُمَرَ أَرَادَ إِجْلَاءَ اليهود، استنادا الى قَوْل الرسول "لَا يَجْتَمعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"، وَأَجْلَاهُمْ وَلَمْ يَتَلَفَّتْ إِلَى مَا اعْتَرَضُوا بِهِ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِ الرسول: "اُتْرُكُوهُمْ وَمَا يَدِينُونَ"[2]. وكذلك اسْتَجَازَ إِخْرَاجَ أَهْلِ نَجْرَانَ وَهُمْ أَهْلُ صُلْحٍ، ويعلّل أَبُو عُبَيْد[3]: وَإِنَّمَا نَرَى لِحَدِيثٍ يُرْوَى عَنْ النَّبِيِّ مُحَمَّد فِيهِمْ خَاصَّةً، فَإِنَّهُ قَالَ: "أَخْرِجُوا أَهْلَ نَجْرَانَ وَيَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"[4]؛ لِنَكْثٍ كَانَ مِنْهُمْ، أَوْ لِأَمْرٍ أَحْدَثُوهُ بَعْدَ الصُّلْحِ[5]. وَكَذَا قَوْلُ الرسول لِعَلِيِّ بن أبي طالب: "أَخْرِجْ أَهْلَ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ"[6]. وعلل أَبُو يوسف[7]: أَجْلَاهُمْ عَنْ نَجْرَانَ الْيَمَنِ، وَأَسْكَنَهُمْ بِنَجْرَانَ العِرَاق؛ لِأَنَّهُ خَافَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وأحتجوا بإعتذار الإمام عَلِيّ لَهُمْ فِي خلافته، وَكَانَ هُوَ من كتب عهد الرّسول مُحَمَّد إِلَيْهِمْ. فِي رِوَايَة ابْنِ أَبِي الْجَعْد[8]، قَالَ:" جَاءَ أَهْلُ نَجْرَانَ إِلَى عَلِيٍّ، فَقَالُوا: شَفَاعَتُكَ بِلِسَانِكَ، وَكِتَابُكَ بِيَدِكَ، أَخْرَجَنَا عُمَرُ مِنْ أَرْضِنَا فَرُدَّهَا إِلَيْنَا صَنِيعَةً، فَقَالَ: وَيْلَكُمْ إِنَّ عُمَرَ كَانَ رَشِيدَ الْأَمْرِ، وَلَا أُغَيِّرُ شَيْئًا صَنَعَهُ عُمَرُ"[9].

قدامة بن جعفر: **الخراج وصناعة الكتابة** 272/1.

1 - أَبُو يوسف: **الخراج**، ص 85.

2 - البابرتي، (ت 786هـ): **العناية شرح الهداية** 2/ 244.

3 - القاسم بن سلام: **الأموال**، ص 129.

4 - أخرجه احمد: **المسند** 195/1 (1691)؛ الدارمي: **السّنن** 1622/3؛ قَالَ: الرَّمَادِيُّ إِبْرَاهِيم بْنَ بَشَّارٍ لَمْ يَرْوِ ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ هَذَا الشَّيْخِ (إِبْرَاهِيم بْنُ مَيْمُونٍ) إِلَّا هَذَا الْحَدِيثَ. الطحاوي: **شرح مشكل الآثار**184/7

5 - **الأموال**، ص 129.

6 - ابن قيم الجوزية: **أحكام أهل الذمة** 384/1.

7 - **الخراج**، ص 86.

8 - أَبُو عُبَيْد: حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ سَالِمِ ابْنِ أَبِي الْجَعْدِ. م. س. 128؛ أَبُو يوسف: م. ن. 87؛ ابن قيم الجوزية: م. س.384/1.

9 - ثَمَّةَ رِوَايَة أخرى: ابن القيم: ذَكَرَ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرِيُّ - مِنْ حَدِيثِ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى الْحُلْوَانِيِّ - حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ [جَنَّادٍ]: حَدَّثَنَا عَطَاءُ بْنُ مُسْلِمٍ الْحَلَبِيُّ، عَنْ صَالِحٍ الْمُرَادِيِّ، عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ قَالَ: رَأَيْتُ

من خلال قراءة النّصوص التّاريخيّة من مثل رِوَايَة الشّعْبِيُّ: قَالَ عَلِيٌّ حِينَ قَدِمَ الْكُوفَةَ: مَا جِئْتُ لِأَحُلَّ عُقْدَةً شَدَّهَا عُمَرُ!" و "لست براد على عمر شيئا صنعه"[1]، إنَّ عليًّا كَانَ يكره أَنْ يُغَيِّرَ عَلَى عمر شيئًا، قَدْ اتُّخِذ عُرْفًا، أَوْ سنّة بَيْنَ النّاس، وأكبر الظّن أَنَّهُ كَانَ يخشى عَلَى مسيحيّ نَجْرَان الَّذِينَ استقروا فِي الكوفة، مَا يحصل لَهُمْ بَعْدَهُ إِذَا مَا رَدَّهُم إِلَى نَجْرَان، أو أنّه كان يخشى الفرقة في مجتمعه.

ثمّة نصٌّ ذكره الكلينيّ[2]، يشير الى أنَّ الإمام عليّ حاول تغيير ما تخلَّق به الناس على سنَّة من سبقه، لكنّه خشي تفرُّق الناس، وأنّه بثّ شكواه في قوله: "عملت الولاة قبلي أعمالا، خالفوا فيها رسول الله -صلى الله عليه وآله- متعمّدين لخلافه، ناقضين لعهده مغيرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها، وحولتها إلى مواضعها، وإلى ما كانت في عهد رسول الله؛ لتفرق عني جندي"، وجرَدَ أعمالا عدّة استنكرها، منها: "ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر الأُمم إلى كتاب الله وسنَّة نبيّه"[3].

مِنْ هُنَا، في ظلّ اختلاف الأخبار، يشوب أسباب التهجير والرّوايات مَا يوجب الكَلَام فِيهَا، فَمِنَ القدماءِ نبَّه ابن القيّم الجوزية[4] إلَى ذَلِكَ:" قُلْتُ: وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنّ حَدِيثَ عَلِيٍّ غَيْرُ مَحْفُوظٍ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ عِنْدَهُ عَنْ النَّبِيِّ، أَمْرُهُ بِإِخْرَاجِ

عَلِيًّا صَلَّى الْعَصْرَ فَصَفَّ لَهُ أَهْلُ نَجْرَانَ صَفَّيْنِ، فَنَاوَلَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ كِتَابًا، فَلَمَّا رَآهُ دَمَعَتْ عَيْنُهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ: " يَا أَهْلَ نَجْرَانَ، هَذَا وَاللَّهِ خَطِّي بِيَدِي وَإِمْلَاءُ رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ". فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطِنَا مَا فِيهِ. قَالَ: وَدَنَوْتُ مِنْهُ فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ رَادًّا عَلَى عُمَرَ يَوْمًا، فَالْيَوْمَ يَرُدُّ عَلَيْهِ! فَقَالَ: لَسْتُ بَرَّادٍ عَلَى عُمَرَ شَيْئًا صَنَعَهُ، إِنَّ عُمَرَ كَانَ رَشِيدَ الْأَمْرِ، وَإِنَّ عُمَرَ أَخَذَ مِنْكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَعْطَاكُمْ، وَلَمْ يَجُرَّ عُمَرُ مَا أَخَذَ مِنْكُمْ إِلَى نَفْسِهِ، إِنَّمَا جَرَّهُ لِجَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ ". **أحكام أهل الذمة** 1165/3

[1] - ابن قيم الجوزية: م. ن. 1165/3، 1166.

2 - **الكافي** 59/8.

3 - الكليني: م. ن. ص.

4 - ابن قيم: **م. س.**385/1.

أَهْلِ نَجْرَان مِنْ جَزِيْرَة الْعَرَبِ، لَمْ يَعْتَذِرْ بِأَنَّ عُمَرَ قَدْ فَعَلَ ذَلِكَ، وَكَانَ رَشِيدَ الْأَمْرِ".

لَعَلَّ ورودَ حديثِ الإخراجِ، تَارَةً فِي سياق إجلاء أهلَ خيبرَ[1]، وأهلَ نَجْرَان أُخْرَى، وجمع بينهما ثالثة[2]، للمشركين رابعة[3]، كَانَ موعزا للنظر في سند الرواية، وموردًا للشكّ في مفهومها ودرايتها، من جانب مخالفة الإجراء لسنّة الرسول، مما كان مدعاةً لِلَحْظِ الطّبريّ الشّيعيّ[4]، وردّه: أنّ مَا فَعَلَهُ عُمَرُ مَعَ أهل نَجْرَان وخيبر يخالفُ عهودَ النّبيّ مَعَهُمْ، وصُلْحَهُ وإقرارَهم عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ.

كانت أسباب الإجلاء مختلفة -في نظر العلماء- باختلاف المجليّ، بيد أنَّ أحمد بن حنبل يختزلها في قتال النبي، ويفرق بين المشركين وبين النصارى واليهود، في رواية "أبو بكر المروذي" قَالَ: سُئل أبو عبد الله عن قول النبي: "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب". قَالَ: هم الذين قاتلوا النبي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليست لهم ذمة، ليس هم مثل اليهود والنصارى[5].

---

1 - القاسم بن سلام: حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِإِخْرَاجِ الْيَهُودِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ. **الأموال**، ص 127.

2 - القاسم بن سلام: حَدَّثَنَا يَزِيدُ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، حَتَّى لَا أَدَعَ فِيهَا إِلَّا مُسْلِمًا». وعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مَيْمُونٍ، مَوْلَى آلِ سَمُرَةَ، عَنِ ابْنِ سَمُرَةَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَّهُ كَانَ آخِرَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ قَالَ: أَخْرِجُوا الْيَهُودَ مِنَ الْحِجَازِ، وَأَخْرِجُوا أَهْلَ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ. **الأموال**، ص 128، 129.

3 - القاسم بن سلام: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ زَكَرِيَّا بْنِ أَبِي زَائِدَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَجْلَى عُمَرُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَقَالَ: لَا يَجْتَمِعُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانِ. **الأموال**، ص 128.

4 - مُحَمَّد بن جرير (- ق4هـ): **المسترشد**، ص 527.

5 -أبو بكر الخلّال، (ت311هـ) **أحكام أهل الملل والردة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل**، ص55.

أَمَّا مَا قَالَه القدماء فِي الأسباب الموجبة لإجلاء مسيحيّ نجران، مثلًا: أَبُو يوسف[1]: " لِأَنَّهُ خَافَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ". وأَبُو عُبَيْدٍ:" لنَكْثٍ كَانَ مِنْهُمْ، أَوْ لِأَمْرٍ أَحْدَثُوهُ بَعْدَ الصّلْح"؛ فيكتنفها إبهامٌ وإطلاق، ودونَما تحديد حادثة تذكر، وَلَمْ يُورِدْ أَهْلُ الأخبارِ حَادِثًا دَالًّا عَلَى نَكْثِهِمْ بِنُودَ الصُّلْحِ؛ ولذا مَا ذُكِرَ، لَمْ يرقَ إِلَى الأسبابِ المُقْنِعَةِ والمُوجِبَةِ لإجْلائِهِمْ.

يبدو أنَّ الأسبابَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي المصادِرِ الإِسْلَامِيّة، والتي تُسَوِّغُ تَنْحِيَتَهِمْ فِي نظرِ الْمُسْلِمِينَ تَعْتَوِرُهَا تناقُضَاتٌ، نحو: تكاثر أهل نَجْرَان، وخوف الخليفة مِنْهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، والشّك بطاعتهم النّاتج عَنْ ضعف التّزامهم بشروط العهد. فِي حِين أنّ كِتَابًا بَعَثَ بِهِ عُمَرُ، كُتِبَ فِيهِ وُجُوبُ حمايتِهِم، فَضْلًا عَنْ وَصِيّتِه[2]. وَبِحَسَبِ تريتون[3] "لَمَّا تدانَى أَجَلُهُ، أوصَى مِن بعدِه وَهُوَ عَلَى فراشِ الموتِ، بقوله: "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذِّمَّة خيرًا، وأنْ يُوفِيَ لَهُمْ بعهدِهِم، وأنْ يقاتِلَ مِن ورائِهم، وألَّا يُكَلِّفَهُمْ فوْقَ طاقتِهِم".

ثمة إشكالية يتوخاها البحث بإيجاز عن ماهية "جزيرة العرب" في الأثر؟، وما حدودها، قبل الفتوح وبعدها؟ وما رأي العلماء المسلمين فيها؟ نجد تفسيرات عدة: في رأي أحمد بن حنبل، إنّ جزيرة العرب، يعني، أولا- المدينة وما والاها؛ لأن النبي أجلى يهود، فليس لهم أنْ يقيموا بها. ثانيا- ما لم يكن في يد فارس والروم. ثالثا- ما كان خلف العرب. وقال الأصمعي: كل ما كان دون أطراف الشام[4]. وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ، سَأَلْتُ المُغِيرَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ جَزِيرَةِ

---

1 - **الخراج**، ص 86.

2 - تامر باجن أوغلو: **حقوق أهل الذمة في الفقه الإسلاميّ**، ص١٧؛ جعفر مرتضى، **الصّحيح من سيرة النّبي الأعظم** 8/ 149 ـ 163؛ حيدر حب الله: "إخراج غير المُسْلِم من الجزيرة العَرَبِيّة"، بحث437، *مركز الفقاهة للدراسات والبحوث الفقهية*، 2012/3/30.

3 - آرثر ستانلي تريتون: **أهل الذمة في الإسلام**، ص 158 – 159.

4 - الخلّال: **أحكام أهل الملل والردة**، ص56.

العَرَبِ، فَقَالَ: مَكَّةُ، وَالمَدِينَةُ، وَاليَمَامَةُ، وَاليَمَنُ، وَقَالَ يَعْقُوبُ: وَالعَرْجُ أَوَّلُ تِهَامَةَ"[1]. يرفق هذا الشتات في تحديد "جزيرة العرب"، إشكاليّة زمانيّة تداول المصطلح في مصادر التراث، فإنّها ليست قديمة، ولا معروفة في أحاديث الرسول، أو رسائل الخلفاء، أو خطب القرن الأول الهجري وأدبياته، بل تنبئ- من خلال البحث- أنّها لا تتجاوز القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

من منظور بعض المستشرقين[2]: انّ الإضطهادات والمضايقات التي شهدتها الجماعة المسيحيَّة تختلف عن تلك المضايقات التي أتخذت مع اليهود، وهي لم تكن معروفة في بداية الإسلام، وأنّه إذا ما أقرَّ محمد اللعنة ضدَّ الكفار في نهاية حياته، وقد مارسها الخليفة عمر، الذي أكره المَسيحِيّينَ بالخروج من الجزيرة العربية، فإنَّ اختفاء المسيحيَّة من الجزيرة العربيَّة لم يكنْ له تلك الأوجُه المأساويَّة والقاسيَة، التي مُورِسَتْ على اليهوديَّة، فعلى الرغم من العثرة المُحْبِطَة المتمثِّلة بالثالوث وبالتعليل اللاهوتي لشخصيَّة المسيح، فقد كان الإسلام دائما يشعر- بغموض وغير وضوح- بأن المسيحيَّة كانت العقيدة الشقيقة والأخوية.

أَمّا **الْحُقُوق الاقتصاديّة والْمَالِيَّة** فَقَدْ ضَمَنَها الإِسْلَام لغير الْمُسْلِمِينَ، وكفلت لهم الشريعة التمتُّع بالحقوق المالية، وجميع التصرفات القانونية لكسب الأموال، المنقولة وغير المنقولة، وسواء باشر هذه التصرفات مع المسلمين أو مع غيرهم. ونص الفقهاء على أنَّ "معاملة أهل الذمَّة جائزة، وإنْ كانوا يستحلون بيع الخمر والخنازير، ويعملون بالربا"[3]، وأن حق المَلَكيَّة حق مصون، لا يجوز لأحد التعرض له، وحرّم الاعتداء عَلَى اموالهم، بالسّرقة والغصب والغش والاحتيال، لأنَّ "حُكْمُ أَمْوَالِهِمْ، حُكْمُ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فِي حُرْمَتِهَا. قَالَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

---

1 - صهيب عبد الجبار: **المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة** 2/ 168.

2 - كبريلي، فرانشيسكو Francesco Gabrieli : **محمد والفتوحات الإسلامية**، م. س. ص113.

3 - ابن رشد (ت520هـ): **المقدمات الممهدات**، (بيروت، 1988) 156/2.

إِنَّمَا بَذَلُوا الْجِزْيَةَ لِتَكُونَ دِمَاؤُهُمْ كَدِمَائِنَا، وَأَمْوَالُهُمْ كَأَمْوَالِنَا." [1]، ولذا لهم مطلق التصرف في أموالهم، كما هم عليه المسلمون[2].

لَمْ يأخذْ الإِسْلَام مِنْهُمْ غيرَ الْجِزْيَة، وَقَدْ " جعلها الله تعالى حقناً لدمائهم، ومنعًا من استرقاقهم، ووقايةً لِمَا عَدَاها من أموالهم"[3]. وراعَى الإِسْلَام فِي أخذ الْجِزْيَة التّفاوتَ الاقتصاديّ بَيْنَهُمْ، فقرَّر إعفاءَ العاجزين عَنْ دفعِها، وإعفاءَ الصّبيانِ، والنّساء، والعبيد، والشّيوخ المسنّين، وأصحابِ العاهات الجسديَّة والعقليَّة، واعفاءَ مُطْلَقِ الفقراء، فلا تُؤْخذ مِنْهُمْ[4].

ولم يكن الغرض من فرض ضريبة الجزية على المَسِيحِيِّينَ -بحسب أرنولد Arnold- كما يظنُّ بعض الباحثين لونًا من ألوان العقاب، لإمتناعهم عن قبول الإسلام، وإنَّما كانوا يؤدونها مع سائر أهل الذمة، وهم غير المسلمين من رعايا الدولة، الذين كانت تَحُولُ ديانتُهم بينَهم وبين الخدمةِ في الجيش، في مقابل الحمايةِ التي كفلتْها سيوفُ المسلمين[5]. بدلالةِ ما كتبه أهل الحيرة :" إنا قد أدَّيْنَا الجزية التي عاهدنا عليها خالد ... على أنْ يمنعونا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم"[6].

أمر الإِسْلَام بحسن التّعامُلِ عِنْدَ أخذ الْجِزْيَة، والاكتفاء بأخذ اليسير من أموالهم، وترك مَا يحتاجون إلَيْهِ، ومن ذَلِكَ إنَّ الإمام عليًّا أَمَرَ والِيَهُ عَلَى بانيقيا وسواد الكوفة: " إيَّاكَ أنْ تضربَ مسلمًا، أَوْ يهوديًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا فِي دِرْهَم

1 - ابن قدامة: **المغني** 9/ 284.

2 -زيدان: **أحكام الذميين والمستأمنين**، ص132.

3 - المفيد: **المقنعة**، ص 269.

4 - أَبُو الصّلاح الحلبي، (ت447هـ): **الكافي فِي الفقه**، ص 249.

5 - **الدعوة الى الإسلام**، ص 79.

6 - الطبري: **تاريخ الرسل والملوك** 3/ 371.

خَراج، أَوْ تبيعَ دابّةَ عملٍ فِي دِرْهَم، فإنَّا أُمِرْنا أنْ نأخُذَ مِنْهُ العَفْوَ"[1]. وأنَّ عَلَى الإمام ان يأخذَ الحقَّ فِي أموال غير الْمُسْلِمِينَ، إِذَا مَا تعرَّضَتْ لأذَى. كَمَا تدل رِوَايَة زيد[2] بسنده عَنْ الإمام عليّ: إنَّ مسلمًا قتلَ خنزيراً لنَصْرَانِيّ، فضَمَّنَه عليٌّ قيمتَه، وَقَالَ: "إنَّمَا أعطيناهم الذِّمَّة، عَلَى أنْ يُتْرَكُوا يستحلُّون فِي دينهم، مَا كَانُوا يستحِلُّون من قبْلُ".

وَفِي ضريبة التّجارة المنقولة من دار الحَرب إلَى دار السّلام، وبالعكس، يُؤخَذُ العُشْرُ من الحربيّ، ونِصْفُ العشْرِ من الذِّمّيّ. ويُعْفَى الذِّمّيُّ من ضريبة العشر إِذَا كَانَ عَلَيْهِ دَيْنٌ بِقَدْرِ مَا مَعَهُ، أَوْ يَنْقُص ثمن البضاعة عَنْ النّصَابِ[3].

أَمَّا **حق العمل** فَغَيْرُ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ حقُ العملِ فِي بلادِ الْمُسْلِمِينَ، ولا يُكْرَهون عَلَى اختيارِ عملٍ مُعَيَّنٍ، فهم أحرارٌ فِي ذَلِكَ، ولا قيودَ عَلَيْهِمْ فِي العملِ، وإنْ وُجِدَتْ فَهِيَ عَلَى حدٍّ سَوَاءٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وبَيْنَهُم، وَمِنْهَا الأعمالُ الَّتِي تضرُّ بالمصلحةِ العَامّة. أَمَّا فِي الأُمور المباحة فهُمْ أحرارٌ، وَقَدْ جُعِلَ لَهُمْ الحقُّ فِي التّصرُّفِ فِي بعضِ الأمورِ، مَا دامَتْ مُحَلّلةً فِي دينِهم، فيجوزُ للمسلمِ قَبْضُ دَيْنِهِ مِن الذِّمّيّ مِن ثَمَنِ مَا باعَ مِن المُحرّماتِ فِي شريعةِ الإِسْلَامِ[4].

إنّ تَولِيَ الوظائفِ العَامّة فِي الشّريعةِ الإِسْلَاميّة، بحَسَبِ زيدان[5]: " لَيْسَ حقًّا للفردِ عَلَى الدّولةِ، وإنَّمَا هُوَ تكليفٌ تُكَلّفُهُ بِهِ الدّولةُ، إِذَا كَانَ أهْلًا لها،

---

1 - المفيد: **المقنعة**، ص257؛ الكليني: **الكافي** 540/3؛ وقارن: أَبُو يوسف: **الخراج**، ص15؛ نمر مُحَمَّد خليل النّمر: **أهل الذمة والولايات العامة في الفقه الإسلاميّ** (المكتبة الإسلاميّة، عمان) ص134.

2 - زيد بن علي: **مسند الامام زيد** (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت) 267.

3 - ابن القيم: **أحكام أهل الذمة** 1/ 357. نصاب التجارة (رأس المال) عشرين دينارا أَوْ مائتي درهم. البحراني، يوسف: **الحدائق النّاضرة**، (دار الاضواء – بيروت، 1985) 146/12.

4 - محسن الحكيم: **منهاج الصّالحين** 2 / 189؛ الخوئي: **منهاج الصّالحين** 2 / 174.

5- عبد الكريم: **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام**، ص77.

وواجبٌ يقومُ بِهِ إِذَا عُهِدَ إِلَيْهِ"، وَهَذَا يَنْطَبِقُ عَلَى الْمُسْلِمِ وغيرِه. وغير المسلمين الذين لا تُعرَف لهم عداوةٌ للدولة، يجوز اتخاذهم بطانة، يُسْتَود عونُهم الأسرار، ويستعيينون برأيهم في شؤون الدولة المهمَّة[1]. وإذا كانوا في موضع الكفاءة والثقة والأمانة، يمكن أنْ تُسنَد لهم مهام خطيرة، ومن الشواهد التاريخيَّة، دَعَا رَسُولُ اللهِ، وهو في طريقه الى مكَّة سنة (6هـ/ 628م)، بُسْرَ بْنَ سُفْيَانَ مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، فَأَرْسَلَهُ عَيْنًا لَهُ[2]، ليأتيه بخبر قريش، كان حينئذٍ كافرا، وإنما اختاره لذلك مع كفره، ليكون أمكن له في الدخول فيهم، والاختلاط بهم، والاطلاع على أسرارهم[3]. وحين جاء سبي قيسارية الى عمر بن الخطَّاب، جعل بعضهم في الكتَّاب وأعمال المسلمين[4]. ولما احتفر سليمان بن عبد الملك لأهل الرملة قناتهم، الَّتِي تدعى بردة، واحتفر آبارا، ولَّى النفقة، عَلَى بنائها بالرملة ومسجد الجماعة، كاتبًا له نصرانيًّا من أهل لِد يقال له البطريق بْن النكا[5].

وَفِي تولية أهلِ الذِّمَّةِ ذَهَبَ الفُقَهاءُ أمثالُ الماورديّ (ت450هـ)[6] إِلَى: شَرْعَنَةِ واقعٍ تَمَّ تنفيذُه، فذهبوا إِلَى جوازِ توليتِهم فِي السّلطَةِ، مِثْلِ الوزاراتِ، ولَكِنْ شريطةَ أَنْ تَنْحَصِرَ واجباتُهم عَلَى مرجعِ التّنفيذ[7]، وَلَيْسَ الحُكْمَ والقضاءَ، فالذّي يتولّى التّنفيذَ يجوزُ أَنْ يكونَ ذمّيًّا، دُونَ أَنْ يَحْسِمَ فِيمَا يَتَعَلّقُ بالواجباتِ الشّرعيَّةِ، مثلِ جمعِ الزكاة.

---

1 - محمد رشيد رضا: **تفسير المنار** (القاهرة، 1990)، 4/ 68.

2 - الواقدي: **مغازي** 2/ 573؛ البيهقي: **دلائل النبوة** 99/4؛ المقريزي: إمتاع الأسماع 4/9.

3 - المقريزي: م. ن. 15/9.

4 - البلاذري: **فتوح البلدان**، ص 143.

5 - البلاذري: م. ن، ص 145.

6 - الماوردي، (ت450هـ): **الأحكام السّلطانية**، ص58.

7 - وَزَارَةُ التَّنْفِيذِ حُكْمُهَا أَضْعَفُ وَشُرُوطُهَا أَقَلُّ؛ ووزير التنفيذ مقصور على تنفيذ ما صدَرَت به أوامر الخليفة، ووزير التفويض مطلق التصرّف. الماوردي: م. ن. ص 56.

أَمَّا مَا يتصل بالقضاء فلا يصح تقليد غير الْمُسْلِم القضاء عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وعلَّلوا ذَلِكَ بأَنَّ القضاء من باب الولاية، بَلْ هُوَ أعظم الولايات، وغيرُ الْمُسْلِمِ لَيْسَ لَهُ أَهليَّةٌ لأدْنَى الولايات وَهِيَ الشّهادة عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فبالأوْلى لا يكون لَهُ أهلية لأعلاها. وبهذا صرح الفقهاء من مُخْتَلف المذاهب كالحنفيَّة والشّافعيَّة والشّيعة الإماميَّة والزيديَّة والظّاهريَّة[1].

اختلف الفقهاء فِي جواز تَوْلِيَةِ غيرِ الْمُسْلِمِ القضاءَ عَلَى غيرِ الْمُسْلِمِينَ. ويمكن إجمال أقوالِهم عَلَى النّحو الآتي: صرحت الشّافعيَّة بعدم جواز تقليد غير الْمُسْلِمِ القضاءَ عَلَى غير الْمُسْلِمِينَ[2]، وَهُوَ مذهبُ المالكيَّة والحنابلَة والشّيعة الإماميّة -أَيْضًا، لأنَّهُمْ قالوا بعدم جواز شهادة غير الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ. قَالَ الأحنافُ يجوز تقليدُ الكافرِ القضاءَ، وإنْ لَمْ يَصُحْ قضاؤه عَلَى الْمُسْلِمِ حالَ كفره. وَقَالُوا -أَيْضًا: يجوز أنْ يُولَّى الذِّمِّيُّ القضاء عَلَى أهل الذِّمَّة، وكونِه قاضيًا خاصًّا بِهِمْ، لا يُقْدَحُ فِي ولايته، ولا يُضَرّ، كَمَا لا يَضُرّ تخْصِيصُ القاضِي الْمُسْلِمِ بجماعةٍ مُعَيَّنَةٍ من الْمُسْلِمِينَ[3].

بحكم تَعَايُش الْمَسِيحِيّن وغيرهم من أهل الذِّمَّة فِي الْمُجْتَمَع الإِسْلَامِيّ، كَانَ لَهُمْ من الخبراتِ مَا يوجب تميُّزَهم وتسنُّمَهم وظائفَ، مِمَّا شَهِدَ بكثرتِها متعجّبًا بعضُ المستشرقين، نحو آدم متز: "من الأُمُور الَّتِي نعجبُ لها كِثْرةُ عددِ العمال والمتصرفين غير الْمُسْلِمِينَ فِي الدَّولَة العَرَبِيَّة"[4].

ثَمَّةَ أحكام كثيرةٌ تخصّ أهلَ الذِّمَّة، وحُقُوقَهم وواجباتِهم فِي التّشريعات الإِسْلَاميّة، وَفِي مؤلفاتِ الفقهاء، نحو:

---

1 - تامر باجن أوغلوا: **حقوق أهل الذمة فِي الفقه الإسلاميّ**، ص29.

2 - ابن حزم: **المحلى** 9/ 363؛ الشّربيني، (ت977هـ): **مغني المحتاج إلَى معرفة معاني ألفاظ المنهاج** 375/4.

3 - **شرح العناية** 5/ 499

4 - **الحضارة الإسلاميّة فِي القَرْن الرّابع الهِجْرِيّ** 105/1.

- حقهم فِي التكافل الاِجْتِمَاعِيّ ورعاية الدّولة: تبنّى الإِسْلَامُ التّكافلَ الاِجْتِمَاعِيّ، واشباع حاجات الفقراء والمستضعفين، سواء أكانوا مُسْلِمِينَ أَمْ غير مُسْلِمِينَ، ماداموا يعيشون فِي ظِلِّ الدَّولَة العَرَبِيَّة. وإذا مَا افتقر، أَوْ شاخ الذِّمِّيُّ، يُصْرَفُ لَهُ مؤونته من بيت المال، ففي عقد كتبه خَالِد بن الوليد لأهلِ الحِيرَة بالعِرَاق، وَكَانُوا من النَّصَارَى: "وَجَعَلْتُ لَهُمْ، أَيُّمَا شَيْخٍ ضَعُفَ عَنْ الْعَمَلِ، أَوْ أَصَابَتْهُ آفَةٌ مِنَ الآفَاتِ، أَوْ كَانَ غَنِيا فَافْتَقَرَ، وَصَارَ أَهْلُ دِينِهِ يَتَصَدَّقُونَ عَلَيْهِ، طَرَحْتُ جِزْيَتَهُ، وَعِيلَ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَعِيَالُهُ مَا أَقَامَ بِدَارِ الْهِجْرَةِ وَدَارِ الإِسْلَام"[1].

وروي أنّ الإمام عليّاً مرّ بشيخ مكفوف كبير، يسأل النّاس، فقال: مَا هَذَا؟ قالوا: يا أمير المؤمنين، نَصْرَانِيّ، فقال: " استعملتموه (أي أخذتم مِنْهُ الْجِزْيَة) حَتَّى إِذَا كَبِرَ وعَجَزَ، منعْتمُوه، أنْفِقُوا عَلَيْهِ من بيتِ المال"[2].

ونجد المعنى ذاته فِي كِتَابَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدِيّ بْنِ أَرْطَاةَ[3]: وَانْظُرْ مِنْ قِبَلِكَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، قَدْ كَبِرَتْ سِنُّهُ، وَضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَوَلَّتْ عَنْهُ الْمَكَاسِبُ، فَأَجْرِ عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مَا يُصْلِحُهُ...، وَذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ مَرَّ بِشَيْخٍ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ يَسْأَلُ عَلَى أَبْوَابِ النَّاسِ، فَقَالَ: مَا أَنْصَفْنَاكَ، أَنْ كُنَّا أَخَذْنَا مِنْكَ الْجِزْيَةَ فِي شَبِيبَتِكَ، ثُمَّ ضَيَّعْنَاكَ فِي كِبَرِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَجْرَى عَلَيْهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ مَا يُصْلِحُهُ[4].

ويرى الإِسْلَام أنّ لأعراض أهل الكتاب وأموالهم حرمة، مثل مَا يراه لأعراض الْمُسْلِمِينَ وأموالهم، فَإِنَّ الإمامَ عليًّا - بعدَما سمع إِغارةَ خيلِ معاوية

1 - أَبُو يوسف: **الخراج**، ص 157، 144.

2 - الطوسي: **تهذيب الاحكام** 6 / 293؛ الحر العاملي: **وسائل الشّيعة** 66/15.

3 - الفزاري، والي الْبَصْرَةِ سنة 99هـ/ 718م. زامباور: **معجم الاسرات الحاكمة** 63.

4 - أَبُو عبيد: **الأموال**، ص 57

عَلَى الأنبار، وتعرّضَهم لنساء الْمُسْلِمِينَ، ولنساءِ أهل الذِّمَّة- قَالَ: "ولقد بلغني أنّ الرّجل مِنْهُمْ، كَانَ يدخلُ عَلَى المرأة الْمُسْلِمة، والأُخْرَى المعاهدة، فينتزِع حجلَها وقُلبَها وقلائدَها ورعاثَها[1]، مَا تمنعُ مِنْهُ إلاّ بالاسترجاع[2] والاسترحام..."[3]

وَفِي جواز الصّدقة عَلَى فقرائهم، تدل عليه رواية سَعِيد بْن الْمُسَيّب: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ "تَصَدَّقَ صَدَقَةً عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَهِيَ تُجْرَى عَلَيْهِمْ"[4]. ونستفيد هذا المعنمن رِوَايَة عمرو بن أبي نصر قَالَ: "قلت لأبي عبد الله الصّادق: إنَّ أهلَ السّواد يقتحِمون عَلَيْنَا، وفيهم اليهودُ والنَّصَارَى والمجوس، فنتصدّق عَلَيْهِمْ، فقال: نعم "[5]. توسع الإسلام في جواز الصدقة والصِلة الى أبعد من أهل الذمة، وهم رعايا الدولة، الى فقراء المشركين في دار الحرب، فقد بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ خَمْسَ مائَةِ دِينَارٍ إِلَى مَكَّةَ حِينَ قَحَطُوا، وَأَمَرَ بِدَفْعِ ذَلِكَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ وَصَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ، لِيُفَرِّقَا عَلَى فُقَرَاءِ أَهْلِ مَكَّةَ[6].

من أحكام أهل الذِّمَّة

- أكل طعامهم: يحلُّ للمسلم أكلُ طعامِ وذبائح أهل الكتاب، مِمَّا هُوَ جائز للمُسْلِمِينَ مثلُه، كالبقر والدّجاج ونحوه، ويُحَرَّمُ كلُّ مَا هُوَ حرام فِي الإِسْلَام، كالخنزير

---

[1] - الحجل- بالكسر: خلخالها . والقلب- بالضَّم: سوارها . والرّعاث، جمع رعثة- بالفتح ويحرك: كل معلاق كالقرط والشّنف ونحوه فِي آذان أَوْ قلادة. الخليل: **العين** (قلب)، (رعث).

[2] -الاسترجاع: ترديد الصّوت فِي البكاء، استَرْجَع الرّجُل عِنْدَ المصيبة: قَالَ: إنّا لله وإنا إلَيْهِ راجعون. الخليل:م. ن. 126/1 (رجع).

[3] - الشّريف الرّضي (ت405هـ) **نهج البلاغة – خطب الإمام عليّ**، شرح: مُحَمَّد عبده، (دار الذخائر، قم، ايران 1412هـ) 69/1؛ المنتظري: **دراسات فِي ولاية الفقيه والدولة الإسلاميّة** 723/2.

4 - ابو عبيد: **الأموال**، ص 728.

5 - الكليني: **الكافي** 4 /14.

6 - السرخسي: **شرح السير الكبير**، ص 96.

والخمر، والدّليل قوله تعالى {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ} (المائدة5). ويُشترط أنْ تُذْبَحَ وتُذَكَّى ذكاةً صحيحة، ولا حاجةَ للسؤال عَنْ ذَلِكَ، إِذَا كَانَ غالبُ وظاهرُ حالِهم أَنَّهُمْ يذبحون ذبحًا صحيحًا، ويُشترط -أَيْضًا- أَلَّا يكون ذُبِحَ لمناسبة دِينِيَّة أَوْ لعيد، أَوْ فِي كَنَائِسهم وبِيَعهم عَلَى أنصابهم[1].

- طهارة الكِتَابِيّ: رَوَى الدّارَقُطْنِيُّ: عَنْ عُمَرَ أَنَّهُ تَوَضَّأَ مِنْ بَيْتِ نَصْرَانِيٍّ فِي حُقٍّ نَصْرَانِيَّةٍ[2]. وَفِي صحيحة عبد اللَّه بن سنان، قَالَ: سأل أَبِي أبا عبد اللَّه الصّادق، وأنا حاضر، إِنّي أُعِيرُ الذِّمّيّ ثوبًا، وأنا أعلمُ أَنَّهُ يشربُ الخمرَ، ويأكلُ لحمَ الخنزيرِ، ثُمّ يرُدُّه عليَّ، فأغسلُه قبْلَ أنْ أُصَلِّي فِيهِ؟. فقال أَبُو عبد اللَّه: "صلِّ فِيهِ ولا تغسلْه من أجلِ ذَلِكَ، فإنّك أعرْتَهُ إيّاه وَهُوَ طاهرٌ، وَلَمْ تَسْتَيْقِنْ أَنَّهُ نجّسَهُ، فلا بأس"[3].

- الصّلاة فِي الكَنِيسَة: سئل الإمام الصّادق عَنْ الصّلاة فِي البيع والكَنَائِس، فقال: صلِّ فِيهَا، قَدْ رأيتُها مَا أنظفَها. قيل: أَ يُصَلِّي فِيهَا، وإن كَانُوا يُصَلُّون فِيهَا؟ فقال: نعم، أَمَا تقرأ القُرآن: { قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدى سَبِيلًا} (الاسراء٨٤)، صَلِّ إِلَى القِبْلَةِ ودَعْهُمْ[4]. وَقَالَ-أَيْضًا: "لا بأسَ بالصّلاةِ، فِي البيعةِ والكَنِيسَةِ، الفريضةِ والتّطوُّع"[5].

فِي رِوَايَة إِسْمَاعِيلَ بْنِ رَافِعٍ، قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَؤُمُّ النّاسَ فِي كَنِيسَةٍ بِالشّامِ[6]. وممَّنْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى فِي كَنِيسَةٍ أَبُو مُوسَى، وَرَخَّصَتْ طَائِفَةٌ أَنْ يُصَلَّى فِي الْكَنَائِسِ والْبِيَعِ، مِنْهُمْ: الْحَسَنُ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالنَّخَعِيُّ، وَالْأَوْزَاعِيُّ،

---

1 - وسيم فتح الله: **الوجيز في أحكام أهل الذمة**، ص11 .

2 - القرطبي: **تفسير** 6/ 78، 44/13 .

3 - الطوسي: **التهذيب** 2 / 361، **الاستبصار** 1 / 392 .

4 - الحر العاملي: **هداية الأمة إلَى أحكام الأئمة** 2/ 166؛ وقارن الكليني: **الكافي**388/3.

5 - الحر العاملي: م. ن. 2/ 166؛ البحراني: **الحدائق النّاضرة** 233/7.

6 - ابن أبي شيبة (ت235هـ): **المصنف** 1/ 423.

وَسَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، ودليلُ جَوازها دُخُولُهَا فِي جُمْلَةِ قَوْلِ الرّسول: "جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا"[1]. وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ رَخَّصَ أَنْ يُصَلَّى فِي الْبِيَعِ إِذَا اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ[2]. فِي حِين اتفقَ الْمَالِكِيَّةُ الْحَنَفِيَّةَ وَالشّافِعِيَّةَ عَلَى كراهة الصّلاةِ فِي الْكَنِيسَةِ إِلَّا إِذَا دَخَلَهَا مُضْطَرًّا غيرَ مُختار[3].

- الزواج مِنْهُمْ: الْمُسْلِم يجوز لَهُ الزواجُ من كِتَابِيّة يَهُودِيَّة، أَوْ نَصْرَانِيّة، بشرطِ العِفَّة والإِحْصَان، عَلَى الصّحيح، بدليل قوله: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ} (المائدة5) ولا يحلُّ للمُسلِمَةِ أنْ تَنْكِحَ غَيْرَ الْمُسْلِم.

- البيع والشّراء: الأصلُ فِي المعاملاتِ الحِلُّ، فلا بأسَ فِي البيع والشّراءِ من الكِتَابِيّ، مَا لَمْ يَكُنْ شيئًا مُحَرَّمًا، كلحم خنزير، أَوْ خَمْر، أَوْ يُفضي إِلَى مُحَرَّم، كبَيْعِهِمْ السّلاحَ فِي وَقْتِ الفِتْنَة، بحيث قَدْ يستعملونَه ضدَّ الْمُسْلِمِينَ، والدّليلُ عَلَى ذَلِكَ عموم قوله تعالى {وَأَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا} (البقرة275).

- عيادة مريضهم: تجوز زيارةُ مريضِهم، إِذَا كَانَتْ تألفاً لقلوبهم، وإظهاراً لأخلاق الإِسْلَام وسماحته، دُونَ مداهنةٍ فِي الدّين، أَوْ إقرارٍ لَهُمْ عَلَى باطل، أَوْ تزلُّفٍ لِذي جاه، أَوْ منصب، وَفِي رِوَايَةِ أنس، قَالَ:" كَانَ غلامٌ يهوديّ يخدم النّبيَّ - صلى الله عَلَيْهِ وسلم- فَمَرِضَ، فأتاهُ النّبيّ يعودُه، فقعدَ عِنْدَ رأسه..."[4]

هَكَذَا نَرَى أَنّ حُقُوقَ أهلِ الذِّمَّةِ شغلتْ حيّزًا واضحًا فِي الشّريعة الإِسْلَاميّة وما اشترعَهُ الفقهاء، عَلَى نحوٍ يكشفُ عَنْ كبيرِ اندماجِهم فِي المُجْتَمَع الإِسْلَاميّ، وعميقِ تفاعلِهم فِيهِ، وحسْبُنا أنْ نستخلصَ هَذِهِ العلائقَ من الاخبار

---

[1] - البخاري: **الصّحيح** 74/1؛ مسلم: **الصّحيح** 370/1.

[2] - مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم النّيسابوري (ت 319هـ): **الأوسط فِي السّنن والإجماع والاختلاف** 2/ 194.

[3] - **الموسوعة الفقهية الكويتية** 27/ 114.

4 - البخاري: **الجامع المسند الصّحيح** 94/2؛ ابن حزم الظاهري: **المحلى بالآثار** 403/3

النّصْرَانِيَّة، ونستقي من "شهادة (عيثويابه) الَّذِي تولى كرسي البِطْرِيَرْكية سنة (26- 36ه/ 647- 657م) إِذْ كتب يَقُول: "إنَّ الْعَرَب الَّذِينَ مَكَّنَهُم الرَّبُّ مِنَ السّيطرةِ عَلَى العالم يعاملوننا كَمَا تعرفون، أَنَّهُمْ ليسوا بأعداء للنَصْرَانِيّة، بَلْ يمتدحون ملّتنا، ويوقرون قِسّيسينا وقدّيسينا، ويمدون يد المعونة إِلَى كَنَائِسنا وأديرتنا". والظّاهر إنَّ الاتفاقَ الَّذِي تمَّ بَيْنَ عيثويابه وَبَيْنَ الْعَرَب كَانَ من صالح النَّصَارَى، فَقَدْ نصّ عَلَى وجوب حمايتهم من أعدائهم، وألا يُحْمَلُوا قسرًا عَلَى الحرب من أجل الْعَرَب، وألا يُؤْذُوا من أجلِ الاحتفاظِ بعاداتِهم ومُمَارَسَةِ شعائِرهم، وألَّا تزيدُ الْجِزْيَةُ المجباةُ مِن الفقيرِ عَلَى أربعةِ دراهمَ، وأنْ يُؤْخَذَ مِن التّاجرِ والغنيّ اثْنَا عَشَرَ دِرْهَمًا، وإذا كَانَتْ أَمَةٌ نَصْرَانِيّةٌ فِي خدمةِ مُسْلِمٍ، فَإِنَّهُ لا يحقُّ لسيّدِها أنْ يُجْبِرَها عَلَى تركِ دينِها، أَوْ إهمالِ صلاتِها، والتّخلّي عَنْ صيامِها"[1].

يتفق من كتبوا عن الإسلام من المفكرين الغربيين المحايدين على أنَّ التسامح مكوّنٌ أساسٌ من طبيعة الإسلام، فكرةٌ استُلْهِمَتْ من عشراتِ الآياتِ من القرآن والمئات من الأحاديث، التي تأمر بالعفو والمغفرة والحلم والصبر على الأذى ومقابلة الإساءة بالإحسان، وكانَ من الطبيعيّ أنْ يظهرَ أثرُ هذا التسامح في التعاملِ الإنسانيّ مع الشعوبِ المغلوبةِ، والقدرةِ على التعايشِ الإيجابيّ مع الآخرِ، إذْ بقيتْ الأقلياتُ المغايرةُ للمسلمينَ في الدينِ تتمتَّعُ بما يشبهُ الحكمَ الذاتيَّ، فكانتْ هذه الأقليات تستقلُّ بوضعِ قوانينِها وبقضائِها، واستثنيت من القانون الجنائي العام في الأمور التي لا تعدُّ محرّمةً في دينِ الأقليَّةِ .

ولعلَّ أُسلوبَ التسامح كانَ لهُ دورٌ في اجتذابِ الآخرِ الدينيّ، وجعلِه يقتنعُ بأنَّ الإسلامَ الذي وضعهُ على خارطةِ المساواة، يمكنُ انْ يعتنقَهُ، فهو أحدُ العواملِ المؤثرةِ التي إتّبعها المنهجُ الاسلامي. يقول ول ديورانت[2]: "على الرغمِ من

1 - آرثر ستانلي تريتون: **أهل الذمة في الإسلام**، ص 158 – 159

2 - قصة الحضارة 5 / 133 .

خطَّةِ التسامحِ الدينيِّ التي كانَ ينتهجُها المسلمونَ الأوَّلُونَ، أو بسببِ هذه الخطَّةِ إعتنقَ الإسلامَ معظمُ المَسِيحِيِّينَ، وجميعُ الزرادشتيينَ والوثنيينَ إلا قليلاً منهم، وكثيرٌ من اليهود".

الفصل الرابع

التّعَايُشُ الإِسْلَامِيّ الْمَسِيحِيّ فِي الْمُجْتَمَعِ الواحد وأثرُه الحضاريُّ

إنّ التّغلغل في فهم العواطف والمشاعر الإنْسَانيَّة يفسّر كثيرًا من المواقف الغامِضَة، لقد رأينَا الْمُسْلِمِينَ فِي مَكّة، يتَحَمّسُونَ للنَصْرَانِيّة فِي صراعها مَعَ المَجُوسِيّة، ويحزنون لانكسارِ الرّوم أمامَ الفرس، مَعَ أنَّ الإِسْلَام لَمْ يكنْ قَدْ اتصل بَعْدُ بالنَّصَارَى اتصالًا يُسَوِّغُ هَذَا الحَمَاسَ، لَكِنّهُ الشّعُورُ الطّبيعيُّ الوحيد، الَّذِي يُنْتَظَر من الرّجل المُخْلِص لدينِه، فالمُسْلمون أصحابُ كتابٍ يدعو إلَى التّوحيد، والنَّصَارَى أهل كتاب[1]، وهل هَذِهِ بذرات تنظيرية وتطبيقية؟ لتأسيسٍ للإندماجِ من دونِ احتواءٍ، أَوْ إقصاء.

مَعَ أنَّ القُرْآن وَضَعَ لَبِنَاتِ العَلاقَةِ الإيجَابِيَّة مَعَ غيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وخصّ الْمَسِيحِيّينَ بالمَوَدَّة، وَأَنّهُمْ أجدر بالتّقارب. وزادتْ اقوالُ ومُمَارَسَاتُ الرّسول مُحَمَّدٍ- فِي نَجْرَان وغيرِها- مِنْ وشائجِ العلاقةِ مَعَ الْمَسِيحِيّينَ، وَكَذَلِكَ مسالكُ الخلفاءِ الرّاشِدِينَ السّمحةُ، فَقَدْ رفع عمرُ بن الخطَّاب الْجِزْيَةَ عَنْ قبيلةِ تَغْلُبَ الْعَرَبِيّةِ، وتفاعلَ الإمامُ عليٌّ مَعَ الْمَسِيحِيّينَ فِي نَجْرَانيَّة الكوفة، ورعَى فقراءَهم،

1 - مُحَمَّد الغزالي السّقا (ت 1416هـ): **فقه السّيرة**، ص 248.

وذكر الْمَسِيحَ تأسّيًا بِه، فِي إحدَى خطَبِهِ فِي مسجِدِ الكوفة[1]:" وإنْ شِئْتُ، قلتُ فِي عِيسَى بنِ مَرْيَمَ- عَلَيْهِ السّلام: فَلَقَدْ كَانَ يتوسَّدُ الحجرَ، ويلبَسُ الخشِنَ، ويأكُلُ الجَشِبَ. وَكَانَ إدامَه الجوعُ، وسراجَه باللّيلِ القمرُ، وظلالَه فِي الشّتاء مشارقُ الأرض ومغاربُها، وفاكهتَه وريحانَه مَا تُنْبِتُ الأرضُ للبهائِمِ. وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زوجةٌ تَفْتِنُهُ، ولا ولَدٌ يُحْزِنُه، ولا مالٌ يَلْفِتُه، ولا طمعٌ يُذِلُّهُ. دابَّتُه رجْلاه، وخادمُه يداه". ومما يبدو أنّ هَذِهِ المعطياتِ جميعًا، حفَّزَتْ النّسيجَ الاِجْتِمَاعِيَّ، سُدًى ولُحْمَةً، عَلَى التآزرِ والتّمازجِ فِي ظِلِّ الدَّولَةِ العَرَبِيَّة المتَّشحةِ بالإسلام.

من معالم القَرْن الأوَّل الهِجْرِيّ/ السّابع الميلادِيّ، أنّهُ منبتُ بذرة العَلاقَاتِ الإِسْلَامِيّةَ الْمَسِيحِيّةَ، ونمّاها وجسّدَها فِي مسارِها التّاريخِيّ والْحُقُوقِيّ، وظَلَّ عنوانًا شاخِصًا فِي ذاكرتِها، "ولقدْ ثبَتَ أنَّ الزمنَ الإِسْلَامِيَّ، الّذِي استُهِلّ فِي القَرْن السّابع، هُوَ الّذِي وسَمَ وَعْيَ الْمَسِيحِيّينَ القاطنينَ فِي الشّرْق، وأثّر فِي بناءِ هُوِيَتِهِمْ الثّقافِيّة، وصياغةِ مقولاتِهم وأحكامِهم، وانتظام مسلكهم. ومنذ القَرْن السّابع أحسَّ هَؤلَاءِ الْمَسِيحِيّون، وما انْفَكُّوا يُحِسّون فِي أعماقِ تبصرِهم اللَاهُوتِيّ، أنّهُمْ مُنْتَمُونَ إلَى الشّرقِ، الّذِي غَدَا شرقَ الدّينِ الإِسْلَامِيّ، وشرقَ الثّقافةِ الْعَرَبِيّة"[2].

نَشَطَ قِسْمٌ من علماءِ أهْلِ الكِتَابِ، من بَعْدِ انْدِمَاجِهم فِي المُجْتَمَع الإِسْلَامِيّ فِي بَثّ مَا لَدَيْهِمْ من مُرْتَكَزَات ثَقافِيّة، من خِلَالِ رِوَايَة أخبارِ الحَضَارَاتِ الدّينِيَّة السّالِفَة، وبِخَاصَّة اليَهُودِيَّة والْمَسِيحِيَّة مِنْهَا، "فتَمَكَّنَ كَعْبُ بن ماتِع اليهوديّ المُلَقَّبُ بـ"كعبِ الأَحْبَارِ"، و تميمُ الدّارِيُّ الرّاهبُ النَصْرَانِيُّ، فِي رِوَايَةِ أحاديثَ كثيرةٍ باسمِ الإِسْلَامِ، فروى عَنْهُمَا بعضُ مشاهيرِ الصّحابَةِ، نحو:

---

[1] - الشّريف الرّضي: **نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ**، 58/2 .

2 - مشير باسيل عون: **الفكر العَرَبِيّ الديني المسيحيّ** (دار الطليعة، بيروت، 2007) ص49.

أنس بن مالك، أبو هريرة، عبد الله بن عمر، عبد الله بن الزبير، معاوية، عبد الله بن عباس، ونظرائهم من الصّحابة والتّابعين"[1].

1- الجدال والحوار الدّينيّ:

إنَّ الإستقرارَ الاجْتِمَاعِيَّ والإقتصاديَّ، الحاصلَ فِي البُلْدَانِ المفتوحة، وَلَّدَ- لَدَى الجماعاتِ الدّينيَّةِ- استقرارًا نفْسِيًّا، تَوَجَّهُوا خِلَالَه إلَى إعادَةِ البُنَى الفِكرِيَّةِ الدّينيَّةِ وتنظيمِها، لِتَتَوافَقَ مَعَ المرحلةِ وَقْتَذَاك، فنلحُظُ اللقاءاتِ بَيْنَ أئمةِ الدِّيَانَاتِ وعلمائِها من الشّيوعِ بمكانٍ، وأنَّ نقلَ جلساتِهم طفقَ يتداولَها أهلُ الأخبارِ، وإنْ كَانَتْ بالرِوَايَةِ الإسْلَاميّةِ، إلَا أنَّها تدُلُّ -بوضوحٍ- عَلَى تسامِي الْحُرِّيّاتِ الدّينيَّةِ، والارتقاءِ بالجدلِ الدّينِيّ إلَى أعْلَى مستوياتِه، قدْ أخذَ مأخذَه.

وَكَانَ الرّسول مُحَمَّد يَقْصِدُ أصحابَ الدِّيَانَاتِ، ليُجادِلَهُم، ففي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ[2]: أَتَى رَسُولُ اللَّهِ "بَيْتَ الْمِدْرَاسِ"، فَقَالَ: "أَخْرِجُوا إِلَيَّ أَعْلَمَكُمْ"، فَقَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا[3]، فَخَلَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ، فَنَاشَدَهُ بِدِينِهِ، وَبِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِن آياتٍ وبيناتٍ.

كثيرًا مَا كَانَ كِبارُ الأَسَاقِفَةِ يجالسّونَ الخليفةَ، وأنّ الخليفة الرّاشِديَّ نسخَ التّحيّةَ بالسّجودِ، الَّتِي غَلَبَتْ عِنْدَ ملوكِ الفُرْسِ والرُّومِ. فِي رِوَايَةِ سماك بن هانيء[4]

1 - الطوسي: **الخلاف** 1/ 30؛ ابن أبي حاتم: **الجرح والتعديل** 7 /161؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** 1 / 511، 8 /438.

2 -ابن سعد: **الطبقات الكبرى** 1/ 164؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 3/ 418.

3 - عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَّا الْأَعْوَرُ، أَوْ ابن صور الإسرائيلي، مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ ابْنُ الفِطْيَوْنِ، من أحبار اليهود بالمدينة، ولَمْ يَكُنْ بِالْحِجَازِ فِي زَمَانِهِ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِالتَّوْرَاةِ مِنْهُ،. ابن هشام: **السّيرة** 1/ 514؛ ابن حجر: **الإصابة** 115/4.

4 - القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** 6/ 327.

قَالَ:" دخلَ الجاثليقُ عَلَى عليّ بن أبي طالب، أمير المؤمنين، فأرادَ أنْ يسْجُدَ لَهُ، فقال لَهُ عليّ: إسجُدْ للهِ، ولا تَسْجُدْ لِي". وَهَذَا يشَجّعُ -بالضَّرورةِ- عَلَى التّلاقِي والتّلاحُقِ بَيْنَ أصحابِ الدّيَانَاتِ، ورؤوسِ الأَسَاقِفَةِ، مَعَ الزعَامَةِ الدّينِيَّةِ والسياسيَّةِ لدولةِ الإِسْلَام، وَبِحَسَبِ الغزالي[1]: أَنَّ أُسْقُفَ نَجْرَان كَانَ يدخل عَلَى الإمام عليّ، ويأخذان فِي تداول العِظَةِ.

وتتجسد ملامح التَّسَامُحِ الدّينِيّ، فِي فتح باب الجِدَال حول المُشْتَرَكات الدّينِيَّة، مثل مسألة "الفرقة النّاجية" فِي الأَدْيَان، من رِوَايَة أَبِي الصّهْبَاءِ الْبَكْرِيّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَقَدْ دَعَا "رَأْسَ الْجَالُوتِ"[2] وَأُسْقُفَّ النَّصَارَى، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ أَمْرٍ وَأَنَا أَعْلَمُ بِهِ مِنْكُمَا، فَلَا تَكْتُمَانِي، يَا رَأْسَ الْجَالُوتِ، أَنْشُدُكَ اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، وَأَطْعَمَكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، وَضَرَبَ لَكُمْ فِي الْبَحْرِ طَرِيقًا، وَأَخْرَجَ لَكُمْ مِنَ الْحَجَرِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ عَيْنًا، لِكُلِّ سِبْطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَيْنٌ، إِلَّا مَا أَخْبَرْتَنِي عَلَى كَمِ افْتَرَقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مُوسَى؟ فَقَالَ لَهُ: وَلَا فِرْقَةً وَاحِدَةً، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَقَدِ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً. ثُمَّ دَعَا الْأُسْقُفَّ فَقَالَ: أَنْشُدُكَ اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ الْإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى، وَجَعَلَ عَلَى رَحْلِهِ الْبَرَكَةَ، وَأَرَاكُمُ الْعِبْرَةَ، فَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ، وَأَحْيَا الْمَوْتَى، وَصَنَعَ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ طُيُورًا، وَأَنْبَأَكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ، وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، فَقَالَ: دُونَ هَذَا أَصْدُقُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: عَلَى كَمِ افْتَرَقَتِ النَّصَارَى بَعْدَ عِيسَى مِنْ فِرْقَةٍ؟ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَا فِرْقَةً، فَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَقَدِ افْتَرَقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَأَمَّا أَنْتَ يَا يَهُودِيُّ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (الأعراف 159) فَهِيَ الَّتِي تَنْجُو. وَأَمَّا

1 - أَبُو حامد، (ت505هـ): **مقامات العلماء بَيْنَ يدي الخلفاء والامراء**، ص65.

2 - بَعْدَ أَنْ تفرقت اليهود فِي البلاد ولم تعد لَهُمْ بعد ذَلِكَ رياسة يعتد بِهَا، وصار مِنْهُمْ بالعِرَاق وتلك النّواحي جماعة، وكانوا يرجعون إِلَى كبير مِنْهُمْ، فصار اسم ذَلِكَ الكبير الَّذِي يرجعون إِلَيْهِ رأس الجالوت. أَبُو الفداء: **المختصر فِي أخبار البشر** 88/1.

أَنْتَ يَا نَصْرَانِيُّ فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ} (المائدة 66) فَهِيَ الَّتِي تَنْجُو، وَأَمَّا نَحْنُ فَيَقُولُ: {وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} (الأعراف181) وَهِيَ الَّتِي تَنْجُو مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ[1].

وَفِي صدر الإِسْلَام، ولاسِيَّمَا فِي حقبة مَا بعد الْفُتُوح، حَيْثُ تجسَّدَ التّلاقي والتّقارب بَيْنَ أبناء الإثنيات واللغات والدِّيَانَات عَلَى اختلافها، ليُعَمِّقَ أنماطَ العَلاقَات الإنْسَانِيَّة، ويصهرَها فِي بودقةِ الدّولة الجديدة، ليتعززَ التّعَايُشُ والارتقاءُ فِي تَحْقِيقِ الأهدافِ المُشْتَرَكة.

لَعَلَّ أوّلَ مَا طَفَقَ هُنَالِكَ مِن إحتكاكٍ دِينِيّ ملحوظٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيِّينَ، حِينَ أخذوا يتجادَلون ويتحاجُّون فِي العقائد، فِي تأصيل الحوارِ الإِسْلَامِيِّ الْمَسِيحِيِّ، عَلَى قاعدةِ {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالتِي هِيَ أَحْسَنُ} (النّحل125). ولَيْسَ أدَلُّ عَلَى ذَلِكَ مِن مَا تمخَّضَ عَنْ "يحيى الدّمشقي" وَهُوَ ابن سرجون، وَقَدْ عُرِفَ بـ "القديس يوحنا الدّمشقي" (ت: قبل125هـ/ 743م) من تأليفِ رسالةٍ عَلَى منهج السّؤال والجوابِ، بصيغةِ: "إِذَا قَالَ لك الْعَرَبِيّ كذا، فأجبه بكذا"[2]، لَعَلَّه كتاب" فضائل النّصْرَانِيَّة"[3].

ويَظْهَرُ من هَذَا المُؤَلَّفِ ومثيلِه- بحَسَبِ اوليري Oleary[4]- أنَّ ثَمَّةَ حُرِّيَّةً عظيمةً للنقاش الدّينِيّ فِي مطلع القَرْن الثّامن، وأنَّ الْمَسِيحِيِّينَ قَدْ سُمِحَ لَهُمْ أنْ يَنْقِدُوا الدّينَ الرّسمي بكلِّ حُرِّيَّة. ونتيجةً للمُشْتَرَكاتِ بَيْنَ الدّينيّن، وللإخْتِلاطِ

1- المَرْوَزِي، (ت 294هـ) **السّنَّة**، (مؤسسة الكتب الثّقافِيّة، بيروت، 1408هـ) ص 23.

2 - أحمد أمين: **فجر الإسلام**، ص 134.

3 - أَبُو زهرة: **تاريخ المذاهب الإسلاميّة**، 2/ 102؛ بروكلمان: **تاريخ الأدب العَرَبِيّ**، 1/ 256. سعيد أيوب: **معالم الفتن** (مجمع احياء الثّقافة الإسلاميّة، قم، 1416هـ) 246/1.

4 - **مسالك الثّقافة الإغريقية إلَى العرب**، ص 212.

الاِجْتِمَاعِيّ الإِسْلَامِيّ الْمَسِيحِيّ، جعلَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صِلَةٍ بمعلوماتِ اللاهوتِ الْمَسِيحِيّ، والتّعرف عَلَى مبادئ الفَلْسَفَة الإغريقية.

لا شكَّ، إنَّ لإتاحةِ فُسْحَةٍ من الْحُرِّيَّة الفِكرِيَّة، يكونُ مُسَوِّغًا لغير الْمُسْلِمِينَ بأنْ يعرضوا آراءَهم دُونَ خوفٍ، أَوْ تردّدٍ، بَلْ وأنْ يضْطَلِعوا بدَوْرِهم فِي بناءِ الدَّولَة العَرَبِيَّة وحضارتها. فقال الأعشى:

إستأثر اللهُ بالوفاءِ وبالعدل ووَلّى الملامةَ الرّجلا

قيل كَانَ قدَرِيًّا، وسأل أَبُو الفرج: فمن أينَ أخذَ الأعشى مذهبَه؟، قيل: من قِبَلِ العبَّاديّين، نَصَارَى الحِيرَة، كَانَ يأتيهم يشتري مِنْهُمْ الخمر، فلَقَّنُوهُ ذَلِكَ[1].

فِي العصر الأُمَوِيّ ظهرت حركات دِينِيَّة فَلْسَفِيَّة عديدة غَلَبَ عَلَيْهَا اسْمُ الفِرَقِ، وبِحَسَبِ حتي[2]: أنّ احتكاك الْمُسْلِمِينَ بالنَّصَارَى فِي سُورِيَةَ، أثارَ ضرْبًا من التّأمل الدّينِيّ والنّقاش الفِكْرِيّ، انتهى بظهور عدد من الفرق، أشهرها: فرقة الجبريَّة، والقدريَّة، والمعتزلة.

فِي ظِلِّ مجتمع تسودُه حياةٌ مُشْتَرَكة بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ، يتأصَّلُ التّأثرُ بالآخر فِي ما يشتمله من وعْيٍ حضاريٍّ، فأضحى المتصوفةُ الْمُسْلِمون الأوائل يستمدون التّنظيرات الْعَرَفانيَّة المتجَلِّية فِي الفكر الصّوفيّ من التأثُرِ بالرّهبانيَّة الْمَسِيحِيّة، نحو الاندماج بالذّات الإلهيَّة، ويقتدون بالتّطبيقات فِي بناء الرُّبُطِ والمقاماتِ والطّرائق الصّوفيَّة عَلَى أساس من الصّوامع. وَكَانَ المتصوفة الْمُسْلِمون فِي القَرْنيْنِ الأوَّلَيْن للإِسْلَام يختلفون إلَى النّسَّاك الْمَسِيحِيّينَ، يسألونَهم فِي العقائد

1 - **الأغاني** 9/ 133؛ وانظر: **ديوان الأعشى** 155، المرتضى: **الأمالي** 1/ 21؛ **شرح ديوان الأعشى** 233، "القصيدة رقم 35"، وورد "وبالحمد" بدلا من "وبالعدل".

2 - **تاريخ سورية**، ص114.

والحياة الرُّوحِيَّة، وأنّ عددًا من المقالاتِ الأوْلى الَّتِي وُضِعَتْ فِي الزُهْدِ الإِسْلَامِيّ، يبدو نقلًا لمَوْضُوعات مَسِيحِيّة بشيءٍ من التّوسُّع والتّصرُّف[1].

تحدّثُنَا رواياتٌ عدّةٌ عن مساحةٍ من التشابهِ بين عيسى المسيح والإمامِ عليّ، أنتجتها البيئةُ الروحيَّةُ المتعمِقةُ في التمازج الثقافيّ الموروث، وسيرةِ التألّق والإبهارِ لدَى طرفَي الشَبَهِ، فهناك أخبار تحمَّلت شَبَه عليّ بالمسيح في: علمه، وحِلْمِه، وعدله، وجملة سيرته في الناس. منها، إنَّ الإمام عليٍّ، قال: قال لي رسول الله: " إنَّ فيكَ لشَبَهًا من عيسى بن مريم، أَحَبَّتْهُ النصارَى حتى أَنْزَلَتْهُ بالمَنْزِلَةِ التي ليستْ له، وأبغضتْه اليهودُ حتى بهتَتْ أمَّه"[2]. ممّا جعل قسما من الناس يفرطون في حبّه، ويرتقون به الى التأليهِ ومرحلةِ الإستحقاق العباديّ، ولعلَّ أَوْجُهَ الشَبَهِ نَتَسَامَى، بلحاظِ التأثُّرِ بالمسيحيَّة، فقد ذهبوا بعيدا الى الشبهِ في ساعة الولادة، فأمُّ عليّ انتبذتْ داخلَ الكَعْبَةِ، مثلُ مريمَ انتبذتْ مكانًا شرقيًّا، وتكفَّلَ عليًّا النبيُّ محمَّد، مثلما تكفَّلَ مريمَ والمسيحَ زكريًّا. غيرَ أنَّ الإمامَ عليًّا ناهضَهم ونبذهم قائلا: "أَلَا وَإِنَّهُ يَهْلِكُ فِيَّ اثْنَانِ: مُحِبٌّ مُطْرِيّ يُقَرِّظُنِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ، ... إِلَّا إِنِّي لَسْتُ بِنَبِيٍّ وَلَا يُوحَى إِلَيَّ، وَلَكِنِّي أَعْمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ مَا اسْتَطَعْتُ، فَمَا أَمَرْتُكُمْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَحَقٌّ عَلَيْكُمْ طَاعَتِي، فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ"[3].

في منظور جولدتسيهرGoldziher[4]، ارتبطتْ فكرةُ الرجعةِ لـ"ابن الحنفيَّة" عند الكيسانيَّة برجعة "إيليا" وما لبثت فكرة الخلاص المهدويَّة تقترن بالمسيح المخلِّص، ولاسيَّما عند الشيعة، إذ وُصِلَ ظهورُه بنزول المسيح، وذلك لكون

1 - قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبِيّة**، ص97.

2 - ابن أبي الحديد: **شرح نهج البلاغة** 105/4؛ وقارن: احمد بن حنبل: **مسند أحمد2**/469.

3 - أحمد بن حنبل: **فضائل الصحابة** 2/ 713؛ البيهقي: **الخصائص الكبرى** 2/ 25.

4 - **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ص192؛ كامل الشيبي: **الصلة بين التصوف والتشيع**، 22/1.

المهدي ابن امرأة من نسل الحواريين، وبنهاية العالم[1]. ويحدثنا "لويس ماسنيون Louis Massignon" عن "الأمتياز الروحي" لـ"أبي الخطاب" (ت138هـ/755م)[2] الباطني، في علاقته بالإمام الصادق، يُفَسِّرُ قول الغلاة "بالتأليه والمشاركة" بما يتناغم وفكرة السيد المسيح من جانب، وللأبوة الروحية لأبي الخطاب، فيما بين الصادق وولده إسماعيل من جانب آخر[3].

نتج من مخاضات السياسة في الدين دمٌ وألم، سواء في مبتدأ المسيحيّة، وما قدمته من صلب المسيح، وقرابين الشهداء الأوائل؛ أو في مبتدأ الإسلام، وما قدمه المسلمون من الشهداء الكبار، وبخاصة العلويين، فإنّ استشهاد الواحد منهم كان يعقب استشهاد الآخر، فكان مقتل الحسين بن عليّ (61هـ/ 680م) الذي لقى مصرعه بسيوف جند الدولة، أكثر مما كان دم عليّ بن أبي طالب (40هـ/ 660م) الذي اغتاله فرد من الخوارج، كان أكثر سقيًا لبذرة التشيّع، ومن هنا تجلّى في الفكر الشيعيّ عنصر الاستناد الى "آلام الشهداء"، وهذا العنصر تحول- عند غالب الشيعة- الى أمر دينيّ محض؛ بمعنى إنّ مقتل الحسين- مثلا- كان عندهم بمثابة تمهيد الطريق الى الجنّة، فالحسين كالمسيح في: نهضته، وأهدافه الإصلاحيّة، ومقتله، وأثره الديني والاجتماعي؛ جدير هنا أن نستوعب رأي "شتروتمان"[4] الذي ينصّ على أنّهم كانوا أقرب الى النصارى في فكرة الألم

---

1 - الطوسي: **الغيبة**، ص134 .

2 - أبو الخطاب بن أبي زينب، صاحب الخطابية، فرقة تزعم أن الأئمة أنبياء محدثون ورسل الله وحججه على خلقه لا يزال منهم رسولان واحد ناطق والآخر صامت فالناطق محمد، والصامت علي بن أبي طالب، فهم في الأرض اليوم طاعتهم مفترضة على جميع الخلق، يعلمون ما كان وما هو كائن. الأشعري، أبو الحسن، علي بن إسماعيل (ت324هـ): **مقالات الإسلاميين**، (المكتبة العصرية، بيروت، 2005م) 28/1.

3 - الشيبي: **الصلة بين التصوف والتشيع**، 25/1، نقلا عن ماسنيون: شخصيات قلقة، ص8 .

4 - "الشيعة" **دائرة المعارف الاسلامية** 6408/20.

الخلاصيّ. فهو يرى إن فكرة آلام الشهداء في الاسلام ناتجة مع وجود أصداء للنصرانيّة، إذ إنَّ الإسلام قد غلب على بلاد كانت من قبل نصرانيّة، وإنّ كثيرين ممن اعتنقوه كان أجدادهم نصارى؛ ومن هنا يلحظ أنّ دوافع دينيّة خصيبة جدًّا مثل آلام الشهداء، لا يمكن أنْ تزول بظهور دين جديد كالإسلام. غير أنّي أظن أنّ تشابه الأحداث التراجيديّة، وردود الفعل العاطفيّة بإزائها، لا يمكن أنْ يعدّ موروثا اجتماعيًّا، بل هي استجابة إنسانيّة لأيّة جماعة، تفقد واحدا من رموزها، من ذوي الكاريزما الدينيّة، تتفاعل معه بإضافة تقاليد تواصل تقديسه، بخاصة عندما يتم الأمر في ظلّ أجواء سياسيّة وتوجهات طائفيّة.

لَعَلَّ بعضَ الأفكارِ، الَّتِي سرَتْ إلَى الفكرِ الإِسْلَامِيّ، حَظَتْ بتأَثُّرٍ فِي الْمَسيحِيَّة، نحو: مسألة القدر، ومسألة خلق القُرآن. فأَمَّا القولُ فِي القرآن، فَقَدْ تَزَيَّنَ فِي عقولِ أقوامٍ أَنَّهُ لَيْسَ بمخلوق، فضَاهوا قولَ النَّصَارَى فِي عيسى: أَنَّهُ لَيْسَ بمخلوق[1].

ويتضح تأثرُ الجَهَمِيَّةِ بالنصارى في أمر عيسى، في قول أحمد بن حنبل[2]:" وَذَلِكَ أَنَّ الجهميَّةَ قالوا: عيسى روحُ اللهِ وكلمتُهُ، لأنَّ الكلمةَ مخلوقةٌ، وقالتْ النصارَى: عيسى روحُ اللهِ مِن ذاتِ اللهِ، وكلمتُه من ذاتِ اللهِ. كما يُقال: إنَّ هذه الخرقةَ مِن هَذا الثوبِ، وقلنَا نَحْنُ: إنَّ عيسى بالكلمةِ كانَ، وليسَ عيسى هوَ الكلمةُ".

وَاخْتلف أصحاب الكيسانية فِي الإمام بعدَ أبى هَاشم عبد الله ابْن مُحَمَّد بن الْحَنَفِيَّة، فَمنهمْ من نقلهَا الى أبي مُحَمَّد بن على بن عبد الله بن عَبَّاس بن عبد الْمطلب بِوَصِيَّة ابى هَاشم اليه وَهَذَا قَول "الراوندية"، وَمِنْهُم "البيانية" من زعم أَن الامامة بعد أبي هَاشم صَارَت الى بَيَان بن سمْعَان، وَزَعَمُوا أَن روح الله تَعَالَى

1 - ابن الجوزي: **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** 11/ 19.

2 - **الرد على الجهمية والزنادقة**، ص 126.

كَانَت فِي ابى هَاشم ثمَّ انْتَقَلت مِنْهُ الى بَيَان، وَمِنْهُم "الحربية" من زعم ان تِلْكَ الرّوح انْتَقَلت من ابي هَاشم الى عبد الله بن عَمْرو بن حَرْب، وَادعت هَذِه الْفرْقَة إلهية عبد الله بن عَمْرو بن حَرْب[1] .

يبدو منشأ الجدل بَيْنَ الفرق الإِسْلَاميّة فِي هَذِه المسائل، يحدوه جدل سابق نشَبَ مَعَ الْمَسِيحِيّينَ، فَكَانَ القديس يوحنا الدّمشقي يسير فِي مناقشته عَلَى نمط، يشبه مَا يتقيّدُ بِهِ أنصارُ القدريّة فِي الإِسْلَام[2]، وَفِي رِوَايَة ابن عباس: " لا تموت حَتَّى تسمعَ بقوْمٍ يكذبون بالقَدَرِ، يحملون الذّنوب عَلَى العباد، اشْتَقُّوا قولَهم من قول النَّصَارَى[3].

في الشامِ إختلطَ العربُ بغيرهم أكثرَ من العِرَاق، وحيثُ بلاطُ الدولةِ، نسمع بموجةِ الترفِ في العاصمةِ، ولكننا نسمعُ فيها بمناقشاتٍ دينيّةٍ بين المسلمين والمَسِيحِيّينَ، نتيجةً لإتّصالِ الآراءِ، وبذلك تسرَّبتْ الآراءُ والمعارفُ اليونانيّةُ والمسيحيّةُ إلَى المسلمينَ بصورةٍ أوّليّةٍ في العصر الأُمويّ[4].

عَلَى أنْقاض الحِيرَة، حَيْثُ كَانَ مجتمع النّصْرَانِيَّة، و أَدْيِرَة الرّهبان السّريان تنتشر، وتبث الفكر الْمَسِيحِيّ، قامت الكوفة وَفِيهَا عِدَّةُ فرق نشأتْ وانتشرتْ، إحداها الفرقةُ الخطابيَّة، المنسوبة إلَى أبي الخطاب (ت138هـ/ 755م)[5]، وَهِيَ من فرق الشّيعة الغالية، وَقَدْ كَانَتْ تقول بإلوهة أهل البيت، ونسبتْ إِلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يعلمونَ الغيبَ عِلْمًا لَدُنِيًّا، وَأَنَّهُمْ يعلمون بكل مَا فِي الكون.

---

[1] - عبد القادر البغدادي (ت429هـ): **الفرق بين الفرق**، ص 28.

2 - قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبِيّة**، ص97.

3 - المتقي الهندي، (ت975هـ): **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، 139/1، ح665.

[4] - عبد العزيز الدوري: **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، ص9.

5 - مُحَمَّد بن مقلاص بن الخطَّاب الأسدي الكوفي البراد الأجدع . محسن الأمين: **أعيان الشّيعة** 348/2.

وبرأي بعض الباحثين[1]: أن أفكارها مستقاة من الفكر الْمَسِيحِيّ، ولا تعدو أن تكون صدى من أصدائه.

فِي القرن الثاني الهِجْرِيّ/ الثامن الميلادِيّ، بلغ الحوارُ بَيْنَ أهل الأَدْيَانِ والمِلَلِ- عَلَى مُخْتَلَفِهم- شأوًا ورُقِيًّا، وَكَانَتْ تَسَعَهُم المجالسُ فِي رَحَابَةِ أَدَبِيَّاتها، عَلَى نَحْوٍ يُثِيرُ العَجَب، مِمّا تألقت بذكرهم الأخبار فِي الآفَاقِ، فَهُم أَشْبَهُ بِحَلَقَاتِ حوار الأَدْيَان اليوم. ففي رِوَايَة "خَلَفُ بْنُ الْمُثَنَّى، قَالَ: كَانَ يَجْتَمِعُ بِالْبَصْرَةِ عَشَرَةٌ فِي مَجْلِسٍ لا يُعْرَفُ مِثْلُهُمْ فِي تَضَادِّ أَدْيَانِهِمْ وَنِحَلِهِمْ: الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ سُنِّيٌّ، وَالسَّيِّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحِمْيَرِيُّ رَافِضِيٌّ، وَصَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ ثَنَوِيٌّ، وَسُفْيَانُ بْنُ مُجَاشِعٍ صُفْرِيٌّ، وَبَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ خَلِيعٌ مَاجِنٌ، وَحَمَّادٌ عَجْرَدٍ زِنْدِيقٌ، وَابْنُ رَأْسِ الجَالُوتِ يَهُودِيٌّ، وابنُ نظيرا مُتَكَلِّمُ النَّصَارَى، وعمرو ابن أُخْتِ الْمُؤَيِّدِ الْمَجُوسِيُّ، وَرَوْحُ بْنُ سِنَانٍ الْحَرَّانِيُّ صَابِئِيٌّ، فَيَتَنَاشَدَ الْجَمَاعَةُ أَشْعَارًا، فَكَانَ بَشَّارٌ يَقُول: أَبْيَاتُكَ هَذِهِ يَا فُلانُ أَحْسَنُ مِنْ سُورَةِ كذا وكذا..." [2].

مِنْ هُنَا نَرَى أَنَّ الثَّقَافَات اليُونانِيّة والفارسيَّة والهِنْدِيّة كَانَتْ مَبْثُوثَةً بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي البُلْدَانِ الْمُخْتَلِفة، ولاسِيَّمَا فِي البصرة، حَيْثُ تَنَوُّع مجتمعُ التِّجارة حضاريًّا، وَكَانَتْ هَذِهِ الثَّقَافَات قريبةَ المنالِ من الْمُسْلِمِينَ، فأفادوا مِنْهَا وتعلَّموها من مصادرها، ونشأتْ عَلَى أثرِها فرقٌ فَلْسَفِيَّة وكلاميَّة. وليس من المستغرب أنْ يذكر بعض مُؤَرِّخي الفكر الكَلَامِيّ: أن المتكلمين الأوائل من أصحاب واصل بن عطاء (ت133هـ/ 750م) طالعوا كتبَ الفلاسِفَة[3].

مِمّا يثبت صِلَةَ علماءِ الْمُسْلِمِينَ بفَلْسَفَة اليونان فِي ال(ق1هـ/ 7م) إحتكام الْمُسْلِمِينَ العلمي، واتصالهم بآباء الكَنِيسَة فِي الشّام وما بَيْنَ النّهرين فِي أديرتهم

1 - عبد الهادي الفضلي: **أصول الحديث**، ص144.

2 - الذهبي: **تاريخ الإسلام** 4/ 40؛ الصّفدي: **الوافي بالوفيات** 13/ 89.

3 - الشّهرستاني (ت548هـ): **الملل والنّحل** 46/1.

وكَنَائِسهم، ونقاشهم لعقائد الْمَسيحِيّينَ. وَفِي ضوء الْحُرِّيَّة الدّينِيَّة والفِكرِيَّة أضحتْ هَذِهِ المراكزُ كمجامعَ عِلْمِيَّةٍ تُدَرَّسُ فِيهَا فَلْسَفَةُ اليونان، وَفِي مقدمتِها منطقُ أرسطو. وما يُؤَكِّدُ هَذَا الاتّصال، تَمَخُّضُ جدالاتٍ عقائديَّة، ذكرتْها المصادرُ السّرْيانيّة الَّتِي أرخت لفكرِ يوحنا الدّمشقي، ووجود آثار الفَلْسَفَة الرّواقيَّة فِي نقد المتكلمين الأَوَل لمنطقِ أرسطو، وأنَّ التّراجم الإِسْلَاميّة الأولى لـ"لأورجانون"[1] الَّتِي وصلتنا كَانَتْ عَلَى غرار الكتب المنطقيَّة الْمَسيحِيّة[2].

ومن مخاضِ التّأثُّر بالفكرِ اليُونانِيّ لَدَى العالمين الفِكْرِيّين الْمَسيحِيّ والإِسْلَاميّ فِي القرون الوسطى، جعلَهما عَلَى مَحَكِّ التّشَابه، إِذْ قامتْ المحاولاتُ الضَّخمَةُ فِي كِلَا المعسكرينِ؛ لإخضاع الإيمانِ للعقلِ بنفسِ وسائلِ المنطقِ والتّفكيرِ القديمِ الافلاطونيّ والأرسطيّ فِي مواجهةِ الغنوصيَّة[3].

إنّ تفهُّمَ الْمُسْلِمِينَ الحياةَ الفِكرِيَّة لَدُنِ الحَضَارَات، جعلَهم أكثرَ تنظيما، وأفضلَ إِدَارَةً للعلاقاتِ الدّينِيَّة والأخلاقيَّة مَعَ الدِّيَانَاتِ والشّعوبِ الأُخْرَى، وارتقوا فِي هَذَا المنحَى، حَتَّى أَنَّهُمْ أَضْحَوا- بحَسَبِ لوبون- أَوَّلَ من علّم العالمَ كَيْفَ تتفق حُرِّيَّةُ الفكرِ مَعَ استقامةِ الدّينِ، فهُمْ الَّذِينَ علّموا الشّعوبَ النّصْرَانِيَّة، وإن شئت فقل: حاولوا أَنْ يُعَلِّمُوها التَّسَامُحَ، الَّذِي هُوَ أثمنُ صفاتِ الإنسانِ، ولقدْ كَانَتْ أخلاقُ الْمُسْلِمِينَ- فِي أدوارِ الإِسْلَامِ الأولَى- أرْقَى كثيراً من أخلاقِ أُمَمِ الأرضِ قاطِبَة[4].

---

1 - أَوْ الأورغانون Organon: اسم أطلق عَلَى منطق أرسطو ومنهجه الصّوري. وسميت مجموعة بحوثه المنطقية اورغانون، فَكَانَ فِي نظر أرسطو القياس هُوَ صورة الاستدلال. ويكيبيديا الموسوعة الحرة (الأورغانون).

2 - علي سامي النّشار: **مناهج البحث عِنْدَ مفكري الإسلام**، ص 21.

3 - كارل هيرنش بكر: **تراث الأوائل فِي الشّرق والغرب**، ص21.

4 - غوستاف لوبون: **حضارة العرب**، ص 26، 276، 430، 566.

أسهمتْ العلومُ الدينيَّةُ الإسلاميَّة في رَفْدِ التواصلِ الثقافيّ بينَ الإسلامِ والمسيحيَّة، فقد ربطَ المفسرون- مثلًا- بعضَ الحوادثِ للمسيحيَّةِ بالتراث الإسلاميّ، ولاسيَّما ما ورد منها في القرآنِ الكريم، فرأَوا- على سبيل المثال-: أنَّ منْ اسماءِ "النَجَفِ" الرَبْوَةَ، وقد ترْجعُ الى أوَّلِ قرنٍ ميلاديّ، حيثُ آوى إليْها المسيحُ وأمُه، كما وردت في تفاسير الإماميَّة، و أخبار أهل البيت، حولَ آية {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} (المؤمنون50)، في تفسير الإمام علي: الربوة: الكوفة، والقرار: المسجد، والمعين: الفرات[1]. وفي تفسير الامام الصادق: الربوة: نجف الكوفة. والمعين: الفرات[2]. وهذا ما يجسد العلاقة ما بين الرموز المسيحية في مجتمع المدن الإسلامية، في حفاظها بالتراث المسيحيَّ، ومزجِهِ بوعْيِ التراثِ الإسلاميّ، في مُحَصِّلَةِ احتضانِ المدينة الإسلاميَّةِ لمعالمَ التاريخ المسيحيّ، لتُعَمِّقَ قِيَمَ المُشاركةِ والكلمةِ السواءِ بين مجتمعيّ الدينينِ، وتُوَثِّقَ إمتدادَ الوعْيِ التاريخيّ بينهما.

زاد تواشج التواصل الاجتماعي بين تنوُّع المجتمعات الدينيَّة في البيئة الإسلاميَّة، وَضْعُ قوانينَ ناظِمَةٍ للعلاقاتِ منْ لَدُنِ المُشْتَرَعَةِ في عِلْمِ الفِقْهِ. فَقَدْ نُظِّمَ وضعُ أهل الذِّمَّة في دار الإِسْلَام بمجموعةٍ من الأحكامِ والاجتهادات، الَّتِي توصَّلَ إِلَيْهَا الفقهاء الْمُسْلِمون، بِخَاصَّةٍ فِي الفترة مَا بَيْنَ القَرْنين الثّامن والحادي عشر للميلاد[3].

كَانَتْ الفِرَقُ الإِسْلَامِيّة المُخْتَلفةُ تَشْعُرُ، بعضُها نحوَ بعضٍ، بعداءٍ يفوق عداءَها لمن يعيش فِي البلاد الإِسْلَامِيّة من الكفرة، شأنُها فِي هَذَا شأنُ الفِرَق

(1) الصدوق: **معاني الأخبار**ص373؛ الطوسي: **تهذيب الأحكام**، 38/6

(2) الحر العاملي: **هداية الأمة إلى أحكام الأئمة**، 475/5.

3 - أليكسي جورافسكي: **الإسلام والمسيحية**، ص153.

المختلفَة فِي سائر الأَدْيَان. ولقد كَانَ أهل الذِّمَّة الْمَسِيحِيّون، والزرادشتيّون[1]، واليهود، والصّابئون، يستَمْتِعُون فِي عهد الخِلَافَة الأُمَوِيّة بدرجة من التَّسَامُح، لا نجد لها نظيراً فِي البلاد الْمَسِيحِيَّة فِي هَذِهِ الأيام. فَلَقَدْ كَانُوا أحراراً فِي مُمَارَسَة شعائر دينهم، واحتفظوا بكَنَائِسهم ومعابدهم، وَلَمْ يُفْرَضْ عَلَيْهِمْ أكثَرَ مِنْ ارْتِدَاءِ زَيّ ذِي لَوْنٍ خَاصّ، وأداءِ فُرْضَةٍ عَنْ كُلّ شَخْصٍ، تَخْتَلِفُ باخْتِلَاف دَخْله، وتتَرَاوَحُ بَيْنَ دينارٍ وأربعة دنانير (من 4.75 إلَى 19 دولاراً أمريكيًا). وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الضَّريبة تُفْرَضُ إلا عَلَى غير الْمُسْلِمِينَ القادرين عَلَى حمل السّلاح، ويُعْفَى مِنْهَا الرّهبانُ والنّساءُ والذّكورُ الَّذِينَ هُمْ دُونَ سِنّ البلوغ، والأرِقَّاءُ، والشّيوخُ، والعَجَزَةُ، والعمَى الشّديدُ، والفقرُ. وَكَانَ أهل الذِّمَّة يعفون فِي نظير هَذِهِ الضَّريبة من الخدمة العَسْكَرِيّة، أَوْ إنْ شئتَ فقُلْ: لا يقْبَلُون فِيهَا، ولا تُفْرَضُ عَلَيْهِمْ الزكاةَ، البالغَ قدرُها اثنين ونصف فِي المائة من الدّخل السّنوي، وَكَانَ لَهُمْ عَلَى الحكومة أنْ تحميهم[2].

كَانَ اليهود فِي بلاد الشّرق الأدنى قَدْ رحبوا بالْعَرَب، الَّذِينَ حرروهم من ظلم حكامهم السّابقين، إِلَا أَنَّهُمْ فِي عهدهم قَدْ فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ عِدَّةُ قيود، ولاقوا شيئاً من الاضطهاد من حِينٍ إلَى حِينٍ، غَيْرَ أَنَّهُمْ مَعَ هَذَا كَانُوا يُعاملون عَلَى قَدَمِ المساواة مَعَ الْمَسِيحِيّينَ، وأصبحوا مَرَّةً أُخْرَى يتَمَتّعون بكامل الْحُرِّيَّة فِي حياتهم، وَفِي مُمَارَسَة شعائر دينهم فِي بيت المقدس، وأثروا كثيراً فِي ظِلّ الإِسْلَام وَفِي آسية، ومَصْر، وأسبانيا، كَمَا لَمْ يثروا مِنْ قَبْل تَحْتَ حكم الْمَسِيحِيّينَ.

وَكَانَ الْمَسِيحِيّون فِي بلاد آسية الغربية، خارج حدود الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة، يمارسون شعائر دينهم بكامل حريتهم، وبقيت الكثرة الغالبة من أهل بلاد الشّام مَسِيحِيَّة حَتَّى القَرْن الثّالثّ الإِسْلَامِيّ. ويحدثنا المُؤَرّخون: أَنَّهُ كَانَ فِي بلاد

1 - لديهم "الزند أفستا" الكتاب المقدس. شاي ، بلوش: **دليل حضارات الشرق الادنى**، ص36.

2 - ديورانت: **قصة الحضارة** 4561/4.

الإِسْلَام فِي عصر المأمون أحد عشر ألف كَنِيسَة، كَمَا كَانَ فِيهَا عدد كبير من هياكل اليهود ومعابد النّار[1].

ظَلَّ الْمَسِيحِيّون أحراراً فِي الاحتفال بأعيادهم علناً، والحُجاج الْمَسِيحِيّون يأتون أفواجًا آمنين لزيارة الأضرحة الْمَسِيحِيَّة فِي فلسطين، وَقَدْ وجد الصَّلِيبِيون جماعاتٍ مَسِيحِيَّةً كبيرة فِي الشّرق الأدنى فِي القَرْن الثّاني عشر الميلادِيّ، ولا تزال فِيهِ جماعات مِنْهُمْ إِلَى يومنا هَذَا. وأصبح الْمَسِيحِيّون الخارجون عَلَى كَنِيسَة الدّولة البِيزَنْطِيَّة والذّين كَانُوا يَلْقَوْنَ صورًا من الاضطهاد عَلَى يد بطارقة القُسْطَنْطِينِيَّة، وأورشليم، والإسكندريَّة، وأنْطَاكِيَة، أصبح هَؤُلَاءِ الآن أحرارًا آمنين تَحْتَ حكم الْمُسْلِمِينَ، الَّذِينَ لَمْ يكونوا يجدون لنقاشهم ومنازعاتهم معنًى يفهمونه، ولقد ذهب الْمُسْلِمون فِي حماية الْمَسِيحِيّينَ إِلَى أبعدِ من هَذَا، إِذْ عَيَّنَ والِيُ أنْطَاكِيَةَ فِي القَرْن التّاسع الميلادِيّ حرسًا خاصًّا ليمنع الطّوائف الْمَسِيحِيَّةَ الْمُخْتَلفة من أنْ يَقْتُلَ بعضُها بعضًا فِي الكَنَائِس[2].

وانتشرت أَدْيِرَة الرّهبان وأعمالهم فِي الزراعة، وَفِي إصلاح الأراضي البَور، وَكَانُوا يتذوقون النّبيذ المعصور من عنب الأَدْيِرَة، ويستَمْتِعُون فِي أسفارهم بضيافتها، وبلغتْ العلاقةُ بَيْنَ الدّينيْنِ -فِي وقتٍ من الأوقات- درجةً من المَوَدَّة، تُبِيحُ للمَسِيحِيّينَ الَّذِينَ يضعون الصّلبان عَلَى صدورهم أنْ يؤمُّوا المساجد، ويتحدَّثوا فِيهَا مَعَ أصدقائهم الْمُسْلِمِينَ.

وَكَانَتْ طوائفُ الموظفين الرّسميّين فِي البلاد الإِسْلَاميّة تَضُمُّ مئاتٍ من الْمَسِيحِيّينَ، وَقَدْ بلغ عددُ الَّذِينَ رُقُّوا مِنْهُمْ إِلَى المناصبِ العُلْيَا فِي الدّولة من الكَثْرَةِ درجةً أثارتْ شكوى الْمُسْلِمِينَ فِي بعض العهود. فَقَدْ كَانَ سرجيوس

1 - ديورانت: م. ن . 132/13.

2 - ديورانت: م. ن. 132/13.

والدّ القديس يوحنا الدّمشقي خازنَ بيْتِ المالِ فِي عهد عبد الملك بن مروان، وَكَانَ يوحنا نفسُهُ، وَهُوَ آخرُ آباء الكَنِيسَة اليُونانِيّة، رئيسَ المجلس الَّذِي كَانَ يتولّى حكم دِمَشْقَ. وَكَانَ الْمَسِيحِيّون فِي بلاد الشّرق يرَوْنَ أَنَّ حكمَ الْمُسْلِمِينَ أخفُّ وطأةً من حكمِ بِيْزَنْطِيّة وكَنِيسَتِها[1].

توسَّعتْ الْحُرِّيَّةُ الدّينِيَّةُ فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيّ فِي المائةِ الأولى، وشَمَلتْ أَهَمَّ لُبْنَة، أَصَّلَتْ البِناءَ الاجْتِمَاعِيَّ، أَلَا وَهِيَ الأُسْرَةُ، من خِلَالِ الزواجِ مِن النَصْرَانِيّاتِ، أَوْ يَدْخُلُ الرِّجالُ فِي الإِسْلَامِ وتَبْقَى نساؤهُم عَلَى الْمَسِيحِيَّة، وَفِي كِلْتَا الحالتينِ يُمارِسْنَ دوْرَهُنّ الإِنْسَانِيَّ فِي تربيةِ أبنائِهن عَلَى القِيَمِ الدّينِيَّةِ النّاصعة، وأنشأْنَ أولاداً بلَغُوا مَدَاراتِ النّجاحِ فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيّ، وحفلتْ مصادرُ التّاريخِ والتّراثِ بذكرِهُنَّ. فَقَدْ جَاءَ قَيْسُ بْنُ شَمَّاسٍ إِلَى النَّبِيِّ، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّهُ تُوُفِّيَتْ وَهِيَ نَصْرَانِيَّةٌ[2]، وجاء أَبُو وَائِلٍ شقيقُ بن سلَمَة إِلَى الخليفة عمر، قَالَ: ماتت أُمّي نَصْرَانِيَّةً[3]. و مَاتَتْ أُمُّ الحارث[4] بنِ عبد الله بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهِيَ نَصْرَانِيَّةٌ، فشَهِدَهَا ناسٌ من أصحابِ مُحَمَّد [5]. وأمُّ أَبَانٍ[6]، نايلةُ بنت الفرافصةِ الكَلْبِيَّةِ، امْرَأَةُ الخليفةِ عثمان[7]، ونكحَ الصحابي حذيفة بن اليمان (ت36هـ/ 657م) نصرانيَّة[8]، وكَانَتْ أُمُّ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَسَدٍ القسريّ، نَصْرَانِيّة، وَقَدْ

---

1 - ديورانت: م. ن. 132/13.

2 - الخلّال: **أحكام أهل الملل والرّدة** ، ص 219؛ الخطيب البغدادي: **تاريخ بغداد** 165/10.

3 - الفسوي: **المعرفة والتاريخ** 3/ 194؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق**164/23.

4 - المعروف بـ"القباع" والي البصرة لعبد الله بن الزبير، توفي قبل 70هـ. ابن منظور: **مختصر تاريخ دمشق** 157/6؛ ابن حجر: **تقريب التهذيب** 141/1.

5 - **المعرفة والتاريخ** 3/ 123؛ **تاريخ دمشق** 441/11.

6 - من الكتّاب الأوائل للمغازي والسّير (ت105هـ). ابن منظور: م. س. 341/3.

7 - النّووي: **تهذيب الأسماء واللغات** 2/ 357.

8 - الطبري: **تفسير** 365/4.

بنَى خَالِد لأمِّه بَيْعَةً عَلَى سِكَّةِ البريدِ بالكوفةِ[1]، إِبَّانَ وِلايتِه عَلَى العِرَاق (106-120هـ/ 724- 738م) [2].

تتحصَّلُ زبدة التعايش الفكري في البلاد الإسلامية- في مفهوم روزنثال- بانَّ المدينة الإسلاميَّةَ نَمَتْ بالتوسُّع لا بالتعمُّق، داعيةً الى العقيدة، ناظرةً الى تلك المنجزات الفكريَّة القائمة آنذاك، مناقشةً إياها، ومقتبسةً ومتبنّيةً لِمَا يُسْهِم في تأصِيل حضارةٍ راقية، ونظرًا لأنّها حركةٌ روحيَّةٌ جديدةٌ، فقدْ اُضْطِرَّتْ الى عرضِ مُعتقداتِها، وفوقَ كُلّ ذلك. فبتقَدُّمِ الإسلامِ تهاوتْ الحواجزُ القديمة من اللغة والعادات، وتوَفَّرَتْ فرصةٌ نادرةٌ لجميع الشعوبِ والمدنيَّاتِ، لتبدأ حياةً فكريَّةً جديدة على أساسِ المساواة المُطْلَقَةِ، وبروح المنافسةِ الحُرَّةِ[3]. كان القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي مبدأَ الفترة التكوينيَّة، في عمليات التأصيل الحضاري، ومفتاحَ المخيالِ العربيِّ على المنجزاتِ الحضاريَّةِ الموجودةِ، وتنميتِها بما يتناسبُ مع الصبغةِ الإسلاميّة.

2- حياة الْمَسِيحِيِّينَ الاقتصاديّة والاِجْتِمَاعِيَّة والدّينِيَّةِ فِي صدر الإِسْلَام

كانت تُهَامَة لا تدين للملوك، لكنَّها لا تمتنع من تعظيم ما عظَّم الناس، فإنها تعرف نصرانيَّة النعمان وملوك غسان المشهورة في العرب، بحسب الجاحظ[4]: حين جاء الإسلام وملوك العرب رجلان غساني ولخمي، وهما نصرانيان، وقد كانت العرب تدين لهما، وتؤدي الإتاوة لهما، فكان تعظيم قلوبهم لهما راجعا إلى تعظيم دينهما. وقد كانت تتجر إلى الشام، وينفذ رجالها إلى ملوك الروم، ولها رحلة في الشتاء والصيف، في تجارة، مرة إلى اليمن، ومرة قِبَلَ

1 - البلاذري: **فتوح البلدان**، ص: 280.

2 - خليفة بن خياط: **التاريخ**، ص336.

3 - فرانز: **علم التاريخ عند المسلمين**، ص46.

4 - **الرسائل** 312/3، **المختار في الرد على النصارى**، ص 60.

الشام، ومصيفها بالطائف، فكانوا أصحاب نعمة، وذلك مشهور مذكور في القرآن وعند أهل المعرفة. وقد كانت تهاجر إلى الحبشة، وتأتي باب النجاشي وافدة، فيحبوهم بالجزيل، ويعرف لهم الأقدار. ولم تكن تعرف كسرى، ولا تأنس بهم.

كَانَ النَّصَارَى يتعاطون البيع والشّراء فِي سوق الحِيرَة[1] وَفِي أسواق جهات الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة للمقايضات وضروب المبايعات، ويتاجرون بالبز والعطر والالطّاف، وأهل الحِيرَة اشتهروا بالتّجارة، وَكَانَتْ عيرهم التّجارية (اللطائم) ترسل إِلَى مَكّة واليمن[2].

يرى المستشرق أوليري oleary[3] أَنَّ مَكّة أصبحتْ مركزًا للصيرفة يمكنُ أنْ يدفع فِيهَا التّجارُ أثمانَ السّلع الَّتِي تُرْسَلُ إِلَى بلاد بعيدة، كَمَا كَانَتْ عَمَلِيَّةُ الشّحن والتّفريغ لهذه التّجارة الدّوْلِيَّة تَتِمُّ هُنَاكَ، وَكَذَلِكَ كَانَ يتمُّ التّأمينُ عَلَى المتاجِر، وَهِيَ تَجْتَازُ الطُّرُقَ المَحْفُوفَةَ بالمَخَاطِر، وَقَدْ كَانَ يُسَاعِدُ قُرَيْشا -عَلَى تأمين تجارتها- مَا كَانَتْ تَتَمَتّع بِهِ من حُرْمَةٍ عِنْدَ الْعَرَب، وما كَانَ لها من ارْتِبَاطات مَعَ القَبَائِل الضَّاربة عَلَى طول طرق التّجارة.

يكثر تواجد النَّصَارَى فِي مَكّة، بسبب العمالة فِي التّجارة، وما توفره خدمة الحجيج من أعمال، وكانو قَدْ شَكَّلُوا مُكَوّنًا اِجْتِمَاعِيًّا، اسمه "الأحابيش"، وثَمّةَ وادٍ بَيْنَ عَرَفَات ومِنًى، يحمل اسمَ" مَوْقِفُ النَّصَارَى"[4] دليل عَلَى مساحة وجودهم.

1 - أَبُو الفرج: **الاغاني** 69/17، 370، 371.

2- **الاغاني** 62/24؛ رفائيل بابو اسحق: **تاريخ نصارى العِرَاق**، ص29

3- O'leary, "Delacy D.D.", **Arabia Before Muhammad**, London, 1927, P. 182

4 -(بَطْنُ مُحَسِّرٍ)، بكسْرِ السّين المُشَدَّدَة: وادٍ (قُرْبَ المُزْدَلِفَةِ)، بَيْنَ عَرَفَات ومِنًى. وَفِي كُتُبِ المَنَاسِكِ: هُوَ وادِي النّار. قيلَ: لأَنَّه مَوْقِفُ النّصَارَى. الزبيدي: **تاج العروس** (11/ 15).

لَعَلّ تواجدَهم فِي يَثْرِبَ يقلُّ عَنْ مَكّة، إِذْ كَانَ قدومُهم إِلَيْهَا بسببِ التّبشيرِ، وبسببِ العملِ كخَدَمٍ، أَوْ مَوالِيَ، أَوْ بسببِ عُصْبَةِ النَّسَبِ بَيْنَ الأَوْسِ والخزرجِ وغَسّانٍ النّصْرَانِيَّةِ. وَكَانَ قسمٌ كبيرٌ مِنْهُمْ عَلَى اطلاعٍ ببعضِ العلومِ والصّناعاتِ والمِهَنِ، وَكَانُوا يمارسونَ حياتَهم الدّينِيَّةَ والاِجْتِمَاعِيَّةَ بكلِّ سهولةٍ ويُسْرٍ. وَكَانَ النبط والإنباط، وهم نَصَارَى الشَّام الَّذين عمروها، وَأهل سَواد الْعرَاق[1]، لَهُمْ أسواقٌ خَاصَّةٌ لمُمَارَسَةِ أعمالِ التّجارةِ، منها في يثرب لَهُمْ سوقٌ يُدْعَى "سوقُ النّبطِ"[2]، ورُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ذَهَبَ إِلَى سُوقِ النّبَطِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَال:" لَيْسَ هَذَا لَكُمْ بِسُوقٍ"، ثُمّ رَجَعَ إِلَى هَذَا السّوق، فطاب بِهِ، فَقَال:" هَذَا سُوقُكُمْ، فَلا يُنْتَقَصُ، ولا يُضْرَبُ عَلَيْهِ خَرَاجٌ"[3].

ويرى بعض المستشرقين[4] "كَانَ للنَصْرَانِيّة تبِعَةٌ متعَدّدون فِي جَزِيْرَة الْعَرَب، فكانت مالكةً عَلَى شمالِها بدولتَي الحِيرَة وغَسّان، وعلى وسطها فِي المدينة، وعلى جنوبها بأُسْقُفيات اليمن."

وَكَانَتْ لَهُمْ مجالسُ يُحَدّثُونَ بِهَا الآخرين عَنْ أمور دينِهم. ففي زمن الرّسول كَانَ هُنَاكَ الرّاهبُ بَحِيرَا، وَكَانَ هُنَاكَ وَرَقَة بنِ نَوْفَل، و جَبْرُ النَصْرَانِيّ، أَوْ بلعَام، الَّذِي نسب إِلَيْهِ تعليم الرّسول القُرآن الكريم[5].

ظَلّتْ النّصْرَانِيَّة تمتاز بتنظيمها الدّينِيّ والسِيَاسِيّ والإِدَارَي والاِجْتِمَاعِيّ، فَكَانَ لَدَيْهِمْ "العاقبُ"، وَهُوَ أمير القوم، وصاحب الرّأي والمشورة، ثُمّ "السّيدُ"

---

1 -عياض بن موسى اليحصبي (ت 544هـ): **مشارق الأنوار على صحاح الآثار** 3/2.

2 - توفيق برو: **تاريخ العرب القديم**، ص 248.

3 - المزي (ت 742هـ): **تهذيب الكمال في أسماء الرّجال**، 20/ 369.

4 - هوتويغ درنبورغ لموسوي من أساتذة اللغات الشّرقية فِي باريس المتوفى سنة 1910. شيخو: **النّصرانيه وادابها**، ص115.

5 - ابن هشام: **السّيرة** 1/ 393.

الَّذِي يقوم بأمر القوم، ثُمَّ "الأُسْقُفُ"، وَهُوَ الحَبْرُ والإمامُ الأعظم وصاحب مدراسِهم، وبتعبير آخر: هُوَ الرّئيس الدّينِيّ.

أتى القُرآن الكريم عَلَى ذكر النَّصَارَى والْمَسِيح ومَرْيَم فِي حوالَى 117 موضعا من القُرآن متحدثا عَنْ معجزات الْمَسِيح، وعن عقائدهم، كَمَا تناول بعض خصالهم[1]، إِلَا أَنَّ وضع النَّصَارَى فِي مَكّة والمدينة، لَمْ يشكل خطرا عَلَى الدّعوة الإِسْلَاميّة، يستوجب قيام العداء والكراهية، لا، بَلْ إن القُرآن أشار إلَى قربهم من الْمُسْلِمِينَ. قَالَ: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ* وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسول تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ } (المائدة 82، 83)، فَضْلًا عَنْ تعامل الرّسول مُحَمَّد مَعَهُمْ، ووصاياه فِيهِمْ خيرًا، وعهوده لَهُمْ.

كَمَا كَانَ للنَصَارَى أعيادُهم وعاداتُهم وتقاليدُهم ولباسُهم الخاصُّ، الَّذِي يُمَيِّزُهُم عَنْ غيرهم من أهل الكتاب. فَكَانَ من أعيادهم[2]: "الفصْح" الَّذِي يخرجون فِيهِ الأعلام والرّايات والصّلبان والأجراس. فكانوا يمارسون تِلْكَ الاحتفالات بكل حُرِّيَّة وأمان. كَمَا مارَسَ النَّصَارَى عاداتِهم الدّينِيَّة[3]، نَحْوَ: الصّلاةِ، والصّومِ، والحجِّ، واستلامِ الحجرِ الأسودِ، والنّذورِ، والتّسبيحِ، والخَطابةِ، وإلقاءِ المواعِظِ، وإشعالِ المجامرِ فِي الصّوامع والجنازاتِ، واكرامِ القبورِ.

جدير بالعلم أنَّ الانتماءَ إلَى واحديَّة الأرض وقواها الطّبِيعيَّة، كَانَ وازعًا للتمازج الاِجْتِمَاعِيّ، ولاسِيَّمَا الأرضُ المَصْرية ونهر النّيل، وصلتها بالشّعب،

1 - انظر: المسيحيّة والعلاقات الدينية فِي القرآن الكريم 1-3- من هَذِهِ الدراسة.

2 - **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب** 235/12 وبعدها.

3 - **النّصرانية وآدابها** 393- 401.

أدّت دورًا مُهمًّا في توحيد المَصْريين، مُسْلِمِينَ كَانُوا، أَوْ مَسِيحِيِّينَ. لَعَلَّ جُمْلَةَ المُعْتَقَداتِ القبطِيَّةِ فِي صلواتِهم، وخصَّصُوا -لِكُلِّ فصلٍ مِن السَّنَةِ الزراعيَّةِ: الفيضانِ، الزرعِ، والحصادِ- صلاةً خَاصَّةً تُتْلَى فِي مواقيتِها، وَفِي عصرِ الإِسْلَامِ ظَلَّتْ كثيرٌ من المُعْتَقَداتِ، تُعَبِّرُ عَنْ أَهَمِّيَّةِ نهرِ النِّيلِ فِي حياة النّاس، يتشارَكُ فِيهَا الْمُسْلِمونَ والْمَسِيحيون[1].

مارس النَّصَارَى عديدًا من الأعمال[2]، الَّتِي كَانَ الْعَرَب فِي الجاهليّة، وَفِي صدْرِ الإِسْلَامِ، يأنَفُون عَنْ مُمَارَسَتِها، أَوْ لَيْسَ لَهُمْ بِهَا درايَةٌ، مِنْهَا: صناعةُ النّسيجِ، والحياكةُ، والنّجارةُ، والحدادةُ، والملاحةُ، وسكُّ النّقودِ. ولم يقتصرْ النصارى على مهنة الكتابة فحسب، بل مارسوا الطب والتجارة والصناعة، فيذكرهم الجاحظ[3] بأنَّهم: كتاب السلاطين، وفراشيّ الملوك، وأطباء الأشراف، والعطارين، والصيارفة، ممَّا عظَّمَهم في قلوب العوام"، على نحو يوحي بتحسن أحوال النصارى المالية ألمح اليه الجاحظ [4]" لم نخالف العوام في كثرة أموال النصارى، وأنّ فيهم مُلْكًا قائمًا، وأنَّ ثيابَهم أنظف، وأنَّ صناعتهم أحسنُ... فأما المُلك والصناعة والهيئة، فقد علمنا أنَّهم اتخذوا البراذين الشهريَّة[5]، والخيل العتاق، واتخذوا الجوقات، وضربوا بالصوالجة، وتحَذَّفُوا[6] المدينيّ، ولبسوا المُلْحَم[1]

---

1 - قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبِيّة**، ص 39.

2 -انظر: شيخو: **النّصرانية وآدابها** 370- 385.

3 -**الرسائل**، 316/3.

4 -**الرسائل**317/3، **المختار في الرد على النصارى**، ص 64.

5 -البرذون: الدابة. قال الكسائي: الانثى من البراذين برذونة. (الجوهري: **الصحاح** 5/ 2078). الشَّهريّةُ: ضربٌ من البراذين، وهو بينَ المُقْرف من الخَيْلِ والبِرْذَوْن. الخليل: **العين** 3/ 400.

6 - حَذَّفَهُ تَحْذِيفاً: هَيَّأَهُ وصَنَعَهُ، وَقَالَ الأَزْهَرِيُّ: تَحْذِيفُ الشَّعَرِ: تَطْرِيرُه وتَسْوِيتُه، وإذا أَخَذْتَ من نَوَاحِيهِ مَا تَسْوِيه به فقد حَذَّفْتَهُ، وَقَالَ النَّضْرُ: التَّحْذِيفُ فِي الطُّرَّة: أَن تُجْعَلَ سُكَيْنِيَّةً، كَمَا تَفْعَلُ النَّصارَى. وَفِي الأَسَاسِ: حَذَّفَ الصَّانِعُ الشَّيْءَ: سَوَّاهُ تَسْوِيَةً حَسَنَةً، كأَنَّهُ حَذَفَ كُلَّ مَا يجبُ حَذْفُه حَتَّى خَلا مِن كُلِّ عَيْبٍ وتَهَذَّب. الزبيدي: **تاج العروس** (23/ 125)

والمطبقة، واتخذوا الشاكريَّة ... وترك كثير منهم عقد الزنانير، وعقدها آخرون دون ثيابهم، وامتنع كثير من كبرائهم من إعطاء الجزية، وأنفوا مع أقدارهم من دفعها، وسبوا من سبهم، وضربوا من ضربهم[2]".

ثَمَّةَ عاداتٌ اِجْتِمَاعِيَّةٌ[3] ظَلَّتْ سائدةً لَدَى النَّصَارَى، وتدل على اندماجهم في المجتمع الإسلامي، منها تسمية أبنائهم بالرموز الدينية الإسلامية، قال الجاحظ: "تسموا بالحَسن والحُسين، والعبَّاس وفضْل وعليٍّ، واكتنوا بذلك أجمع، ولم يبق إلا أن يتسموا بمحمد، ويكتنوا بأبي القاسم. فرغب إليهم المسلمون"[4]. وَمِنْهَا "الحَلِفُ" بالمقدّساتِ النّصْرَانِيَّةِ ومقدّساتِ الْعَرَبِ، وَقَدْ كَثُرَ هَذَا الأسلوبُ فِي الشّعرِ النّصرانيّ الجاهلِيّ، وَمِنْهَا قول الأعشى[5]: [الطّوِيل]

وَإِنّي وَرَبِّ السّاجِدينَ عَشِيَّةً وَما صَكَّ ناقوسَ النَّصَارَى أَبيلُها[6]

أَمَّا "الختان" فَكَانَ اليهود والْعَرَب يختتنون، وَقَدْ أبطله النَّصَارَى، وَكَانَتْ نساؤهم يتحجبْنَ، فالكَنِيسَة توصي النّساء بالحشمة، وتغطية رؤوسهن، ولاسِيَّمَا وقت الصّلاة. ومن عادات النّصْرَانِيَّة: "الرّدافة" وَهِيَ كالوزارة، اتخذها الْعَرَب مِنْهُمْ، وَكَانَتْ موجودة عِنْدَ ملوك الحِيرَة وملوك غَسّان النَّصَارَى.

---

1 - الْمُلْحَم: مِنْ الثِّيَابِ، مَا سَدَاهُ إبْرَيْسَمٌ وَلُحْمَتُهُ غَيْرُ إبْرَيْسَمٍ. المطرزي: **المغرب في ترتيب المعرب**، ص 423.

2 - الشاكري: الأجير، المستخدم، التابع. والجند الشاكرية من جند الخلافة. دوزي: **تكملة المعاجم العربية** 339/6.

3 - انظر: شيخو: **النّصرانية وآدابها** 404- 408.

4 -**الرسائل** 317/3، **المختار في الرد على النصارى**، ص 64.

5 - **ديوان الاعشى**، القصيدة، 23؛ ابن دريد، (ت 321هـ): **جمهرة اللُغَة**، 380/1.

6 - صك: ضرب. الأبيل: الرّاهب الَّذِي يضرب النّاقوس. **جمهرة اللُغَة** (أبل) 380/1.

وبرع النَّصَارَى الْعَرَب فِي جملة من الفنون، مِنْهَا: فن الموسيقى والغناء، وخَاصَّة فِي الاحتفالات الدّينِيَّة والمَدَنِيَّة، ومن الآلات الَّتِي شاعت فِي ذَلِكَ الوقت: "الأرغن"، "البريط"، "السّنطور"، "القانون"، و"القيثار"[1].

3- التّربية الدّينِيَّة والتنظيمات الْمَسِيحِيَّة

كانت مصادر التربيّة الدينيّة -مطلع القَرْن الأوَّل الهِجْرِيّ/ السابع الميلاديّ- أو كادت تتناسب مع انتشار المسيحيّة في المشرق وجزيرة العرب، وتسهم في شيوع التعاليم الدينيّة والثقافة التربويّة، بين الشعوب والقبائل، على عدة لغات، ولعل فضل هذا الانتشار يعود الى دقّة التنظيمات المسيحيَّة، ودورها في توصيل المفاهيم الدينيَّة والأخلاقيَّة، بموارد عدّة:

- **الإِنْجِيل:** هُوَ الكتاب السّماويّ، الَّذِي أنزله الله -تعالى- عَلَى سيِّدِنا عيسى، ليهدي النّاس ويرشدهم إلَى طريق الحق. فمن النّاس من آمن بِهِ، ومنهم من كفر بِهِ، وضلّ عَنْ السّبيل. وَلَمْ تخُصّ رسالتّه شعباً بعَيْنِه، بَلْ كَانَتْ رسالةً عَالَمِيَّة، إِذْ بلغت جميع البشر، عَلَى خلاف رسالة اليَهُودِيَّة، الَّتِي حبست نفسها فِي بني إِسْرَائِيلَ؛ لذلك نلحظ أنَّ انتشار الْمَسِيحِيَّة فِي زمن الرَّسول مُحَمَّد أكثرُ من انتشار اليَهُودِيَّة، فكانت الْمَسِيحِيَّة هِيَ الدِّيَانَة الرّسمية لمعظم الحَضَارَات فِي ذَلِكَ الوقت.

إن وجود النَّصْرَانِيَّة داخل الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة يعني وجود مجتمع مسيحيٍّ، لَهُ ديانتُه، وتربيته، وثقافته الخاصَّةُ بِهِ، وَلَهُ طقوسُه الدّينِيَّة وشعائرُه، الَّتِي تتميز عَنْ غيره، وَقَدْ ذكرت لَنَا كُتُبُ السِّيرة النَّبَوِيّة وكتب التّاريخ عَنْ هَذَا المُجْتَمَع. فأشارت إلَى: وَرَقَة بن نَوْفَل، والرّاهب بَحِيرَا، و عدّاس. وَكَانَ هَؤلَاءِ الرّهبان موجودين زمن النّبيّ مُحَمَّد. وَكَانَ هُنَاكَ رقيق من النَّصَارَى، يقرأون ويفسرون

1 - **النّصرانية وآدابها**، ص 358-360.

للناس مَا جاء فِي الإِنْجِيل. يشير بعض الباحثين[1] إِلَى أَنَّ ذِكْرَ الإِنْجِيل - فِي العصر الجاهلِيّ- لَمْ يرِدْ إلا فِي الشّعر المنسوب إِلَى عَدِيّ بن زيد العبَّاديّ (ت587م)، وفيه يقُول:

وأوتينا المُلْكَ والإِنْجِيلَ نقرؤه نشفي بحكمتِه أحلافَنا عِلَلا

غير أَنَّ هَذَا لا يشير إِلَى عدم معرفة الجاهلِيّين بِهِ، والدّليل عَلَى ذَلِكَ ذِكرُ القُرآن الكريم لَهُ، وأصل كلمة الإِنْجِيل من اليُونانِيّة، وَقَدْ وقف الْعَرَب عَلَيْهَا من السّرْيانِيّة أومن الحبشية.

وتشير بعض الرّوايات المستشرقة إِلَى إمكانية ترجمة الكتاب المقدس إِلَى الْعَرَبِيّة قبيل الإِسْلَام. وَقَدْ استندوا فِي ذَلِكَ إِلَى خبر ذكره "ابن العِبْري" مفاده: أن البِطْرِيَك "المنوفيزيتي" (يوحنا) كَانَ قَدْ ترجم الكتاب المقدس إِلَى أمير عربيّ اسمه "عمرو بن سعد" بَيْنَ (10- 19هـ/ 631- 640م)[2].

ويذكر بعضُ المُؤَرّخين[3] أَنَّهُ فِي زمن رسول الله، كَانَ هُنَاكَ إِنْجِيلٌ شائع بَيْنَ النّاس يعرف بـ" إِنْجِيل السّبعين"[4]، عَلَى لسان الرّسول" تلامس". والنَّصَارَى وغيرهم ينكرونه. ويبدو أنه أشتُبِهَ عليهم؛ فإنَّها ترجماتُ التوراة" الثمانين: ويقال: السبعين هي التي ترجمها ثمانون حبرًا لبعض ملوك الروم ... وهي أصحُّ تراجم

1 - علي، جواد: **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب** 12/ 256، وقارن: شيخو: **النّصرانية**، ص185.

2 - علي: م. ن.12/ 257.

3 - االمقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** 2/ 19؛ الحمد، مُحَمَّد عبد الحميد: **التوحيد والتثليث فِي حوار المسيحيّة والإسلام**.(دار الأوائل. دمشق 2003)63.

4-إنجيل السبعين هو أحد النصوص القديمة التي توضع في عداد الأناجيل المنحولة. ويشير عنوان الكتاب إلى عدد الرسل الذين اختارهم يسوع وأطلقهم لنقل البشارة وفقًا لإنجيل لوقا. فُقدت جميع نسخ هذا الإنجيل حاليًا. http://ar.wikipedia.org

التوراة"[1]. وَكَانَ وَرَقَة بنِ نَوْفَل ضالِعًا فِي المعارف الكِتَابِيّة، وَهُوَ -بحَسَبِ مُسْلِم: " كَانَ يكتب من الإِنْجِيل بالعبرانيَّة مَا شاء أنْ يكتبَ"[2].

إنَّ وجودَ الرّهبان زمَنَ رسولِ الله كـ"وَرَقَة بنِ نَوْفَل"، صاحب القصة المشهورة مَعَ خديجة بنت خويلد، وكذا وجود الرّاهب بحيرا وعدّاس وغيرهم، ورجوع الْعَرَب إلَى الرّهبان لسؤالهم عَنْ الكثير من الأخبار، دليلٌ عَلَى وجود الإِنْجِيل كمصدر تربويّ ودِينِيّ لتعليم أبنائهم وتدريسهم، وخَاصَّة أنَّ الدِّيَانَة النَّصْرَانِيَّة هِيَ ديانةٌ تبشيريَّة، تؤمن بنشر تعاليمِ المسيح في المعمورة، لِذَا كَانَ تدريس الإِنْجِيل لأتباعها أمْرًا لازِمًا[3].

- **المصاحف:** وردت "مصاحف" فِي شعر الجاهلِيّين، وَهِيَ تشير إلَى أسفار النَّصَارَى، وَقَالَ البطليوسي[4]: "لأجل هَذَا ينسبون الخَطَّ إلَى النَّصَارَى واليهود؛ لأنَّهُمْ كَانُوا أصحاب كتبٍ، وَلَمْ يَكُنْ للعرب كتَابٌ، أَلَا ترى إلَى قول امرئ القيس:

أتتْ حِجَجٌ بَعْدي عَلَيْهَا فأصْبَحَتْ كخَطِّ زَبُور فِي مصاحف رُهْبَان

والكلمة -عَلَى رأي بعض علماء السّاميات والنَصْرَانِيّات- من أصلٍ حبشي، ومفردها مصحف. وصحف بمعنى كتب. وَقَدْ وردت لفظة "صحيفة" فِي بيت ينسب إلَى لقيط الإياديّ[5]، وفيه يَقُول:

---

1 - الخوارزمي، (ت 387هـ): **مفاتيح العلوم**، ص 54.

2 - مسلم النّيسابوري: **الصّحيح** 1/ 97.

3 - لبابنه، احمد حسن؛ عبابنه، عصام حمد: "مصادر ومؤسسات التربية لَدَى أهل الكتاب زمن العصر النّبوي"، *كلية إربد الجامعية، أبو ظبي*. ص34.

4 - البطليوسي: **الحلل في شرح أبيات الجمل**، ص 65.

5 - لقيط بن يعمربن خارجة، شاعر جاهلي من أهل الحيرة، كان يعرف الفارسية، اتصل بكسرى سابور ذي الاكتاف، فكان من كتابه والمطلعين على اسرار دولته ومن مقدمي تراجمته، ثم سخط

كتاب فِي الصّحيفة من لقيط إلَى من بالجَزِيْرَة من إياد[1].

وردت -أَيْضًا- لفظة "المصاحف" فِي رِوَايَة ابن إسحاق، عِنْدَ ذكر حالة النّجاشيّ حينما سمع القُرآن فقال " فَبَكَى وَاَللَّهِ النّجَاشِيُّ حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُّوا مَصَاحِفَهُمْ[2].

كَمَا تعني المصاحفُ كتبَ اليهود، وَمِنْهَا قول ابن هشام[3] " وَكَانَتْ بِالْيَمَنِ- فِيمَا يَزْعُمُ أَهْلُ الْيَمَنِ- نَارٌ تَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ،... فَخَرَجَ قَوْمُهُ بِأَوْثَانِهِمْ وَمَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ فِي دِينِهِمْ، وَخَرَجَ الْحَبْرَانِ بِمَصَاحِفِهِمَا فِي أَعْنَاقِهِمَا مُتَقَلِّدَيْهَا".

- **المَجَلَّةُ:** من الألفاظ المعروفة بَيْنَ الجاهليّين، وَقَدْ اشتهرت فِي الْعَرَبِيّة بـ " مجلة لقمان". قال أبو عبيد: كُلُّ كتاب عند العرب فهو مَجَلَّةٌ، وَفِي اللُغَة: المَجَلَّة: الصّحيفة يُكتب فِيهَا[4]، والمجلّة: صحيفة فِيهَا شيء من الحكم[5]، وأطلقت عِنْدَ العبرانيين عَلَى أسفار الكتب المقدسة، وَفِي شعر للنابغة يَقُول فِيهِ: [الطّويل]

مجَلَّتهم ذاتُ الإلهِ، ودينُهُم قويمٌ، فما يرجونَ خير العواقب

أي: كتابهم كتاب اللّاه[6]، وَأَرَادَ بِهِ الْإِنْجِيل؛ لأَنَّهُمْ كَانُوا نَصَارَى، وَقَدْ مدح بِهِ الغساسنة[1].

عليه وقطع لسانه، ثم قتله. له ديوان. ابن قتيبة: **الشعر والشعراء** 199. الآمدي: **المؤتلف والمختلف** 266.

1 - أَبُو الفرج: **الاغاني** 34/20؛ شيخو: **النّصرانية**، ص181.

2 - ابن اسحاق: **السّيرة**، ص75؛ ابن هشام: **السّيرة النّبوية** 1/ 378؛ السّهيلي: **الرّوض الآنف**152/3

3 - **السّيرة** 1/ 27.

4 - الخليل بن احمد: **العين** 141/6.

5 -الزجاجي، (ت 337هـ): **أخبار أبي القاسم الزجاجي**، (دار الرّشيد بغداد 1980) ص 142.

6 - نشوان بن سعيد الحميرى (ت573هـ): **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** 2/ 937.

- **التّنظيمات الْكَنَسِيّة:**

يتطلب الحديث عَنْ رجال الدّين الْمَسِيحِيّينَ بيان وتوضيح عِدّةٍ من معاني ودلالات الألقاب الَّتِي كَانُوا يتحلّوْن بِهَا، ومن هَذِهِ المصطلحات الَّتِي كَانَتْ مستخدمة مطلع القَرْن الأوَّل الهِجْرِيّ فِي بلاد الْعَرَب:

- **القِسّ**: فِي اللُغَة، القَسُّ: تَتَبُّعُ الشّيءِ وَطَلَبُه، يُقَال: قَسَسْتُ أَقُسُّ قَسّاً[2]. القِسُّ والقِسِّيْسُ، والجَمْعُ قَسَاوِسَةٌ[3]: رئيسٌ من رؤساء النَّصَارَى فِي الدّين والعلم[4]، وَهِيَ من أصلٍ آراميّ، هُوَ "Gachecho" ومعناه: كاهنٌ وشيخ[5]، وَقَدْ وردتْ لفظةُ "قسيسين" فِي القُرآن: { وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ}(المائدة 82)، وحديث الرّسولِ مُحَمَّد فِي وَرَقَة بنِ نَوْفَل: "رأيتُ القِسَّ، وعليه ثيابُ حريرٍ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ آمَن بِي وصدَّقَنِي"[6]. كَمَا وردت فِي شعر جرير[7]:

صَبَّحْنَ تَوْماءَ، والنّاقُوسُ يَقْرَعُهُ قَسُّ النَّصَارَى، حَرَاجِيجًا بِنَا تَجِفُ

---

1 -ابن سيدة: **المحكم والمحيط الأعظم** 206/7؛ البغدادي: **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** 3/ 331.

2 - الازهري: **تهذيب اللُغَة** 8/ 212.

3 - ابن عباد: **المحيط فِي اللُغَة** (قسس).

4 - الجوهري: **الصّحاح** 3/ 963.

5 - **النّصرانية وآدابها**، ص192؛ **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب** 12/ 216.

6 - السّهيلي: **الرّوض الآنف**،161/2.

7 -ابن سيدة: **المحكم والمحيط الأعظم** 9/ 543؛ الزبيدي: **تاج العروس** 341/31.

- **البِطْرِك، أَوْ البَطْرِيق**: بلغَة أهل الشّام وَالرّوم، هُوَ الْقَائِد، وجمعُه بَطارقة[1]. وَهُوَ الْوَضِيءُ المُعْجب[2]. وَهُوَ مقدم النَّصَارَى. والبِطْرِكُ: كلمةٌ يُونانِيّةٌ، ومعناها: أَبُو الآباء،[3]. وَقَدْ وردتْ فِي شعر أمية بن أبي الصّلت[4]:

أَنْ قَدْ تَغَيَّرَ بَطْنُ مَكّ ةَ فَهِيَ مُوحِشَةُ الْأَبَاطِحْ

مِنْ كُلِّ بِطْرِيقٍ لِبِطْ رِيقٍ نَقِيِّ اللَّوْنِ وَاضِحْ

- **الجاثليق**: وَهُوَ رئيس أَسَاقِفَة للكَنِيسَة مَا وراء حدود الامْبِرَاطورِيّة الرّومانية، نحو كَنِيسَة مَا بَيْنَ النّهرين، وأصبح اللقب خاصًّا بأُسْقُف سلوقية[5]، وأكثر مَا استعمله النَّسَاطِرَة فِي كَنِيسَة المشرق، وَقَدْ أطلقتْ اللفظةُ عَلَى رئيس نَصَارَى بغداد فِي العهد العباسي[6]، وَهِيَ من أصل يُونانِيّ هُوَ "كاثوليكوس" KathoIikos ومعناه: عام[7].

- **الأُسْقُف**: رأس من رؤوس النَّصَارَى[8]، وَهِيَ من الألفاظ الَّتِي تدلُّ عَلَى منزلة دِينِيَّة عِنْدَ النَّصَارَى. وَهُوَ- بحَسَبِ ابن هشام- حَبْرُهُمْ وَإِمَامُهُمْ، وَصَاحِبُ مِدْرَاسِهِمْ. وَكَانَ قَدْ ذكر فِي وفد نَصَارَى نَجْرَان إِلَى الرّسول مُحَمَّد، وَهُوَ أَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَلْقَمَةَ، أَحَدُ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ. كَمَا وردت لفظة" الأُسْقُف" فِي شروط الصّلْح الَّتِي عقدها الرّسول مَعَ أهل نَجْرَان وَمِنْهَا: "لا يُغَيِّرُوا أُسْقُفًا عَنْ أُسْقُفِيَّتِهِ ".

---

1 - الأزهري: **تهذيب اللُغَة** 9/ 303.

2 - ابن سيدة: **المخصص** 1/ 323.

3 - شيخو: **النّصرانية وآدابها**، ص191.

4 - الاعلم الشّنتمري: **أشعار الشّعراء السّتة الجاهليين**، ص243؛ ابن هشام: **السّيرة** 29/2.

5 - جورج شحاتة قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبِيّة** ص15.

6 - القلقشندي: **صبح الأعشى** 5/ 472؛ الزبيدي: **تاج العروس** 6/ 305.

7 - علي، جواد: **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب** 12/ 218.

8 - الخليل بن أحمد: **العين** (س ق ف).

- **الشّماس** (الواقف) وتُعَدُّ من الألفاظ المعربة عَنْ السّرْيانيّة، وَهِيَ "Chamocho" فِي الأصل[1]. وَهُوَ الَّذِي يكون مسؤولا عَنْ الكَنِيسَة، ويكون مساعدا للقِسّيس فِي أداء واجباته الدّينِيَّة، ويعمل كل ذَلِكَ للتعبد، وورد فِي كتاب الرّسول مُحَمَّد إلَى أهل نَجْرَان لفظ يدل عَلَى مهنة الشّماس وَهِيَ "لا يُغَيِّرُوا أُسْقُفًا عَنْ أُسْقُفِيَّتِه، وَلا رَاهِبًا عَنْ رَهْبَانِيَّتِه، وَلا وَاقِفًا عَنْ وَقْفَانِيَّتِه"[2] والْوَاقِفُ: خادِم البِيعة؛ لِأَنَّهُ وَقَفَ نفسه عَلَى خِدْمَتِها[3].

- **الرّاهب**: وَهُوَ المُتَبَتِّلُ المنقطع إلَى العبادة[4]. وعمله هُوَ الرّهبانية. وَقَدْ ذكر بعض علماء اللُغَة[5]: أنَّ الرّهبانية غُلُو فِي تحمل التّعبُّد من فرط الرّهبة. وَمَعْنَى الرّهْبَانِيَّة هُوَ التّفَرُّغُ لِلْعِبَادَةِ وَتَرْكُ الاشْتِغَالِ بِعَمَلِ الدّنْيَا[6]، والمبالغة فِي العبادة والرّياضة والانقطاع عَنْ النّاس[7]. وَقَدْ ذكرت "الرّهبانية" فِي القُرآن: {وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ}(الحديد27). كَمَا ورد لفظ "الرّهبان" فِي القُرآن فِي غير موضع[8]، وَمِنْهَا:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ{

---

1 - علي: م. س.216/12.

2 - ابن سعد: **الطبقات الكبرى** 1/ 220.

3 - ابن الأثير، مجد الدين (ت 606هـ): **النّهاية فِي غريب الحديث والأثر**، 216/5.

4 - ابن دريد: **جمهرة اللُغَة** 244/5.

5 - ابن منظور: **لسان العرب** (رهـ ب).

6 - السّرخسي (ت483هـ): **شرح السّير الكبير**، ص 23.

7 - محمود عبد الرّحمن عبد المنعم: **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية** 113/2.

8 - المائدة 82، التوبة 31، 34، الحديد 27.

(التّوبة،34). كَمَا وردت فِي الحديث النّبَوِيّ: "لا رهبانية فِي الإِسْلَام"[1]، وذكرت فِي الشّعر -أَيْضًا-. وَمِنْهَا قول أبي الأسود الدّؤلي[2]:

كَأَنّهُ راهبٌ فِي رأس صومعةٍ يتلو الزّبور ونجم الصّبح قَدْ طلعا

كان االراهبُ يحظى بقِيَمِ التقديس، أي بمعنى: التطهير، أو بمعنى: البركة، فسُمّيَ المقدّس. فإذا ما جاء من بيت المَقْدِس، تمسّح وِلْدانُ النَّصَارَى بثَوْبِ الرَاهِبِ المُقَدّسِ، فقَطَّعُوا ثِيابَة تَبَرُّكاً بهَا. قالَ امْرُؤُ القَيْسِ[3]:

فأَدْرَكْنَه يَأْخُذْنَ بالسَّاقِ والنَّسَا كَمَا شَبْرَقَ الوِلْدانُ ثَوْبَ المُقَدّسِ

- **الْعَاقِبُ**: وَهُوَ- بحَسَبِ ابن هشام[4]: أَمِيرُ الْقَوْمِ وَذُو رَأْيِهِمْ، وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمْ، وَالذّي لَا يُصْدِرُونَ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ، وَكَانَ العاقب مَعَ وفد نَجْرَان، الَّذِي جاء الرّسول مُحَمَّد، لعقد معاهدة الصّلْح، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْمَسِيح.

- **السَّيِّد**: لَهُمْ ثِمَالُهُمْ (أصلهم الَّذِي يقصدون إِلَيْهِ)، وَصَاحِبُ رَحْلِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ، وَكَانَ فِي وفد نَجْرَان، واسْمُهُ الْأَيْهَمُ[5]. أَمّا العاقب والسّيد، فإليهما إِدَارَة الجماعة، والإشراف عَلَى شؤونهم السِّيَاسِيَّة والْمَالِيَّة، وتدبير مَا يحتاج المُجْتَمَع إِلَيْهِ من بقية الشّؤون[6].

1 - إبن أبي شيبه: **المصنف** 10/ 141؛ ابن قتيبة: **عيون الأخبار** 2/ 380.

2 -النّويري: **نهاية الأرب فِي فنون الأدب** 3/ 135.

3 - ابن دريد: **جمهرة اللغة** 2/ 646؛ الزبيدي: **تاج العروس** 16/ 358.

4 - **السّيرة النّبوية** 1/ 573.

5 - م.ن. 1/ 573.

6 - علي، جواد: م. س. 12/ 193.

المجامع الدّينِيَّة[1] وَهِيَ أشبه مَا تكون بالمؤتمرات وَفِيهَا تناقش أمور النّصْرَانِيَّة، حَيْثُ يجتمع فِيهَا معظم أصحاب المذاهب الْمَسِيحِيَّة، ويُعَدُّ من أهمّ المجامع المسكونيَّة السّبعة، المجمع الرّابع، مجمع خلقيدونية الَّذِي انعقد فِي 451م، وَكَانَ فيصلا فِي تاريخ الدِّيَانَة الْمَسِيحِيَّة، إِذْ نجم عَنْ هَذَا المجمع انشقاقٌ أدّى إِلَى ابتعاد الكَنَائِس الشَّرْقِيَّة: (القبطِيَّة والأرمنيّة والسّرْيانِيّة) عَنْ الشّركة مَعَ الكَنِيسَتين الرّومانيّة والبِيْزَنْطِيَّة[2]. والمجامع الَّتِي انعقدت فِي القَرْن الأوَّل الهِجْرِيّ هِيَ:

- مجمع جيورجيس، أَوْ مجمع دارين [3]، سنة(56هـ/ 676م) عقده الجاثليق مار جيورجيس الأول (41-60هـ =661-680م) لأَسَاقِفَة النَّسْطُورِيّة فِي جَزِيْرَة دارين (البحرين).

- المجمع المسكوني السّادس فِي القُسْطَنْطِينِيَّة سنة60هـ/680م، حضره الإمبراطور قسطنطين الرّابع (48- 65هـ/ 668- 685م)، وأبعد فِيهِ القائلين بالمشيئة الواحدة فِي الْمَسِيح[4].

- مجمع القُسْطَنْطِينِيَّة الرّابع (73هـ- 692 م)[5] : نتيجة لحروب القَرْن السّابع وفتَنِه، واهمال القوانين الْكَنَسِيّة، دعا لعقده الإمبراطور البِيْزَنْطِيّ يوستينيانوس الثّاني[6].

---

1 - انظر: فصل العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة فِي عصر الدول الأُمَوِيّة من هَذِهِ الدراسة.

2 - الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، (مجمع).

3 - وَهُوَ رقم (11) من المجامع الَّتِي عقدت فِي كنيسة المشرق. أدور هرمز بجو النّوفلي:" تاريخ كنيسة المشرق - الجزء 13"، *منتديات باقوفا*، 01/ سبتمبر/2007 www.baqofa.com.

4 - كرد علي: **خطط الشّام** 6/ 221.

5 - أسد رستم: **كنيسة مدينة الله** 51/2.

6 - جوستينيان الثّاني: الإمبراطور البيزنطي الأخير لسلالة هرقل ، حكم من 685م إِلَى 695 للمرة الأولى ، ثُمّ تم خلعه واستعاد عرش الإمبراطورية البيزنطية فِي 705 إِلَى 711. موسوعة

ومن أهم الفرق الْمَسِيحِيَّة الَّتِي كَانَتْ موجودة- زمن ظهور الإِسْلَام- هِيَ: النَّسَاطِرَةُ، واليَعَاقِبَةُ، والملكانيَّةُ، والأَقْبَاطُ، والآريوسيةُ[1]. هل أنَّ النّبيّ مُحَمَّدًا، إنَّمَا عُني الفرقة الآريوسية، فِي كتابه إلَى قيصر ملك الرّوم:" أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإنْ توليت فإنَّمَا عليك إثم الأريسيين"[2]؟، إذ إنها هِيَ القائمة بالتّوحيد النّسبي فِي العالم الْمَسِيحِيّ، الَّذِي تتزعمه الدّولة البِيْزَنْطِيَّة[3]؛ من المرجح إنّ "الأريسيين" من عامة الشعب، فهم الفلاحون والأكرة والمزارعون، نقل ابن الأثير[4]: قال ابن الاعرابي وهم الأكارون، وقال أبو عبيدة هم الخدم والحول. وأما النَّسَاطِرَة فهم فِي العِرَاق ونَجْرَان، وَكَانَتْ لَهُمْ مَعَ الرّسول والخلفاء مراسلات ومعاهدات، واليَعَاقِبَة فِي بلاد الشّام وَكَذَلِكَ الملكانيين، والقبط فِي مِصْرَ، وَقَدْ اوصى بِهِمْ خيرا الرّسول مُحَمَّد، وَكَانُوا قَدْ مارسوا حُقُوقهم أسوة بغيرهم من فرقاء الْمَسِيحِيَّة.

- **مُؤَسَّسَات الْمَسِيحِيَّة فِي القَرْن الأوَّل الهِجْرِيّ.**

كَانَ لنَصَارَى الْعَرَب تنظيمهم فِي دور العبادة وَفِي التّعليم والإرشاد، وَهُوَ تنظيم أخذ من تنظيم الكَنِيسَة العام، ومن التّقاليد الَّتِي سار عَلَيْهَا أباء الكَنِيسَة، مِنْذُ أوائل أيام النّصْرَانِيَّة حَتَّى صارت قوانين عَامّة. فللكَنِيسَة دَرَجَاتٌ ورُتَبٌ،

ويكيبيديا (جوستنيان).

1 - نسبة إلَى أريوس الاسكندراني (ت 336م) القائل: القديم هُوَ الله تعالى، والمسيح مخلوق (المشيئة الواحدة). (أَبُو الفداء: المختصر فِي أخبار البشر 66) روي أن الإمبراطور قنسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير الَّذِي تشيع للأريوسية أرسل نحو السّنة 356 وفداً من الرّومان إلَى الحميرية فِي اليمن، وَكَانَ يترأس الوفد تاوفيل الهندي من جزيرة سرنديب أي سيلان. فرحل هذا إلَى بلادهم... وبشر هناك بالدين المسيحيّ، واسترخص بتشييد الكَنَائِس فِي ظفار وعدن. **النّصرانية وآدابها**، ص56.

2 - مسلم النّيسابوري (ت261هـ): **الصّحيح** 165/5.

3 - عَلي مُحَمَّد مُحَمَّد الصّلاَّبي: **السّيرة النّبوية** ص 718.

4 - **النهاية في غريب الحديث والأثر** 1/ 38.

وللمُشْرِفِينَ عَلَيْهَا مَنَازِلُ وسَلَالِمُ. حَتَّى صارَتْ الكَنِيسَةُ كَأَنَّهَا حُكُومَةٌ مِنَ الحُكُومَاتِ الزَمَنِيَّةِ، لَهَا رَئِيسٌ أَعْلَى، وتَحْتَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ المُوَظَّفِينَ، لَهَا مَلَابِسُ خَاصَّةٌ تَتَنَاسَبُ مَعَ دَرَجَاتِهِم، وَلَهُمْ: مَعَابِدُ، وبِيُوتٌ، وأَوْقَافٌ، وسَيْطَرَةٌ عَلَى أَتْبَاعِهِم[1]. ومن هَذِهِ المُؤَسَّسَات:

- **الكَنِيسَة:** بمعنى محلّ صلاة اليهود والنَّصَارَى، ومنهم من يجعل الكَنِيسَة للنَصَارَى، والكَنِيس لليهود، وَهِيَ مقابل المسجد والجامع عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ، والكلمة من الألفاظ المعربة عَنْ الآرامية، وتعني، فِي السّرْيانِيّة: مجمع[2]. وَلَمْ تَرِدْ كَلِمَةُ الكَنِيسَةِ فِي القُرآن الكريم، ولا فِي الحديث الشّريف، ولا فِي عهود الصّلْح الَّتِي أبرمها الرّسول مُحَمَّد وصحابته مَعَ أهل نَجْرَان، ولا فِي الشّعر الجاهلِيّ، إِلَّا أَنَّها وردت فِي شعر العصر الأُمَوِيّ، قَالَ جرير يهجو بني تغلب النَّصَارَى[3]:

مَا فِي مقام ديارِ تغلبَ مسجدٌ وبها كَنَائِس حنتمٍ ودِنان

غير أن هَذَا لا يدل عَلَى عدم وجود كَنَائِس فِي ذَلِكَ الوقت. فَقَدْ كَانَ لنَصَارَى اليمن كَنَائِس مثل كَنِيسَة نَجْرَان، كَمَا كَانَتْ لَهُمْ كَنِيسَة عظيمة فِي صنعاء، هِيَ "القلّيس"، الَّتِي اكتسبت شهرة عظيمة فِي كتب الأخبار والتّاريخ، وَهِيَ كَنِيسَة أبرهة[4]. كَمَا كَانَتْ لَهُمْ كَنِيسَة فِي "مأرب"، وَهِيَ قديمة، فَقَدْ وردت فِي مقالة ابرهة:" ثُمَّ توجهت إِلَى مأرب، وبَعْدَ أَنْ صليت فِي كَنِيسَتها، عمدت إِلَى ترميم السّد"[5]. وكَنِيسَة "ظفار". غير أن لفظة الكَنِيسَة بصفة الجمع، وردت فِي عهود الأَمَان، الَّتِي أعطيت من لَدُنِ القواد فِي الْفُتُوح، نحو: أَبُو عُبَيْدَة لأهل

1 - علي: **المُفَصَّل** 12/ 214..

2 - شيخو، لويس: **النّصرانية وآدابها** ص201.

3 - المبرد: **الكامل فِي اللُغَة والأدب** 3/ 70.

4 - ياقوت: **معجم البلدان** 171/4.

5 -فِي كتابة نقرت فِي الصّخر بأمر ابرهة سنة542م. **النّصرانية وآدابها**، ص63.

بَعْلَبَكّ[1] وحمص[2]، وخالدّ لأهل دِمَشْقَ[3]، وعياض بْن غنم لأهل الرّقة[4]، وعمرو بْن العاص لأهل مِصْرَ[5]؛ جاء فِيهَا: "هَذَا الكتاب أمان... عَلَى أنْفسهم (دمائهم) وأموالهم وكَنَائِسهم".

- **البِيَع:** مفردها بَيْعَة، هِيَ: متعبد النَّصَارَى[6]. ذهب علماء اللُغَة إلَى أن البيعة من الألفاظ المعربة، أخذت من السّرْيانيّة، وأصل اللفظ فِي السّرْيانيّة، هُوَ (بعتو) بمعنى بيعة وقبَّة، لأنها كَانَتْ قبّة فِي كثير من الكَنَائِس القديمة[7]. وَهِيَ اللفظة الَّتِي وردت فِي عهود الصّلْح، الَّتِي أبرمها الرّسول مُحَمَّد مَعَ وفد نَجْرَان، وجاء فِيهِ: "ولنَجْرَان وحاشيتها جوار اللّه، وذمة مُحَمَّد النّبيّ رسول اللّه، عَلَى أموالهم وأنفسهم... وعشيرتهم وبيعهم"[8]. كَمَا وردت لفظة البيع فِي القُرآن: {الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً} (الحج40). وَقَدْ وردت لفظة "البيعة" فِي أبيات لوَرَقَة بنِ نَوْفَل[9]: [الطّويل]

أدينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أُرَى أَدِينُ لمن لا يسمع الدّهرَ داعيا
أقولُ إِذَا صلَّيْتُ فِي كلِّ بِيعَةٍ تباركتَ قَدْ أكثرتَ باسمك داعيَا

---

[1] - البلاذري: **فتوح البلدان**، ص 132.

[2] -الكلاعي: **الاكتفاء بِمَا تضمنه من مغازي رسول الله** 2/ 245؛ حميد الله: **مجموعة الوثائق السّياسيّة للعهد النّبوي والخلافة الرّاشدة**، ص 468.

[3] - البلاذري: م. س، ص 124.

[4] - م. ن، ص 174.

[5] - الطبري: **تاريخ الرّسل والملوك** 4/ 109، 293/4.

6 - الزبيدي: **تاج العروس**، مادة (بيع).

7 - شيخو، لويس: **النّصرانية وآدابها**، ص203.

8 - البيهقي: **دلائل النّبوة** 5/ 389؛ حميد الله: **مجموعة الوثائق السّياسيّة للعهد النّبوي والخلافة الرّاشدة**، ص 176.

9 - **الأغاني**: 119/3؛ **شعراء النّصرانية** 12/4؛ **النّصرانية وادابها**، ص 201.

- **الصّوامع:** الصّوْمَعَةُ مِنَ الْبِنَاءِ، سُمِّيَتْ صَوْمَعَةً لِتَلْطِيفِ أَعلاها وتدقيقه، وَالصّوْمَعَةُ: مَنارُ الرّاهِبِ[1]؛ وتطلق- أَيْضًا- عَلَى الدّير[2]، وبهذا المعنى وردت في القُرآن: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً } (الحج، 40). وَفِي وصيَّة الخليفة أبي بكر- إِبّانَ تسيير الجيش إِلَى الشّام:" ستمرون عَلَى قوم فِي الصّوامع رهبانًا، يزعمون أَنَّهُمْ تَرَهَّبُوا فِي اللهِ؛ فدعُوهم، ولا تهدمُوا صوامعهم"[3]. ويدلُّ ورودُ هَذِهِ اللفظة بصورةِ الجمع فِي القُرآن، ونصوص التّراث الإِسْلَامِيّ، عَلَى وقوفِ الجاهلِيّينَ عَلَى الصّوامع ووجودِها بَيْنَهُمْ، وتعَدّدِها آنَذَاكَ، وَقَدْ كَانَ الرّهبانُ قَدْ ابتنوا الصّوامعَ، وأقاموا بِهَا للعبادةِ فِي مُخْتَلَفِ أنحاءِ جَزِيْرَةِ الْعَرَبِ، وَمِنْهَا الحجازُ[4].

- **بيت المِدْرَاس** "Elmadras"[5]: من "مدراش" فِي العبرانية[6]، صاحبُ دراسةِ اليهودِ كُتُبَهُمْ، المَوْضِعُ الَّذِي يُدْرَسُ فِيهِ كِتَابُ اللهِ[7]، وَهُوَ مكان يجتمع فِيهِ النَّصَارَى للتباحث فِي شؤونهم وقضاياهم العَامّة، فَقَدْ ورد لفظ المدراس فِي السّيرة، إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ بَيْتَ الْمِدْرَاسِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ يَهُودَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى

1 - **لسان العرب** (صمع) 8/ 208؛ الزبيدي: م. س. (صمع)359/21.

2 - دُوزِي، رينهارت بيتر آن (ت 1300هـ): **تكملة المعاجم العَرَبِيّة**، 6/ 467.

3 - الواقدي: **فتوح الشّام** 1/ 8.

4 - علي: **المُفَصَّل** 12/ 229.

5 -"المدراس" فِي "بطرا" " معبد خصص بعبادة الإله "ذو الشّرى" "Duschara" إله النّبط الكبير. علي: م. ن. 33/5.

6 - علي: م. ن 283/15.

7 - **لسان العرب** (درس) 80/6؛ **تاج العروس** 68/16.

اللَّهِ[1]، وعند ذكر مقدم نَصَارَى نَجْرَان إِلَى الرّسول مُحَمَّد: "الأُسْقُف هُوَ إمامهم وصاحب مدراسِهم"[2].

- **الدّير** Dayr: جمعه الأَدْيِرَة، أَوْ الدّيارات، وَهِيَ من الألفاظ السّرْيانيّة المعربة، و المعروفة عِنْدَ الْعَرَب، وتعرف بمواضع العبادة، أَوْ السّكن عِنْدَ النَّصَارَى، وَكَانَتْ كثيرة الانتشار فِي الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة والعِرَاق وبلاد الشّام.[3] حَيْثُ كَانَتْ محلًّا ممتازا للشعراء وأصحاب الذّوق والكيف. عند ياقوت[4] إنَّ الدّير: "بيت يتعبد فِيهِ الرّهبان، ولا يَكَادُ يكونُ فِي المَصْر الأعظم، إنَّمَا يكون فِي الصّحارى ورؤوس الجبال، فإنْ كَانَ فِي المَصْر كَانَتْ كَنِيسَة، أَوْ بيعة". ويشير المقريزي[5] إلَى ان "الدّير عِنْدَ النَّصَارَى يختص بالنّساك المقيمين بِهِ، والكَنِيسَة مجتمع عامتهم للصلاة".

4- الأثر الحضاري للمَسِيحِيّينَ فِي المُجْتَمَع الإِسْلَامِيّ

قطع الموالي وأهل الذِّمَّة -بَعْدَ حركةِ الْفُتُوح- مرحلةً كبيرة فِي تَعَلُّم الْعَرَبِيّة وآدابها، إِذْ أخذوا ينقلون إِلَيْهَا خبراتهم المعرفيّة ذات البعد الحضاري، محاولة منهم في الإندماج في المجتمع الإسلامي، فاستطاعوا بِذَلِكَ إضافة كنوز التراث من علومهم وأفكارهم إلَى ذخيرة الْعَرَب الْمُسْلِمِينَ، فكانت تسميات الأثر المعرفي محفورة في الذاكرة الحضاريّة، على مراتب مشهورة، بحسب "فرماج"[6]: "أمّا هؤلاء

1 - ابن هشام: **السّيرة النّبوية** 552/1؛ السّهيلي: **الرّوض الأنف** 4/ 248.

2 - ابن هشام: م. ن. 222/2.

3 - علي، جواد: م. س 229/12.

4 - **معجم البلدان** 2/ 259.

5 - **المواعظ والاعتبار** 3/ 287.

6- بطرس فرماج اليسوعي: **مروج الأخيار في تراجم الأبرار** (مطبعة الأباء المرسلين، بيروت،

المجوس فكانوا أناسًا بارعين في العلوم؛ لذلك دُعوا مجوسا، لانّ علماء العجم، كانوا يدعون مجوسًا، واليهود كتبةً، واليونانيّين فلاسفة، والمصريّين أنبياء، واللاتينيّين حكماء". فتمخّضَتْ، من مزيج تِلْكم الحَضَارَات العريقة، في بابل وفارس فالهند، ومصر واليونان فروما، حضارةٌ خصْبَة مطبوعة بالطّابع الْعَرَبِيّ والأسلوب الإِسْلَامِيّ، طفقَت تنمو، وتزدهر، مِنْذُ العصور الإِسْلَاميّة الأولى (الرّاشِديّ - الأُمَوِيّ)، وأتتْ ثمارَها فِي العصر العباسيّ، حينما أصبحت بغداد حاضرة العالم الإِسْلَاميّ[1].

كَانَ انتقال الخِلَافَة إِلَى سُورِيَةَ فِي العصر الأُمَوِيّ، من العوامل الَّتِي فتحت الباب أمام السّريان؛ ليسهموا بجهودهم فِي بناء الدَّولَة العَرَبِيَّة، كَمَا كَانَ لهذا الانتقال أثرُه فِي تَطَوّر الحضارة[2]، فَلَقَدْ وجد الْعَرَب أنفسهم حكاماً لمنطقة، كَانَتْ ولاية رومانية خاضعة لقانون روماني كامل التّطَوّر، وإِدَارَة منظمة جداً، وَقَدْ ابقو كل هَذَا كَمَا كَانَ[3].

أخذ خلفاء الدّولة فِي دِمَشْقَ بالعادات اليُونانِيّة، فحوَّلت جمهورية المدينة الدّينِيَّة الْعَرَبِيّة إِلَى امْبِرَاطورِيّة حَقِيقِيّة سوريّة، فضربوا الدّنانير الذّهبيّة عَلَى نَسَقِ الدّراهم البِيْزَنْطِيَّة، وجعلوا الخِلَافَة وراثِيّة بَعْدَ أَنْ كَانَتْ انتخابية، واستخدموا عمالاً كثيرين من اليونان والسّريان[4].

1880م) ص31.

1 - اليوزبكي، توفيق سلطان: "التعريب فِي العصرين الأُمَوِيّ والعباسي"، *مجلة آداب الرّافدين*، العِرَاق العدد 7، ص45.

2 - الشّحات السّيد زغلول: **السّريان والحضارة الإسلاميّة**، ص 129.

3 - أوليري: **مسالك الثّقافة الإغريقية إِلَى العرب**، ص 206.

4 - ماكس فانتاجو: **المعجزة العَرَبِيّة**، ص 121.

يبدو أنّ الخلفاءَ الأُمَوِيّينَ لَمْ يفْرَغُوا للشُؤُون العلْمِيَّة، بقَدَرِ مَا فَرَغُوا للأُمُور السِّيَاسِيَّة، إِلَّا أَنّنا نُصَادِف مِنْ بيْنِهِمْ مَنْ لَمْ يَدّخِرْ وَسْعًا فِي سبيلِ تَشْجِيعِ الحَرَكَةِ الأَدَبِيَّة، والتّقدم العلميّ. وإذا لَمْ يقدرْ لنتائج جهودِهم أنْ تَظْهَرَ بجَلاء، فَإِنَّ هَذَا يرجع لعدم استقرار الأمورِ طِوَالِ أيّامهم، وقرب العهد بالعصر الجاهِلِيّ، وعلى ذَلِكَ يمكننا القول بأنَّ الازْدِهَار، الَّذِي أصابته الحياة العِلْمِيَّة فِي العصر العباسي، قَدْ وضعت أولياته عَلَى أيام الأُمَوِيّين، ذَلِكَ لأن الظّواهر الحَضَارِيّة دائماً فِي حاجة إِلَى فسحة من الوقت لكي تخرج ثمارها[1].

ينبغي العلم أنَّ التّفتح المعرفيّ السّرْيانِيّ الْمَسِيحِيّ النّزعة، كَانَ قويًّا ومؤثّرًا فِي جوانبَ إنْسانِيَّةٍ عِدّة. وَقَدْ أغنى موادَّ شديدة التَّنَوُّع، كالطّب والهندسة والفلك، إبّانَ اندماجه فِي المُجْتَمَع الإِسْلَامِيّ، مِمّا شجع الْمُسْلِمِينَ عَلَى أنْ يُولوا عناية مركّزَة للمعرفة فِي مجال الكواكب والنّجوم والعمران ورسم الخرائط، مثلما وفّر لَهُمْ سمات الابداع المعرفي فِي خلق عِلمَين جديدين، هُمَا: علم الجبر، وحساب المثلثات[2].

يمثل العصر الأُمَوِيّ فِي حَقِيْقَة الأمر أوّلَ دَوْرٍ من أدوار حركة التّرجمة، وعَلَى الرّغْمِ مِنْ أَنّ التّرجمةَ فِي هَذَا العصرِ كَانَتْ بدائيَّةً وضعيفةَ المستوى، إِذَا مَا قورنت بالتّرجماتِ الأُخْرَى فِي المراحل التّالِيَة، إِلَّا أَنّ هَذَا العصر كَانَ -بحقّ- حجرَ الأساسِ لبناءِ هَذِهِ الحركةِ عمومًا، كَمَا أَنَّهُ كَانَ المنطلقَ الأَوَّلَ لَهَا فِي أنحاء العالم الإِسْلَامِيّ مشرقِه ومغربِه. وَكَانَتْ التّرجمةُ فِي تِلْكَ الفترةِ مقصورةً عَلَى بعضِ العلومِ الطّبِيعيَّةِ كالكيمياءِ والطّبّ، دُونَ أنْ يتعَدَّى ذَلِكَ إِلَى العلومِ العقليَّة، كالمنطقِ والفلسفةِ وما وراء الطّبيعة. لَعَلّ السّببَ فِي ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى أَنَّ إهتمامَ النّاسِ كَانَ موجهاً بكُلّيَتِهِ إِلَى العلومِ الدّينِيَّةِ الإِسْلَامِيّةِ، وَكَانُوا ينظرونَ إِلَى

1 - الشّحات: م. س. 127 – 128.

2 - ديورانت: **قصة الحضارة** 13/ 181.

العلوم، الّتِي تُدَرَّسُ فِي المراكِزِ الثّقافِيّة القديمة، عَلَى أَنَّها علومُ غيرِ الْمُسْلِمِينَ، مِمّا أدَّى إِلَى انصرافِهم عَنْهَا[1].

كَانَ خَالِد بن يزيد (ت85هـ/ 704م) لَهُ معرفة بفنون العلم، وأخذ الصّنعة عَنْ بعض علماء السّريان من مثل "مريانس الرّاهب"[2]، فأقدم عَلَى الاشتغال بالكيمياء بِمَا أشارَ إِلَيْهِ مِن رُمُوزٍ، وتَوَفَّرَتْ لَهُ العِنَايَةُ بإخراجِ كُتُبِ القدماءِ فِي الصّنعةِ[3]، وَهُوَ أَوّلُ مَن ترجمَ لَهُ كُتُبَ الطّبِّ والنّجومِ والكيمياءِ[4].

جديرٌ بالمعرفة، إنّ العلومَ الطّبيّةَ الّتِي إحْتَكَّتْ بِهَا العقليَّةُ الْعَرَبِيَّةُ، قَدْ خرجتْ مِن أيْدِي أصحابِها، ونَعْنِي بِهِمْ اليونان، وتَلَقَّفَهَا الدّارسونَ والشّارحونَ الَّذِينَ يعرفونَ اليُونانِيّةَ والسّرْيانِيّةَ، وشاركَ الأطباءُ السّريانُ في هَذِهِ الدّراسةِ بنصيبٍ وافرٍ، وَكَانَ لَهُمْ دورُهم في النّقلِ والتّرجمةِ[5].

من أشْهَرِ النّقلةِ فِي العصر الأُمَوِيّ "ماسرْجوية" الطّبيب ويسمي أيضًا " ماسرجيس" وَهُوَ سُرْيانِيّ اللُغَة يهودي المذهب، وَكَانَ عالما فِي الطّبِّ، وَقَدْ نقل من السّرْيانِيّة إِلَى الْعَرَبِيّة كتاب " كُناش فِي الطّب " من تأليف أهرون بن أعين القس، وَقَدْ ترجمه فِي خِلَافَة مروان بن الحكم (ت65ه- 685م)، ووجَدَ عمرُ بن عبد العزيز هَذَا المصنَّفَ بَعْدَ ترجمتِه فِي خزائن الكتب، فأمر بإخراجه... إِلَى النّاس وبثّه فِي أيديهم[6].

---

1 - طه عبد المقصود: **الحضارة الإسلاميّة**، ص 163.

2 - ابن خلكان (ت681هـ): **وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان**، 224/2.

3 - جرجى زيدان: **تاريخ آداب اللُغَة العَرَبِيّة**، 2/ 332.

4 -ابن النّديم: **الفهرست**، ص254، أحمد أمين: **فجر الإسلام**، ص 133

5 - سمير عبده: **السّريان قديماً وحديثاً**، ص 67.

6 - القفطي، (ت 646 هـ- 1248م) **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص 213.

وَقَدْ اشتهر فِي العصر الأُمَوِيّ -أَيْضًا- " ابن أُثال " قَالَ عَنْهُ ابن أبي أصيبعة: " كَانَ من الأطباء المتميزين فِي دِمَشْقَ، نَصْرَانِيّ المذهب، وَلَمَّا ملك معاوية بن أبي سفيان دِمَشْقَ اصطفاه لنفسه، وأحسن إِلَيْهِ، وَكَانَ كثير الافتقاد لَهُ، والاعتقاد فِيهِ، والمحادثة مَعَهُ ليلاً ونهاراً[1].

- **التّربية والتّعليم**

ذكر القُرآن الكريم والسّنَّة النّبَوِيّة عديدا من الألفاظ، الَّتِي تختص بمصادر ومُؤَسَّسَاتِ التّرْبِيَةِ لَدُنْ أَهْلِ الكِتَاب (الإِنْجِيل، التّوراة، قِسِّيسِين، الرّهبان، الأحبار.....) مِمَّا يدل عَلَى اطلاع الْعَرَب الجاهِلِيّين، ثَمَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهَا، وعلى تواجدها فِي العصر النّبَوِيّ.

كَانَ لأهلِ الكتاب السّبق عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي توفير المصادر والمُؤَسَّسَات التّربويَّة لَدُنْ أتباعها، لَعَلَّ مَرَدَّ هَذَا السّبقَ يعودُ إِلَى القِدَمِ فِي النّشأةِ والتّكوينِ والتّواجدِ لأهلِ الكتابِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ.

تَنَوَّعَتْ المصادرُ لَدَى أهلِ الكتَابِ زَمَنَ العَهْدِ النّبَوِيّ، مَا بَيْنَ الكُتُبِ والصُّحُفِ والمجلات، وحَسْبُهم أَنَّهُمْ يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ "أَهْلُ كِتَابٍ". وتعَدّدت مُؤَسَّسَات التّربية مَا بَيْنَ الكَنَائِس والصّوامع والبيع وغيرها.

لَمْ يتعَرَّضْ الْمُسْلِمون لمصادر ومُؤَسَّسَات التّرْبِيَةِ لَدَى أهل الكتاب بسوء، بَلْ قامُوا بِوَضْعِ تشريعات لحماية تِلْكَ المُؤَسَّسَات والمصادر من العبث. كعهود الصّلْح والمواثيق الَّتِي كتبَها الرّسولُ مُحَمَّدٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الكِتَابِ[2].

---

1 - **عيون الأنباء فِي طبقات الأطباء** 1/ 170.

2 - احمد حسن لبابنه، عصام حمد عبابنه:" مصادر ومؤسسات التربية لَدَى أهل الكتاب زمن العصر النّبوي"، *كلية إربد الجامعية*، أَبُو ظبي.

يجوز للذميين أنْ يُعَلّموا أولادهم وأتباع دينهم عقائدهم الدّينِيَّة، غير أنَّ الفقهاء اختلفوا فِيمَا يجوز لَهُمْ تعليم الدِّيَانَة الإِسْلَامِيّة، لقد أباح أَبُو حنيفة، بينما يحرم مالك عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تعليم اللُغَة الْعَرَبِيّة لأهل الذِّمَّة[1]. والفكرة الأولى أكثر وعيًا فِي تحفيز النّسيج الاِجْتِمَاعِيّ عَلَى إنْشاء محركات فاعلة فِي التّعَايُش السّلمي بَيْنَ المكونات الدّينِيَّة.

ثَمَّةَ مَا يدل عَلَى أَنَّ الرّسول كَانَ يشجع عَلَى تعلم اللغات الحيَّة فِي عصره، نحو رِوَايَة زيد بن ثَابت قَالَ: "أَمرنِي رَسُول اللَّهِ أَنْ أَتَعَلَّمَ السّرْيانِيّة"[2]، وَفِي رِوَايَة: أَنَّهُ أَمَرَنِي أَنْ أَتَعَلَّمَ كِتَابَ يَهُود، وَقَالَ: " إِنِّي مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ". قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُ، فَكَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ[3].

كَانَ تعليم الصّبية القراءة والكتابة فِي الحِيرَة يتمُّ فِي كَنَائِسها[4]، وَفِي اطرافها وجدوا- إِبّانَ مسير خَالِد بن الوليد- صبيانا، يتعلمون الكتابة فِي كَنِيسَة قرية "النّقيرة" من قرى عين التّمر[5].

وأبان الْفُتُوح توسعت دائرة الصّلات، وَلَمْ يَفْتَأْ الْمُسْلِمون من الاستعانة بالْمَسِيحِيّينَ فِي تعليم ابنائهم، فَقَدْ أقدم سعد بن أبي وقاص (ت55هـ/ 675م) رجلًا نَصْرَانِيًّا من أهل الحِيرَة مَعَهُ إِلَى المدينة، فَكَانَ يعلِّم ولدَه والنّاسَ الكتابَ والحسابَ، يقال لَهُ: جفينة[6].

---

1 -تامر باجن أوغلو: **حقوق أهل الذمة فِي الفقه الإسلاميّ**، ص24.

2 - أخرجه التِّرْمِذِيّ فِي **الْجَامع**،، بَاب فِي تعلم السّريانية، حَدِيث 2858، 7/ 498.

3 - الملا الهروي، (ت 1014هـ) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، 2951/7.

4 - نبيه عاقل: **تاريخ العرب القديم وعصر الرسول**، ص201.

5 - ياقوت: **معجم البلدان** 301/5.

6 - البلاذري: **أنساب الأشراف** 2/ 294.

نبغ كثيرٌ من النَّصَارَى فِي العصر الأُمَوِيّ والعباسي، وظَلّت المدارس السّرْيانيّة مفتوحة فِي عهد الدّولة الأُمَوِيّة كَمَا كَانَتْ، واشتهر من هَؤلَاءِ فِي العصر الأُمَوِيّ يعقوب الرّهاوي (19- 89هـ/ 640- 708م)، الَّذِي ترجم كثيرا من كتب الإلهيات اليُونانيّة[1]، وَقَدْ أُثر عَنْ يعقوب الرّهاوي أَنَّهُ أفتى رجالَ الدّين من النَّصَارَى، بِأَنَّهُ يحلّ لَهُمْ أن يُعلّموا أولادَ الْمُسْلِمِينَ التّعليمَ الرّاقي، وَهَذِهِ الفُتيا تدل عل إقبال الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ العصر عَلَى دراسة الفَلْسَفَة عَلَيْهِمْ[2].

- المدارس الْمَسِيحِيّة

انتقل التراث اليوناني الروماني الى الشرق، عن طريق الإسكندرية والعِرَاق وفارس، وكان في الإسكندرية جامعة مشهورة، كانت فخر العالم القديم، وفي الشرق الأوسط أصبحت الرُّهَا Edessa مركزا ثقافيا متميزًا بكثرة ما ترجمه المسيحيّون النساطرةُ من الكتبِ الفلسفيّة والطبيّة من اليونانيَّة الى السريانيَّة[3].

أمعنً السريان في نشر الثقافة، حتى صارت ديدنهم، فقد تأسس في كل مدينة، أو قرية استوطنوها، مدرسة أو أكثر، حتى بلغ عدد مدارسهم في بلاد ما بين النهرين وحدها زهاء خمسين مدرسة من أرقى المدارس وأوسعها. قال أحمد أمين[4]: كان للسريان في ما بين النهرين نحو خمسين مدرسة تُعلّم فيها العلوم السريانية واليونانية ... وكانت هذه المدارس يتبعها مكتبات ... وكان في الأديار السريانية شيء كثير لا من الكتب المترجمة في الآداب النصرانية وحدها، بل من الكتب المترجمة من مؤلفات أرسطو، وجالينوس، وأبقراط؛ لأن هؤلاء

1 - الجمل،: **أثر جهود السّريان عَلَى الحضارة العَرَبِيّة الإسلاميّة**، ص45

2 - أحمد أمين: **فجر الإسلام**، ص132.

3 - ج. شحاته قنواتي: **تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط**، ص130.

4 - **ضحى الإسلام**، 59/2.

كانوا محور الدائرة العلمية في ذلك العصر، وكان السريان نقلة الثقافة اليونانية إلى الإمبراطورية الفارسية، ثم إلى الخلافة العباسية.

يعتقد جورج سارتون George Sarton إنَّهُ رغم أنَّ الإمْبِرَاطورِيَّة الرّومانية قَدْ اتخذتْ الْمَسيحِيَّةَ دينًا بَعْدَ سنة 313م بقليل، فَقَدْ ظَلَّتْ المدارسُ الوَثَنِيَّةُ قائمةً، وَبِخَاصَّةِ الأكاديمِيَّةِ فِي أثِينَا، والمتحفِ فِي الإسكندريَّةِ. وَقَدْ كَانَتْ للمَسيحِيَّةِ مدارسُ خَاصَّةٌ بِهَا، لَكِنْ لا يمْكُنُ مقارَنَتُهَا بِنُفُوذِ المدارسِ الوَثَنِيَّةِ. ويتحدَّثُ عَنْ مدرسةِ الرّها الطّبيَّةِ الَّتِي كَانَتْ قاطِرَةً، أَوْ طريقًا، لانتقالِ العلمِ من الإسكندريَّةِ إلَى بَغْدَادَ، فيَقُول: "وُلِدَ العِلْمُ اليُونانِيُّ فِي آسْيَا الصّغرى، ثُمَّ انْتَعَشَ فِي بلادِ اليونانِ الحقَّةِ، وَبِخَاصَّةٍ فِي أثِينا، ثُمَّ فِي الإسكندريَّةِ، ثُمَّ عادَ إلَى آسْيا، فازْدَهَرَ فِي برجامون[1] والقسنطينية والرّها وبغداد[2]. ومن أهمِّ المدارس:

- مدرسة الرّها:

ازدهرت هذه المدرسة التي أنشأها ملوك الرُّهَا "الأباجرة" ازدهارًا رائعا منذ القرن الثاني حتى القرن الخامس للميلاد، ونبغ فيها عدد وافر من الأئمة المشاهير، نذكر منهم: "برديصان" (١٥٤-٢٠٢م)، والفيلسوف "وافا"، والعلامة "أسوانا". وفي القرن الرابع تولى رئاسة تلك المدرسة "مار أفرام الكبير" (ت٣٧٣م) نبي السريان، ثم ربولا أسقف الرُّهَا (ت٤٣٥م)، ثم خلفه يهيبا (ت٤٥٧م).

1 - بيرغامون Pergamon، مدينة تاريخيّة قديمة فِي تركيا المعاصرة فِي إقليم أيوليس، وَهِيَ تبعد 26 كيلومتر عَنْ بحر إيجة. ويكيبيديا الموسوعة الحرة (بيرغامون).

2 - مراد لمختر: "قراءة فِي كتاب العلم القديم والمَدَنِيَّة الحديثة - جورج سارتون"، العلم القديم والمَدَنِيَّة الحديثة ANCIENT SCIENCE AND MODERN CIVLIZATION ترجمة: عبد الحميد صبرة، *مركز ابن البنّا المراكشي للبحوث والدراسات*، المغرب. http://www.albanna.ma/Article.

بعدَ أنْ لعَنَ مجمع "أفَسس" نسطوريوس في عام 431م، طُرد النساطرة من أكاديميتهم "أديسا" (الرُّها)[1]، ورحل كثيرٌ منهم شرقًا الى بلاد الرافدين[2]. وكَانَت مدرسة الرُّهَا قد اشتهرت بالعلوم اللَاهُوتِيّة الدّينِيَّة، إِذْ تضطلع بالدراسات في مجالات مَذْهَبِيّة، وعُنِيَت بالفَلْسَفَة، والموسيقى، كَمَا حظيت الرّياضيات والعلوم الطّبِيعيَّة ببعض الاهتمام -أَيْضًا[3].

- مدرسة نصيبين:

أصبحت نصيبين[4]، التي حصَّنها الرّومان تحصيناً قوياً، مركز كرسيّ الأُسْقُفية، لوجود نَصَارَى فِيهَا، وأسّس مطران نصيبين مدرسة تحاكي مدرسة الإسكندريَّة فِي الفَلْسَفَة، واشتهرت مدرسة نصيبين الكبرى في القرن الرابع وعاشت حتى القرن السابع، وَكَانَتْ الغاية مِنْهَا نشر اللاهوت الإغريقي بَيْنَ الْمَسِيحِيِّينَ الَّذِينَ يتكلمون السّرْيانيّة[5]، ومزج النّصْرَانِيَّة بالافلاطونية. وأغلقت مدرسة نصيبين، فانتقلت إِلَى الرّها، وَهَكَذَا انتقلت فكرة مزج النّصْرَانِيَّة بالفَلْسَفَة فِي أنحاء الشّرق[6]. وساعد ذَلِكَ عَلَى نشر كتب الفَلْسَفَة اليُونانِيّة، الَّتِي ترجمها النَّصَارَى النَّسَاطِرَة[7].

---

1 - الرّها: مدينة بالجزيرة بَيْنَ الموصل والشّام. ياقوت: **معجم البلدان** 106/3.

2 - سركيس أبو زيد: **المسيحية في إيران**، ص34.

3 - اليوزبكي، توفيق سلطان :" التعريب فِي العصرين الأُمَوِيّ والعباسي"، *مجلة آداب الرّافدين*، العدد السّابع، 15 تشرين الأول 1976، ص45؛ حكمت نجيب عبد الرّحمن: **دراسات فِي تاريخ العلوم عِنْدَ العرب**، ص21.

4 - مدينة تقع بَيْنَ أعالي بلاد ما بَيْنَ النّهرين ضِمْنَ الجزيرة الفراتية، عَلَى طريق القوافل من الموصل إِلَى الشّام. ياقوت: **معجم البلدان** 288/5.

5 - دي لاس اوليري: **انتقال علوم الاغريق إِلَى العرب**، ص 66.

6 - احمد أمين: **ضحى الإسلام**، 60/1

7 - اليوزبكي: "التعريب فِي العصرين الأُمَوِيّ والعباسي"، ص46

فيها نبغ مار يعقوب الكبير (ت338م) وخلفاؤه في كرسي نصيبين، وفي هذه المدرسة علَّم نرساي الشهير (ت507م)، وباباي الكبير (ت627م)، وغيرهما من مشاهير الأساتذة [1]. وعُرِف يوسف الأهوازي (ت44ق.ه/ 580م)، أستاذ مدرسة نصيبين، كأول نحوي سُرْيانِيّ[2]، كتب رسالة فِي النّحو، وترجم كتابًا، فِي نحو اللُغَة اليُونانِيّة، إلَى السّرْيانِيّة، اسمه: "الصّناعة النّحوية"، أَوْ "فن النّحو" لليُونانِيّ ديونيسيوس ثراكس (170- 90 ق. م) [3]. كَذَلِكَ إخترعَ بعضَ علاماتٍ للشكلِ، وكتبَ رسالةً عَنْ الكَلِمَاتِ الَّتِي تُكْتَبُ بصورةٍ واحدةٍ، ولَكِنْ يتعَدّدُ معناهَا.

يظهر أن أهم نشاط قام بِهِ النَّسَاطِرَة فِي هاتين المدرستين، ترجمة كتب الفَلْسَفَة والمنطق اليُونانِيّة إلَى لغتهم السّرْيانِيّة[4]. جدير بالعلم، إنَّ النّشاط الثّقافِيّ فِي الرّها ونصيبين قَدْ استمَرَّ إبّانَ الفتح الإِسْلَامِيّ، وبعده حَتَّى العصر الأُمَوِيّ، حَيْثُ ساهمَ فِي نقلِ الأفكار الفَلْسَفَيّة والمنطقيَّة إلَى الفكر الْعَرَبِيّ الإِسْلَامِيّ، بحكم الامتزاج الحضاريّ الَّذِي أدَّى إلَى إشارةِ الجدل الفِكْرِيّ بَيْنَ الْعَرَب الْمُسْلِمِينَ وأهل البلاد المفتوحة[5].

- مدرسة حَرَّان:

1 - طرازي: **عصر السريان الذهبي**، ص16.

2 - أحمد مختار عبد الحميد: **البحث اللغوي عِنْدَ العرب** (عالم الكتب، بيروت، 2003) ص 66.

3 - Robins, R.H, General Linguistics: an introductory survey, Second edition, London:- Longman, 1971, P. 383.

4- اوليري: **انتقال علوم الاغريق إلَى العرب**، ص68

5 - فاضل خليل إِبْرَاهِيم: **خَالِد بن يزيد سيرته واهتماماته العِلْمِيَّة**، ص ١٨٧.

حَرَّان مدينة عاصرت اليونان والرّومان والنّصْرَانِيَّة والإِسْلَام، سكانها من الْعَرَب والسّريان والأرمن والمقدونيين[1]. وأنشئت فِي حَرَّان مدرسة وَثَنِيّة لا يُعْرَفُ شيءٌ عَنْ تأسيسها، كَانَتْ مركزاً للثقافة اليُونانِيّة، الَّتِي تمثلت بالدّين اليُونانِيّ الوَثَنِيّ، والفَلْسَفَة الافلاطونية المحدثة[2]. فَضْلًا عَنْ شهرتها فِي العلوم الرّياضية والفلكية[3]. ولعلَّ عبادة كثير من الحَرَّانيين للكواكب، واعتمدت معبدًا لكلِّ سبعة كواكب[4]، زاد من عنايتها بعلم الفلك ودراسة مواقع النجوم.

استَمَرَّ الحَرَّانيُّون فِي مُمَارَسَة نشاطهم الفِكْرِيّ والعلميّ حَتَّى ظهور الإِسْلَام، و بَعْدَ حركة الْفُتُوح، أصبحت حَرَّان منبعاً من منابع الثّقافة اليُونانِيّة فِي العهد الإِسْلَاميّ، واتصلت مدرستهم بالخلفاء العباسيين، وَكَانَ لها شأن كبير فِي نشر الثّقافة اليُونانِيّة، وَفِي ترجمة كثير من الكتب عَنْ اليُونانِيّة[5].

أشار أبن النّديم [6] إِلَى أسماء الصّابئة الحَرَّانيين ممن تعاقب عَلَى كرسي رئاسة الصّابئة فِي الإِسْلَام، مِنْذُ عهد عبد الملك بن مروان، كَمَا ظهر أثرهم فِي الفكر الْعَرَبِيّ الإِسْلَاميّ، واشتهرت حَرَّان بالفلك والرّياضيات والفَلْسَفَة، وَكَانَ اهتمام أهلها من الصّابئين والوَثَنِيّين بالفلك والرّياضيات، يعود إِلَى عبادة النّجوم والكواكب السّيارة، والاهتمام بمواقعها وحركاتها، وضبط أزمانها، وَقَدْ برز نخبةٌ

1 - اليوزبكي: م. س.، ص45.

2 - اوليري: **الفكر العَرَبِيّ ومركزه فِي التاريخ**، ص ٢٥٩.

3 - احمد أمين: **ضحى الإسلام**، 259/1.

4 - حسين توفيقي: **دروس في تاريخ الأديان**، ص110.

5 - اليوزبكي: م. س."، ص45

6 - ابن النّديم: **الفهرست**، ص 296.

من أساتذتها وخريجيها، وأدّوا دوراً كبيراً فِي تعريب علوم اليونان فِي الفلك والرّياضيات والطّب، فِي القَرْنين (2 ، 3هـ/ 8 ، 9م)[1].

- مدرسة الإسكندريَّة:

الإسكندريَّة مهْدُ الأفلوطينيَّة[2] واللاهوت، وأكاديميَّة الإسكندريَّة الَّتي أنشأها البطالسّة، ورثت بإزائها الْمَسيحيّة كثيرًا من الفلسفتين: "الفيثاغوريَّة[3] والأفلاطونيَّة المحدثة"، وَقَدْ مال إلَيْهَا مِنْذُ بدء عهدها جمهور من كبار المفكرين البارزين فِي العالم الرّوماني الهِلِينِيّ؛ ففي مدينة الإسكندرية كَانَتْ تلتقي التيارات الفِكرِيَّة من: يَهُودِيَّة ومَسيحِيَّة ووَثَنِيّة، فتصطرع حينًا، وتتفق حينًا آخر. تألفت مدرسة فِكرِيَّة تعنى بتعليم العقائد الدّينِيَّة، وإليها يُعزى الفضل فِي تقدم الْمَسيحِيّة الفِكْرِيّ[4].

ظَلّتْ مدرسَةُ الإسكندريَّة تُعَلّمُ النّاسَ مَدَى أرْبَعْمَائَة عام[5]، وحافَظَتْ- جُمْلَةً- عَلَى الفَلْسَفَة اليُونانيّة، واسْتَحْدَثَتْ لِنَفْسِهَا فَلْسَفَةً جَدِيدَةً، هِيَ مَزِيجٌ مِنَ الْمَسيحِيّة والفَلْسَفَة القديمة، وَكَانَتْ الدّراسة فِيهَا باليُونانيّة، ثُمّ شاركتها السّرْيانيّة فِي أواخر العهد الرّومان. وَفِي القرن الأوَّل الهِجْرِيّ/ السّابع المِيلادِيّ كَانَ

---

1 - مِنْهُمْ أَبُو عبد الله البتاني وَهُوَ أحد المشهورين برصد الكواكب والمتقدمين فِي علم الهندسة وهيئة الأفلاك وحساب النّجوم، و ثابت بن قرة (ت٢٨١ ه / ٨٩٣ م) أهم من عرف فِي مدرسة حران إِذْ كَانَ يجيد اليونانية والسّريانية والعبرية، و حنين بن أسحق وقسطا بن لوقا وأولاد شاكر وغيرهم. اليوزبكي: م. س. ص45.

2 - نسبة إلَى افلوطين Plotinus (ت270م)، فيلسوف اسكندراني، صاحب مذهب " الافلاطونيه الجديده. ويكيبيديا الموسوعة الحرة (افلوطين).

3 - فيثاغورس Pythagoras (580- 500 ق . م) عالم رياضيات يوناني، أنشأ مدرسة فِي إيطاليا لمناقشة موضوعات فَلْسَفِيّة . ويكيبيديا الموسوعة الحرة (فيثاغورس).

4 - الفيومي: **تاريخ الفكر الديني الجاهلي، م. س.** ص 223.

5 - ديورانت: **قصة الحضارة**، م. س. 11 / 113.

اصطفن الاسكندراني، فيلسوف بلاط الإمبراطور هرقل، أشهر المعلمين فِي الإسكندريَّة[1].

قَالَ ابن القفطي (ت646هـ/ 1248م)[2]:" والإسكندرانيون هُمْ الَّذِينَ رتبوا بالإسكندريَّة دار العلم ومجالسّ الدّرس الطّبي، وَكَانُوا يقرأون كتب جالينوس (130- 200م)، ويرتبونها عَلَى هَذَا الشّكل الَّذِي يقرأ اليوم عَلَيْهِ، وعملوا لَهَا تفاسير وجوامع تختصر معانيها، ويسهل عَلَى القارئ حفظها وحملها فِي الأسفار، فأوَّلهم عَلَى مَا رتبه إسحاق بن حنين (215-298هـ/ 830-910م): اصطفن الإسكندراني، جاسيوس، انقيلاؤس، مارينوس. فهَؤلَاءِ الأربعة عمدة الأطباء الإسكندرانيين، وَهُمْ الَّذِينَ عملوا الجوامع والتّفاسير".

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أنَّ هَذِهِ المدرسةَ كَانَتْ لا تزالُ قائمةً حِينَ فتح الْعَرَب مِصْرَ. وَقَدْ اتّصَلَ الْعَرَبُ مباشرةً بهذهِ المدرسةِ، مِنْذُ خَالِد بن يزيد بن معاوية (ت85هـ/ 704م)، الَّذِي أمرَ بإحضارِ جماعةٍ مِن علمائِها، لترجمة مَا عِنْدَهم مِن كُتُبٍ فِي الكيمياء[3]. ومِن الأطبّاءِ الَّذِينَ اتصلوا بخلفاءِ بنِي أُمَيَّةَ، وخَدَمُوهُمْ، عبد الملك بن أبجر الكناني، وَكَانَ من الأطباءِ المشهورينَ فِي مدينةِ الإسكندريَّة[4].

- مدرسة أَنْطَاكِيَةَ:

1 - ماكس مايرهوف Meyerhof Max: "من الإسكندرية إلَى بغداد"- بحث فِي تاريخ التعليم الفَلْسَفَيّ والطبي عِنْدَ العرب، ترجمة: عبد الرّحمن بدوي، *التراث اليوناني فِي الحضارة الإسلاميّة*، ص43.

2 - **أخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص 60.

3 - **القفطي: م. ن.** ص60؛ شوقي ضيف: **الفن ومذاهبه فِي الشّعر العَرَبِيّ**، ص 460.

4 - عبد الشّافى مُحَمَّد عبد اللطيف: **السّيرة النّبوية والتاريخ الإسلاميّ**، ص 337.

قام يوسطاثيوس أُسْقُف أَنْطَاكِيَةَ بتأسيس مدرستها- حوالَى القَرْن الرّابع المِيلادِيّ- عَلَى نمط مدرسة الإسكندريَّة [1]، أَمَّا تاريخُها فَلَمْ يَسِرْ عَلَى وتيرةٍ واحدةٍ، ففي أوائل عهدها نُفِيَ مُؤَسِّسُها سنة ٣٣١م، إِلَّا أَنَّها استمرت إِلَى سنة ٣٧٩م، حَيْثُ تشتت بَعْدَ ذَلِكَ، إِلَى أن قام الأُسْقُف ثيودور بإِحْيَاءِ الدِّرَاسَةِ فِيهَا مَعَ بَعْضِ الطَّلَبَةُ، الَّذِينَ الْتَفُوا حَوْلَهُ إِلَى سَنَةِ ٣٩٢م.

وَكَانَتْ أَنْطَاكِيَةَ ومدرستها مركزاً للثقافة العِلْمِيَّة اليُونانِيّة، إِشْتَهَرَتْ بِدراسَةِ اللاهُوتِ والفَلْسَفَةِ، فَضْلًا عَنْ الطِّبِّ الَّذِي كَانَ بِيَدِ رجال الدّين[2]. يبدو أن هَذِهِ المدرسة قَدْ تأثرت بالخراب، الَّذِي أَلَمَّ بأَنْطَاكِيَةَ قُبيل الفتحِ الإِسْلَامِيّ، بفعل هجمات الفرس، والكوارث الطّبِيعيَّة، وَقَدْ أحياها الأُمَوِيّون بنقلهم مدرسة الإسكندريَّة[3].

ثمة مدارس للسريان في أنطاكية ازدهرت، غير مدرستها الكبرى، نحو: مدرسة دير "مار بسوس" الذي سكن فيه أيام عزه ستة آلاف وثلاثمائة راهب، ثم مدرسة دير "تلعدا" الذي أنشئ في القرن الرابع، ومدرسة دير "الجب" الخارجي وغيرها. واشتهر في تلك المدارس إسحاق الأنطاكي الكبير (ت٤٦٠م)، والبطريركان بولس الثالث (ت٥٧٥م)، وبطرس الثالث (ت٥٩١م)[4].

ساهمت الأَدْيِرَة والمكاتب الصّغيرة – فَضْلًا عَنْ المدرسة– فِي أَنْطَاكِيَةَ بدراسة اللاهوت، وأحياء اللُغَة اليُونانِيّة وتراثها. ومن ابرز من درَّس- فِي هَذِهِ الأَدْيِرَة فِي العصر الأُمَوِيّ- يعقوب الرّهاوي، الَّذِي كَانَ استاذاً لمدة أحد عشر

1 - أوليري: **انتقال علوم الاغريق إِلَى العرب**، ص62.

2 - فاضل خليل إِبْرَاهِيم: **خَالِد بن يزيد سيرته واهتماماته العِلْمِيَّة**، ص31.

3 - م.ن. ص31.

4 - طرازي: **عصر السريان الذهبي**، ص16.

عاماً فِي دير يوصبيونا فِي أَنْطَاكِيَةَ[1]. ويبدو أَنَّ دورَ هَذِهِ الأَدْيِرَة فِي الحقبة الأُمَوِيّة، يكمن فِي نقلها للأفكار والفلسفات اليُونانِيّة إِلَى الْعَرَب.

- مدرسة قِنَّسْرين[2]:

قامت مدرسة قِنَّسْرين المُتَمَثِّله فِي ديرها[3] فِي القَرْن السّادس، وذاعت شهرتُها فِي القَرْن السّابع، وبقيت مزدهرة حَتَّى القَرْن التّاسع المِيلادِيّ، وَكَانَ التّعليم فِيهَا باللغتين اليُونانِيّة والسّرْيانِيّة، وَكَانَتْ تُدْرّسُ فِيهَا آدابُ اللُغَة اليُونانِيّة بشكل خاص، وتعلَّم فِيهَا العلوم اللُغَوِيَّة والأَدَبِيّة والكِتَابِيّة والمنطقيَّة والفَلْسَفَيَّة والطّبِيعيَّة واللاهُوتِيّة والفقهيَّة[4]. وَكَانَ لمدرسة دير قِنَّسْرين أثر كبير فِي نقل بعض العلوم اليُونانِيّة فِي مجالاتها المتَنَوُّعة، وترجمتها إِلَى اللُغَة السّرْيانِيّة، ثُمّ تُرْجِمَ مَا نُقِلَ فِيمَا بَعْدُ إِلَى اللُغَةِ الْعَرَبِيّةِ، ولاسِيّمَا فِي العصرِ العباسِيّ[5]. ومِنْ أَبْرَزِ عُلَمَاءِ هَذِهِ المدرسةِ:

---

1 - اوليري :**الفكر العَرَبِيّ**، ص 46

2 - قِنَّسْرين: بكسر أوله، وفتح ثانيه وتشديده، ذكرها بطليموس، وقصبتها حلب فِي شمالها. المقدسي: **أحسن التقاسيم فِي معرفة الأقاليم**، ص154؛ ياقوت: **معجم البلدان** 403/4. قِنَّسْرين لفظ سرياني مركب من كلمتين ومعناه " وكر النّسور "

3 - يقع الدير عَلَى الضَّفة الشّرقية لنهر الفرات، وَقَدْ تأسس الدير حوالى 530م. افرام برصوم: **اللؤلؤ المنثور فِي تاريخ العلوم والآداب**، (بغداد 1976م)، ص 20.

4 - اوليري، دي لاس: **الفكر العَرَبِيّ ومركزه فِي التاريخ**،، ص45؛ غريغوريوس يوحنا إِبْرَاهِيم: **المراكز الثّقافِيّة السّريانية**، ص11– 12.

5 - عبد الرّحمن بدر الدين: " قِنَّسْرين أَوْ عش النّسور"، *مجلة التراث العَرَبِيّ*، العدد ٩٨ حزيران ٢٠٠٥ م، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ص ٢٣٩-٢٤٠.

- توما الحرقلي "Thomas of Harkel" مطران منبج، وهو من قام بترجمة العهد الجديد عن اليونانية الى السريانية سنة 616م، وعُرفت بـ"الترجمة الحرقلية Harklean"، وهى ترجمة حرفية[1].

- " ساويرا سابوخت " (ت47هـ/ 667م) وَكَانَ قَدْ جمع بَيْنَ الاهتمام بالدّراسات الدّينِيَّة والتّبحر فِي دراسة الفَلْسَفَة والرّياضيات وعلم الفلك، وله مصنفات فيها، وعلى يده وصلت الأرقام الهنديّة الى العرب[2]. وَكَمَا تتلمذ " لساويرا " عدد كبير من التّلاميذ فِي مدرسة دير قِنَّسْرين.

- يعقوب الرّهاوي (ت89هـ/708م) تلميذ ساويرا، الَّذِي يعد ظاهرة فذة بَيْنَ المفكرين السّريان، حَيْثُ تميز بسعة معارفه العِلْمِيَّة وتَنَوُّعها[3]، واشتملت مؤلفاته عَلَى دراسات دِينِيَّة وفَلْسَفِيَّة ولُغَوِيَّة وتاريخيّة وأَدَبِيّة[4]، وَهُوَ صاحب أَوَّل مُؤَلَّف للنحو عِنْدَ السّريان، والذّي من خِلَالِه وضعت القواعد والضَّوابط للغة السّرْيانيّة، واليه تُنْسَبُ الحركات الخَمْسُ، المُعَبّر عَنْهَا بصُورِ أَحْرُفَ يُونانِيّة صغيرة وهى: (ِ ُ ٍ) [5]. وَهُوَ يعاصر "أَبُو الأسود الدّؤلي" (-69هـ/ 689م) أَوَّلَ من وضع النّحو

1 - سركيس أبو زيد: **المسيحية في إيران**، ص108؛ تادرس يعقوب ملطي: "كتاب القديس أفراهاط الحكيم الفارسي: حياته، كتاباته، أفكاره"، 15، موقع: *كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القمص*، الإسكندرية.

2 - أبو زيد: م. ن، ص108.

3 - مراد كامل، مُحَمَّد حمدي البكري، زكية مُحَمَّد رشدي: **تاريخ الأدب السّرياني**، ص 261 – 275.

4 - ألبير أبونا: **أدب اللُغَة الآرامية**، ص 368.

5 - غريغوريوس يوحنا إِبْرَاهِيم: **المراكز الثّقافِيّة السّريانية**، ص 15.

للغة الْعَرَبِيّة[1]، وشكَّلَ الحروف برموز الحركات القصيرة، إِذْ جعل الفتحةَ نقطةً فوق الحرف، والكسرةَ نقطةً تَحْتَ الحرف، والضَّمَّةَ نقطةً عَلَى يسار الحرف[2].

- أتناسيوس البَلَدِي (ت67هـ /687م) رُقِّيَ إِلَى البِطْرِيَكية عام 684م، كرَّسَ نفسَه لترجمةِ الأعمالِ اليُونانِيّة الفَلْسَفَيّة واللاَهُوتِيَّة، مثل: ايساغوجي لفورفوريوس الصُّورِيّ، وترجمات أغريغوريوس النّزيانزي، وَلَهُ رسالة عَامّة عَنْ عَلاقَات الْمَسِيحِيِّينَ بالمُسْلِمِينَ[3].

- مار جرجس (جورجيوس) (ت 106هـ/ 724م)، أسقف حوران، وَهُوَ عربيّ الأصل، لُقِّبَ بـ"أُسْقُف القَبَائِل الْعَرَبِيّة"، أو "أسقف العرب"[4]. عُيِّنَ مطْرَانا لجماعة الْعَرَب أصحاب الطّبيعَة الواحدة عام 687م فِي أَبْرَشِيَّة تضم العاقولِيّين، والطّائِيّين، والتّنوخِيّين، والتّغلبِيّين، وعَرَبَ الجَزِيْرَة، وَذَلِكَ فِي مَا بَيْنَ النّهرين فِي أسقيفة العاقولا (الكوفة). وَكَانَ تَلْمَذَ عَلَى يعقوب الرّهاوي فِي دير قِنَّسْرين، ونال شهرة كبيرة كعالم لُغَوِيٍّ ومُفَسِّر، وترجم أورجانون أرسطو[5].

- مدرسة جنديسابور:

جنديسابور: مدينة تقع فِي خوزستان، أسسها شابور الأول (241-272م)، وإليه تنسب، وكان قد توغل في أراضي الامبراطورية الرومانية، وحقق انتصارات باهرة، ولاسيما في معركة "أديسا" عام 259م، التي أسر فيها الإمبراطور الروماني فاليريون (253-260م)، وأسكن الأسرى الرّوم "جنديسابور"،

---

1 - ابن النّديم: **الفهرست**، ص 62.

2 - رمضان عبد التواب: **بحوث ومقالات فِي اللُغَة**، (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1995) ص 176.

3 - مراد كامل، مُحَمَّد البكري، زكية رشدي: م. س. ص276.

4 -سركيس أبو زيد: المسيحية في إيران، ص108.

5 - اوليري: **علوم اليونان** ١٩١- ١٩٢؛ مراد كامل: م. ن، ص276؛ بدر الدين: قِنَّسْرين أَوْ عش النّسور ص ٢٤٦.

وَبِخَاصَّةٍ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى جانب كبير من الثّقافة والخبرة الفنية، وَكَانَ يؤمَّل استخدامهم مهندسين ومعماريّين وأطباء، وسمح لَهُمْ باستعمال لغتهم وإتباع ديانتهم. كَمَا سمح لَهُمْ ببناء الكَنَائِس، فتَمَتَّعوا بالْحُرِّيَّة أكثر مِمَّا كَانَ يسمح لَهُمْ تَحْتَ حكم الإمْبِرَاطورِيَّة الرّومانية[1]. وأسس فِيهَا كِسْرَى انوشروان مدرسة للطب، كَمَا أنشأ فِيهَا بيمارستان، وأول من علم بِهَا الطّب من اليونان والهنود، فالتّقت فِي هَذِهِ المدرسة الثّقافة اليُونانِيّة والهنديَّة والفارسيَّة، كَمَا ازدهرت بتأثير الدِّيَانَة الْمَسِيحِيَّة[2]. ومن مآثر كسرى، أنّه عمل على إرسال أطبائه الى الهند، بحثا عن المصنفات الطبيّة الهندية، والتي ترجمت من السنسكريتية الى الفارسية، وقد ترجم كثيرا من الأعمال العلمية الأخرى من الإغريقية الى الفارسية والسريانية[3].

واصلتْ هَذِهِ المدرسةُ نشاطَها العلميَّ بَعْدَ الفتح الإِسْلَامِيّ، وزادَ إتصالُها بالمُسْلِمِينَ فِي العصرِ العباسيّ، واشتهرَ مِن أساتذتِها وطلابِها: جرجيسُ بن بختيشوع (ت154هـ/ 771م) الطَّبيبُ، يحيَى بن البِطْرِيق الَّذِي إخْتَصَّهُ المنصورُ للقيامِ بالتّرجمةِ[4].

كان العلماء النساطرة بعد الفتح بقليل، ولاسيما الأطباء منهم، يستعملون اللغة العربية، بحكم قربهم من الحيرة، وانتشار العرب في مدنهم، فضلا عن الفارسية والسريانية. ومن هنا كانت إسهامًا في تنامي مواهب النساطرة اللغوية والمعرفية، في منطقة متعددة الثقافات والسير مع التيارات العلمية الجديدة، مع

1 - ديموميين، موريس غود فروا: **النّظم الإسلاميّة**، ترجمة: صالح الشّماع(مطبعة الزهراء – بغداد 1952م).

2 - ديورانت: **قصة الحضارة** 13/ 215.

3 -سركيس أبو زيد: المسيحية في إيران، ص105.

4 - اليوزبكي: " التعريب فِي العصرين الأُمَوِيّ والعباسي"، ص47.

الاحتفاظ بالتراث القديم. كل هذا جعل النساطرة خيرة الوسطاء لنشر الثقافة اليونانية الرومانية بين العرب[1].

للنَسَاطِرَة حظٌ وافرٌ فِي الكتابةِ والتّرجمةِ والأدبِ، وازدهرتْ حياتُهم الفِكرِيَّةُ بَيْنَ القَرْنينِ (1-3هـ/ 7-10م)، وَكَانَتْ مؤلفاتُهم تَتَضَمَّنُ نَشْرَ سيرةِ القديسينَ وكَنَائِسِهم، والتّاريخَ الْكَنَسِيَّ، ورسائلَ التّصوفِ. أَمّا حركةُ التّرجمةِ من اليُونانِيّةِ إلَى السّرْيانِيّةِ فكانتْ ذاتَ منحًى علميٍّ، يتوافقُ مَعَ الحاجاتِ الثّقافِيّةِ المُتّسِعَةِ للعَالَمِ الإِسْلَامِيّ[2]، ومِن أشهرِ أعلامِهم:

- بابى الأرشمندريت (باباي الكبير): تمكن من الإِدَارَة الْكَنَسِيّة النَّسْطُورِيّةَ (607- 627م)[3]، كَانَ بابى مكثرا فِي التّأليف، نسب إِلَيْهِ أكثر من اربعة وثمانين عملا، تشمل: شرح الكتب المقدسة، والاعياد، ورسالة عَنْ اتحاد الطّبيعتين، وقوانين الرّهبان والقسس[4].

ومن النَّسَاطِرَة ثُمَّةَ علماء أعلام كثيرون تخرجوا من مدرسة نصيبين، أسهموا بدور فاعل فِي الحركة الفِكرِيَّة والعِلْمِيَّة وحركة التّأليف[5]، إِبّانَ القَرْن الأَوَّل الهِجْرِيّ/ السّابع المِيلادِيّ ، ولاسِيَّمَا من تلاميذ ابراهام الكشكري الكبير (ت588م)[6]، ومن أشهرهم: برعيتا (ت621م)، كيوركيس، باباي برنصيبنايي

1 - ج. شحاته قنواتي: **تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط**، ص132.

2 - مراد كامل: **تاريخ الأدب السّرياني**، ص276.

3 - ألبير أبونا: **تاريخ الكنيسة السّريانية الشّرقية**، 183، 190.

4 - آدي شير: **تاريخ كلد وآثور** 286/2، 320؛ مراد كامل: م. س. ص282-284.

5 - انظر: شير: م. ن. 2/ 316- 327.

6 - آدي شير: **م. ن.** 2/ 284.

(الصّغير)، ساهروي، إيليا الحيري، يوحنان داذرمه، حنانيشوع من وجوه الحِيرَة، يحنان نحلايا، سبريشوع، وغيرهم[1].

ومن **اليَعَاقِبَة** الَّذِينَ أسهموا فِي تَطَوّر الحركة العِلْمِيَّة إِبّانَ القرن الأوَّل الهِجْرِيّ/ السّابع المِيلادِيّ: سويرس سيبوخت "Sawiros Sebokht" (ت47هـ/ 667م)، وتلميذاه: اثناسيوس البلذي الَّذِي اشتهر بالمنطق الارسطاطالي، ويعقوب الرّهاوي (ت89هـ /708م)، وجورجيوس (ت106هـ /724م) أُسْقُف الْعَرَب الْمَسِيحِيّينَ فِي حوران (سوريا)، وتلميذ هذين الأخيرين، وَقَدْ اشتهر كشارحٍ ومترجمٍ لمنطقِ أرسطو[2].

أَمّا **الملكيُّون**، الَّذِينَ هُمْ أصحاب ثقافة رومانيَّة يُونانِيّة، فَلَمْ يعيشوا العزلة، بَلْ اندمجوا شيئا فشيئا فِي العالم الْعَرَبِيّ، وعرَّبوا الليترجيا تعريبا كاملا، مُبينين أن الْمَسِيحِيّة يمكن ان تعيش جنبًا إِلَى جنب مَعَ الإِسْلَام، فِي جو ثَقافِيّ عربيّ[3].

ومن المدارس الشّهيرة فِي القَرْنين السّادس والسّابع -بَعْدَ: أورهاي، وقطسفون[4] (المدائن)- مدرسة أرزون، وبيت عيناثا، وبلد، وأربيل، وكرخ سلوخ، والحِيرَة، وكشكر[5]، وميشان، وغيرها[1]. كرَّس الجاثليق "باباي" حياته لبناء

---

1 - للتزود انظر: آدي شير: م. ن. 2/ 286- 291.

2 - "ماكس مايرهوف Max Meyerhof: من الإسكندرية إِلَى بغداد" م. س. ص55؛ قنواتي: **المسيحية والحضارة العَرَبِيّة**، ص94.

3 - كيرلس سليم بسترس: "المطران سليم غزال وتقليد كنيسة الرّوم الملكيين الكاثوليك فِي الحوار المسيحيّ الإسلاميّ"، *سلسلة دراسات ووثائق اسلامية مسيحية*، رقم 14، كلية العلوم الدينية، جامعة القديس يوسف، بيروت، ص41.

4 - فيها نشأ ططيانس السرياني الآشوري (ق2م) ، مؤلف كتاب "الدياطسرون". طرازي، فيليب: **عصر السريان الذهبي**، ص16؛ أبو زيد: **المسيحية في ايران**، ص 107.

5 -كشكر او كسكر: (بالسريانية: ܟܫܟܪ) بلدة تاريخية على نهر دجلة بسواد العراق (قرب بلدة الحّي المجاورة للكوت). بناها شابور الأول الساساني، كمركز لتوطين الأسرى الروم، خلال حملاته في

المدارس وأخذ ينظِّمها، ويتعهّدها بالأموال والإِدَارَة والمدرسين، فبنى أكثر من ستين مدرسة، وأقام فِي جوار بغداد- قَبْلَ أنْ تكونَ عاصمة المملكة الْعَرَبِيّة- مدرسة كليليشوع، أَوْ مدرسة الجاثليق[2].

إلَى جانب المدارس المشهورة -بحَسَبِ مايرهوف Meyerhof[3]: كَانَتْ هُنَاكَ مدارس فِي الأَدْيِرَة، ذات طبيعة لَاهُوتِيَّة دِينِيَّة، وتسمح بدراسة العلوم الدّنيوية، وَهِيَ: النّحو، والبيان، والفَلْسَفَة، والمنطق، والطّب، والرّياضيات، والفلك، والموسيقى. ومن أشهرها: مدرسة دير القديس أفثنيوس فِي قِنَّسْرين بسوريا، الَّتِي كَانَ أوج ازدهارها فِي العصر الإِسْلَامِيّ؛ ومدرسة "رأس العين" (رشعينا) بدير "قرقفا"، قرب قرية المجدل على نهر الخابور، عرف منها "سرجيس الراسعيني" (ت536م) إمام عصره في الطب والمنطق والفلسفة، وأول النقلة من اليونانيّة الى السريانيّة[4]؛ ومدرسة دير "قرتمين"، تاسست سنة 397م في "طور عبدين" اشتهر رهبانها بصنع الرقوق، وتجويد الخطوط، وتجديد الكتابة "السطرنجيليّة"[5]، وظل هذا الدير زاهرا حتى القرن 6هـ/12م[1]؛ مدرسة دير مار

سوريا الرومانية، في (ق3م). ورد ذكرها في كتاب أعمال الرسول أدي، كإحدى أولى البلدات التي اعتنقت المسيحية. كما عرفت كمركز لأبرشية عامرة لكنيسة المشرق، ضمن بطريركية سلوقية- قطيسفون. موسوعة ويكيبيديا (كسكر)

1 - انظر: آدي شير: م. س. 2/296- 297.

2 - ماري: **اخبار فطاركة كرسي المشرق**، ص129؛ روفائيل بابو: **تاريخ نصارى بغداد**، ص65.

3 - ماكس: " من الإسكندرية إلَى بغداد"، ص54.

4 - سركيس أبو زيد: **المسيحية في ايران**، ص108.

5- الخط المفتوح أو الثقيل، ويقال له الأسطرنجيلي (بالسريانية: ܐܣܛܪܢܓܝܠܝ) هو أحد خطوط السريانية الثلاثة، ويعتبر أقدمها. استخدم هذا الخط حصريا بكتابة الأناجيل السريانية ولعل أبرز مخطوطة كتبت به هو إنجيل البشيطتا في القرن الثاني الميلادي. يختلف الباحثون في أصل تسميته، فبعضهم يعزيه إلى اللفظة السريانية ܣܛܪܐ ܕܐܘܢܓܠܝܘܢ سَرطا إيوَنجليا، أي "خط الإنجيل" بينما يعتقد آخرون بعودته إلى اليونانية στρογγύλη سترونجيلي بمعنى "المدور" نسبة إلى شكله.

متي : الواقع بالقرب من الموصل، انشئ هذا الدير في اواخر القرن الرابع، وظل مزدهرا حتى القرن 7هـ/13م[2].

لَعَلّ أهمّ أثرٍ للمدارسَ الْمَسِيحيّةِ فِي الإِسْلَامِ أنّها أسْهمتْ فِي رَفْدِ التّفاعُلِ الثّقافِيّ، وتَنْمِيَةِ الإندماجِ الاِجْتِمَاعِيّ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ فِي بيئةِ القرن الأوّل الهِجْرِيّ/ السّابع الميلادِيّ، إِذْ تدلُنا فَتْوَى يعقوبِ الرّهاويّ بِأَنّهُ أجازَ للنَصَارَى تعليمَ الْمُسْلِمِينَ[3]، عَلَى ارتقاءِ الاندماج الاِجْتِمَاعِيّ فِي مجالِ التّربيةِ والتّعليم، فَهِيَ أشبَهُ بتجربةِ الوفاقِ التّربويّ فِي لبنانَ اليوم، فِي إِدَارَةِ مدارسَ تستقطبُ أبناءَ مُخْتَلف الدّيَانَات[4].

- المكتبات

لا يمكن تصور وجود هكذا مدارس راكزة في الذاكرة الحضاريّة، دون ان تلتمس لها العناية الفائقة في الكتاب والمكتبات، وكَانَ للمَسِيحِيّينَ -فِي نشر الكتاب- اليد المبسوطة، ولاسيّمَا حِينَ اتخذوا مواطن آمنة من بَعْدَ التّهجير الطّائفي والإقصاء الّذي واجهته النَّسْطُورِيّةَ واليَعْقُوبِيّةَ والقبطِيَّة، وتخصيص كيانات ثَقافِيّة دِينِيَّة عمادها المكتبات المنتشرة فِي مدارس جنديسابور والرّها وقِنَّسْرين والإسكندريَّة، فَقَدْ كَانَ لها الأثر البالغ فِي إرساء الثّقافة الإنْسَانِيَّة فِي القرون

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (اسطرنجيلي).

1 - فيليب دي طرازي: **عصر السريان الذهبي** (هنداوي، القاهرة،2012) ص14؛ أبو زيد: **م. ن.** ص109.

2 - نزار الديراني: "المدارس والمكتبات السريانية من القرن الثالث الى القرن الثالث عشر"، *موقع بوابة نركال* http://nirgalgate.com/nirgal/feeds.php?lang.

3 - أحمد أمين: **فجر الإسلام**، ص 133.

4 - انظر: انطوان مسرة: " النّظرية العامة فِي النّظام الدستوري اللبناني"- أبحاث مقارنة فِي انظمة المشاركة، ص255- 292.

الإِسْلَاميّة الأولى، فقامت بإزائها المكتبات الكبيرة فِي الشّام و بغداد وبُلْدَانِ الشّرق الإِسْلَاميّ.

لعل من أهم المكتبات ما أودعه السريان في عصرهم الذهبيّ، فكانت عديدة ، تزخر بالمخطوطات التي نمقتها قديمًا أيدي العلماء والمؤلفين والنساخ في اللسانً السرياني؛ نحو: مكتبة الرُّهَا المَلَكِيَّة، مكتبة المفارنة في تكريت، مكتبة آمد (ديار بكر)، مكتبة مذيات في(طور عبدين)، مكتبة دير مار متى الشيخ، مكتبة دير قرتمين، مكتبة دير والدة الله في وادي النطرون بمصر، تأسست قبل 603م[1].

لعبت عوامل التعرية، وعبث المتسلطين الجاهلين بقيمة الحضارات، دورًا في اندثار مكتبات كبرى. ثُمَّة أخبار تنبئ بأنْ أُحْرِقَتْ مدادٌ أو أُغرقت -إِبَّانَ الْفُتُوح- مثلما أُهرقت دماء. أَمَّا مَا قيلَ عَنْ حادثتي حرق كتب فِي فَارِسَ والإسكندريَّة، فإذا ما صحَّ، وإنْ كَانَ فعلا عَنْ نِيَّة صادقة، تجاه المباني الفكرِيَّة الإِسْلَاميّة والحفاظ عَلَيْهَا، فإنَّهُ يبقى محاولة إنهاك التّمازج الفِكْرِيّ والثّقافِيّ مَعَ تراث الحَضَارَات السّابقة، وإرهاق لمسيرة الدَّولَة العَرَبِيَّة، سجلت على إثره قطيعة حضارية. وَقَدْ انتبهت إلَى حالها هَذه من القطيعة مَعَ السّلسلة الحَضَارِيَّة فِي نهاية القَرْن الثّاني، أي فِي عصر المأمون وعصر التّرجمة، ونقل المعرفة، الَّذِي كَانَ رواده الْمَسِيحِيّون السّريان.

لَعَلَّ أقدمَ مَنْ أوردَ خَبَرَ حرقِ مكتبةِ الإسكندريَّةِ هُوَ عبدُ اللطيف البَغْدادي (557- 629هـ/ 1162- 1231م)، قَالَ[2]:" وَفِيهَا خزانةُ الكتبِ الَّتِي حرقَها عمرو بن العاص بأمرٍ مِن عمرَ بن الخطَّاب. ونقلَ أَبُو الفرج الملطي

1 - لزيادة المعرفة عن المكتبات، انظر: طرازي: **عصر السريان الذهبي** 108-113.

2 - ابن نقطة: **الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر**، (مطبعة وادي النّيل، القاهرة، 1286 هـ) ص28.

(ت686هـ/ 1287م) روايته عَنْ جمال الدّين القفطي (ت646هـ/ 1248م) فِي ترجمة يحيى النّحوي المَصْري الإسكندراني الحكيم، الَّذِي عاش إلَى فتح الْمُسْلِمِينَ مِصْرَ والإسكندريَّة، واستطاع بقُوَّة منطقه وحُجَجِهِ أَنْ ينال إكرام عمرو بن العاص، ويحظى بملازمته، وتداولا يوما الكَلَام عَنْ كتب الخزانة الإسكندريَّة، وشرح لَهُ يحيى كَيْفَ جمعت وتَنَوَّعَتْ فِي علوم الحَضَارَات، مِمَّا استكبر عمرو مَا ذكره وعجب مِنْهُ، ثُمَّ سأله يحيى أَنْ يفرج عَنْ كتب الحكمة فِي الخزانة الملوكية، غير ان عمرو اعتذره حَتَّى استئذان الخليفة عمر بن الخطَّاب فِيهَا، فوردَ عَلَيْهِ كتابُ عمرَ يَقُول فِيهِ:" وَأَمَّا الكتب الَّتِي ذكرتها فإنْ كَانَ فِيهَا مَا يوافقُ كتابَ اللهِ، ففي كتابِ اللهِ عَنْهُ غنًى، وإن كَانَ فِيهَا مَا يخالف كتاب الله فلا حاجة إلَيْهَا، فاقدم بإعدامها" فشرع عمرو بن العاص فِي تفرقتها عَلَى حمامات الإسكندريَّة وأحرقها فِي مواقدها فِي مدة ستة أشهر[1]. ويبدو أَنَّهُ فِي ظِلِّ هَذِهِ المدة استطاع أن يوفق بَيْنَ الالتّزام بأمر الخليفة، وعلاقته الطّيبة بالزعامات الْمَسِيحِيَّة، فِي انتقاء مَا يلزم الفائدة والأَهَمِّيَّة من الكتب العِلْمِيَّة واللَاهُوتِيَّة، ولذا لَمْ يضِعْ تراثُ الإسكندريَّة مثلما ضاع التّراث فِي فَارِسَ.

وأشارَ ابنُ خلدون إشارة واعيَةً، إلَى تعاملَ مسلمِي الْفُتُوح مَعَ تراث الفرسِ، وتساءلَ عَنْ علومِ الحَضَارَات السّالفة، بقوله[2]:" ولعَمْرِي، لَمْ أقفْ عَلَى الكَلَامِ فِي منحاهُ لأَحَدٍ مِن الخليقةِ، مَا أدْرِي، أَلغَفْلَتِهِمْ عَنْ ذَلِكَ، وليسَ الظّنُّ بِهِمْ، أَوْ لعلّهُم كتبوا فِي هَذَا الغرض، واستوفوه، وَلَمْ يَصِلْ إلينا من العلوم أكثر مِمَّا وصل، فأين علوم الفرس الَّتِي أمر عمر بمحوها عِنْدَ الفتح، وأين علوم الكلدانيّين والسّرْيانِيّين وأهل بابل، وما ظهر عَلَيْهِمْ من آثارها ونتائجها، وأينَ علوم القبط

1 -ابن العبري،: **تاريخ مختصر الدول**، ص175-176؛ خليل جمعة الطوال: "مكتبة الإسكندرية- تأسيسها وروَايَة إحراقها"، *مجلة الرّسالة* (اصدار أحمد حسن الزيات، القاهرة، 1933- 1954م) ص20- 23.

2 - **تاريخ العبر** 1/ 50.

ومِنْ قَبْلِهِم؟، وإنَّمَا وصل إلينا علوم أمّة واحدة، وَهُمْ يونان، خَاصَّة لكَلَفِ المأمون بإخراجها من لغتهم".

وذكر علوم الفرس بأنْ" كَانَ شأن هَذِهِ العلوم العقليّة عِنْدَهم عظيما ونطاقها متّسعا، لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ دولتُهم من الضَّخامةِ واتّصالِ المُلْكِ... إلَّا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا افْتَتَحُوا بِلَادَ فَارِسَ، وأصابُوا من كتبِهم وصحائفَ علومِهم مِمَّا لا يأخذُه الحصرُ. وَلَمَّا فُتِحَتْ أرض فَارِسَ، ووجدوا فِيهَا كتبًا كثيرةً، كَتَبَ سعد بن أبي وقّاص إلَى عمر بن الخطَّاب، ليستأذنه فِي شأنها، وتنقيلها للمُسْلِمِينَ، فكتب إلَيْهِ عمر: أنْ اطرحوها فِي الماء؛ فإنْ يكنْ مَا فِيهَا هدى، فَقَدْ هدانا الله بأهْدَى مِنْهُ، وإنْ يكنْ ضلالًا فَقَدْ كفانا اللهُ. فطرحُوها فِي الماءِ أَوْ فِي النّار، وذهبتْ علومُ الفرسِ فِيهَا عَنْ أنْ تصلَ إلينا"[1].

مَا تجدر الإشارة إلَيْهِ فِي هَذِهِ النّقطة، المنهج المُتَمَثّل فِي أَنَّ كلَّ مَا شابَه، وما لَمْ يشابِه الموجودَ فِي القُرآنِ من تراثِ الحَضَارَاتِ، لا يُغْنِي ولَا يَسدُّ رَمَقًا، هُوَ مشروعُ إحتواءِ الآخرِ وتهميشِ تراثِه، بَلْ ضياعِه فِي دياجيرِ القرونِ، مثلِ التّراثِ الأدبيّ والعلميّ واللُغَويّ والإدَارِيّ للفُرْسِ فِي العَصْرِ الفَهْلَوِيّ.

كَمَا ويَنُمُّ عَنْ فكرةِ الاحتكارِ المعرفيّ للدينِ، الأمرُ الَّذِي من شأنه أنْ يُفَوّتَ عَلَى الحَقِيْقَةِ فُرَصَ التّلاقُحِ الفِكْرِيّ، الَّذِي يفتحُ فرصَ الإطلالةِ عَلَى أكثرِ مِن وجهةِ نظرٍ فِي فهم الحَقِيْقَة، مَا قَدْ يشكل جزءًا فِي معرفتها، ويفتح آفاقَ الإبداع، الَّذِي يُسهم فِي انبعاثِ الغِنَى من التَّنَوُّع الثّقافِيّ والدّينِيّ. يُمكنُ- فِي النّهاية- أنْ تتكاملَ الأجزاءُ فِي تشكيلِها لصورةٍ واضحةِ المعالِم، بدلًا من استغراقِ كُلِّ فريقٍ فِي جزءٍ، يحسبُ أنّه تمامُ الصّورةِ.

---

1 - ابن خلدون: م. ن. 1/ 631؛ وقارن: حاجي خليفة: **كشف الظنون عَنْ أسامي الكتب والفنون**1/33؛ القنوجي، مُحَمَّد صديق: **أبجد العلوم** 145.

- **دَور العلماء السّريان:**

فتح السريان -منذ المائة الرابعة للتاريخ المسيحي- عصرًا سعيدا ذهبيًّا، بما أنشئوه من المدارس الشهيرة، والمعاهد الفخمة، والمكتبات الزاهرة، وبمن أنجبوه من الكتّاب الأعلام، وما أبرزوه من التآليف الخالدة، وخلّفوه من الآثار الثمينة شرقًا وغربًا، وظلّ يسطع نور عصرهم الذهبي حتى القرن السابع، بل امتد إلى القرنين الثامن والتاسع للميلاد[1].

كَانَتْ اللُغَة السّرْيانيّة منتشرة فِيمَا بَيْنَ النّهرين، وَقَدْ اتخذتها الْمَسيحِيّة لغة أَدَبِيّة لها، وَهِيَ اللُغَة الَّتِي كَانَ يدرس بِهَا الطّب والعلوم الطّبِيعيَّة، بجانب اليُونانِيّة، فِي مدارس الرّها، فِيمَا بَيْنَ النّهرين، ومدرسة جُنْدَيْسَابور[2].

من العلوم، الَّتِي بَرَعَ بِهَا النَّصَارَى، علم **الهندسة**، ولاسِيَّمَا هندسة البناء[3]، والطّب وعلم النّبات، وعلم النّجوم، والفقه، ومن أشهر علومهم عَلَى الإطلاق علم التّصوير والنّحت[4] الَّذِي تَزَيْنَتْ بِهِ الكَنَائِس، وبسبب هَذَا العلم اكتسبت شهرة واسعة بمجال تصاميمِها وزخرفتها.

قام السريان بنشر **الفلسفة** اليونانيَّة، وخاصة مذهب الافلاطونيَّة الحديثة، في العِرَاق وما حوله، وأخذوا ينقلون الكتب اليونانيَّة الى لغتهم السريانيَّة، التي انتشرت فيما بين النهرين والبلاد المجاورة لها، وفوق هذا كانت هي لغة الأدب والعلم لجميع كتّاب النصرانيَّة في أنطاكية وما حولها، وللنصارى الخاضعين لدولة فارس[5].

---

1 - طرازي: **عصر السريان الذهبي**، ص14 .

2 - شوقي ضيف: **تاريخ الأدب العَرَبِيّ العصر الجاهلي** ص 25.

3 -شيخو: **النّصرانية وآدابها** 343 وبعدها.

4 - م. ن. 353 وبعدها.

5 - أحمد أمين: **فجر الإسلام**، ص131.

كَانَ السّريان حلقة الاتصال بَيْنَ العلم الاغريقي والإِسْلَام، لذلك لَيْسَ غريبًا أنْ يكون لَهُمْ دورٌ كبير فِي تغذية الحضارة الإِسْلَاميّة بكلّ مَا كَانَ من شأنه أنْ يكفلَ لها النّمو والازدهار[1]. وَفِي العصر الأُمَوِيّ كَانَ انتقال الخِلَافَة إِلَى سوريا، من العوامل الَّتِي فتَحَتْ الباب أمام السّريان، ليسهموا بجهودهم فِي بناء الدَّولَة العَرَبِيَّة، كَمَا كَانَ لهذا الانتقال أثرُه فِي تَطَوّر الحضارة[2].

فِي مجال النّقل للعلوم بدأت المحاولات الأولى خِلَالَ العصر الأُمَوِيّ، وَكَانَتْ عَلَى الأغلب جهودًا فرديَّةً وعلى نطاق ضيّق، واقتصرت عَلَى العلوم العَمَلِيَّة كالطّبِّ والفَلَك والمنطق والفَلْسَفَة والهندسة. كَمَا عرّبت بعض الألفاظ اليُونانِيّة، وأطلقوا عَلَيْهَا كلماتها الأصليَّة مثل "البرجد" وَهُوَ: كساء غليظ مخطط، وأسماء أشياء أُخْرَى عرفها الْعَرَب بَعْدَ اتصالهم بالرّوم كـ "الزبرجد، والزمرد، والياقوت"، ومقاييس وأوزان رومانية كـ "القيراط والأوقية"، وأسماء طبية، أَوْ نباتية كـ "القولنج والبرقوق"، أَوْ كلمات نَصْرَانِيّة كـ "الجاثليق والبِطْرِيق" وغيرها[3]. وَقَدْ توسعت حركة التّعريب خِلَالَ القَرْن الأوَّل الهِجْرِيّ بتأثير الْمَسِيحِيّينَ ورغبة بعض الأُمَوِيّين فَكَانَ خَالِد بن يزيد الأول (ت٨٥هـ/ ٧٠٥م) عالماً وأديباً ومن أول المحبين لعلوم اليونان، إِذْ أمر بترجمة الكتب فِي علم الهيئة والطّب والكيمياء[4].

وشجع الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩- ١٠١هـ/ ٧١٧- ٧١٩م) تعريب كتب الطّب، فأمر بنشر كتاب الطّب الشّرعي، الَّذِي نقله إِلَى الْعَرَبِيّة طبيب

1 -الشّحات السّيد زغلول: **السّريان والحضارة الإسلاميّة**، ص2.

2 - الشّحات: م.ن، ص 129. الجمل: **أثر جهود السّريان عَلَى الحضارة العَرَبِيّة الإسلاميّة** ص14.

3 - احمد أمين: **ضحى الإسلام**، 60/1

4 - ف. بارتولد: **تاريخ الحضارة الإسلاميّة**، ص٦٩.

البصرة " مارسرجويه" فِي عهد الخليفة مروان بن الحكم، وَقَدْ وجده فِي خزائن الكتب بالشّام[1].

يعد احتكاك الْمُسْلِمِينَ بغيرهم من الأمم من أهم البواعث عَلَى نقل كتب العلوم والفَلْسَفَة إلَى اللُغَة الْعَرَبِيّة، فَضْلًا عَنْ حاجة الْمُسْلِمِينَ إلَى علوم لَيْسَتْ عِنْدَهم، مِمَّا كَانُوا يحتاجون إلَيْهِ فِي الطّب وَفِي معرفة الحساب والتّوقيت، وَكَانَ القُرآن الكريم، وحثه عَلَى التّفكير وطلب العلم، باعثاً آخر، وَكَذَلِكَ رعاية الخلفاء للنقل والنّقلة، فَقَدْ كَانَ الخلفاء يدفعون للناقل ثقل الكتاب المنقول ذهباً[2].

جدير بالعلم إنَّ روح الحضارة الإِسْلَامِيّة لَمْ تأخُذْ من الحَضَارَات القديمة، ولاسِيَّمَا اليُونانِيّة، إلا مَا هُوَ مقوِّم وجوهري للحضارة، أي مَا هُوَ قدر مُشْتَرَك بَيْنَ النّاس جميعًا، عَلَى اختلاف أجناسهم وحَضَارَاتهم، والتي لا تتأثر بطبيعة واضعيها، ألا وَهِيَ العلوم العَمَلِيَّة. بينما هِيَ لَمْ تأخُذْ عَنْهَا العلوم الرُّوحِيَّة أَوْ الفنون إلا عَلَى نحو يسير[3].

ولذا فِي الشّرق- بحَسَبِ هيرنش بكرCarl Heinrich Becker - فَقَدْ تَغَيَّرَتْ اللُغَةُ وتغيّرَ الدّينُ، فَكَانَ لا بُدَّ لتراث الأوائل الضَّخم من أنْ يبدأ أَوَّلًا، فيصبح عربيّا إِسْلَامِيّا... ولا بد للطبقة الحاملة لمشعل الحضارة الهِيلِينِيَّة فِي الشّرق أنْ تصبح إِسْلَامِيّة، فَكَانَ تراث الأوائل قَدْ اصطدم إِذَا فِي الشّرق بأفكار جديدة، بينما هُوَ فِي الغرب قَدْ اصطدم بأناس جديدين فحسب[4].

---

1 - ابن أبي اصبيعة: **عيون الانباء فِي طبقات الاطباء**163/1.

2 - عمر فروخ: **تاريخ العلوم عِنْدَ العرب**، ص ١٢.

3 - عبد الرّحمن بدوي: **التراث اليوناني فِي الحضارة الإسلاميّة**، المقدمة، ص: و.

4 - كارل هيرنش بكر: "تراث الأوائل فِي الشّرق والغرب"، *التراث اليوناني فِي الحضارة الإسلاميّة*، ص6

إنَّ نقل كتب العلم والفَلْسَفَة إلَى اللُغَة الْعَرَبِيّة لَمْ يجرِ اتفاقاً، بَلْ قصد إلَيْهِ الْمُسْلِمون قصداً، أهتم بِهِ الأمراء وشجعته الدّولة، وَمِمّا يدلُّ عَلَى تَفَهُّمِ الْمُسْلِمِينَ للحركة العظيمة، الَّتِي كَانُوا يقومون بِهَا، أَنَّهُمْ بدأوا أَوَّلًا بكتُبِ العلومِ الصِّرْفَةِ أَوْ العَمَلِيَّة، أي بنقلِ كتبِ الرّياضياتِ والفلكِ والطّبِّ، ومِنْ ثَمّ اتجهوا نحوَ كتبِ العلومِ النّظريةِ، مثلَ المنطقِ و الفَلْسَفَةِ، ليُتِمُّوا أداءَ رسالتِهم الثّقافِيّة[1].

كَانَ السّريان - قَبْلَ الإِسْلَام وبعده- قَدْ تعهدوا المعرفة فِي المراكز الثّقافِيّة، وَفِي عديد من الأَدْيِرَة والمكاتب الصّغيرة المنتشرة فِي بلاد الشّام، ويتمثل دورهم بمساهمتهم فِي نقل الثّقافة اليُونانِيّة الَّتِي فَقَدْ أصلها، وَلَمَّا جاء الْمُسْلِمون اعتمدوا عَلَى ترجماتهم السّرْيانِيّة، وَقَدْ ساهم بعض السّريان بنقلها إلَى الْعَرَبِيّة، بدأً من العصر الأُمَوِيّ، كَمَا ترجم السّريان بعض الكتب الفارسيَّة[2] .

على صعيد التنامي المعرفِيّ، تأثَّر روادُ المعارفِ التاريخيَّة بما أَنْتَجَتْهُ اللغةُ السريانيَّةُ منْ مُشَاغَلَةِ العلومِ بأَسْرِهَا، فضلًا عن أنَّ السريانيَّة تُوِّجَتْ في كتابةِ العهدِ القديمِ، ففي مجالِ التدوينِ التاريخيِّ اسْتَمَدَّ كُتَّابُ السيرةِ الأوائلُ، على صعيدِ المنظورِ التاريخيِّ العالميِّ، من القرآنِ، ومعارفِ العربِ الجاهليَّةِ، وما عرفوه من خلالِ مُعَايَشَتِهم للشعوبِ الكِتَابِيَّةِ وغيرِ الكِتَابِيَّةِ. ويبدو أنَّ لإصولِ ابن إسحاق (ت151هـ/ 768م) الكِتَابِيَّةِ أثرًا في كتاباتِه، كما يبدو ذلك في قصصِه ورواياتِه عن عصورِ ما قبل النبيِّ، ويبدو أنَّه كانَ يعرفُ السريانيَّةَ، فربما ظلَّتْ تلكَ اللغةُ مُتَوارِثَةً في أُسْرَتِه[3].

---

1 - عمر فروخ: م. س، ص 144

2 - فاضل خليل إِبْرَاهِيم: **خَالِد بن يزيد سيرته واهتماماته العِلْمِيَّة** " ص46؛ خَالِد يوسف صالح: "حركة الترجمة فِي بلاد الشّام فِي العصر الأُمَوِيّ"، (*مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية*، المجلد ١١، بحث 234- 249) ص241.

3 - عبد العزيز الدوري: **مقدمة سيرة ابن إسحاق**، ص9.

اندفع الْمُسْلِمون، وبحكم تنامي الجدل الفِكْرِيّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أهل الثَّقَافَات والعقائد الأُخْرَى، إِلَى دراسة الأصول الفَلْسَفِيَّة والأدوات المنطقية الَّتِي أستخدمها خصومهم، من أجل تكوين ردود منطقية مقنعة، كَمَا كَانَ للجدل الدّيني بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أنفسهم، دور فِي الإطلاع عَلَى كتب الفَلْسَفَة والمنطق، فَكَانَ ذَلِكَ دافعاً للاهتمام بالعلوم[1].

إنَّها لحَقِيْقَة معروفة بان الثّقافة الإِسْلَامِيّة، فِي القرون الوسطى، انتعشت كثيراً بواسطة العلوم اليُونانِيّة، مِمَّا أدى فِيمَا بَعْدُ إِلَى قيام مَا أُطْلِقَ عَلَيْهِ بـ " نهضة الحضارة الإِسْلَامِيّة"، وَقَدْ بَزَغَ فِيهَا متخصّصونَ مسلمونَ فِي العلوم الصّرفة والتّجريبيَّة والفَلْسَفَة، مِمَّا أفادوا فِي الرُّقِيّ الحضارِيّ، وليْسَ مِن شَكّ أَنَّهُمْ إستوعَبوا كُلَّ مَا يتَعَلّقُ بالتّراث الكلاسيكِيّ الخاصّ بالشّرق، والميراث اليُونانِيّ، سواءً كَانَ الفَلْسَفِيّ عِنْدَ افلاطون وأرسطو، أَوْ الطِّبِّيَّ عِنْدَ هيبوقريطس وجالينوس، أَوْ غيرَه من العلوم[2].

- التّرجمة

كَانَ انتقال الخِلَافَة من الحجاز إِلَى سوريا من العوامل، الَّتِي فتَحَتْ الباب أمام السّريان، ليسهموا بجهودهم فِي بناء الدَّولَة العَرَبِيَّة، كَمَا كَانَ لهذا الانتقال أثره فِي تَطَوّر الحضارة[3] فَلَقَدْ وجد الْعَرَب أنفسهم حكاماً لمنطقة، كَانَتْ ولايةً رومانيةً خاضعة لقانون روماني كامل التّطَوّر وإِدَارَة منظمة جداً، وَقَدْ أبْقَوا كل هَذَا كَمَا كَانَ[4].

---

1 - مارتن بلسنر: **العلوم الطَبِيعيَّة والطب**،(سلسلة عالم المعرفة الكويت، ١٩٧٨ (85/3.

2 - مايكل دولز: "انتقال الطب اليوناني من السّريان إِلَى العرب"، *موقع دراسات سريانية* 14، Aug 2012.

3 -- الشّحات السّيد زغلول: **السّريان والحضارة الإسلاميّة**، ص 129.

4 - أوليري: **مسالك الثّقافة الإغريقية إِلَى العرب**، ص 206.

وأخذ معاوية وخلفاؤه من بعده في دِمَشْقَ بالعادات اليُونانيّة، فحوَّل الخلفاء الأُمَوِيّون جمهورية المدينة الدّينيَّة الْعَرَبِيّة إلَى امْبِرَاطورِيّة حَقِيْقَة سوريّة، فضربوا الدّنانير الذّهبية عَلَى نسق الدّراهم البِيْزَنْطيَّة، وجعلوا الخِلَافَة وراثيَّة بَعْدَ أَنْ كَانَتْ انتخابية، واستخدموا عمالاً كثيرين من اليونان والسّريان[1].

وحَقِيْقَة الأمر أن الخلفاء الأُمَوِيّين لَمْ يفرغوا للشؤون العِلْمِيَّة بقدر مَا فرغوا للأمور السِّيَاسِيَّة، إلَّا أَنّنا نصادف مِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ لَمْ يَدَّخِرْ وِسْعًا في سبيل تشجيع الحركة الأَدَبِيّة، والتّقدم العلمي، وإذا لَمْ يُقَدَّرْ لنتائج جهودهم أن تظهر بجلاء، فَإِنَّ هَذَا يرجع لعدم استقرار الأمور طوال أيامهم وقرب العهد بالعصر الجاهِلِيّ، وعلى ذَلِكَ يمكننا القول بأَنَّ الازدهار الَّذي اصابته الحياة العِلْمِيَّة في العصر العباسي، قَدْ وضعت أولياته عَلَى أيام الأُمَوِيّين، ذَلِكَ لأن الظّواهر الحَضَارِيّة دائماً في حاجة إلَى فسحة من الوقت لكي تخرج ثمارها[2].

بدأت حركة التّعريب في العصر الأُمَوِيّ، ونشطت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وأبنه الوليد، حِينَ جعلا اللُّغَة الْعَرَبِيّة اللُّغَة الرّسمية في دواوين الدّولة ومراسلاتها، فما لبثت أنْ تقهقرت أمامها لغات الشّعوب المفتوحة من فارسية ورومية وقبطِيَّة وبربرية ويُونانيّة وسُرْيانيّة وعبرية، وأصبحت وحدها شائعة في دار الإِسْلَام، لأنها لغة الفاتح ولغة الدّين[3].

ويمثل العصر الأُمَوِيّ في حَقِيْقَة الأمر أول دور من أدوار حركة التّرجمة، وعَلَى الرّغْمِ مِنْ أَنّ التّرجمة في هَذَا العصر كَانَتْ بدائية وضعيفة المستوى، إِذَا مَا قورنت بالتّرجمات الأُخْرَى في المراحل التّالية، إلَّا أَنّ هَذَا العصر كَانَ بحق حجر الأساس لبناء هَذِهِ الحركة عموماً، كَمَا أَنَّهُ كَانَ المنطلق الأول لها في أنحاء العالم

1 - ماكس فانتاجو: **المعجزة العَرَبِيّة**، ص 121.

2 - الشّحات السّيد زغلول: **السّريان والحضارة الإسلاميّة**، 127 – 128.

3 - اليوزبكي: "التعريب في العصرين الأُمَوِيّ والعباسي"، ص47.

الإِسْلَامِيّ مشرقه ومغربه، وَكَانَتْ التّرجمة فِي تِلْكَ الفترة مقصورة عَلَى بعض العلوم الطّبِيعيَّة كالكيمياء والطّب، دُونَ أَنْ يتعدَّى ذَلِكَ إِلَى العلوم العقليَّة، كالمنطقِ وعلم النّفس وما وراء الطّبيعة. لَعَلّ السّبَبَ فِي ذَلِكَ يرجعُ إِلَى أَنّ إهتمامَ النّاسِ كَانَ مُوَجَّهًا بكُلِّيَتِهِ إِلَى العلومِ الدّينِيَّةِ الإِسْلَامِيّة، وَكَانُوا ينظرونَ إِلَى العلومِ الّتِي تُدْرَسُ فِي المراكِزِ الثّقافِيّةِ القديمةِ عَلَى أَنّها علومُ غيرِ الْمُسْلِمِينَ، مِمّا أدَّى إِلَى انصرافِهم عَنْهَا[1].

وَكَانَ خَالِد بن يزيد (ت85هـ/ 704م) الشَّخْصِيَّة الأولى الّتِي عملتْ بمشُورَةِ عُلَمَاءِ السّرْيَانِ، فأقْدَمَ عَلَى الإِشْتِغَالِ بالكِيمْيَاءِ، والعِنَايَةِ بإِخْرَاجِ كُتُبِ القُدَمَاءِ فِيهَا، ونستطيع أَنْ نذكرَ- إِلَى جانبِ مَحَبَّتِهِ للعُلومِ- أَمْرَ إِبْعَادِهِ عَنْ الخِلَافَةِ، فَلَقَدْ كَانَ راغباً فِيهَا بَعْدَ وفاة أخيه معاوية الثّاني، وَلَكِنّ مروان بن الحكم غلبه عَلَى ذَلِكَ، فراح يحاول اكتساب العلا[2]، فاتجه صوب العلم وأهتم بالكيمياء لرغبته الشّديدة فِي تحويل المعادن إِلَى ذهب. وَهَكَذَا أَمَرَ بعضُ علماءِ اليونانِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الإسكندريَّة أَنْ ينقلوا لَهُ من اليُونانِيّة إِلَى الْعَرَبِيّة كُتُبَ الكيمياءِ. كَمَا وأَمَرَهُمْ بترجمة "الأرغانون" وَهِيَ مجموعة كُتب أرسطو فِي المنطق[3]، وَهَذَا أَوّلُ نقل كَانَ فِي الإِسْلَام من لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ[4].

ويمكن القول: إن العلوم الطّبية الّتِي احتكت بِهَا العقلية الْعَرَبِيّة قَدْ خرجت من أيدي أصحابها، ونعني بِهِمْ اليونان، وتلقفها الدّارسون والشّارحون

1 - طه عبد المقصود أَبُو عبية: **الحضارة الإسلاميّة: نشاتها فِي المشرق - انتقالها إِلَى الاندلس - دعم الاندلسيين لها - تاثيرها عَلَى اوربا** (دار الكتب العِلْمِيَّة، 2004)، ص 163.

2 - جرجى زيدان: **تاريخ آداب اللُغَة العَرَبِيّة**، 2 / 332.

3 - علي سامي النّشار: "**مناهج البحث عِنْدَ مفكري الإسلام**"، ص 23.

4 - أبن النّديم: "**الفهرست**، ص 300..

الَّذِينَ يعرفون اليُونانِيّة والسّرْيانِيّة، وشارك الأطباء السّريان فِي هَذِهِ الدّراسة بنصيب وافر، وَكَانَ لَهُمْ دورهم فِي النّقل والتّرجمة[1].

عاصر الفترة الأُمَوِيّة عديد من العلماء ورجال الدّين النَّصَارَى من نَسَاطِرَة ويَعَاقِبَة، كَانُوا فِي نشاط حثيث لنقل تراث اليونان إلَى لغتهم السّرْيانِيّة، لاسِيَّمَا فِي مجال الفَلْسَفَة والمنطق. مِنْهُمْ ساويرس سنجت (ت48هـ/ 667م) ، اثناسيوس البلدي (ت67هـ/ 686م) حنا نيشوع (ت82هـ/ 701م)، يعقوب الرّهاوي (ت90ه/ 708م)، مار أبها الثّالثّ، يوحنا الدّمشقي (ت126ه/ 743م) وَهُوَ القديس يوحنا بن سرجون، سوري الأصل، آرامي اللُغَة، عرف بدقاق الذّهب لفصاحته، وَكَانَ والدّه أحد موظفي الدّولة الأُمَوِيّة، درس مبادى اللاهوت عَلَى يد راهب صقلي أسمه قوزما (كوسماس)، وأتصل يوحنا نفسه بالأُمَوِيّين، حَيْثُ كَانَ يشغل منصب كبير مستشاري هشام بن عبد الملك، ثُمّ أعتزل واعتكف فِي دير القديس سابا[2]

ومن أشهر النّقلة فِي العصر الأُمَوِيّ " ماسرْجوية " ويسمي أيضاً " ماسرجيس" وَهُوَ سُرْيانِيّ اللُغَة يهودي المذهب، وَقَدْ نقل من السّرْيانِيّة إلَى الْعَرَبِيّة " كُنَاش فِي الطّب " من تأليف أهرون بن أعين القس، وَقَدْ ترجمه فِي خِلَافَة مروان بن الحكم (ت65هـ/ 685م) ووجد عمر بن عبد العزيز هَذَا المصنف بَعْدَ ترجمته فِي خزائن الكتب، فأمر بإخراجه ووضعه فِي مصلاه، واستخار الله فِي إخراجه إلَى الْمُسْلِمِينَ لينفع بِهِ، فَلَمَّا تَمّ لَهُ فِي ذَلِكَ أربعون يوماً أخرجه إلَى النّاس وبثه فِي أيديهم[3].

---

1 - سمير عبده: **السّريان قديماً وحديثاً**، ص 67.

2 - اوليري: **علوم اليونان** 191- 192؛ بدر الدين: **قِنَّسْرين أَوْ عش النّسور** ص 246؛ إِبْرَاهِيم: م. س. ص 36.

3 - القفطي، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، ص 213.

وَقَدْ اشتهر فِي العصر الأُمَوِيّ -أَيْضًا- " ابن أُثال " قَالَ عَنْهُ ابن أبي أصيبعة " كَانَ من الأطباء المتميزين فِي دِمَشْقَ، نَصْرَانِيّ المذهب، وَلَمَّا ملك معاوية بن أبي سفيان دِمَشْقَ اصطفاه لنفسه، وأحسن إلَيْهِ، وَكَانَ كثير الافتقاد لَهُ، والاعتقاد فِيهِ، والمحادثة مَعَهُ ليلاً ونهاراً[1].

- الطّب:

اخذ الطّب يتأثر بالاتجاه اليُونانِيّ مِنْذُ مطلع العصر الأُمَوِيّ، وتَجَلَّت وجهة نظر الْمُسْلِمِينَ إلَى العلوم الطّبية فِي حديث النّبيّ[2]:" العِلْمُ عِلْمَانِ: عِلْمُ الأَدْيَانِ، وَعِلْمُ الأَبْدَانِ"[3]، وَكَانَ لمعاوية (ت60هـ/ 680م) طبيبان مسيحيّان من أهل دِمَشْقَ، احدهما بن آثال، والآخر الحكم بن أبي الحكم الدّمشقي، وَقَدْ اتخذ معاوية ابن أُثال طبيباً خاصاً لَهُ، واستعان بِهِ فِي التّخلص من خصومه السِيَاسِيّين، وَكَانَ رومي الأصل[4]، وَقَدْ ترجم لمعاوية عددًا من كتب الطّب إلَى اللُغَة الْعَرَبِيّة.

ومن الأطباء اليهود " ماسرجويه " عاش فِي البصرة، ثُمّ أتصل بالأُمَوِيّين فِي الشّام وَكَانَ يجيد السّرْيانِيّة، فقام بترجمة "كتاش اهرن" فِي الطّب إلَى الْعَرَبِيّة بَعْدَ أَنْ ترجم مِنْ قَبْل من اليُونانِيّة إلَى السّرْيانِيّة[5].

يعد تياذوق (ت90هـ/ 709م) من أقدم أطباء إقليم الشّام[1]، وَهُوَ طبيب مشهور فِي الدّولة الأُمَوِيّة، واختص بخدمة االحجاج بن يوسف، وَلَهُ تلاميذ

---

1 - ابن أبي أصيبعة: **عيون الأنباء فِي طبقات الأطباء** 1/ 170.

2 - فيليب حتي: **تاريخ سورية** 213/2، وما ذكرته المصادر الحديثية عَنْ الشّافعي.

3 - أَبُو نعيم: **حلية الأولياء** 142/9؛ البيهقي: **شعب الإيمان** 188/3؛ أَبُو طاهر السّلَفي: **الطيوريات** 1164/3.

4 - الجهشياري: **الوزراء والكتّاب**، ص27.

5 - إِبْرَاهِيم :م. س. ص 50- 52.

أجلَّة تقدموا بَعْدَهُ، ومنهم من أدرك الدّولة العباسية، كـ" فرات بن شحناتا"[2]، وَلَهُ من الكتب: كناش كبير، الفه لإبنه، وكتاب إبدال الأدوية دقها وايقاعها وإذابتها، وشيء من تفسير أسماء الأدوية[3]. وَمن كَلَام تياذوق للحجاج: لَا تَأْكُل من اللَّحْم إِلَّا فتيا، وَلَا تشرب الدّوَاء إِلَّا من علّة، وَلَا تَأْكُل الْفَاكِهَة إِلَّا فِي أَوَان نضجها، وَأَجد مضغ الطّعَام، وَإِذا أكلت نَهَارا فَلَا بَأْس أَنْ تنام، وَإِذا أكلت لَيْلًا فَلَا تنمْ حَتَّى تمشي، وَلَو خمسين خطْوَة[4].

كَانَ عبد الملك بن أبجر الكناني طبيباً عالماً ماهراً، فِي أول أمره كَانَ مقيمًا فِي الإسكندريَّة، لِأَنَّهُ المتولي فِي التّدريس بمدرستها، الَّتِي استمرت بَعْدَ الفتح الإِسْلَامِيّ، تؤدي دورها فِي العلوم بعَامَّة وَفِي الطّب بِخَاصَّة. كَانَ ابن أبجر نَصْرَانِيّا، ثُمَّ أسلم عَلَى يد عمر بن عبد العزيز، قَبْلَ أن تصل إِلَيْهِ الخلَافَة، وصحبه، فَلَمَّا أفضت الخِلَافَة إِلَى عمر سنة 99هـ، نقل التّدريس إِلَى أنْطَاكِيَة وحَرَّان وتفرق فِي البلاد، وَكَانَ عمر بن عبد العزيز يستطب ابن أبجر، ويعتمد عَلَيْهِ فِي صناعة الطّب. ومن أقواله: " دع الدّوَاء مَا احْتمل بدنك الدّاء"[5].

- العمارة:

كَانَتْ للنَصَارَى فِي الشّام والعِرَاق اليد الطّولى فِي عماريَّة الكَنَائِس والقصور الفخمة وهندستها فِي المدن وحيث تواجدهم، إِذْ هُمْ امتداد لحضارتي

---

1 - نبيل فتحي حسين: **تنوع مكونات المُجْتَمَع الإسلاميّ وأثره فِي تدوين المعارف العَرَبِيّة الإسلاميَّة فِي القرون الهِجْرِيّة الأربعة الأولى)** دراسة فِي كتاب الفهرست لابن النّديم (رسالة ماجستير غير منشورة،. كلية التربية، جامعة الموصل 2007، ص216-217

2 - القفطي: **أخبار العلماء بأخيار الحكماء**، ص 85

3 - البغدادي: **هدية العارفين** 1/ 246، قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبِيّة**، ص149.

4 - ابن أبي اصيبعة: **عيون الأنباء فِي طبقات الأطباء**، ص 179.

5 -ابن أبي أصيبعة: م. ن، ص171؛ ابن فضل الله العمري: **مسالك الأبصار فِي ممالك الأمصار** 318/9.

بِيزَنْطَةَ وفَارِسَ الْعَرَيقتين فِي العمارة وهندستها. وحَسْبُنَا مَثَلًا كَنِيسَةُ الرَّها، الَّتِي تُعَدُّ من العجائب السّبع حَتَّى نهاية القَرْن الأوَّل الهِجْرِيّ/ السّابع الميلادِيّ، وضُرِبَ بِهَا المَثَلُ فِي جماليَّةِ هندستِها، وقصَدَها الوافِدُ والحاجُّ مِن أدْنَى الأرجاءِ وأقصَاها. ومثلُها كَنِيسَةُ أنْطَاكِيَةَ المشهورةُ بروائعِ هندستِها، وليْسَ أدَلَّ مِن جماليتِها وعظمةِ هندستِها، أنْ تمتدَّ لَها عينُ الخليفةِ الوليد بن عبد الملك، وَهُوَ يجلسُ عَلَى أوسعِ خَارِطَة مِن البسيطةِ، تخضعُ لحكمه، فتطولُ يدُه عمارةَ الكَنِيسَة، ليستكْمِلَ بناءَ مسجدِه، الَّذِي قامَ عمرانُه هُوَ -أَيْضًا- عَلَى كَنِيسَةِ دِمَشْقَ. ولا تقلُّ ضخامةُ كَنِيسَةِ المهدِ" فِي "بيتِ لحم" الَّتِي تعودُ إلَى عهدِ جيستنيان 527-565م[1].

والكَلَامُ المأثورُ قديماً لَدُنِ البُلْدَانيين والمُؤَرِّخين، أنَّ مِن عجائبِ الجَزِيْرَةِ كَنِيسَةَ الرّها، وما تميَّزَتْ كَنَائِسُ أُخْرَى بقِيَمٍ عماريَّةٍ، حفظتْهَا ذاكرةُ التّاريخ، فكانتْ الرّومُ تقولُ:" مَا مِن بناءٍ بالحجارةِ أبْهَى مِن كَنِيسَةِ الرّها، ولا بناءَ بالخشبِ أبهَى مِن كَنِيسَةِ مَنْبِجَ، لأنّها بِطاقاتٍ مِن خشبِ العنّابِ، ولا بناءَ بالرّخامِ أبهَى من قسْيَانِ أنْطَاكِيَةَ، ولا بناءَ بطاقاتِ الحجارةِ أبْهَى مِن كَنِيسَةِ حِمْصَ"[2].

وما اشتهر فِي بلاد الْعَرَب من الكَنَائِس ذات الأبعاد العمارية الرّائقة فِي هندستها وتعجب النّاظرين فِي العِرَاق واليمن ونَجْرَان، وحيثما ألقت النّصْرَانِيَّة عصاها، فَقَدْ ذكر أهل الأخبار أنّ الحبش استعانوا بفَعَلَةٍ من الرّوم فِي بناء "القليس"، كَمَا أنَّ الرّوم كَانُوا قَدْ شَيَّدُوا كَنَائِسَ فِي عَدَن، وَفِي مواضعَ أُخْرَى من

1 - مُحَمَّد بيومى مهران: **دراسات فِي تاريخ العرب القديم**، ص 340.

2 - ابن خرداذبة: **المسالك والممالك**، ص 161؛ ابن الفقيه: **البلدان**، ص 180؛ ابن حوقل: **صورة الأرض** 181/1.

جَزِيرَةِ الْعَرَب، وَقَدْ بُنِيَتْ هَذِهِ الكَنَائِسُ وفقًا لأسلوبِ الفَنِّ البِيْزَنْطِيِّ النَصْرَانِيِّ ولَا شَكَّ[1].

كَانَ معاويةُ قَدْ استعانَ بمهندسينَ وفنّيّينَ من غيرِ الْمُسْلِمِينَ فِي بناءِ قصرِ الخضراءِ بدمشقَ، الَّذِي اتَّخَذَهُ معاويةُ مقرًّا لإقامتِه فِي فترةِ إمارتِه عَلَى بلاد الشّام، ثُمَّ فِي مُدَّةِ خلافتِه بَعْدَ ذَلِكَ. يروي البلاذري: أَنَّهُمْ بَنَوْهُ لمعاويةَ من الحجارةِ، بَعْدَ أَنْ كَانَ قَبْلُ مبنيًّا باللّبْنِ والطّين[2].

وحَسْبُ المبانِيَ الدّينيَّة فِي اليمن رُقِيًّا فِي هندسةِ العمارَة، مَا وصفَهُ إيَّاها الرّحالةُ وأهلُ السّياحةِ عبْرَ التّاريخ[3]، فَقَدْ أكثرَ المُؤَرّخون الْمُسْلِمون فِي الوصف عَنْ كَنِيسَة القليس، حَتَّى بَلَغَ حَدّ المُبَالَغَةِ أَوْ كَادَ، عَلَى أَنَّهُمْ رَووا أَنَّ إبرهةَ لَمَّا أَتَمَّ بناءَها كتَبَ إلَى النّجاشيّ، يَقُول: "إنِّي قَدْ بنيتُ لكَ بصنعاء بيتًا، لَمْ تَبْنِ الْعَرَبُ ولا العجَمُ مِثْلَهُ"[4]. وَقَدْ تأثرتْ الكَنَائِسُ جميعُها بالفَنِّ البِيْزَنْطِيِّ، وإنْ جمعتْ كَنِيسَةُ القُلَيْسِ بَيْنَ الفن الْعَرَبِيّ القديم والفن البِيْزَنْطي النَصْرَانِيِّ فِي بناء الكَنَائِس[5].

يجدر النظر إلَى عهدِ عياض بن غنم لأهلِ الرّها[6]، في كتابه: "إني أمّنتهم على دمائِهم وأموالِهم، وذراريهم ونسائِهم، ومدينتِهم، وطواحينِهم، إذَا أدّوا الحقَّ الذي عليهم. ولَنا عليهِم أنْ يُصْلِحوا جسورَنا"، أنْ يُطلعَنا عَلَى أَنَّ الرّها مدينةٌ ذاتِ

---

1 - علي، جواد: **المُفَصَّل** 15/ 42.

2 - **أنساب الأشراف** 4/ 147.

3 - انظر: شيخو: **النّصرانية وآدابها** 343 وبعدها.

4 - ابن هشام: **السّيرة** 1/ 43؛ الأزرقي: **تاريخ مكة** 1/ 138؛ الطبري: **تاريخ** 2/ 130، **تفسير** 30/ 300؛ ياقوت: **بلدان** 4/ 395، ابن كثير: **تفسير** 8/ 504؛ القرطبي: **تفسير** 20/ 188.

5 - هـ. ج. ويلز: **موجز تاريخ العالم**،(مطبعة السّعادة، القاهرة 1967) ص193؛ مُحَمَّد بيومى مهران: **دراسات في تاريخ العرب القديم** 341.

6 - محمد حميد الله: **مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة**، ص 495.

طابعٍ حضاريٍ، فيها طواحينُ وجسورٌ، بلْ وَفِيهَا مهندسون، إشترطَ عليهم إصلاحَ الجسورِ القديمةِ، أَوْ المتضَرِّرَةِ في زمنِ الحرب.

كَانَ للنَصْرَانِيّة أثرٌ آخرُ فِي نَصَارَى الْعَرَب، هُوَ أثرُها فِيهِمْ من ناحية الفن، إِذْ أدخلت النّصْرَانِيَّة بَيْنَ الْعَرَب فنا جديدا فِي البناء، هُوَ بناء الكَنَائِس والأَدْيِرَة والمذابح والمحاريب والزخرفة، كَمَا أدخلت النّحت والتّصوير المتأثرين بالنّزعة النّصْرَانِيَّة، ولدخول أكثر هَذِهِ الأشياء لأول مَرَّةً بَيْنَ الجاهلِيّين، استعملت مسمياتها الأصلية اليُونانِيّة أَوْ الآرامية فِي اللُغَة الْعَرَبِيّة، بَعْدَ أَنْ صقلت وهذبت، حَتَّى اكتسبت ثوبا يلائم الذّوق الْعَرَبِيّ فِي النّطق. وتكشف الحفريات عَنْ مدى تأثر النَّصَارَى الْعَرَب الجاهلِيّين بالفن النَصْرَانِيّ المقتبس عَنْ الرّوم والأحباش[1].

- *التّأليف الْمَسِيحِيّ فِي القَرْن الأَوَّل الهِجْرِيّ/ السّابع الميلادِيّ:*

أخذت السّرْيانِيّة تنمو مَعَ انتشار الْمَسِيحِيّة شيئًا فشيئًا، ووصل التّأليف بالسّرْيانِيّة والتّرجمة إِلَيْهَا مَعَ بداية القَرْن الثّالثّ الميلادِيّ إلَى مستوى رفيع، وَقَدْ ازدهرت حركة التّأليف بالسّرْيانِيّة حَتَّى القَرْن السّابع، وَلَكِنّ لغة التّأليف انقسمت فِي القَرْن الخامس الميلادِيّ -أي فِي منتصف فترة الازدهار- إلَى سُرْيانِيّة شرقية وسُرْيانِيّة غربية[2].

إثر استقرار فرق من الْمَسِيحِيّة فِي الشّرق قَبْلَ الإِسْلَام، ازدهرت التّآليف الْمَسِيحِيّة وآدابها المُخْتَلفة فِي بلاد مَا بَيْنَ النّهرين عبر اللُغَة السّرْيانِيّة بالذّات، فتأسست المدارس، وانتشر التّعليم فِي مستوياته المتعَدّدة فِي كنف

---

1 - علي: **المُفَصَّل في تاريخ العرب** 12/ 266.

2 - محمود فهمى حجازى: **علم اللُغَة العَرَبِيّة**، ص 176.

الكَنَائِس والأَدْيِرَة الَّتِي غصت بِهَا هَذِهِ المنطقة[1]. فضلا عن ان الآداب السريانية كانت حياتها بعد الفتوح الأسلامية ضعيفة، لغزو اللغة العربية لها وغلبتها، ولم يبق منها الا تآليف المدرسة النصرانية المصبوغة بالصبغة الدينية، لأن أكثر الكتاب كانوا قِسِّيسِين ورهبانا[2].

فِي القَرْن الأَوَّل الهِجْرِيّ/ السّابع المِيلادِيّ، كَانَتْ الكتابة والتّأليف أمرا شائعا لَدَى النَّصَارَى، وَبِخَاصَّةٍ الَّذِينَ يحيون الحياة الرّهبانية، فانهم تركوا كتابات عَنْ مُعْتَقَدات اللاَهُوتِيَّة، والأَناشيد والمزامير الدّينِيَّة، والخطب والتّواريخ وغيرها. ومن أمثلة التّأليف ومجالاته:

- ايشوعياب كدالايا البِطْرِيق، ألف كتاب الرّؤوس فِي توبيخ المخالفين عَلَى المذهب، وكتاب فِي الالفاظ المترادفة، وكتابا يحوي 22 مسألة فِي أسرار البيعة، وشرحا للمزامير[3]، وَلَهُ رسائل وتواريخ وخطب، لَمْ يَبْقَ من مؤلفاته الا نَشِيدٌ أدخله النَّسَاطِرَة فِي مزاميرهم[4]، ورسالة اعتقادية[5].

- ايشوعياب الحديابي البِطْرِيك (30-40هـ/ 650-660م) ألف كتبا كثيرة مِنْهَا: النّصائح للمبتدئين، كتاب الرّؤوس، كتاب التّرجمة، مداريش، كتاب التّعازي، قصائد، مجادلات[6]، والفرض السّنوي[1].

---

1 - نينا بيغلوفسكايا: "انتشار المسيحيّة والاضطهاد"، موقع *دراسات سريانية*، Aug 13, 2012.

2 - أحمد أمين: **فجر الاسلام**، ص131.

3 - ادي شير: **كلدو وآثور**285/2

4 - وَهُوَ مثبت فِي مخطوط المعهد البريطاني 14675. عبد يشوع: **فهرسة المكتبة الشّرقية**، 105/3؛ السّمعاني، بولس: **تاريخ الآداب السّريانية** 34/3

5 - مثبتة فِي المخطوط الفاتيكاني البورجي ص592. عبد يشوع: م. ن. 105/3؛ السّمعاني، بولس: م. ن. 34/3.

6 - مِنْهَا طبعت: الرّسائل طبعها دوفال 1904، جهاد ايشوعسبران طبعه الأب شابو 1896. ادي

- البِطْرِيك جورجيس (41-60هـ/ 661-680م)، لَهُ قوانين مجمعية سنَّها سنة 676م[2]، ورسالة اعتقادية، وكرازة الطّلبة، ونشيد تكريس الكَنِيسَة[3].

- الأُسْقُف جرجس (ت107هـ- 725م) صاحب أَبَرشِيَّة عاقولاء، كَانَ من المتبحرين فِي الفَلْسَفَة، لَهُ شروح عَلَى الأسفار المقدسة، وأسرار الكَنِيسَة، وترجم كتاب الاورغانون لأرسطو[4].

- بابي النّصيبيني، كَانَ بأيام البِطْرِيك صليب زخا، (95-110هـ/ 714-728م)، لَهُ مُؤَلَّفَاتٌ كثيرة، وخطَبٌ مُتَنوعَةٌ مُرَتَّبَةٌ عَلَى الحُرُوف الهِجَائِيَّة، وإِرْشَادَاتٌ، ومَرَاثٍ، وتَبْرِيكَاتٌ مُرَتَّبَةٌ عَلَى الحروف الهجائيّة، وأناشيدُ، وأغانٍ كَذَلِكَ، وقصيدةٌ فِي مدح نسطور، وتواريخُ[5].

- ماروثا (ت28هـ/ 649م): مطران تكريت، من اليَعَاقِبَة، أصبح رئيسا للكَنِيسَة المشرقية فِي الحِيرَة (8هـ/629م)، لَهُ رسائل دافع فِيهَا عَنْ المنوفيزية، وترجم الإِنْجِيل إِلَى اللُغَة الْعَرَبِيّة بتكليف من الأمير الْعَرَبِيّ عمر بن سعد[6].

شير: م. س. 286/2.

1 - محفوظ عِنْدَ السّريان النَسَاطِرَة، وفي المكتبة الفاتيكانية نسخة مِنْهُ، طبع للمرة الاولى سنة 1538، وطبعه الأب بدجان اللعازاري فِي باريس سنة 1886. السّمعاني: م. س.36/3.

2 - مثبتة فِي مجموعة المجامع النَّسْطُورِيّة ومحفوظة فِي مخطوطتين سريانيتين: أحدهما المخطوط الفاتيكاني البورجي 82، والآخر مخطوط المكتبة الوطنية فِي باريس رقم 332. السّمعاني: **تاريخ الآداب السّريانية**38/3.

3 - وَهُوَ النّشيد المثبت فِي صباح الخميس من الفرض الماروني، ترجمه مكلان إِلَى الانكليزية، وطبعه فِي لندن سنة 1894م. السّمعاني: م. ن. 39/3.

4 - **النّصرانية وآدابها**، ص101. **تاريخ نصارى العِرَاق**، ص58.

5 - ذكرها توما المراغي (ق9م) فِي تاريخه الرّهباني. السّمعاني: م. س. 40/3.

6 - سوريال: **تاريخ الكنيسة الشّرقية**، ص 237.

- يعقوب الرّهاوي (19- 89هـ/ 640- 708م) الَّذِي اشتهر من الرّهـا، وأصبح أُسْقُفاً عَلَيْهَا للمذهب الأرْثَذوكْسِيّ اليَعْقُوبِيّ (64- 69هـ/ 684- 688م)، وَقَدْ انصرف إلَى التّأليف، وأشهر كتبه هُوَ كتاب الأيام السّتة فِي وصف العالم وظواهره الطّبِيعيَّة فِي إطار قصة الخليقة، وأعاد النّظر فِي ترجمة الكتاب المقدّس المعروفة بـ (البسيطة)، وَفِي تتمّة تواريخ (أوسابيوس القيصري) (265- 339م)[1]. وإليه تنسب الحركات الخمس فِي اللُغَة السّرْيانِيّة[2].

- جورج الأُسْقُف فِي الكوفة و الجَزِيْرَة الْعَرَبِيّة (66- 106هـ/ 686-724م)، لَهُ عِدّةُ اطروحات لَاهُوتِيَّة دافع فِيهَا عَنْ المنوفيزية، ورسائل فِي التّاريخ والفلك[3].

- يوحنا الدّمشقي، القديس (40- 143هـ/ 660-760م) لَهُ مؤلفات كثيرة، مِنْهَا: كتاب فِي الفَلْسَفَة والمنطق، كتاب فِي الأَمَانة المقدسة، رد القديس عَلَى النَّسَاطِرَة واليَعَاقِبَة، تفنيد لآراء الْمُسْلِمِينَ، مقالات، مِنْهَا : فِي تكريم الصّور، والثّالوث المقدس، والبتولية[4].

- يوحنا مارون : يُعزى له ما لا يقل عن عشرة كتب ورسائل، ومنها كتاب: "شرح الإيمان"[5]، و"تفسير خدمة القداس" و "فصلٌ في الكهنوت". اما

---

1 - سوريال: م. ن. 238؛ حسين قاسم العزيز: "دور المراكز الثّقافِيّة السّريانية فِي تفاعل العرب والمسلمين الحضاري"، *موقع دراسات سريانية*، Aug 13, 2012

2 - مار إغناطيوس زكا الأول عيواص: " مار يعقوب الرّهاوي (633 – 708م) اللاهوتي، المؤرخ، المترجم، اللغوي السّرياني، مستنبط الحركات السّريانية"، *مجلة مجمع اللُغة السّريانية ـ المجلد الثّاني ـ 1976*.

3 - سوريال: م. س. 239.

4 - لويس شيخو: **المخطوطات العَرَبِيّة لكتبة النّصرانية** (دار المشرق، بيروت2000)، ص217

5 - ضمن مخطوطة الفاتيكان 146 السريانية ، والتي تمّ نسخها عام 1392 . متي: **الموارنة في التاريخ**، ص 141.

السمعاني فيقر بأن يوحنا مارون ألّف مصنفين فقط هما : "شرح الإيمان" و"ليتورجية" (اي خدمة القداس) [1].

- يوحنا النيقوسي (ق1هـ/7م): صاحب كتابه "تاريخ مصر" واكب فيه أحداث الفتوح وعايشها، وحاول أنْ يقدِّم رؤيةً معاصرة للمَسِيحِيِّينَ تجاه العلاقات المسيحيَّة المسيحيَّة، والعلاقات المسيحيَّة الإسلاميَّة تكاد تكون تفصيليَّة.

- سبيوس Sebios" المؤرِّخ الأرمنيّ الذي عاصر الفتوحات الإسلاميّة، وألَّف "تاريخ هرقل"، وكتب فيه عن الفتوح بتفصيلٍ كشاهد عيان، إذْ رسم لوحة واضحة المعالم لأحداث عصره بوجهٍ عام، وتاريخ بلاده السياسيّ بوجهٍ خاص، ودقَّق في نقل المعاهدات، وأنفرد بقسم منها، كمعاهدة العرب مع الأرمن إبَّان الفتح، كما وتحدَّث باسهاب عن الشقاق بين مذهبيّ الدولة والأرمن المنوفزيتي[2].

- اللُّغة والنّحو:

اللغة السّرْيانيّة لهجة آرامية ارتبطت بالْمَسِيحِيَّة، إِذْ كَانَتْ فِي بادئ أمرها تسمى الآرامية، ويُعرف المتكلمون بِهَا بالآراميين[3]. انتشرت السّرْيانِيّة لتصبح لغة جماعة كبيرة فِي شمال العِرَاق والشّام والجَزِيْرَة، فَهِيَ لغة إِبْرَاهِيم أبي الأنْبِياء إسحاق واسماعيل[4]، وأضحت مَعَ انتشار الْمَسِيحِيَّة لغةً من أهم لغات الشّرق الْمَسِيحِيّ فِي

1 - الدبس: **الجامع المفصل في تاريخ الموارنة**، ص65؛ متي موسى: **الموارنة في التاريخ**، ص 141.

2 - انظر: فايز نجيب اسكندر: **المسلمون و البيزنطيون و الأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني سبيوس**، ص10- 75.

3. الآرميون: هُمْ بنو آرام بن سام بن نوح عَلَيْهِ السّلام. وكانوا يعيشون فِي البلاد الَّتِي تسمي فِي التوراة: "آرام"، وَهِيَ المعروفة ببلاد الشّام والعِرَاق. زاكية رشدي: **السّريانية نحوها وصرفها**، ص 9.

4. القلقشندي: **صبح الأعشى**360/1.

القرون الميلادِيّة الاولى[1].

أن اللغات السّرْيانيّة والْعَرَبِيّة والعبرانية أخوات فِي السّامية، مُشْتَرَكات فِي الضَّمائر وأغلب القواعد الَّتِي يعتمد عَلَيْهَا فِي تركيب الجمل، وأنَّ آلافا من الكَلِمَات مُشْتَرَكة بَيْنَ اللغات الثّلاث[2]. والسّرْيانِيّة ضاربة فِي القدم، إِذْ قَالَ ابنُ دريد (ت321هـ/ 933م): سُمي يعرب بن قحطان، لِأَنَّهُ أولُ مَنْ انعدلَ لِسانُه من السّرْيانِيّة إِلَى الْعَرَبِيّة[3].

وَفِي أول من وضع الخط الْعَرَبِيّ، قيل: أن ثلاثة نفر من طيء الْمَسِيحِيّة اجتمعوا ببقعة، وَهُمْ: مرامر بن مُرَّة، وأسلم ابن سدرة، وعامر بن جدرة، فوضعوا الخط، وقاسوا هجاء الْعَرَبِيّة عَلَى هجاء السّرْيانِيّة، فتعلمه قوم من الأنبار[4]. وَهَذَا قَدْ يَدِلُّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا أَوَّلًا يُعلِّمون الهجاءَ عَلَى ترتيب أَبْجَد.

وَبِحَسَبِ ابنُ فارِسٍ- أَنَّهُ قرأ فِي بعض الكتب أنَّ الحروف الأبجديّة فرع عَنْ السّرْيانِيّة، لأنَّها عَلَى ترتيبها[5]. وأورد أَبُو الفرج أَنّ "المرقش الأكبر" دفعه ابوه إِلَى نَصْرَانِيّ فِي الحِيرَة وتعلم عَلَيْهِ الخط[6]، وَأَنَّهُ استعان بالحروف والكَلِمَات

---

1. محمود فهمى حجازى: **علم اللُغَة العَرَبِيّة**، ص 176.
2. "حديث مَعَ زائر كريم" *مجلة الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة*، السّنة السّادسة - العدد الرّابع - ربيع الثّاني 1394هـ - *ابريل 1974م*،، ص 23.
3. **جمهرة اللُغَة** 319/1؛ السّيوطي: **المزهر فِي علوم اللُغَة وأنواعها**، 1/ 29.
4. ابن عبد ربه: **العقد الفريد** 4/ 240؛ الزَّبيدي، (ت 1205هـ): **حكمة الإشراق إِلَى كتاب الآفاق** ص 28
5. ابن فارس (ت395هـ): **الصّاحبي فِي فقه اللُغَة العَرَبِيّة ومسائلها وسنن العرب فِي كلامها**، ص 20.
6. **الأغاني** 139/6.

السّرْيانيّة ووظفها فِي الْعَرَبيّة، ويجدر العلم أنّ العُبَّاد فِي الحِيرَة كَانُوا أول الْعَرَب الَّذِينَ استعملوا الخط الْعَرَبِيّ[1].

مِنْ هُنَا يعدُّ أقدم مثل لتأثير السّرْيانيّة عَلَى الْعَرَبيّة هُوَ الأبجديَّة النّبطيَّة الَّتِي استعارها الْعَرَب لكتابتهم، فالخط النّبطيُّ مشتقٌّ من الآراميّ، والإملاء الْعَرَبِيّ القديم قريب من الإملاء الآراميّ، ويظهر ذَلِكَ فِي الخط الكوفي[2].

يستفاد من المسار التّاريخيّ لتَطَوّر اللغات السّامية، أنَّ السّرْيانيّة نمَّت عَلَى حساب العبريَّة، مِنْذُ تشتت اليهود فِي خروجهم من فلسطين، فَإِنَّ بني إِسْرَائِيلَ فِي زمان عيسى كَانُوا يتكلمون باللغة السّرْيانيّة فِي أمور دينهم ودنياهم، وَلَمْ يبق عِنْدَهم من العبرانية إلا أدعية الصّلوات[3]. أما التلمود فقسمان: تلمود بابلي، وتلمود أورشليمي، وهما مختلفان في اللغة والمحتوى؛ فلغةُ التلمود البابلي هي الآرامية الشرقية (آرامية العِرَاق)، وأمَّا لغة التلمود الأورشليمي، فإنها شبيهة بالآرامية الغربية (آرمية سوريا)، وفيها مصطلحات وألفاظ سريانية ولاتينية[4].

اختلف الباحثون في لغة المسيح[5]، فيرى" A. Meyer" أن لغة عيسى كانت الآرامية[6]. ومنهم من قال: الإِنْجِيل نزل بالسريانية[1]. وقد يستدل عَلَى ذَلِكَ

---

1. قنواتي: **المسيحيّة والحضارة العَرَبيّة**،) ص 55.
2. مختار: **البحث اللغوي عِنْدَ العرب**، ص 354.
3. الهلالي، (ت1407هـ): "حديث مَعَ زائر كريم"، م. س. ص 21.
4 - عمر عبد العزيز قريشي: "التلمود ومنزلته عند اليهود"، *موقع شبكة الألوكة* 30/ 2013/7.
5 -: قال ابن تيمية: " ومن قال إن لسان المسيح كان سريانيّاً (أي آراميّاً) أو روميّاً، فقد غلط " (**الجواب الصحيح** 1/ 90). وذهب بعضهم إلى أن " هذه المعطيات جميعها تبين أن أغلب حديث عيسى كان باللغة الآرامية، وهي اللغة الشعبية التي كانت شائعة. انظر: عبد العزيز شهبر: " لغة المسيح عيسى بن مريم " (ص 112، 113)، بحث في كتاب *لغات الرسل وأصول الرسالات*.
6- عبد العزيز شهبر: لغة المسيح عيسى بن مريم . نقلا عن Dalman, G. JESU Mutter sprache, leipzig 1896

من النّص القرآني: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ }(إِبْرَاهِيم 4). ونستفيد أهميَّة السريانية في عصر الرسالة من سنة الرّسول، أَنَّهُ أمرَ زيد بن ثابت (ت45هـ/ 665هـ) بتعلم السّرْيانِيّة؛ ليقرأ لَهُ كتب اليهود ويكتب الأجوبة[2].

يدل هَذَا عَلَى أَنَّ عُرْفَ السّرْيانيّة تعينت لشرفها، بإنزال بعض كتب الله تعالى بِهَا[3]، وأَنَّها لغة تفاهم شائعة فِي الآفاق عرفها الْعَرَب قَبْلَ الإِسْلَام، ولاسِيَّمَا فِي الفضاء الدّينِيّ، فَقَدْ كَانَ الأحناف فِي مَكّة يقرأون ويكتبون بالسّرْيانيّة والْعَرَبِيّة[4]، وبعد الإِسْلَام، فَضْلًا عَنْ مدعاة الرّسول بعض النّاس لتعلمها، كَانَ ممن يحسنها عبد الله[5] بن عمرو بن العاص (ت65هـ/ 685م)، ويقال: أَنَّهُ حصل عَلَى نسخة من الكتاب المقدَّس أَوْ بعض نسخة[6]، و كَانَ يَقْرَأُ بِالسّرْيانيّةِ[7].

من اليهود الَّذِينَ دخلوا فِي الإِسْلَام، وكَانُوا يجيدون السّريانيَّة، كعب الاحبار[8]. ومن التّابعين كَانُوا يعرفون السّرْيانيّة: سعيد بن جبير (ت95هـ/ 714م)[9]، الحسن البصري (ت110هـ/728م)[10]. ومن العلماء وقدماء المؤلفين

---

1. الهلالي، "حديث مَعَ زائر كريم"، م. س. ص 21.

2 - التِّرْمِذِيّ: **الْجَامع**، بَاب فِي تعلم السّريانية، 7/ 498؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 280/6؛ ابن سعد: **الطبقات الكبرى** 2/ 115.

3. الشّرواني: **الحواشي عَلَى تحفة المحتاج بشرح المنهاج** (دار إحياء التراث العَرَبِيّ، بيروت) 16/2.

4 - علي: **المُفَصَّل** 346/16.

5- ترجمته: أَبُو نعيم: **حلية الأولياء** 1/ 283؛ ابن حجر: **تهذيب التهذيب** 337/5".

6. أَبُو عبيد: **غريب الحديث** 4 / 282؛ الوفائي، نصر الأشعري: **المطالع النّصرية للمطابع المصرية فِي الأصول الخطية**، ص 427.

7. ابن سعد: م. س. 4/ 201.

8. الطبري: **جامع البيان** 14/ 352.

9. الطبري: م. ن. 6/16.

10. الطبري: م.ن. 72/13.

عرفوا السّرْيانِيّة: ابن إسحاق (ت151هـ/ 768م)[1]، وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224هـ/ 839م) عرف السّرْيانِيّة، وذكر أنَّ أداة التّعريف فِيهَا وَهِيَ الفتحة الطّويلة فِي أواخر كلماتها[2].

يرجع أصل كثير من المعربات إلَى لغة بني إرم أَوْ إلَى لغة الفرس، لاحتكاك الْعَرَب الحضاري بِهِمْ مباشرة، وتليها المعربات المأخوذة من لغات أُخْرَى مثل اليُونانِيّة والعبرانيَّة واللاتينيَّة والحبشيَّة والقبطِيَّة، وكثير مِنْهَا إنَّمَا دخل إلَى الْعَرَبِيّة عَنْ طريق السّرْيانِيّة، فَقَدْ كَانَ السّريان قَدْ أدخلوها فِي لغتهم، ومن لغتهم هَذِهِ تعلمها الْعَرَب. وعرفت المعربات السّرْيانِيّة الأصل، مِمَّا أفصحت بِهِ حضارتهم، فِي الزراعة فِي الغالب، وَفِي التّوقيت، ثُمّ فِي مَوْضُوعات دِينِيَّة وصناعية وتجارية وَفِي أمور أُخْرَى[3].

أرجع أقدمُ المفسرين عِدَّةَ مفردات قرآنِيّة إلَى السّرْيانِيّة، ذكر مجاهد بن جبر (ت 104هـ/ 722م): السّرِيُّ: النَّهَرُ الصّغِيرُ- بِالسّرْيانِيّة. الطّورُ: الْجَبَلُ- بِالسّرْيانِيّة"[4]. ومقاتل بن سليمان (ت150هـ/ 767م): قَالَ: "طه" يعني: يا رجل، وَهُوَ بالسّرْيانِيّة. الكوكب الدّري وَهُوَ: الزهرة فِي الكواكب، ويقال المشتري، وَهُوَ: البرجرس- بالسّرْيانِيّة. وَأَمّا اسْمُ أَحْمَد- فبالسّرْيانِيّة: فارقليطا. و نوح- بالسّرْيانِيّة: السّاكن الَّذِي سكنت إلَيْهِ الأرض[5]. والطّبري: اسم "طالوت"- بالسّرْيانِيّة: شاول. "شعيب "اسمه- بالسّرْيانِيّة: "بثرون"[6].

---

1. الطبري: م.ن. 310/10.
2. رمضان عبد التواب: **المدخل إلَى علم اللُغَة ومناهج البحث اللغوي**، ص 52.
3. علي: **المُفَصَّل فِي تاريخ العرب** 16/ 338.
4. **تفسير مجاهد**، ص455، 622.
5. **تفسير مقاتل** 3/ 20، 199، 316/4، 449، 455/12.
6. الطبري: م.س. 5/ 307.

سَجَّل علماء اللُغَة مفردات عديدة مِمَّا أخذت الْعَرَبِيّة من السّرْيانِيّة، مِنْهَا: التَّأْمُور، والدّرْبخة، والبَرْناساء[1]. ووجد بحذاء "مَصَّ" الْعَرَبِيّة "مَصَّ" السّرْيانِيّة، وبإزاء "مَسَّ" الْعَرَبِيّة، "مَسَّ" السّرْيانِيّة[2]، التّامور: رُبمَا جَعَلُوهُ صبغا احمر، وَرُبمَا سمي دم الْقلب تامور[3]. شُرَحْبِيل، وشُراحِيل. عادِياء- يُمَدّ ويُقصر. حَيَا- مَقْصُور. سَمَوْءَل وَهُوَ أَشْمُوِيل[4]. وإن الشّهر موجود فِي السّرْيانِيّة بلفظ "سهرا"، ومعناه الهلال والقمر[5]، وَكَذَلِكَ أسماء الشّهور من السّرْيانِيّة[6]. وعرفت اللُغَة السّرْيانِيّة الاسم: tayyaya "طيايا" بمعنى: "الرّجل الطّائي" ثُمَّ بمعنى: "الْعَرَبِيّ" مطلقا. كَمَا تسمى الْعَرَبِيّة عِنْدَ السّريان: lessana tayyaya "لشانا طيايا" بمعنى: "اللسان الْعَرَبِيّ"[7].

جدير بالعلم إنَّ المتمعنَ فِي البحث اللُغَويَّ يجد مئات من الكَلِمَات المتشابهة فِي المبنى والمعنى فِي اللغات السّامية الشّقيقة، وعلى سبيل المثال: "ق ر أ"

---

[1]. قَالَ ابن دُريد: التَّأْمُور وَهُوَ موضع السّر، والدَّرْبخة: الإصغاء إلَى الشّيء، أحسبها سريانية. وزاد الأندلسي: البَرْنْساء والبَرْناساء بمعنى الخَلْق وقال: تفسيره بالسّريانية: ابن الإنسان. السيوطي: **المزهر فِي علوم اللُغَة وأنواعها** 225/1.

[2]. صبحي الصّالح (ت1407هـ)[2] **دراسات فِي فقه اللُغَة**، ص 159.

[3]. ابن دريد: **جمهرة اللُغَة**، 3/ 1326.

[4]. ابن سيده: **المخصص** 4/ 224

[5]. "حديث مَعَ زائر كريم"، م.س. ص 28.

6. تبدأ بشهر تشرين الأول، وتنتهي بشهر أيلول:

1	تِشرينُ الأول	5	شباط	9	حزيران
2	تِشرينُ الثّاني	6	آذار	10	تموز
3	كانونُ الأول	7	نيسان	11	آب
4	كانونُ الثّاني	8	أيار	12	أيلول

المعجم الوسيط (1/1، 2، 21، 22، 34، 89، 170، 306، 412، 470، 863/2،

7. رمضان عبد التواب: **بحوث ومقالات فِي اللُغَة**، ص 231.

جذر (مورفيم) لفظة "قُرآن" موجود في: العبرية، السّرْيانيّة، الْعَرَبيّة[1]. وَهِيَ الَّتِي نزلت بِهَا الكتب السّمَاوِيَّة للأَدْيَان الثّلاثة: اليَهُودِيَّة الْمَسِيحِيَّة الإِسْلَام، ووحدة الأُصول اللُغَوِيَّة تدل عَلَى التّعَايُش اللُغَوِيّ والإندماج بَيْنَ أفراد العائلة الإِبْرَاهِيمِيَّة فِي ظِلِّ التّقارب المكاني، فَضْلًا عَنْ أصل واحديَّة الخالق، الَّتِي تسهم فِي تأصيل "كلمة سواء بَيْنَهُمْ"، عَلَى نحو يؤسس تفاعل المشاعر والمعاني والمباني، وتقارب المفاهيم والنّتائج.

ومثلها فِي الْمُشْتَرَك السّامي لفظ "سرِيّا"، ورد فِي آية مختصة بالسّيد الْمَسِيح، نحو: {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا} (مَرْيَم24)، ذكر مجاهد: السّرِيُّ: النّهَرُ الصّغِيرُ بِالسّرْيانِيّة[2]، وَكَيْفَ يكون تَحْتَهَا نهرٌ، ثُمّ يتكلم؟. بَيْدَ أَنّها -بحَسَبِ "لوكسنبرغ Luxenberg"- فِي السّرْيانِيّة "شَرِيا šaryā"، مشتقة من الفعل "شرا šərā" بمعنى: "حلَّ"، وبذلك تكون كلمة "سريا" بمعنى "الحلال"[3]، أي لَيْسَ ابن حرام، ردا عَلَى خطاب مجتمعها. لَعَلّ الأَقْوَى دلالِيًّا، أنها فِي السّرْيانِيّة بمعنى: "حرر" و "أطلق"، ويكون معنى "سريًّا" : "محرَّرا"[4]، والدّليل ورودها فِي المعنى نفسه فِي سورة آل عمران: {إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ: رَبِّ، إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً 35}.

أَمّا فِي النّحو فَقَدْ تأثّرَ علماءُ اللُغَة السّرْيانِيّة بالنَّحْوِ اليُونَانِيّ، إِذْ قسّم أفلاطون (429- 347 ق. م) الكَلَامَ إِلَى اسْمٍ وفِعْلٍ، وأضاف أرسطو

---

1. للتفصيل انظر: أحمد مُحَمَّد علي الجمل: "القرآن ولغة السّريان"، *مجلة كلية اللغات والترجمة ـ جامعة الأزهر*، عدد 42 لسنة 2007م، ص 75-82.
2. **تفسير مجاهد**، ص455، 622.
3. Die Syro Aramaische lesart des Koran. Ein Beitrag zur Entschlusslung der Koransprache , 144-153. القراءة الآرامية السّريانية للقرآن الكريم. مساهمة فِي تحديد لغة القرآن) (. نقلا عَنْ الجمل: **القرآن ولغة السّريان**، ص88.
4. أحمد الجمل: **القرآن ولغة السّريان**، ص88.

(384- 322 ق. م) لَهُمَا قسماً ثالثاً يتميز عَنْ سابقيه، وَهُوَ الرّابط[1]، فالكَلَام- عِنْدَه- يقسم إلَى: اسم، وفعل، ورابط. ثُمّ كتب ديونيسيوس ثراكس (170- 90 ق. م) "فن النّحو"، الَّذِي ترجمه يوسف الأهوازي (ت44ق.ه/ 580م) من اللُغَة اليُونانِيّة إلَى السّرْيانِيّة، وأسس للنحو السّرْيانِيّ، واخترع بعض علامات للشكل، وكتب رسالة عَنْ الكَلِمَات الَّتِي تكتب بصورة واحدة، ولكِنْ يتعَدّد معناها.

ومِنْ ثَمّ أخذَ عَنْهُمْ الْعَرَبُ النّحوَ، فَإِنَّ نشأةَ الحركاتِ الأعرابيّةِ فِي صدرِ الإِسْلَام، الَّتِي يُنْسَبُ وضعُها إلَى أَبِي الأسودِ الدّؤليّ (ت69هـ/ 689م)، هِيَ- فِي الحَقِيْقَةِ- مأخوذةٌ عَنْ السّريان. فَقَدْ استعملَ أَبُو الأسود طريقةَ الشّكلِ بالنُّقَطِ، وَكَانَتْ إحدَى طرقِ الشّكلِ عِنْدَ السّريانِ، وَهِيَ الطّريقةُ الَّتِي اتّبَعَها النَّسَاطِرَةُ[2].

فِي حِين يَرَى ابن العِبْري: أَنَّ أَوَّلَ مَن وَضَعَ قَوَاعِدَ النَّحْوِ هُوَ القِدّيسُ يعقوب الرّهاوي (ت89هـ/ 708م)، وبَعْدَهُ تَحَمَّسَ آخَرُون فِي تَأْلِيفِ الكُتُبِ[3]. ويتابِعَه جورجي زيدان بقوله: "والْعَرَب يغلب عَلَى ظَنّنا، أَنَّهُمْ نسجوا فِي تبويب النّحو عَلَى منوال السّريان؛ لأن السّريان دونوا نحوهم، وألفوا فِيهِ الكتب فِي أواسط القَرْن الخامس الميلادِيّ عَلَى يد يعقوب الرّهاوي... ويؤيد ذَلِكَ أن الْعَرَب بدأوا فِي وضع النّحو، وَهُمْ بالعِرَاق بَيْنَ السّريان والكلدان. وأقسام الكَلَام فِي الْعَرَبِيّة هِيَ نفس أقسامه فِي السّرْيانِيّة"[4].

---

1. أرسطو طاليس: **كتاب الشّعر**، (مكتبة النّهضة، القاهرة 1953م)، ص 55 - 108.
2. زاكية رشدي: "تاريخ اللُغَة السّريانية"، *مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة*. ص 268، 269؛ زاكية رشدي: "نشأة النّحو عِنْدَ السّريان وتاريخ نحاتهم"، *مجلة كلية الآداب. جامعة القاهرة، سنة1958*، ص 215، 217.
3. أحمد الجمل: "أقسام الكلام السّرياني"، ص3، *موقع الجمل* عَلَى شبكة الانترنيت /http://algamal63.arabblogs.com
4. جورجي زيدان: **تاريخ آداب اللُغَة العَرَبِيّة** 1/ 251.

لَمْ يَكُنْ الرّهاوي الا من علماء القَرْن الأوَّل الهِجْرِيّ/ السّابع الميلادِيّ ، وَهُوَ معاصر لأبي الأسود، وتوفي بَعْدَهُ بعقدين. لَعَلَّ الإشارة إلَى أنَّ كُلًا مِنْهُمَا ابتدع الحركات الاعرابية، تكشف عَنْ نشاط لُغَوِيَّ ملموس للسُرْيانِيّة والْعَرَبِيّة فِي آن معا، وتَطَوّر يؤشر إلَى التّنافس النّزيه للغتين رئيستين عَلَى خَارِطَة العالم الْعَرَبِيّ والمشرق الإِسْلَامِيّ المتباعدة الآفاق، فِي ظِلّ حُرِيَّة التّعْبِير الدّينِيّ والثّقافِيّ، لَاشَكَّ أَنَّهُ أَسَّسَ إلَى تمازُجٍ فِكْرِيّ وتَعَايُشٍ لُغَوِيّ وإِجْتِمَاعِيّ.

ومن فنون البلاغة: الكناية والتّعريض، إِذْ عرض "ابن الأثير" أحسنَ مَا كتب فِيهَا زمن المأمون العباسي، ثُمّ أردف[1]: "أن هذين القسمين من الكناية والتّعريض قَدْ وردا فِي غير اللُغَة الْعَرَبِيّة، ووجدتهما فِي اللُغَة السّرْيانِيّة، فَإِنَّ الإِنْجِيل الَّذِي فِي أيدي النَّصَارَى قَدْ أتى مِنْهُمَا بالكثير".

- الادب والشّعر:

اشتهر الأدب اليُونانِيّ فِي أرجاء البسيطة، ولاسِيَّمَا فِي بلاد الشّام والعِرَاق، أسوة بعلومهم فِي الرّياضيات والهندسة والطّب والفلك والفَلْسَفَة وغيرها من مفردات الحضارة اليُونانِيّة، فَكَانَ الشّعر بأنواعه وأغراضه يرتقي فِي معانيه، ولاسِيَّمَا الشّعر الملحمي كـ "الالياذة" و"الأوذيسة"، وتلاه الأدب الرّوماني، ويرى "أحمد أمين"[2]: أنَّ لأدب الحضارتين أثراً فِي الأدب الْعَرَبِيّ، وإن كَانَ ضعيفا فِي العصر الأُمَوِيّ، إِذْ لَمْ تَعْرِفْ خارِطَةُ الشّعر الْعَرَبِيّ شاعِرًا، أصلُه يُونانِيّ، أَوْ رومانِيٌّ تَعَلَّمَ الْعَرَبِيّة، وشَعَرَ بِهَا بقَدْرِ مَا عَرِفَتْهُ مِنْ شُعَرَاءَ، من أصلٍ فارسِيٍّ، يَنُمُّ عَنْ وجود للأدب الفارسي أكثر من غيره.

ذكر أهل اللُغَة: أنّ أهل الحِيرَة كَانُوا أوّلَ مَن دوّنَ الشّعرَ، وكتبه، فِي أيّام آل المنذر اللّخميّين ملوكِها (268- 633م)، وَكَانَتْ شعراءُ الجاهلِيّةِ تَفِدُ عَلَيْهِمْ،

1. ضياء الدين، (ت637هـ): **المثل السّائر فِي أدب الكاتب والشّاعر**، 3/ 75.

2 - **فجر الإسلام**، ص 135.

مثل: أعشى قيس (ت625م)، النّابغة الذّبياني (ت604م)، عبيد بن الأبرص (ت598م)، بشر بن أبي حازم، عمرو بن كلثوم (ت584م)، الحارث بن حلّزة (ت580م)، المتلمّس الضَّبعي، طرفة بن العبد (ت569م)، وغيرهم. وَكَانَ آل المنذر يأمرون كتّابهم من أهل الحِيرَة أنْ يكتبوا أشعارهم، فأخذها النّاس عَنْهُمْ[1].

إِذَا مَا برز غير واحد فِي الجاهلِيّة والإِسْلَام عَلَى ساحة الأدب الْعَرَبِيّ من شعراء النَّصَارَى، فَإِنَّ أسلوبهم فِي بحر الشّعر وقافية القصيدة لا يخرج عَنْ التّقليد الشّعري الْعَرَبِيّ، بَلْ هُمْ كَانُوا يتعصبون لَهُ، وَهَذَا دليل آخر عَلَى ميلهم إِلَى عصبة الدّم والقبيلة، أكثر من ميلهم إِلَى حاضنة الدّين، وَقَدْ بيَّنت دراسات نشاط الشّعراء الْمَسِيحِيّينَ المتميز عَلَى خَارِطَة الأدب الْعَرَبِيّ، مثل شعراء النّصْرَانِيَّة فِي الجاهلِيّة والإِسْلَام للأب لويس شيخو. ونأخذ نماذج من الشّعراء النَّصَارَى، الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ دورٌ فِي الحياة الاِجْتِمَاعِيَّة، وَلَهُمْ علاقة مَعَ السّلطان.

- ***أَبُو زبيد الطّائي***[2] واسمه حرملة بن المنذر بن معدي كرب بن حرب بن حنظلة بن النّعمان بن حية بن شعبة، كَانَ أَبُو زبيد من زوار الملوك، والملوك العجم خَاصَّة، وَكَانَ عالما بسيرهم، وَكَانَ الخليفة عثمان بن عفان يقربه عَلَى ذَلِكَ، ويدني مجلسه، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فحضر ذات يوم عثمان، وعنده المهاجرون والانصار، فتذاكروا مآثر الْعَرَب وأشعارها، فالتّفت عثمان إِلَى أبي زبيد، فقال

1 - البكري: **المسالك والممالك** 1/ 428.

2 - ترجمته: ابن سلام: **طبقات الشّعراء** 593/2؛ أَبُو الفرج: **الاغاني** 12 / 127؛ ابن قتيبة: **الشّعر والشّعراء** ص 167؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق** 12/ 321؛ ابن العديم: **بغية الطلب** 5/ 2188؛ ياقوت: **معجم الادباء** 4/ 107– 115؛ الصّفدي: **الوافي بالوفيات** 11/ 335؛ البغدادي: **خزانة الأدب**، 2/ 155

يا أخا بيع الْمَسِيح، اسمعنا بعض قولك، فَقَدْ أنبئت انك تجيد، فانشده قصيدته الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

من مبلغ قومنا النّائين إِذْ شحطوا أن الفؤاد إِلَيْهِمْ شيّقٌ وَلِعُ

استعمله الخليفة عمر بن الخطَّاب عَلَى صدقات قومه، وَلَمْ يستعملْ نَصْرَانِيًّا غيره، وبقي إِلَى أيام معاوية، وَكَانَ ينادم الوليد بن عقبة بن أبي معيط والي الكوفة، فَلَمَّا شهد عَلَى الوليد بِأَنَّهُ شرب الخمر، وصرف عَنْ إمرة الكوفة، قَالَ أَبُو زبيد[1]: [الخفيف]

فلعمر الإله لَوْ كَانَ للسّيفِ نصالٌ، وللّسانِ مقالُ

مَا نفى بيتُك الصّفا ولا أتوه ولا حالَ دونَك الإسعالُ

ومن سمات العدالة عِنْدَ ابي زبيد، أَنَّهُ رَثَى الإمَامَ عَلِيًّا لَمَّا مات، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ- قبلا- جلد صديقه الودود الوليد بن عقبة، ذكر المبرد[2]: [البسيط]

إن الكرام عَلَى مَا كَانَ من خلق رهط امرئ خاره للدين مختارُ

طبٌّ بصير بأضغان الرّجال وَلَمْ يعدلْ بخبر رسول الله أخبار[3]

وقطرة قطرت إِذْ حان موعدُها وكل شي لَهُ وقتٌ ومقدار

---

1 - ابن حجر: **الإصابة فِي تمييز الصّحابة** 7/ 137.

2 - المبرد، (ت 285هـ): **الكامل فِي اللُغَة والأدب**، 3/ 149؛ ابن حجر: م. س. 7/ 137.

3 - خاره: اختاره. أضغان الرّجال: أسرارها ومخبآتها. والخبر: العالم. المبرد: م. ن. 3/ 149.

حَتَّى تنصلها فِي مسجد طهر عَلَى إمام هدى إن معشرٌ جاروا
حمت ليدخل جناتٍ أَبُو حسن وأوجبَت بَعْدَهُ للقاتل النّارُ

- ***الأخطل*** غِيَاثُ بنُ غَوْثٍ[1] التّغْلِبِيُّ النّصْرَانِيُّ (ت110هـ/728م)، شَاعِرُ البلاط الأُمَوِيّ، ولد ونشأ فِي الجَزِيْرَة الواقعة فِي الجزء الأعلى من وادي دجلة والفرات بَيْنَ العِرَاق والشّام، ذاع صيته فِي العصر الأُمَوِيّ، وَكَانَ يناصر قضية الأُمَوِيّين فِي وجه الحزب الدّينِيّ[2]، ونال حظوة لَدَى الخلفاء الأُمَوِيّين، حَتَّى أن عبد الملك بن مروان لَدَى سماعه قصيدة: [البسيط]

خَفَّ الْقَطِينُ فَرَاحُوا مِنْكَ أَوْ بَكَرُوا وأَزْعَجَتْهُم نَوىً فِي صَرْفِهَا غِيَرُ[3]

الَّتِي يمدحه الأخطل فِيهَا، كَانَ يتطاول لها، ثُمّ قَالَ: ويحك يا أخطل، أتريد أن أكتب إلَى الآفاق أنك أشعر الْعَرَب؟، قَالَ: أكتفي بقول أمير المؤمنين[4]. قَالَ ابْن رَشِيق[5]: وَمن الفحول الْمُتَأَخّرين الأخطل، وَبلغت بِهِ الْحَال فِي الشّعْر إلَى أَن ... قَالَ مجاهرا، لَا يسْتَتر فِي الطّعْن عَلَى الدّين وَالِاسْتِخْفَاف بِالْمُسْلِمِينَ: [الوافر]

---

1 - ابن الصّلت (سلمة) بن الطارقة ويقال ابن سيحان بن عمرو بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ويكنى ابا مالك. ترجمته: ابن سلام: **طبقات فحول الشّعراء** 298/2؛ **الاغاني**290/8- 302؛ ابن قتيبة: **الشّعر والشّعراء** ص 301؛ ابن عساكر: **تاريخ دمشق**104/48؛ الذهبي: **سير أعلام النّبلاء** 4 / 589؛ شيخو: **شعراء النّصرانية** 2 / 170 .

2 - فيليب حتي: **تاريخ سوريا** 109/2

3 - اتفق أهل الادب عَلَى ان البيت للأخطل، عدا الزبيدي: ذكر البيت من قَول الأَعْشَى. **تاج العروس** 23/ 236

4 - أَبُو الفرج: **الأغاني** 8/ 298؛ شيخو: **مجاني الأدب فِي حدائق العرب** 4/ 294؛ البطريرك مار إغناطيوس زكا الأول عيواص: "لسّريان والإسلام تاريخ مشترك" م. س.

5 - ابن رشيق (ت463هـ): **العمدة فِي محاسن الشّعر وآدابه** 44/1؛ البغدادي: **خزانة الأدب** 1/

وَلست بصائم رَمَضَان طَوْعًا وَلست بآكل لحم الْأَضَاحِي

وَلست بزاجر عنسا بكورا إِلَى بطحاء مَكّة للنجاح

وَلست مناديا أَبَدًا بلَيْل كَمثل العير حَيّ عَلَى الْفَلاح

وَلَكِنِّي سأشربها شمولا وأسجد عِنْدَ منبلج الصّباح

دخل فِي دائرة النّقائض، الهجاء بَيْنَ الفرزدق(ت114هـ/732م) وجرير (ت111هـ/ 729م)، واستشهد بشعره أئمة اللُغَة وأصحاب المعاجم، كالخليل[1]، وأبي عبيد[2]، والبغدادي[3] فِي آخرين.

- **حسان** بن سنان بن أوفى بن عوف، أَبُو العلاء التّنوخي الأنباري (60-180هـ) [4]: ولد سنة ستين من الهجرة عَلَى النّصْرَانِيَّة، وَكَانَتْ دينه ودين آبائه ثُمّ أسلم، وحسن إِسْلَامه، وَكَانَ يكتب بالْعَرَبِيّة و الفارسيَّة والسّرْيانِيّة، ولحق الدّولتين، فَلَمَّا تقلد السّفاح (132-136هـ) رضي مذاهبه واستكتبه.

5- العيش المُشْتَرَك

أضحى العيش المُشْتَرَك بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ - فِي ظِلّ الدَّوْلَة العَرَبِيَّة- ضرورة حَضَارِيّة وإِجْتِمَاعِيَّة، لتوافر روابط متعَدّدة بَيْنَ افراد المُجْتَمَع، إِذْ يحيَوْن عَلَى أرض واحدة، ويتكلمون لغة أصولها واحدة، وتجمعهم هموم وطموحات

1 -فِي 37 موضعا فِي **كتاب العين**، مثلا:70/1، 131/2، 113/3، 78/4، 15/5، 82/6، 194/7، 53/8

2 - فِي 22 موضعا فِي كتاب **غريب الحديث** 34/1، 78، 138/2، 237، 374/3، 453، 18/4، 367...

3 - فِي 55 موضعا. **خزانة الأدب**، مثلا: 21/1، 461، 137/2، 50/3، 236/5...

4 - التنوخي، (ت 384هـ) **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة** 100/6؛ ابن الجوزي: **المنتظم** 9/ 49؛ وقارن: **تاريخ بغداد** 8/ 258- 260.

مُشْتَرَكة، وأهم من ذَلِكَ، تجمعهم وحدانية العُبُودِيَّة لله تعالى، والتي هِيَ دعوة جميع الرّسل والأنْبياء[1].

وبفضل هَذَا الايمان وَهَذِهِ الرّوابط والمُمَارَسَات الايجابيّة فِي ظِلّ الدَّولَة العَرَبِيَّة، تبلورت شَخْصِيَّة حَضَارِيّة تؤمن "بدائرة القِيَمِ الأخلاقيَّة والرُّوحِيَّة المُشْتَرَكة الَّتِي تمثل منظومةً إنْسَانِيَّةً واحدةً"[2]، إِذْ ترسم خَارِطَة العَلاقَات الاجْتِمَاعِيَّة التّعَايُشِيّة بَيْنَ النّاس بشكل عام، وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ بشكلٍ خاصّ.

مِنْ هُنَا تَحَفَّزَ النّسيج الاجْتِمَاعِيّ عَلَى التّفاعل، ومشاركة أعضائه فِي الاحتفالات والمناسبات الدّينِيَّة، والاجْتِمَاعِيَّة، والاقتصاديّة، والفِكرِيَّة، والإِدَارَيّة. لَعَلّ مردَّ هَذَا التّحفيز إِلَى تفعيل منظومة الْحُقُوق، الَّتِي شملتْ غيرَ الْمُسْلِمِينَ، حَيْثُ تتجسَّد فِيهَا روحُ الإنتماء للموطِن، وَقَدْ شعروا أنفسهم جزءًا فاعلا فِي الْمُجْتَمَع، وَلَمْ يَسْتَشْعِرُوا حالة اغتراب مَعَ السّلطة آنَذَاكَ، والعلاقة بَيْنَهُمَا لَمْ تَقُمْ عَلَى عقودِ الأَمَانِ والحِمَايَةُ فحسب، وإِنَّمَا لَمْ يحظُرْ الإِسْلَام أيَّ عمل يدوي أَوْ فكري عَلَى الْمَسيحِيّينَ[3]. فَضْلًا عَنْ أَنّ هَذِهِ الدّراسة استوعبتْ أفنانَ العلاقةِ بَيْنَ الْمَسِيحِيّينَ والْمُسْلِمِينَ، من تزاوج وتزاور، وتعارف، وتبادل معارف ومصالح وحقوق، جميعها تُعَدُّ ترجمةً لتَعَايُش واضح المعالم، نَرْدُفُهُ فِيمَا يأتِي بنماذجَ أُخْرَى.

لَمْ يَكُنْ العيشُ المُشْتَرَك خاليًا من أُسس الاحتواء، أَوْ الانْضواء تَحْتَ ظِلال دين الدّولة، إِلَّا أَنَّهُ خالٍ من القهْرِ الدّينِيّ والإكراه، وَهَذَا يتماشَى مَعَ

---

1 - مُحَمَّد منير سعد الدين: "العيش المشترك الإسلاميّ المسيحيّ فِي ظل الدولة الإسلاميّة"، *المكتبة البولسية*، جونية، 2001، ص7.

2 - فضل الله، السّيد: "استقبال وفد طلاب المعهد العَرَبِيّ"، ٢٠٠٩/٤/١٥، *موقع بيانات* عَلَى شبكة الأنترنيت. http://arabic.bayynat.org/NewsPage.aspx?id=7865

3 - أسعد سحمراني: **الإسلام بَيْنَ المذاهب والاديان**، ص75.

مقولة "كايتاني" Caetiani[1]: "لَمْ يَضْطَهِدْ الْعَرَبُ أحداً فِي السّنوات الأولَى من أجْلِ الدِّين، كَمَا أَنَّهُمْ لَمْ يعملوا عَلَى ضَمِّ أحدٍ إلَى دينِهم، ومِنْ ثَمَّ تَمَتَّعَ الْمَسيحِيّون السّاميون، فِي ظِلّ الإِسْلَام بَعْدَ الْفُتُوحات الأولى، بحُرِّيَّة لَمْ يَتَمَتَّعُوا بِهَا مِنْ قَبْلُ طيلة أجيال عديدة..."[2].

وَفِيمَا يَتَعَلّقُ بالسّوادِ الأعظمِ من الْمَسيحِيّينَ الْعَرَبِ؛ فالظّاهرُ أَنَّهُمْ قَدْ انتَهَوْا إلَى الإمتزَاجِ بالمجتمعِ الإِسْلَامِيّ، الَّذِي كَانَ يُحِيطُ بِهِمْ عَنْ طريقِ مَا يعرف بـ" الاندماجِ السّلمِيّ"، الَّذِي تَمّ بطريقةٍ لَمْ يَحِسّ بِهَا أحدٌ مِنْهُمْ، ولو أَنّ الْمُسْلِمِينَ حاولوا إدخالهم فِي الإِسْلَام بالقُوّة، عِنْدَما انضوَوْا بادِئ الأمرِ تَحْتَ لواءِ الحكمِ الإِسْلَامِيّ، لَمَا كَانَ من الممكن أنْ يعيشَ الْمَسيحِيّون بَيْنَ ظهرانيهم حَتَّى عصر الخلفاء العباسيين[3]. وإن مجرد بقاء الكَنِيسَة الْمَسيحِيَّة القومية فِي إفريقية الشّمالية- مثل هَذَا الوقت الطّويل- ليدحضَ أيَّ زَعْمٍ بأَنَّ تحولَهم إلَى الإِسْلَام قَدْ قام عَلَى القُوّة والإكراه"[4].

وَبِحَسَبِ خريسوستموس[5]: إن الدَّولَة العَرَبِيَّة كَانَتْ تحمل طابعا إلهيا دِينِيّا، وأن الْعَرَب بمقتضى كتابهم المقدس القُرآن حفظت حقوق أهل الذِّمَّة، أَوْ أهل الكتاب، وخَاصَّة الْمَسيحِيّينَ، وَكَانَ لَهُمْ أن يَتَمَتّعوا بحقوق الحياة، وتركت لَهُمْ حريتهم الدّينِيَّة، وحقوق إِدَارَة جماعاتهم، مَعَ السّلطة الرُّوحِيَّة فِي المحاكم الخَاصَّة،

---

1 - «ليون » 1869 ـ 1926م)، الأمير والمستشرق الإيطالي، وَهُوَ صاحب الدراسات الشّهيرة والكبيرة فِي تاريخ الشّرق والإسلام.. وصاحب التحقيقات لعدد من أمهات كتب التاريخ الإسلاميّ. عبد الرّحمن بدوي: موسوعة المستشرقين (كاتياني).

2 - عمارة، مُحَمَّد: "الانتشار السّلمي للإسلام"، مجلة *المُجْتَمَع* العدد (1825) 2010/11/1م.

3 - عمارة،: م. ن.

4 - أرنولد: **الدعوة إلَى الإسلام**، ص63- 70، 75 ـ 82، 102، 88، 461، 463، 72، 467، 103، 105، 68، 153.

5 - بابادوبولس: **تاريخ كنيسة انطاكية**، ص536.

تَحْتَ ولاية رؤسائهم الرّوحيين، وَقَدْ اعتبر الإِسْلَام غير الْمُسْلِمِينَ طوائف دِينِيَّة، مثل المونوفيزت فِي سُورِيَةَ وما بَيْنَ النّهرين ومصْر، والنَّسَاطِرَة فِي كردستان وما بَيْنَ النّهرين، وهاتان الطّائفاتان اندمجتا فِي جسم الدّولة الْعَرَبِيّة.

كثرتْ النصوص في كتابات الغربيين في لحاظ التعايش السلمي إبان أولى العصور الإسلاميَّة، بأنّها حملت راية النَمْذَجَةِ والقدوة لما بعدها، ومنها: قول جب [1]: "لكي نفهم التطور التاريخي لاتجاه الإسلام، بالنسبة لغير المسلمين، ينبغي أن نلاحظ أنّ هذا الاتجاه كان قد استقر منذ القرون الأولى، محكوماً بالظروف السياسية والاجتماعية أكثر من الدينية، إنّه ... كان التسامح هو الاتجاه السائد للإسلام بالنسبة لغير المسلمين لا سيما اليهود والنصارى، هذا التسامح الذي من المستحيل أن نتصور شبيهاً به في الممالك المسيحية، وفي ذلك العصر المبكر لا توجد أي صورة من التعصب الديني تجاه غير المسلمين".

ويقول غوستاف لوبون[2]: "الحقُّ أنَّ الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً مثل دينهم، وما جهله المؤرخون، من حلم العرب الفاتحين وتسامحهم، كان من الأسباب في سهولة اعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم، التي رسخت وقاومت جميع الغارات، وبقيت قائمة حتى بعد أنْ تولى سلطان العرب عن مسرح العالم".

وقال: "كانت أخلاق العرب في أدوار الإسلام الأولى أرقى كثيراً من أخلاق أمم الأرض قاطبة.. وكان عدلهم واعتدالهم وتسامحهم نحو الأمم

---

1 - (الموسوعة المختصرة للإسلام) Gibb and Kromer, Short Encyclopedia of Islam,p206

2 - **حضارة العرب** ص 605.

المغلوبة ووفاؤهم بعهودهم ونبل طبائعهم مما يستوقف النظر، وناقض سلوك الأمم الأُخْرَى"[1].

- دواعي التّعَايُش المُشْتَرَك الإِسْلَاميّ الْمَسِيحِيّ:

نتج عَنْ مخاض ال(ق1هـ/7م) بِمَا حمله من منافسة واحتكاك شديدين، بَيْنَ دول المنطقة وثَقَافَاتها الدّينِيَّة، من إِسْلَاميّة ومَسِيحِيّة ويَهُودِيَّة ومَجُوسِيّة، ولغاتها الْعَرَبِيّة والسّرْيانِيّة والعبرية والفارسيَّة واليُونانِيّة، نتج عَنْ هَذَا التّمازج والاندماج جيلٌ، يحمل شعار النّموذج الأعلى للمعرفة، والمناقشة المتعَدّدة الثَّقَافَات والدِّيَانَات واللغات. ومِنْ هُنَا تَتَجَلَّى أَهَمّيّة وخصوبة التّجربة المتشعبة، فِيمَا استخلصه من تجارب فِي الدّروس والعبر، النّاتجة عَنْ المُمَارَسَات التّاريخيّة، الَّتِي يجسد قراءتها وفهمها وضعُ نقاط الائتلاف والاختلاف بَيْنَ الثَّقَافَات، ولاسِيَّمَا الدّينِيَّة مِنْهَا، من أجل تأسيس أركان التّعَايُش والتّفاهم، وإرساء مباني الحضارة فِي مفاصلها الفِكرِيَّة والتَشْرِيعِيّة والعمرانية والاقتصاديّة.

لَعَلَّ من أهم دواعي التّعَايُش المُشْتَرَك بَيْنَ الإِسْلَام والْمَسِيحِيَّة:

- التّقارب الزماني والمكاني للبيئتين الْمَسِيحِيَّة والإِسْلَاميّة، ينتج عَنْهُ تشابه الحاجات الدّينِيَّة وتواردها لَدَى شعوب المنطقة، ويقوي هَذَا الرّأي وحدة مصادر الدّيانتين السّماويتين الكِتَابِيَّتين، ألا وَهُوَ الوحي، الَّذِي يضطلع بإرساء القيم العِبَادِيَّة والأخلاقية، وتوصيلها عَلَى لسان الأَنْبِياء إِلَى أممهم. وَهَذَا المعنى الَّذِي أشار إِلَيْهِ القُرآن {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ}(آل عمران64). لَعَلَّ هَذَا الرّأي ما تضمنته مُقَارَبَة المستشرق الألماني "بوسيه **Bush**"[2].

---

1 - م.ن، ص 430.

2 - هيربرت بوسه Herbert Walker : **أسس الحوار في القرآن الكريم**، ص29.

- حُرِّيَّة المُعْتَقَد، كَانَتْ من مرتكزات التّعامل الإِسْلَاميّ مَعَ الآخر الدّينِيّ، يتماشى مَعَ قاعدة {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدّينِ قَدْ تَّبيَّنَ الرّشْدُ مِنَ الْغَيِّ }(البقرة256)؛ لأن النّاس مجبولون عَلَى حق الْحُرِّيّة، ولا يحق اكراههم عَلَى اعتقاد {وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ }(يونس99).

- مُمَارَسَة الشّعائر، ومن طقوسهم الاحتفال بالاعياد الْمَسِيحِيَّة وحملهم الصّلبان والأناجيل، فِي أجواء من الْحُرِّيَّة والتّسامح، بَلْ ومشاركة الْمُسْلِمِينَ فِيهَا أحيانا، وَكَذَلِكَ مشاركة الْمَسِيحِيّن الْمُسْلِمِينَ فِي أعيادهم، ومواساتهم فِي أتراحهم.

- صون اماكن العبادة، منهج إِسْلَاميّ لا يفرق بَيْنَ الكَنِيسَة والمسجد، مستنبط من الآية {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً} (الحج40)، وكثيرا مَا كَانَتْ تتجاور أمكنة العبادة: الجامع والكَنِيسَة أَوْ الدّير، كَمَا فِي جامع دِمَشْقَ وكَنِيسَة مار يوحنا[1]، والدّير"عُمْر مريونان" بالأنبار و *الجامع ملاصقه*[2]، ودير الأعلى بالموصل إِلَى جانبه مشهد الصّحابي عمرو بن الحمق الخزاعي، ومسجد يتصل بالقبر[3]. وكلا المؤمنين يؤدي شعائره وطقوسه بحُرِّيَّة ودون اضهاد حقوق الآخر.

- وجود المُشْتَرَكات العقدية بَيْنَ الدّيانتين[4]، نحو: الإيمان بالله واحد خالق السّماوات، حي قيوم، محب للبشر، غفور رحيم، حميد مجيد، يحيي الأموات، الإيمان بالأنْبياء المرسلين، ويوم القيامة[1] ويوم الحساب.

---

1 -حَتَّى عهد الوليد بن عبد الملك الَّذِي هدمها، فبنى بِهَا مسجدا وبعث إِلَى اليهود فهدموها. **تاريخ دمشق** 134/65.

2 - الشّابشتي: م. س، ص63؛ العمري: م. س، ص91.

3 الشّابشتي: م. ن، 42.

4 - انظر: غَسَّان سليم سالم: **محاور الإلتقاء ومحاور الإفتراق بين المسيحية والإسلام**، ص76- 190 .

- نماذج من العيش المُشْتَرَك:

استطاع الْمَسِيحِيّون ان يتكيفوا بجدارة فِي مجتمع مَا بَعْدَ الْفُتُوح الإِسْلَاميّة، وما تبعه من زيادة التَّنَوُّع الإثني والاِجْتِمَاعِيّ، الدّاخل فِي الإِسْلَام، أَوْ القادم إلَى الأَمْصَار الكبيرة، حَيْثُ العمل والمعرفة والحياة الكريمة تتواصل، فَكَانَ الْمَسِيحِيّون يشاركون النّاس فِي أفراحهم وأتراحهم، وَبِخَاصَّةٍ مَا يهمُّ الأمَّة من مُشْتَرَكات ومصالح تاريخيّة وأخلاقيَّة.

كَانَ النّبيّ مُحَمَّد يعود مرضى غير الْمُسْلِمِينَ، ويزور جيرانه مِنْهُمْ، ويحسن إلَى محتاجهم، وَكَانَتْ بيوت الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ وغيرهم من أهل الكتاب مجاورة، ويتصدر التّعامل بَيْنَهُمْ بقيم الجوار، الَّتِي تعبّر عَنْ رُقِي العَلاقَات الاِجْتِمَاعِيَّة، فطالما كَانَ النّبيّ مُحَمَّد يوصي بالجار حَتَّى ظُنَّ أَنَّهُ سيورثه[2].

يذكر ياقوت[3] عَنْ أهل نَجْرَان القريبة من الكوفة، إن نَصَارَى نَجْرَان لَمَّا أخرجوا، سكنوا هَذَا الموضع وسُمِّيَ باسم بلدهم، وَأَنَّهُمْ شاركوا النّاس فِي مصاب الإمام عليّ، والحزن عَلَيْهِ، وحمل نعشه، وَقَدْ قَالَ عبيد الله بن موسى بن جار بن الهذيل الحارثي يرثي علي بن أبي طالب، ويذكر أَنَّهُ حمل نعشه فِي هَذَا الموضع فقال:

بكيت عليًّا جهد عيني فَلَمْ أجد عَلَى الجهد بَعْدَ الجهد مَا أستزيدها

---

1 -لزيادة المعرفة عن الإعتقاد باليوم الآخر، انظر: يسر محمد سعيد مبيض: **اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة** (دار الثقافة، الدوحة، لا.ت).

2 - البخاري: **الأدب المفرد**، ص58؛ أحمد: **المسند**، 634/36.

3 - **معجم البلدان** 269/5؛ الأمين: **أعيان الشّيعة** 84/8.

فما أمسكت مكنون دمعي وما شفت حزينا ولا تسلى فيرجَى رقودها

وَقَدْ حمل النّعشَ ابنُ قيس ورهطُه بنَجْرَان والأعيان تبكي شهودها

عَلَى خير من يبكى ويفجع فقده ويضربن بالأيدي عَلَيْهِ خدودها

ثُمَّة تواصلٌ أدَّى الى تمازج نفسيّ وتوافق روحيّ، يكاد يقرِّب بين المناحي العقديّة، كالإيمان بالدعاء، فإنَّ صحابيًّا للرسول محمَّد، وقائدًا لجيش المسلمين، لا يمنعه إختلافُ الديانتين، من أنْ يعتقدَ أنَّ البطريكَ بنيامين مجابُ الدعوةِ الى الله إذا دعا، لعلوِّ إيمانه وسموِّ قداستِه، فيلتمسَ منه الدعاء له ولجيشه بالنصر المؤزر؛ إنَّها لقيمةٌ تمازجيَّة متسامية، نلحظها في خبر البِطْرِيَك، الذي كان هاربًا من الحكم البيزنطي، فأمرَ عمرو بن العاص بعودته، وكتب لَهُ كتابَ أمانٍ، فحضر البِطْرِيقُ، وأكرمه عمرو، وأقسم لَهُ بالأَمَان عَلَى نفسه وعلى رعيته. وقيل: أَنَّهُ طلب مِنْهُ أنْ يُصَلِّيَ لأجلِه، حَتَّى إِذَا رجع مُنْتَصِرا من حروبه الأُخْرَى، يجيبه إِلَى كُلِّ مَا يطلبه، فدعا لَهُ البِطْرِيَك، وتمّ لعمرو مَا أراد، فعزل بِطْرِيَك هرقل، وأرجع بنيامين إِلَى مركزه مكرما[1]. وينقل عَنْ بنيامين لَمَّا عاد إِلَى الإسكندريَّة قَالَ لأتباعه: "عدت إِلَى بلدي الإسكندريَّة، فوجدت بِهَا أمنًا من الخوف، واطمئنانًا بَعْدَ البلاء، وَقَدْ صرف الله عنا اضطهاد الكفرة وبأسهم"[2].

أخذ المسيحيون يتفاعلون في المجتمع الإسلامي الى حد الاندماج، ليحافظوا على فاعليتهم في بيئتهم ووجودهم، ففي الشام كانت تغلب وغسان وكلب أقرب الى ربقة الدولة الأموية، تساندها في المشورة والجيش، ففي

1 - القمص، الشّماس منسي: **تاريخ الكنيسة القبطية**، ص379؛ حسام عيتاني: **الفتوحات العربية في رواية المغلوبين**، ص117؛ قارن: سايروس ابن المقفع: تاريخ البطاركة، ص 569-586.

2 - المقريزي: **الخطط** 4 /407، 408؛ مُحَمَّد سهيل طقوش: **تاريخ الخلفاء الرّاشدين الفتوحات والإنجازات السّياسيّة** ص316.

المواقف السياسية أسهمت في الدفاع عن كيان الدولة ضد الثورات التي قامت عليها، وفي المواقف الإجتماعية كان لها دور في الدفاع عن حياض الخلافة. في معمعة الخلافات التي تأججت بين القبائل في العصر الأموي، نجد أنّ الأخطل التغلبي، الشاعر النصراني، دخل في ربقة الأسرة الحاكمة، وناصرها على بني النجار ، فهجا الأنصار، فقال :

خلَّوا المكارم لستم من أهلها وخذوا مساحيكم بني النجّار

ذهبت قريش بالسَّماحة والعُلا واللؤم تحتَ عمائِم الأنصار

بلغ الشعر النعمان بن بشير الانصاري، فدخل على معاوية، فحسر عن رأسه عمامته، وقال: يا أمير المؤمنين، أترى لؤما. قال: بل أرى كرما وخيرا، وما ذاك. قال: زعم الأخطل [الغلام النصراني]: أن اللؤم تحت عمائمنا، قال: وفعل، قال: نعم[1].

أما في العراق والامصار التي نشطت فيها المعارضة لسياسة الأمويين، وكانت ظاهرة في انتمائها المخالف، نجد أنّ المسيحيين يتفاعلون معها، ويتصدر بعض منهم للدفاع عن مواقف، غيرهم أولى بها، وأدنى منها، لكنّهم تخلّوا عن ربقتها، كثورة الإمام الحسين (61هـ/ 681م)، وقدومه الى الكوفة بأثر رسائل كثيرة من أهلها لمناصرته، نجد أنَّ مسيحيًّا وأمّه يتبعان أثره ويناصرانه، لينالا شرف الشهادة بين يديه في موقعة كربلاء. تذكر المصادر[2] : أن من أوائل من برز

1 - ابن سلام الجمحي: طبقات الشعراء ص 149 ؛ ابن قتيبة: الشعر والشعراء ، ص 474 ؛ أبو الفرج: الأغاني75/15، 293/16؛ ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق 299/34، 114/48.

2 - الصدوق (ت381هـ): الامالي، ص225 ؛ الفتال النيسابوري (ت508هـ): روضة الواعظين، ص187. عبد الله البحراني: العوالم ، الإمام الحسين، ص 170؛ محمد مهدي شمس الدين: أنصار الحسين ، ص111.

وهب بن وهب، وكان نصرانيا أسلم على يدي الحسين، هو وأمه فاتبعوه إلى كربلاء، فركب فرسا، وتناول بيده عود الفسطاط ، فقاتل وقتل من القوم سبعة أو ثمانية ثم استؤسر ، فاتي به عمر بن سعد فأمر بضرب عنقه، فضربت عنقه ورمي [به] إلى عسكر الحسين، وأخذت أمه سيفه وبرزت ، فقال لها الحسين: يا أم وهب، اجلسي فقد وضع الله الجهاد عن النساء إنك وابنك مع جدي محمد في الجنة.

بمعزل عَنْ الموقف الرّسمي تجاه غير الْمُسْلِمِينَ، وبخاصة المَسِيحِيّينَ منهم، كَانَتْ العَلاقَات بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ في عامة الناس تتّسم بالاحترام والمَوَدَّة والتسامح، نتيجة لعمق العلاقة التاريخية التي ربطت العرب بالنصارى. ذكر الجاحظ[1]: أنَّهم عَظُمُوا في قلوب العوام بسبب انخراطهم في الوظائف المهمَّة، وقال: "تسمُّوا بالحسن والحسين، والعباس وفضل وعليٍّ، واكتنوا بذلك أجمع، ولم يبقَ إلَّا أنْ يتسمُّوا بمحمَّد، ويكتنوا بأبي القاسم. فرغب إليهم المسلمون". وهذا يوحي بسمو الاندماج الاجتماعي والتعايش السلمي.

وإذا استثنينا موقف جرير الَّذِي كَانَ يعيّر الأخطل لكونه ذمّياً. فَلَمْ يكن من إشكال فِي التّعامل بَيْنَ الفئات كافة، وتشير المصادر الإِسْلَامِيّة إلَى تزويج الْمُسْلِمِينَ من مسيحيّات عربيّات عَلَى حكم أهلهنّ، ومنهم الشّاعر الفرزدق الَّذِي تزوّج حدراء بنت زيق بن بسطام الشّيباني عَلَى حكم أبيها، الَّذِي اشترط فِي مهرها مائة ناقة، فدخل عَلَى الحجّاج فعذله، فقال: أتزوجتها عَلَى حكمها وحكم أبيها مائة بعير، وَهِيَ نَصْرَانِيّة، وجئتنا متعرضًا أنْ نسوقها عنك؟. وانبرى جرير إلَى لوم زيق بن بسطام عَلَى تزويج ابنته من لا يليق بِهَا لعلو نسبه[2]:

---

1 - **الرسائل** 3012/3- 316، **المختار في الرد على النصارى** 60-64

2 - ابن سلام: **طبقات فحول الشّعراء** 2/ 392؛ أَبُو الفرج: **الاغاني**9/8،375/90، 301/10.

يا زِيقُ، قَدْ كنتَ من شَيْبَان فِي حَسَبٍ يا زِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أَنْكحتَ يا زِيقُ

وَكَانَ الفرزدق يفضل حدراء عَلَى ابنة عمه الجميلة النّوار، فقال[1]:

لعمرِي لأَعرابيَّةٌ فِي مَظلّةٍ ةتظلُّ برَوقي بيتها الرّيحُ تخْفُق

أحبُّ إلينا من ضِنَاك ضِفَنَّة إِذَا وُضعت عَنْهَا المراويحُ تَغرَقُ

كرِيمِ غزالٍ أَوْ كُدرَّةِ غائصٍ يَكَادُ إِذَا مرت لها الأرض تُشرقُ

يرى بعض الباحثين[2]: أنْ بلغت العلاقة بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ الْعَرَب درجة من المَوَدَّة فِي ظلّ الأُمَوِيّين، تتيح للمسيحيّ الْعَرَبِيّ أَنْ يكون حَكَمًا للمُسْلِمِينَ. فلطالما قام الأخطل الشّاعر النَصْرَانِيّ مقام الحكم لقبيلة بكر بن وائل فِي المسجد، وَكَانَ الأخطل يدخل المسجد فِي دِمَشْقَ، فيقف لَهُ الْمُسْلِمون إجلالاً، وَكَانَ يدخل حمام الكوفة مَعَ الْمُسْلِمِينَ بكلّ حُرِّيَّة.

أثَّرت **الأَدْيِرَة** تأثيرا مهمًّا فِي تعريف التّجار الْعَرَب والأعراب بالنّصْرَانِيَّة. فَقَدْ وجد التّجار- فِي أكثر هَذِهِ الأَدْيِرَة- ملاجئَ يرتاحون فِيهَا، ومحلات يتجهزون مِنْهَا بالماء، كَمَا وجدوا فِيهَا أماكن للهو والشّرب، يأنسون بأزهارها وبخضرة مزارعها، الَّتِي أنشأها الرّهبان، ويطربون بشرب مَا فِيهَا من خمور ونبيذ معتق، امتاز بصنعة الرّهبان. وَقَدْ بقيت شهرة تِلْكَ الأَدْيِرَة بالخمور والنّبيذ قائمة حَتَّى فِي أيام الإِسْلَام. وَكَانَ ضيوف الدّيارات من مُخْتَلف طبقات النّاس، ولاسِيَّمَا الاغنياء وذوي الجاه، وَأَمَّا عديد من وجوه الدّولة والأمراء، وذوي قرابة الخلفاء، فلا يبالون بارتياد الأبنية الرّهبانية، وإطلاق العنان فِيهَا لشهواتهم فِي

1 - أَبُو الفرج: م.ن.301/21.

2 - سلوى بالحاج: **المسيحية العَرَبِيّة وتطوره**، ص203.

المعاشرة والمنادمة والظّرف[1]، ومَلاكُ التّمازُجِ الاجْتِمَاعِيّ، والتّعارفِ الدّينِيّ، والتّقاربِ الرّوحِيّ، يحصَلُ -فَضْلًا عَنْ ذَلِكَ- وعن نشاطاتِ الرُّهْبَانِ المَمْزُوجَةِ بالرّوْحَانِيَّةِ، ومِنْ قِيَامِهِمْ بطقوسِهم الدّينِيَّةِ، عَرَفَ هَؤلَاءِ الضّيوفُ شيئًا عَنْ ديانتِهم، وعَمَّا كَانُوا يُؤَدُونَهُ من شعائرَ. وَقَدْ أُشِيرَ إلَى هَؤلَاءِ الرّهبانِ النّاسكينَ فِي الشّعرِ الجَاهِلِيّ، وذكرَ عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يأخذونَ المصابيحَ بأيدِيهم لهدايةِ القوافلِ فِي ظُلُماتِ اللَّيلِ[2].

وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ الأَدْيِرَةُ، وَهِيَ بيوتُ خِلْوَةٍ، وعبادةٍ، وانقطاعٍ إلَى عبادة الله والتّفكير فِيهِ، ومواطنِ تبشيرٍ، ونشرِ دعوةٍ. وَقَدْ إنتشرتْ حَتَّى فِي المواضعِ القصِيّةِ من البَوادِي. وكانت الاديرة المنتشرة -آنذاك- محجّة لعدد وافر من المسلمين، فكان لحياة الرهبان والنساك تأثير في ولادة التصوف الإسلاميّ ونشأته، ويتضح -من هذا كلّه- أنّ العلاقات كانت وثيقة بين المسلمين والنصارى، فلم يكن المسيحيون منعزلين عن مواطنيهم في أحياء خاصة، بل اشتركوا مع المسلمين في الحياة العامة ، فقامت الحضارة العربية الاسلامية على أكتافهم، كما قامت على أكتاف المسلمين[3].

إنَّ انتشارَ الأَدْيِرَةِ عَلَى أطرافِ المدُنِ وعلَى طرُقِ التّجارةِ، وَكَانَ يؤمُّها النّاسُ كلٌّ لحاجته، ويقضون فِيهَا اوقاتَ استراحةٍ واستجمام، وَبِخَاصَّةِ الشّعراءُ، لَمْ تسكتْ قرائحُهم تجاهَ نَعِمِ الجَمالِ والشّرابِ، فكانُوا يتلمَّسُون روائعَ الكَلِمِ، ويتبارَوْنَ بمحاسنَ الشّعرِ، وظَلّتْ أشعارُهم تصْدَحُ فِي سماءِ الأدَبِ، عَلَى نحوٍ يُجِيزُ القَوْلَ بِأَنَّهُ تعبيرٌ حيٌّ عَنْ العيشِ المُشْتَرَكِ فِي ظِلّ الْحُرِّيّاتِ.

1 - حبيب زيات: **الديارات النّصرانية فِي الإسلام** (ط4، دارالمشرق، بيروت 2010)، ص67.

2 - علي: **المُفَصَّل** 12/ 165.

3 - سركيس أبو زيد: **المسيحية في ايران**، ص120.

كان للشعر دور في التمازج الروحي والعاطفي في مجتمع متنوع المشارب والمعتقدات، فثمَّةَ روايات[1] في شعرٍ قاله يزيد بن معاوية في نصرانية ترهبت في دير خرب عند الماطرون، وهو موضع بالشأم.

حَامَ، حَتَّى إنَّنِي لأرَى أنَّهُ بِالْغَورِ قَدْ وَقَعَا
وَلَهَا بالمَاطِرُونِ إذَا أكَلَ النَّمْلُ الَّذِي جَمَعَا
خُرْفَةٌ، حَتَّى إذَا ارْتَبَعَتْ سَكَنَتْ منْ جِلَّقٍ بِيَعَا
فِي قِبَابٍ حَوْلَ دَسْكَرَةٍ حَوْلَهَا الزَّيْتُونُ قَدْ يَنَعَا

ومن أهَمِّيَّةِ الدّياراتِ وأثرها فِي نفوسِ أبْنَاءِ المدنِ والقرَى القريبةِ مِنْهَا، أنّه ألّفَ غيرُ واحدٍ مِن الكتّابِ الكبارِ فيها، فقال ابن خلكان:" إنَّ هَذِهِ الدّياراتِ قَدْ جَمَعَ فِيهَا تواليفُ كثيرةٌ"[2]. مثل: "الدّيارات" لـ"أبي الفرج الاصفهاني"[3] (ت356هـ/967م)، كتاب "الدّيَرة" لـ"السري الرّفاء" الموصلي الشّاعر (ت362هـ/ 972م)[4]، والدّيارات للشابشتي[5] (ت388هـ/ 988م)، والدّيارات للخالدّيين[6]، والخزل والدّأل بَيْنَ الدّور والدّارات والدّيرة لياقوت الحموي؛

1 - انظر: الجاحظ: **الحيوان** 4/ 264؛ المبرد: **الكامل** 1/ 301؛ البلاذري: **أنساب الأشراف** 2/4؛ ياقوت: **معجم البلدان** (الماطرون)؛ البغدادي: **خزانة الأدب**312/7.

2 - **وفيات الاعيان** 319/3.

3 - حققه جليل العطية، نشر رياض الرّيس للكتب، لندن – قبرص 1991.

4 - حبيب زيات: **ديارات النّصرانية فِي الاسلام**، ص6.

5 -حققه كوركيس عواد، وَهُوَ من منشورات مكتبة المثنى، مطبعة المعارف، بغداد 1966.

6 - الخالديان الشّاعران: أَبُو بكر مُحَمَّد بن هاشم، (ت 380هـ/ 990م)، و أَبُو عثمان سعيد بن هاشم (ت 371 هـ/ 981 م)، من بني عبد القيس، والخالدي نسبة إلَى الخالدية قرب الموصل. ابن النّديم: **الفهرست**، ص250؛ السّمعاني: **الانساب**25/5؛ الذهبي: **سير أعلام النّبلاء**373/12.

ولنستعرضَ أمثلةً مُتَنَوّعَةً عَنْ الدّياراتِ والتّعَايُشِ الآمنِ فِي ظِلّ الدَّولَة العَرَبِيَّة، مِنْهَا:

- دير سرجيس[1]. وَهُوَ بِـ "طيزَنَاباذَ"[2]. بَيْنَ الكوفةِ والقادسيَّةِ عَلَى حافَّةِ الطّريقِ، وَكَانَتْ أرضُه محفوفَةً بالنَّخْلِ، والكُرومِ، والشَّجرِ، والحاناتِ، والمعاصرِ. وَكَانَ بِهَذَا أحَدَ البقاعِ المعمورةِ، ونُزَهِ الدّنيا الَّتِي تَبْتَهِجُ بِهَا القلوبُ المسرورةُ. قَالَ الشّابشتيّ: ويُسَمّيهُ النّاسُ معصرةَ أبِي نُواس. وَلَهُ فِيهِ:

قالوا: تنسَّكَ بَعْدَ الحَجّ! قلتُ لَهُمْ أرجو الإله وأخشى طِيزَناباذَا

أخشى قُوضَيّب كَرْمٍ أن ينازِعَني فضل الخِطَامِ إِذَا أسرعتُ إغذاذا

- ديارات الأساقف[3]: هَذِهِ الدّياراتُ بـ"النّجفِ"، ظاهِرَ الكوفةِ، فِي أوّلِ الحِيرَةِ، وَهِيَ قبابٌ وقصورٌ، بحضرتِها نهرٌ يُعْرَفُ بالغَدِيرِ، عَنْ يمينِه قَصْرُ أبِي الخَصِيبِ، وعَنْ شِمالِهِ السّديرُ، والدّياراتُ بَيْنَ ذَلِكَ. وأنشدَ فِي هَذِهِ الدّياراتِ عليُّ بن مُحَمَّد بن جعفر العلويّ قوله:

كم وَقْفَةٍ لك بالحَوَرْ نقِ لا تُوازَي بالمَواقفْ

بَيْنَ الغَدِيرِ إلَى السّدِ يرِ إلَى دِيارات الأَساقِفْ

فَمَدارج الرّهبان فِي أطمـــــار خائِفَةٍ وخائِفْ

1 -أَبُو الفرج: **الديارات** 146، الشّابشتي: **الديارات** 57، ابن فضل الله العمري: **مسالك الأبصار**، ص90- 91.

2 - طيزناباذ، كَانَتْ تدعى ضيزناباذ، نسبت إلَى ضيزن بن معاوية بن عمرو بن العبيد السّليحي: موضع بَيْنَ الكوفة والقادسية عَلَى حافة الطريق عَلَى جادة الحاج، وَبَيْنَهَا وبين القادسية ميل. ياقوت: م. س.8/ 80.

3 - الشّابشتي: **الديارات** 57، ابن فضل الله العمري: **مسالك الأبصار**، ص90- 91.

دِمَنٌ كَانَ رِياضَها يُكْسَيْنَ أعلامَ المَطَارِفْ

- دير زُرَارة[1]: وَهُوَ بَيْنَ الكوفةِ وحمَّامِ أعْيَنَ، عَلَى يمينِ الحاجِّ من بغدادَ. نَزِهٌ، كثيرُ الحاناتِ والشّرابِ. لا يخلو ممنْ يَطْلبُ اللَهْوَ واللَعِبِ، ويُؤْثِرُ البطالةَ والقصفَ (اللعب واللهو). قَالَ الشّابشتيّ: خرج يحيى بن زياد[2] و مطيع بن إياس[3] حاجّين، فَلَمَّا قربا من زُرارة، قَالَ أحدُهما لصاحبِه: هلْ لك أنْ نُقَدِّمَ أثقالَنّا، ونَمْضِي إلَى زُرارةَ، ونشربُ فِي ديرِها ليلتَنَا، ونتزوّدُ من خمْرِهَا، ونَستَوْفِي من مَرَدِّهَا مَا يَكْفينَا إلَى العَوْدَةِ، ثُمَّ نَلْحَقُ بأثقالنّا؟ ففَعَلَا. وسَارَ النّاسُ، وأقَامَا. وَلَمْ يَزَلْ ذَلكَ دأْبُهُمَا، إلَى أنْ عَادَ الحاجُّ. فَلَقَا رؤوسَهُما، وركِبَا بَعِيرَيْنِ، ودَخَلَا مَعَ الحاجِّ عَلَى أنَّهُما قَدْ حجّا. وَقَالَ مُطيع:

ألم تَرَنِي ويَحْيَى إِذْ حججنا وَكَانَ الحجُّ من خَيرِ التّجاره؟

خرجْنا طالبَيْ خَيرٍ ودينٍ فمال بنا الطّريقُ إلَى زُراره!

فآب النّاس قَدْ غنِموا وحجُّوا وأُبْنَا مُوقَرَيْنِ من الخَساره

- عُمْر مريونان[4]: وَهُوَ بالأنبار، عَلَى الفرات، وَهُوَ عُمْرٌ كبير، كثير القلاّيات والرّهبان، عَلَيْهِ سور محكم البنيان، كالحصن العظيم، والجامع ملاصقه، وَلَهُ ظاهر حسن، ولاسِيَّمَا فِي أيام الرّبيع. لأن صحارِيَهُ وسائر أرضه تكون كالحُلل؛ لكثرة

1 - الشّابشتي: م. ن، 59؛ العمري: م. ن، 91.

2 - بن عبيد الله الحارثي القحطاني، كان شاعرًا أديبًا ماجنًا نسب إلى الزندقة. الخطيب: تاريخ بغداد 16/ 162.

3 - أَبُو سلمى الكناني الكوفي قدم بغداد، وكان شاعرا ماجنا، ورمي بالزندقة. الخطيب: م. ن. 15/ 301.

4 - الشّابشتي: م. ن، 63؛ العمري: م. ن، 91.

نُوّاره، وطرائف أزهاره. ونزله كل من اجتاز بِهِ من الخلفاء. وفيه يَقُولُ كُشاجِمُ:

أغدُ يا صاحِبي إلَى الأنبارِ نَشَربُ الرّاحَ فِي شَبَاب النّهار!

واعمرُ العُمْر باللّذاذةِ والقَصْ فِ وحَثَّ الكؤوسِ و الأوتارِ!

- دير الأبلق[1]، وَهُوَ بالأهواز. وحكى الدّايني: أَنَّهُ اصطبح فِي دير الأبلق فِي جماعة من أصحابه، فَلَمَّا سكر قَالَ:

يَوْمي بدَيْرِ الأبلقِ الفَرْد مَا أَنْتَ إلا جنّـــــة الخُلْدِ

بِهِ و أمثالٍ لَهُ لَمْ يَزَلْ يجوّز العِيسَ أَبُو الهِندي

- عُمْر إتراعيل[2]. والشّاهد فِيهِ مار مِيخَائِيل. قَالَ ابن المستوفي[3]: بَيْنَهُ وَبَيْنَ كفر عزّى[4] أقل من ميل. وَهُوَ عمار كبير وفيه رهبان كثيرة، وَلَهُ نهر يجري عَلَى بابه وكرم وشجر فِي شرقيه، ورحى عامرة تطحن فوق الكرم. وبإزائه تلُّ دير زارج، إِذَا صعده الزائر أيام الرّبيع أشرف عَلَى سائر بلدة حِزّةَ. وفيه من ألوان الزهر وأنواع الأقاحي والشّقائق وصنوف النّور والزهر... يسرّ النّاظرين، ويقصر وصف الواصفين. وَفِي قلاليّ رهبانه جنينات حسان، فِيهَا آس مِصْرَ وشجر مَرْيَم وغير ذَلِكَ.

1 - أَبُو الفرج: **الديارات** 41، ابن فضل الله العمري: م. ن، ص91.

2 - العمري: م. ن، ص91.

3 - أبو البركات ابن المستوفي (ت637هـ/ 1239م)، صنّف تاريخ اربل، وشرح ديوان المتنبي وأبي تمام والبحتري. ابن خلكان: وفيات الاعيان 296/3؛ السيوطي: بغية الوعاة 272/2.

4 - مدينة كفر عزى يسكنها نصارى ومسلمون، ويعرف النصارى الذين بها بالشهارجة، وبين كفر عزى وسوق الأحد رستاق الزاب الكبير ورستاق حزة أيضا، وهما إقليمان بشرقي دجلة من أرض الموصل. الإدريسي: **نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق**، 2/ 660.

وعن مُحَمَّد بن حمد الأصم، قَالَ: كنت بكفر عزّى، فنزحتُ مَعَ جماعة فِيهِمْ خير، نتلمس موضعا نزها نجلس فِيهِ ونقصفُ، فأجمع رأيُنا عَلَى قصد دير إتراعيل، وَهُوَ من كفر عزي عَلَى مِيلٍ، فِي أيام الرّبيع، فرأيناه فِي نهاية الحسن بِمَا حولَهُ وفيه، وَهُوَ مشرفٌ عَلَى بلدِ حزَّةَ كُلِّه، فنزلناه وقصفنا فِيهِ أيامًا متتابعةً، وقلتُ فِيهِ هَذِهِ الأبيات:

عَمَرنا عُمْر إتراعي لَ بالقَصْف وباللّعبِ!

بِفتْيانٍ ذوِي شَرَف و قَدْرٍ و ذَوِي لُبِّ

بَغَوْا فِي كُفر عزى نُزْ هة تبعث للشُّرْبِ!

- دير القصير[1]: يقع فِي أعلى الجبل عَلَى سطح فِي قلته، فِي إشرافه عَلَى مِصْرَ وأعمالها، وَهُوَ دير حسن البناء محكم الصّنعة نزه البقعة، وفيه رهبان مقيمون بِهِ، وَلَهُ بئر منقورة فِي الحجر يُستقى لَهُ مِنْهَا الماء، وَفِي هيكله صورة مَرْيَم- عَلَيْهَا السّلام- فِي لوح، والنّاس يقصدون الموضع للنظر إلَى هَذِهِ الصّورة، وَفِي أعلاه غرفة بناها أَبُو الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون، لها أربع طاقات إلَى أربع جهات، وَكَانَ كثير الغشيان لهذا الدّير معجباً بالصّورة الَّتِي فِيهِ، يشرب عَلَى النّظر إلَيْهَا، وإلى جانبه صومعة لا تخلو من حبيس يكون فِيهَا، وَهُوَ مطلّ عَلَى القرية المعروفة بشهران، وعلى الصّحراء والبحر، وَهِيَ قرية كبيرة عامرة عَلَى شاطئ البحر، ويذكرون أن موسى النّبيّ ولد فِيهَا، وَمِنْهَا ألقته أمّه إلَى البحر فِي التّابوت، وبه - أَيْضًا- دير يُعرف بدير شهران، ودير القصير هَذَا أحد الدّيارات المقصودة، والمنتزهات المطروقة، لحسن موضعه، وَقَدْ قَالَ فِيهِ شعراء مِصْرَ، ووصفوه فذكروا طيبه ونزهته، ولأبي هريرة بن أبي عاصم فِيهِ : [المنسرح]:

1 الشّابشتي: م. س، 69، ابن فضل الله العمري: م. س، ص90- 91؛ المقريزي: **المواعظ والاعتبار**3/ 288.

كم لي بدير القصيرِ من قصفٍ مَعَ كل ذي صبوةٍ وذي ظرفِ

لهـوتِ فِيهِ بشـادِنٍ غُنـجٍ تقصُرُ عَنْـهُ بدائـــعُ الوصفِ

- دير العذارى[1]: هُوَ بَيْنَ أرض الموصل وَبَيْنَ أرض باجرمى[2] من أعمال الرّقة، وَهُوَ دير عظيم قديم، وبه نساء عذارى قَدْ ترهَّبن وأقمن بِهِ للعبادة فسمي بِهِ لذلك، وَكَانَ قَدْ بلغ بعض الملوك أن فِيهِ نساء ذوات جمال، فأمر بحملهن إِلَيْهِ ليختار منهن عَلَى عينه من يريد، وبلغهن ذَلِكَ فقمن ليلتهن يصلين ويستكفين شره، فطرق ذَلِكَ الملك طارق فأتلفه من ليلته فأصبحن صياماً، فلذلك يصوم النَّصَارَى الصّوم المعروف بصوم العذارى إِلَى الآن. ودير العذارى بـ"سر من رأى" إِلَى الآن موجود، يسكنه الرّواهب. وَقَدْ ذكرت هَذَا الدّير الشّعراء فأكثرت. فمنهم أَبُو الحسن بحظة البرمكي، قَالَ:

ألا هل إِلَى دير العذارى ونظرة إِلَى الخير مِنْ قَبْل المماتِ سبيلُ؟

وهل لي بسوق القادسية سكرة تعلل نفسي والنّسيم عليلُ ؟

وهل لي بحانات المطيرة وقفة أراعي خروج الزق وَهُوَ حميلُ

1 الأصبهاني: **الديارات** ص 19

2 - منطقة حول كركوك، تسميتها تعود إِلَى السّريانية بيت گرمي (ܒܝܬ ܓܪܡܝ)، وَهِيَ كلمة تعني "مكان العظام". ويكيبيديا، الموسوعة الحرة (باجرمي).

نخلص الى أن فِي القَرْنين المتاخرين قَبْلَ الإِسْلَام ثَمَّةَ تغيرات عَلَى الواقع الحضاريّ والتّمدد البَشَرِيّ لأصحاب الأَدْيَان، وإن تعَدّدت الاسباب، و تداخلت سِيَاسِيّا أَوْ اقتصاديا أَوْ دِينِيّا، فَإِنَّهُ أوجد تداخلات كسرت الحدود الجُغْرَافِيَّة، بَلْ والمصالح الخَاصَّة لَدَى كل جماعة، وبمجيء الإِسْلَام، وانتشاره عَلَى الخَارِطَة السِّيَاسِيَّة سريعا، وَهُوَ يحمل رسالة القبول بالآخر الدّينِيّ، بات الوصول إِلَى منطقة التّكيُّف بالعيش المُشْتَرَك ضرورة حياتية لازمة، لا يُمْكِنُ تَجَاهلُهَا، وَبِخَاصَّةٍ بَيْنَ الدّيانتين الْمَسِيحِيَّة والإِسْلَاميّة، الأكثر تواجدا عَلَى الخَارِطَة الدّينِيَّة للبلاد الْعَرَبِيّة.

إنَّ واقع الآيات القرآنية لا يقف عِنْدَ كونه مصدرًا مُهِمًّا فِي التّعرف عَلَى تاريخيّة الدّين الْمَسِيحِيّ فحسْب، بَلْ يتيحُ فهْمَ ومعرفة متطلباتِ أتباع الْمَسِيحِيَّة فِي التّفاعل الاِجْتِمَاعِيّ، وَهَذَا مَا يساعد عَلَيْهِ عديد من الرّوايات النّبَوِيّة، ومِنْ هُنَا يمكن التّوصل إِلَى أن سياقات النّص القرآني تفتح عَلَى الآخر مداخل، تجعل مِنْهُ شرطاً مَوْضُوعيًّا لاكتشاف حيثيات التّقارب النّفسي والتّمازج الاِجْتِمَاعِيّ بَيْنَ اتباع الدّيانتين.

ثُمّ إنَّ من المفيد -عِنْدَ الحديث عن نظرة الإِسْلَام إِلَى الْمَسِيحِيَّة و التّعَايُش مَعَ أتباعها- أن نشير إِلَى جملة حقائق، مِنْهَا:

إن الإِسْلَام رسالة إِلَهِيَّة إِلَى النّاس جميعاً، وَهُوَ بِهَذَا المعنى يعترف بإِنْسَانِيَّة الإنسان، وحقّه فِي سلوك دربِ الهداية الإِلهِيَّة، الرُّوحِيَّة مِنْهَا والزمنيَّة، بحيث يؤَمِّنُ الإِسْلَامُ البناءَ الرّوحيَّ الإيمانيَّ للناس، ويضمنُ لَهُمْ توفيرَ المناخاتِ

المُجْتَمَعيَّة الصّالحةِ لهذا التّكامل الإيمانيّ، وتظهرُ أبعادُ هَذِهِ المناخاتِ فِي الشّريعة الإِسْلَاميّة.

مرونة القيم، الَّتِي تنطلق مِنْهَا، لتَحْقِيْقِ الأمن الاِجْتِمَاعِيّ والنّفسي، والألفة بَيْنَ النّاس، عَلَى الرّغْمِ مِنْ تعَدّد انتماءاتهم. وبدون هَذِهِ الخلفية والغاية الإيمانية، لا معنى لأحكام الشّريعة، إِذْ حَتَّى العبادة، إِنَّمَا تكمن قداستها، فِي كونها الطّريق الَّذِي يوصل إِلَى روح الإيمان.

إنّ تاريخ القَرْن الأَوَّل الهِجْرِيّ/ السّابع الميلادِيّ يُثْبِتُ أنّ تَعَايُشَ الأَدْيَانِ والثَّقَافَاتِ يُولِّدُ غِنىً ثَقافِيًّا وحياتيًّا كبيرًا. لَكِنَّهُ قَدْ يعني -عَلَى نحو نادر- وجودَ مشكلات، أغلبها بَيْنَ الحاكم الْمُسْلِم وأهلِ الكتاب، غَيْرَ أَنَّهَا تُعَدُّ صغيرة. وَفِي أصعب الظُّروف والسّياقات يظلُّ البشرُ المحترمون والجديُّون قادرين عَلَى أنْ يُحْيُوا قناعاتِهم بالْحُرِّيَّة والتّعَايُش والمَوَدَّة والمُسالمة. ومِنْ هُنَا تأتي فرادةُ التّجربة الإِسْلَاميّة الأولى ونموذجيتها.

إنَّ ثقافة التَّسَامُح النّاجمة عَنْ التّمَازُج والتّفاعل بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ عرفتها مدنٌ مثل: دِمَشْقَ وحلب والكوفة والمدائن فِي القرن الأَوَّل الهِجْرِيّ/ السّابع الميلادِيّ، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لا يعني غيابَ الإحساسِ بالتّفوُّق، وامتلاكِ الحَقِيْقَة لَدَى كلٍ من الْمَسِيحِيّينَ والْمُسْلِمِينَ.

لقد تمَّ التّعَايُشُ بَيْنَ الدّينيّن عَلَى مستويين: المستوى الشّعبيّ العامّ، ومستوى النّخَب. وعلى المستوى الثّاني يُحْسَبُ ذَلِكَ للمسيحيينَ الَّذِينَ كَانُوا متفوقين لحقبٍ طويلة. وَقَدْ تميَّزوا بالمَيْلِ للتَحَضُّرِ وعِشْقِ العلوم، والغرامِ بالمعارفِ الكلاسيكيَّة. وبالمقارنة مَعَ الْمُسْلِمِينَ آنَذَاكَ مَا كَانَ الْمَسِيحِيّون بأكثريَّة. ومع ذَلِكَ فَإِنَّ عديدين مِنْهُمْ أظهروا قُدرةً عاليةً عَلَى تبوء مكانة رفيعة فِي الطّب والتّمريض، وَفِي نقل العلوم ذات أصول يُونانِيّة أَوْ سُرْيانِيّة إِلَى الْعَرَبِيّة.

ان التّفاعل الثّقافِيّ والدّينِيّ والْحُقُوقِيّ، فِي اشراقة العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة، ظَلَّ يُعَبِّرُ عَنْ وجهٍ حضاريٍّ، تتألّقُ وتتأصّل فِيهِ الأُمثولاتُ والخبراتُ الحاصلةُ عَنْ المُمَارَسَات والمُقَارَبَات. لأنَّ التّأريخَ - بوجهه الواقعيّ والإيجابِيّ- لا تصنعُه الغَلَبَةُ أَوْ الإستِئْثار، بَلْ المشاركةُ الواعيَة الَّتِي تُغَلّب المصلحة العَامّة عَلَى المصالحَ الفئويّة والسّيَاسِيَّة الخَاصَّة[1].

تاليًا، أنَّ تجربةَ المائةِ الأولَى في العلاقاتِ الإسلاميَّة المسيحيَّة، لَمْ تكنْ مخاضَ تجربةٍ سابقةٍ، أو استنساخًا، او محاكاةً لغيرِها، بلْ كان لها السَبْقُ والرِيَادَةُ في تَدْشِينِ مَرْحَلَةٍ جديدةٍ، أو عمليَّةٍ جديدةٍ للتوليدِ التاريخيّ للمجتمعِ، وتشكيلِ خارطَةٍ ديموغرافيَّةٍ جديدةٍ، على صعيدِ تداخلِ الفضاءاتِ بينَ المختلفاتِ الدينيَّة والإثنيَّة في بودقةِ الدَّولَةَ العَرَبِيَّة، نتجَ عنها قِيَمٌ جديدةٌ تَمَوْضَعَتْ وارتكزتْ في تأسيسِ بُنْيَةِ التعايشِ والإندماجِ الإجتماعِي.

[1] - سليم دكاش اليسوعي، الأب: "الخبرة، مصطلح فِيهِ فعل الرّجاء والمسؤولية، ممارسة الوحدة فِي التنوع،" *دراسات ووثائق إسلامية مسيحية*، رقم 15، منشورات كلية العلوم الدينية، جامعة القديس يوسف، بيروت، 2014، ص20.

خاتمة

بَيْنَمَا أنَا أخُوضُ فِي الغِمَارِ الشَّاقَّةِ لبَحْثِ العَلاقَاتِ الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة فِي طَوْرِهَا الأوَّل، و كانتْ رحلةً جاهدةً للارتقاءِ بدرجاتِ العقلِ ومعراجِ الأفكارِ، تَنَامَى تَفَاعُلِي مَعَ مُعْطَيَاتِ المَوْضُوعِ ومُقَارَبَاتِه، وَتَسَامَى أثَرُهُ فِي نَفْسِي. تَغَيَّرَتْ أفْكَارِي تجَاهَ الأدْيَانِ، وأيْقَنْتُ أنَّهَا منظومات أكسيولوجيّة (قيميّة) مُتَقَارِبَةٌ فِي المَعَانِيَ والأهْدَافِ الإنْسَانيَّة. إنَّهَا نَشَأَتْ فِي أزْمِنَةٍ وأمْكِنَةٍ مُخْتَلِفَة، إلَّا أنَّ الحَرَاكَ الإنْسَانِيَّ، ونَشْأَةَ الدُّوَلِ، والتَّنَازُعَ بَيْنَهَا، أمْكَنَ مِنْ تَوَافُرِ أنْظِمَةٍ تَشْرِيعِيّةٍ مُتَعَدِّدَةٍ فِي المُجْتَمَعِ الوَاحِدِ، شجّعتْ على التّعَايُشِ بين فئات المجتمع في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، على الرغم من أنّ الصراع بدأ عنيفا بين العرب المسلمين وبيزنطا راعية المسيحيَّة، وكان يغلب عليه اثباتُ الوجود السياسيّ، وتغييرُ خارطة النفوذ. تَمَخَّضَ عن هذه الجولة المُحْتَدِمَةِ تحولاتٌ سيسيواوجيّة تاريخيَّة كبيرةٌ، غيّرت أطلس الديموغرافيّة، منها: أنَّ مسيحيي الشام ومصر أضحوا تحت سيطرة العرب، والتعاظم الإسلاميّ؛ غير أنَّ المَسِيحِيّينَ كانوا جادّين على أنْ يحافظوا على الرموز والتقاليد التي تشكل أنساق الثقافة، وعلى أبعاد نظامهم الدينيّ والاجتماعيّ والقضائيّ في بيئة الدَّوْلَة العَرَبِيَّة الإسلاميّة، على نحو أفضل مما كانوا عليه في ظلِّ حكم الدولتين الفارسيَّة والبيزنطيَّة.

إنَّ تجربةَ العَلاقَاتِ الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة فِي المائةِ الأولَى تُعَدُّ دَلِيلًا عَلَى التواصل في سيسيولوجيا الحَضَارَاتِ، لذا لا مَنَاصَ من مزيد من التّأمل الأنثربولوجي فِي تجربة الإسلام في المراحل التأسيسيّة، الَّتِي كَانَتْ حافلة بقيم التّعَايُش، وراسخة فِي وعي التّاريخ. وبعدَ أنْ كانتْ هذهِ التجربةُ لها

قصب السبق والريادة في العلاقاتِ الإسلاميَّة المسيحيَّة، مثارَ عنايةِ البحثِ، فقد تَمَخَّضتْ عن نتائجُ عِدَّة، منها:

1. إنَّ لتواليَ الدِّيَانَاتِ الكِتَابِيَّةِ زمنيًّا، أَهَمِّيَّةً كبيرةً في فَهْمِ الترميزات التأهيليّة للأنساق الثقافيّة والتاريخيّة بَيْنَ تِلْكَ الدِّيَانَاتِ. وإنَّ العَلاقَاتِ الإِسْلَاميّةَ الْمَسِيحِيَّةَ في المائةِ الأولى قَدْ مُنِيَتْ بمقدماتٍ تاريخيّةٍ ودِينِيَّةٍ، وفَّرَتْ المُنَاخَ النّفسيَّ لتأسيسِ لَبِنَاتِها، نحو انتشار الفرق المسيحيَّة في العِرَاق والشام ومصر والحجاز، وضمور التناحر الطائفي فيما بينها. ولَمْ تَكُنْ نشأة الإِسْلَام فِي البلادِ الْعَرَبِيّة إعتباطًا، بَلْ جاءَ لسَدِّ الفراغِ الدّينِيّ لواحديّة الألوهة، الَّذِي سَبَّبَهُ توسعُ الشّتاتِ فِي الأفكارِ والمذاهبِ الدّينِيَّةِ، إذ بلغت الطوائف المسيحيَّة في القرن الخامس الميلادي عددًا يربو على خمسين طائفة، فضلا عن انتشارِ الوَثَنِيّةِ فِي البلادِ الْعَرَبِيَّةِ.
2. تُبَيِّنُ الإطلالةُ عَلَى نافذةِ العَلاقَاتِ الإِسْلَاميَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ فِي طورِها الأوّلِ، أنَّ المنطقةَ الْعَرَبِيّة ابتُليت بمُعْطَيَاتٍ تاريخيّةٍ، فَجَّرَتْ روحَ التّحَدّي، وأصَّلَتْ عناصرَ البقاءِ فِي فضاءاتٍ دِينِيَّةٍ تتناغمُ مَعَ حاجاتِ المُجْتَمَعِ. فالمذاهبُ الْمَسِيحِيَّةُ فِي الشّرقِ أُبْعِدَتْ عَنْ رِبْقَةِ الدّينِ، الَّذِي اتَّخَذَتْهُ الدّولةُ، وعُدَّتْ هَرْطَقَةً وبِدْعَةً، كَانَتْ تُعَانِي من نظامَي حكمِ الدّولتينِ الكبريينِ بِيزَنْطَةَ وفَارِسَ، ولَمّا وفّرَ لدَيْها قَبُولًا للفتوحِ الإِسْلَاميّة والدّولة الْعَرَبِيّة.
3. إنَّ الحَقِيْقَةُ التي ينبغي الوقوفِ عَلَيْهَا، هِيَ إنَّ الإِسْلَام التّاريخيّ لَيْسَ هُوَ نَفْسُهُ الإِسْلَام النّبَوِيّ أَوْ القرآنِيَّ؛ فالإِسْلَام التّاريخِيّ أتّخَذَ نَمَطِيَّةَ الرِّسَالَةِ المُنْغَلِقَةِ عَلَى مصالحِ الذّاتِ، بَلْ - أحيانًا- مارس دَوْرًا مُغَايِرًا للإِسْلَام النّبَوِيّ، وَهَذَا شأنُ كثيرٍ مِمّا دَرَجَ عليه الإِسْلَام التّاريخيّ من معالجاتٍ وحوادثَ أخذتْ مَنْحًى مِن القَبُولِ لَدُنِ الإخْبَارِيّين؛ لاستنادها إلَى

حجيّة الصّحابيّ، أَوْ إلَى أولِي الأمرِ السِيَاسِيّ، وإنْ اختلفت عَنْ مصداقيَّة الشّريعةِ فِي القُرآن والسّنَّةِ النّبَوِيّة. من الممكن أنّ المتغيراتِ التاريخيَّةَ سمحتْ للدولة العربيَّةِ الإسلاميَّة، بعد أنْ انقضتْ المرحلةُ النبويَّة القصيرة، أنْ تتغلغلَ الأمثلةُ الإمبراطوريَّة، البيزنطيَّة والفارسيَّة، في حنايا النُظُمِ الإسلامِيَّة، فأضحتْ دولةً يميلُ فيها الولاءُ الدينِيُّ الى الإنصهارِ مع الإنتماءِ السياسِيّ، واتضحتْ هذه الصورةُ مع الدولةِ الأمويَّة في ظل متغيرات جيوسياسية وسيسيو-انثربولوجية في أطلس النفوذ.

4. لئنْ كان التسامُحَ من أهمِّ صفاتِ الإسلام، وإنّ القرآنَ اضْطَلَعَ بذِكْرِ الآخرِ الدينِيّ وحضارتِه بما يَرْبُو على نصفِه، ونشَرَ مفهومَ التسامحِ في بضعٍ وثلاثينَ سورةً، ومئةٍ ونيِّف آية. فإنَّ اشكاليَّةَ الإختلافِ في التفسيرِ أو التأويلِ، والقراءةَ المحرَّفةَ للنصوصِ، أضعَفتْ من قِيمتِه التوصيليَّة، وأسهمتْ في التَّخَلِّي عن النظرةِ المتسامحةِ التي تختزنها ذاكرةُ الثقافةِ الإسلاميَّة. وظَلّتْ فَلْسَفَة التّشريع الإِسْلَامِيّ مرتكزةً عَلَى العنايةِ بالجانبِ الشّخصِيّ، والشَّخْصِيَّةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الإِسْلَامِيّة، إذْ لا يُطَبَّقُ الإِسْلَامُ عَلَى غيرِ الْمُسْلِمِينَ، بَلْ شرَّع قوانينَ لضمانِ حقوقِ أصحابِ الدِّيَانَاتِ الأُخْرَى فِي الْمُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيّ، تحتَ باب "أحكام أهل الذمة"، من أجلِ حمايةِ التَّنَوُّعِ الدّينِيّ والثّقافِيّ فِي الْمُجْتَمَعِ الواحدِ. ويكادُ مثلُ هَذِهِ التّجربةِ يفتقرُ لها الغربُ، الَّذِي بقِيَ- حَتَّى حِينٍ- محكومًا بأُحَادِيَّةِ النّظامِ التَشْرِيعِيّ والسِيَاسِيّ، وحسْبُنَا -مَثَلًا- التجاربُ الأوربيَّة في محاكمِ التفتيش، في فرنسا و ألمانيا إبّان القرن (7هـ/ 13م)، وفي أسبانيا في القرن (9هـ/ 15م)، وإلزام اليهود والمسلمين على التدين بالمسيحيَّة، أو طردهم، أو الموت. بينما فِي تاريخ الإِسْلَام أنَّ حقوقَ غيرِ الْمُسْلِمِينَ ولاسِيَّمَا الْمَسِيحِيِّينَ، حفظَتْها الشّريعةُ المُتَمَثِّلةُ بالكتابِ والسُّنَّةِ النّبَوِيّةِ الصّحيحة، كَانَتْ مُدَوَّنَةً ومعلومةً في كتب الفقه، بعنوان: " أحكام أهل الذمة". غَيْرَ

أنَّ بعضَ الخلفاءِ والحُكّام كَانُوا يجتهدونَ عَلَى صاحبِ الشّريعةِ ويعملونَ برأيِهم، مِمّا سَجّلوا خرقًا فِي صميمِ العلاقةِ الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة.

5. إنَّ المعاهدات التي أُبرِمَتْ بين الرسول محمَّد وبين المَسِيحِيّينَ، كانت صكوكًا حقوقيَّة ترعَى تنظيمَ العلاقاتِ في المجتمع في صدْرِ الإسلامِ على أُسُسٍ حقوقيَّة استندتْ عليها مصادر الشريعة الإسلاميَّة في التعاملِ مع الآخرِ الدينيّ، بلْ أضحتْ أساسَ العلاقاتِ الإسلاميَّة المسيحيَّة، والعلاقاتِ الإسلاميَّة الإسلاميَّة.

6. إنَّ سياسةَ الفتوحِ واتساعِ رُقْعَةِ الدَّوْلَة العَرَبِيَّة بوتيرة سريعةٍ، أَرْبَكَ الحياةَ الدِّينِيَّة لدَى شُعوبِ البلدانِ المفتوحةِ، وأخضعَ الحياةَ الاجتماعيَّةَ الى عملياتِ التغييرِ الديموغرافيّ، وكانَ مِن مُخْرَجَاتِها التَطْهِيرُ الدينيُّ لجزيرةِ العربِ، وقدْ نُسِبَ جُزَافًا الى قولِ الرسولِ محمَّد. وهذا التطهيرُ ولّدَ مشاعرَ الضياعِ، وفقدانَ الهُوِيَّةِ التاريخيَّةِ لَدَى مسيحيّي الجزيرة، وتَشَتُّتُهُم في البلدانِ، واندماجَهم سيسيولوجيًا في بيئاتٍ جديدة، مما شكَّلَ خطرًا على وجودِهم الدينيّ. ونتجَ عنْ حصرِ السلطةِ بالعربِ، وانتشارِ الإسلامِ بِقُوَّةِ الترغيبِ والترهيبِ، أنْ أصابَ الأغلبيَّةَ المسيحيَّةَ الضمورُ، وتحولتْ الى أقلياتٍ دينيَّةَ تعانِي من ظاهرةِ الخوفِ، أو مجموعاتٍ تدجَّنتْ على غريزةِ الحمايةِ (الذمّة) في ظلِّ أنظمةٍ مُسْتَبِدَّةٍ أحيانًا. فكان عليهم بإزاء الضَّغوطاتِ الدِّينِيَّة والسِّيَاسِيَّة والإِدَارَية والاِجْتِمَاعِيَّة، أن يختاروا بين أن يعتنقوا الإسلامِ، أو يقبضوا على دينِهم، ويرحلوا الى أمْكِنَةٍ أخرَى، تكونَ مُسْتَقَرًّا ومَأْمَنًا لهم.

يجدر بالعلم، أنَّ فكرةَ الخلافة، التي انبثقت عن العقل القبليّ، ظلَّت تسري في عروق الوعي التاريخيّ للعامة من المسلمين، إذْ كانوا يرَوْنَ فيها صمَّامَ الأمان، لوجودهم على الصعيدين السياسيّ والدينيّ؛ لِمَا أُتِيحَ لها من شهرة وهيمنةٍ، إبَّان الفتوح، حتى بلغت الخافقين، واستحوذت على مساحةً من

القيميَّة والمعياريَّة من الحُسْنِ العقليّ التاريخيّ، لدُنِ السلف الصالح، عبرَ الأزمنة، حتى كادت تراود مخيلة أية فرقة تنبغ على السطح السياسيّ، وتسعى الى التوسّع وبسط السلطة.

7. من البدهيّ إنَّ كل دين أو معتقد يرى معتنقوه أنَّه يحوز كماله الخاص، وقد تمثَّل كمال الدين الإسلامي في نظر أتباعه بالجهاد، بالمعنى الأكثر عمقًا للمصطلح، الذي يتضمن قيادة النفس، والآخرين جميعِهم الى إكتمالٍ دينيّ وأخلاقيّ، ليس سوى إتمامٍ لجميع الرسالات السابقة، التي لا ينكرها الدين الإسلامي البتَّة، بلْ يرى أنَّه يتخطَّاها، أو يأخذ بالأحرى بيدِها، لإيصالها الى قمَّة نضجِها، أي إليه. إنَّ اعتناقَ الإسلام -بالنسبة للمسلم- هو تقارب، ينبغي أنْ يوصِلَ جميع "أهل الكتاب" في نهاية المطاف، الى الإتّحاد معه في الحقيقة التي سوف يتشاركونها جميعًا، بفضل ما تبذله الأمَّة الإسلاميَّة من جهدٍ لا ينقطع لهدايتهم إليها. بيدَ أنَّ الجهادَ لا يهدفُ الى فرضِ العقيدةِ على الناسِ.

إنَّ الجهادَ الحربيَّ، كنظامٍ إسلاميّ، وُلِدَ في حاضنةِ الدفاعِ عن بيضةِ الإسلامِ وحياضِه، شكّلَ ضرورةً ماسّةً في حَلّ عُقْدَةِ الصراعِ الحضاريّ ذِي الصبغةِ الدِّينيَّة، وما صاحبَها من حوادثَ، فَصَلَتْ بينَ دارِ الحربِ ودارِ السلامِ. وما بعدَ هذهِ الحِقْبَةِ كانَ الجهادُ الحربيُّ قد استنفد دوافعه، والفتوحُ قدْ فقدتْ جذوتَها، ولمْ تؤتِ أُكُلَهَا، سِوى اضطهادِ الشعوبِ المفتوحةِ باسمِ الجهادِ في الدينِ، تحت راية الخلافة الإسلاميَّة. ولم يتوقفْ هذا عندَ إيقادِ جَذْوَةِ الكراهيَّةِ مع الشعوبِ الأُخْرَى، ولا سيَّما مع الغربِ المسيحيّ، وأثرِها في الحروبِ الصليبيَّة فيما بعدُ، وتاليًا كانتْ عاملًا على خلْقِ تربةٍ خِصْبَةٍ لإشاعَةِ رُوحِ الإكراهِ، التي تَرَعْرَعَتْ لدَى المسلمينَ، وولّدتْ حالة العنفَ بين صفوفهم.

8. إنّ توافُرَ أسبابِ التّعَايُشِ الْمَسِيحِيّ فِي الْمُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيّ، وتوفُّرَ آلِيَّاتِه فِي

ميادين الحياة، يَمْنَحُهُمْ وجودًا متميّزًا في التّراثِ الفكريّ والعلميّ. ولَعَلّ مثابرةَ الْمَسيحِيّينَ في سدِّ الفراغ الدّينيّ والحضاريّ، بما لديهم من مكانز وخبراتٍ موروثة، واشتغالَهم في المَهَامّ الحياتيَّةِ والأعمالِ والعلومِ والفنونِ المُخْتَلفةِ، عزَّزَ من وجودِهم عَلَى الخَارِطَة دِينِيًّا واِجْتِمَاعِيًّا وحضاريًّا. من خلالِ استحضارِ الذاكرةِ المسيحيَّةِ والذاكرةِ الإسلاميَّةِ في تجربةِ المائةِ الأولَى للعلاقاتِ، وتوظيفِ القراءة المتسامحةِ للنصوصِ، يمكنُ تحفيزَ مسيرةِ التضامنِ الإنسانيّ، وتنشيطِ التواصلِ بين المنظوماتِ الثقافيَّةِ الدينيَّةِ على سبيلِ الرقيّ والحضارةِ والسلامِ العالميّ.

بعد هذه الدراسة التحليليّة والقراءة الموضوعيّة، لا مندوحة من الكشف عن منهجيّة البحث في فهم المصطلحات ذات الأهميَّة مثل "الدولة" لم يستعمل معها الصبغة الدّينيَّة، أي "الدولة الإسلاميّة" او "الدولة العربية الإسلامية"، لأنَّ الدُوَلَ لَوْ قُرِنَتْ بالأدْيانِ لكانت ذات طبيعةٍ انحصاريَّة، وولَّدَتْ إشكالاتٍ تاريخيَّةٍ تصِلُ الى الكوارثِ، فالدولة المسيحيَّة انتجَت محاكم التفتيش، والدولة الاسلاميّة في العصر الأُمويّ أنهكتْ الإنسانيَّة تحتَ راية الفتوح، وها هو الشرق ينأى كاهلُه اليومَ من فضائع الدولة المتلبّسَةِ باللبُوسِ الإسلاميَّة. وأنَّ ثَمَّةَ تعارضًا في مقصد كل من طرفي المعادلة، فالدين لا إكراه فيه، والدولة تملك سلطة الإكراه والقوة المنظَّمَة، ولذا قِيل: الدولة بطبيعتها لا دينَ لها. ولأنّي تفحصتُ المعاهدات والمصادرَ الإسلاميَّة الأولى، ولمْ أقفْ على ذكرِ "الدولة الاسلاميَّة" ولا "دولة الإسلام"، ولذا شرعت في البحث يتسمية "الدولة العربيَّة".

إذا كان ولا مناص من **إضاءة مستقبلية**، فإنَّ هذه الدراسة محاولة تتفتّح خلالها مقاربات استشرافية، أمام أية دراسات أكاديميّة تسعى الى تنمية نقد الفكر الديني باتجاه تحصينه من التطرف، وإعادة قراءة التاريخ

الإسلاميّ، ومحاولة كتابته في ضوء المفاهيم المتقاربة الناتجة عن المقارنات العلمية للكتابات الإسلاميّة المسيحيّة، التي استقرأت الممارسة التاريخيّة في صدر الإسلام. ومن هنا، يحدوني الأملُ أنْ تلقَى الدراساتُ عن مكانز التواصل بين الحضاراتِ الدِّينِيَّة عبرَ التجاربِ التاريخيَّة، ولا سيَّما سيسيولوجيا العلاقات المسيحيّة الإسلاميَّة، تلقَى حظَّها من الإهتمامِ، لِاتِّصَالِ واقعِ البلادِ العربيَّةِ في هذا العصرِ بها اتّصالًا وثيقًا، لكَيْ تشهدَ الساحةُ الثقافيَّةُ بحوثًا جادّةً، تُثْرِي علاقاتِ التعارفِ والتفاهمِ بين المكوناتِ للحياةِ الاجتماعيَّةِ، وتنشرُ ثقافةَ التعايشِ والإندماجِ في المجتمعِ الواحدِ، ونتناولُ التجاربَ المعاصِرةَ وما تصاحبُها من قضايا جديدةً، نحو إدارة التعدُّدِيَّة الدِّينِيَّة من منظور حقوقيّ. كما تعروني الحاجة الأكاديمية الى تجديد الدراسة حول الخلافة الإسلامية، وقراءتها من جوانبَ عدَّة توفر مزيدًا من التعمُّق في الفكر التاريخيّ؛ لكونِها العروةَ الوثقى التي يتَّكئ عليها الوعيُ التاريخيُّ للعامَّة من المسلمين، وبؤرةً للأفكار المتشدّدة التي تضطلع بها فِرَقٌ تتَرَى في تاريخ الإسلام حتّى يومنا هذا.

خلاصة باللغة الفرنسية

Résumé en Langue Française

Le fait que le christianisme et l'islam occupent le plus grand espace sur la carte des religions, depuis des siècles, renforce la nature d'interaction entre ces deux religions quant à la permanence de supériorité pour la survie, d'où la nécessité et le besoin de révéler l'essence de la relation entre elles, le secret et l'énonciation de leurs cadres. Par conséquent, le titre adopté pour cette thèse fut **« Les relations islamo-chrétiennes au cours du premier siècle Hégire/septième siècle A.D., recherche à l'origine de la pensée islamique et la pratique historique »**.

La recherche s'est portée sur les diffÉtat arabeérents types de relations qui se reflètent par la nature de l'interaction islamo-chrétienne, la coexistence des pratiquants des deux religions, traçant les limites du mouvement chrétien au sein de l'environnement du début de l'Islam, exposant les diverses relations : relations politiques, la relation des chrétiens avec l'état arabe au sein de l'Islam, la relation des chrétiens avec l'Etat de la Perse et Byzance, tout en les équilibrant ; ainsi que les relations religieuses, soit la relation christianisme-islam en termes de concept, et l'opinion des sources de la législation islamique, le Coran et la Sunna dans le christianisme, tout en mettant en lumière le mouvement religieux des chrétiens représenté dans les organisations ecclésiastiques ; les relations légales représentées dans les droits religieux, politiques et sociales aux non-musulmans en général, et les chrétiens, en particulier, tenant le premier rang sur le palier des sources de législation et les réglementations de l'État arabe, dont les ressources les plus anciennes le Coran, les pactes et les conventions rédigés par le prophète Mahomet et les califes, ratifiées et approuvées par l'état

rachidien et omeyyade, et le dispositions discrétionnaires qui ont modifié sa démarche ; et enfin les relations sociales qui se sont portées sur la coexistence entre musulmans et chrétiens – à la lumière de l'état arabe, dont la croissance est devenue une nécessité historique, vue la disponibilité de divers liens et des points communs entre les membres de la communauté. Grâce à la foi en l'existence de l'autre dans le régime des droits et des devoirs, s'est formée une personnalité civilisée se basant sur la participation et la contribution à la formation d'une vie décente.

La thèse s'est de plus concentrée dans l'étude du mouvement chrétien par ses diverses doctrines : les nestoriens, les jacobites, les coptes et les melkites, au sein de l'état arabe, qui se tend à affecter les communautés, sujet de la thèse et de s'en influencer. En effet, cette thèse ne discute pas les activités chrétiennes à Rome ou Constantinople, mais tend objectivement à mettre en lumière le christianisme selon la pensée islamique, selon ses diverses ressources le Coran et la Sunna et par conséquent, les biographiques des califes, ainsi que l'étude de cas pratiques historiques, leurs points positifs, négatifs et leurs impacts sur le produit des relations entre musulmans et chrétiens.

La problématique s'est manifestée par la réalité du phénomène chrétienne, l'étendue de son interaction, son intégration dans l'environnement islamique, la taille des relations islamo-chrétiennes à la lumière des changements internationaux au cours du 1er siècle hégire (7ème siècle A.D.). Les données politiques et intellectuelles symbolisent l'islam historique, est-il le même que l'islam prophétique ou coranique ? Ou avait-il pris une typologie se basant sur les intérêts personnels historiques ? Les hypothèses de la thèse se sont axées sur les sujets clés, résultant en des questions dont les plus importantes : Comment pratiquaient les chrétiens leurs doctrines au sein des états perse et byzantin ? Comment sont-ils devenus à la lumière de l'état islamique ? Comment les chrétiens se sont adaptés au sein de l'état arabe jusqu'au début du 1er siècle de l'hégire ? L'atrophie à laquelle le christianisme a dû faire face contre le courant de la

religion et de l'État arabes ? Comment l'Islam a-t-il débuté dans la péninsule arabe et les bases d'un état comparable aux grandes puissances ? Qu'est-ce que le djihad dans l'Islam ? Quel est le cadre des conquêtes islamiques, ses causes et ses conséquences ? Comment se sont devenues les organisations chrétiennes religieuses au cours des époques de l'état arabe : le message – les rachidiens – les omeyyades ? Comment est devenue la relation chrétienne-chrétienne au cours des trois époques de l'islam, alors qu'elle en était exclusive avant ? Etait-elle une étendue de liberté pour la diffusion et la propagation du christianisme devant les yeux de l'État arabe ? Le soin des textes coraniques historiques aux gens du Livre en général, les chrétiens et le christianisme en particulier et ses symboles religieux, correspond-il à leur existence religieuse et sociale sur la carte de l'État arabe ?

L'intérêt de l'étude présenté par son sujet émane de son importance qui se manifeste par l'élaboration des dimensions des relations entre le christianisme et l'islam au cours du premier siècle, à partir de l'émergence de l'islam lors de la mise en place de structures de coexistence sociale pour les générations à venir. Selon son importance, c'était l'ère de formation et de constitution des relations islamo-chrétiennes. Nous ne pouvons pas se passer de l'étude du passé par le passé, il n'y a rien de mal à reprendre les faits passés, évoquer son esprit et ses conséquences et manifestations. La thèse vise à bénéficier de l'exposition de l'image du passé pour soutenir les relations entre les deux civilisations les plus communes dans le monde religieux, afin de comprendre leur essence, vue leur originalité. Comme nous pouvons en retirer du passé des flammes flamboyantes pour notre époque marquée par le dialogue interreligieux, en général, et le projet de dialogue islamo-chrétien, en particulier, pour en tirer les bénéfices de l'expérience historiques, en divulguer les points forts et les renforcer, identifier les points faibles pour l'orienter, dans le but d'adopter cette thèse comme point de départ lors de la construction historique saine de l'avenir des relations fraternelles entre les deux religions, soit absorber une des plus importantes expériences de coexistence islamo-chrétienne pour l'adopter

comme créneau sur la carte du chemin du dialogue et de la coexistence entre les grandes religions.

La thèse s'est ciblée sur la présentation et l'analyse des études préalables les plus importantes à ce sujet. Par la suite, l'étude a reporté des cas pratiques historiques tout en exposant les détails, remettant en question les événements, visant à s'approfondir dans la compréhension du vocabulaire du sujet, acquérir une bonne connaissance de l'histoire des relations islamo-chrétiennes des sources des deux parties, les relire d'un point de vue objectif, ou pré-visualiser le problème, tout en contribuant au dessin d'une carte des relations entre religions, à travers la révélation de la différence entre l'islam coranique et prophétique (ère de la législation), et l'islam historique (ère de l'interprétation). L'exposition de la taille de la présence culturelle des chrétiens dans la communauté musulmane et leur rôle à établir des régimes humanitaires révèle peut-être l'étendue de leur participation dans le développement des infrastructures de vie quotidiennes, sa valeur et sa consolidation. De plus, la thèse a tiré des informations des ressources arabes qui ont enrichi le contexte du sujet, que ce soient les ressources chrétiennes (syriaque, arménienne, copte) qui ont eu une importance similaire fructueuse au sujet de l'histoire de la dispersion du christianisme dans les pays arabes, et l'histoire des tribus arabes, notamment les relations des arabes avec leurs voisins, romains et perses, la relation des chrétiens avec les musulmans chrétiens, surtout les informations tirées de quelques historiens, tels que Sebeos l'arménien, et Jean de la Nicosie qui étaient témoins des conquêtes, ont détaillé sa description, ses raisons et ses conséquences et ont traduit ses effets psychologiques, sociaux, économiques, politiques et religieux sur l'environnement chrétien.

La nature du titre consistait à structurer la thèse en deux titres. Le premier titre portant sur le côté historique, la définition des introductions historiques, révélation des relations islamo-chrétiennes, se répartissant ainsi en quatre chapitres. Le premier

chapitre étudie d'abord la propagation du christianisme dans les pays arabes avant l'islam, le deuxième chapitre porte sur les relations islamo-chrétiennes au cours de l'époque du message, le troisième chapitre expose les relations islamo-chrétiennes à l'époque du califat rachidien, alors que le quatrième chapitre traite du sujet des relations islamo-chrétiennes à l'époque de la dynastie des Omeyyades. Le deuxième titre détaille les ressources de la pensée islamique desquelles nous tirons les aspects légaux des chrétiens selon les législations islamiques et leur rôle culturel émanant dans la communauté musulmane. Ainsi, ce deuxième titre a regroupé un premier chapitre sous le titre de christianisme et relations religieuses dans le Coran, un deuxième chapitre définissant l'autre religieux, le djihad et les conquêtes selon les concepts islamiques, un troisième chapitre portant sur les droits des chrétiens dans les législations de l'État arabe, et un quatrième chapitre montrant la coexistence chrétienne au sein de la communauté islamique et son impact culturel.

A la fin de cette tournée de recherches, je voudrai mentionner les résultats les plus importants dégagés :

1. La succession des religions écrites par ordre chronologique a une grande importance dans la compréhension de la relation religieuse et historique entre ces religions. Les relations islamo-chrétiennes en premier lieu jouissant d'introductions historiques et religieuses, favorisant un climat psychologique pour leur fondation, jusqu'à propagation des troupes chrétiennes en Irak, dans le Levant, en Egypte, et au Hedjaz, ainsi que l'atrophie de la rivalité sectaire entre les deux religions. L'émergence de l'islam dans le monde arabe ne fut pas au hasard, mais il est apparu pour combler le fossé religieux causé par l'expansion de la diaspora dans les idées et les sectes religieux dans les pays arabes.

2. L'Islam historique n'est pas le même islam prophétique ou coranique, puisque l'islam historique a pris la structure du message fermé sur les intérêts de l'autonomie autoritaire, de

façon totalement différente à l'islam prophétique. Les changements et variables historiques ont peut-être permis à l'état arabo-islamique, après écoulement de la courte étape prophétique, de s'imprégner à l'instar de l'empire byzantin et perse, dans les nœuds des régulations islamiques, se convertissant ainsi en un état où la fidélité religieuse tend à la fusion avec l'affiliation politique, ce qui fut évident pour l'image de la dynastie des Omeyyades.

3. La tolérance est l'une des qualités les plus importantes de l'islam, et le Coran a répété à plusieurs reprises l'autre religieux et sa civilisation, diffusant le concept de tolérance dans un couple de trente Sourates, et plus d'une centaine de versets. Par contre, la problématique de différence dans l'interprétation et l'herméneutique a affaibli sa valeur de connectivité et a contribué à l'abandon d'une perspective tolérante dans la mémoire de la culture islamique. La philosophie de la législation s'est basée sur les soins personnels et la personnalité sociale islamique, selon lesquels l'islam ne s'applique qu'aux musulmans, mais des lois ont été promulguées pour garantir les droits des croyants d'autres religions.

4. La politique des conquêtes et l'expansion de l'état arabe à un pas rampant et une vitesse incroyable ont embrouillé la vie religieuse des peuples des pays conquis, et ont soumis la vie sociale à des processus de changement démographique, dont les conséquences furent le nettoyage religieux de la péninsule arabe. Un tel nettoyage a fait naitre des sentiments de perte, la perte d'identité historique des chrétiens de la péninsule, leur désintégration dans les pays et leur intégration démographique dans de nouveaux environnements, ce qui a menacé leur existence religieuse, limité le pouvoir aux arabes, propagé l'islam par la force, frappant la majorité des chrétiens de dystrophie, puisqu'ils se sont transformée en des minorités religieuses souffrant la peur, ou des groupes recherchant la protection sous des régimes parfois despotiques.

5. Toute religion ou croyance est considérée de la part de ses pratiquants comme étant parfaite. La perfection de la religion

islamique se représente aux yeux de ses disciples par le djihad, qui comprend le leadership de soi et des autres vers une perfection religieuse et morale, qui n'est autre qu'une péripétie de tous les messages précédents, que la religion islamique ne nie point, mais estime les dépasser, ou les tient par la main pour les mener vers la valeur de maturité, soit l'islam. Le converti à l'islam pour un musulman est une convergence devant mener tous les gens du Livre à la fin vers l'union et l'émergence dans l'islam qui sera partagé par tout le monde grâce aux efforts sans fin de la nation islamique pour les mener vers l'islam. Par contre, le djihad ne vise pas à imposer la doctrine aux autres

6. Le djihad de guerre, en tant que régime musulman, est né de la défense pour l'islam et ses disciples. Tel djihad était nécessaire pour résoudre le conflit de civilisation de forme religieuse, et les incidents qui se sont accompagnés, séparent entre la guerre et la paix. Après cette époque, le djihad de guerre et les conquêtes avaient perdu leur sens et ne visaient plus la persécution des peuples conquis au nom du djihad pour la religion. Cela ne s'est pas seulement limité à éveiller la haine des autres peuples, en particulier l'occident chrétien, mais aussi a eu un impact sur les croisades successives et par conséquent est devenu un facteur de terrain fertile pour propagation de l'esprit de coercition.

7. La persévérance des chrétiens pour combler le fossé de civilisation par leurs plans et expériences hérités, leur livraison aux missions de vie quotidiennes, les travaux, les sciences et les divers arts, a renforcé leur présence sur la carte religieusement, socialement et culturellement. En invoquant la mémoire chrétienne et la mémoire islamique pour expérience en premier lieu des relations, et l'emploi de la lecture tolérante des textes, nous pouvons stimuler la démarche de la solidarité humaine, dynamiser la communication entre les régimes culturels religieux pour la sophistication, la civilisation et la paix mondiale.

Après étude analytique et lecture objective, nous ne pouvons pas s'en passer de mettre en lumière le futur à venir et les approches prospective. Cette étude ouvre la porte à des études universitaires

visant le développement de la critique de la pensée religieuse et son immunité de l'extrémisme, la re-lecture de l'histoire islamique, tout en essayant de l'écrire à la lumière des concepts convergés résultant de la comparaison scientifique des écrits islamo-chrétiens qui extrapolent la pratique historique dans le cœur de l'islam. Par conséquent, j'espère que les études concernant les relations entre les civilisations religieuses par des expériences historiques, notamment celle islamo-chrétienne au cours de siècles et époques, soient prises en considération puisque la réalité des pays arabes au cours de cette époque se lient étroitement, afin que la scène culturelle témoigne des recherches sérieuses enrichissant les relations de définition et de compréhension entre les composantes de la vie sociale, diffusant la culture de coexistence et d'intégration dans une même société et traitant les expériences contemporaines et les nouvelles questions qui s'en suivent.

Mots-clés

Relations - islamo - Chrétiennes - religion - état - historique - arabes - droits - social - politique - coexistence.

خلاصة باللغة الإنجليزية

Summary in English Language

The fact that Christianity and Islam occupy the largest space on the map of religions for centuries strengthens the nature of interaction between these two religions as to the constant survival superiority, hence the necessity and need to reveal the essence of the relationship between these religions, mentioning its framework secrets. Therefore, we have elected to choose as title for out thesis **"Christian-Muslim Relations in the 1st Century A.H. /7th century A.D., research in the origin of Islamic Though & Historical Practice".**

The research has focused on the different types of relationships that are reflected by the nature of Christian-Muslim interaction, coexistence of both religions practitioners, tracing the limits of the Christian movement within the early Islam emergence, outlining its various relations: political relations, the relation between Christians and the Arab State in Islam, as well as the Christian relationship with Persia and Byzantium States, balancing between such relations; religious relations, i.e. the Christianity-Islam relationship in terms of concept, and the Islamic legislation sources, the Quran and the Sunnah in Christianity, while highlighting the religious movement of Christians represented in the ecclesiastical organizations; legal relations represented in the religious, political, and social rights of non-Muslims in general, and Christians in particular, being on the first rank of legislation sources and regulations of the Arab State, including the Quran old resources, covenants, and conventions written by the Prophet Muhammad and the caliphs, approved by the Rashidun and Umayyad States, and the discretionary provisions that have changed its approach; and finally the social relations that outline the coexistence between Muslims and Christians - in the light of the Arab state, which

growth has become a historical necessity, given the availability of various links and commonalities among community members. Due to the faith in the existence of the other in rights and duties system, appeared a civilized personality based on the participation and contribution in a decent life formation.

The thesis focused more on the study of Christian doctrine by its different movements: Nestorians, Jacobites, Copts and Melkites, in the Arab state, which tends to affect communities, purpose of the present thesis, and to influence thereon. Indeed, this thesis does not discuss the Christian activities in Rome or Constantinople, but tends objectively to highlight Christianity in Islamic thought, according to its various resources the Quran and Sunnah and therefore, the caliphs' biographies and the study of historical cases, their positive and negative aspects and their impact on the product of the relationship between Muslims and Christians.

The problematic has been manifested in the Christian phenomenon reality, the interaction extent, its integration in the Islamic environment, the size of Muslim-Christian relations in the light of international changes in the 1st century AH (7th century AD). The political and intellectual data symbolize the Historical Islam, is it the same as Prophetic or Koranic Islam? Or had it taken a typology based on historical personal interests? Assumptions of the thesis focuses on key issues, resulting in the most important issues: How Christians practiced their doctrines in the Persian and Byzantine States? How did they become in the light of the Arab State? How Christians have adapted in the Arab state until the early 1st century A.H.? Atrophy that which Christianity had to face against the religion and the Arab State current? How Islam started in the Arabian Peninsula and the foundation for a state comparable to the great powers? What is Jihad in Islam? What is the framework of Islamic conquests, its causes and consequences? How was the status of the Christian religious organizations in the times of the Arab State: the message –the Rashidun - the Umayyad? How becomes the

Christian-Christian relationship in the three periods of Islam, even though it was exclusive before? Was ita space of freedom for the dissemination and spread of Christianity before the eyes of the Arab State? The care of historic Quran texts to the Book people in general, Christians and Christianity in particular and its religious symbols, does it correspond to their religious and social life on the map of the Arab State?

The study interest presented by its subject comes from its importance as evidenced by the development of the relationship dimensions between Christianity and Islam in the first century, from the emergence of Islam in the establishment of social coexistence structures for generations to come. According to its importance, it was the era of formation and constitution of Christian-Muslim relations. We cannot avoid the study of the past in the past, there is nothing wrong with resuming past events, evoking its spirit and its consequences and manifestations. The thesis aims to benefit from the exposure of the image of the past to support the relationship between the two most common civilizations in the religious world, to understand its essence, due its originality. We can deduct from the past blazing flames to our interreligious dialogue marked by time, in general, and the proposed Islamic-Christian dialogue, in particular, to derive the benefits of historical experience, disclose strengths and reinforce the same, identify weaknesses to guide it, so that the present thesis can be adopted as a starting point in the historical construction of healthy future of fraternal relations between the two religions, or absorb a larger experience of Islamic-Christian coexistence to adopt it as niche on the map of the path of dialogue and coexistence among the major religions.

The thesis is focused on presentation and analysis of the most important preliminary studies in this regard. Thereafter, the study reported historical case studies while exposing details, challenging historical events, to deepen the understanding of the vocabulary in this purpose, good knowledge of the Muslim Christian relations history from both parties' sources, re-read

from an objective point of view, or preview the problem, while contributing in drawing a map of the relationships between religions, through the revelation of the difference between the Koranic and prophetic Islam (legislationera), and historical Islam (interpretation era). The cultural presence size of Christians in the Muslim community and their role in establishing humanitarian regimes reveals the extent of their participation in the development of daily life infrastructure, its value and its consolidation. Moreover, the thesis drew information from Arab resources that have enriched the context of the subject, whether Christian resources (Syriac, Armenian, Coptic) who had a fruitful similar importance on the history of Christianity dispersion in the Arab countries, the history of Arab tribes, including relationships between the Arab people and their neighbors, Roman and Persian, the relationship between Christians and Muslims, especially information from some historians, such as the Armenian Sebeos, and John of the Nicosia who witnessed conquests, have detailed its description, reasons and consequences, and translated psychological, social, economic, political and religious effects on the Christian environment.

The present thesis by its nature should be structured in two titles. The first title dealt with the historical side, definition of historical introductions, disclosure of Christian-Muslim relations, and was divided into four chapters. The first chapter started by examining the spread of Christianity in the Arab world before Islam; the second chapter focuses on Christian-Muslim relations during the Message era; the third chapter presents the Christian-Muslim relations in time of the Rashidun caliphate; while the fourth chapter deals with the Muslim-Christian relations under the Umayyad dynasty era. The second title describes the resources of Islamic thought from which we conclude the legal aspects of Christians under Islamic laws and their cultural role within the Muslim community. Thus, this second title included a first chapter under the title of Christianity and religious relations in the Quran; a second chapter defining the other religious jihad and conquest pursuant to Islamic concepts, a third chapter on the

rights of Christians in the laws of the Arab State, and a fourth chapter showing the Christian coexistence within the Islamic community and its cultural impact.

By the end of our research tour, I would like to mention the most important findings:

1. The succession of written religions chronologically is of great importance in understanding the religious and historical relationship between these religions. Muslim-Christian relations, in the first place, included historical and religious introductions, promoting an ethos for their foundation, towards the spread of Christian troops in Iraq, the Levant, Egypt, and the Hijaz, and the atrophy sectarian rivalry between the two religions. Emergence of Islam in the Arab world was not random, but it appeared to fill the religious gap caused by the expansion of the diaspora in ideas and religious sects in the Arab countries.

2. The Historical Islam is not the same Prophetic or Koranic Islam, since the Historical Islam took the Message's close structure on the interests of the authoritarian autonomy, entirely different from the Prophetic Islam. Historical changes may have enabled the Arab-Arab State after expiration of the short prophetic stage, to soak like the Byzantine and Persian Empire, in the nodes of Islamic regulations, being converted into a state where religious faith is to be united with political affiliation, which was obvious to the image of the Umayyad dynasty.

3. Tolerance is one of the most important qualities in Islam and the Quran has repeatedly mentioned the other religious and civilization, spreading the concept of tolerance in a couple of thirty Suras, and more one hundred verses. For cons, the problem of differences in the interpretation and hermeneutics has weakened its connectivity value and contributed to the tolerant approach abandonment in the memory of the Islamic culture. The legislation philosophy was based on self-care and the Islamic social personality, whereby Islam applies only to

Muslims, but laws were enacted to ensure the rights of other religions believers.

4. The conquest policy and expansion of the Arab state at an incredible speed tangled the religious life in the conquered country, and lead to demographic change in the social process, having as consequences a religious cleansing in the Arab peninsula. Such cleaning resulted in feelings of loss, the loss of Christians' historic identity in the peninsula, their disintegration in the country and their demographic integration into new environments, which threatened their religious existence, limiting therefore the power into the Arab people, spreading Islam by force, hitting the majority of Christians dystrophy, since they are transformed into frightened religious minorities, or groups seeking protection under sometimes despotic regimes.

5. Any religion or faith is considered to be perfect by its practitioners. The perfection of the Islamic religion is represented in its disciples' eyes through jihad, which includes self-leadership and all others into this religious and moral perfection, which is just another episode of all previous messages, which are not denied by the Islam, but the latter estimates that it is exceeding such religions or is holding its hands to the peak of its maturity which is the Islam. The converted to Islam to a Muslim is a convergence leading all the Book People at the end towards the union and the emergence in Islam that will be shared by everyone through the endless efforts of the Islamic nation guiding to Islam. Therefore, jihad is not intended to impose the doctrine to others.

6. The Jihad for war, as a Muslim regime, resulted from the Islam defense, and its followers. As jihad was necessary to resolve the civilization religious form conflict, and the following incidents, separating thus between war and peace. After that time, the jihad for war and conquest had lost their meaning and are no longer sought unless as a persecution of conquered peoples in the name of jihad for religion. This has not only limited to arouse hatred of

other peoples, especially the Christian West, but also had an impact on successive crusades and thus became a fertile ground factor spreading the spirit of coercion.

7. Christians' perseverance to fill the gap of civilization by their plans and inherited experiences, and since they have been devoted to daily life activities, work, science and various arts, they have increased their presence on the map from religious, social, and civilization aspects. By invoking the Christian and the Islamic memory for the first century relationships, and the use of tolerant text reading, we can stimulate the process of human solidarity, boost communication between religious cultural plans for sophistication, civilization and world peace.

After analytical study and objective reading, we cannot pass without highlighting the coming future and prospective approaches. This study opens the door to other university studies for the development of a religious thought critique securing its immunity against extremism, the re-reading of Islamic history while trying to write it in the light of converged concepts resulting from scientific comparison of Muslim-Christian writings which extrapolate historical practice in the heart of Islam. Therefore, I hope that studies on the relationship between religious civilizations by historical experiences, especially the Muslim-Christian through centuries and eras, be considered as the Arab countries current reality is closely bound to said experiences, so that the cultural scene reflects serious research rewarding knowledge and understanding relationships between the community components, spreading the culture of coexistence and integration into one society, and dealing with contemporary experiences and the new following issues and matters.

Keywords

Relations - Muslim - Christian - Religion - State - History - Arab - Rights - Social - Political - Coexistence

ثَبْتُ المصادرِ والمراجع

أولا- المصادر

المصادر بالعربية

ابن الأثير، علي بن مُحَمَّد أبي الكرم الجزري، (ت 630هـ/ 1233م): **أُسْد الغابة فِي معرفة الصّحابة**، تح: علي مُحَمَّد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت 1994).

= = **الكامل فِي التّاريخ** (دار الكتاب الْعَرَبِيّ، بيروت 1997م).

ابن الأثير، المبارك بن مُحَمَّد، مجد الدّين الجزري (ت 606هـ/ 1209): **النّهاية فِي غريب الحديث والأثر**، تح: طاهر أحمد الزاوى ومحمود مُحَمَّد الطّناحي، 5ج (المكتبة العِلْمِيَّة، بيروت، 1399هـ/ 1979م).

ابن الأثير، نصر الله بن مُحَمَّد الجزري، ضياء الدّين، (ت637هـ): **المثل السّائر فِي أدب الكاتب والشّاعر**، تَحْقِيْق: أحمد الحوفي، 4ج (دار نهضة مِصْرَ للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة).

أحمد بن حنبل الشّيباني (ت241ه/855م): **الرد على الجهمية والزنادقة**، تحقيق: صبري بن سلامة شاهين (دار الثبات للنشر والتوزيع، الرياض، لا زمان).

= = : **المسند**، تَحْقِيْق: شعيب الأرنؤوط وآخرون (مُؤَسَّسَة الرّسالة، بيروت، 1421 هـ - 2001 م).

أحمد بن فارس القزويني (ت395هـ/ 1005م): **معجم مقاييس اللغة**، 6 ج، تح: عبد السلام محمد هارون(دار الفكر، بيروت 1399هـ - 1979م).

ابن إدريس الحلي، (ت598هـ/ 1202م): **كتاب السّرائر الحاوي لتحرير الفتاوي** (مُؤَسَّسَة النّشر الإِسْلَاميّ، قم).

الإدريسي، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الله (ت560هـ/ 1165م): **نزهة المشتاق فِي اختراق الآفاق** (عالم الكتب، بيروت 1409).

الأزدي، الفضل بن شاذان (ت260هـ/ 874م): **الإيضاح**، (مُؤَسَّسَة انتشارات وچاپ دانشگاه، طهران، 1405هـ).

الأزدي، مُحَمَّد بن عبد الله البصري: **فتوح الشّام**، تح: وليم ناسوليس 1الأيرلاندي (مطبعة بتسن مشن، كلكتا، 1854).

الأزرقي، مُحَمَّد بن عبد الله بن أحمد (ت250هـ/ 864م): **أخبار مكّة وما جاء فِيهَا من الأثار**، تح: شدي الصّالح ملحس (دار الأندلس للنشر، بيروت، د.ت).

ابن إسحاق: مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار (ت151هـ/ 768م): **سيرة ابن إسحاق** (كتاب السّير والمغازي)، تح: سهيل زكار، (دار الفكر، بيروت 1978).

الأشعري، أبو الحسن، علي بن إسماعيل (ت324هـ): **مقالات الإسلاميين**، تح: نعيم زرزور، (المكتبة العصرية، بيروت، 2005م)

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم الخزرجي (ت668هـ/ 1270م): **عيون الأنباء فِي طبقات الأطباء**، (المطبعة الوهبية، القاهرة، لا. ت).

امرؤ القيس بن حِجْر الكندي (ت545م): **ديوان امرِئ القيس**، تَحْقِيْق: عبد الرّحمن المصطاوي (ط2، دار المعرفة، بيروت، 2004).

الأنبَاري، أَبُو بكر مُحَمَّد بن القاسم (ت328هـ/ 940م): **الزاهر فِي معاني كلمات النّاس**، تَحْقِيْق: حاتم صالح الضَّامن. (مُؤَسَّسَة الرّسالة، بيروت، 1992).

البَابرتي، محمد بن محمد بن محمود، الرومي (ت786هـ/ 1384م): **العناية شرح الهداية** (دار الفكر، بيروت، لا. ت).

الباقِلّاني، مُحَمَّد بن الطّيب بن مُحَمَّد (ت403هـ/ 1013م): **تمهيد الأوائل وتلخيص الدّلائل**، تح: عماد الدّين أحمد حيدر (مُؤَسَّسَة الكتب الثّقافِيّة، بيروت 1993م).

البُخَاري، مُحَمَّد بن اسماعيل (ت256هـ/ 870م): **الأدب المفرد**، تح: سمير بن أمين الزهيري (مكتبة المعارف للنشر، الرّياض 1998).

= = :**الجامع المسند الصّحيح**، تحقيق: مُحَمَّد زهير بن ناصر النّاصر، 9ج(دار طوق النّجاة، 1422هـ).

البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ/ 1682م): **خزانة الأدب ولب لباب لسان الْعَرَب**، تح: عبد السّلام مُحَمَّد هارون (مكتبة الخانجي، القاهرة 1997).

البكري، أَبُو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت487هـ/ 1094م): **المسالك والممالك** (دار الغرب الإِسْلَامِيّ، 1992م).

= = =: **معجم مَا استعجم**، تح: مصطفى السّقا (عالم الكتب - بيروت، 1983).

البَلَاذُري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ/ 892م): **جمل من أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكار، ورياض الزركلي (دار الفكر، بيروت، 1996م).

= = = : **فتوح البُلْدَانِ** (دار ومكتبة الهلال- بيروت، 1988 م).

البيضاوي عبد الله بن عمر الشيرازي (ت 685هـ/ 1286م): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418م).

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، أَبُو بكر الخُسْرَوْجِردي، (ت458هـ/ 1066م): **دلائل النّبوة ومعرفة أحوال صاحب الشّريعة**، 1-7مج (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، 1405هـ).

= = : **شعب الإيمان**، 14ج (مكتبة الرّشد للنشر والتّوزيع بالرّياض بالتّعاون مَعَ الدّار السّلفية ببومباي بالهند، 1423هـ - 2003م).

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق (ت 427هـ): **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، 10ج، تح: أبو محمد بن عاشور (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1422هـ/ 2002م).

الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255هـ/ 869م): **البيان والتّبيين**، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ).

= = **الرّد عَلَى النَّصَارَى**، ضِمْنَ رسائل الجاحظ، تح: عبد السّلام هارون، (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989).

الجهشياري، مُحَمَّد بن عبدوس الكوفي (ت331هـ/ 943م): **الوزراء والكتّاب**، (دار الكتاب، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).

ابن الجوزي (597هـ/ 1201م): **تلقيح فهوم أهل الأثر**، (شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت 1997م).

= = = : **المنتظم فِي تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، ج 19، (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، 1992م).

الجوهري، أَبُو نصر إسماعيل بن حماد (ت393هـ/ 1003م) **الصّحاح تاج اللُغَة وصحاح الْعَرَبِيّة**، تح: أحمد عبد الغفور عطار (دار العلم للملايين، بيروت 1987 م).

الجياني مُحَمَّد بن عبد الله الطّائي (ت672هـ/ 1274م): **إكمال الإعلام بتثليث الكَلَام**، تح: سعد بن حمدان الغامدي، (جامعة أمِّ القرى، مَكّة، 1984).

ابن أبي حاتم، الرازي (327هـ/ 939م): **تفسير القرآن العظيم** (مكتبة نزار الباز، الرياض، 1419هـ).

ابن حبان، أَبُو حاتم، البُستي (ت354هـ/ 956م): **الصّحيح**، تح: شعيب الأرنؤوط (مُؤَسَّسَة الرّسالة، بيروت، 1988م).

ابن حبيب، مُحَمَّد، أَبُو جعفر البغدادي (ت245هـ/ 859م): **المحبر**، تح: إيلزة ليختن شتيتر، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، لا. ت).

= = = : **المُنَمَّق فِي أخبار قُرَيْش**، تح: خورشيد أحمد فاروق، (عالم الكتب، بيروت، 1405 هـ /1985 م).

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت852هـ/ 1448م): **الإصابة في تمييز الصحابة**، 8ج، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلى محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت 1415هـ).

= = **تهذيب التّهذيب**، 12ج (دائرة المعارف النّظامية، الهند، 1326هـ).

ابن ابي الحديد (ت656هـ/ 1258م): **شرح نهج البلاغة**، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم (دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1959).

ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي القرطبي الظّاهري (ت456هـ/ 1064م): **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق: إحسان عباس (المُؤَسَّسَة الْعَرَبِيّة للدراسات والنّشر، بيروت، لا. ت).

= = =: **المحلى بالآثار** (دار الفكر، بيروت، لا. ت).

الحلبي، علي بن إِبْرَاهِيم (ت 1044هـ/ 1731م) **السّيرة الحلبية = إنسان العيون فِي سيرة الأمين المأمون** (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت 1427هـ).

ابن حمدون، محمد بن الحسن، بهاء الدين البغدادي (ت 562هـ): التذكرة الحمدونية، (دار صادر، بيروت، 1417هـ).

الحِميرى، مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 900هـ/ 1495م) **الرّوض المعطار فِي خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس (مُؤَسَّسَة ناصر للثقافة، بيروت 1980).

ابن حوقل، مُحَمَّد البغدادي الموصلي (ت: بَعْدَ 367هـ/ 978م): **صورة الأرض**، (دار صادر، أفست ليدن، بيروت 1938م).

الخطيب البغدادي (ت463هـ/ 1071م) **تاريخ بغداد**، [1] تح: مصطفى عبد القادر عطا (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، 1417 هـ). [2] تح: بشار عواد معروف، 16ج، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002).

الخلّال، أَبُو بكر أحمد بن مُحَمَّد بن هارون (ت311هـ/ 923م): **أحكام أهل الملل والرّدة من الجامع لمسائل الإمام أحمد بن حنبل**، (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، 1994).

ابن خلدون، عبد الرّحمن بن مُحَمَّد الإشبيلي (ت 808هـ/ 1405م): **ديوان المبتدأ والخبر فِي تاريخ الْعَرَب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر** (تاريخ ابن خلدون)، تح: خليل شحادة (دار الفكر، بيروت 1988).

ابن خلكان، أحمد بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم (ت 681هـ/ 1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس (دار صادر، بيروت 1994م).

خليفة بن خياط العصفري (ت240هـ/ 854م): **تاريخ خليفة**، تحقيق: أكرم ضياء العمري (دار القلم، مُؤَسَّسَة الرّسالة، دمشق، بيروت، 1397).

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ/ 786م) **كتاب العين**، تح: مهدي المخزومي، إِبْرَاهِيم السّامرائي، 8جزء، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، لا. ت.).

الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387هـ): **مفاتيح العلوم**، تح: إبراهيم الأبياري (ط2، دار الكتاب العربي، القاهرة، لا. ت.)

ابن دُرَيد، مُحَمَّد بن الحسن الأزدي (ت 321هـ/ 933م): **جمهرة اللُغَة**، تح: رمزي منير بعلبكي (دار العلم للملايين، بيروت 1987).

الدّيار بَكْري، حسين بن مُحَمَّد بن الحسن (ت 966هـ/1559م): **تاريخ الخميس فِي أحوال أنفس النّفيس**، (دار صادر، بيروت، لا. ت).

الدّينوري، أحمد بن مروان المالكي (ت333هـ/ 945م): **المجالسة وجواهر العلم**، (جمعية التّربية الإِسْلَاميّة، أم الحصم، البحرين؛ دار ابن حزم، بيروت، 1419هـ).

الذّهبي، شمس الدّين، مُحَمَّد بن أحمد (ت 748هـ/ 1347م): **تاريخ الإِسْلَام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، 1- تح: بشار عوّاد معروف (دار الغرب الإِسْلَاميّ، بيروت، 2003 م). 2- تح: عمر عبد السّلام التّدمري (ط2، دار الكتاب الْعَرَبِيّ، بيروت، 1413 هـ - 1993م).

= = : **سير أعلام النّبلاء**، تح: شعيب الأرناؤوط، 25جزء، (ط3، مُؤَسَّسَة الرّسالة، 1405 هـ / 1985م).

الرازي، فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسن، (ت606هـ/ 1209م): **مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير** (ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420).

ابن رشد، ابو الوليد، محمد بن أحمد (ت520هـ/ 1126م): **المقدمات الممهدات**، تح: سعيد أحمد أعراب، 3ج، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988).

ابن رشيق، الحسن القيرواني الأزدي (ت463هـ/ 1071م): **العمدة فِي محاسن الشّعر وآدابه** (دار الجيل 1981م).

الزجاجي، عبد الرّحمن بن إسحاق البغدادي (ت337هـ/ 948م): **أخبار أبي القاسم الزجاجي**، تح: عبد الحسين المبارك (دار الرّشيد، بغداد، 1980).

أَبُو زُرعة الدّمشقي، عبد الرّحمن بن عمرو (ت281هـ/ 894م) **تاريخ أبي زرعة**، (مجمع اللُغَة الْعَرَبِيّة' دمشق، لا. ت).

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت538هـ/ 1144م): **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**،4 ج (دار الكتاب العربي، بيروت،1407هـ).

زيد بن علي بن الحسين (ت122هـ/ 740م): **مسند الامام زيد**، جمعه: عبد العزيز بن اسحاق البغدادي (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، لا. ت).

ساويرس ابن المقفع (302-377هـ/915-987م) : **تاريخ البَطَارِكَة - تاريخ مِصْرَ**، تح: عبد العزيز جمال الدّين (مكتبة مدبولي، القاهرة 2006م).

السّخاوي، شمس الدّين، أَبُو الخير، مُحَمَّد بن عبد الرّحمن (ت902هـ/ 1497م): **التّحفة اللطيفة فِي تاريخ المدينة الشّريفة** (الكتب العلميه، بيروت 1993م).

السّرخسي، مُحَمَّد بن أحمد بن أبي سهل (ت483هـ/ 1090م): **شرح السِّيَر الكبير** (الشّركة الشَّرْقِيَّة للإعلانات، القاهرة 1971م).

= = : **المبسوط** ، 30ج، (دار المعرفة، بيروت، 1414هـ/ 1993م).

ابن سعد، مُحَمَّد بن سعد بن منيع (ت230هـ/ 845م): **الطّبقات الكُبْرَى**، تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا،8 ج، (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، 1990 م).

سعيد بن بِطْرِيق، افتيشيوس (ت328هـ/940م): **التّاريخ المجموع عَلَى التّحقيق والتّصديق** (مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1905).

ابن سلّام، مُحَمَّد الجمحي (ت232هـ/ 847م): **طبقات فحول الشّعراء**، تح: محمود مُحَمَّد شاكر (دار المدنيّ، جدة).

السّهيلي، أَبُو القاسم، عبد الرّحمن بن عبد الله بن أحمد (ت581هـ/ 1185م): **الرّوض الآنف فِي شرح السّيرة النّبَوِيّة لابن هشام**، تح: عمر عبد السّلام السّلامي، (دار إحياء التّراث الْعَرَبِيّ، بيروت، 1421هـ/ 2000م).

ابن سيده: علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت458هـ/ 1066م): **المحكم والمحيط الأعظم**، تح: عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، 1421هـ - 2000 م).

السُّيوطي، جلال الدّين، عبد الرّحمن بن الكمال (ت911هـ/ 1505م): **تاريخ الخلفاء**، تحقيق: حمدي الدّمرداش (مكتبة نزار مصطفى الباز، 1425هـ-2004م).

= = **الجامع الصّغير** (دار الفكر للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت،1981م).

= = = **الدّر المنثور** (دار الفكر، بيروت، 1993).

= =: **الشّماريخ فِي علم التّاريخ**، تح: عبد الرّحمن حسن محمود (مكتبة الآداب، القاهرة).

الشّابشتي، علي بن مُحَمَّد (ت388هـ/ 998م): **الدّيارات**، تح: كوركيس عواد، (ط2، دار الرّائد الْعَرَبِيّ، بيروت 1986).

الشّافعي، مُحَمَّد بن إدريس المطلبي القرشي المَكّيّ (ت204هـ/ 820م): **مسند الشّافعي** (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت).

أَبُو شامَة، شهاب الدّين، عبد الرّحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/ 1267م): **عيون الرّوضتين فِي أخبار الدّولتين النّورية والصّلاحية**، 5ج (مُؤَسَّسَة الرّسالة، بيروت، 1997).

ابن شبَّة: النّميري البصري، أَبُو زيد (ت262هـ/ 876م) **تاريخ المدينة**، تحقيق: فهيم مُحَمَّد شلتوت (طبع حبيب محمود أحمد – جدة، 1399 هـ).

ابن شدَّاد، عز الدّين مُحَمَّد بن علي الحلبي (ت684هـ/ 1250م): **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشّام والجَزِيْرَة**، تحقيق: يحيى زَكَرِيَّا عَبَّارة، (منشورات وزارة الثّقافة بسوريا، 1991م).

الشّريف الرّضي (ت405هـ/ 1014م): **نهج البلاغة – خطب الإمام عليّ**، شرح : مُحَمَّد عبده، (دار الذّخائر، قم، ايران 1412هـ).

ابن شعبة الحرَّاني (ق4ه/10م): **تحف العقول عن آل الرسول**، (مُؤَسَّسَة النّشر الإِسْلَامِيّ، جماعة المدرسين، قم، لا. ت).

الشّهرستاني: مُحَمَّد بن عبد الكريم بن أحمد (ت548هـ/ 1153م): **الملل والنّحل**، (مُؤَسَّسَة الحلبي وشركاه للنشر، القاهرة).

الصّالحي، مُحَمَّد بن يوسف الشّامي (ت 942هـ/ 1535م): **سبل الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد**، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي مُحَمَّد معوض، (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت 1414 هـ /1993م).

الصّدوق، مُحَمَّد بن علي، ابو جعفر، بن بَابَوَيه القمي (ت381هـ/ 991م): **من لا يحضره الفقيه** (منشورات جماعة المدرسين، قم، إيران، لا. ت).

= = =: **الأمالي** (مؤسسة البعثة، قم، إيران، 1417هـ).

الطّبري مُحَمَّد بن جرير(ت310هـ/ 922م): **تاريخ الرّسل والملوك**، (دار التّراث، بيروت، لا. ت).

= = : **جامع البيان في تأويل القُرآن**، تحقيق : أحمد مُحَمَّد شاكر، 24 جزء، (مُؤَسَّسَة الرّسالة، لا مكان، 2000 م).

الطَّرطوشي، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الوليد الفهري (ت520هـ/ 1126م) **سراج الملوك** (أوائل المطبوعات الْعَرَبِيّة، مِصْرَ، 1872م).

ابن الطّقْطَقى، مُحَمَّد بن علي بن طباطبا (ت709هـ/ 1309م): **الفخري في الآداب السُّلْطَانِيَّة والدّول الإِسْلَاميّة**، تح: عبد القادر مُحَمَّد مايو(دار القلم الْعَرَبِيّ، بيروت 1997).

الطّوسي، مُحَمَّد بن الحسن (ت460هـ/ 1068م): **تهذيب الأحكام**، تح: حسن الخرسان (ط4، دار الكتب الإِسْلَاميّة، طهران).

= = =: **الخلاف**، (مُؤَسَّسَة النّشر الإِسْلَاميّ، قم 1407).

ابن عبد البِرّ، يوسف بن عبد الله، أَبُو عمر النّمري (ت463هـ/ 1071م): **الاستذكار** (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، 2000).

= = =: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، 4ج، تح: علي محمد البجاوي (دار الجيل، بيروت، 1412هـ/ 1992م).

= = **الدّرر في اختصار المغازي والسّير**، تح: شوقي ضيف (دار المعارف، القاهرة، 1403هـ).

ابن عبد الحَقّ البغدادي، عبد المؤمن، صفيّ الدّين القطيعي (ت739هـ/ 1338م): **مراصد الاطلاع عَلَى اسماء الامكنة والبقاع** (دار الجيل، بيروت، 1412هـ).

ابن عبد الحكم، عبد الرّحمن بن عبد الله (ت257هـ/ 871م): **فتوح مِصْرَ والمغرب** (مكتبة الثّقافة الدِّينِيَّة 1415هـ).

ابن عبد الحكم، عبد الله بن أعين المصري (ت 214هـ): **سيرة عمر بن عبد العزيز**، تح: أحمد عبيد، (عالم الكتب، بيروت، 1984).

عبد الرّزاق الصّنعاني، بن همام (211هـ/ 827م): **المصنف** (المجلس العلمي، الهند، المكتب الإِسْلَاميّ، بيروت، 1403).

ابن عبد ربه، أحمد بن مُحَمَّد الأندلسي (ت 328هـ/ 940م): **العقد الفريد**، (دار الكتب العِلْمِيَّة – بيروت، 1404 هـ).

عبد القادر البغدادي، أَبُو منصور (ت429هـ/ 1038م): **الفَرْقُ بين الفِرَق**، (ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1977) ص 28.

ابن العِبْري، غريغوريوس، أَبُو الفرج بن هارون الطّبيب الملطي (ت685هـ/ 1286م): **تاريخ مختصر الدّول**، تصحيح: الأب انطوان صالحاني اليسوعي(دار الرّائد اللبناني، بيروت،1983م).

أَبُو عُبيد، القاسم بن سلاّم الهروي البغدادي (ت 224هـ/ 838م): **الأموال**، تحقيق: خليل مُحَمَّد هراس، (دار الفكر. – بيروت، لا. ت).

= = **غريب الحديث**، تح: مُحَمَّد عبد المعيد خان، 4جزء، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدّكن، الهند، 1964م).

العجلوني، إسماعيل بن مُحَمَّد (ت1162هـ/ 1749م): **كشف الخفاء** (دار الكتب العِلْمِيَّة - بيروت، 1988م).

ابن عذاري المراكشي، أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد (ت 695هـ/ 1295م): **البيان المغرب فِي أخبار الأندلس والمغرب**، تح: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال (ط3، دار الثّقافة، بيروت 1983).

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ/ 1176م): **تاريخ دمشق**، تح: عمرو بن غرامة العمروي، (دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت، 1415هـ-1995م).

الغزالي، أَبُو حامد، مُحَمَّد بن مُحَمَّد (ت505هـ/ 1111م): **مقامات العلماء بَيْنَ يدي الخلفاء والامراء**، تح: مُحَمَّد حسن مُحَمَّد حسن، أحمد فريد المزيدي (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت 2003).

ابن فارسٍ، أحمد القزويني (ت395ه/ 1004مـ): **الصّاحبي في فقه اللُغَة الْعَرَبِيّة ومسائلها وسنن الْعَرَب في كلامها** (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت1997).

أَبُو الفداء عماد الدّين إسماعيل بن علي، صاحب حماة (ت 732هـ/ 1331م): **المختصر في أخبار البشر** (المطبعة الحسينية، القاهرة، لا. ت).

أَبُو الفرج الاصفهاني، علي بن الحسين (ت356هـ/ 967م): **الاغاني** (دار الفكر للطباعة والنّشر، بيروت).

ابن فرحون، برهان الدّين اليعمري (ت 799هـ/ 1397م) **تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام** (مكتبة الكليات الأزهرية، 1986م).

الفسوي، يعقوب بن سفيان(ت 277هـ/ 890م): **المعرفة والتّاريخ**، تح: أكرم ضياء العمري(مُؤَسَّسَة الرّسالة، بيروت1981).

ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت 749هـ/ 1349م): **مسالك الأبصار في ممالك الأَمْصَار** (المجمع الثّقافِيّ، أَبُو ظبي 1423هـ).

ابن الفقيه، أحمد بن مُحَمَّد بن إسحاق الهمداني (ت365هـ/976م): **البُلْدَانِ**، تح : يوسف الهادي، (عالم الكتب، بيروت، 1416هـ - 1996م).

ابن قتيبة، أَبُو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم الدّينوري (ت276هـ/ 889م): **المعارف**، تحقيق: ثروت عكاشة (الهيئة المَصْرية العَامّة للكتّاب، القاهرة 1992م).

قدامة بن جعفر، أَبُو الفرج البغدادي (ت337هـ/ 948م) : **الخراج وصناعة الكتّابة**، تح: مُحَمَّد حسين الزبيدي (دار الرّشيد، بغداد).

القزويني، زَكَرِيَّا بن مُحَمَّد بن محمود (ت682هـ/ 1283م): **آثار البلاد وأخبار العباد** (دار صادر، بيروت).

القسطلاني، أحمد بن مُحَمَّد المَصْري، (ت923هـ/ 1517م) **المواهب اللدنية بالمنح المُحَمَّدية** (المكتبة التّوفيقية، القاهرة).

القفطي، أَبُو الحسن عَلَى بن يوسف (ت646هـ/ 1248م): **إخبار العلماء بأخبار الحكماء**، مكتبة المتنبي، القاهرة، لا. ت).

القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت821هـ/ 1418م): **صبح الأعشى فِي صناعة الإنشاء**، 15 جزء (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت).

= : = **مآثر الإنافة فِي معالم الخِلَافَة**، تح: عبد السّتار أحمد فراج (مطبعة حكومة الكويت، الكويت 1985).

ابن قَيِّم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت 751هـ/ 1350م): **أحكام أهل الذمة**، 3 ج، تح: يوسف بن أحمد البكري، شاكر بن توفيق العاروري، (رمادى للنشر، الدمام، المملكة السعودية، 1418هـ/ 1997م)

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدّمشقي (ت774هـ/ 1372م): **السّيرة النّبَوِيّة**، تح: مصطفى عبد الواحد، (دار المعرفة للطباعة والنّشر، بيروت).

الكلاعي، سليمان بن موسى الحميري، (ت 634هـ/ 1237م): **الاكتفاء بِمَا تضمَّنه من مغازي رسول الله والثّلاثة الخلفاء**(دار الكتب العِلْمِيَّة - بيروت 1420هـ).

ماري بن سليمان (ق6هـ/ 12م) : **فطاركة كرسيّ المشرق** - من كتاب المجدل (طبعة رومية 1899م، مكتبة المثنى، بغداد).

مالك بن أنس الأصبحي (ت179هـ/ 795م): **المُدَوَّنَة** (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت 1994م).

الماوردي، علي بن مُحَمَّد البصري البغدادي(ت450هـ/ 1058م): **الأحكام السُّلْطَانِيَّة** (دار الحديث، القاهرة، لا. ت).

المُبَرّد، مُحَمَّد بن يزيد المبرد، أَبُو العباس (ت286هـ/899م): **الكامل فِي اللُغَة والأدب**، تح: مُحَمَّد أَبُو الفضل إِبْرَاهِيم، 4جزء (ط3، دار الفكر الْعَرَبِيّ، القاهرة، 1417 هـ - 1997 م).

المُتقي الهندي، علي بن حسام الدّين ابن قاضي خان القادري (ت975هـ/ 1568م): **كنز العمال فِي سنن الأقوال والأفعال**، (ط5، مُؤَسَّسَة الرّسالة، لا مكان، 1981).

المَرْوَزِي، مُحَمَّد بن نصر بن الحَجّاج (ت294هـ/ 906م) **السّنَّة**، تح: سالم أحمد السّلفي (مُؤَسَّسَة الكتب الثّقافِيّة - بيروت، 1408هـ).

المزِي، يوسف بن عبد الرّحمن (ت742هـ/ 1341م): **تهذيب الكمال فِي أسماء الرّجال**، تح: بشار عواد معروف، 35جزء، مُؤَسَّسَة الرّسالة، بيروت 1400هـ/ 1980م).

المسعودي علي بن الحسين (346هـ/ 957م): **التّنبيه والإشراف** (دار الصّاوي، القاهرة).

= = : **مروج الذّهب**، تحقيق: شارل بلا، (انتشارات الشّريف الرّضي، قم، 1422هـ).

مسكويه: أَبُو علي أحمد بن مُحَمَّد بن يعقوب (ت421هـ/ 1030م): **تجارب الأمم وتعاقُب الهِمَم**، تحقيق: أَبُو القاسم إمامي، (ط2، سروش، طهران، 2000م).

مسلم بن الحَجّاج، أَبُو الحسن القشيري النّيسابوري (ت261هـ/ 875م): **المسند الصّحيح**، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التّراث الْعَرَبِيّ، بيروت)، وطبعة (دار الفكر، بيروت).

المُطَرِّزِيّ، برهان الدين، أَبُو الفتح الخوارزمي (ت 610هـ): **المُغَرّب في ترتيب المُعَرَّب** (دار الكتّاب العربي، بيروت، لا. ت).

المُفيد، مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن النّعمان العكبري (ت413هـ/ 1022م): **المُقْنِعَة**، (مُؤَسَّسَة النّشر الإِسْلَاميّ، قم، لا. ت.).

المُقدسي: المطهر بن طاهر (ت 355هـ/ 966م): **البدء والتّاريخ**، 6ج (مكتبة الثّقافة الدِّينِيَّة، بور سعيد).

المَقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، (ت845هـ/ 1441م): **امتاع الأسماع بِمَا للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع**، تحقيق: مُحَمَّد عبد الحميد النّميسي، 15ج (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت، 1999م).

= = : **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، 4ج (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت 1418هـ).

المكي، العباس بن علي الحسين الموسوي (1180هـ/ 1766م): **نزهة الجليس و منية الأديب الأنيس**، (المطبعة الحيدرية، النّجف 1967).

المُلَّا الهُروي، علي بن مُحَمَّد، القاري (ت1014هـ/ 1605م) **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، (دار الفكر، بيروت، 1422هـ - 2002م).

ابن مَنْظور، مُحَمَّد بن مكرم بن عَلَى(ت711هـ/ 1311م): **مختصر تاريخ دمشق** (دار الفكر للطباعة والتّوزيع والنّشر، دمشق 1984).

ابن مَوْدود الموصلي، عبد الله بن محمود البلدحي الحنفي (ت 683هـ/ 1284م): **الاختيار لتعليل المختار**، 5 أجزاء (مطبعة الحلبي، القاهرة، 1937م).

ابن النّديم، مُحَمَّد بن اسحاق (ت385هـ/ 995هـ): **الفهرست**، تح: إِبْرَاهِيم رمضان، (دار المعرفة، بيروت، 1997).

نشوان بن سعيد الحميرى (ت573هـ): **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، (دار الفكر ، دمشق، 1999).

أَبُو نُعَيم، إسماعيل بن مُحَمَّد الأصبهاني، (ت535هـ/ 1141م) **دلائل النّبوة**، تح: مُحَمَّد مُحَمَّد الحداد، (دار طيبة، الرّياض، لا. ت).

ابن نُقطة، عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، ويعرف بابن اللّباد (ت629هـ/ 1231م): **الإفادة والاعتبار فِي الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مِصْرَ** (مطبعة وادي النّيل، القاهرة، 1286هـ).

النُّويري، أحمد بن عبد الوهاب بن مُحَمَّد (ت733هـ/1333م): **نهاية الأرب فِي فنون الأدب**(دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1423هـ).

ابن هُشام، عبد الملك الحِمْيري (ت213هـ/ 828م): **السّيرة النّبَوِيّة**، تح: مصطفى السّقا وإِبْرَاهِيم الأبياري وعبد الحفيظ الشّلبي (شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة 1375هـ - 1955م).

أَبُو هِلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت395هـ/ 1005م): **التلخيص في معرفة أسماء الأشياء**، تَحقيق: عزة حسن (ط2، دار طلاس للدراسات والنشر، دمشق، 1996م).

= = : **معجم الفروق اللغوية** (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم، إيران 1412هـ).

الهَمْداني، ابن الحائك، أَبُو مُحَمَّد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت334هـ/ 946م): **صفة جَزِيْرَة الْعَرَب**، تح: مُحَمَّد علي الأكوع (مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1990)ص240.

الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري، (ت 468هـ/ 1076): **أسباب نزول القرآن**، تح: عصام الحميدان، (ط2، دار الإصلاح، الدمام، المملكة السعودية، 1412هـ/ 1992م).

= = : **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ).

الواقِدي، مُحَمَّد بن عمر بن واقد (ت207هـ/ 822م): **المغازي**، تح: مارسدن جونس، (دار الأعلمي، بيروت 1989).

= = = **فتوح الشّام** (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت 1997م).

ابن الوَردي، عمر بن مظفر بن عمر (ت749هـ/ 1348م)،: **التّاريخ** (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت 1996م).

وَكِيع، مُحَمَّد بْنُ خَلَفِ البَغْدَادِيّ، (ت306هـ/ 918م): **أخبار القضاة**، تحقيق: عبد العزيز مصطفى المراغي (المكتبة التّجارية الكُبْرَى، بشارع مُحَمَّد علي بمَصْر 1947م).

ياقوت، شهاب الدّين بن عبد الله الرّومي الحموي (ت626هـ/ 1229م): **معجم الأدباء** (إرشاد الأريب إلَى معرفة الأديب) تح: إحسان عباس، (دار الغرب الإِسْلَامِيّ، بيروت، 1993).

= =: **معجم البُلْدَانِ**، (ط2، دار صادر، بيروت، 1995م).

اليحصبي، عياض بن موسى بن عياض السبتي، (ت544هـ): **مشارق الأنوار عَلَى صحاح الآثار**، (المكتبة العتيقة ودار التراث، لا بلد، لا زمان).

اليَعْقُوبِيّ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح (ت292هـ/ 905م): **البلدان** (دار الكتب العِلْمِيَّة، بيروت 1422هـ).

= = = : **تاريخ اليَعْقُوبِيّ** (دار صادر، بيروت، لا. ت).

أَبُو يوسف، يعقوب بن إِبْرَاهِيم الأنصاري (ت182هـ/ 798م): **الخراج**، تح: طه عبد الرّؤوف سعد، سعد حسن مُحَمَّد، (المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، لا. ت).

المصادر المترجمة:

أرسطوطاليس (ت322ق.م) : **كتاب الشّعر**، ترجمة: عبد الرّحمن بدوي، (مكتبة النّهضة المَصْرية، القاهرة 1953م).

توما أُسْقُف المرج (المرجي): **كتاب الرّؤساء**، ترجمة: الأَب أَلبير أبونا، (مطبعة ديانا، بغداد1990) و (المطبعة العصرية، الموصل، العِرَاق، 1966).

ابن العِبْري، أَبُو الفرج الملطي (ت685هـ/ 1286م): **التّاريخ الْكَنَسِيّ**، 1-2، ترجمة: المطران صليبا شمعون (دار المشرق الثّقافِيّة، دهوك، العِرَاق، 2012).

عدناح، ايشو، البصري (ق3ه/ 9م): **الدّيورة فِي مملكتي الفرس والْعَرَب**، ترجمة: القس بولس شيخو، (مطبعة النّجم، الموصل، العِرَاق 1939).

فرماج، بطرس اليسوعي: **مروج الأخيار في تراجم الأبرار** (مطبعة الأباء المرسلين، بيروت، 1880م).

مِيخَائِيل، مار السّرْيانِيّ الكبير (ت595هـ/ 1199م): **التّاريخ**، 3ج، ترجمة: مار غريغوريوس صليبا شمعون (التّراث السّرْيانِيّ، متروبوليت، حلب، سُورِيَة 1996م).

يوحنا النيقوسي: **تاريخ العالم القديم ودخول العرب مصر**، ترجمة: بيشوى عبد المسيح (لا.ط، لا.م).

ثانيا- المراجع

المراجع بالْعَرَبِيّة:

الألوسي محمود شكري البغدادي (1343هـ/ 1924م): **بلوغ الأرب فِي معرفة أحوال الْعَرَب**، تحقيق: مُحَمَّد بهجة الأثري، (دار الكتاب المَصْري، القاهرة، لا. ت).

إِبْرَاهِيم: فاضل خليل: **خَالِد بن يزيد سيرته واهتماماته العِلْمِيَّة** " دراسة فِي العلوم عِنْدَ الْعَرَب " (دار الْحُرِّيَّة للطباعة، بغداد، ١٩٨٤).

إِبْرَاهِيم، غريغوريوس يوحنا: **المراكز الثّقافِيّة السّريانية**، (دار ماردين للنشر، حلب 1997م).

أبونا، ألبير (الأب): **تاريخ الكَنِيسَة الشَّرْقِيَّة** (ط2، بغداد، 1985).

= = =: **ديارات العِرَاق**،(د.ط، بغداد : 2006م).

= =: **أدب اللُغَة الآرامية**، بيروت 1971، ط2 بيروت 1995.

أرملة، اسحق الخوري السّرْيانِيّ، القس: **أنباء الزمان فِي جثالقة المشرق ومفارنة السّريان**، (بيروت، 1920).

الأسد، ناصر الدّين، **مصادر الشّعر الجاهلِيّ**، (ط7، دار المعارف، القاهرة، 1988).

اسكندر، فايز نجيب: **المسلمون و البيزنطيون و الأرمن في ضوء كتابات المؤرخ الأرمني سبيوس**، (دار الحكمة اليمانية، صنعاء، 1993).

أمين، أحمد: **فجر الإِسْلَام** (ط10، دار الكتاب الْعَرَبِيّ، بيروت 1969م).

= = : **ضحى الإِسْلَام**،(ط3، دار الكتاب الْعَرَبِيّ، بيروت).

الأنبا الأرثوذكسي: **كتاب العذراء مَرْيَم، حياتها، رموزها وألقابها، فضائلها، تكريمها** (القاهرة، رقم ايداع 2005/14357).

أيوب، سعيد: **معالم الفتن** (مجمع احياء الثّقافة الإِسْلَاميّة، قم، 1416هـ).

بابو اسحاق، روفائيل: **تاريخ نَصَارَى العِرَاق** (مطبعة المنصور، بغداد، 1948).

= = : **أحوال نَصَارَى بغداد**، (مطبعة شفيق بغداد 1960م).

بدوي، عبد الرّحمن: **موسوعة المستشرقين**، (دار العلم للملايين، بيروت، 1993م).

= = : **التّراث اليُونانِيّ فِي الحضارة الإِسْلَاميّة**- دراسات لكبار المستشرقين (مكتبة النّهضة المَصْرية، 1940).

برو، توفيق: **تاريخ الْعَرَب القديم** (ط2، دار الفكر، بيروت، 1422هـ/ 2001م).

بسيوني، محمود شريف، **الوثائق الدّوْلِيّة المعنية بحقوق الإنسان**، ج2، (دار الشّروق، القاهرة، 2003).

بلحاج، سلوى العايب: **المسيحية العربية وتطوراتها**- من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، (ط2، دار الطليعة، بيروت، 1998).

البناء، جورج: **الموسوعة الكلدانية، سلسلة بَطَارِكَة الكلدان** (دار فينوس للطباعة والنّشر، 2002).

جعيط، هشام: **تاريخيّة الدّعوة المُحَمَّدية فِي مَكّة** (دار الطّليعة للطباعة، بيروت 2007).

= = : **الوحي والقرآن والنّبوة** (ط2، دار الطّليعة للطباعة والنّشر، بيروت، 2000).

الجمري، منصور: **مداخلات فِي الفكر والسّياسة**، (دار الوسط للنشر والتّوزيع، البحرين، 2008م).

الجمل، أحمد مُحَمَّد عَلَى: **أثر جهود السّريان عَلَى الحضارة الْعَرَبِيّة الإِسْلَاميّة** (كلية اللغات والتّرجمة ـ جامعة الأزهر، القاهرة 2005م).

الحداد، يوسف دُرَّة: **القرآن دعوة نصرانية** (ط2، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، 1986).

الحربي، عاتق بن غيث: **معجم المعالم الجُغْرَافِيَّة فِي السّيرة النّبَوِيّة** (دار مكّة للنشر والتّوزيع، السّعودية).

حسين، طه: **في الأدب الجاهلي**، (ط3، مطبعة محمد عبد الرحمن، القاهرة،1933).

الحمد، مُحَمَّد عبد الحميد: **التّوحيد والتّثليث فِي حوار الْمَسِيحِيّة والإِسْلَام**، (دار الأوائل. دمشق2003.

حميد الله، مُحَمَّد الحيدرآبادي الهندي (ت1424هـ): **مجموعة الوثائق السِّيَاسِيَّة للعهد النّبَوِيّ والخلافة الرّاشدة** (ط6، دار النّفائس، بيروت، 1407هـ).

الخضري، حنا جرجس، القس: **تاريخ الفكر الْمَسِيحِيّ**، (دار الثّقافة، القاهرة، 1994).

خلاف، عبد الوهاب (ت1375هـ): **السّياسة الشّرعية فِي الشّئون الدّستورية والخارجية والْمَالِيَّة**، (دار القلم، لا مكان، 1988).

خليل، حلمي: **المولّد فِي الْعَرَبِيّة** (دار النّهضة الْعَرَبِيّة، بيروت 1405).

خماش، نجدت: **الشام في صدر الإسلام**، (دار طلاس للترجمة والنشر، دمشق، 1987).

الدّبس، يوسف، (المطران): (ت 1907) **تاريخ سوريا الدّينِيّ والدّنيوي**، 5ج (دار نظير عبود، بيروت، لا. ت).

= = = **الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل** (بيروت، المطبعة العمومية الكاثوليكية، 1905)

الدّقس، كامل: **الدّولة الإِسْلَاميّة**، (دار الأرقام، عمان 1993م).

الدّوري، عبد العزيز: **مقدمة فِي تاريخ صدر الإِسْلَام** (مطبعة المعارف، بغداد، 1960).

رستم، أسد: **كَنِيسَة مدينة الله أَنْطَاكِيَة العظمى**، 3 جزء، (المكتبة البولسية، بيروت، 1988).

رشدي، زاكية: **السّرْيانِيّة نحوها وصرفها**، (ط2، دار الثّقافة للطباعة والنّشر، القاهرة 1978م).

رضا، أحمد: **مولد اللُّغَة** (دار الرّائد الْعَرَبِيّ، بيروت 1983م).

رضا، محمد رشيد (1354هـ/ 1935م): **تفسير المنار**، 12ج، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1990).

أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى (ت 1394هـ/ 1974م): **زهرة التفاسير**، 10أجزاء، (دار الفكر العربي، بيروت، لا. ت).

زيات، حبيب: **الدّيارات النّصْرَانِيَّة فِي الإِسْلَام** (ط4، دارالمشرق، بيروت 2010).

زيدان، جورجي: **تاريخ العرب قبل الإسلام**، مراجعة: حسين مؤنس، (ط3، دار الهلال، القاهرة، لا. ت).

زيدان، عبد الكريم: **أحكام الذِّمِّيّين والمستأمنين فِي دار الإِسْلَام** (مكتبة القدس، مُؤَسَّسَة الرّسالة، بيروت 1982).

سابق، سيد: **فقه السنة** (ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، 1977).

السّالم، السّيد عبد العزيز: **تاريخ الدّولة الْعَرَبِيّة** (دار النّهضة الْعَرَبِيّة، بيروت، د.ت).

سحاب، فكتور: **الْعَرَب وتاريخ المسألة الْمَسِيحِيّة**، (دار الوحدة للطباعة والنّشر، بيروت 1986).

سحمراني، أسعد: **الإِسْلَام بَيْنَ المذاهب والأَدْيَان**، (دار النّفائس، بيروت، 1992).

سعد الدّين، مُحَمَّد منير: **العيش المُشْتَرَك الإِسْلَاميّ الْمَسِيحِيّ فِي ظِلّ الدّولة الإِسْلَاميّة**، (المكتبة البولسية، جونية، 2001).

السّعدون، مانع: الْمَسِيحِيّة - **العقيدة والمذاهب والتّاريخ** (دار الينابيع، دمشق 2010).

سعيد، جودت: **كن كابن آدم** (دار الفكر، دمشق 1997).

السّقاف، عَلوي بن عبد القادر، ومجموعة من الباحثين: **الموسوعة التّاريخيّة** (الدّرر السّنية، dorar.net).

السلامي، شافية حداد: **نظرة العرب الى الشعوب المغلوبة من الفتح الى القرن الثالث** (دار الانتشار العربي، بيروت، 2009).

السّمعاني، بولس، الموفسنيور: **تاريخ الآداب السّرْيانِيّة**، 4ج (مطبعة المرسلين اللبنانيين، بيروت 1936)

سمير عبده: **السّريان قديماً وحديثاً** (دار الشّروق للنشر والتّوزيع، عمّان 1997).

الشّاهد، السّيد مُحَمَّد: **حوار الْمَسِيحِيّة والإِسْلَام- فِي كتاب الْمَسِيحِيّة وديانات العالم لـ: هانس كونج، وجوزيف فان إس** (المُؤَسَّسَة الجامعية للدراسات والنّشر، بيروت، 1994)

الشّحات السّيد زغلول: **السّريان والحضارة الإِسْلَاميّة** (الهيئة المَصْرية العَامّة للكتاب، الإسكندريَّة، 1975).

الشّلبي، أحمد: **مقارنة الأَدْيَان** (مكتبة النّهضة المَصْرية، القاهرة، 1988)

الشيبي، كامل مصطفى: **الصلة بين التصوف والتشيع**، 2ج (ط3، دار الأندلس، بيروت، 1982).

الشيخ، حسين: **الرومان**، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، 1989).

شيخو، لويس، رزق الله بن يوسف بن عبد الْمَسِيح (ت 1346هـ/ 1928م) :**شعراء النّصْرَانِيَّة قَبْلَ الإِسْلَام** (ط4، دار المشرق، بيروت1991).

= =: **شعراء النّصْرَانِيَّة بَعْدَ الإِسْلَام** (مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، بيروت 1890م).

= =: **مجاني الأدب فِي حدائق الْعَرَب** (مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1913م).

= =: **المخطوطات الْعَرَبِيّة لكتبة النّصْرَانِيَّة** (ط2، دار المشرق، بيروت، 2000).

= =: **النّصْرَانِيَّة وآدابها بَيْنَ عرب الجاهلِيّة** (دار المشرق، بيروت 1989).

شير، ادي، رئيس أَسَاقِفَة سعرد الكلداني: **كلد و آثور**، 2ج، (نشر الشّماس يوسف دخلو، لا مكان الطّبع، لا. ت).

شير، السّيد ادّي: **معجم الألفاظ الفارسيَّة المعربة**، (مكتبة لبنان، بيروت 1990).

الصّلاَّبي، عَلِي مُحَمَّد: **الدّولة الأُمَوِيّة عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**،(دار المعرفة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، 2008).

= =: **السّيرة النّبَوِيّة- عرض وقائع وتحليل أحداث**، (ط7، دار المعرفة للطباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت 1429 هـ - 2008 م).

= =: **معاوية بن أبي سفيان-شخصيته وعصره**، (دار الأندلس الجديدة للنشر، القاهرة 2008).

صليبا بن يوحنان: **أخبار بَطَارِكَة كرسي المشرق** [المجدل]، (روما، 1896).

الطّباطبائي، مُحَمَّد الحسين: **الميزان فِي تفسير القُرْآن**، (منشورات جماعة المدرسين، قم، ايران).

طرازي، فيليب دي: **عصر السريان الذهبي** (مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،2012).

طقوش، مُحَمَّد سهيل: **تاريخ الخلفاء الرّاشِدِين الْفُتُوحات والإنجازات السِّيَاسِيَّة** (دار النّفائس 2003م).

طيارة، عفيف: **روح الدّين الإِسْلَامِيّ**، (دار العلم للملايين، بيروت 1980).

ضيف، شوقي: **تاريخ الأدب العَرَبِيّ العصر الجاهلي**، (ط22، دار المعارف، القاهرة، لا.ت).

= = **الفن ومذاهبه فِي الشّعر الْعَرَبِيّ** (ط12، دار المعارف، القاهرة، لا. ت).

عبد التّواب، رمضان (ت 1422هـ): **بحوث ومقالات فِي اللُّغَة**، (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1995).

= = : **المدخل إِلَى علم اللُّغَة ومناهج البحث اللُّغَوِيَّ** (ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م).

عبد الحميد، عرفان: **النّصْرَانِيَّة- نشأتها التّاريخيّة وأصول عقائدها** (دار عمار، عمّان، 2000م).

عبد ربه، عبد الحافظ: **فلسفة الجهاد في الإسلام** (دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972).

عبد العزيز، مُحَمَّد حسن: **التّعريب فِي القديم والحديث**، (دار الفكر الْعَرَبِيّ، القاهرة).

عبد اللطيف، عبد الشّافي مُحَمَّد: **السّيرة النّبَوِيّة والتّاريخ الإِسْلَامِيّ**، (دار السّلام، القاهرة 1428هـ).

عبد المنعم، محمود عبد الرّحمن: **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، (دار الفضيلة، القاهرة، لا. ت).

أَبُو عبية، طه عبد المقصود عبد الحميد: **الحضارة الإِسْلَاميّة : نشاتها فِي المشرق - انتقالها إِلَى الأندلس - دعم الأندلسيين لها - تاثيرها عَلَى اوربا** (دار الكتب العِلْمِيَّة، لا مكان، 2004).

= = : **موجز عَنْ الْفُتُوحات الإِسْلَاميّة**،(دار النّشر للجامعات، القاهرة).

العدوي، إِبْرَاهِيم احمد: **الأُمَوِيّون والبِيْزَنْطيون**،(ط2، الدّار القومية للطباعة والنّشر، القاهرة، 1963م).

الْعَرَبِيّ، مُحَمَّد ممدوح: **دولة الرّسول فِي المدينة** (الهيئة المَصْرية العَامّة للكتّاب، القاهرة،1988م).

العسيري، أحمد معمور: **موجز التّاريخ الإِسْلَاميّ من عهد آدم إِلَى عصرنا الحاضر** (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرّياض).

العش، يوسف، الدّكتور: **الدّولة الأُمَوِيّة- والاحداث الَّتِي سبقتها ومهدت لها**،(دار الفكر للطباعة والتّوزيع، دمشق 1992).

العقيقي، نجيب: **الاستشراق و المستشرقون** (ط5، دار المعارف، القاهرة، 2006م).

العقيلي، عمر سليمان: **خِلَافَة معاوية**، (طبعة الرّياض، 1404هـ).

علي، جواد: **المُفصَّل فِي تاريخ الْعَرَب قَبْلَ الإِسْلَام**، 20 جزء، (ط4، دار السّاقي، بيروت 1422هـ/ 2001م).

عمارة، مُحَمَّد: **قاموس المصطلحات الاقتصاديّة فِي الإِسْلَام**،(دار الشّروق، بيروت، 1993م).

العمري، أكرم ضياء: **المجتمع المدني في عهد النبوة**،(المجلس العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة السعودية، 1983).

عون، مشير باسيل: **الفكر الْعَرَبِيّ الدّينِيّ الْمَسِيحِيّ** (دار الطّليعة، بيروت، 2007).

عيتاني، حسام: **الفتوحات العربية في رواية المغلوبين**، (دار الساقي، لندن- بيروت، 2011م).

الغزالي، مُحَمَّد السّقا (ت 1416هـ): **فقه السّيرة**، (دار القلم - دمشق1427 هـ).

فتح الله، أحمد، **معجم ألفاظ الفقه الجعفري**، (مطابع المدوخل، الدّمام، 1415 - 1995 م).

فياض، نبيل: **النصارى، تاريخهم وعقائدهم** (دمشق، 1997م).

الفيومي، مُحَمَّد إِبْرَاهِيم: **تاريخ الفكر الدّينِيّ الجاهِلِيّ** (ط4، دار الفكر الْعَرَبِيّ، بيروت 1994).

ابن قاسم، عبد الرّحمن بن مُحَمَّد النّجدي (ت1392هـ)، **الإحكام في شرح أصول الأحكام** (ط2، لا ناشر، 1406هـ).

قاشَا، سهيل، الأب: **احوال النَّصَارَى فِي خِلَافَة بني أمية**، (مركز التّراث الْعَرَبِيّ الْمَسِيحِيّ، بيروت 2005م).

قُرَم، جورج: **تعَدّد الأَدْيَان وأنظمة الحكم** (دار النّهار للنشر، بيروت، 1993).

قلعجي، مُحَمَّد: **معجم لغة الفقهاء** (ط2، دار النّفائس للطباعة والنّشر، بيروت 1988/1408 م).

القمص، الشّماس منسي: **تاريخ الكَنِيسَة القبطِيَّة** (مطبعة اليقظة، القاهرة، 1924).

قَنَواتِي، جورج شَحاتة: **تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط**، (دار أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، 1996م).

= = : **الْمَسِيحِيّة والحضارة الْعَرَبِيّة** (المُؤَسَّسَة الْعَرَبِيّة للدراسات والنّشر، بيروت، لا. ت).

قيس الكَلْبي: **حقيقة مُحَمَّد فِي التّوراة والإِنْجِيل** (المُؤَسَّسَة الثّقافِيّة الإِسْلَاميّة الأمريكية، كاليفورنيا، أميركا 2011).

كرومي، سامي نوح: **مقالات فِي التّاريخ السّرْيانِيّ**، (منتدى اللغات السّامية، جامعة حلب، 2010).

مؤنس، حسين: **دراسات فِي السّيرة النّبَوِيّة**، (الزهراء للإعلام الْعَرَبِيّ، القاهرة 1985م).

مختار، أحمد، عبد الحميد: **البحث اللُغَوِيَّ عِنْدَ الْعَرَب** (ط8،عالم الكتب، بيروت، 2003).

مصطفى، مسلم: **معالم قرآنية فِي الصّراع مَعَ اليهود**، دار القلم دمشق1420هـ - 1999).

مراد، كامل، مُحَمَّد حمدي البكري، زكية مُحَمَّد رشدي: **تاريخ الأدب السّرْيانِيّ** (دار الثّقافة والنّشر، القاهرة، 1987).

مسرَّة، أنطوان: **النّظرية العَامّة فِي النّظام الدّستوري اللبناني- أبحاث مقارنة فِي انظمة المشاركة**، (المكتبة الشَّرْقِيَّة، بيروت، 2005).

مغنيّة، محمّد جواد: **التّفسير الكاشف** (دار العلم للملايين، بيروت، 1968).

المُنتظري: **دراسات فِي ولاية الفقيه وفقه الدّولة الإِسْلَاميّة**، (منشورات المركز العالمي للدراسات الإِسْلَاميّة، قم، 1411).

مهران، مُحَمَّد بيومى: **دراسات فِي تاريخ الْعَرَب القديم** (ط2، دار المعرفة الجامعية، لامكان).

الموسوعة الفقهية الكويتية، اصدار: وزارة الأوقاف والشّئون الإِسْلَاميّة الكويتية (ط2، دار السّلاسل، الكويت، من 1404- 1427هـ).

النّاصري، أحمد بن خَالِد بن مُحَمَّد (ت1315هـ): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،** تح: جعفر النّاصري/ مُحَمَّد النّاصري، (دار الكتّاب، الدّار البيضاء، د.ت).

النبهاني، تقي الدين: **نظام الحكم في الإسلام،** (منشورات حزب التحرير، القدس، 1959).

نجم، بيار، ر.م.م. : **مريم العذراء في فكر القديس أفرام السرياني** (ت373م)، (منشورات جامعة سيدة لويزة، بيروت، 2004).

النّشار، علي سامي: **مناهج البحث عِنْدَ مفكري الإِسْلَام،**(دار النّهضة الْعَرَبِيّة، القاهرة، 1984).

نصري، بطرس بن جرجس الكلداني : **ذخيرة الاذهان فِي تواريخ المشارقة والمغاربة السّريان** (مطبعة دير الآباء الدّومنكيين، الموصل).

نعمان، بولس ، وآخرون: **المارونية في أمسها وغدها،** (منشورات دير سيدة النصر، غوسطا، لبنان، 1997).

وافي، علي عبدالواحد: **الأسفار المقدسة فِي الأَدْيَان السّابقة للإِسْلَام** (مكتبة نهضة مِصْرَ، القاهرة 1964م).

يعقوب، أحمد حسين: **الخطط السِّيَاسِيَّة لتوحيد الامة الإِسْلَاميّة**، (ط2، دار الفجر - لندن، 1415هـ).

يعقوب، اغناطيوس الثّالثّ: **الشّهداء الحميريون الْعَرَب فِي الوثائق السّرْيانِيّة**، (المجلة البِطْرِيكية، دمشق، 1966) ص23 وبعدها.

المراجع المترجمة:

آركون، مُحَمَّد: **العلمنة والدين- الإسلام المسيحية العرب**، ترجمة: هاشم صالح (دار الساقي، بيروت، 1996م) .

= = : **نحو تاريخ مقارن للأَدْيَان التّوحيدية**، ترجمة: هاشم صالح (دار السّاقي، بيروت، 2011).

أ. س. ترتون، **أهل الذِّمَّة فِي الإِسْلَام**، ترجمة: حسن حبش، (مكتبة الأسرة،1994).

أوليري. دي. لاس: **مسالك الثّقافة الإغريقية إِلَى الْعَرَب**، ترجمة: تمام حسان (مكتبة الانجلو المَصْرية، مطبعة الرّسالة، القاهرة).

= = : **الفكر الْعَرَبِيّ ومركزه فِي التّاريخ**، ترجمة إسماعيل البيطار، (دار الكتاب. اللبناني، بيروت، 1972). **الفكر العربي ومكانه في التاريخ**، ترجمة: تمام حسان (مكتبة الأسرة، القاهرة 2007م.).

بابادوبولس، خريسوستموس: **تاريخ كَنِيسَة أَنْطَاكِيَةَ**، ترجمة: استفانوس حداد (منشورات النّور، لا مكان، 1984).

بارتولد، ف. ف (1869-1930م): **تاريخ الحضارة الإِسْلَاميّة**، ترجمة: حمزة طاهر، (مُؤَسَّسَة المعارف للطباعة والنّشر، 1983).

بوسِه، هيربرت Herbert Walker Bush : **أسس الحوار في القُرآن الكريم**، ترجمة: أحمد محمود هويدي (المركز الأعلى للثقافة، القاهرة 2005).

بينز، نورمان: **الإمبراطورية البيزنطية**، ترجمة: حسين مؤنس، ومحمود يوسف زايد، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1950م).

تاريخ مصر ليوحنا النيقوسي، رؤية قبطية للفتح الإسلامي، ترجمة: عمر صابر عبد الجليل (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2003).

توفيقي، حسين: **دروس في تاريخ الأديان**، ترجمة: أنور الرصافي (منشورات جامعة المصطفى، قم، إيران 1430هـ).

توماس، سير أرنولد: **الدّعوة إلَى الإِسْلَام**، ترجمة: حسن إِبْرَاهِيم حسن، عبد المجيد عابدين، اسماعيل النّجراوي (مكتبة النّهضة المَصْرية، القاهرة، 1971).

الثعالبي، عبد العزيز: **روح التحرر في القرآن**، ترجمة: سيزار بن عطّار (دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1985).

جرونبوم، جوستاف فون (1909-1972م): **حضارة الإِسْلَام**، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، عبد الحميد العباديّ (الهيئة المَصْرية العَامّة للكتاب، القاهرة، 1997م).

جعيط، هشام: **الفتنة، جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر**، ترجمة: خليل أحمد خليل (ط4، دار الطليعة، بيروت، 2000).

جورافسكي، أليكسي: **الإِسْلَام والْمَسِيحِيّة، ترجمة: خلف مُحَمَّد الجراد**، (سلسلة عالم المعرفة 215، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، 1996).

جولدتسيهر، اجناس: **العقيدة والشريعة في الإسلام**، تعريب: محمد يوسف موسى، علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق، (دار الكتب الحديثة، مصر- مكتبة المثنى، بغداد).

جيبون، إدوارد، (1737-1794): **اضمحلال الدّولة الرّومانية وسقوطها**، ترجمة: مُحَمَّد علي أَبُو ريدة (دار الكاتب الْعَرَبِيّ، القاهرة 1969).

حتي، فيليب: **تاريخ سُورِيَةَ ولبنان وفلسطين**، ترجمة: جورج حداد، عبد الكريم رافق (ط2، دار الثّقافة، بيروت، 1957).

دوزِي، رينهارت بيتر آن (ت 1300هـ/ 1883م): **تكملة المعاجم الْعَرَبِيّة**، ترجمة: مُحَمَّد سَليم النّعَيمي: جـ 1- 8، جمال الخياط: جـ 9، 10 (وزارة الثّقافة والإعلام، بغداد، 1979- 2000م) .

دوسلييه، آلان: **مسيحيو الشرق والإسلام في العصر الوسيط**، ترجمة رشا صباغ ورندة بعث (دار الساقي، بيروت، 2010).

ديموميين، موريس غود فروا: **النّظم الإِسْلَامِيّة**، ترجمة: صالح الشّماع (مطبعة الزهراء، بغداد 1952م).

ديورانت، ول (1885-1981): **قصة الحضارة**، ترجمة : مُحَمَّد بدران (دار الجيل للطباعة، بيروت).

رنسيمان، ستيفن: **الحضارة**، ترجمة: عبد العزيز توفيق، (مكتبة الهيئة المصرية، القاهرة، 1961م).

روزنثال، فرانز: **علم التاريخ عند المسلمين**، ترجمة: صالح أحمد العلي (ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت 1983).

ريسلر، جاك: **الحضارة الْعَرَبِيّة**، تعريب: خليل أحمد خليل (منشورات عويدات، بيروت-باريس، 1993).

عطية، عزيز سوريال: **تاريخ الْمَسِيحِيّة الشَّرْقِيَّة**، ترجمة اسحاق عبيد، (المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2005).

أبو زيد، سركيس: **المسيحية في إيران** (مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، 2008).

سوريديل، د، ج : **معجم الإسلام التاريخي**، ترجمة: أ. الحكيم (الدار اللبنانية للنشر الجامعي، بيروت، 2009).

شاي، جان دي ، بلو، ريموند: **دليل حضارات الشرق الأدنى القديم**، ترجمة: سها الطريحي (دار الجواهري، بغداد 2013م).

العودات، حسين: **الْعَرَب النَّصَارَى** (الأهالي للطباعة والنّشر، دمشق 1992).

فانتاجو، ماكس Vintajoux Max: **المعجزة الْعَرَبِيّة**، ترجمة: رمضان لاوند،(دار الكشاف، بيروت 1954م).

فايرستون، روبن: **ذرية ابراهيم**، مقدمة عن اليهودية للمسلمين، ترجمة: إبراهيم بن عبد الغني (نشر معهد هاريت وروبرت للتفاهم الدولي بين الأديان، اللجنة اليهودية الإمريكية، لا.ط، لا.ت).

فلهاوزن، يوليوس: **تاريخ الدّولة الْعَرَبِيّة من ظهور الإِسْلَام إِلَى نهاية الدّولة الأُمَوِيّة**، ترجمة: مُحَمَّد عبد الهادي أَبُو ريدة، (لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، 1968).

فيزهوفر، يُزِف: **فارس القديمة (550 ق.م- 650م)**، ترجمة: محمد جديد (قدموس للنشر والتوزيع، دمشق، 2009).

فيليب فارج، يوسف كرباج: **الْمَسِيحِيّون واليهود فِي التّاريخ الإِسْلَامِيّ الْعَرَبِيّ والتّركي**، ترجمة: بشير السّباعي، (سينا للنشر، القاهرة، 1994).

كبريلي، فرانشيسكو Francesco Gabrieli: **محمد والفتوحات الإسلامية**، ترجمة: عبد الجبار ناجي، (منشورات الجمل، بيروت- بغداد 2011).

كرون، باتريشيا؛ كوك، مايكل: **الهاجريّون**، دراسة في المرحلة التكوينيّة للإسلام، ترجمة: نبيل فياض (المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت).

كولن، محمد فتح الله: **روح الجهاد وحقيقته في الاسلام**، ترجمة: احسان قاسم الصالحي (ط5، دار النيل للطباعة والنشر، 2008).

كيغي، ولتر: **بيزنطة والفتوحات الإسلامية**، ترجمة نيقولا زيادة (ط2، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، 2003).

ليجيه، دانيال هيرفيه، و ويلام، جون بول، **سوسيولوجيا الدين**، ترجمة: درويش الحلوجي، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005).

موسى، متي: **الموارنة في التاريخ**، (المؤسسة الأمريكية للدراسات السريانية).

مونتجمري، ويليام، وات: **مُحَمَّد فِي مَكّة**، ترجمه: عبد الرّحمن عبد الله الشّيخ، تعليق: أحمد الشّلبي (الهيأة المَصْرية العَامّة للكتاب، القاهرة، 1415هـ).

نولدكة، تيودور: **تاريخ القرآن**، ترجمة: جورج تامر، (منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، بغداد، 2008).

همان، أدلبيرت- ج.: **دليل إلَى قراءة آباء الكَنِيسَة**، ترجمه: الاب صبحي حمودي اليسوعي (دار المشرق، بيروت،2002).

هورفتش، يوسف: **المغازي الأولى ومؤلفوها**، ترجمة: حسين نصار (مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة 1949).

الوردي، علي: **دراسة في سوسيولوجيا الإسلام**، دار الوراق، بيروت، 2013.

ويلز. هـ. ج: **موجز تاريخ العالم**، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، (مكتبة النّهضة المَصْرية، مطبعة السّعادة، القاهرة، 1967).

المراجع بالانكليزية والفرنسية

Cyril Glasse, **The Concise Encyclopedia of Islam**, (San Francisco: Harper and Row, 1989), pp. 209-10، الموسوعة المختصرة للإسلام .

E. Von. Grunebaum:" **the Nature of the Arab Unity before Islam** (X **Arabica**،1963).

Ira M. Lapidus: **A History of Islamic Societies**, Cambridge University Press

John Binns :**Ascetics and ambassadors of the Christ**, monasteries of Palestine (314-631).

(الزاهدون وسفراء الْمَسِيح وأَدْيِرَة فلسطين)

Le christianisme dans Lempire perse sous Dynastie ،Labourt، (J) sassanide: (224- 236)

O'leary, "Delacy D.D.", **Arabia Before Muhammad**, London, 1927

Robins, R.H, **General Linguistics: An Introductory Survey**, Second edition, London: Longman, 1971.

الرّسائل والأطاريح الجامعية:

حسين، نبيل فتحي: **تَنَوُّع مكونات المُجْتَمَع الإِسْلَاميّ وأثره فِي تدوين المعارف الْعَرَبِيّة الإِسْلَاميّة فِي القرون الهِجْرِيّة الأربعة الأولى)** دراسة فِي كتاب الفهرست لابن النّديم (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التّربية، جامعة الموصل ٢٠٠٧.

السّامرائي، عبد الجبار محسن عباس: **الإصلاحات الْمَالِيَّة والتّنظيمات الإِدَارَية فِي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان** : 65- 86هـ/ 648- 705م، جامعة بغداد، 1988، رسالة ماجستير، ص134.

البحوث والمقالات:

أرملة، اسحق الخوري السّرْيانِيّ: "فِي البِطْرِيكية الأَنْطَاكِيَّةِ"، *مجلة المشرق، العدد21، 1923 ، ص494-507.*

= = =: "جثالقة المشرق ومفارنة السّريان"، *منتدى أَبرَشِيَّة حلب للسريان*، /http://syrcata.org

= = : "الملكيون- بِطْرِيكيتهم الانطاكيّة، ولغتهم الوطنية والطَقْسِيّة"، *مجلة المشرق، المجلد 34، 1936، ج1/37-66.*

بدر الدّين، عبد الرّحمن: "قِنَّسْرين أَوْ عش النّسور"، *مجلة التّراث الْعَرَبِيّ، العدد ٩٨*، جمادى الأول ١٤٢٦ هـ/ حزيران ٢٠٠٥، السّنة الخامسة والعشرون (اتحاد الكتّاب الْعَرَب، دمشق.

بسترس، كيرلس سليم: "المطران سليم غزال وتقليد كَنِيسَة الرّوم الملكيين الكاثوليك فِي الحوار الْمَسِيحِيّ الإِسْلَامِيّ، *سلسلة دراسات ووثائق إِسْلَامِيّة مَسِيحِيّة، رقم 14، كلية العلوم الدِّينِيَّة، جامعة القديس يوسف- بيروت، 2013*، ص41- 52.

بلاسي، مُحَمَّد السَّيد: "اللُغَة الْعَرَبِيّة بَيْنَ التّأثر والتّأثير"، *مجلة اللسان الْعَرَبِيّ، العدد 34*، 1410- 1990.

البوصي، مُحَمَّد سعيد رمضان: "فِي الفهم الاِجْتِمَاعِيّ والسِيَاسِيّ المُشْتَرَك"، *مجلة التَّسَامُح، العدد 18*، وزارة الأوقاف والشّؤون الدِّينِيَّة، سلطنة عمان.

جرادي، شفيق:"الحوار الإِسْلَاميّ الْمَسِيحِيّ: التّحديات والفرص"، موقع *ابونا*، يصدر عَنْ المركز الكاثوليكي للدراسات والاعلام.12/06/2012

الجمري، حسين مُحَمَّد حسين: "البحرين فِي القَرْن السّابع (4)... تمرد بيت قطرايا"، *صحيفة الوسط البحرينية - العدد 3065* - الخميس 27 يناير 2011م.

= = = "البحرين فِي القَرْن السّابع (5): استقلال بيت قطرايا"، *صحيفة الوسط البحرينية، العدد 3072* ، الخميس 03 فبراير 2011م.

الجمل أحمد مُحَمَّد علي: "أقسام الكَلَام السّرْيانِيّ"، موقع *عَلَى الانترنيت* algamal63.arabblogs.com

= =: "القُرآن ولغة السّريان"، *بحث منشور فِي مجلة كلية اللغات والتّرجمة ـ جامعة الأزهر*، العدد 42 ، 2007م،

الجَميل، سيّار: "الأرمن العِرَاقيون.- الخصوصيّة والجاذبيّة والأسرار الحيويّة"،مقال: *مجلة ألفا*، الأحد 17 أكتوبر،2010

= =: "الْمَسِيحِيّون العِرَاقيون (ج3/ق5)"، *مجلة ألفا (elaph.)، عدد : 11421*، تاريخ 2010/11/6.

= = : "خضوع بلاد الرّافدين للدولة الْعَرَبِيّة الإِسْلَاميّة"، *مجلة ألفا*، تاريخ 21 نوفمبر 2010.

حليق، عمر: "الاتجاهات الحديثة فِي الثّقافة الأوردية"، مقال، *مجلة الرّسالة، 1004/ 18*.

خريسات، مُحَمَّد عبد القادر: "دور الْعَرَب المُتَنَصِّرَة فِي الْفُتُوحات"، *ضِمْنَ بحوث المؤتمر الدّولي الرّابع لتأريخ بلاد الشّام، 1985 م*.

الخزعلي، مُحَمَّد:" الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة وتَطَوّراتها من نشأتها حَتَّى القَرْن الرّابع الهِجْرِيّ - دراسة وتحليل". *مجلة التَّسَامُح، العدد2*، وزارة الأوقاف والشّؤون الدِّينِيَّة - سلطنة عمان.

خنجرو، سامي: "كَنِيسَة المشرق تَحْتَ الحكم الْعَرَبِيّ الإِسْلَاميّ"، *موقع مانكيش mangish.com*، 04/ 09/ 2010.

الخوري، نقولا، الأب: "أصل الْمَسِيحِيّينَ فِي سوريا وفلسطين مِنْذُ فجر التّاريخ حَتَّى الفتح الْعَرَبِيّ"، *دراسات سُرْيانِيّة، 14/ 2012*.

دكاش اليسوعي ، سليم ، الأب: "الخبرة، مصطلح فِيهِ فعل الرّجاء والمسؤولية، مُمَارَسَة الوحدة فِي التَّنَوُّع"، دراسات ووثائق إِسْلَامِيّة مَسِيحِيّة، رقم 15، منشورات كلية العلوم الدِّينِيَّة، جامعة القديس يوسف، بيروت، 2014. ص19-21.

الدّويهي، أسطفان، البِطْرِيك: "سلسلة بَطَارِكَة الطّائفة المارونية، نشره رشيد الخوري الشّرتوني"، *مجلة المشرق*، السّنة الأولى، 1898، ص247- 353.

ديك، الأرشمندريت اغناطيوس: "القَبَائِل الْعَرَبِيّة الْمَسِيحِيّة فِي بلاد الشّام فِي عهد صدر الإِسْلَام"، بحث فِي *النّدوة الدّوْلِيّة "بلاد الشّام فِي عصر الرّسول والخلفاء الرّاشِدِين" كلية الآداب، جامعة حلب، 2-4/5/2006*.

= =: "الْمَسِيحِيّون فِي عهد الخلفاء الرّاشِدِين والأُمَوِيّين الأوائل"، *موقع كَنِيسَة القديسة تريزا- حلب*.

= = =:" ثاوذورس أَبُو قرَّه، أُسْقُف حَرَّان الملكي": جسر بَيْنَ الحَضَارَات والأَدْيَان فِي بلاد الشّام والرّافدين، فِي العصر العباسي، *موقع كَنِيسَة القديسة تريزا- حلب*.

رافي، ن.س.ر.ك.:"الجِهَاد في الفكر الإسلامي وتطوير رد مسيحي"، *موقع ديانات العالم*،

http://ar.4truth.net/fourtrutharpbworld.aspx?pageid=858998

1041

رباط، أدمون: "الْمَسِيحِيّون فِي الشّرق قَبْلَ الإِسْلَام"، بحث فِي كتاب *الْمَسِيحِيّون الْعَرَب* 15-29 (مُؤَسَّسَة الابحاث الْعَرَبِيّة، بيروت 1981).

رشدي، زاكية: "نشأة النّحو عِنْدَ السّريان وتاريخ نحاتهم"، *مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، سنة 1958*، ص 215، 217.

رضا، مُحَمَّد رشيد (ت1354هـ): "التّعصب"، *مجلة المنار* 1/ 483، 545/17

الرّكابي، زين العابدين: "العلاقة بأهل الكتاب"، *الشّرق الأوسط*، السّبت 25 ذو الحجة 1428 هـ/ 5 يناير 2008، العدد 10630.

الزيان، رمضان إسحاَق: "روايات العهدة العمرية- دراسة توثيقية"، *مجلة الجامعة الإسلامية* ، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، يونيو، 2006، ص169-203.

سالم، عبد الله، السّيد: "شعراء الْعَرَبِيّة النَّصَارَى"، الجزء الثّاني، *الحوار المتمدن*، العدد 4047، 3/30/ 2013.

السيد، رضوان: "المسيحية في الفقه الإسلامي"، بحث، *المسيحيون العرب*، ص35-51، (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1981).

الشريف، ماهر:" تطور مفهوم الجهاد في الفكر الإسلامي"، *الحوار المتمدن*، العدد 2322، 6/24/ 2008.

شعيرة، عبد الهادي: " الممالك الحليفة أَوْ ممالك مَا وراء النّهر"، *مجلة كلية الآداب، جامعة فاروق الأول*، (مطبعة التّجارة بالإسكندريَّة، مجلد4 /1948) ص206.

شنوده الثّالثّ، البابا: " القُرْآن والْمَسِيحِيّة"، *مجلة الهلال*، عدد ديسمبر 1970

صليبا، المار غريغوريوس شمعون: "عصارة فكر"، مبحث" علاقة البَطَارِكَة والمفارنة بالخلفاء العباسيين، *ديوان أوقاف الْمَسِيحِيِّينَ والدِّيَانَات الأُخْرَى*، الموصل، 2009).

طرابيشي جورج: "عَنْ يواكيم مبارك، "الإنسان الإستثنائي"، *جريدة الحياة*، العدد15398، 2005/05/29.

الطّوال، خليل جمعة: "مكتبة الإسكندريَّة- تأسيسها ورِوَايَة إحراقها"، *مجلة الرّسالة* (اصدار أحمد حسن الزيات، القاهرة، 1933- 1954م)، العدد276، ص20-23.

العزيز، حسين قاسم: "دور المراكز الثّقافِيّة السّرْيانِيّة فِي تفاعل الْعَرَب والمُسْلِمِينَ الحضاري"، موقع دراسات سُرْيانِيّة، 13 Aug، 2012 .

العفيف الأخضر: "نسخ الإسلام المكي وعواقبه"، *الحوار المتمدن*، موقع على النت، العدد 4144، 2013 / 7 / 5.

علي، جاسم صكبان:" التاريخ العربي والاسلامي من خلال المصادر السريانية"، بحث *في عالم الفكر، الكويت، اكتوبر- ديسمبر 1984*.

عمارة، مُحَمَّد، الدّكتور: "الانتشار السّلمي للإِسْلَام"، *مجلة المُجْتَمَع، العدد 1825*، 3 ذو القعدة 1429هـ الموافق 2010/11/1م.

عناية، عز الدّين: "الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة- تشظّي الهويّة ومستخلصات الوعي التّاريخيّ"، *مجلة التَّسَامُح*، العدد العاشر، سلطنة عمان.

عيواص، مار إغناطيوس زكا الأول، البِطْرِيَرْك: "السّريان والإِسْلَام تاريخ مُشْتَرَك"، *الموقع الرّسمي لبِطْرِيَرْكية أَنْطَاكِيَة وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس*.

= =: "مار يعقوب الرّهاوي (633- 708م) اللَاهُوتِيَّ، المُؤَرِّخ، المترجم، اللُغَوِيَّ السّرْيانِيّ"، مستنبط الحركات السّرْيانِيّة، *مقالة فِي مجلة مجمع اللُغَة السّرْيانِيّة، المجلد الثّاني، 1976.*

فضل الله، مُحَمَّد حسين، السَّيِّد:" فِي أسس الحوار بَيْنَ الأَدْيَان"، *جريدة النّهار، لبنان*، الأحد، 10 تموز «يوليو» 2005.

كهوس، أبو اليسر رشيد:" أبواب الجهاد في الفكر الإسلامي"، مجلة الداعي ، دارالعلوم، ديوبند، العدد 12، ذوالحجة 1431 هـ = نوفمبر- ديسمبر 2010م.

لبابنه، احمد حسن؛ عبابنه، عصام حمد: "مصادر ومُؤَسَّسَات التّربية لَدَى أهل الكتاب زمن العصر النّبَوِيّ"، *كلية إربد الجامعية، أبو ظبي.*

محمود، صادق شاكر: "الشّعوبية وردود العلماء الْمُسْلِمِينَ فِي المشرق والمغرب". بحث، *مجلة كلية الفقه- جامعة الكوفة*، العدد التّاسع، السّنة الخامسة، 2009م، ص 127-147.

مسرَّة، أنطوان:" الأَدْيَان وحقوق الانسان-عودة إِلَى الاصول ونماذج تطبيقية ايجابية فِي الانسجام والتّكامل"، بحث فِي *المصادر الدِّينِيَّة لحقوق الانسان*، مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، ص 491.

= = "اعادة الاعتبار إِلَى الحوار من خِلَالِ وجوهه الرّيادية، وجوه حوارية"، *منشورات كلية العلوم الدِّينِيَّة، جامعة القديس يوسف*، بيروت، 2013، ص153- 160.

= = "العلاقات الإسلامية المسيحية في السياسات الدولية"، *جريدة النهار*، الأحد 27/ كانون الثاني/2013 .

ملطي، تادرس يعقوب: "كتاب القديس أفراهاط الحكيم الفارسي: حياته، كتاباته، أفكاره"، 15، موقع: *كنيسة الأنبا تكلا هيمانوت الحبشي القمص*، الإسكندرية،

مصر http://St-Takla.org.

الموسوي، ضياء: "شيعة العِرَاق"، *صحيفة الوسط (البحرينية)*، العدد 884، الأحد 06/ فبراير/ 2005م= 26 ذي الحجة 1425هـ.

النّوفلي، أدور هرمز يجو:" تاريخ كَنِيسَة المشرق"، الجزء 13، *منتديات باقوفا*، 01/ سبتمبر/ 2007 www.baofa.com.

الهلالي، مُحَمَّد تقي الدّين بن عبد القادر (ت1407هـ/ 1987م): "حديث مَعَ زائر كريم"، *مجلة الجامعة الإِسْلَامِيّة بالمدينة المنورة*، السّنة السّادسة، العدد الرّابع، ربيع الثّاني 1394هـ/ *ابريل 1974م*.

هوفهانيسيان، نيكولاي: "العلاقات التاريخية الأرمنية – العربية": *الهيأة الوطنية الأرمنية، الشرق الأوسط*، موقع على النت. http://www.ancme.net/studies/350

اليوزبكي، توفيق سلطان: "التّعريب فِي العصرين الأُمَوِيّ والعباسي"، *مجلة آداب الرّافدين، (العِرَاق)*، العدد 7، ص41-66.

البحوث المترجمة:

بدليان، آرا، الأرمني: "المسيحيون : انحسار الوجود وتحديات الهجرة"، إعداد: سعد سلوم: *الأقليات في العراق*، (مسارات، بيروت، 2013) ص76- 85.

بيغلوفسكايا، نينا: "انتشار الْمَسِيحِيَّة والاضطهاد"، ترجمة: أحمد الجراد، *مجلة دراسات سُرْيانِيّة*، 13 Aug،2012 ، اصدار معهد الاستشراق التّابع لأكاديمية العلوم السّوفياتية.

جوفروا، إريك Eric Geoffroy: "التعدد فِي الاسلام، أَوْ الوعي بالآخرية"، *مجلة الأديان*، ص31-43، مركز الدوحة الدولي لحوار الاديان، العدد صفر، 2009.

دلافيدا، ج. ليفي Della Vida (1889-1967م):"الأُمَوِيّون"، *دائرة المعارف الإِسْلَامِيّة*، ترجمة: مُحَمَّد ثابت، والشّنتاوي، وإِبْرَاهِيم زكي (انتشارات جهان، طهران 1352هـ/1933م) 2/665- 698.

دنتسنغر-هونرمان: "الكَنِيسَة الكاثوليكية فِي وثائقها"، الجزء الأول. من *سلسلة الفكر الْمَسِيحِيّ بَيْنَ الأمس واليوم*. منشورات المكتبة البولسية، جونيه، لبنان، طبعة أولى 2001.

– دولز، مايكل: "انتقال الطّب اليُونانِيّ من السّريان إلَى الْعَرَب"، ترجمة: أدمير كوريه، مجلة دراسات سُرْيانِيّة 14/أغسطس/ 2012.

دافيد دي سانتيللانا David de Santillana: القانون والمجتمع، بحث في *تراث الإسلام*، تحرير: سير توماس أرنولد، ترجمة: جرجيس فتح الله، 2/103-144، (دار الجمل، بيروت، 2012).

عطية، عزيز:"السّريان فِي التّاريخ"، تَحْتَ سيطرة الخلفـاء، ترجمة حنا عيسى توما، الباب الرّابع،26 ص، *مجلة دراسات سُرْيانِيّة 10/ أبريل/ Syriac Studies. 2008*

فييه، ج. م. الأب:" الفكر التاريخي عند السريان"، *مجلة الفكر العربي، كانون الأول، 1989م، عدد 85، ص39- 47*، معهد الإنماء العربي، بيروت.

لامنس، هنري اليسوعي، الأب (ت1937م) Henri Lammens :" أقدم أثر لبني غَسّان- أَوْ أخربة المُشتّى"، *مجلة المشرق. السّنة الأولى، الجزء 11، حزيران 1898، ص531- 487.*

= =:" الأحابيش والنّظام العسكري فِي مَكّة"، *مجلة المشرق، العدد 34، سنة 1936، ص1-31.*

لمختر، مراد: "قراءة فِي كتاب العلم القديم والمَدَنِيَّة الحديثة- جورج سارتون" GEORGE SARTON، العلم القديم والمَدَنِيَّة الحديثة ANCIENT SCIENCE AND MODERN CIVLIZATION ترجمة : عبد الحميد صبرة، *مركز ابن البّنا المراكشي للبحوث والدّراسات*، المغرب. http://www.albanna.ma/Article.aspx?C=5618

لوبليه، كلود Claude Lepelley : "اهتداء قسطنطين"، في: *تاريخ الكنيسة المُفَصَّل*، ترجمة: أنطوان الغزال، صبحي اليسوعي (ط2، دار المشرق، بيروت2009) 1/147- 156.

= = : "الأزمة الآريوسية"، *تاريخ الكنيسة المُفَصَّل* (دار المشرق، بيروت 2009) 1/171- 176.

ليسك، ريفكا شيفك: "اليهود لم يستسلموا ولم يعتنقوا الديانة المسيحية، *مركز أورشليم*، القدس للشؤون العامة، 2008/11/21، www.infoelarab.org

ميرابللا ، فالنتينا: "احتلالات بريطانيا لجزيرة خرج" *مكتبة قطر الوطنية*، على النت http://www.qnl.qa/articles-from-our-experts?themes[0]=631

نوس، جون. ب. John. B. Noss: "المسيحية"، ترجمة: محمود منقذ الهاشمي، 5/209- 376، *موسوعة تاريخ الأديان*، تحرير: فراس السواح، (دار علاء الدين للنشر، دمشق، 2009م).

البحوث والمقالات الأجنبية

Gibb and Kromer, Short Encyclopedia of Islam,p206.

Cyril Glasse, The Concise Encyclopedia of Islam, (San Francisco:

Harper and Row, 1989), pp. 209-10 الموسوعة المختصرة للإسلام.

المحاضرات:

رباط، أدمون: محاضرة، *مجلة الصّباح اللبنانية*، عدد31، بتاريخ 31 آذار 1981م.

اللقاءات:

بلحاج، سلوى: "حوارات من تونس"، حاورها: نبيل درغوث، *موقع اللادينيين العرب*، 17/ مارس/ 2009.

فضل الله، السّيد: "استقبال وفد طلاب المعهد الْعَرَبِيّ"، موقع بيانات ٢٠٠٩/٤/١٥، http://arabic.bayynat.org/NewsPage.aspx?id=7865

الفهارس

فهرس الأعلام والأمم والأمكنة

أبا زبيد الطّائي.....112
آبا سيمون.....213
أَبَا عُبَيْدِ بْنَ مَسْعُودٍ الثّقَفِيَّ.....109
أبا عُبَيْدَة بن الجراح.....109
أَبَا لؤلؤة فيروز.....168
أبا موسى الأشعري.....112، 114
أبان بن عثمان.....22
اباي.....44
أبجر بن جابر العجلى.....274
ابراميوس.....265
ابراهام الكشكري.....346
إِبْرَاهِيم الثّاني.....207
إِبْرَاهِيم الخليل.....33، 196
إبراهيميَّة.....218
أبرشيَّة التّغالبة.....37، 38، 201، 202
أبرشيَّة الْعَرَب أَوْ القَبَائِل.....38، 202
أبرشيَّة نَجْرَان الكوفة.....38
أبرشيَّة نَجْرَان والكوفة.....202
أبرهة.....53، 61، 196، 265، 331، 359
ابن أبي أصيبعة.....335، 356
ابْنَ أَبِي لَيْلَى.....273
ابن أُثال.....182، 335، 356
ابن إسحاق.....20، 22، 65، 67، 69، 74، 78، 88، 96، 146، 278، 325، 352، 353، 365
ابْن الأشعث.....194
ابن الحنفيَّة.....310
ابن الزبير.....77، 174، 175، 180، 190، 196، 197

ابْنُ الشّرِيدِ.....70
ابن العبري.....18، 102، 122، 155، 157، 162، 195، 323، 348، 368، 401، 406
ابن العِبْري.....18
ابن القفطي.....341
ابن الكَلْبي.....54
ابن المقفع.....6، 19، 103، 192، 211
ابن النّضير.....183
ابنُ خلدون.....349
ابن خلكان.....380
ابنُ دريد.....363
ابْنُ رأسِ الجَالُوتِ.....312
ابن سعد.....20، 22، 70، 74، 91، 92، 94، 168، 327، 398
ابن سلام.....20، 202، 280، 370، 371، 379، 398
ابْنُ صَلُوبَا.....107
ابن عجلان.....289
ابن عساكر.....138
ابنُ فارِسٍ.....364
ابن قيّم الجوزية.....138
ابن مردى الفهر.....143
ابْنِ مُلْجِم.....117
ابْنَ مِينَا.....183
ابنُ نظيرا.....312
ابن هشام20، 22، 65، 66، 67، 69، 71، 73، 74، 78، 81، 82، 84، 85، 91، 95، 146، 294، 325، 6
أبناء اسماعيل.....127، 141
أَبُو الأسود الدّؤلي.....343
أَبُو الفرج.....82، 286، 309
أَبُو الفرج الملطي.....348
أَبُو بكر.....105، 106، 108، 109، 117، 167، 381، 395
أَبُو حنيفة.....274، 276، 336
أَبُو رَافِعٍ القُرَظِيُّ.....82

أَبُو زيد الطّائي ..... 142، 285، 370
أَبُو سفيان بن حرب 170
أبو عبيد 192
أَبُو عُبَيْد 191
أَبُو عُبَيْدَة ..... 123، 126، 127، 138، 150، 186، 331
أَبُو عُبَيْدَة ..... 110، 120
أبو عُبَيْدَة بن الجراح ..... 108، 110، 126، 127، 215
أبو هريرة 306
أَبُو وَائِلٍ شقيقُ بن سلَمَة 317
أبو يوسف 192
أَبُو يوسف ..... 295، 296
أبي هَاشم عبد الله ابْن مُحَمَّد 311
أَبِي الأسودِ الدّؤليّ 368
أبي الخطاب 310
أَبِي الصَّهْبَاءِ الْبَكْرِيّ 307
ابي الفرج الاصبهاني 20
أبي الفرج الاصفهاني 380
أبي بكر ..... 105، 106، 117، 120، 148، 264، 287، 292، 294، 332
أبي زبيد ..... 17، 114، 286، 370، 371
أَبِي عُبَيْدَة ..... 120، 123، 145، 184
أَبِي لؤلؤة 292
أبي لؤلؤة فيروز 112
أبي مِخْنَف 138
أَبِي نُواس 381
أَبِي هُرَيْرَةَ 307
أتناسيوس البَلَدِي 344
أثناسيوس ..... 38، 161، 163، 198، 210، 346، 355
اثناسيوس الثّاني ..... 38، 207، 208
اثناسيوس الجمال ..... 161، 163
أثيناس 199

إجنادين ..... 21، 108، 140، 145
أحباش 32
أحمد أمين 369
أحمد حطيط 24
إدمون رباط ..... 40، 48، 104، 140، 141
أُديسَّا ..... 199، 281
أذربيجان ..... 111، 177
أَذْرُحَ ..... 91، 98، 277
آرامِيّين 181
أرزون ..... 45، 346
أرزون (من نواحي تكريت) 163
أرسطو ..... 313، 344، 346، 355، 368
أرطبان المرني 37
أرمانوسة ابنة الملك المُقَوْقَس 121
أرمينية 136
أرنست ترولتش 248
ارنولد 127
أرنولد ..... 84، 88
آريوس ..... 28، 51، 229، 329
أسامة بن زيد ..... 107، 212، 267
أسبانيا ..... 128، 134، 171، 216، 247، 261، 389
استفانس 193
إسحاق الجاثليق 44
إسحاق بن حنين 341
أسد بن عَبْد العُزّى ..... 32، 33، 59، 67
إِسْرَائِيلَ ..... 64، 246، 308
أَسْقُفية الهند 213
إسماعيل 72
إسماعيلَ التَغْلِبي 194
آسيا ..... 19، 35، 38، 41، 50، 155، 171، 201، 338

آسية ..... 128، 283، 315
آشوريّون 34
أصبهان ..... 111، 200
اصطفن الاسكندراني 341
أعشى بني تَغْلِب 190
أعشى قيس ..... 54، 369
أغاثو 161
أفثنيوس 347
إفرام ..... 36، 44، 234، 343، 414
أفراييم 43
افريقيا ..... 56، 161، 171، 173، 174، 177
إفْرِيقِيَّةَ ..... 113، 191
أفسس 49
أفغانستان ..... 157، 178، 284
آقاق ..... 41، 44
أقْباطٍ 32
آل الزبير 196
آل جفنة 37
الإبْرَاهِيمِيَّة ..... 27، 62، 64، 65، 72، 76، 157، 252، 367
الأبلّة 109
الأحابيش ..... 65، 319، 423
الأحباش ..... 29، 53، 61
الأخطل ..... 201، 280، 281، 371، 372، 378، 379
الآراميين 60
الأردن ..... 35، 103، 108، 109، 129، 189، 198، 267
الأرمن ..... 17، 38، 135، 136، 145، 146، 155، 164، 194، 363، 407، 419
الْإِرِيسِيِّينَ 96
الآريوسيّة ..... 76، 78
الإسكندريَّة35، 48، 49، 50، 110، 111، 128، 160، 203، 209، 210، 212، 247، 338، 340، 341،
الإسماعليّين 187

الأسودُ بن كعب بن عوف العنسيّ.....107
الأشعث بْن قيس.....107
إلاعاميدة.....55
الأعشى.....20، 54، 70، 165، 307، 309، 322، 326، 371، 402
الإغريقِ.....140
الأكراد.....60
الاكسندروس الثّاني.....211
الإمام عليّ16، 77، 110، 114، 115، 116، 117، 148، 149، 150، 153، 158، 165، 274، 287، 288
الأنبا بنيامين.....50
الأنبار.....133، 142، 163، 206، 301، 364، 382
الأَنْبَارِ.....108، 151
الأنباط.....26، 60
الأنباغريغوريوس.....211
الأهوازُ.....109
الأوس.....83، 85، 87، 319
البابليين.....26
البحر الأحمر.....35، 92
البحرين.....41، 43، 88، 100، 126، 149، 158، 159، 160، 204، 205، 329، 397، 408، 419
البصرةِ.....112، 114، 174، 192
البَصْرَةُ.....109
البكري.....20، 39، 45، 54، 72، 160، 278، 280، 343، 344، 413
البلاذري.....19، 21، 74، 90، 92، 96، 98، 99، 129، 132، 143، 151، 190، 274، 292، 359، 380
البوذيةِ.....157
البوذيَّة.....76
البيانية.....311
ألبير أبونا.....14، 31، 93، 101، 102، 122، 343، 345، 406
التلمحري.....192
الثعالبي.....219، 263، 415
الجابية.....120، 123، 175
الجاحظ.....32، 59، 70، 71، 83، 168، 318، 321، 378، 380، 395

الجاحظُ 32
الجراجمة ..... 60، 131، 189
الجرامقة 60
الجُرجومة 189
الجَزِيرَةِ الْعَرَبِيّة 50
الجملَ 116
الجَهَمِيّةِ 311
الجوهري ..... 103، 270
الحارث بن جبلة ..... 35، 36
الحارث بن حلّزة 370
الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة 275
الحارث بنِ عبدِ الله بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ 317
الحارث بن عمير الأزدىّ 266
الحارث بن كعب ..... 54، 88، 278
الْحَارث بْن هِشَام بن الْمُغيرَة 110
الحَبَشَة ..... 5، 12، 29، 53، 55، 56، 65، 73
الحجاج ..... 176، 178، 179، 189، 191، 194، 195، 197، 206، 357، 378، 403
الحجاز ..... 33، 51، 54، 56، 91، 94، 99، 196، 265، 294، 332، 353
الحديبية ..... 75، 84، 94، 276
الحديبيَّة ..... 66، 264
الحسن بن عَلِيّ ..... 117، 172
الحسين بن عَلِيّ 174
الحكم بن أبي الحكم الدّمشقي 356
الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ الثّقَفِيّ 196
الحليس بن يزيد 65
الحميريّة 26
الحنيفيّة ..... 62، 76، 278
الحيرة ..... 53، 57، 99، 108، 151، 279، 298، 324، 345
الحِيرَة ..... 32، 37، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 95، 133، 134، 142، 151، 167، 169، 200، 201، 202،
الحِيرَةِ ..... 30، 381

الخريت بن راشد 116
الخزرج ..... 83، 273
الخطابيَّة 312
الخلقيدونيين 209
الخليفة عثمان ..... 114، 150، 161، 170، 285، 317، 370
الخليفة عمر111، 112، 124، 126، 131، 134، 135، 136، 139، 148، 149، 162، 168، 190، 215، 3
الخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ 312
الخوارج ..... 115، 117، 171، 175، 176، 262
الدواسر 52
الدولة البيزنطية ..... 40، 48، 128، 316، 330
الدّولة الفارسيَّة ..... 39، 40، 102
الراوندية 311
الرِّيِّيسُ 82
الرّها ..... 17، 35، 40، 110، 156، 163، 199، 281، 282، 338، 339، 350، 358، 359، 362
الروم ..... 21، 27، 54، 94، 103، 124، 129، 130، 131، 145، 190، 266، 318، 324
الرّوم29، 36، 43، 45، 50، 60، 67، 75، 92، 96، 98، 100، 102، 108، 110، 120، 121، 125، 26
الرومان ..... 17، 35، 53، 121، 141، 160، 272، 329، 338، 341، 410
الرّومانية ..... 11، 27، 31، 35، 47، 56، 193، 197، 221، 246، 326، 329، 337، 344، 416
الرّي ..... 111، 113
الرّيّ 110
الزّبير 115
الزُّبَيرَ 112
الزبير بن العوام 105
الزركشي 276
الزط 189
الساسانيّين ..... 40، 140
السّامريين 60
السبأيّة 26
السرخسيُّ 97
السّرَخْسِيّ 270

السري الرّفاء 381
السّريان7، 18، 49، 102، 118، 122، 123، 124، 125، 140، 144، 154، 155، 156، 157، 161، 63
السّعردي ..... 122، 156
السّند ..... 20، 167، 172، 173، 175، 178
السّويدا 34
السَّيِّد بْنُ مُحَمَّد الْحِمْيَرِيُّ 312
الشابشتي ..... 20، 199، 376، 381، 382، 384، 399
الشّافعي ..... 92، 276، 356، 399
الشام 58
الشّام5، 12، 15، 19، 31، 34، 35، 36، 37، 38، 47، 50، 51، 58، 60، 67، 68، 69، 71، 75، 91، 2
357، 358، 359، 363، 369، 399، 405، 419، 420
الشّهَارِجَةِ 143
الشّهرستاني ..... 63، 313، 399
الصابئيَّة 76
الصين 42
الصّين ..... 40، 157، 178
الطّالقان 178
الطائف 57
الطّائف ..... 30، 71
الطبري22، 54، 69، 73، 74، 82، 95، 105، 124، 143، 147، 151، 152، 158، 178، 181، 220، 6
الطّبري ..... 19، 43، 134، 400
الطّبريّ الشّيعيّ 296
الطّرشوشي 137
الطّوباني أنبا يوحنا 212
العاقولا ..... 202، 344
العاقولاء ..... 122، 155
العبَّاديّين 309
العِرَاق5، 15، 16، 19، 31، 34، 41، 42، 43، 50، 51، 52، 58، 69، 90، 100، 101، 107، 108، 09
416، 422، 423
الغزالي ..... 149، 305، 307، 401، 412

الغساسنة .....26، 33، 36، 37، 50، 59، 60، 128، 140، 325
الفارياب 178
الفرزدق .....17، 202، 372، 378، 379
الفرس29، 43، 44، 46، 53، 56، 60، 69، 75، 93، 94، 102، 111، 119، 122، 123، 129، 132، 40
الفسطاط .....121، 215
القاسم بن سلام 365
القِبْطِ 80
القتبانية 26
القدس .....27، 28، 53، 208، 209، 225، 234، 243، 251، 262، 409، 414، 424
القديس مارون 162
القسطنطينية 35
القُسْطَنْطِينِيَّة12، 34، 39، 40، 47، 48، 49، 128، 161، 162، 171، 172، 177، 179، 192، 194، 200
القلقشندي .....20، 54، 151، 165، 326، 363، 402
القُلَيس .....196، 359
القُلَّيس 61
القوادس 133
القيّن 140
الكسائيّين 76
الكعبة .....26، 54، 63، 65، 76، 77، 84، 103، 176، 196، 310
الكلدانيّين 349
الكَنِيسَة الكاثوليكيَّة .....201، 203
الكَنِيسَة المَلَكِيّة 208
الكنيسة اليعقوبية 215
الكوفة38، 42، 109، 111، 113، 115، 117، 122، 133، 148، 149، 156، 163، 164، 171، 176، 0
الكيسانية .....310، 311
اللحيانيين 26
اللخميين .....43، 46، 369
الماورديّ 299
المُتَلَمّس 43
المتلمّس الضَّبعي 370

المتوكل العباسي.....138
المثنى الشّيباني.....108
المُثَنَّى بن حارثة.....142
المُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ.....108، 151
المجوس.....75، 96، 126، 289
المَجُوسِيّة.....10، 75، 140، 157، 305
المختار الثّقفي.....205
المدائن.....39، 40، 101، 109، 122، 126، 134، 151، 155، 156، 157، 195، 204، 205، 207
المدائنُ.....109
المدينة5، 46، 50، 57، 71، 74، 77، 78، 79، 82، 83، 84، 85، 86، 87، 89، 90، 92، 97، 98، 99،
المُرَقّش الأصْغَر.....43
المرقش الأكبر.....44، 364
المسعودي.....38، 181، 188، 403
المَصْريين.....29، 320
المَعْدِيّين.....45
المعمدانيّين.....76
المعينية.....26
المغرب.....110
المغيرة بن شعبة.....112، 280
المُقَوْقَس.....121
المُقَوْقَسُ.....95، 124
المناذرة.....43، 45، 142
المندائيّين.....76
المنذر بن امرئ القيس.....42
المهلب بن أبي صفرة.....177
الموصل60، 101، 133، 143، 144، 158، 164، 199، 206، 216، 338، 357، 381، 384، 406، 414،
الموصلِ.....44
المَوْصِل.....22
النّابغة الذّبياني.....369
النّجاشي.....73، 81، 95، 225، 325، 359

النّجاشيُّ.....73، 81، 325
النَجَفِ.....314
النّجف.....42، 107، 150، 404
النّجفِ.....381
النَّسْطُورِيّةَ17، 33، 37، 38، 39، 40، 41، 46، 50، 79، 118، 154، 155، 202، 214، 329، 345، 347
النّصْرَانِيَّة20، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 37، 46، 51، 52، 54، 59، 62، 67، 69، 70، 71، 3
النّعمان.....41، 42، 44، 45، 279، 280، 404
النّعمان الرّابع.....44
النّعمان بن المنذر.....42، 45
النّعمانُ بنِ المنذرِ.....41
النّمر بن تولب.....250
النويري.....20، 61، 96، 328، 405
الهندوسيَّة.....76
الهنود.....29
الواقدي.....19، 20، 22، 69، 73، 81، 92، 106، 123، 144، 145، 266، 405
الوَثَنِيّة.....12، 27، 34، 51، 56، 66، 75، 84، 147، 157، 251، 337، 338، 388
الوليد بن عبد الملك.....16، 173، 177، 185، 188، 189، 206، 216، 358، 376
الوليد بن عقبة.....144
الوليد بن عُقْبَة.....286
الوليدَ بنِ عقبةَ.....132
الوليدَ بن عقبة بن أبي معيط.....114
الوليد بن يزيد.....193، 195
اليرموك.....145
أليس.....142
أُلَيْسَ.....108
أليس الفرات.....215
اليعقوبي.....189
اليَعْقُوبِيّةُ.....95
اليمامة.....95، 106
اليمن5، 26، 32، 46، 51، 52، 54، 55، 58، 59، 61، 65، 75، 88، 91، 93، 95، 107، 148، 191، 6

اليونان26، 43، 60، 130، 166، 183، 313، 333، 335، 338، 339، 340، 344، 351، 354، 355، 56
أم حَبيبة بنتْ أبى سفيان..... 81
أمُّ سَلَمَة..... 73
امرأ القيس بن عمرو..... 43
امرئ القيس..... 32، 59، 273، 324
امرِئ القيس..... 250
امرئ القيس بن زيد مناة..... 32، 59
أمغيشيا..... 108، 151
آمنة بنت وهب..... 33
أمورِيّين..... 34
أمية بن أبى الصّلت..... 67
أمية بن أبي الصّلت..... 28، 67، 70، 326
أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ..... 74
أمية بن عبد شمس..... 170
أنبا أغاثون..... 209
أنْبَاطٍ..... 33
أنس بن مالك..... 306
أنس بن هلال..... 143
أَنْطَابُلُسَ..... 191
أنطاكية..... 18، 34، 66، 102، 131، 161، 162، 189، 190، 350، 374، 409
أَنْطَاكِيَةَ35، 36، 42، 118، 120، 154، 162، 187، 193، 203، 208، 209، 316، 342، 358، 415، 2
أَنْطَاكِيَةُ..... 110
أَنْطَاكِيَةِ..... 128
أنطوان نصري مسرّة..... 23
أنقرة..... 177
انقيلاؤس..... 341
أنمار..... 130
أهرون بن أعين..... 335، 356
أوربا..... 56، 171، 355، 412
أورشليم..... 28، 128، 162، 163، 203، 424

أوس بن ذبي القرظي..... 82
أوسابيوس القيصري 362
اوليري .... 41، 60، 130، 184، 202، 309، 318، 333، 338، 339، 342، 343، 344، 353، 356، 414
أوليري 130
إياد..... 130
إيَادٍ..... 143
إياد بن نزار..... 144
إياس بن قبيصة..... 134
إيَاسُ بْنُ قُبَيْصَةَ الطَّائِيُّ..... 107
ايشو عزخا..... 41
ايشوع زخا..... 41
إيشوعياب ..... 41، 44، 93، 101، 102، 122، 155، 156، 157، 158، 159، 204، 205، 360، 361
أيشوعياب الأرزني..... 44
ايشوعياب الأول 41
ايشوعياب الجدالي ..... 93، 101
ايشوعيهب الجذالي..... 93، 102، 122
إيفيسوس 39
أيْلة..... 91، 92، 267
إيليا..... 44، 199، 310
ايليا الأول 208
إيليا الحيري..... 346
إيليا الحِيرِي..... 44
إيلياء ..... 120، 126
إيلياءُ..... 110
أيوب ..... 33، 198، 407
باباي..... 41، 345، 346
باباي برنصيبنايي..... 346
بابل..... 42، 156، 349
بابليّون 34
بابوي 39

بابي النّصيبيني 361
بادية الإسقيط 50
بارتولد 125
بارثونموس 33
بَارُوسْمَا 107
باعربايا (أرض ربيعة) 163
بَانِقْيَا ..... 107، 150، 151
بَحِيرَا ..... 68، 319، 323
بخارى ..... 173، 178
براق 34
برعيتا 346
بَرْقَةَ 191
بَرْقَةُ 111
برمودة ..... 209، 211
بروتريوس 49
بَرْيشوع 207
بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ 312
بشر بن أبي حازم 370
بشر بن عبد الملك 206
بصرى 57
بُصْرَى ..... 34، 35، 68، 266
بعلبك ..... 126، 189، 331
بَعَلْبَكُ 109
بغداد15، 26، 31، 42، 107، 150، 151، 204، 326، 333، 338، 341، 343، 344، 346، 347، 381،
بكر بن وائل ..... 70، 88، 108، 151، 274، 278، 327، 379
بلاد الشّاش 178
بلاد الصّغد 178
بلاد النهرين ..... 37، 40
بلْبِيس 121
بلخ 178

بنزرت.....173
بنو تَغْلِب.....32، 59
بنو نصر.....193
بنو وليعة.....107
بني إِسْرَائِيلَ.....28، 63، 68، 221، 224، 227، 231، 241، 242، 251، 252، 308، 322، 364
بني إسماعيل.....63، 140
بني الضَّبَيْب.....107
بَنِي النَّبِيت.....87
بَنِي النَّجَار.....86
بني النَّمِر.....143
بَنِي أُمَيَّة.....114، 191
بني تَغْلِب.....143، 144، 147، 152، 153، 190، 278
بَنِي جُشَم.....86
بني حذافة.....194
بني حَيلِيل.....107
بَنِي سَاعِدَة.....86
بني سُلَيْح.....181
بني شيبان.....202
بَنِي عَمْرُو بنِ عَوْفٍ.....87
بني عوف.....87
بَنِي كَلْب.....181
بني معد.....45
بَنِي ناجيةَ.....100، 116
بنيامين.....160، 161، 378
بهراء.....59، 129
بهرام.....45
بوران ابنة كِسْرَى.....102
بوسيه "Bush".....376
بولص الانطاكي.....200
بيت المقدس.....83، 110، 120، 127، 162، 315، 328

بيت جبرين 120
بيت قطرايا ..... 41، 149، 158، 159، 160، 204، 205، 419
بيت لاباث 39
بيتسا ستيفانو 24
بيث تركايي 157
بيث رامان 163
بيث قطرايي 159
بيث ماداي 157
بيث مازونايي 159
بيث نوهدرا 163
بُيَد الله بن جَحَش 61
بيروت ..... 22، 189
بيروز شابور 142
بيزنطا ..... 49، 53، 61، 99، 139، 246، 261، 268
بيزنطة21، 26، 27، 34، 38، 55، 72، 75، 130، 135، 139، 140، 142، 198، 212، 262، 264، 265
بيكند 178
تاي تسونغ 157
تبوك ..... 91، 97، 98، 100، 264، 267
تركيا 56
تريتون 281
تَغْلِب 130
تَغْلِبَ 143
تكريت ..... 18، 37، 110، 122، 143، 144، 152، 161، 163، 207، 208، 362
تميمُ الدّاريُّ 306
تنوخ ..... 129، 144، 145، 150، 151، 278
تُنوخ 59
تهامة 65
تُهَامَة ..... 58، 265، 267، 280، 318
تياذوق 357
تيتوس 53

تَيْمَاء ..... 92، 129
تيموثاوس الوروس 49
تيمورلنك 214
تيودورا 35
ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ 273
ثَرْبَ 30
ثَقِيف ..... 67، 264، 276
ثيودور ..... 35، 136، 208، 270، 342
ثيودور أَبُو قرة ..... 200، 270
ثيودورس 36
ثيودوسيوس ..... 35، 209
جابر بن عبد الله 81
جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ 273
جاسيوس 341
جاك ريسلر ..... 218، 249
جالينوس 341
جامع دِمَشْقَ 376
جان موريس فييه 270
جاورجيوس ..... 162، 198، 203
جبال البرانس ..... 178، 179
جَبْرٌ (ابن قِطَةَ 69
جَبْرُ النَصْرَانِيّ 319
جبل الْعَرَب 198
جبل اللكام ..... 60، 189
جبلة بن الأيهم ..... 128، 145
جبلة ملك غسَّان 131
جبيل 189
جحظة البرمكي 384
جذام ..... 129، 145
جُذام 139

جَرْبَاءَ..... 91
جرجان..... 111، 179
جرجس..... 361
جرجس أُسْقُف الْعَرَب..... 38
جرجس جاثليق النَّسَاطِرَة..... 164
جرجيس الأول..... 149، 203
جرجيسُ بن بختيشوع..... 345
جرونباوم..... 130
جرونيباوم..... 125
جرير..... 82، 202، 277، 280، 326، 330، 378، 400
جزر بحر إيجه..... 172
جَزِيْرَة ابن عمر..... 37، 163
جَزِيْرَة أرواد..... 172
جزيرة العرب..... 45، 53، 94، 99، 106، 131، 132، 149، 218، 235، 264، 265، 267، 294
جَزِيْرَة الْعَرَب5، 6، 13، 27، 30، 33، 45، 46، 51، 54، 57، 58، 60، 72، 78، 81، 95، 96، 130، 46
جَزِيْرَة دارين..... 149، 159، 203، 329
جَزِيْرَة كريت..... 172
جستنيان..... 49
جستنيان..... 35
جعفر بن ابي طالب..... 73، 74، 81
جِلِّيقِيَّةَ..... 178
جمال الدّين القفطي..... 348
جنديسابور..... 158، 205، 344، 347، 350
جورج الأُسْقُف..... 362
جورجيس..... 204، 361
جوفروا..... 244، 248، 423
جولدتسيهر..... 257، 310، 415
جون كاثوليكوس..... 136
جون هيك..... 252
جيبون..... 128

حبيب بْن مسلمة الفهري.....189
حجار بن ابجر.....274
حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ.....111
حَرَّان.....110، 340
حرملة بن المنذر.....370
حُرَيث بن جابر.....274
حسان بن ثابت.....72
حسّان بن ثابت.....44
حسان بن سنان.....372
حسين العودات.....31
حلبُ.....110
حلف الفضول.....84
حلوان.....157
حليمة السّعدية.....68
حَمَّادٌ عَجْرَدٍ.....312
حمص.....129، 133، 182، 190، 358
حِمْصُ.....109
حِمْيَر.....53، 66، 100، 144
حنانيشوع.....44، 195، 346
حنانيوشع.....205، 206
حنظلة بن صفوان.....211
حيري بن أكال.....134
خالدّ بن المعمر.....274
خالد بن الوليد.....145، 215، 279
خَالِد بن الوليد.....98، 107، 108، 109، 129، 134، 144، 150، 151، 279، 300، 337
خَالِد بْنِ عَبْد اللَّهِ بْن أَسَدٍ القسريّ.....317
خَالِد بن يزيد.....182، 200، 334، 339، 341، 342، 351، 355، 407
خان النّيلة.....34
خراسان.....164، 176، 214
خريسوستموس.....162، 374، 415

خرِيسُوسْتُوموس 66
خسرو ابرويز 45
خسرو انشروان 43
خلقدونية ..... 48، 103
خلقيدونية ..... 38، 39، 40، 47، 48، 49، 123، 328
خلقيدونيَّة 34
خليفة بن خياط ..... 19، 151، 181
خوداهوى 200
خوقند 178
خيبر ..... 74، 111، 288، 293، 294، 296
داديشوع ..... 41، 159
دار النّدوة ..... 65، 66
داود الأول 207
دَرْعَة 34
دلا فيدا 183
دمشق103، 109، 115، 120، 123، 144، 171، 183، 184، 185، 186، 187، 189، 193، 209، 215
دنحا 164
دنحا الثّاني 208
دهوك ..... 22، 406
دوسلييه ..... 93، 122
دومة الجندل ..... 91، 98، 100، 169
دَوْمَة الجَنْدَل 59
دي غويه 138
ديارات الأساقف 381
دير "هند الصّغرى 45
دير "هند الكُبْرَى 45
دير الأبلق 383
دير البراغيث 187
دير العذارى 384
دير القديس سابا 356

دير القصير.....384
دير القيارة.....199
دير أيوب.....198
دير بيث حالي.....200
دير زُرَارة.....382
دير سرجيس.....381
دير قِنَّسْرين.....343
دير مار إيليا.....44
دير مار مارون.....200
دير مار متى.....163، 207
دير محراق.....42
دير هند.....43، 45
ديسقوروس.....48
ديورانت.....28، 34، 42، 50، 117، 127، 153، 234، 283، 304، 316، 334، 341، 345، 416
ديوسقورس.....49
ديونيسيوس ثراكس.....339، 368
ذو نواس.....53، 222، 246
رأس العين.....156
ربيعة.....144
رخ.....120
روزنثال.....317، 416
روفائيل بابو إسحاق.....143
روم لاندو.....271
رينان.....269
رينيه جورسيه.....136
ريو أردشير.....158، 204
زط السند.....189
زَكَرِيَّا.....162
زنجان.....111
زيد بن عَمْرو بن نُفَيل.....61

زيق بن بسطام..... 202، 378، 379
زينون..... 40
سالم بن عوف..... 82، 277
ساليق..... 40
ساهروي..... 346
ساويرا سابوخت..... 343
ساويرس ابن المقفع..... 198، 209، 210، 211، 212، 398
سايروس ابن المقفع..... 103، 378
سبأ..... 53
سبتة..... 175
سبريشوع..... 41، 346
سبسطية..... 120
سبيوس..... 17، 38، 135، 136، 141، 145، 187، 363، 407
سَجَاحُ..... 106، 147
سجستان..... 111، 164، 173، 178
سد شابور..... 42
سرجون بن منصور..... 182، 199
سرجون بن مَنْصُور..... 182
سرجيوس..... 193، 316
سعد بن أبي وقاص..... 292، 337، 349
سعدَ بنِ أبي وقاص..... 113
سعْدُ بن أبي وقَّاص..... 109
سعد بن عبادة..... 105
سعيد بن العاص..... 182
سعيد بن جبير..... 176، 365
سعيد بن يزيد..... 197، 209
سفيان الثوري..... 257
سُفْيَانُ بْنُ مُجَاشِعٍ..... 312
سلمان الفارسي..... 71
سلوى بالحاج صالح..... 15

سُلَيْح 59
سليطَ بن عمرو 95
سليط بن قيس 95
سُلَيم 129
سليمان ..... 46، 53، 299، 366، 412
سليمان بن حبيب المحاربي 185
سليمان بن صرد ..... 175، 176
سليمان بن عبد الملك ..... 179، 212، 299
سماك بن هانيء 307
سمرقند ..... 157، 178
سميساط 110
سنحاريب 53
سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ 116
سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ 273
سهيل قاشا ..... 15، 31
سودة بنت زهرة ..... 33، 68
سوريا ..... 31، 33، 47، 48، 132، 140، 161، 199، 282، 346، 350، 353، 364، 371، 409، 420
سُورِيَةَ ..... 37، 50، 118، 123، 136، 154، 162، 189، 198، 309، 333، 374، 406، 416
سوزومنوس 30
سوسة 173
سُوقِ بَغْدَادَ 108
سُوقِ عُكَاظٍ 70
سويرا الثّاني 207
سويرس سيبوخت 346
سويريوس 18
سيار الجميل ..... 15، 152، 158، 164
سيزاريا 133
سيلاس 52
سيمون الأول 210
سيوريوس الثّاني 208

شابور الأول ..... 31، 42
شبيب الشّيباني 176
شرحبيل بن حسنة 146
شرحبيل بْن حَسَنَة 110
شُرحبيل بن سعد 22
شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْغَسّانِيّ 266
شَقِيقُ بنُ ثَوْرٍ 274
شَمْعَلَةُ بن عامر 190
شمعون ..... 41، 44، 124، 144، 406، 421
شمعون بن جابر ..... 41، 44
شهرزور 163
شيخ مسكين 34
شيخو 77
شيرويه بن كِسْرَى 102
صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ 312
صحراءِ النّفوذِ 96
صقلية 177
صليب زخا 361
صليبا شمعون 124
صنعاء ..... 17، 45، 52، 53، 57، 196، 330، 405، 407
صُهَيْبٍ 112
صهيب الرّومي 69
طارق بن زياد 177
طبرستان 111
طَبَرِيَّةُ 109
طخارستان 173
طرابلس ..... 111، 189
طَرَابُلُسُ الْغَرْبِ 111
طرفة بن العبد 370
طَرْفَةَ بن العبد 43

طلحة.....115
طَلْحَةَ.....112
طلحة بن عبيد الله.....105
طُلَيْحَةَ بْنَ خُوَيْلِدٍ.....106
طنجة.....175
طور عبدين.....156
طيء.....32، 59، 152، 363
طيزَنَاباذَ.....381
ظفار.....57
ظِفَار.....52
عاقولا.....202، 275
عاقولاء.....38، 361
عاملة.....139
عائشة.....115
عبادة بْن الصامت.....131
عبد الرّحمن بن الأشعث.....176
عَبْدَ الرّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ.....112
عبد الرّحمن بن غنم.....137، 138
عبد العزيز الثعالبي.....219، 263
عبد العزيز بن مروان.....179، 210، 212
عبدُ اللطيف البَغْدادي.....348
عبد الله بن الزبير.....180، 197، 306
عبدُ اللهِ بن الزبير.....174
عَبْد اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَمّ.....143، 158
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَمّ.....143، 152
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدٍ.....113
عبدَ الله بن سعد بن أبي سرح.....123
عبدَ اللهِ بنِ سعد بن أبي سرح.....114
عبد الله بن شبرمة.....257، 289
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا.....307

عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَامِرٍ.....114
عبد الله بن عباس.....306، 311
عبد الله بن عبد المطلب.....33، 68
عبد الله بن عبد الملك.....211
عبد الله بن عمر.....113، 306، 394
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ.....112
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.....276
عبد الله بن عَمْرو بن حَرْب.....311
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ.....111
عبد الله بن مطيع.....205
عبد المدان بن الدّيّان.....54
عبد الْمَسِيح.....88، 107، 151، 193، 278، 328، 410
عبدَ الْمَسِيح.....54
عَبْدُ الْمَسِيح بْنُ عَمْرِو بْنِ بُقَيْلَةَ.....107، 151
عَبْدَ الْمُطَّلِبِ.....68
عبد المطلب بن هاشم.....72
عبد الملك بن أبجر.....342، 357
عبد الملك بن مروان.....175، 184، 189، 195، 197، 316، 340، 354، 371، 418
عبريّين.....181
عبيدُ الله بن جَحَش.....81
عبيد الله بن زياد.....174، 180
عبيد الله بن موسى بن جار بن الهذيل.....275، 377
عبيد بن الأبرص.....369
عبيدَ بْن أَوْس الغَسّاني.....182
عثمان بن الحويرث.....32، 33، 59، 67
عُثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ.....111
عثمان بن عفان.....113، 123، 181، 194، 370
عدّاس.....71، 323
عدن.....52، 358
عدي بْن حَاتِم.....285

عروة بن الزبير..... 22
عُرْوَة بن مُحَمَّد..... 190
عزانا..... 55
عزير..... 235
عزيز حلاق..... 23
عزيز سوريال..... 14، 35، 39، 416
عطاء بن أبي رباح..... 257
عقبة بن نافع..... 173، 174، 175
عكبرا..... 42
علا عاميدة..... 55
عَلْبَكّ..... 126
علي بن أبي طالب105، 115، 133، 149، 158، 161، 169، 222، 274، 275، 288، 292، 307، 310، 7
عليّ بن مُحَمَّد بن جعفر العلويّ..... 381
عَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ..... 111
عُمَان..... 39، 149
عُمْر إتراعيل..... 383
عمر بن الخطَّاب109، 113، 120، 123، 124، 131، 134، 148، 155، 156، 162، 165، 167، 170، 86
عمر بن عبد العزيز..... 165، 191، 192، 193، 212، 281، 335، 351، 356، 357، 400
عُمَر بن عبد العزيز..... 179، 185، 190، 191، 194، 291، 301، 303
عمر بن هند..... 45
عُمْر مريونان..... 382
عَمْرًا ابني عَدِي..... 134
عمرو ابن أُخْتِ الْمُؤَيِّدِ..... 312
عمرو بن الأيهم التغلبي..... 130
عمرو بن الحمق الخزاعي..... 376
عمرو بن العاص..... 16، 50، 114، 120، 121، 123، 141، 160، 191، 197، 215، 348، 365، 378
عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ..... 81
عمرو بن سعد..... 323
عمرو بن عبد الْمَسِيح..... 133، 134
عمرو بن عبد الْمَسِيح بن بقيلة..... 133

عمرو بن كلثوم.....370
عمرو بن كُلْثُوم.....44
عمواس.....120
عمورية.....71، 177
عياض بن غنم.....156، 359
عيسى بن مريم.....77، 310، 365
عيسى بن مَرْيَم.....63، 76، 305
عين التمر.....215
عين التّمر.....69، 151، 337
عين جاج.....164
غريغور.....41
غريغوريوس.....36، 40، 102، 124، 144، 234، 343، 401، 406، 407، 421
غريغوريوس الأول.....36
غزالة.....176
غزة.....120، 132
غسّان.....77، 145
غَسّان.....34، 37، 59، 95، 100، 129، 181، 264، 322، 423
غوستاف لوبون.....164، 314، 375
فارس10، 12، 26، 39، 42، 43، 51، 94، 96، 102، 108، 113، 116، 118، 123، 139، 145، 146،
فجليوس.....35
فرات بن شحناتا.....357
فراعنةُ مصر.....35
فرتيا.....31
فرغانه.....178
فكتور الكك.....23
فلسطين.....43، 108، 120، 128، 132، 283، 316، 364، 418
فلهاوزن.....77
فلهوزن.....201
فيرستون.....78، 118
فيروز شابور.....163

فيلوستورجيوس 51
فينيقيّين 34
قاشان 111
قبدوقيا 31
قبرص ..... 113، 381
قتيبة بن مُسْلِم الباهلي 178
قرّة بن شريك 212
قرطبة ..... 186، 216
قريش 32، 58، 59، 61، 65، 66، 67، 69، 72، 73، 74، 75، 81، 86، 94، 100، 101، 112، 168، 70
قزوين ..... 38، 111
قسُّ بن ساعدة 70
قسطنطين ..... 27، 28، 47، 51، 55، 121، 246، 329، 424
قسطنطينة ..... 116، 146
قسطنطينوس 27
قُسْطَنْطِينِيَّة 161
قصي ..... 72، 170
قصي بن كلاب 72
قضاعة ..... 107، 129، 147، 150، 181
قُضاعَة 140
قطر ..... 41، 158، 159
قطري بن الفجاءة 176
قُم 111
قونية (قرب القيروان) 173
قِنَّسْرين ..... 120، 150، 202، 342، 343، 344، 347، 356
قِنَّسْرين 110
قوهستان 173
قيس بن سعد 121
قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ 273
قَيْسُ بْنُ شَمَّاسٍ 317
قيسارية ..... 110، 299

قيصر ..... 67، 110، 160، 265، 329
قيليقيا 31
كابل 178
كابيتولياس 193
كاشْغَر 178
كايتاني ..... 153، 268، 373
كبريلي ..... 59، 62، 296، 417
كثير بن بلحارث بن كعب 59
كدالايا البِطْرِيق 360
كربلاء ..... 174، 180
كرخ سلوخ ..... 102، 122، 156
كركوك ..... 22، 122، 156، 384
كِرْمان 111
كِسْرَى ..... 95، 116، 162، 265، 344
كِسْرَى إبرويز 95
كش 178
كُشاجِمُ 382
كعب الاحبار 365
كعبِ الأَحْبَارِ 306
كَعْبُ بن ماتع 306
كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ 273
كنعانيّين 34
كَنِيسَة المشرق ..... 155، 157، 163، 195، 204، 326، 420، 422
كنيسة دمشق ..... 186، 215
كَنِيسَةِ دِمَشْقَ 358
كوسماس 355
كويدي 122
كويفة ابْن عمر 292
كيتاني 139
كيروس 160

كيوركيس 346
لَبِيدٍ 70
لحم ..... 129، 145
لحْم ..... 107، 139
لَحْم 59
لِدّ 120
لذريق 178
لقيط الإياديّ 324
لوبون 164
لويس شيخو ..... 362، 370
لويس ماسنيون 310
مَا بَيْنَ النّهرين ..... 29، 31، 50، 173، 202، 326، 344، 360
ماحوزي ..... 122، 155
مار آبا الكبير 41
مار أبها الثّالثّ 355
مار اسحق ..... 40، 159
مار أغناطيوس زكا عيواص 15
مار إيليا 44
مار بثيون 196
مار جرجس ..... 202، 344
مار جيورجيس الأول ..... 159، 329
مار خُريسطفورُس 161
مار خنانيشوع الاول 205
مار سرجيس 164
مار صليبا زخا 206
مار عبد الكبير 44
مار غريغوريوس يوحنا 102
مار يشوعياب الأرزوني 44
مار يوحنا ..... 44، 205، 206، 376
ماراما 158

مارامة.....132
مارامه.....158
مارزينا.....199
ماروثا.....40، 122، 144، 163، 164، 362
ماروثا الميافرقيني.....40
ماري بن سليمان.....18، 93، 102، 133، 155، 158، 403
ماريّة أم إِبْرَاهِيم.....95
مارينوس.....341
ماسرْجوية.....335، 356
ماكس فانتاجو.....183، 333، 354
مالك الأشتر.....115
ماهان.....145
مايرهوف.....347
مجمع القُسْطَنْطِينِيَّة.....201، 203
مجمع دارين.....159، 203، 329
محمَّد [بن مروان].....188
مُحَمَّد بن الْقَاسِم.....189
مُحَمَّد بن القاسم الثّقفي.....175، 178، 179
مُحَمَّد بن حبيب.....185
مُحَمَّد بن عبد الملك.....16
محمد بن مسلم الزهري.....22
مذحج.....59
مرج الصّفر.....108
مرسيان.....48
مرقس.....2، 27، 49، 62، 210، 226
مرقيان.....48
مرو حابور.....42
مروان بن الحكم.....114، 175، 335، 351، 355، 356
مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ.....113
مَرْيَمَ30، 33، 39، 63، 77، 80، 82، 198، 221، 224، 225، 226، 229، 230، 231، 232، 240، 242

مسجدِ الكوفةِ 305
مسروق 53
مسلمة بْن عَبْد الملك 190
مُسْلِمة بن عبد الملك ..... 177، 179
مَسْلَمة بن مخلد 199
مِصْرَ 5، 16، 47، 48، 50، 51، 56، 69، 80، 95، 114، 121، 123، 160، 161، 165، 175، 197، 198
مصعب بن الزبير ..... 176، 180، 196، 205
مطيع بن إياس 382
معاذ بْن جبل 110
معاوية 107، 115، 117، 136، 147، 170، 172، 180، 182، 183، 184، 186، 189، 194، 199، 209
معاوية بن يزيد 175
معركة الجسر ..... 109، 142
معقل بن قيس 116
معلثا (ملاصقة لزاخو) 163
مفريانية تكريت 207
مقدونيوس ..... 161، 162
مقنا 98
مكّة 5، 26، 32، 33، 54، 55، 57، 58، 60، 61، 63، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75
مَنْبِجَ ..... 37، 201، 358
مَنْبِجُ 110
مَنْف 121
منورقة 177
مؤتة 145
مُؤْتَةَ ..... 98، 264، 266
موسى الكليم 33
موسى بن نصير ..... 175، 177، 179
موقعة القادسية 145
مِيخَائِيل السّابائي 194
مِيخَائِيل السّرْيانِيّ ..... 140، 188، 192
مِيخَائِيل الكبير ..... 18، 36

ميسان 42
مَيْسَونَ الْكَلْبِيَّة 182
ميشان ..... 93، 159
ميناس 69
ميورقة 177
نابلس 120
ناي دزونج 42
نائِلَةَ بنت الفرافصة ..... 114، 182
نبوخذ نصر 53
نجران ..... 52، 65، 89، 99، 122، 132، 149، 215، 242، 265، 278
نَجْرَان ..... 16، 38، 53، 54، 56، 58، 61، 65، 68، 70، 79، 82، 88، 90، 100، 111، 148، 149، 169، 6
نَجْرَانَ ..... 27، 32، 66، 88، 89، 100، 148، 149، 156، 194، 278، 295، 296، 307
نَجْرَانيَّة الكوفة ..... 16، 115، 169، 305
نسطاس 69
نسطوريوس ..... 38، 39
نسف 178
نصيبين ..... 40، 44، 102، 110، 159، 195، 206، 338، 339، 345
نهاوند ..... 111، 126
نهر الدم 145
نيقيا 49
نيقية 52
نينوى ..... 69، 71، 102، 158، 163
هادريان 53
هارون ..... 18، 393، 395، 401
هاشم 72
هاشم بن عبد مناف 72
هانس كونج ..... 63، 64، 410
هراة 157
هرقل ..... 17، 95، 96، 102، 121، 129، 141، 145، 146، 160، 162، 278، 329، 341، 363، 378
هرقلة 177

هشام بن عبد الملك ..... 193، 356
همذان 111
هند ابنة النّعمان 45
هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الكندي 43
هند بنت النّعمان 280
هوازن ..... 67، 264
هوذة الحنفي 95
هوشاع 44
هيرنش بكر ..... 79، 352
وادِي الحَسَا 35
واصل بن عطاء 313
وثيقة المدينة ..... 85، 87، 273، 285، 293
وَرَقَة بنِ نَوْفَل ..... 33، 61، 67، 68، 74، 319، 323، 324، 326
وَرَقَة بنِ نَوْفَل ابن أسد 59
وَرَوحُ بْنُ سِنَانٍ الْحَرَّانِيُّ 313
وقعة الحَرَّة 174
وقعة القادسية 109
وقعة النّهروان 115
وقعة اليرموك ..... 109، 129، 146
وقعة جَلُولاء 109
وقعةُ صفين 115
ولتر كيغي ..... 129، 142
ولهوزن 62
وهب بن عبد مناف 33
يافا 120
ياقوت 42، 43، 54، 65، 91، 108، 150، 151، 163، 275، 331، 332، 338، 342، 370، 377، 380،
يُبنى 120
يثرب 58
يَثْرِب ..... 32، 33، 59، 61، 71، 72، 77، 86، 87، 251، 252، 319
يحنان نحلايا 346

يُحَنّة بن رؤبة 91
يحيى الدّمشقي 308
يحيى النّحوي المَصْري الإسكندراني 348
يحيَى بن البِطْرِيق 345
يحيى بن زياد 382
يزدجرد ..... 109، 113
يَزْدَجِرْدُ بنِ كِسْرَى 109
يزيد بن أبي سفيان 170
يَزِيد بْن أَبِي سُفْيَان 110
يزيد بن المهلب 179
يزيد بن عبد الملك ..... 188، 193، 206
يزيد بن عقيل 206
يزيد بن معاوية ..... 174، 194
يسوع النّاصري ..... 27، 224
يعقوب البرادعي ..... 35، 36، 154
يعقوب البرادعي 36
يعقوب الرّهاوي ..... 202، 337، 342، 343، 344، 347، 355، 362، 368، 422
يهبالا 44
يهبالاها الأول 41
يهوذا ..... 53، 229
يواكيم مبارك ..... 236، 421
يوحنا19، 27، 40، 52، 69، 80، 141، 157، 184، 185، 186، 188، 205، 206، 209، 225، 281، 32
يوحنَّا الأَبْرَص ..... 195، 205، 206
يوحنا الأول ..... 205، 207
يوحنا الثّالث 209
يوحنا الدّمشقي ..... 199، 200، 308، 311، 313، 316، 355، 362
يوحنا النيقوسي ..... 19، 141، 187، 362، 406
يوحنا مارون 201
يوحنان داذرمه 346
يوسف22، 44، 54، 79، 80، 147، 148، 150، 151، 161، 168، 397، 399، 400، 402، 403، 404،

يوسف الأهوازي.....339، 368
يوسف بْن عُمَر.....195
يوقنا صاحب حلب.....146
يوليان الثّالثّ.....207، 208
يوليان الثّاني.....208
يوم البُوَيْب.....143
يوم الوجلة.....107
يوم أليَس.....108
يوم تكريت.....143
يُونُسُ بْنُ مَتَّى.....71
يونس بن مرقص.....144

محتويات

مقدمة.....7

الباب الأول.....27

العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة.....27

مقدمات و تاريخ.....27

الفصل الأول.....29

إنْتِشَارُ الْمَسِيحِيَّة فِي البِلاد الْعَرَبِيّة قَبْلَ الإِسْلَام.....29

الْمَسِيحِيَّة والبلاد الْعَرَبِيّة:.....34

الْمَسِيحِيَّة فِي الشّام ونشأة الكنيسة اليعقوبية:..... 42
الْمَسِيحِيَّة فِي العِرَاق..... 50
الْمَسِيحِيَّة فِي مِصْرَ ونشأة الكَنِيسَة القبطِيَّة..... 58
الْمَسِيحِيَّة فِي اليمن والحجاز:..... 63
الْمَسِيحِيَّة فِي الحَبَشَة:..... 68
الفصل الثّاني.....71
العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة فِي عصر الرّسالة (13ق.هـ- 11هـ/ 610-632م) 71
جَزِيْرَة الْعَرَب عِنْدَ ظهور الإِسْلَام:.....71
الرّسول محمد والْمَسِيحِيَّة فِي مَكّة:.....81
الرّسول محمّد وأهل الكتاب فِي المدينة:..... 96
معاهدات الرّسول مَعَ أهل الكتاب:..... 105
وثيقة المدينة:..... 106
معاهدة أهل نَجْرَان.....110
معاهدات أُخْرَى:.....113
نشر الإِسْلَام فِي بلاد الْعَرَب.....117
الحياة الْكَنَسِيّة فِي عصر الرّسالة:..... 126
الفصل الثّالث 131

العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة فِي عصر الخِلَافَة الرّاشِدة (11- 41هـ/ 632- 661م).....131

تاريخ الخِلَافَة الرّاشدة:.....131

الفتوح الإسلامية و وَضْع الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة.....147

موقف الْعَرَب المَسِيحِيِّينَ من الْفُتُوح:.....160

إسهام الْمَسِيحِيِّينَ الْعَرَب فِي الْفُتُوح:.....173

نتائج الْفُتُوح:.....181

إنكفاء الْمَسِيحِيَّة الْعَرَبِيّة من جَزِيرَة الْعَرَب فِي عهد الخِلَافَة الرّاشدة:.....182

الحياة الْكَنَسِيّة فِي العصر الرّاشِدِيّ:.....191

مظاهر عصر الخِلَافَة الراشدة :.....205

الفصل الرّابع.....213

العَلاقَات الإِسْلَاميّة الْمَسِيحِيّة فِي عصر الدّولة الأُمَوِيّة.....213

الدّولة الأُمَوِيّة- نشأتُها وميزاتها.....213

خلفاء الدّولة الأُمَوِيّة:.....215

تَطَوّر العَلاقَات الإِسْلَامِيّة الْمَسِيحِيَّة فِي العصر الأُمَوِيّ.....226

الحَرَاك الدّينِي الْمَسِيحِيّ:.....247

المجامع الْكَنَسِيّة.....253

التّنظيمات الْكَنَسِيّة:.....255

انكفاء الْمَسِيحِيَّة:.....265
الباب الثّاني.....271
الْمَسِيحِيّة والتّشريعات الإِسْلَاميّة.....271
والدّور الحضاري.....271
الفصل الأول.....273
الْمَسِيحِيّة والعَلاقَات الدّينِيَّة فِي القُرآن الكريم.....273
1- القُرآن والآخر الدّينِيّ:.....274
2- القُرآن وتأسيس العلاقة بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ والْمَسِيحِيّينَ:.....278
3- الرّموز الْمَسِيحِيّة فِي القُرآن:.....283
4- الجدل والحوار بَيْنَ الأَدْيَان فِي القُرآن:.....300
5- منهج القُرآن فِي إِدَارَة العَلاقَات الدّينِيَّة:.....305
الفصل الثاني.....313
الآخر والجهاد والفتوح في المفاهيم الإسلامية.....313
1- الآخَر الدّينِيّ فِي المفهوم الإِسْلَاميّ:.....313
2- الجهاد في الفكر الإسلامي:.....325
3- الفتوح في الفكر الاسلامي.....339
الفصل الثّالث.....351
حقوق الْمَسِيحِيّينَ فِي الشّرع الإِسْلَاميّ وتشريعات الدّولة.....351
1- الْحُقُوق الاجْتِمَاعِيَّة.....356
2- الْحُقُوق الدّينِيَّة.....360

3- الْحُقُوق الشَّخْصِيَّة:.....370
4- حقوق الانسان.....372
الفصل الرابع 398
التّعَايُشُ الإِسْلَامِيّ الْمَسِيحِيّ فِي المُجْتَمَع الواحد 398
وأثرُه الحضاريُّ.....398
1- الجدال والحوار الدّينِيّ: 400
2- حياة الْمَسِيحِيِّينَ الاقتصاديّة والاِجْتِمَاعِيَّة والدّينِيَّةِ فِي صدر الإِسْلَام ...414
3- التّربية الدّينِيَّة والتنظيمات الْمَسِيحِيّة 420
– التّنظيمات الْكَنَسِيّة:..... 424
- مُؤَسَّسَات الْمَسِيحِيّة فِي القَرْن الأَوَّل الهِجْرِيّ. 429
4- الأثر الحضاري للمَسِيحِيِّينَ فِي المُجْتَمَع الإِسْلَامِيّ..... 433
- التّربية والتّعليم.....437
- دَور العلماء السّريان: 458
5- العيش المُشْتَرَك..... 486
- دواعي التّعَايُش المُشْتَرَك الإِسْلَامِيّ الْمَسِيحِيّ: 490
- نماذج من العيش المُشْتَرَك:..... 492
خاتمة.....507
خلاصة باللغة الفرنسية 514
خلاصة باللغة الإنجليزية.....522

ثَبْتُ المصادرِ والمراجع.....529
أولا- المصادر.....529
المصادر بالعربية.....529
المصادر المترجمة:.....547
ثانيا- المراجع..... 548
المراجع بالْعَرَبِيّة:..... 548
المراجع المترجمة:.....559
المراجع بالانكليزية والفرنسية..... 564
الرّسائل والأطاريح الجامعية:..... 564
البحوث والمقالات:.....565
البحوث المترجمة:.....571
البحوث والمقالات الأجنبية.....573
المحاضرات: 574
اللقاءات: 574
الفهارس.....575
فهرس الأعلام والأمم والأمكنة.....575
محتويات.....612